الشَّيْخُ السَّاحِرُ اللَّهُجَاءُ عُمَّادُ الْآمِينُ ﰐ ﺍًرْInterfaces::الآمين الشنقيطي

(1)

اضواء البيان
في ايضاح القرآن بالقرآن

تَنَافِف

الشَّيْخُ العَلَّامَةُ ﺎًمْرَاءُ ﻋُمَّادُ مَنْدِرٍ ﺍًرْInterfaces::الآمين الشنقيطي

1391 - 1395

انشاف

ب坚硬ن السَّاحِرُ اللَّهُجَاءُ عُمَّادُ

المجلد السابع

صف - المجلدة

وقف

مُوسَةٌ سَاميّ ﺍًبْنا ﺍًمْرَاءُ ﺍًرْInterfaces::الآمين الشنقيطي

دار العالمية للكتب
سورة ص
اِنْبَغِيَّةُ الْمَحْرُومَةِ}.

قوله تعالى: {صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الْذِّكْرِ}.

قراءة الجمهور: (صّ) بالسكون، منهم القراء السبعة، والتحقيق أن ص من الحروف المنقطعة في أوائل السور كص في قوله تعالى {الّتِينَ}، وقوله تعالى: {كَهْيَعْسِ}.

وقد قدمنا الكلام مستوفىً على الحروف المنقطعة في أوائل السور في أول سورة هود، فأغني ذلك عن إعادته هنا. وبذلك التحقيق المذكور، تعلم أن قراءة من قرأ (صّ) بكسر الدال غير منونة، ومن قرأها بكسر الدال منونة، ومن قرأها بفتح الدال، ومن قرأها بضمها غير منونة، كلها قراءات شاذة لا يعول عليها.

وذلك تفسير بعض العلماء المبنية على تلك القراءات، فإنها لا يعول عليها أيضاً.

كما روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: إن (صّ) بكسر الدال فعل أمر من صادي يصادي مصاداة إذا عارض، ومنه الصدى، وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الصلبية الخالية من الأجسام، أي عارض بعمل القرآن وقابله به، يعني امتثال أوامره واجتنب نواهيه واعتقد عقائده واعترب بأمثاله واتبع بمواعظه.
وعن الحسن أيضًا: أن ص بمعنى حادث، وهو قريب من الأول.
وقراءة ص بكسر الدال غير منونة: مروية عن أبي بن كعب، والحسن / وابن أبي إسحاق وأبي السمال وابن أبي عبده ونصر بن عاصم.

والوزير في هذه القراءة الشاذة، أن كسر الدال سببه التخفيف.
لاличاء الساكنين، وهو حرف هجاء لا فعل أمر من صدأ.
وفي رواية عن ابن أبي إسحاق، أنه قرأ (صُّ) بكسر الدال مع التنوين على أنه مجرور بحرف قسم محضوظ، وهو كما ترى، فسقوطه ظاهر.

وذلك قراءة من قرأ (صُّ) بفتح الدال من غير تنوين، فهي قراءة شاذة والتشكيك المبني عليها ساقطة.


واقرب الأقوال - على هذه القراءة الشاذة - أن الدال فتحت تخفيفًا للاличاء الساكنين، واختار فيها الفتح إثباعًا للصاد، ولأن الفتح أخف الحركات، وهذه القراءة المذكورة قراءة عيسى بن عمر، وتروى عن محجوب عن أبي عمر.

وكذلك قراءة من قرأ صاد بضم الدال من غير تنوين، على أنه
علم للسورة، وأنه خير مبتدأ محذوف، والقدرة: هذه صاد، وأنه
منع من الصرف للعلمية والتأنيث، لأن السورة مؤذنة لفظًا.
وهذه القراءة مروية عن الحسن البصري، وابن السمحق،
وهارون الأعور.

ومن قرأ صاد بفتح الدال قرأ: (ق)، و (ن)، كذلك،
وكذلك من قرأها (ص) بضم الدال فإنه قرأ (ف) و (ت) بضم
الفاء والذون.

والفحص أن جميع هذه القراءات، وجميع هذه التفسير
المبناة عليها، كلها ساقطة، لا معول عليها.

وإذا ذكرناها لأجل التنبية على ذلك.

ولا شك أن التحقق هو ما قدمنا من أن (ص) من الحروف
المقطعة في أوائل السور، وأن القراءة التي لا يجوز العدول عنها هي
قراءة الجمهور التي ذكرناها.

وقد قال بعض العلماء: إن (ص) مفتاح بعض أسماء الله
تعالي كالصبر والصمد.

وقال بعضهم: معناه صدق رسول الله ﷺ فيما يبلغ عن الله.

إلى غير ذلك من الأقوال.

وقد ذكرنا أننا قدمنا الكلام على ذلك مستوفيًّ في أول سورة
هود.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَلَفْرَانَ ۖ ذِی‌ ۗ الْمِلَکِ نَزْلَتْ)
قد قدمنا أن أصل القرآن مصدر، زيد فيه ألف والذون، كما زيدنا
في الطغيان، والرجحان، والكفران، والخسران، وأن هذا المصدر أريد به الوصف.
وأكثر أهل العلم يقولون: إن هذا الوصف المعبر عنه بالمصدر هو اسم المفعول.
وعليه، فالقرآن بمعنى المقرر، من قول العرب: قرأت الشيء إذا أظهرته وأبرزته، ومنه قرأت الناقة السلا والجنين إذا أظهرته وأبرزته من بطنها، ومنه قول عمرو بن كالشوم في معلقه:
ترى إذ دخلت على خلائل وقد أمنت عيون الكاشحينا ذراعي عيطسل أدماة بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا
على إحدى الروايتين في البيت.
وعني القرآن على هذا: المقرر الذي يظهره القاريء، وبرزه من فيه، بعبارات واضحة.
وقال بعض أهل العلم: إن الوصف المعبر عنه بالمصدر، هو اسم الفاعل.
وعليه، فالقرآن بمعنى القاريء، وهو اسم فاعل قرأت، بمعنى جمعت.
ومنه قول العرب: قرأت الماء في الحوض أي جمعته فيه.
وعلي هذا، فالقرآن بمعنى القاريء أي الجامع، لأن الله جمع فيه جميع ما في الكتب المنزلة.
وقوله تعالى في هذه الكريمة: {ذئ اللَّهُ} في وجهان من التفسير معروفان عند العلماء:
سورة ص

أحدهما: أن الذكر بمعنى الشرف، والعرب تقول: فلان مذكور، يعنون له ذكر، أي شرف.

ومنه قوله تعالى: "إِنَّ ذِي الْكِتَابِ لَوَلَّوْمَاهُ" أي شرف لكم، على أحد القولين.

الوجه الثاني: أن الذكر اسم مصدر بمعنى التذكير، لأن القرآن العظيم فيه التذكير والمؤذن، وهذا قول الجمهور واحترام ابن جرير.

تنبيه

اعلم أن العلماء اختلفوا في تعين الشيء الذي أقسم الله عليه في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ ذَكَرُواْ إِلَيْ الرَّحْمَٰنِ"، فقال بعضهم: إن المقسم عليه مذكور، وقد قالوا إنه مذكور، اختلفوا في تعينه، وأقوالهم في ذلك كلها ظاهرة السقوط.

فمنهم من قال: إن المقسم عليه هو قوله تعالى "إِنَّ ذِكَّرَ لَحَقَّٓۡ تَحْقَّقَ أَهْلَ الْبَيْتِ".

/ ومنهم من قال: هو قوله: "إِن هَذَا الْرَّقْمًا مَا لَهُ مَن شَأْنٌ".

/ ومنهم من قال: هو قوله تعالى: "إِن كَلِّا صَدَّبَ آسِلٌ مَّقَّمٌ"، كقوله: "تَّفَقَّدَ إِن كَنَّا لَنَفِي ضِللِ مُّضَلِّعِينَ"، وقوله: "وَمَا أَدْرَكَ مَا أَطْلَقْتُ مَا أَتَارَتْ"، أنجح النَّافِبِينَ إِن كَلِّل نَفْسٌ لَّهَا عَلَيْهَا حَافِظًا.

/ ومنهم من قال: هو قوله: "كَمْ أُهْلَكَاهُمْ قَبِلَهُمْ"، ومن قال هذا:
قال: إن الأصل: لكم أهلكنا. ولما طال الكلام، حذفت لام القسم، فقال: كم أهلكنا، بدون لام.

قالوا: ونظير ذلك قوله تعالى: "وَالْمَيْتَ وَجَعَلْنَاهَا"، لما طال
الأضواء البيان

الكلام بين القسم والمقسم عليه، الذي هو {قد ألقى من زكُّنها}،
حذفت منه لم القسم.

ومنهم من قال: إن المقسم عليه هو قوله: {ص}، قالوا:
معنى {ص} صدق رسول الله والقرآن ذي الذكر. وعلى هذا فالمقسم
عليه هو صدقه.

ومنهم من قال: المعنى: هذه ص أي السورة التي أعجزت
العرب، و{القرآن ذي الذكر}.

إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يخفى سقوطها.

وقال بعض العلماء: إن المقسم عليه محذوف. واختلفوا في
تقديره، فقال النزمخشري في الكشاف: التقدير {والقرآن ذي
الذكر}. إنه لمعجز. وقدره ابن عطية وغيره فقال: {والقرآن ذي
الذكر} ما الأمر كما يقوله الكفار.

إلى غير ذلك من الأقوال.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر صوابه بدليل
استقراء القرآن: أن جواب القسم محذوف وأن تقديره: {والقرآن ذي
الذكر} ما الأمر كما يقوله الكفار، وأن قولهم المقسم على نفие
شامل لثلاثة أشياء متلازمة:

/ الأول منها: أن النبي ﷺ مرسل من الله حقًا، وأن الأمر ليس
كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: {ويقول الذين كفرُوا} كفرُوا أُنتُهُ
مرسلاً.

والثاني: أن الإله المعبد جل وعلا واحد، وأن الأمر ليس كما
يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: {أجعل الآلهة إلَّا وَحِيدًا إِنَّ هُذَا نَزِئُهُ
مَيْتًا}.}.
والثالث: أن الله جل وعلا يبعث من يموت، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عليهم: "وأقسموا بالله جهاد أن يبعثُون من يموت "، وقوله: "زعم الذين كفروا أن ل يبعثوا "، وقوله تعالى: " وقال الذين كفروا لا تأتينا السَّاعَة ".

أما الدليل من القرآن على أن المقسم عليه محذوف فهو قوله تعالى: "قل الذين كفروا في عزة وشدقق "، لأن الإضرب بقوله (بِل) دليل واضح على المقسم عليه المحذوف. أي ما الأمر كما يقوله الذين كفروا، بل الذين كفروا في عزة، أي في حمية وأئمة واستكبار عن الحق، وشدقق، أي مخالفته ومعاندة.

وأما دالل استقراء القرآن على أن المنفي المحذوف شامل للأمور الثلاثة المذكورة، فدلالة آيات كثيرة: أما صحة رسالة الرسول الله ﷺ، وكون الآله المعبد واحداً لا شريك له، فقد أشار لهما هنا.

أما كون الرسول مرسلاً حقاً ففي قوله تعالى هنا: "وهم أن جاءهم مُبَيِّنَ مِنّي و قال الَّذِينَ كَفَرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَّابٌ " يعني: أي لا وجه للعجب المذكور، لأن يجيء المنذر الكائن منهم، ولا شك في أنه بإرسال من الله حقاً.

وقولهم: "هَذَا سَجَرٌ كَذَّابٌ " إذا ذكره تعالى إنكاراً عليهم وتكذيباً لهم، فعرف بذلك أن في ضمن المعني: والقرآن ذي الذكر. إنك مرسلك حقاً، ولو عجبوا من مجيئك مندراً، وزعموا أنك ساحر كاذب، أي فهم الذين عجبوا من الحق الذي لا شك فيه، وزعموا أن خاتم الرسل، وأكرمه على الله، ساحر كاذب.
أضواء البيان

وأما كون الإله المعبدو واحداً لا شريك له، ففي قوله هنا:
«أجعل الآلهة إلهاً ورجاءً إن هذا لثناء اللَّه»; لأن الهمزة في قوله:
(أجعل) للانكار المشتمل على معنى النفي، فهي تدل على نفي سبب
تعجبهم من قوله إن: إن الإله المعبدو واحد.

وهذان الأمران قد دلت آيات أخرى من القرآن العظيم على أن الله
أقسم على تكذيبهم فيما وإيباتهما بالقسم صريحاً، كقوله تعالى
مقسماً على أن الرسول مرسول حقاً: «يَا يَبَيْنَ وَالْقُوْرَانَ أَلْقَى مَكْرٍ إِنَّكَ
لَيْمَ آمَنَّا يَسَّوْنَ وَالْقُوْرَانَ ذِي الْذَّكْرِ»؟ إنك
لمن المرسلين.

وقد جاء تأكيد صحة تلك الرسالة في آيات كثيرة، كقوله تعالى:
«فَأَعْلَمَ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مَا أَنْتُمْ أَلْمَانِيَتُوهُمْ».

وأما كونه تعالى هو المعبدو الحق لا شريك له، فقد أقسم تعالى عليه
في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: «وَالْقُوْرَانَ صَحِيحًا» فَأَلْقَى مَكْرٍ ؛ إنَّهُ لَمَّا كَرَّتْ
و نحو ذلك من الآيات. فدل ذلك
علي أن المعنى تضمن ما ذكر، أي: والقرآن ذي الذكر، إن إلهكم
لواحد، كما أشار إليه بقوله: «أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ الْآيَةَ».

وأما كون البعث حقاً، فقد أقسم عليه إسقامة صحيحاً صريحاً،
في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: «فَلَيْنَ لِمَا لَبِنَّ لِبَعْتُنَّ»، وقوله
تعالى: «فَلَيْنَ لِمَا لَبِنَّ لِبَعْتُنَّ» أي الساعة، وقوله: «فَلَيْنَ لِمَا لَبِنَّ
إِنَّهُ لَحَقٌ نَّهَايَةً».

وقسم على اثنين من الثلاثة المذكورة وحذف المقسم عليه
الذي هو الاثنين / المذكوران، وهي كون الرسول مرسلاً، والبعث
حقاً، وأشار إلى ذلك إشارة واضحة، وذلك في قوله تعالى: «فَقَ\n
12
وَالْفَرْعَانُ الْمَجِيدُ ﴿۱﴾ ﻟِيُحْكِمُوا أَنَّ جَاهِلِيَّةَ مُنْدِهِبٍ فَقَالَ الْكَانِفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ ﴿۲﴾ ﻟِيُحْكِمُوا أَوَّاً وَمَنَّهُ أَوْلَدًا ذَٰلِكَ رَجُعٌ بَعْدٍ ﴿۳﴾. فَأَتَبَيِّنَ بِذَلِكَ أنَّ الْمَعْنِي: ﴿۴﴾ وَالْفَرْعَانُ الْمَجِيدُ ﴿۶﴾ إِنَّ الْمَنْذِرَ الْكَايْتِنَ مِنْكُمْ الَّذِي عَجِبَ مِنْ مَجِيِّبِهِ لَكَمْ مَنْذِرًا رُسُولٌ مَنْذِرٌ لَكَمْ مِنَ اللَّهِ حَقًا، وَإِنَّ الْبَعْثَ الَّذِي أَنْكَرَتُوهُ وَاسْتَبْعَدَتُوهُ غَيْبَةُ الإِنَكاَرَ وَالْإِسْتَبْعَادُ فِي قُوَّةٍ عَلَى عَنْكُمْ: أَوَّاً وَمَنَّهُ أَوْلَدًا ذَٰلِكَ رَجُعٌ بَعْدٍ ﴿۷﴾. أَيْ ذَلِكَ الْرَجُعُ الَّذِي هُوَ الْبَعْثُ رُجُعٌ بَعْدِ فِي زَعْمَكُمْ، وَقَعَ لَا مَحَالَةً، وَإِنَّهُ حَقُّ لَا شَكُّ فِيهِ، كَمَا أَشَّرَّ لَهُ فِي قُوَّةِ عَلَى عَنْكُمْ: قَدْ عَيِّنَنَا مَا نُفَّضَ الأَرْضَ مِنْهُ وَأَنتُنَّ كُنُبْ حَيْقَنَةٍ ﴿۸﴾ إِذْ الْمَعْنِي أَنَّ مَا أَكْلُهُ الأَرْضُ مِنْ لَحَوُمِهِمْ، وَمَزْقَتِهِ مِنْ أَجْسَامِهِمْ وَعَظَامِهِمْ، بِعَلَمِهِ جَلْ وَعَلَاءٍ، لَا يَخْفِي عَلَى هُمْ شَيْءٍ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى رَحْمَةٍ كَمَا كَانَ.

وَإِحِيَّاءٌ تَلَكَ الأَجْسَامِ البَالِيةٍ، وَشَعْورُ المَتَمْزَقَةٍ، وَالْعَظَامُ النَّخْرَةُ كَمَا قَدْ نَظَّمَهَا مَبْعَضًا بِالآِيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، فِي سُوَّرَةٍ يُسَيَّرَ فِي الْكِلَامِ عَلَى قُوَّةِ عَلَى عَنْكُمْ: ولَيْنَفِّيَ لِيِّدُوُّ لِيِّدُوُّ ﴿۹﴾. وَكَونَهُ ﴿۱۰﴾ مَرْسَلٌ مِنِ اللَّهِ حَقًا، يَسْتَلِزَّ إِلَى عَلَى عَنْكُمْ، أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمُ مُنْزِلٌ مِنِ اللَّهِ حَقًا، وَأَنَّهُ لَا بِسْحَرٍ وَلَا شَعْرٍ وَلَا كِهَانَةٍ وَلَا أَسْطَابِيرُ الْأُولَيْنِ.

وَلَذَٰلِكَ أَقْسَمَ عَلَى فِي مَوَاطِنٍ كَثِيرَةٍ، عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ أَيْضًا مُنْزِلٌ مِنَ اللَّهِ، كَتَبَهُ عَلَيْهِ فِي أَوْلِ سُورَةِ الْمَدَنَّةِ: ﴿۱۱﴾ وَالْمَكْتُوبُ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لِّيْلٍ سَبَرَكَةٍ، وَقُوَّةً عَلَى عَنْكُمْ فِي أَوْلِ سُورَةِ الْمُخْرَفِ ﴿۱۲﴾ وَالْمَكْتُوبُ إِنَّا جَعَلْنَاهُ فَرُوْةً عَرَبِيًا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿۱۳﴾. وَإِذَا وَلَّيْنَفِّي لِيِّدُوُّ لِيِّدُوُّ ﴿۱۴﴾.
قوله تعالى: ِبِلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عَزْرَةٍ وَشَقَاقٍ ِ
قد قدمنا الكلام قريباً على الإضراب بـ (بل) في هذه الآية.

وقوله تعالى هنا: ِفِي عَزْرَةٍ أي في حمية واستكبار عن قبول الحق، وقد بين جل وعلا في سورة البقرة أن من أسباب أخذ العزة المذكورة بالإثم للكفار أمرهم يتحؤا اللهم، وبين أن تلك العزة التي هي الحمية والاستكبار عن قبول الحق من أسباب دخولهم جهنم، وذلك في قوله عن بعض الكفار الذين يظهرون غير ما يبطنون: ِوَإِذَا قَبَلُ الْحَمْمُ أَنْتَ أُخْزِنَتَهُمُ السَّيْنَةُ وَلَيَسْتَ مِنْهُمْ أَئِيَّاهَا.

والظاهر أن وجه إطلاق العزة على الحمية والاستكبار: أن من اتصف بذلك كان ينزل نفسه منزلة الغالب القاهر، وإن كان الأمر ليس كذلك؛ لأن أصل العزة في لغة العرب الغليبة والقهير، ومنه قوله تعالى: ِوَللهِ أَعْرَضَهُ وَلَرَسُولُهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ الآية، والعرب يقولون: من عزر برأ، يعنون من غلب استلب، ومنه قول الخمساء: 

كأن لم يكونوا حمي يختشى إذ الناس إذ ذاك من عزر برأ
وقوله تعالى عن الخصم الذين تسوروا على داو: ِوَعَرَّفَ فِي
الْعُطُوبِ) أي غلبني وقهرني في الخصومة.

والدليل من القرآن على أن العزة التي أثبتها الله للكافرين في قوله: ِبِلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عَزْرَةٍ الآية، قوله: ِأَخْذُتِهِمُ السَّيْنَةُ وَلَيْسَتْ مِنْهُمْ أَئِيَّاهَا
 الآية، ليست هي العزة التي يراد بها القهر والغليبة بالفعل، أن الله خص بهذه العزة المؤمنين دون الكافرين والمنافقين، وذلك في قوله تعالى: ِبِلْوَلَّوْنَ لَيْنَ رَجُمًا إِلَى الْمُدْبِرِينَ الْكُافِرِينَ وَلله
آية تولى ورسوله وللمؤمنين. ِ
ولذلك فسرها علماء التفسير، بأنها هي الحمية والاستكبار عن قبول الحق.

والشقيق: هي المخالفة والمعاندة، كما قال تعالى: "وَإِنْ لَوْ أُنْصِرْتُمْ فَإِناَّمَا هُمُّ فِي شَقَايْتِنَا الْآيَةِ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَأُصِلَّهُ مِنْ الشَّقَّ الَّذِي هُوَِ الْجَانِبُ; لَكِنَّ المَخَالِفِ /الْمَعَانِدَ، يُقْبَرُ فِي الشَّقِّ، أَيْ فِي الْجَانِبِ، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ هُوَ مَخَالِفٌ لَهُ وَمَعَانِدَ.

وَقَالَ بَعْضُ أُهِلِّ الْعَلَمِ: أُصِلَّ الشَّقَّ مِنْ المَشْقَةِ، لِأَنَّ المَخَالِفَ المَعَانِدَ يَجْتَهِدُ فِي إِيَالَ الْمَشْقَةِ إِلَى مِنْ هُوَ مَخَالِفٌ [لَهُ] مَعَانِدَ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُصِلَّ الشَّقَّ مِنْ شَقِّ العصا، وَهُوَ الخَلَافِ وَالْتَفْرَقِ.

قوله تعالى: "كَرَّ أَهْلِكُنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قُرْنٍ فَنَادُواْ وَلَا تَجِنَّ".

مناصٌ (3).

(كم) هنا هي الخبرية، ومعناها الخبر عن عدد كثير، وهي في محل نصب، على أنها مفعول به لأهلكنا، وصيغة الجمع في أهل كنا للتعظيم، ومن في قوله: (من قرن)، مميزة لـ (كم)، والقرن يطلق على الامة وعلى بعض من الزمن، وأشهر الأقوال فيه أنه مائة سنة، والمعنى: أهلكنا كثيرا من الأمم السالفة من أجل الكفر وتكذيب الرسل، فعليكم أن تحدرونا يا كفار مكة من تكذيب نبينا محمد ﷺ والكفر بما جاء به، لتلا نهلككم بسبب ذلك، كما أهلكنا به القرن الكثير من الماضية.
فوق ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل:

الأولى: أنه أهلك كثيراً من القرون الماضية، يهدد كفار مكة بذلك.

المقدمة: أنهم نادوا، أي عند معاييتة أوائل الهلاك.

الثالثة: أن ذلك الوقت الذي هو وقت معاييتة العذاب ليس وقت نداء، أي فهو وقت لا ملجأ فيه ولا مفر من الهلاك بعد معاييتة.

وقد ذكر جل وعلا هذه المسائل الثلاث المذكورة هنا موضحة في آيات كثيرة من كتابه.

أما المسألة الأولى، وهي كونه أهلك كثيراً من الأمم، فقد ذكرها في آيات كثيرة، كقوله تعالى: "ولا أحبكونا يعفون من بعد نوح"، وقوله تعالى: "وقد كان لترى عرشك في ظلامة" الآية، وقوله تعالى: "الله يتأتكم نبأ الذي من قبل أن يعذبكم غور نوحا عاد وضمنوا والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله" الآية. والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد ذكر جل وعلا في آيات كثيرة أن سبب إنهالك تلك الأمم الكفر بالله وتكذيب رسله، كقوله في هذه الآية الأخيرة مبيناً سبب إنهالك تلك الأمم التي صرح بأنها "لا يعلمهم إلا الله"، "فآيتنا عليهم رسلهم" بالطبع، فركونا في أقوههم وقولا وإن كننا بينا أرسلنهم، وبينا أرسلناهم بعد أن أرسلناهم، وقد قدمنا في الكلام على هذه الآية من سورة إبراهيم، أقولن أهل العلم في قوله تعالى: "ففردوا أثدينهم في أقوههم"، وبيننا دالة القرآن على بعضها، وقوله تعالى: "ِكتابين من عينين عنت عن آمر ذي ورسبه" فحاسبتنا حساباً �يداً، وعندنها عداباً تكرراً"
فقد أتْنا بِوالَآمِهِ ۚ وَكَانَ عَلِيْقَةَ أُمِّهَا خَسَرَٰٓ ﴿١٦﴾، وَقُوْلُهُ تَعَالَى: ﴿۹۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
وأما المسألة الثانية: وهي نداءهم إذا أحسوا بأوائل العذاب، فقد ذكر تعالى في آيات ممن كتباه نوعين من أنواع ذلك النداء:

أحدهما: نداءهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين، وذلك في قوله تعالى: "وَكَمْ قَصَمْتُمْ مِنْ قَرْبِيَّ كَانَتُو لَا ثَلَاثَةَ وَأَنْشَأْتُوا بَعْضَهَا فَوْقُهَا تُحْزَبَتْ" ١٨٤، وقيل: "فَأَلْوَاءُ نَادَىَّنَا إِذًا كَأَنَّهُمْ يَرْكُضُونَ" ١٨٥. وقوله تعالى: "فَقَرْطَّلَتْ ذُبُوْنُهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهُمْ حَضْرَيْنِ حَسْبِيَاً خَيْرَيْنِ" ١٨٦، وقوله تعالى: "وَكَمْ مِنْ قَرَنَّامِنْ أَهْلَكْنَاهُ فَجَأَهَا بَاسِئَا بَيْنَاهُمْ أَوْ هُمْ قَالُوْلاً" ١٨٧. لما كانُو دَعُوا هُمْ إِذَا جَاءَهُمْ بَاسِئَا إِلَّا أَنْ قَالُوْلاً إِذَا كَانَ خَيْرَيْنِ ١٨٨.

والثاني من نوعي النداء المذكور: نداءهم بالإيمان بالله، مستغيثين من ذلك العذاب الذي أحسوا أوائله، كقوله تعالى: "فَلْمَآ رَأَوْا بَاسِئَا قَالَوْا أَمِّي اِبْنِيَآ إِنِّي مُجِيرٌ قَرْنِي وَفُسْحَتْنِي كَأَيْنَّا مَشْرِكِينَ ١٨٩، فَأَجَابَهُمْ رَبُّهُ حَيْرًا لَمْ يَشْعُرُوْلُهُمْ إِيَّمَاهُمْ. ١٩٠، لما رَأَوْا بَاسِئَا أَسْتَنْسَيْتُ اللَّهُ أَلَّا أَقْبَلَتْنَا عَلَيْكَ غَيْبًا وَقَبْلَ هَذَا الْكَفْرُونَ ١٩١.

وهذا النوع الأخير هو الأنصب والألقى بالمقام، لدلالة قوله:

"وَلَاتُ قَبْيَ مَنَصِّي ١٩٢" عليه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَلَاتُ قَبْيَ مَنَصِّي ١٩٢" الذي هو المسألة الثالثة، معناه: ليس الحين الذي نادوا فيه، وهو وقت معاني العذاب، "بَيْنَ مَنَصِّي ١٩٣" أي ليس حين فرار ولا ملما من ذلك العذاب الذي عاينوه.

وقوله: "وَلَات" هي لا النافية زيدت بعدها تاء التأنيث اللفظية، كما زيدت في ثم، فقيل فيها ثمت، وفي زرب، فقيل فيها ربت، وأشهر أقوال النحوين فيها، أنها تعمل عمل ليس، وأنها لا تعمل إلا في الحين خاصة، أو في لفظ الحين ونحوه من الأزمة،
كسورة ص

كالساعة والأوان، وأنها لا بد أن يحذف اسمها أو خبرها، والأكثر
حذف المرفع منهما وإثبات المنصوب، وربما عكس، وهذا قول
سيبوه، وأشار إليه ابن مالك في الخلاصة بقوله:

في النكارات أطلق كاليس لذا وقد تلف تلات و(إن) ذا العملا
وما لات في سوى حين عمل
وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل
والمناص مفعول من النوص، والعرب تقول: ناصه ينوصه إذا
فاته وعجز عن إذراكه، ويطلق المناص على التأخر؛ لأن من تأخر
ومال إلى ملجة ينقذه مما كان يخافه فقد وجد المناص.

والمناص والملجأ والمفر والمومئ معناها واحد، والعرب
تقول: استناص إذا طلب المناص، أي السلامة والمفر مما يخافه،

وبنها قول حارثة بن بدر:

غامر الجراء إذا قصرت عنانه

بابي استناص ورام جري المسحل

والأظهر أن إطلاق النوص على الفوت والتقدم، وإطلاقه على
التأخر والروغان كلاهما راجع إلى شيء واحد؛ لأن المناص مصدر
ميمي معناه المنطقي على جزئاته: أن يكون صاحبه في كرب وضيق،
فيعمل عملاً يكون به خلاصه ونفعه من ذلك.

/ فتارة يكون ذلك العمل بالجري والإسراع أمام من يريده

بالسوء، وتارة يكون بالتأخر والروغان حتى ينجو من ذلك.

والعرب تطلق النوص على التأخر، والبوص - بالباء الموحدة

التحتية - على التقدم، ومنه قول امرئ الفيس:

أيمن ذكر سلمي إذ تأتيك توص فتقصر عنها خطوة وتبوص

وأصول الأقوال في لات أن التاء منفصلة عن حين، وأنها
أضواء البيان

تعمَّل عمل ليس، خلافاً لمن قال: إنها تعمل عمل إن، ولمَّن قال: إن التاء متصلة بحين، وأنه رآها في الإِمَام وهو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه متصلة بها.

وعلى قول الجمهور، منهم القراء السبعة: أن التاء ليست موصولة بحين؛ فالوقف على لات بالتاء عند جميعهم، إلا الكسائي فإنه يقف عليها باللهاء.

أما قراءة كسر التاء وضمها فكلتاهما شاذة لا تجوز القراءة بها، وكذلك قراءة كسر النون من حين، فهي شاذة لا تجوز، مع أن تخرج المعنى عليها مشكل.

وعقوله تعالى في هذه الآية الكريمَة: {فَقَدْ أَوْاَرُواً}، أصل النداء: رفع الصوت، والعرب تقول: فلان أندى صوتًا من فلان، أي أرفع، ومنه قوله:

فقلت ادعيوا وأدعو إن أندى لصوت أن ينادي داعيان

وما تضمنت هذه الآية الكريمَة من أن الأمم الماضية المهلكة ينادون عند معاينة العذاب، وأن ذلك الوقت ليس وقت نداء إذ لا ملِّجأ فيه ولا مفر ولا مناص، ذكره في غير هذا الموضع، كقوله تعالى:

19 تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْمَارَهُمْ / وَأَمَامًا بِاللَّهِ وَحْدَكَ وَحْدَكَنَّا، يَمْحُوْنَكَ مَّا سَرَّتُكُمُ ۖ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ}. 

فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْمَارَهُمْ إِذَا هُمْ مِنَّا يَرُكُّبُونَ ۖ لَا تَرْكِبُوا وَأَرْجَعُوا إِلَى مَا أَتِمْ فِيهِ.
وسأكتب لكم لئن كنتم تشيتون ۱۳ قالوا يويلنا إننا كنا ضلعين ۱۴ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلنهم حسيداً خليدين ۱۵ إلى غير ذلك من الآيات.

وقد بين علالي وقوع مثل ذلك في يوم القيامة في آيات من كتابه، كقوله تعالى: ۱۶ استحيوا لزيكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له وربك ۱۷ ألا ما لك من ملجة يوقب ومالكم من نذكير ۱۸ ، وقوله تعالى: ۱۹ فإذا بوق البصر وخشف الفصر وجمع النحس والفسر يقول الإنسان يومئذ أن الفسر ۲۰ لاأ ودد ۲۱ والوزر: الملجأ، ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنهم:

والناس إلبه علينا فيك ليس لنا إلا الرماح وأطراف القنا وزر،

وكتوله تعالى: ۲۲ كل له موعود أن يجلو وأم ذويه مولياً ۲۳ ،

والموئل اسم مكان من وأل يثل، إذا وجد ملجأ يعتصب به، ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:

وقد أخالس ربي البيت غفلته وقد حاذر مني ثم ما يثل أي ثم ما ينجز.

* قوله تعالى: ۲۴ وجَبَّوا أَنْ جَاءَهُمْ مَنْذَرُهُمْ.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن كفار قريش عجبوا من أجل أن جاءهم رسول منذر منهم، وما ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، من عجبهم المذكور، ذكره في غير هذا الموضع، وأنكره عليهم وأوضح تعالى سبب ورد على عليهم في آيات أخرى، فقال في عجبهم المذكور:

۲۵ فوالفرءان المجيداً بل يعابو أن جاءهم منذرهم.

وقال تعالى في إنكار عليهم في أول سورة يونس: ۲۰ الآلية ۹۰ أيت الله الكديرة الكريمة ۹۱ أكان لنساء عجبًا أن أوصيتم إلى بجيل ينتمون أن أذر.
أضواء البيان

الناس، وذكر مثل عجبهم المذكور في سورة الأعراف عن قوم نوح وقوم هود، فقال عن نوح مخاطباً لقومه: «أوَ كَيْبَىْ أَنَّ جَالِسَكُمْ ذُكْرِيَّينَ وَيَكُونُ عَلَىَّ نُجْلِيَّةٌ يَسِينِدُكُمْ وَلَيْنِقْوَا وَلَعْلَكَ نَرْحَوْنَ»، وقال عن هود مخاطباً لعَدَّاد: «أوَ كَيْبَىْ أَنَّ جَالِسَكُمْ ذُكْرِيَّينَ وَيَكُونُ عَلَىَّ نُجْلِيَّةٌ يَسِينِدُكُمْ وَلَيْنِقْوَا إِذَ جَعَلَكُمْ حَنَذَاءَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ فَوْجًا الآية.

وبين أن سبب عجبهم من كون المنذر منهم أنه بشر مثلهم، زاعمين أن الله لا يرسل إليهم أحداً من جنسهم، وأنه لو أراد أن يرسل إليهم أحداً لأرسل إليهم ملكاً، لأنه ليس بشراً مثلهم وأنه لا يأكل ولا يشرب ولا يمشي في الأسواق.

والآيات في ذلك كثيرة، كقوله تعالى: «وَمَامَّةَ الْآسَ أَنْ يَوْمَ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ النَّهْدُ إِلاَّ أَنَّ قَالُوا أَبَتَ أَنَا بِاللَّهِ نَيَسَىْ رَسُولًا ۙ فَلَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ ملَّتِيسَةٌ يُشْتَوبُ مَطْسَبِينَ لَنِئِذَا عَلَىٰ مَلَّةٍ أَسْمَاءَ مَلَكَ مُرْسَلٌ»، وقاله تعالى: «وَقَالُوا لَيْسَنَا مِنْ قَوْمِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْشِبُونَ»، وقاله تعالى: «وَقَالُوا أَصْحَبُ ۚ إِنِّي إِذِ اخْتَيْرُوتُونَ»، وقاله تعالى: «وَقَالُوا مَالُ هَذَا الْرَّسُولِ يَأْسِرُ الْأَطْعَامَ وَيَمْسِهُ فِي الْأَشْوَاقِ»، وقاله تعالى: «ذَٰلِكَ يَأْتِهِمْ كَانَ تَأْيِبَهُمْ رِسَالَتُهُ بِرَبِّنَاهُ فِي نَارِهِمْ اٰيَةٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ۗ كَذَا تَنْتَمُّ ۗ فَقَالُوا أَبَى أَيْضًا أَنْ يَمْلِكَهُمُ النَّارُ اٰيَةٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَقَالُوا أَوْلَٰى ۚ أَنْ يَأْتِهِمْ ۖ إِنَا إِذِ اٰيَةٌ لَّهُمْ وَضَرِّعٌ وَسَعْرٌ ۗ إِنَّا لَهُمْ مْلَكُۢ وَعَزِيزُۢ»، وقاله تعالى: «قَالُوا إِنَّا إِنَّا لَيْسَنَا عَلَيْهِمْ مَن يُسِرُّونَ»، وقاله تعالى: «إِنْ أَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ بَيْتٍ
سورة ص

إبديهم وآبن خليفتهم ألا تصدموا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملكتيك فإنا بما أرسلتم به كفرعون، وقوله تعالى: "فقال الملوك الذين كفروا من قومه، ما هذا إلا نبات ملتوء". إن يفضل عليه وПетер ساء الله لأنزل ملكتيك ما سييعنك. فهذا في سورة الآية الأولى. وقوله تعالى: "وقالوا أيتها السراي التي نزل عليه الذكر إنك لمجنون". إن كنت من الصديقين ما ننزل ملكتيك إلا بالحق وما كاذب إذا أمنا دينك. وقوله تعالى: "وقالوا أولاً ننزل إليه ملكتيك معمر نذيرا". ولأجل الذين لا يرجون لقاءنا أرسلنا ملكتيك أوروا ديناً لقد استكبروا في أنفسهم وعمنعونا كيماّر يقيمون ملكتيك لا يدرون يوم الدين الآية. وقوله تعالى عن فرعون مع موسى: "فلولا ألقى عليه آسورة من نذره أوجته ملكتيك مفطرةين". وقد رد الله تعالى على الكفار عجبهم من إرسال الرسل من البشر، في آيات من كتابه.

كقوله تعالى: "وما أرسلنا قبلك من الرسل لا إله إلا هو "ليأكلوا الطعام ويبشروا في الأسواق". وقوله تعالى: "ولقد أرسلنا رسولًا من قبلك وجعلنا لهم أزوجاً وذريةً". وقوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجلًا نوحي إليهم من أهل القرنين". وقوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجلًا نوحي إليهم فسلموه أهل الذكر إن كسر لغامون". وما حملتهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانو خفافين. وقيل لهما: "إلا أي بالرسالة والوحي، ولو كان بشراً ملتمس. إلى غير ذلك من الآيات. "
أَمْ لَهُ مَثَلٌ سَيِّئٌ أَجْرِوا صَغَارَةً عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يُمْكِروُنَّ ۗ أَوَ أَسْوَاهُمْ أَشُدُّوا عَلَى نَفْسِهِمْ ۗ وَلَن يَصْلِحُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا الْعِدَّةَ عِنْدَهُ ۗ وَلَا يُجِبُّ اللَّهُ عَلَى الْمُتَّكَفِّرِينَ ۗ لَمَّا أَبْصَرُوا مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَذَاكِرَةٍ وَلَا يَغْلِبَنَّهُمْ مَا رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ وَلَا يُجِبُّ اللَّهُ عَلَى الْمُتَّكَفِّرِينَ ۗ
الرسالة حيث يشاء، ويخص بها من يشاء، إلاّ من عنده خزائن
الرحمة، وله ملك السماوات والأرض.
وقوله تعالى: 

"أَمَّا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْذِّكْرُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ فَقَدْ بَيْنُهُ بِيَدِ ٱللَّهِ الْقَهْرُ"

قد بين في موضع
آخر أن ثمود قالوا مثله نبلى الله صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وذلك في قوله تعالى عنهم: 

"أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اجْعَلُوا فِي صَبْرِكُم مَّثَلَ ٍكَذِبَابٍ أَيْضًا ۖ وَقَدْ وَرَدَّ ٱللَّهُ عَلَىٰكُم مَّثَلَ ۗ وَعَدَّ ٱللَّهُ عَلَىٰ ٱلْأَيَّامِ وَٱلْأَيَّامَ ١٣٩٤٩ المُCORD"، وقد ورد الله تعالى عليهم ذلك في قوله: 

"سَيَعْمَالُونَ عِنْدَمَنَّا نَكْبَاتٌ ۗ أَلَيْكَ ٱلْأَيَّامُ"،

وقوله تعالى: 

"أَمَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِلكَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا"

 Blessed be He! Al-Rahim

قد قدمنا بعض الكلام عليه في سورة الحجر في الكلام على
وقوله تعالى: 

"وَحَفَظْنَاهُ ۗ إِنَّ ۗ شَيْطَانَ ۣنُجَاهِمُ".

* قوله تعالى: 

"كَذَٰلِكَ قَبْلَهُمُ رَفَعْنَ أَوْلِيَآءَهُمْ وَۡقَرَعْنَ ذُو ٱلنَّارِ وَمَوْمَعَ ۖ وَقَرَعَۢ وَقَرَعَ لَهُوَ ۠وَدِينَ وَۡأَحَدَتَ".

* قولنا الآية: 

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحجر في الكلام على
قوله تعالى: 

"وَإِنْ يَكُونُوا فَقَدْ حَكَمْ نَحْبَةً قَبْلَهُمۡ قَوْمَ ۚ نَجِيٌّ الآية"، وفي
غير ذلك من المواضع.

* قوله تعالى: 

"وَقَالُوا رَبِّنَا ﴿ۢقِتَّنَا قَبْلَ ۚ يُومِ ۢ ۤ"

* السَّحَابُ

قد قدمنا الآيات الموضحة له في مواضع متعددة من هذا
الكتاب المبارك، في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: ﴿ما عندك ما تستعجلونك يذكّر،﴾ وفي سورة يونس في الكلام على قوله تعالى: ﴿أمّا إذًا وقع ءامنتك ﴿ الآية، وفي سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَسَتَعَجِّلُونَكُمُ الْقَبْلَ آلِهَةٍ﴾ الآية، وفي سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَسَتَعَجِّلُونَكُم بَعْضَ ٱلْعَذَابٍ﴾ الآية.

وقد قمنا أن القت، النصيب من الشيء، أي عجل لنا نصيباً من العذاب الذي توعدنا به.

وأن أصل القت كتاب الجائزة؛ لأن الملك يكتب فيه النصيب الذي يعطيه لذلك الإنسان، وجمعه قطوع، ومنه قول الأعشى: ﴿وَلَا ٱلرَّحْلُ ٱلْمُحْمَّدَ ٱلْمُحْلِّبُ بَعْضَ ٱلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ﴾ ﴿وَلَا ٱلرَّحْلُ ٱلْمُحْمَّدَ﴾، أي ينفق، أي يفضل بعضهم على بعض في العطاء المكتوب في القروط.

فِي قِولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَرَنا لِجَانَالَ مَعَمَّرٍ﴾ إِنَّا سَخَرَنا لِجَانَالَ مَعَمَّرٍ.

قد قمنا الآيات الموضوعة له، في سورة الأنبياء، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَسَخَرَنَّاهُ مَعَ ٱلْجَنَّ ٱلْمُدَّيْنِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْفَلِيْجَ﴾ الآية.

فِي قِولِهِ تَعَالَى: ﴿وَدَادًا دَارُوْدُ أَنَّهَا فَأَتَعَذَّرُ رَبَّكَ وَهُوَ رَكَعًا﴾ وَدَادًا دَارُوْدُ أَنَّهَا فَأَتَعَذَّرُ رَبَّكَ وَهُوَ رَكَعًا.

٢٤ ﴿فَعِلْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ ﴿فَعِلْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ الآية.

قد قمنا الكلام على مثل هذه الآية من الآيات القرآنية التي يفهم منها صدور بعض الشيء من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.
وبينا كلام أهل الأصول في ذلك في سورة طه، في الكلام على قوله تعالى: «وعصيء أدم ربك فوقع».

واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة، مما لا يلقى منصب داث عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كله راجع إلى الإسرائيليات، فلا ثقة به، ولا معول عليه، وما جاء منه مرفوعًا إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء.

25

/ قوله تعالى: «بَدَأَوْذَانِ إِنَّا جَعَلْنَا خَلِيَّةً فِي الْأَرْضِ فَأَخْحَصُ».

بين أناس يلبخ ولاتتبع الهوئ فضلاً عن سبيل الله الآية.

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «إنا جعلنا خليفًا في الأرض»، قد بينا الحكم الذي دل عليه، في سورة البقرة، في الكلام على قوله تعالى: «وإذ قال راكب للملتفكة إني جاعل في الأرض خليفة» الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «فأحكم بين أناس يلبخ ولا تتبع الهوئ فضلاً عن سبيل الله» قد أمر نبيه داوود عليه السلام بالحق، ونهاه فيه عن اتباع الهوئ، وأن اتباع الهوئ علة للضلال عن سبيل الله، لأن الفاء في قوله: «فاصبح عن سبيل الله» تدل على العلامة.

وقد تقرر في الأصول، في مسلك الإمام والتنبيه، أن الفاء من حروف التأويل، كقوله: سهى فسجد، وسرق فقطعت يده، لعلة السهو في الأول، وصلة السرة في الثاني.

واتبع ذلك بالتهديد الشديد لمن اتبع الهوئ، فأصلبه ربا عن سبيل الله، في قوله تعالى بعده يليه: «إِنَّ اللَّهَ يَضَلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمُ عَذَابٌ صَدِيدٌ مِّنَ النَّارِ».
ومعلوم أن النبي الله داوَد لا يحكم بغير الحق ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله، ولكن الله تعالى يأمر أئمته عليه السلام، وينهىهم، ليشرع لأمهم.

ولذلك أمر النبي ﷺ بما أمر به داود، ونهى أيضاً عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: "وَلَقَدْ أَحْكَمْ بِكُلِّ شَيْءٍ بِالْقِسْطِ"، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ أَحْكَمْ بِكُلِّ شَيْءٍ بِالْقِسْطِ"، وقلعتهم أن يفصولوا عن بعض ما أُنزل الله إلينا، وكقوله تعالى: "وَلَقَدْ أَحْكَمْ بِكُلِّ شَيْءٍ بِالْقِسْطِ"، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ أَحْكَمْ بِكُلِّ شَيْءٍ بِالْقِسْطِ".

وقد قدمنا الكلام على هذا، في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: "لَا تَحْصُلْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا أَحْسَنَ فَقْرَةً فَمَدُونُ حُكْمَةٍ". 

وبين أن من أصح الأدلة القرآنية الدالة على أن النبي ﷺ يخاطب بخطاب، والمراد بذلك الخطاب غيره، يقتينا، قوله تعالى: "إِمَّا يَلْعَنَ عَنْدَكَ الْحَكِيمُ أَحَدَهُمَا أَوْ كَلَاهُما فَأَنْتُمْ لَا تَدْمَعُونَ" الآية، ومن المعلوم أن أبا ﷺ يوفي قبل ولادته، وأن أمه مانث وهو صغير، ومع ذلك فإن الله يخاطبه بقوله تعالى: "إِمَّا يَلْعَنَ عَنْدَكَ الْحَكِيمُ أَحَدَهُمَا أَوْ كَلَاهُما"، وملؤهم أنه لا يبلغ عهد الكبر أهدهما، ولا كلاهما. لأنهما قد ماتا قبل ذلك بزمن.

ففي ن أرمه تعالى لنبيه ونهه له في قوله: "قُلْ لَمَّا أَقِمْنَا وَلَا نَتَخَلَّصْنَا وَلَا نُؤْمِنْ إِلَّا مَعَكَ لَتَخَلَّصْنَا" الآية، وإنما يراد به التشريع على لسانه لأمته، ولا يراد به هو نفسه، وقد قدمنا هناك أن من أمثال العرب: إياك أعني واسمعي يا جارة، وذكرنا في ذلك رجل سهل بن مالك الفزاري الذي خاطب به أمرأة.
وهو يقصد أخري، وهي أخت حارثة بن لام الطائفي، وهو قوله:

يا أخت خير البدو والحضارة كيف ترين في فتي فزارة أصبح يهوى حرة مطارة إياك أعني واسمعي يا جارة.

وذكرنا هناك الرجل الذي أجابته بمرة.

وقول بعض أهل العلم: إن الخطاب في قوله: ِِإِنَّمَا يَلْبَغُنَّ عَنْدَكَ أَلْخَيْبَرُ أَحَدْمَا وَأَلْخَيْبَرُ الآية، هو الخطاب بصيغة المفرد، الذي يراد به عموم كل من يصح خطابه، كقول طرفة بن العبد في معلقته:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويتبك بالأخبار من لم تزود

أي ستبدي لك ويتبك أيها الإنسان الذي يصح خطابك؛ وعلى هذا فلا دليل في الآية = غير صحيح، وفي سياق الآيات قريبة قرآنية واضحة دالية على أن المخاطب بذلك هو النبي ﷺ، وعليه فالاستدلال بالآية استدلال قرآني صحيح، والقرينة القرآنية المذكورة، هي أنه تعالى قال في تلك الأوامر والنواهي التي خاطب بها رسوله ﷺ، التي أولها ِِإِنَّمَا يَلْبَغُنَّ عَنْدَكَ أَلْخَيْبَرُ الآية، ما هو صحيح في أن المخاطب بذلك هو النبي ﷺ، لا عموم كل من يصح منه الخطاب، وذلك في قوله تعالى: ِِذَلِكَ مِمَّا أُوْحِيَ إِلَيْكُ رَبُّكَ مِنِّ الْحُكْمَةِ وَلَا تَجَلَّعُ مَعَ اللَّهِ إِلَّا أَحَدَّثْتُكَ فِي جَهَّامَ مُّلُومًا مَّدْحُورًا ِِ.

قوله تعالى: ِِوَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً ِِ.

وقد قدمنا الآيات الموضحة له في آخر سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: ِِوَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا أَلْحَقْيً ِِ، وفي آخر سورة قد أفلح المؤمنون، في الكلام على قوله: ِِأَفْحَبَشْتُمْ أَنَّا خَلَقْنِكُمْ عَبِيًا الآية.
قوله تعالى: "ذاك ظنُّ الْرَّبِّينَ كُفْرُواْ قَوْيٌ بَيْنَ الْرَّبِّينَ كُفْرُواْ مِنْ آثَارٍ".

الإشارة في قوله: (ذلك) راجعة إلى المصدر الكامن في الفعل الصناعي، (ذلك) أي خلقنا السماوات والأرض باطلاً هو ظن الذين 28 كفروا بنا. والنفي في قوله: (ما خلقنا) منصب على الحال لا على عاملها الذي هو (خلقنا)؛ لأن المنفي بـ "أداة النفي التي هي (ما)" ليس خلقه للسماوات والأرض، بل هو ثابت، وإنما المنفي بها هو كونه باطلاً، فهي حال شبه العمدة وليست فضيلة صريحة؛ لأن النفي منصب عليها هي خاصة، والكلام لا يصح دونها. والكلام في هذا معلوم في محلة.

ونفي كون خلقه تعالى للسماوات والأرض باطلاً، نزه عنه نفسه ونزه عنه عباده الصالحين؛ لأنه لا يليق بكماله وجلاله تعالى. أما تنزيهه نفسه عنه فإنه قوله تعالى: "أَفَهُمْ أَنَا خَلْقُكُمْ عِبَادًا وَأَنتُ الْمَلِكُ إِلَيْكَ تَرْجَعُونَ".

ثم نزه نفسه عن كونه خلقهم عباداً بقوله تعالى: "فَخَلَقَ اللَّهُ الْمَلِكَ الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْأَرْضِ الْجَهَّازِينِ" أي تعالى وتقدس.

وتنزه عن كونه خلقهم عباداً.

وأما تنزيهه عباده الصالحين له عن ذلك، ففي قوله تعالى: "إِنَّكَ فِي حُكْمِ الْسَّمَّاَرَى وَالْأَرْضِ وَخُلُقْتَ آيَلٌ وَتَفَهَّمَتْ لَأَيْلٍ لُوْلَى الأَلْبَسِ" الذي يذكر على الله وقُسُومه وفهمهم وتفهُّمهم في حُكْمِ الْسَّمَّاَرَى وَالْأَرْضِ رَبَّاً ما خَلَقَهُ هَذَا بَطَالًا سُبْحَانَكَ قَدْ أَعَذَّبَ الْقَآئِمَا الرَّأْبِ، فقوله تعالى عنهم: (سِتَّاحَانك) أي تنزيهما لك عن أن تكون خلقت السماوات والأرض باطلاً. فقولهم: (سِتَّاحَانك) تنزيه له، كما نزه نفسه عن ذلك بقوله تعالى: "فَخَلَقَ اللَّهُ الْمَلِكَ الْحَقَّ الآية".
وقوله تعالى في هذه الآية: (قويل للذين كفرُوا من آثارات) يدل على أن من ظن بالله ما لا يليق به جل وعلا، فله النار. وقد بين تعالى في موضوع آخر أن من ظن بالله ما لا يليق به أرده وجعله من الخاسرين، وجعل النار مثواه. وذلك في قوله تعالى: (ولكن مَن ذُنِبَ أَنَّ اللَّهَ / لَا يُعَلِّمُ كُلِّ شَيْءٍ تَعْلَمُونَ) وذَلِكُمْ ذَنُوبُ الْرَّءِيسَ أَنَّهُمْ أَرَادُوكُمْ أَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ فإن يُصِيرُوا فَأَلْبَارُ ۖ مَثْوَى هُمُّ الْآية.

وقولنا في أول هذا البحث: الإشارة في قوله: (ذلك) راجعة إلى المصدر الكامن في الفعل الصناعي، قد قمنا إيضاحه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: (إِن هَذَا اللَّهُ الَّذِي يُهْدِي لِلْيَتِيمِ هُدًى أُقْوَمًا)، وبناء هناك أن الفعل نوعان: أحدهما الفعل الحقيقي، والثاني الفعل الصناعي، أما الفعل الحقيقي، فهو الحدث المتجدد المعروف عند النحويين بالمصدر. وأما الفعل الصناعي، فهو المعروف في صناعة علم النحو. بالفعل الماضي، والفعل المضارع، وفعل الأمر على القول بأنه مستقل عن المضارع.

ومعلوم أن الفعل الصناعي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، كما أشار له في الخلاصة بقوله: المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأَمْن من أَمْن عند جماعات من البلاغيين، أنه ينحل عن مصدر وزمن ونسبة، وهو الأقرب، كما حرره بعض علماء البلاغة في مبحث الاستعارة التبعية، وبذلك تعلم أنه لا خلاف بينهم في أن المصدر والزمن كامان في الفعل الصناعي، فيصبح رجوع الإشارة
 والضمير إلى كل من المصدر والزمن الكامن في الفعل الصناعي.
فمثال رجوع الإشارة إلى المصدر الكامن في الفعل، قوله هنا:
قد كفرنا، لرجال فلا يأتينا إلا الآية؛ فإن المصدر الذي هو الخلق، كامن في الفعل الصناعي، الذي هو الفعل الماضي في قوله: وما خلقنا السماء والماء.
والأرض وما بنيتنا بطلان ذلك أي خلق السماء والماء المذكور الكامن في مفهوم (خلقنا) فإن الذين كفرنا.
ومثال رجوع الإشارة إلى الزمن الكامن في مفهوم الفعل الصناعي، قوله تعالى: ورجل في أرض دينك يوم القيامة. أي ذلك الزمن الكامن في الفعل هو يوم القيامة.
ومثال رجوع الضمير للمصدر الكامن في مفهوم الفعل قوله تعالى: أعجلونا هما أقربا للتقوى، فقوله: هو، أي العدل الكامن في مفهوم (اعدلوا)، كما تقدم إيضاحه.

قوله تعالى: أم نجعل أُنيَنَ مُصلِّيَنَا ونجعل الصالحين كالمفaddin في الأرض أم نجعل أُنيَنَ مُصلِّيَنَا كالفجر.

أم في قوله: (أم نجعل الذين)، وقوله: (أم نجعل العازرين) كالتها منقطعة. و (أم) المتقبلة، فيها لعلماء العربية ثلاثة مذاهب:
الأول: أنها بمعنى همزة استفهام الإنيكار.
الثاني: أنها بمعنى بئل الإضراب.
والثالث: أنها تشمل معنى الإنيكار والإضراب معاً، وهو الذي اختاره بعض المحققين.

وعلى فالأضراب بها هنا انتقالي لا إبطالي، ووجه الإنيكار بها عليهم واضح؛ لأن من ظن بالله الحكيم الخبير، أنه يساوي بين
 الصحيح المصلح، والمفسد الفاجر، فقد ظن ظناً قبيحاً جديراً بالإنكار.

وقد بين جل وعلا هذا المعنى، في غير هذا الموضوع، وذم حكم من يحكم به، وذلك في قوله تعالى في سورة الجاثية: "أَمَّ حَيْبُ الَّذِينَ اجْتَرَحاً السَّيِّبَاتُ / أَنْ يَجْعَلُهُمْ كَلِّذِينَ أَمَرْوُا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ 31 سَوَاءَ مَنْ حَيَاهُمْ وَمَعَانِيمُهُمْ سَيَأْتِهِمْ مَعْمَانُوتٌ*.

* قوله تعالى: "كَبْرَ أَزْلَلْهَ إِلَّا يَأَتِيَ مَبْرَكٌ لِيَبْدِؤُوا مَأْتِيهِ".

ولنذكر أولوا الألباب.

قوله تعالى: (كتاب) خبر مبتدأ محدود، أي هذا كتاب، وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أنزل هذا الكتاب، معظماً نفسه جل وعلا، بصيغة الجمع، وأنه كتاب مبارك، وأن من حكم إزاله أن يتذكَّر الناس آياته، أي يفهموها ويطمعوا النظر فيها، حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى، وأن يتذكَّر أولوا الألباب، أي يتعظ أصحاب العقول السليمة من شوائب الانتقال.

وكل ما ذكره في هذه الآية الكريمة جاء واضحًا في آيات أخرى.

أما كونه جل وعلا، هو الذي أنزل هذا القرآن، فقد ذكره في آيات كثيرة، قوله تعالى: "إِنَّ أَزْلَلْهُ فِي لِيْلَةَ الْقَدْرِ"، وقوله تعالى: "إِنَّ أَزْلَلْهُ فِي لَيْلَةِ الْبَرْكَةِ"، وقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَزْلَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَهُدَى مَأْتِيَهُ مَعْمَانُوتُهُ هُنَّ أَمَّ الْكِتَابِ وَأَخْرَجَ مَسِيقًا الَّذِي يَأْتِيهِ الآية"، والآيات.

بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وأما كون هذا الكتاب مباركًا، فقد ذكره في آيات من كتابه:

رَبِّنَا كَبْرَ أَزْلَلْهُ مَبْرَكٌ مَّصِيدُ الْأَلْفُ يَدُوَّاهُ الْآية،
وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كَتِبٌ مَّبَارِكُ مَّبَارِكٌ فَأَتِينُوهُ وَأَنْفُقُوا لِعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. والمبارك كثير البركات، من خير الدنيا والآخرة.

ونرجو الله القريب المجيب، إذ وفقتنا لخدمة هذا الكتاب المبارك، أن يجعلنا مباركين أيمنا كنا، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا بركاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وأن يعم جميع إخواننا المسلمين الذين يأتمنون بأوامره بالبركات والخيرات، في الدنيا والآخرة، إنه قريب مجيب.

وأما كون تذكير آياته، من حكّم إنزله، فقد أشار إليه في بعض الآيات، بالتحضيض على تذكيره، وتوعيه من لم يتذكره، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْتَدِبُونَ الكُرُونَ﴾ أي: تذكروا لا تذبروا عن كلمة الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَطْيرٍ أَلْوَىٰٓ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَطْيرٍ أَلْوَىٰٓ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْتَدِبُونَ القُرْآنَ﴾ أي: تذكروا نذروا. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْتَدِبُونَ أَلْوَىٰٓ﴾ أي: تذكروا لولاية. وقوله ﴿أَفَلَا يَنْتَدِبُونَ أَلْوَىٰٓ﴾ أي: تذكروا لولاية. وقوله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَطْيرٍ أَلْوَىٰٓ﴾.

وأما كون تذكر أولي الألباب، من حكّم إنزله، فقد ذكره في غير هذا الموضوع، مقترناً ببعض الحكم الأخرى، التي لم تذكر في آية ص. هذه، كقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿هَذَا بَلَغْنَ اللَّهُ وَإِنَّهُ وَلَيْسَ كَمَثَّلٍ﴾، ﴿وَأَنَا هُوَ الَّذِي وَلَدَّكُمْ وَلَدًا﴾ ﴿وَأَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ أَلْوَىٰٓ﴾. فقد بين في هذه الآية الكريم أن تذكر أولي الألباب من حكّم إنزله، مبيناً منها حكمتين أخريين من حكّم إنزله، وهما إنذار الناس به، وتحقيق معنى لا إله إلا الله.

وكون إنذار الناس وتذكر أولي الألباب، من حكّم إنزله، ذكره في قوله تعالى: ﴿الْآيَةِ ﴿١٩* كَتِبَ أَنْزِلْ إِلَيْكَ فَلا يَكُنَّ فِي صَدَرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ لِيَنْذِرَ بِهِ وَيَذْكِرْ لِلنَّاسِ﴾، لِأَنَّ اللَّهَ ﴿٢٠* الَّذِي حَرَجَ ﱡهُ﴾، لِأَنَّ اللَّهَ ﴿٢١* لَهُ﴾، لِأَنَّ اللَّهَ ﴿٢٢* صَدَرُكَ﴾.訓練된 모델이 추론하거나 파생하려는 내용이나 추론을 하지 않은 내용은 아래와 같습니다.

"آية لا يخفى أنهم هم أولوا الألباب."
وذكر حكمة الإنجاز في آيات كثيرة، كقوله: "تبارك الذي نزل القرآن على عبده، ليكون تنبيهًا ولينصرًا"، وقوله تعالى: "والهجر الذي أنزله على عبدي الكتاب ولن يجعل لنفسك رجاء، فإن قلت ذكرت بأس الله وذكرت المؤمنين الذين يعجلون إلى الصلينجك" الآية.

وذكر في آيات أخرى، أن من حكم إزالته الإنجاز والتنبيه معاً، كقوله تعالى: "فإنما يسربك الله إلينا نذكر، ويتنبيهك علمنا"، وقوله تعالى: "لم نذر إنزلنا على عبدي الكتاب، ولم يجعل لنفسك رجاء، فإن قلت ذكرت بأس الله وذكرت المؤمنين الذين يعجلون إلى الصلينجك" الآية.

وبين جل وعلا أن من حكم إزالته أن يبين للناس ما أنزل إليهم، ولاجل أن يفكروا، وذلك قوله تعالى: "وأرسلنا إليك الدعج" لتنبيه الناس مائون إليهم وعلهم يتفكرون".

وقد قدمنا مراراً كون لعل من حروف التعظيم.

وذكر حكمة النبي المذكورة مع حكمة الهدى والرحمة، في قوله تعالى: "وما أنزلنا عليه الكتاب إلا لنبين له من الله أخلاقًا واتخذنا به دينًا وقى له قوم يؤمنون".

وبين أن من حكم إزالته تثبيت المؤمنين، والهدى والبشرى للمسلمين، في قوله تعالى: "قل نزلت روح النور من زينب يلقي الجيب لمن اتبعه مسنًا وغنم وذكر للمسلمين".

وبين أن من حكم إزالته إلى النبي، أن يحكم بين الناس بما أراه الله، وذلك في قوله تعالى: "إذا أرسلنا إليك الكتاب لليحكي لحكم بين الناس ما أرسلت الله" الآية.
وَالظاهر أن معنى قوله: "إِنَّمَا أُلْهِكَ الْلَّهُ" أي بما علمك من العلوم في هذا القرآن العظيم، بل قوله تعالى: "وَذَلِكَ أُهَجِّي إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنْ أَنْبَعِيرٍ مَا كَانَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْتَهُ نُورًا تُهْدِي بِهِ مِنْ دُنْيَاهُ مَنْ يَعْبُدُنِي" الآية، وقيل: "فَنُذَّرْ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْفَصْلِينَ يَا أُحْسَنَ الْفَقَهُاءَ".

وَبَيْنَ جَلِّ وَعَلَا أَنَّ مِنْ حَكْمِ إِلْزَامِهِ إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَذَلِكَ فِي قُوَّةٍ تَعَالَى: "أَلِرْ كُفِّيَّ أَنْزِلْتُهُ إِلَيْكَ لِنَخْرِجَ النَّاسُ مِنَ الْظُّلُمَّاتِ إِلَى النُّورِ بِذَٰلِكَ رَبُّكَ الْمَلِكُ وَلَدِينَ رَبِّهِمْ" الآية.

وَبَيْنَ أَنَّ مِنْ حَكْمِ إِلْزَامِهِ التَّذِكْرَةُ لَمْ يَخْشَى، فِي قُوَّةٍ تَعَالَى: طَهَّرْنَا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَعَ" إِلَّا نَذَّرَهُ لَمْ يَخْشَى أي مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ لَمْ يَخْشَى.

وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى التَّذِكْرَةِ إِضَافِيًّا، وَكُلُّ الْقَصْرِ فِي قُوَّةِ تَعَالَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ هَذَا "وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا لِيُخْرِجَ أَخْلَافَاءَ" الآية، بَلِ الْحَكِّمُ الَّذِي ذَكَرْنَا هُمَا.

وَبَيْنَ أَنَّ مِنْ حَكْمِ إِلْزَامِهِ قُرْآنًا عَرَبِيًا وَتَصْرِيفُهُ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْوَعْيَدِ أَنْ يَتِي النَّاسُ اللَّهُ، أو يَحْدِثُ لَهُمْ هذَا الْكِتَابُ ذَكْرًا، أَيَّ مَوْظَعًا وَتَذَكْرَةً يَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَذَلِكَ فِي قُوَّةٍ تَعَالَى: "وَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ حَكِيمًا وَصَرِيفًا فِيهِ مَنْ أُوْيِدُ لِلْعَلَّمَ يَنْبُونَ أَوْ يَحْدِثُ لَهُمْ ذَكْرًا" وَالْعَلَّمُ عَنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

قُوَّةٍ تَعَالَى: "وَهَبْتُ لَدَعَوْنا سُلَيْمَانَ" الآية.

ذَكَرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَنَّهُ وَهِبَ سُلَيْمَانَ لَدَوَادٍ، وَقَدْ بِيِنَ
في سورة النمل أن الموهوب ورث الموهوب له، وذلك في قوله تعالى: "وَرَتِبَتْ سَلَامًا دَاوُدًا".

وقد بنا في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى عن زكريا: "فَنَفَّذَ لَهُ مِنْ أَنْصَابِهِ وَأَبِيَّتِهِ يُرَيِّثُ مِنْهَا يَقِرُوبًا" الآية، أنها وراثة علم ودين لا وراثة مال.

قوله تعالى: "وَلَقَدْ فَضَّلْنَا سَيْتَمْنَ وَلَدَتْنَا عَلَى كَرِيْسَيْهِ، جَسَدًا" الآية.

قد قدمنا الكلام على هذه الآية، وعلى ما يذكره المفسرون فيها، من الروايات التي لا يخفى سقوتها، وأنها لا تليق بمنصب النبوة، في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: "وَلَا تَقُولُنَّ لَيْسَ فِي أَيَّامِ ذَلِكَ عَدَا" إِلَّا أَنْ يَشَاءَ إِلَهِنَا".

 وما روي عن السلف من جملة تلك الروايات، أن الشيطان أخذ خاتم سليمان، وجلس على كرسيه وطرد سليمان، إلى آخره، يوضح بطلانه قوله تعالى: "إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَهُمْ سَلَطَنُ إِلَّا مِنْ أَنْتَحَكُّ مِنَ الْمُضَلِّعِينَ"، واعتراف الشيطان بذلك في قوله: "إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْ أَنْتُحَكُّ مِنَ الْمُضَلِّعِينَ".

قوله تعالى: "قَسَحًا لَهُ الْبَيْتُ الْجَنِينِ بَأْرَمِيْهِ رَحِيمًا حَتِّى أَصَابَ" أَصَابَ.

قد قدمنا الكلام عليه موضحاً بالآيات القرآنية في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: "وَلَسْتَنَا الْرَِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بَأْرَمِيْهِ" الآية.
وقررنا هناك قوله هذا: (حيث أصاب) وذكرنا هناك أوجه الجمع بين قوله هنا: {ربنا}، وقولة هناك: {وَسَلَّمَنَّ الٌّيُّ}
عاصفة، ووجه الجمع أيضاً بين عموم الجهات المفهمون من قوله هنا: {حَبَّتُ أَصَابَ} أي حيث أراد، وبين خصوص الأرض المبكرة المذكورة هناك في قوله {مَجِيرُ يَا مُرَيْمَ إِلَى الأَرْضِ أَلَّا بِنَرُكَا فِيهَا}
الآية.

* قوله تعالى: {وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءِ وَعَوْاصِمِ الآية}.

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: {وَمَرَّ الْشَّيْطَانُ مِنْ غَوْسُورَتِهِ وَيَعْمَلُهُ عَمَّالَاتُهُ}
ذَلِكَ وَكُلُّهُمْ كُنْفِظَتْ}.

* قوله تعالى: {وَأَذَّكْرُ عِبَادِنَا يَوْمَ يُنَادَى رَبُّهُ إِذْ نَادَى رَبِّي أَيِّ مَسِيَّ}.

٣٦ / الشَّيْطَانُ يُصَبِّعُ وَعَذَابٌ لِلأَوَلِ الْأَلَّبِ}.

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية مع التعرض لإزالة ما فيه من الإشكال في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: {وَأَذَّكْرُ}
إِذْ نَادَى رَبِّي إِذْ نَادَى رَبِّي}.

* قوله تعالى: {وَأَذَّكْرُ عِبَادِنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ} الآية.

أمر الله جل وعلا نبِيه في هذه الآية الكريمة أن يذكر عبده إبراهيم، ولم يقيد ذلك الذكر بكونه في الكتاب، مع أنه قيده بذلك في سورة مرآء، في قوله تعالى {وَأَذَّكْرُ في الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا كانَ صِدِّيقًا} نسيًا الآية.
 قوله تعالى: (وَأَذْكُرْ إِسْمَعِيلَ وَلَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَاحِبُ آلْوَٰهِ آلَّذِينَ أُنْفِقُوا فِي الْقُرْآنِ وَالْحَرَّامِ). 

أطلق هنا أيضاً الأمر بذكر إسماعيل، وقديمه في سورة مريم بكونه في الكتاب، في قوله تعالى: (وَأَذْكُرْ إِسْمَعِيلَ) الآية، وفي ذلك إشارة إلى أنه مأمور أيضاً بذكر جميع المذكورين في الكتاب، ولذلك جاء ذكرهم كلهم في القرآن العظيم كما لا يخفى.

 قوله تعالى: (وَعِينَهُ مَنَصِرَتُ الطَّرَفِ أَرَّابُ). 

قد قدمنا الكلام عليه، في سورة الصفات في الكلام على قوله تعالى: (وَعِينَهُ مَنَصِرَتُ الطَّرَفِ أَرَّابُ). 

 قوله تعالى: (إِنَّ هَذِهِ الرِّزقُ مَا لَهُمْ نَفَادٍ). 

/ ما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن نعيم الجنة لا نفاد له، أي لا انقطاع له ولا زوال، ذكره جل وعلا في آيات أخرى، كقوله تعالى فيه: (عِطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُوزٍ)، وقوله تعالى: (مَا عِينَهُ نَفَدْوَاهُ وَعِينَ رَبِّي). 

 قوله تعالى: (فِي هَذِهِ لَعَظِيمٌ أَهِلَّ الدَّارِ). 

قد قدمنا ما يوضحه من الآيات القرآنية في مواضيع متعددة من هذا الكتاب المبارك، ذكرنا بعضها في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: (إِذَا نَزَّلَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابَهُمْ مَّا أُنْفِقُوا فِي الْقُرْآنِ) الآية، وذكرنا بعضه في سورة الأعراف، في الكلام على قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَذَهَبُوا إِلَيْهِمْ الْغَيْبَاتُ) الآية، وغير ذلك من المواضيع.
قوله تعالى: (فَأَلَّذِي هُمْ خَلَقْنَاهُ مِن نَارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِن مَّاءٍ) 

قد تقدم إيضاحه، مع بعض المباحث في سورة البقرة، في الكلام على قوله تعالى (إِنَّا أَيُّهَا الَّذِي خَلَقْنِي أَكُونِي عَلَيْهِ مَثَلًا مِّن الْكِفَّارِ) 

قوله تعالى: (قُلْ مَا أَسْتَطِيرُ عَلَيْهِ مِنْ أُجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمَشْرِقِينَ) 

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة هود، وذكمنا الأحكام المتعلقة بالآيات في الكلام على قوله تعالى عن نبيه نوح: (وَتَكُونُ عَلَيْهِ مَا نَصُوبًا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ) الآية. 

قوله تعالى: (وَلْيَتَعَلَّمُ بِهِ بَعْدُ جَيْشٍ) 

الحين المذكور هنا، قال بعض العلماء: المراد به بعد الموت. 

وبدل له / ما قدمنا في سورة الحجر، في الكلام على قوله تعالى: (وَأَعْفِنَّكَ حَتَّى يُؤْتَيْكَ الْيَقِينَ) 

وقال بعض العلماء: الحين المذكور هنا، هو يوم القيامة. 

ولا منافاة بين القولين؛ لأن الإنسان بعد الموت تبين له حقائق الهدى والضلال. 

واللأم في لتعلمن مروطة للقسم، وقد أكد في هذه الآية الكرمة أنهم سيعملون نباً للقرآن، أي صدقه وصحة جميع ما فيه، بعد حين، بالقسم ونون التوكن. 

وأما تضمنت هذه الآية الكرمة من تهديد الكفار بأنهم سيعملون نباً بعد حين، قد أشار إليه تعالى في سورة الأنعام، في قوله تعالى:
قال غير واحد من العلماء: (لكل نبأ مستقر) أي لكل خبر حقيقة ووقوع، فإن كان حقاً تبين صدقه ولو بعد حين، وإن كان كذباً تبين كذبه، وستعلمون صدق هذا القرآن ولو بعد حين.
سورة الزمر
قوله تعالى:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ»

قد دل استقراء القرآن العظيم، على أن الله جل وعلا إذا ذكر تنزيله
لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمنة صفاته العليا.
ففي أول هذه السورة الكريمة، لما ذكر تنزيله كتابه، بين أن
مبدأ تنزيله كائن منه جل وعلا، وذكر اسمه الله، واسمه العزيز،
واسمه الحكيم، وذكر مثل ذلك في أول سورة الجاثية، في قوله
 تعالى: «حَمَّاءٌ ۖ تَنْزِيلٌ الْكِتَابِ مِنْ عُرْفِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۖ إِنَّكَ هُدِيْنَا لِأَسْتَقِيمٍ ۖ أَنَّىٰ لَيْسَ كَمَنْ كَانَ كَذَٰلِكَ ۚ إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَٰلِكَ أَنْفَسَ ۖ وَمَا تَعْلَىٰ مِنْ دُونِهِ لَإِلَّاٰ ۗ يَلِينُهُ» الآية.

وقد تكرر كثيراً في القرآن ذكره بعض أسمائه وصفاته، بعد ذكر
تنزيل القرآن العظيم، كقوله في أول سورة المؤمن: «حَمَّاءٌ ۖ تَنْزِيلٌ
الْكِتَابِ مِنْ عُرْفِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۖ إِنَّكَ هُدِيْنَا لِأَسْتَقِيمٍ ۖ أَنَّىٰ لَيْسَ كَمَنْ كَانَ كَذَٰلِكَ ۚ إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَٰلِكَ أَنْفَسَ ۖ وَمَا تَعْلَىٰ مِنْ دُونِهِ لَإِلَّاٰ ۗ يَلِينُهُ» الآية.

وقوله تعالى في أول هود: «أُلْهِمْ رَكَابَتَهُ عَنْ ۗ هَٰذَا فَعْلُ ۗ وَمَا يَلْهَبُ ۚ وَمَا يَقْصُرُ ۗ حُكْمُ رَبِّكَ حَيَّۚ وَقُولُهُ فِي
فصلت: «وَلَا يَأْتِيهِ الْيَتَّجُرُ هُنَّ بِحَرَّمٍ وَلَا مِنْ خَفْيَةٍ»، وقوله تعالى في سورة إسراء: «ذَلِكَ رَبُّ ٱلْحَمۡرَاءِ وَرَبُّ ٱلْخَبۡرَاءِ»، وقوله تعالى: «وَلَا يَأْتِ عَلَيْهِمْ نَزۡلَةً مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ»، وقوله تعالى: «يَوْمَ يُؤُودُ ٱلرَّحۡمَٰنَ رُءَىٰ أَلۡوَٰهُ ٱلۡعَالِمِينَ» الآية، وقوله تعالى: «لَوْ نَزَّلَ عَلَى بَعْضٍ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ ٱلۡأَوَّلِ» الآية.

ولا يخفى أن ذكره جل وعلا هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيل هذا القرآن، يدل بإيضاح على عظمة القرآن العظيم، وجلالة شأته وأهمية نزوله، والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: «فَأَعۡبَدُ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لِّلَّهِ ٱلۡدِّيۡنَ ۖ أَلَيۡلَ يَلۡهَبُ ٱللَّهُ ٱلۡۤهُدَىَّ ۖ إِلَى ٱللَّهِ يَخۡلِصُ أَلَّمَ يَبۡتَغُونَ ۖ».

أمر الله جل وعلا نبى في هذه الآية الكريمة أن يعبده في حال كونه مخلصًا له الدين، أي مخلصًا له في عبادته من جميع أنواع الشرك صغيرة وكبيرة، كما هو واضح من لفظ الآية.

والخليص: إفراد المعبود بالقصد في كل ما أمر بالقرب به إليه، وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من كون الخليص في العبادة الله وحده، لا بد منه، جاء في آيات متعددة.

وقد بين جل وعلا أنه ما أمر بعبادة إلا عبادة يخلص له العبد فيها، أما غير المخلص، فكل ماأتي به من ذلك جاء به من تلقاء نفسه، لا بأمر ربه. قال تعالى: «وَمَا أَمَرُّ بِهِ إِلَّا لِيُعِيدُوا ٱللَّهَ مُخۡلِصَةً لِّلَّهِ الۡعَزِيزِ» الآية، وقال جل وعلا: «قُلِ ۖ إِنَّى أُنَبِّئُ أَنَّ أَنَبِيًا مُّنَّا مُّنَّٰهُ بَيۡنَهُنَّ وَأَمۡرُ أَنَّ أَكُونَ أَوَّلِ ٱلۡمُتَّلِكِينَ ۖ إِلَى قُولهِ تَعَالَى: «قُلِ ۖ أَنَّى ۖ أَنَّى مَنَّى مَنَوُّهُ؟».

* أَعۡبَدُ ۖ أَلَيۡلَ يَلۡهَبُ ۖ إِلَى ٱللَّهِ يَخۡلِصُ أَلَّمَ يَبۡتَغُونَ ۖ.»
وقد قدمنا الكلام على العمل الصالح، وأنه لا بد فيه من الإخلاص، وفي أول سورة الكفء، في الكلام على قوله تعالى:

«وَبِسْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَالُونَ الصَّالِحَاتِ» الآية، وفي غير ذلك من المواضع.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: « أُلَّهُ الَّذِي لَا شَرِيكَ» أي التوحيد الصافي من شوائب الشرك، أي هو المستحق لذلك وحده، وهو الذي أمر به.

وقول من قال من العلماء: إن المراد بالدين الخالص كلمة لا إله إلا الله، موافق لما ذكرناه. والعلم عند الله تعالى.

ثم لما ذكر جل وعلا إخلاص العبادة له وحده، بين شهبة الكفار التي احتجوا بها للإشراف به تعالى، في قوله تعالى هنا:

«وَالَّذِينَ اخْتَلَفْنَ أَوَّلَيْمَا مَا تَعْبِدُونَ إِلَّا لِيُقَرَّبُنَّ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى». 

فبين أنهم يزعمون أنهم ما عبدوا الأصنام إلا لأجل أن تقربهم من الله زلفى، والزلفى القربة.

فقوله: (زلفي)، ما ناب عن المطلق من قوله: (ليقربونا) أي:

ليفربونا إليه قربة تنفعنا بشفاعتهم، في زعمهم.

ولذا كانوا يقولون في تلبتيهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

وقد قدمنا في سورة المائدة، في الكلام على قوله تعالى:

«وَأَبْعَثْنَا إِلَيْهِ الْوُسْيَةَ» أن هذا النوع من ادعاء الشفعاء، واتخاذ المعبدات من دون الله وسائر، من أصول كفر الكفار.
وقد صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله جل وعلا:

«وَعَبَّدُونَ بِعَدَّةٍ مِّنَ الْنَّارِ مَا لَهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيُقَوْلُونَ هَتَوَّهَنَا ِعَنْدَمَ الْعَلِيِّ الْقُوَّةِ فَلَا يُقَوْلُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ِسَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا شَرَكُونَ يٓا»

فصرح تعالى بأن هذا النوع من ادعاء الشفعة شرك بالله، ونجز نفسه الكرامة عنه بقوله جل وعلا: (سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا شَرَكُوْنَ)، وأشار إلى ذلك في آية الزمر هذه؛ لأن جل وعلا لما قال عنهم: (مَعَذَّبُهُمْ إِلَّا لِيَقُوْنَا إِلَى اللَّهِ) / (زَمَّةً إِنَّ اللَّهَ يُكْبِرُ كَبَارَهُمْ) في ماهِ مِّنْهَا مِّلَامِحُهُمْ، أتبع ذلك بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَخْرُجُونَ مِنْ هُوَآ).

وقوله: (كفار)، صيغة مبالغة، فدل ذلك على أن الذين قالوا:

(ما نعدهم إلّا ليقربونا إلى الله يلزم) جامعون بذلك بين الكذب والمبالغة في الكفر بقولهم ذلك، وسيأتي إن شاء الله لهذا زيادة إيضاح في سورة الناس.

قوله تعالى: (لَوْ أُرِئَ اللَّهُ أَن يَتَحَدَّثُ وَلَدًا لَا أَضْطَفْنَ مِثْلًا).

يَلْقَعُ ما يَبْشَرُ، سَبِيحَانَهُ هُوَ ِلَا يَوْحَدُ إِلَّا أَهْلَ الْفَهْرَأَ.)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكترة في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ أَلْبَارًا سَبِيحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْهُدُونَ).

قوله تعالى: (خَلَقْنَّاهَا مِنْ نَفْسٍ زَيْجَةٍ وَخَلَقْنَّاهَا مَثْلًا).

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه خلق بني آدم من نفس واحدة هي أبويهم آدم، ثم جعل من تلك النفس زوجها، يعني حواء.
سوارة الزمر

أي ويث جميع بني آدم منهما. وأوضح هذا في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى في أول سورة النساء: "يَا بُنيَّا الْأَيَّامُ أَنْ تَعْقِلُوا رَكَّمَ الْهَيَّةِ خَلَقْتُكُمْ مِنْ تَقْصِيدٍ وَخَلَقْتُ بُنيَّتُكُمْ زَوْجَيْهَا وَبَيْنَ هَذَيْنِ رَيْجِانًا كَثِيرًا وَرَيْسَاءٍ". وقوله في الأعراف: "هُوَ الْآَلِيُّ خَلَقَكُم مِّنِّ تَقْصِيدٍ وَجَعَلَ بُنيَّتُكُمْ زَوْجَيْهَا لِيُسَكِّنُنَّ إِلَيْهِمَا" الآية. وتأنيث الوصف، بقوله: (واحدة) مع أن الموصوف به مذكر، وهو آدم، نظراً إلى تأنيث لفظ النفس، وإن كان المراد بها مذكر، ونظير ذلك في كلام العرب قوله:

أبوك خليفة ولدته أخرى وأنست خليفة ذلك الكمال.

قوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا لُكْمَاءٍ مِّنَ الْأَنْجَعَةِ ثُمَّ ثَمِينَةٍ أَزْوَاجٍ".

قد قدمنا إيضاح هذه الأزواج الثمانية بنص القرآن العظيم، في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: "وَالخَيْلِ الْمُسْؤُمَةِ وَالْأَنْجَعَةِ وَالْحِكْرَةِ".

قوله تعالى: "يَخْلَقُكُمْ فِي بَطُونٍ أَنْتُونَ مِنْ بَعْدِ خَلْقِكُمْ".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحج، في الكلام على قوله تعالى: "يَا بُنيَّا الْأَيَّامُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْ الْبَعْثِ فَإِنَّمَا خَلَقْنَكُمْ لِتَظْهَرُوا عَلَى الْأَيَّامِ الْأُخَرَ مُرْتَبًٌ الآية، وبينا هناك المراد بالظلمات الثلاث المذكورة هنا.

قوله تعالى: "إِنْ تَكَفَّرَوْا فَأَخْرَجَ اللَّهُ عَنكُمْ عَنْكُمْ".

قد بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه غني عن خلقه الغني المطلق، وأنه لا يضره كفرهم، والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة، كقوله تعالى: "وَقَالَ مِلَائِكُ إِنْ تَكَفَّرُوا أَنْتُمْ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا".
ورد الله علّيغٌ حيٌّدٌ (50)، وقوله تعالى: {فَكُنْتُمْ دُوّارًا وَمُسْتَطْيِنِي مَسْتَطِينًا} وَاللّهُ غَيْبُ حَيٌّدٌ (60)، وقوله تعالى: {قَالُوا أَتَعْقِدُونَ أَنّا أَفْقَهُمُّ مِنَ الْمَعْرِجِ} الآية، وقوله تعالى: {مَّن كَتَبَهَا أَلْقَى أَنَّهُمْ أَلْفَ مَرَّةٍ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ} هو آلّينٌ حيٌّدٌ (70)، وقوله تعالى: {وَاللّهُ آلّينٌ وَأَنْصَرُ الْقَرَآءَةَ}.

وقد أوضحنا هذا بالآيات في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك.

* قوله تعالى: {وَلَا تَزْرَعْ وَأَرَادْ وَزْرٌ أَخَرَ} ثم إلى رٰيْكُورُ مَرْجِعٌ كَمْ الآية.

قد قدمنا إيضاحه، ومع إزالة الأشكال، والجواب عن الأسئلة الواردة على تلك الآيات في سورة يس إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: {وَلَا تُزْرَعْ وَأَرَادْ وَزْرٌ أَخَرَ} وما كُلَا مُعْذِبٌ حَيْثُ نَبْعُثُ رُسُوْلًا (46).

وأوضحنا ذلك، ومع إزالة الأشكال، في بعض الآيات، في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: {لَيَحْمِلُوا أَوَّارَهُمْ كَأَمَلْهُمْ يُؤْوِهُمْ مِنْ أَوْرَارٍ} بَعْضُهُمْ الْقَرَآءَةَ الآية.

* قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الَّذِينَ يٰذِرُونَ دُراً بِمِئَّةٍ مُنَٰبِيِّنَ إِلَيْهِ} ثم {إِذَا حَوَّلُوهُ بِعَمَّةٍ مَنْ نَبِيَّ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ اللّهُ أَنْدَادًا لَٰيْسِيْلَ عَنْ سَيِّيِّبٍ}.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يونس، في الكلام على قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الَّذِينَ يٰذِرُونَ دُراً بِمِئَّةٍ مُنَٰبِيِّنَ إِلَيْهِ} الآية.

* قوله تعالى: {قَلْ تَمْعَعْ يُكَفِّرُكَ قَيَّلَا إِنَّكَ مِنَ أَصَحَّبِ الآية.

قد قدمنا الآيات الموضحة له، مع الإشارة إلى بحث أصولي.
في سورةحجر، في الكلام على قوله تعالى:  "ذرهم يأصحووا ويستمعوا ويستمعوا الأمل فسوف يعمنون؟".

* قوله تعالى:  "أرض الله ورسوسة".

الظاهر أن معنى الآية: أن الإنسان إذا كان في محل لا يمكن فيه من إقامة دينه على الوجه المطلوب، فعليه أن يهاجر منه، في مناكب أرض الله الواسعة، حتى يجد محلًا يمكنه فيه إقامة دينه.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى:  "إن الذين توهموا الملائكة طالبى أنفسهم قالوا فيما كنتم قولوا كم اصنعتم من ضعيفين في الأرض قالوا ألم تكن آنتم آنتم للله ورسوسة فنهاجو فيها؟"، وقوله تعالى:  "يبيعكى النافعى".

/ الذين ألم تكن آنتم آنتم للله ورسوسة فنهاجو فيها، ولا يخفى أن الترتيب بالفاء في قوله:  "فإني فاعبدون" على قوله:  "إني أرضى وسعة". دليل واضح على ذلك.

* قوله تعالى:  "قل إن الذين خسروا أنفسهم واهلكهم يوم القيامة ألا ذلك هو الذين أنتم لهم الدين".

قد قدمنا الآيات الموضحة له من أوجه، في سورة يونس، في الكلام على قوله تعالى:  "قد خسر الذين كذبوا يلقى الله وما كأنه مهتديين".

* قوله تعالى:  "هم من فوقهم ظلل من السار و من تحتهم ظلل ذلك يحيى الله به عباده الآية".

قد قدمنا الآيات الموضحة له، في سورة الأنباء، في الكلام على قوله تعالى:  "لا يعلم الذين كشروا حين لا يحكمون عن وجههم".
النّار ولا عن ظُهُورهِ ﷺ الآية، وذكرنا طرفاً من ذلك في سورة
بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِكَفْرِينَ﴾

* قوله تعالى: ﴿وَلَذَٰلِكَ أَجْنَبَّا الْطَّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنْتَ إِلَىٰ ﷺ﴾

الآية.

ما تضمنت هذه الآية الكريم، من تحقيق معنى لا إله إلا الله،
قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الفاتحة، في الكلام على
قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نُعْبَدُ﴾

* قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَيْعُونَ الْقُولَ ﻓِيَّسْتَيْعُونَ أَحْسَسَتَهُم﴾

أظهر الأقوال في الآية الكريم، أن المراد بالقول: ما جاء به
النبي ﷺ من وحي الكتاب والسنة. ومن إطلاق القول على القرآن
قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ يَدْرُّونَ الْقُولَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كَلَّمْنَاكُمْ فَعِلْ﴾

وَمَا أَحْزَنَّكُمْ ﴿۱۷﴾.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريم: ﴿قِسِّيْمَةٌ أَحْسَسَتَهُمْ﴾ أي يقدمون
الأحسن الذي هو أشد حسنًا، على الأحسن الذي هو دونه في الحسن،
ويقدمون الأحسن مطلقًا على الحسن. ويدل لهذا آيات من كتاب الله.
أما الدليل على أن القول الأحسن المتبع ما أنزل عليه ﷺ من
الوحي، فهو في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئْنَآمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﻣَنْ رَحِمَكُمْ﴾، وقوله تعالى لموسى بأمره بالأخذ بأحسن
ما في التوراة: ﴿فَعِلْهَا يَقُومُوا وَمَرْأً وَمَرَأً يَأْخُذُوا ﺑِأَحْسَسَتَهَا﴾.

وأما كون القرآن فيه الأحسن والحسن، فقد دلت عليه آيات من
كتابة.
واعلم أولاً أنه لا شك في أن الواجب أحسن من المندوب،
وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن، فإذا سمعوا مثلًا قوله تعالى:
«وَأَفْعَكُوا الْخَيْرَ لَعَلَّهُمْ يَقْتِلُونَ ٧٩» قدموا فعل الخير
الواجب على فعل الخير المندوب، وقدموا هذا الأخير على مطلق
الحسن الذي هو الجائز، ولذا كان الجزاء بخصوص الأحسن الذي
هو الواجب والمندوب، لا على مطلق الحسن، كما قال تعالى:
«وَلْتَنْجِرْنِهِمْ أَجْرَاهُمْ يَا أَحْسَنِ مَا سَكَانَا يَعْمَلُونَ ٨٠» وقال تعالى:
«وَلَبِّنَّ مَا أَجْرِمْتُمْ أَجْرُهُمْ يَا أَحْسَنِ مَا سَكَانَا يَعْمَلُونَ ٨١»، كما قدمنا إيضاحه
في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: "فَعَسَّىٰ بَيْنَ ٦٩
ذلك أو أُنفِقَ وَهُوَ مَوْلُوْسٌ لِلنَّجِيرِ لَهُ خَيْرٌ طَيِّبٌ وَلَنْنَجِرْنِهِمْ أَجْرَاهُمْ يَا أَحْسَنِ مَا
سَكَانَا يَعْمَلُونَ ٦٧"، وبيان هناك دلالة الآيات على أن السياح حسن،
كما قال صاحب المراقي:
ما رئا لِم يَثْبَث عنه حسن وغيره القبيح والمستهجن
ومن أمثلة الترغيب في الأخذ بالأحسن وأفضليته، مع جواز
الأخذ بالحسن / قوله تعالى: "وَإِنَّ عَفَوَاهُ وَعَفَوَانَا بِعِظَامِهِ وَعَفَوَانَا مَعَ غَفُورِيْنِ" ٥٩
ولَيْنَ صَبِّرْنَ لَهُوَ خَيْرٌ لِلْمَخْلِصِينَ ٦٢» فأمر في قوله: "فَعَسَّىٰ بَيْنَ ٦١
الجهاز، والله لا يأمر إلا بحسن؛ فدل ذلك على أن
الانتقام حسن، ولكن الله بين أن العفو والصبر خير منه وأحسن في
 قوله: "وَلَمۡنَ صَبَّرْنِ لَهُوَ خَيْرٌ لِلْمَخْلِصِينَ ٦٣". وأمثال ذلك كثيرة في
القرآن، كقوله تعالى في إباحة الانتقام: "وَلَمۡنَ أَنَّصۡرَ بَعْدَ طُلُّومِهِ فَأَوْلَّاهِكَ
مَا عَلِيَّهُمۡ مِن سَيُبِيلٍ ٠٣"، مع أنه بين أن الصبر والعفان خير منه، في
 قوله بعده: "وَلَمۡنَ صَبِّرْ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَعَفۡرُ أَمۡرِ الرَّحۡمَٰنِ ٦٤"، وكتابه في
جواز الانتقام: "لَيۡهُمۡ بُحِبَّ آلِبُجَّهَرِ يَشَّوۡرُونَ الْقُولِ إِلَّا مِن ظُلُُرٍ" مع أنه
أشار إلى أن العفو خير منه، وأنه من صفاته جل وعلا مع كمال قدرته، وذلك في قوله بعده: "إن تصدراً واحياً ونفعواً وتقواً وعفواً وسعوا فإن الله كان عفواً غفيراً"، وكفولة جل وعلا مثنياً على من تصدق فأبدى صدقته: "إنه تصدواً الصدقت قريحاً هي، ثم بين أن إخفاءها وإيئها الفقراء خير من إبدائها الذي مدهه بالنفع الجامد، الذي هو لإنشائه المدح، الذي هو نعم في قوله: "إنه تصدواً الصدقت قريحاً هي وان تخفواً ونوروا الفقراء فهم خير لكم".

وكتوله في نصف الصدقات اللازمة للزوجة بالطلاق قبل الدخول: (فنفس ما فرضت)، ولا شك أن أخذ كل واحد من الزوجين النفقات حسن، لأن الله شرعه في كتابه في قوله: "ففدحتكما قرضاً"، مع أنه رغب كل واحد منهما أن يعفو للآخر عن نصفه، وبين أن ذلك أقرب للتقوى، وذلك في قوله بعده: "وأن تمنوا أقرب للتفوكت ولا تنسوا الفضل فيكم".

وقد قال تعالى: "وحررُونا سيئتكم سهينَة مثلكم"، ثم أرشد إلى الأحسى بقوله: "فمن ضعفا واصبح فأجزوه على أنفسه"، وقال تعالى: "والجزاء فضلاً"، ثم أرشد إلى الأحسى في قوله: "فمن نصدا به فهو سكارة له".

واعلم أن في هذه الآية الكريمة أقوالاً أخرى الذي اخترنا.

منها ما روى عن ابن عباس في ممنى "فينصداً لآمنهم"، قال: "هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن، وينكف عن القبيح، فلا يتحدث به".

وقيل: يستمعون القرآن وغيره، فيتبعون القرآن.
وقيل: إن المراد بأحسن القول: لا إله إلا الله. وبعض من يقول بهذا يقول: إن الآية نزلت فيمن كان يؤمن بالله قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم، كزيد بن عمرو بن نفيل العدوي، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

إلى غير ذلك من الأقوال.

 قوله تعالى: (أَفْمَّنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفْتُنَّ ۗ أَقْتَدُمَنَّ، في آنَّارٍ) [69].

أظهر القولين في الآية الكريمة، أنهما جملتان مستقلتان، فقوله: (أَفْمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) جملة مستقلة، لكن فيها حذفاً، وحذف ما دل المقام عليه واضح لا إشكال فيه.

والتحديد: أفمن حق عليه كلمة العذاب، تخلصه أنت منه؟ والاستفهام مضمون معنى النفي، أي لا نخلص أنت يا نبي الله أحداً سبق في علم الله أنه يعذبه من ذلك العذاب، وهذا المحدود دل عليه قوله بعده (أَقْتَدُمَنَّ، في آنَّارٍ) [69].

وقد قدمنا مراراً قولياً المفسرين في أداة الاستفهام المقترنة بأداة عطف كالفاء والواو وثم، كقوله هنا: (أَفْمَنْ حَقَّ)، وقوله: (أَقْتَدُمَنَّ).

أما القول بأن الكلام جملة واحدة شرطية، كما قال الزمخشري: أصل الكلام: أَفْمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فَأَقْتَدُمَنَّ، جملة شرطية، دخل عليها همزة الإنكار، والفاء فاء الجزاء، ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محدود يدل عليه الخطاب، تقديره: أَفَتَنَّ مَا لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَأَقْتَدُمَنَّ؟ والههمزة الثانية هي الأولى كرت لتؤكد معنى الإنكار والاستبعاد.
وضع (من في النار) موضع الضمير، فالآية على هذا جملة واحدة =
فإنه لا يظهر كل الظهور.
واعلم أن ما دلت عليه هذه الآية الكريمة قد قدمنا إيضاحه
بالآيات القرآنية في أول سورة يس في الكلام على قوله تعالى: "لقد
حق قولك على أُكْرِمِكَ" الآية، ويبنا دلالة الآيات على المراد بكلمة
العذاب.
قوله تعالى: "لَكِنْ أَلْقَوْا رِيحَهُمْ هُمْ عَرَفُونَ مِنْ فَوْقِهَا عُرَفَ"،
"مَيْنِيَّة" الآية.
ما تضمنت هذه الآية الكريمة، من وعد أهل الجنة بالغرف المبينة، ذكره جل علا في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في سورة
سبأ: "إِلَّا مِنْهُمْ وَسَعَى صَبْيَانُ فَأُلْقَى تَمْهٍ رُءِيْئًاءً أَلْقَّاهُمْ جَزَاءً أَلْضَعِيفٍ يَا عِبَادِنَا وَهُمْ في
المغفرة ما كَتَبْنَاهَا مِنْ أَنْفَسِهِمْ"، وقوله تعالى في سورة النبوة: "وَعَدَّ اللَّهُ
المؤمنين والمؤمنات جَنَّتَيْنِ يَخْرُجُانِ مِنْ ثَمَّ أَقْبَرَانُ أَنْهُرٌ خَلِيلِينَ فِيهَا وَمُسْتَذِكِّرَ
طَسِيسَةُ فَنَّجَبَ عِنْدَ الْأَنْفُسِ الآية، وقوله تعالى في سورة الصف: "يَقُرُّ
لِكُلِّ ذَوِّ كَوْرِيكَ وَيَجْعَلُ كَرُونَكَ تَجْرَيْ مِنْ ثَمَّ أَتْنَأْيُوهُ وَسَيْلَهُ يَدْرِجْهَا فِي جَنَّتِ عِنْدَ الْأَرْضِ وَسَكْنَ
الْأَطْيَمِ"; لأن المسكن الطبيعة المذكورة في النبوة والصف صادقة
بالغرف المذكورة في الزمر وسيا، وقد قدمنا طرفاً من هذا في سورة
الفرجان، في الكلام على قوله تعالى: "أَرْكَبْتُهَا بِجَرْوَانَ الْفُرْجَةِ يَمَا
صَسْبَعَة" الآية.

/ 52
قوله تعالى: "اَلَّمِ نَرْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا فَسَلَكْتُ".

النتائج: جمع ينبع، وهو الماء الكثير.
سورة الزمر

وقوله: (فسلكه) أي أدخله، كما قدمنا إيضاحه بشواهدها العربية والآيات القرآنية في سورة هود، في الكلام على قوله تعالى: «قلنا أجعل فيها من سكين روجين أنتين» الآية.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من سورة الزمر، قد أوضحتها في أول سورة صبا في الكلام على قوله تعالى: «يعلمن ما يليج في الأزمن وما يخرج منها» الآية.

* قوله تعالى: «ثم يهيج عذابنا مصبراً ثُمَّ يتجعله حظاماً».

قد قدمنا الكلام على ما يماثله من الآيات في سورة الروم في الكلام على قوله تعالى: «ومن إبنين، حُلمت السموات والأرض وأخيل فأسِلِحَهُمْ وأولِئك»، وأحلنا عليه في سورة فاطر، في قوله تعالى: «أَرْضَ أَنَّ الَّذِينَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَا فَاحَجَّاهُ، ثُمَّ مَهَّنُوا أَلْوَانَهَا» الآية.

* قوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذُكْرِي لِأَوَلِي الْأُلَّبِيْبِ».

قوله: (ثم يهيج) أي ثم بعد نضاوة ذلك الزرع وخضرته ييس، ويتم جفافه، ويثور من منابته، فتراها الناظر مصفراً يابساً، قد زالت خضرته ونضارته، (ثم يجعله حطااماً) أي فتاتاً، متكسراً، هشياً، تذروه الريح، (إن في ذلك) المذكور من حالات ذلك الزرع، المختلف الألوان، (الذكرى) أي عبرة وموعظة وتذكيراً / (الأولي الألباب) أي لأصحاب العقول السليمة من شواذ الاعتقال.

فقد ذكر جل وعلا مصير هذا الزرع على سبيل الموعظة والتذكير، وبين في موضوع آخر أن ما وعظ به خلقه هنا من حالات هذا الزرع شبه أيضاً بالدنيا، فوعظ به في موضع، وشبه به حالة
الدنيا في موضوع آخر، وذلك في قوله تعالى في سورة الحديد:
«أعلموا أنما الخُروجُ الدُنيا لَيْبٌ وفَوْقُ وَرَبِّيَّةٌ، وَتَفَآحَرُوْنَ يَبِينَكُمُ وَتَكَأَّرُوا فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلِيَاءِ كَمَعْلُوْبٌ إِعْبَدُوا الَّذِينَ يُعْبَدُنَّ بِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ يَجِبُ فَرْقَةٌ مُسْقَفَٰرٌ ثُمَّ يَكُونُ خُطْبَةٗ.»
ويبين في سورة الروم أن من أسباب اصفراره المذكر
إرسال الريح عليه، وذلك في قوله: «وَلَيْنَ أَرْسِلْنَا يَعْفَأَرَأَهُ مُصْفَرًا لَّأَطْلُوا
يَنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ.»

* قوله تعالى: «أَفْمَنْ سُرِّحَ آلِهَةٌ صَدَرُ الْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ
قَبْيَ زِرْهَٰجٍ.»
قد تقدم الكلام عليه في سورة الأنعام في الكلام على قوله
 تعالى: «فَمَنْ يُضَلَّ اللَّهُ فَهُوَ الَّذِي يُضَلُّ عَلَى صَدِرِ الدِّينِ.»

* قوله تعالى: «وَمَنْ يُصَلِّي اللَّهُ فَهُوَ أَلْهَيْنِ يُصَلِّي عَلَى إِسْلَامِ.»
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل في الكلام على
 قوله تعالى: «إِنَّكَ تَحْكُمُ عَلَى هَذَهْنَمَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ.»
والآية،
وفي غير ذلك من المواضع.

* قوله تعالى: «قُرَّأَنَا عَرَبِيَّةً عِلِيَّةً عَرِقَّ.»
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف، في الكلام
على قوله تعالى: «وَلَمْ يَجِلَّ لَهُ عِزَّةٌ يُقِيمَ.»
وقوله في هذه الآية الكريمة: (قرآنًا) / انصب على الحال،
والحال مؤكدة، والحال في الحقيقة هو (عربيًا)، و (قرآنًا) توطئة
له، وقيل: انصب على المدح.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (عربيًا)، أي لأنه بلسان
عربي، كما قال تعالى: «يُسَافَتْ آنَى يُجَدُّونَ إِلَّهَيْهِ أَعْجَمِيَّ وَهُنَّاءًا.
سورة الزمر

{٥٩


وهذه الآيات القرآنية تدل على شرف اللغة العربية وعظمتها

دلاله لا ينكرها إلا مكافر.

{وقوله تعالى: {والذي جاء بالصدق} الآية.

{أوضح جل وعلا أن الذي في هذه الآية بمعنى الذين، بدليل قوله بعده: {والتي تبعهم الف基准ون} فهم ما أبينه وربك عند ذهبهم من قبل جرأة المحسنين.

{وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن الذي تأتي بمعنى الذين، في القرآن وفي كلام العرب، فنمن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى في آية الزمر هذه: {والذي جاء بالصدق} الآية، وقوله تعالى في سورة البقرة: {متلكهم كمن للذين أستوفى نار} أي الذين استوفوا؛ ودليل قوله بعده: {ذهب الله 이루هم وتركهم في ظلمت لا يبصرون}.

{٥٥}
وقوله فيها أيضاً: "كالذي يُنفقُ ماله رِيَةُ الآلهَةِ" أي كالذين ينفقون;
بدليل قوله بعده: "لا يُقْدِرُونُ عَلَيْهِ مَا حَسَبْوُا" الآية، وقوله
تعالى في النوبة: "وَخَصَّصَ إِلَيْهِ خَاصَّةً" علىقوله بأن الذي
موصلة لا مصدقية، ونظيره من كلام العرب قول أشبع بن رمية:
وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
وقول عدي بن الفرح العجمي:
فيت أساقفي القوم إخوتي الذي غوايتهم غي ورشدهم رشد
وقول الراجي:
يا رب عبس لا تبارك في أحد في قائم منهم ولا فيمن قد
إلا الذي قاموا بأطراف المسجد
قوله تعالى: "هَمْ ما يَشْأَءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ
المُحْسِنِينَ".
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل، في الكلام على
قوله تعالى: "جَنِتَا عَدَّةٌ يَدْخِلُونَهَا تَجْرِيَ مِنْ تَحْيَا الْآخِنَادُ هَمْ فِيَهَا مَا
يَشَاءُونَهَا الآية.
قوله تعالى: "وَيَنْجِرُوهُمْ أَجَرَمُ يَأْخَسِنَ آلَدُ أَسْأَلَوْا
يَعْمَلُونَ".
قد قدمنا الآيات الموضحة له، في هذه السورة الكريمة، في
الكلام على قوله تعالى: "فَبِئْتُ عِبَادُ اللَّهِ أَلَمْ يَسْتَيْعَبُونَ القُولَ فِي
أَخْسَانِهِ"، وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى:
"وَلَنْبِرِيْنَهُمْ أَجَرَمُ يَأْخَسِنَ مَا كَاوَنُوا يَعْمَلُونَ".
قال عليه تعالى: {أَلَئِنَّ اللَّهُ يَكَافِي عَبَدَهُ}. قد قدمنا الآيات الموضوعة له في سورة الأنفال، في الكلام على قوله تعالى: {يَتَأَسِّهَا أَلَّاتِي حَسَبَكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} 101 وعلى قراءة الجمهور (بِكَافِ عَبْدِهِ) بفتح العين وسكون الباء، بإفراد العبد، والمراد به النبي ﷺ، قوله: {فَسَيَكْفِيهِمُ اللَّهُ}، وقوله تعالى: {يَتَأَسِّهَا أَلَّاتِي حَسَبَكَ اللَّهُ} الآية.

وأما على قراءة حمزة والكسائي (عبادة) بكسر العين وفتح الباء بعدها ألف، على أنه جمع عبد، فالظاهر أنه يشمل عباده الصالحين من الأئمة وأتباعهم.

وقوله تعالى: {وَيَخْفُوْنَاكُم بِأَلْيَانِيْنَ مِنْ دُونِهِ}. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار عبادة الأوثان يخوفون النبي ﷺ بالأوثان التي يعبدونها من دون الله، لأنهم يقولون له: إنها مستشرة وتخيله، وهذه عادة عبادة الأوثان لعبادة الله، يخوفون الرسول بالأوثان، ويزعمون أنها مستشره وتصل إليهم بالسوء.

ومعلوم أن أئمة الله عليهم صلواته وسلامه لا يخفون غير الله، ولا سيما الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ولذا قال تعالى عن نبيه إبراهيم لما خوفوه بها: {وَسَيَكْفِيَهُمْ أَلَّاتِي مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَقَافُوْنَ أَنْفَكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُزِيرَ يَدَهُ عَلَيْهِمْ}.

وقال عن نبيه هود وما ذكره له قومه من ذلك: {إِنْ تُؤْلِئُ إِلَّا أَعْتَرَفَ بِهِ}.
وصَلَّىُهُ آمِنًا مَّا نَظَرُونَ أَنْ يَكُونُ نُوَّاَّلُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ ذَاتٍ إِلَّا

هوُ أَحَدُ نَجِيَّينِهِنَا إِنْ رَبٌّ عَلَىٰ صَرِيحٍ مَّسْتَثْبِتٌِّ 

وقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، مَخَاطِبًا نِيِّنَا، بعَد

أنَّ ذِكَرَ تخويفهم لِهُ بِأَصَانِمِهِمْ: «وَلِيَوْقِنُوا مِنْ خَلْقِ الْسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يُقَلِّبُ الْأَرْضَ قَلِيمًا مَا كُنْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنِّي أَرَادُتُ اللَّهُ عَلَىٰ هُمْ هَلْ يَكُونُ مَسْكِنٌ رَحْمَيْهِ فِي مَسْكِنٌ رَحْمَيْهِ مَعْلُوَّسًا؟ ۚ».

وَمَعَالُوْنَ أَنَّ الخَوْفَ مِنْ تَلَكَ الْأَصَانِمِ مِنْ أَشْنَعِ أَنْوَاعِ الْكَفْرِ

وَالإِشْرَابِ بِاللَّهِ.

وَقَدْ بَيْنَ جَلِّ وَعَلا فِي مَوْضِعٍ أَخَرٍ، أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخوِف

المُؤْمِنِينَ - أَيْزُمَّاً - الذِّينَ هُمْ أَتَابِعُ الرَّسُولِ، مِنْ أَتَابِعِهِ وَأَوْلَيْاهُ مِن

الكَفَّارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّا ذَلِكَ الَّذِينَ يُغَفِّرُ أُولَيَّاهُمْ فَلَا تَخَافُوهُمْ

وَخَافُوهُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ».

وَالْأَوْثَانِ أَنْ قُولَهُ: «يَعْفَ أُولَيَّاهُمْ ۚ» حَذَفْهُ فِي الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ،

أَي يَخَوِفُوهُمْ أُولَيَّاهُمْ، بَدْلِلُ قُوْلِهِ بعَدُهُ: «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوهُمْ ۚ» الآية.

قُوْلُهُ تَعَالَى: «فَلِلَّهِ بِحَلَّ هُمْ مَسْكِنُ قَضِيَّةٍ هُمْ أَرَادُنَّ إِنَّ اللَّهَ يُضَرِّعُ هُلْكَ مَسْكِنَّ قَضِيَّهَةٍ هُلْكَ ۚ» الآية.

وَمَا ذَكَرَهُ جَلِّ وَعَلا فِي هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ، مِنْ أَنَّ الْمُعْبَدَاتِ

مِنْ دُونِهَا، لَا تَقُدَّرُ أَنْ تَكْفِفَ ضَرَأً أَرَادَ اللَّهُ بَيْنَا، أَوْ تَمَسَّكَ رَحْمَةً

أَرَادَ بِهَا أَحَاذًا، جَاءَ مُوْضِحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَقُوْلُهُ تَعَالَى: "يُمَّعَدُّ..." لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصِرُ..."، وَقُوْلُهُ تَعَالَى: "قَالَ هَلْ
سورة الزمر

٥٨

قد قدمنا آياتها الموضحة له في سورة الصفات، في الكلام على قوله تعالى: "إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفَعُّلُ بِالْمُجَرَّمِينَ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذًا قَبْلَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ الْجَعْلُ لَهُمْ مَجْهُورًا".

قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ اللَّهِ لَبَيِّنَىٰ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ مَا فِيهِمَا لَبَيِّنَىٰ لَهُمْ مَا فِيهِمَا يُبِينُ لَهُمْ رِجَالًا لَتُقَدِّمُوهُمْ لَهُمْ قُلُوبًا مُّفْتَرِضَاتٌ لَّا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ إِذَا دُرِّستُوهُمْ إِلَّا هُمُ السَّبِيرُونَ".
أضواء البيان

وردت أن يخرجوا من النار وَمَا هُم بِخَيْرٍ حِينًا وَلَهُم عَذَابٌ مُّقَيِّمٌ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «فَأَلَوْمَ لا يَخْرُجُ مِنْهُ مَعْدَلٌ وَلَنْ يَنْزِحُ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَيْهِ الْمَيْمَأْوَيْهِ الْمَيْمَ آنَفَ أَوْلَّي الْأَمْرِ الَّذِينَ أَسَآءَوْا يَا مَيْمَآوُي مِثْلَ هَذِهِ أَشْهَرُوا يَا مَيْمَآوُي لَسْتُ وَكِيْلُ إِلَيْهِمْ شَرِابًا مِنْ حَمْسٍ وَعَذَابٌ أَيْمَآوُي يَا مَيْمَآوُي كَانَتُوا يَكْفُرُونَ »، فَقَوْلُهُ : «وَإِنْ تَمْدِدْ عَدْلًا لَا يَخْرُجُ مِنْهُ مَعْدَلٌ أَوْلَي الْأَمْرِ الَّذِينَ أَسَآءَوْا يَا مَيْمَآوُي لَسْتُ وَكِيْلُ إِلَيْهِمْ شَرِابًا مِنْ حَمْسٍ وَعَذَابٌ أَيْمَآوُي يَا مَيْمَآوُي كَانَتُوا يَكْفُرُونَ »، فَقَوْلُهُ : «وَإِنْ تَمْدِدْ عَدْلًا»، أَيْ أَيْنَ تَفْتَنْ كُلُّ فَنَادٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ عَذَابٌ»، وَقَوْلُهُ : «وَلَا يَتَقَبَّلَ مِنْهَا عَذَابٌ»، الْآيَةَ، وَالْعَدْلُ الفَنَادُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «وَالَّذِينَ لَمْ يُسِجِّبُوا لَهُمْ أَنْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ حَيَاةً وَمَعَمِّرٌ مُّعَافُدًا يَوْمَ يُوْلُو الْعَلَّةَ».

وَقَدْ قَدَمْنَا طَرْفًا مِنْ هَذَا فِي سُورَةِ آلِ عُمَرَانِ، فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «فَلَنْ يُقَبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلَ الْأَذْرَجِ مَتَّى وَلَوْ أَقَرَّدَتْ بَيَّدٍ» الْآيَةَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَبِدَا هُمْ سِيَّاتٌ مُّكَسَّبَاتٌ».

قَوْلُهُ : «وَبِدَا لَهُمْ سِيَّاتٌ مُّكَسَّبَاتٌ»، أَيْ جَزَاء سِيَّاتِهِمُ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا فِي الْذَّنْبِ، فَالْأَلَّامُ أَنْ أَطْلِقُ السِّيَاتِ هَذَا مِرَادًا بِهَا جَزَائُهَا وَنُظِرُهَا مِنَ الْقُرآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَكَذَٰلِكَ سِيَّاءٌ سِيَّاءٌ يَدْمِجُهَا»، وَنُظِرُ ذَلِكَ أيْضًا إِطْلَاقَ الْعَقَابِ، عَلَى جَزَاءِ الْعَقَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «ذَٰلِكَ وَمِنْ عَاقَبَتِي مُّسْتَقِيمٌ مَا عُوْقَبْتُ دِينًا بِغَيْرِهِ».

الْآيَةَ.

وَمَا تَضَمْنُهُ هِذهِ الْآيَةِ الْكَرِيْمَةِ مِنْ أَنْهُمْ يِدْوَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقِيقَةٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ فِي الْذَّنْبِ، جَاءَ مُوْضُوحًا فِي آيَاتٍ أَخَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : «هَكَانَكَ بَلَوْا كُلْ نَفْسٍ مَا أَسَلَفْتُ»، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «بَيُّنَّ إِلَيْنِ».
سورة الزمر

"يومٌ يَا فَلَمْ وَأَخْرَىٰٓ،" وَقُولَهُ تَعَالَى: "عَلِمْتَ نَقْسًا مَا فَرَّقْتُ وَأَخْرَىٰٓ،" وَقُولَهُ تَعَالَى: "وَيَقُولُونَ بُولَيْنَا مَا هَذَا الْحَسَنُ بِلَا يُبايِدُ صَغِيرَةُ ولا كِبْرَةُ إِلاَّ أَحْصِنَهَا وَيَجْدُوُا مَا عَمِلَوا حَاَضِرًّ،" الآية، وَقُولَهُ تَعَالَى: "وَحَسَبَ إِنَّ الْمَهْرَةَ طَالِبٌ فِي عَيْنِهِ، وَتَخْرِجَ لَهُ مَوْتَ الْقَيْمَةَ صَدَىُّ أَلْقَىُّ بَلْقَهُ بَيْنَهَا مِن شُورَاٰ أُقُرُّ كَنَبْكَ كَفْ يَنْفِسُكَ أَلْيَوْمٌ عَلَيْكَ حَسِيبًاٖ إِلَىِّ غَيْرٍ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

* قُولَهُ تَعَالَى: "إِفَادَ مَسَّ الْأَمْسِ الْمَسِرَّ دُعَانًا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ.

٨٠ * يَعْمَةُ يِنْتَقَالُ إِنَّمَا أُوتِيَتْ عَلَى عِلَمِ ْعَلَّمٍ."

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يونس، في الكلام على قوله تعالى: "إِفَادَ مَسَّ الْأَمْسِ الْمَسِرَّ دُعَانًا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ" الآية.

* قُولَهُ تَعَالَى: "وَأَنَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ."

قد قدمنا الآيات الموضحة له في هذه السورة الكريم في قوله تعالى: "فِي يَوْمٍ عَلَّمَ أَلْيَوْمٍ سَمِيعَةً أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ" الآية.

* قُولَهُ تَعَالَى: "أَوْ تَقُولُ جَيْحًا ثَرَّى الْعَذَابِ لَوْ أُنْتَ لِسَكْرَةٍ فَأُكْتَبَ بِمَنْ مُحِيِّي."

قد قدمنا الآيات الموضحة له من جهات في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: "فِي يَوْمٍ عَلَّمَ أَلْيَوْمٍ سَمِيعَةً أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ".
قد قدمنا الكلام عليه وعلى ما يماثله من الآيات في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: «وماهdoll تيبض وجهٍ واسود وجهٌ» الآية.

* قوله تعالى: «أليس في جهنم مثوى للمتكبرين» (72).

تقدم إيضاحه بالآيات القرآنية، مع بيان جملة من آثار الكفر السيئة، في سورة الأعراف، في الكلام على قوله تعالى: «قال فأهظم ينها فما يكون لك أن تستكبر فيها فأخرج إلين من الصغرى» (67).

* قوله تعالى: «ولقد أوجي إليك وإلى الذين من قبلك لين أشركت ليحيط عنك».

تقدم الكلام عليه في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: «ولو أشاروك لحيط عنهما كانوا يعملون» (68).

وقد ذكروا في سورة المائدة الآية الممتدة للقيد الذي لم يذكر في هذه الآيات، على قوله تعالى: «ومن يكفر بالآيات فقد حيتط عمالمُ الآية.

* قوله تعالى: «ثُمَّ نُوحُ فيه أُخْرِى فَإِذَا هُمْ قَيَامٌ يُنظرون» (62).

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يس، في الكلام على قوله تعالى: «ونبِنُ في الصور فإذا هٰم من الأجدات إلى رئيهم ينسلوون» (63).
* قوله تعالى: «وَفَضَّلَ الْكِتَابَ».

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى: «وَفَضَّلَ الْكِتَابَ فَتَّرَى الْمُجَّرِمُينَ مُشْقِيقِينَ مِمَّا يُرْسَلُونَ»، وفي سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: «وَخَرَجُ الْمَجْدُ لِلَّذِينَ آمَنُوا مَعَ الرُّسُولِ».

* قوله تعالى: «وَإِيَّاهُ الْمَلَائِكَةُ وَالشَّهَيْدَاءُ وَفُصِّيَّ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ وَوُفِّيَ تُكْنِسَتْ مَا أَعْمَلُتُ». الآية.

الله يختلف العلماء في المراد بالشهداء في هذه الآية الكريمة.

فقال بعضهم: هم الحفظة من الملائكة الذين كانوا يحسنون أعمالهم في الدنيا، واستدل من قال هذا بقوله تعالى: «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعْمَاسِيْنٍ وَقَهْيَةً».

وقال بعض العلماء: الشهادة أمة محمد، يشهدون على الأمم، كما قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَسَطَّا لِيَتَحَكَّمَّوا بِشَهَادَةٍ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَىٰ هَمَّةٍ شَهَيدًا».

وقيل: الشهداء الذين قتلا في سبيل الله.

وأظهر الأقوال في الآية عندي: أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا إلى الأمم؛ لأنه لا يقضي بين الأمة حتى يأتي رسولها، كما صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله تعالى: «وَلِيْسَ رَسُولُ ۖ إِذًا جَعَلَنَّ رَسُولًا قَرَّ يُبْلِينَ بِيَدِهِمْ وَمَمَّا يُظْلِمُونَ»، فصرح جل علاؤه بأنه يسأل الرسل عما أجابتهم به أمهم، كما قال تعالى: «ۚ يَوْمَ يَجْعَلُ الْرَّسُولِ عِلْمَمَا أَجَبَاهُمْ»، وقال تعالى: «فَلَنْسَئَنَّ الْذَّيْنَ أُسِرِّبُ إِلَيْهِمْ وَلَنْسَئَنَّ الْمَرْسَلِينَ»،
وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جَحَشَتَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ وَجَحَشَتَهَا بِكَلِّ هَؤُلَاءِ شَهِيدِينَ"، لأن كون الشهيد هو الشهيد على هؤلاء الذين هم أمته، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها.

وقد بين تعالى أن الشهيد على كل أمة من أئمة الأمة، فدل على أنه ليس من الملائكة، وذلك في قوله تعالى: "وَيَوْمَ بُعُثُتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَىٰ هُمَّ مِنْ أُنْفُسِهِمْ"، والرسول من أئمة الأمم، كما قال تعالى في نبي محمد ﷺ: "لَقَدْ جَاءَ مُنَّا سُجُودًا مِّنْ أُنْفُسِهِمْ"، وقال تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رُسُولًا مِّنْ أُنْفُسِهِمْ" الآية.

والمسوغ للإيجاز بحذف الفاعل في قوله تعالى: "قَبَّأْتُ" 34 يَلْكَيْنَ، هو أنه من المعلوم الذي لا نزاع فيه، أنه لا يقل على المجيء بهم إلا الله وحده جل وعلا.

وقرأ هذا الحرف عامة السبعة غير الكسائي وهشام عن ابن عامر: (وجيء) بكسر الجيم كسرة خالصة.

وقرأ الكسائي وهشام عن ابن عامر بإشمام الكسر والضم.

وإنما كان الإشمام هنا جائزًا، والكسر جائزًا، لأنه لا يحصل في الآية البيت لبًس بين المبني للفاعل والمبني لمفعول، إذ من المعلوم أن قوله هنا: (وجيء) مبني للمفعول ولا يحتمل البناء للفاعل بوجه، وما كان كذلك جاز فيه الكسر الخالص وإشمام الكسر الضم، كما أشار له في الخلافة بقوله:

واكسر أو اشمش فا ثلاثي أعلى عنيناً وضمن جاكتب وافتحلم إلا إذا أسد ذلك الفعل إلى ضمير الرفع المتصل، فإن ذلك قد
سورة الزمر

يؤدي إلى اللبس، فيشته المبني للمفعول بالمبني للفاعل، فيجب حينئذ اجتناب الشكل الذي يوجب اللبس، والإتيان بما يزيل اللبس من شكل أو إشمام، كما أشار له في الخلاصا بقوله:

* وإن بشكل خيف لبس يجنب *

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر، وقد أنشده صاحب اللسان:

وإن على المولى وإن قل نفعه دفعًا إذا ما صمت غير صبور
قلوه: صمت، أصله: صمت، بالبناء للمفعول، فيجب
الإشمام أو الضم؛ لأن الكسر الخالص يجعله محتملاً للبناء للفاعل
كبعث وسرت.

وقول جرير يرثي المرار بن عبد الرحمن بن أبي بكر:

ونقول من جزء وقد فتنا به ودمع عيني في الرداء غرار
الله ما أضمنت بك الأحجار ۴۴

أصله فوتنا بالبناء للمفعول، فيجب الكسر أو الإشمام؛ لأن
الضم الخالص يجعله محتملاً للفاعل، كلنا وقمنا.

* قوله تعالى: «وسيني الَّذِينَ كَفَّارًا إِلَى جَهَّامِ زُمَرًا»

الزمر: الأفواج المتفرقة، واحدة زمرة، وقد عبر تعالى عنها هنا بالزمر، وعبر عنها في «الملك» بالأفواج في قوله تعالى: «فَلَمَّا أَلَقَّ الَّذِينَ فِي هَٰذِهِ الْآيَة» الآية، وعبر عنها في الأعراف بالأمم في قوله تعالى: «فَأَلْقَىَ الَّذِينَ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَلْجِينَ وَالْأَلْسِ رِمَّاءً كُلًّا دُلِّيَتْ أَمَّةً لَمَّا خَلِطَ أَحَدًا» الآية، وقال في

فصلت: «وَرَجِحْ عَلَى مَعْمُرِ الْآوَنِ» في أمر قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَلْجِينَ وَالْأَلْسِ.»
إِنْ هُمْ كَانُوا خَلِيفَينَ ۙ وَقَالَ تَعَالَى:ِ "هَذَا فَجْعٌ مُفْتَنَجٌ مَعْكُومٌ لاَّ مَرْجَعَبٌ
ۙ وَرَمَيْنَاهُمَا صَلَاوَاتَ الْكَافِرِينَ.

وَمِنِ إِلَافَةِ الزَّمْرِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا قُولَهُ:ِ
وَتَرَى النَّاسَ إِلَى مَنْزِلِه زَمْرًا تَتَتَّبَعُه بَعْدَ زَمْرِ
وَقُولُ الْرَّاجِدُ:ِ إِنَّ العُفَاةَ بِالسَّيِّوَبَ قَدْ غَمَرَ هِئَالَتُ زِمْرَةُ بَعْدَ زِمْرِ
٤٠ وَقُولُهُ تَعَالَى:ِ "قَلْ إِذَا أَجَّلْتُوهُ فَقُلْتُ:ِ أَبْوَابُهَا".

لَمْ بِيِبْنِ جَلِّ وَعَلَى هَنَّ عَدَدٌ أَبْوَابُها الْمَذَكُورَةُ، وَلَكِنَّهُ بِيِنْ ذَلِكَ
فِي سُورَةِ الْحُجَرِ فِي قُولَهُ:ِ "يَوْمَ يُهُبُّنَآ إِلَى مَوْعِدَهُمَا أُجْجُونَ" لَمْ يَسْنَعَهُ أَبْوَابُ
ۙ لَكِلَّبٍ أَمِنَّهُ جَرَّةً مَفْسُومَةً.
٤١ وَقُولُهُ تَعَالَى:ِ "فَتَحَتَّ أَبْوَابُهَا" قَرَأَهُ نَافِعٌ وَأَبِنُ كَثَّرٍ وَأَبُو عُمَرو
وَأَبِنُ عَامِرٍ (فَتَحَتَّ) بِتَشْيِيدَ الْبَنَاءِ دَلَّةً عَلَى الْتَكْهِيْرِ. وَقَرَأَهُ عَاصِمٌ
وَحَمْزَةَ وَالْكَسَائِيٍّ (فَتَحَتَّ) بِتَخْفِيفِ النَّاءِ.

٤١ وَقُولُهُ تَعَالَى:ِ "وَقَالَ لَهُمْ حَزَنُهُمْ أَلْلَهُ يُأْتِكُمْ رَسُلٌ مُّنْكُمْ
ۙ يُلْقَؤُكُمُ عَلَى كَارِثٍ رَزَقُكُمْ وَيُنَزِّرُكُمُ لِقَانُهُ يُؤُوْيُكُمْ هَذَا قَالَ أَلْلٰهُ أَلْبَّ وَلَكِنْ
ۙ حَقَّتَ كِتَابُ الْعَذَابِ عَلَيٌّ أَلْكُفَّارِينَ".

٤٢ قَدْ قَدَمْنَا الْآيَاتِ الْمُوضِحَةِ لَهُ، فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلِ، فِي
الْكَلَّامِ عَلَى قُولُهُ تَعَالَى:ِ "وَمَا كَانَ عَلَيْهِنَّ حَتَّى بَعْثَ رَسُوْلًا".

٤٣ وَقُولُهُ تَعَالَى:ِ "وَقَالَ لَهُمْ حَزَنُهُمْ سَلَّمُ عَلَيْهِمْ طَبَّبُ ۡعَدَّلُوهُا خَلِيْلِيَّينَ".

٤٤ قَدْ قَدَمْنَا الْآيَاتِ الْمُوضِحَةِ لَهُ، فِي سُورَةِ النَّحلِ، فِي الْكَلَّامِ
سورة الزمر

على قوله تعالى: "أَلَيْنَ نَعْظُمُ الْجَهَنَّةَ طَيِّبَةً يُقِلُونَ سَلَّمُ عَلَيْكُمُ الَّذِينَ أَخْرَجُواْ إِلَى ِالجَهَنَّةَ يَمَا كَانُوكُم مُّعَمِّلُونَ" (32).

وقوله تعالى: "وَقَالُواَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَّدَ" وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نِسْبًاءً مِّنَ ِالجَهَنَّةَ حِيْثُ نَشَاءُ.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة إذا دخلوها وعاينوا ما فيها من النعيم، حملوا ربهم وأنثوا عليه، ونوهو بصدق وعدته لهم، وذكر هذا المعنى في آيات أخرى من كتاب الله، كقوله تعالى: "وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ عِلْي بَيْنِي وَيَسْتَغْلِظُونَكَ بِالْعُدْمِ" (26).

وقوله تعالى: "وَنَبَذَوا أن يَلْبِسُوا الْجَنَّةَ أُوْرَثَنَا هُمْ نِسْبًاءً مِّنَ الْجَهَنَّةَ يا كَانُوكُم مُّعَمِّلُونَ" (32).

وقوله تعالى: "وَنَادَىْ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ أَصْحَبُ الْدَّارِ أَنْ فَلْيَدْعُوا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًاً الآية، وقوله تعالى: "جَنَّتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا يَعْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارِ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلَوْنَ" وَأَلْبَاسَ مِنْ حُجَرٍ وَقَالُواِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا أَثْنَيْنَ إِلَيْكَ رَبَّنَا لَعْفَرُ شَكُورًا" (33).

اللَّهُبّ.
سورات غافر
قوله تعالى: ﴿غافر الذُّنٰب وَقَابِل التَّوَّبُ سَحِيد الْعِقَابِ ذَٰلِكَ الْطَّوْلُ﴾

جمع جل وعلا في هذه الآية الكريمة، بين الترغيب والترهيب والوعيد والوعيد؛ لأن مطامع العقلاة محصورة في أمرين، هما جلب النفع ودفع الضرر، وهذا المعنى الذي تضمته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ آنَا الْعَفَّٰفُ الْقَرِيرٌ وَأَنَّ عَذَابَ الْعَذَابِ الْأَلِيمُ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَفَّارٌ عَلَىٰ أَصِيبَتْهُ مِنْ أَشْتَاءٍ وَرِجْلٌ مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ فَسُحِّطْهَا لِلَّذِينَ يَنْتَفُونَ﴾ الآية، وقوله تعالى في آخر الأفعال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّ لَعْفَكَ رَحِيمٌ﴾، وقوله في الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّ لَعْفَكَ رَحِيمٌ﴾ والآيات بمثل ذلك كثيرة معروفة.

قوله تعالى: ﴿مَا يَجَدُّ فِي ۖ أَيْدِيِ اللَّهِ إِلَّا ٱلذِّينَ كَفَرُوا﴾

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه لا يجادل في آيات الله، أي لا يخصص فيها محاولات ردها، وإبطال ما جاء فيها، إلا الكفار.
وقد بين تعالى في غير هذا الموضوع الغرض الحامل لهم على الجدال فيها مع بعض صفاتهم، وذلك في قوله: "وَتَفْضَلْ الْلَّهُ ﻋَلَيْهِمْ ﺍًلْبَتِيلَ يَجْعَلُهُمْ ﺑَأَلْفٍ وَأَذْخَارَهُمْ عَلَىٰ ٰمَا أَنزَلْنَا هُوَارَاً"، وأوضح ذلك الغرض في هذه السورة الكريمة، في قوله: "وَجَدَّلَوْا إِلَّاًبْلَتِيلٍ لَّنْنَحْصُواٰ إِلَّاًأَلْفً".

وقد قدمنا في سورة الحج أن الذين يقادمون الله، منهم أتباع يتبعون رؤساؤهم الباطلين، من شياطين الإنسان والجنس، وهم المذكورون في قوله تعالى: "وَعِنْ آٓلَةَ مَنْ عَجَبَ بِلّيْلٍ وَلَا حَيٍّ وَلَا كَبْسٍ مَّيِّئٍ أَلْيَعَهُمْ". قال تعالى: "مَيِّئٍ َلَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ". وعند أهل الفضل منهم تولى أهل فضلهم.

وأن منهم قادة، هم رؤساؤهم المتورعون، وهم المذكورون في قوله تعالى: "وَمِنْ آٓلَةَ مَنْ عَجَبَ بِلّيْلٍ فِي أَيْلٍ وَلَا نَهَى وَلَا كَبْسٍ مَّيِّئٍ أَلْيَعَهُمْ". تجوز ولا يجوز مثلاً عِنْدَ رَبِّهِمْ. وعند أهل الفضل منهم تولى أهل فضلهم.

وبيان تعالى في موضوع آخر أن من أنواع جدال الكفار، جدالهم للمؤمنين الذين استجابوا الله وآمنوا به ورسوله، ليبردوا إلى الكفر بعد الإيمان، وبين بطلان حجة هؤلاء، وتعودهم بغضبة عليهم وعذاب الاله، وذلك في قوله تعالى: "وَأَلْيَعَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَإِنْ عَذَابُهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ". وعند أهل الفضل منهم تولى أهل فضلهم.

* قوله تعالى: "فَلا يَغَرُّ وَقُلُوبُهُمْ في الْيَلِيدِ".

نهى الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة، ليشرع لأمه، عن أن يغره نجب الذين كفروا في بلاد الله، بالنارات والأرحاح، والعافية وسعة الرزق، كما كانت قريش تفيض عليها الأموال من
أرباح التجارب وغيرها من رحلة الشتاء والصيف المذكورة في قوله تعالى: {إِلَّا فِي مَّأواهُمْ وَالْخَفَافِينَ} أي إلى اليمن والشام، وهم مع ذلك كفرة فجوة، يكتبون نبي الله ويعدونه.

والمعنى: لا تغتر بإنعام الله عليهم، وتقلبهم في بلاده في إنعام وعافية، فإن الله جل وعلا يستديرهم بذلك الإنعام، فيمتعهم به قليلاً، ثم يهلكهم فيجعل مصرهم إلى النار.

وقد أوضح هذا المعنى في آيات من كتبه، كقوله تعالى: {لا يَعْدُلُ أَلْبَادُ الْأَلْبَادِينَ}، وقوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحَرِّكَ كُفْرُهُ إِلَّا مَجْهُومًا}، وقوله تعالى: {فَهُمْ يُعْلَوْنَ إِنَّ اللَّهَ عَلَمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، وقوله تعالى: {يَحْرِكُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَطَرَّبُهُمْ إِلَى عُدْدَابٍ عَظِيمٍ}، وقوله تعالى: {قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُشْرِكَ فِي اللَّهِ أُشْرَكَءًا}، وقوله تعالى: {فَإِذَّ الْيَوْمَ يُقَدَّرُ عَلَى الْمَهْدِ بِالْمَيْتِينَ}.

والغاء في قوله: {فَلا يُخَفَّرُك} سبحة، أي لا يكمن تقلبهم في بلاد الله، متنعمين بالأموال والأرزاق، سبباً لاغتراك بهم، فتنظ بفهم ظناً حسناً؛ لأن ذلك التنعم تنع استدراج، وهو زائل عن قريب، وهم صارون إلى الهلاك والعذاب الدائم.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ حَقَّتَ كَمَثْبَتُ رَبِّكَ عَلَى الْيَوْمِ}.

كفرُوا أَنْ هُمْ أَصْحَبُ أَلْبَادَ ﴿۳﴾. قرأ هذا الحرف نافع وابن عامر (كلمات) بصيغة الجمع المؤنث السالم، وقرأ الbacقون ﴿كَمَثْبَتُ رَبِّكَ﴾ بالإفراد.
فقد أوضحنا معنى الكلمة والكلمات فيما يماثل هذه الآية في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: "لقد حق القول على أعدائهم فهم لا يؤمنون".

* قوله تعالى: "رَبِّنَا وَأَذْكِنْهُمْ جَنَّتَيْنِ عَدْنِي أَلْقِيَ وَعَدْنِهِمْ وَمَن صَٰلَحَ مِنْ عَبْدِيْهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرُّوْنَهِمْ".

لم ببين هنا الآية المتضمنة لوعدهم بالجنات، هم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.

ولكنه جل وعلا أوضح وعده إياهم بذلك في سورة الرعد في قوله تعالى: "وَلَّيَصِرُّوا أَبْعَاذَهُمْ وَجَدَّ رَكَبَهُمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَفْعَلُوا مَا رَزَقْنَٰهُمْ بِعَلَٰث وَتَقَبَّلُوا بِلَهْسَتِ السَّيِّيِّةِ إِلَّا أَيُّهُمْ مَنْ نُفِقَ إِلَى الْدَّارِ جَنَّتَيْنِ عَلَى بُلُوطٍ بُلُوطٌ وَمِنْ صَٰلِحِ مِنْ عَبْدِي وَأَزْوَاجِهِ وَذُرُّوْنَهُ وَالْمَلَكَاتِ بِخَلَّالٍ هُمْ مِنْ كُلِّ بَابِ الآية (١)

* قوله تعالى: "قَالُوا أَرَأَيْنَا أَمْثَلَينَ وَأَحْيَاتَانَ أَثْنَىِّينَ".

التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه، أن المراد بالإماتتين في هذه الآية الكريمة: الإماتة الأولى، التي هي كونهم في بطون أمهاتهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، قبل نفخ الروح فيهم، فهم قبل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت.

والإماتة الثانية هي إماتتهم وصيرورتهم إلى قبورهم عند انقضاء أجالهم في دار الدنيا.

(1) من قوله: "لم ببين..." إلى هنا ليس من كلام المؤلف، كما هو واضح، وهو من إضافات متعم الكتب، فأبقياه كما هو.
وأن المراد بالإحياءتين: الإحياء الأولى في دار الدنيا، والإحياء الثانية، التي هي البعث من القبور إلى الحساب، والجزاء، والخلود الأبدي الذي لا موت فيه، إما في الجنة وإما في النار.

والدليل من القرآن على أن هذا القول في الآية هو التحقق، أن الله صرح به واضحاً في قوله جل وعلا: "كُنْتُمْ آمِنًا فَأَخْيَاهْتُمْ تَمَّ يَمِينَكُمْ تَمَّ يَمِينِيْكُمْ تَمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "، وبذلك تعلم أن ما سواه من الأقوال في الآية لا معول عليه.

والأظهر عندي أن المسوع الذي سوغ إطلاق اسم الموت على العلقة والمضغة مثلًا، في بطن الأمهات، أن عين ذلك الشيء الذي هو نفس العلقة والمضغة، له أطوار، كما قال تعالى: "وَقَدْ خَلَقْتُ أَطْوَارًا "، "يَحْلُقُهُمْ فِي بُطُونِ أُمَمٍ حَيًّا مَّنْ بَعْدُ حَيًّا "، ولما كان ذلك الشيء تكون فيه الحياة في بعض الأطوار، وفي بعضها لا حياة له، صح إطلاق الموت والحياة عليه من حيث إنه شيء واحد، ترتفع عنه الحياة تارة وتكون فيه أخرى.

وقد ذكر له الزمخشري مسؤوًا غير هذا، فإنظره إن شئت.

 قوله تعالى: "فَأَعْتَرَفُنا يَذْوَوْنَا فَهَلْ إِلَى حُرُوجٍ مَّنْ سَيْبِلٖ".

قد بين جل وعلا في غير هذا الموضوع، أن الاعتراف بالذنب في ذلك الوقت لا ينعف، كما قال تعالى: "فَأَعْتَرَفُوا بِذَنَبِهِمْ فَسُحِّقَا لأَصْحَبِ الْيَوْمِ الأَخْرَى "، وقال تعالى: "رَبّي أَنْصَرْنَا وَسَبَعُنا أَجْرًا نَّعِمَ"، صِلِّهَا إِنَاءً مَّوْقِعًانِ إلى غير ذلك من الآيات.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فهل إلى خروج من سبيل)، قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: "وَمَا يَأْتِيُ الَّذِينَ يَنظُرُونَ إِلَّا مَوَاتٌ يَتَلَّدُّونَ مَنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّكُمْ يَفْهَمُونَ أَنَّا مِنْ سُفَهاءٍ فَيَشْفَعُوْا أَنَّا أَوْزَعْنَاهُمْ عِنْدَ الَّذِينَ كَانُوا تَعَمَّلُونَۚ"

* قوله تعالى: *ذَلِكَ يَأْتِيُنَّ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ لَيْسَ مَن يُقِرِّرُونَ الآية.*

قد تقدم الكلام عليه في سورة الصفات، في الكلام على قوله تعالى: "إِنَّ كَلَّذِينَ فَعَلُّوا الْمُجْرَمَيْنَ إِنْ كَانُوا كَأَنْ كَانُوا إِذَا قَيْلُ فَهُمْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ بَشَرًا يُعْلُهُنَّ الآية.*

* قولَه تعالى: *فَأَلْبَىْهِمُ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ*.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى: "وَلَا يَنْتَرِيكُمْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا*.

* قولَه تعالى: *هَوَاءَلَّذِي يُرِيدُكُمْ إِلَيْهِمْ*.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه جل وعلا هو الذي يري خلقة آياته، أي الكونية القدرية، ليجعلها علامات لهم على روبية، واستحاقه العبادة وحده. ومن تلك الآيات: الليل والنهار، والشمس والقمر، كما قال تعالى: *وَمَا عَلِمْنَّ اِلْيَلَّ وَالْفَجْرَ وَالْشَّمْسُ وَالْقَمْرُ* الآية. ومنها: السماوات والأرضون، وما فيهما، والنجوم، والرياح والسحاب، والبحار والأنهار، العيون والجبال والأشجار، وآثار قوم
سورة غافر

هلوكوا، كما قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَخَلْقِ أَلِيْلٍ وَالْفَجْرِ،} قال تعالى: {إِذَا قَالَ لَقَوْمِهِمَا لَقَوْمِ وَيْلَتُمُّكُمُ اللَّهُ} وَخَلْقِ أَلِيْلٍ وَالْفَجْرِ، وقال تعالى: {إِذَا قَالَ لَقَوْمِهِمَا لَقَوْمِ وَيْلَتُمُّكُمُ اللَّهُ} وَخَلْقِ أَلِيْلٍ وَالْفَجْرِ، وقال تعالى: {إِذَا قَالَ لَقَوْمِهِمَا لَقَوْمِ وَيْلَتُمُّكُمُ اللَّهُ} وَخَلْقِ أَلِيْلٍ وَالْفَجْرِ، وَمَا حَاقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَكُمُ اللَّهُ} وَخَلْقِ أَلِيْلٍ وَالْفَجْرِ، وَمَا حَاقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَكُمُ اللَّهُ.

وَمَا ذَكَرَهُ جَلَّ وَعَلَّمَ فِي آيَةِ المؤمِّنِينَ هَذِهِ، مِنَ الَّذِي يُرِى خَلْقَهُ آيَاتِهِ، بِيَدِهِ وَزَادَهُ إِيَضاً فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَلِيَرَى هُمْ آيَاتِهِ فِي الأَئِفَاتِ وِفِي أَنفُسِهِمْ، وَأَنَّ مَرَادَهُ بِذَلِكَ الْبِيَانِ أَن يُتَبَيِّنَ لَهُمَا مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلْيَا تُرَحِمَةٌ عَلَى نَفْسِهِمْ وَغَفْرَانَ اللَّهُ لَهُمَا.}

وَالآيَةِ جَمِيعُ أَفْقٍ وَهُوَ النَّاحِيَةُ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَّمَ الَّذِينَ حَمَاةٌ خَلَقَهُمْ فِي جَبَلِهِمْ وَأَرْضَهُمْ، وَلَوْ كَانَتِ الْأَمْسَى مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْقَمَرَ، وَالنَّجْوَمَ، وَالشَّجَارَةَ، وَالجَبَالَ، وَالدَّوَابَ، وَالبَحْرَ، إِلَّا نِعْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ، وَهُوَ الْكَرِمُ الْعَلِيمُ.

وَبِئِنِ أَيْضًا أَنَّ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي يُرِي هُمْ لا يَمِكِنْهُمْ أَن يَنْكُروْنَ شَيْئًَا مِّنْهَا، تَسْخِيرَهُمْ لِهِمْ الأَنَّامِ لِيْكَرُوهَا وَيَأْكُلُوهَا مِنْ لَحْوِهِمْ، وَيَنْتَفِعُوا بِأَلْبَانِهِ وَزَايِدُهَا وَسَمَّنُهَا وَأَقْطُهَا، وَيَلِيسُوا مِنْ جَلُودُهَا وَأَصوَافُهَا وَأُوْرَاهَا وَأَشْعَارُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىِ: {أَلَّا ذَلِكَ لِحُكْمَ اللَّهِ لِسُفْرَةٍ لَّهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَسَبِيلُ لِحَيَاةٍ فَخَاصَّةً}.
ويبين في بعض المواضيع، أن من آياته التي يريها بعض خلقه:
معجزات رسول; لأن المعجزات آيات، أي دلالات وعلامات على صدق الرسل، كما قال تعالى في فرعون: «ولقد أرثيناه عينين كلهما 
فَكَذَّبَهُ وَأَيْنَ».

ويبين في موضع آخر، أن من آياته التي يريها خلقه: عقوبته المكذبين رسوله، كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط: «ولقد 
نَرَأْبَا مِنْهَا ءَايَةً بَيَاءَةً لَّقَوْرُ يَعَقِّلُونَ».

وقال في عقوبته فرعون وقومه بالثوران والجراد والقمل إلخ:
«فَأَرَسَلْنَا عَلَيْهِمْ الْثَّورَانَ وَالْجِرَادَ وَالْقَمَلَ وَالضَّفَاعَ وَالْدَمَ اِبْنِي مُسَيَّتٍ» الآية.

قوله تعالى: «وَيَنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ رَبَّكُمْ».

أطلق جل وعلا في هذه الآية الكرمة الرزق، وأراد المطر;
76 لأن المطر /سبب الرزق، وإطلاق المسبب وإرادة سببه لنشدة 
الملاحة بينهما أسوب عربي معروف، وكذلك عكسه الذي هو 
إطلاق السبب وإرادة المسبب، قوله:
أكلت دماً إن لم أرْعَك بضرأ
بعيدة مهوى القرط طيبة البشر
فأطلق الدم وأراد الدية؛ لأنه سبها.

وقد أوضحا في رسالتنا المسماة «منع جوز المجاز في المنزل 
للتعبد والإبعاز» أن أمثال هذا أسابيع عربية، نقشت بها العرب في 
لغتهم، ونزل بها القرآن، وأن ما يقوله علماء البلاغة من أن في الآية
ما يسمونه المجاز المرسل الذي يعدون من علاقاته السببية والمسبية، لا داعي إليه، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه.

إطلاق الرزق في آية المؤمن هذه على المطر جاء مثله في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في سورة البقرة: «وَأَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَآءً فَأَخْجَعْنِي يَدَ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا،»، فأوضح بقوله: «فَأَخْجَعَ يَدَ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا»، أن مراده بالرزق المطر، لأن المطر هو الذي يحيي الله به الأرض بعد موتها.

وقد أوضح جل وعلا أنه إنما سمي المطر رزقاً لأن المطر سبب الرزق، في آيات كثيرة من كتابه، كقوله تعالى في سورة البقرة: «وَأَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَآءً فَأَخْجَعْنِي يَدَ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا» الآية، والباء في قوله: (فأخرجَ) سببية كما ترى، وكقوله تعالى في سورة إبراهيم: «اللَّهُ الَّذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَآءً فَأَخْجَعْنِي يَدَ» الآية، وقوله تعالى في سورة ق: «وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاوَاتِ مَآءً فَأَخْجَعْنِي يَدَ» الآية، فقوله تعالى أيضاً: (وَأَخْجَعَ يَدَ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا) الآية، فقاله: (فَأَخْجَعَ يَدَ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا) الآية.

وبين في آيات آخر أن الرزق المذكور شامل لما يأكله الناس، وما تأكله الأفعال، لأن ما تأكله الأفعال يحصل بسببه للناس الانتفاع بلحمها، وجلودها، وألبانها، وأصوفها وأوراقها وأشعارها، كما تقدم، كقوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسْوَىُ السَّمَاءَ إِلَى الأَرْضِ أَنْفُسَهُمْ فَنَخْجِّعَنَّهُمْ بِرَzzaَ تَأَكُّصُ مِنْهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ أَفَلَا تَذَرُّونَهُمْ؟»، وقوله: «هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَآءً فَأَخْجَعْنِي يَدَ» الآية، بِذُبُّ لَكُمْ بِيَدِ الزَّرعِ وَالْرِّيْوَاتِ وَالْتَجْهِيلِ وَالتَّغْنِيَّةِ وَالْأَغْنَمَّةِ وَمِنْ سَكَّلِ الْقَلْبِ الآية، فقوله: (فَأَخْجَعَ يَدَ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا) الآية.
أن تتكلموا لها مؤونة العلف، كما تقدم إيضاحه بشواهد العربية في سورة النحل، وكقوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا السَّمَاءَ مَآءً أَخَرِجُوا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبِيٍّ شَرِيْقٍ كُلَّها وَأَرْضَيْتُوا آمَنُكُمْ الآية، وَقَولُهُ تَعَالَى: "أَخْرِجْ مِنْهَا مَآءًا ذَٰلِكَ لِكَانَ وَلَدًا لَّنُفَضِّلْ آخَرًا إِلَى غَيْرِ ذلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

* قوله تعالى: وَمَا يَنَادُكُمْ إِلَّآ أَنْ يُنبِئُكُمْ

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن الناس ما يذكرون منهم، أي ما يتعز في هذه الآيات المشار إليها في قوله: وَهُوَ الَّذِى يَرْيِيْكُمْ آيَكُمْ وَيُرِيكُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رَفْقًا.

وَمَا يَنَادُكُمْ إِلَّآ أَنْ يُنبِئُكُمْ أي من رزقه الله الإنباء إليه.

والإنباء: الرجوع عن الكفر والمعاصي إلى الإيمان والطاعة.

وهؤلاء المنبينون، المتذكرون، المتغطرون، هم أصحاب العقول السليمة من شوائب الخلاف، المذكورون في قوله تعالى في أول سورة آل عمران: وَمَا يَنَادُكُمْ إِلَّآ أَوْلَوْا الْأُنْبَتِ، وفي قوله تعالى في سورة إبراهيم: وَلَعْلَمُوا أَنَّا هُوَ الَّذِى وَجَدَ إِلَّهًا وَلَيْدَكُ أَوْلُو الْأَنْبَتِ إلى غير ذلك من الآيات.

وقد دلت آية المؤمن هذه، وما في معناها من الآيات، على أن غير أولي الألباب المتذكرين المذكورين آنفاً، لا يذكرون ولا يتعز بالآيات، بل يعرض عنها أشد الإعراض.

وقد جاء هذا المعنى ووضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: وَأَرْضَيْنَا مِنْهَا آيَةً وَأَثَامَتَانِ بِمِرْفَعٍ عَلَيْهَا وَقَالُوا مُعَرْضُونَ، وَقَولُهُ تَعَالَى: وَإِنْ يَزِرُوا مَآءَةً يُعْرَضُوا وَقَولُوا سَكَرَّ.
سورة غافر

قوله تعالى: 

قد قدمنا الكلام على نحوه من الآيات في أول سورة الزمر، في الكلام على قوله تعالى: 

قوله تعالى: 

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في أول سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: 

قوله تعالى:

وقوله تعالى في آية المؤمن هذه: 

وقوله تعالى:

وقوله تعالى:

وقوله تعالى:

وقوله تعالى:

والآيات بمعنى ذلك كثيرة، وقد بيناه في أول سورة هود في الكلام على قوله تعالى: 

ليستحفوا منه الآية، وذكروا طرفًا من ذلك في أول سورة سبأ، في
الكلام على قوله تعالى: 

{ على الذَّيْنِ الْيَدَاءِ لا يَعْبُرُ عَنْهُ مَثَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ 

وَلَا فِي الْأَرْضِ} الآية.

* قوله تعالى: 

{ وَأَنْذَرْهُمْ يِوْمَ الْآثِرَةَ إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْخُنْجَرِ 

كُلُّ قَلِبٍ} الآية.

الإنذار: هو الإعلام المقترب بهدف خصية، فكل إنذار إعلام،
وليس كل إعلام إنذاراً.

وقد أوضحنا معنى الإنذار وأنواعه في أول سورة الأعراف في
الكلام على قوله تعالى: 

{ كُنْتُ أُنزِّلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنَّ فِي صُدُورِكَ حَرْجٌ مِّنْهُ 

لَيْتَنَزِّلَ بِهِ} الآية.

والظاهر أن قوله هنا: { يَوْمَ الْآثِرَةَ} هو المفعول الثاني للإنذار
لا ظرف له، لأن الإنذار والتخويف من يوم القيامة واقع في دار
الدنيا.

والآثر: القيامة. أي أنذرهم يوم القيامة، بمعنى خوفهم إياه
وهذدهم بما فيه من الأهوال العظام، ليستعدوا لذلك في الدنيا
بالإيمان والطاعة.

/ وإنما عبر عن القيامة بالآثر، لأجل أزواجهم أي قربها،
والعرب تقول: أَزَفَ التَّرِحَل، بِكْسَرَ الزَّايِ، يَأْزَفَ، يُفْتَحُج، أَزَفًا،
بفتحين، على القياس، وأزوفاً فهو آزف، على غير قياس، في
المصدر الأخير والوصف = بمعنى قرب وقته ومكان وقوعه، ومنه
قول نابغة ذبيان:

أَزَفَ التَّرِحَلِ غَيْرَ أَنْ رَكَابَاً 
لما تزل برحالنا وكأن قد
سورة غافر

ويروى: أُفِدَ التَّرَحْلِ وَمَعْنَاهُ وَاحِدٌ.
والمعنى: لو أنْ هُمْ يَوْمَ الْيَومِ الْآَخَرِ أي يَوْمُ الْقِيَامَةِ القَرْبِ مُجِيِّهٌ.
ووَقْعَهَا.

وَمَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرَيْمَةِ مِن اقتِرَابِ قِيَامِ السَّاعَةِ جَاءَ مَوْضُوْحًٌ فِي آيَاتٍ أَخَرٍ كَذَا لَعَنُّهُ تَعَالَىِ: «آَفَزِّعَ الْآَذَى؟» َّلِسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ ١٧٢ أَهْلِ الْآيَةِ تَعَالَىِ: «اقْرَّبِ الْسَّاعَةَ الآيَةِ، وَقَولُهُ تَعَالَىِ: "اقْرَّبِ الْيَوْمَ الْآخَرِ" َّلِسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ ١٧٣ آيَةً وَقَوْلُهُ تَعَالَىِ: "قُرْنَ فِي الْقُرْآنِ" وَقَوْلُهُ تَعَالَىِ: "وَمَا يُدْرِكَ لِلْإِنْسَانِ كَلَّمَا آتَيْنَاهُ مِن فَوْقِهِ" َّلِسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ ١٧٤ آيَةً وَقَوْلُهُ تَعَالَىِ: "وَمَا يُدْرِكَ لِلْإِنْسَانِ كَلَّمَا آتَيْنَاهُ مِن فَوْقِهِ" َّلِسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ

وَقَدْ قَدَّمَنَا هَذَا فِي أُولِ سُورَةِ النَّحلِ فِي الكِلَامِ عَلَى قُوْلِهِ تَعَالَىِ: «إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ لَسَتَعْلَجُوهُ» ١٧٥ وَقَوْلُهُ تَعَالَىِ: "إِذْ آتَیْنَاهُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظَنُّ» الظاهر فيه، أن (إذ) بِدِلِّ مِن يَوْمٍ وَعَلَّيْهِ فُحُورٌ مِن قِبْلِ المَنْفَعُولِ بِهِ لاَ المَنْفَعُولُ فِيهِ كَمَا بِيَنَا آنَأَ. والقلوب: جَمِيعُ القُلُوبِ وَهُوَ مَعَوْرُوفٌ. والدَّلِّ: ظَرفُ بِمَعْنَى عَنْدٍ. والحَنَاجِرُ: جَمِيعُ حَنَجرَةٍ وَهُوَ مَعَوْرُوفٌ. وَمَعْنَى كَونَ الْقُلُوبِ لَدَى الْحَنَاجِرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي هَذِهِ لَعْمَاءُ التَّفَرْشُ وَجِهَانُ مَعْوَرُفْانِ،

أَحَدُهُمَا: مَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَغَيْرِهِ، مِن أَنْ قَلُوبَهُمْ يُوتِّمَنَّ، تَرْفَعُ مِن أَمَاكِنَهُ فِي الصُّدُورِ حَتَّى تَلْتَصِقُ بِالحَلَوُقِ، فَتَقْوِلُ لِدَى الْحَنَاجِرِ، فَلَا هِيَ تَخْرِجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ فِيمُوْتَأ، وَلاَ هِيَ تَرْجَعُ إِلَى
أماكنها في الصدور فيتنفسوا. وهذا القول هو ظاهر القرآن.
والوجه الثاني: هو أن المراد بكون القلب لدى الحنجر، بين شدة الهول، وفظاعة الأمر، وعلى تفاضلوا كقوله تعالى: "وَأَرَاغَكُمْ
الأَبْصَرُ وَبَلَغَ ٱلْقُلُوبُ ٱللَّهَ ٱلْخَلَقِينَ" (31)، وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «كُفَّةٌ مَّعَاهَا مَكْروِبٌ» ممتلئين خوفاً وغماً وحزناً.
والفظ: ترد الخوف والغيب والحزن في القلب، حتى يمتليء منه، ويضيق به.
والأعراب تقول: كزنت السقاء، إذا ملأته ماء وشدته عليه.
وقول بعضهم: (كاظمين) أي ساكنين. لا ينافي ما ذكرنا؛ لأن الخوف والغض الذي ملأ قلوبهم يمنعهم من الكلام، فلا يقدرون عليه، ومن إطلاق الكظم على السكوت قول العجاج:
ورب أسراب حجييج كَظَمٌ عَنُّ الْغَا وَرَفَثٌ التَّكُلَمِ ويرجع إلى هذا القول معنى قول من قال: (كاظمين) أي لا يتكلمون إلا من أذن له الله وقال الصواب، كما قال تعالى: "لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً".
/وقوله: «كُفَّةٌ» حال من أصحاب القلوب على المعنى.
والتقدير: إذ القلب لدى الحنجر، أي إذ قلوبهم لدى حنجرهم في حال كونهم كاظمين، أي ممتلئين خوفاً وغماً وحزناً.
ولا يبعد أن يكون حالاً من نفس القلوب؛ لأنها وصفت بالكظم.
الذي هو صفة أصحابها. ونظر ذلك في القرآن: {إِنَّ رَأْيَتُ أَحَدٍ عُضُرٍ كُورُكَ وَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ رَآئِيَّمُ في سَجِدَتِكَ} فإنه أطلق في هذه الآية الكريمة على الكواكب والشمس والقمر صفة العقلاء في قوله تعالى: {رَآئِيَّمُ في سَجِدَتِكَ}، والمسوغ لذلك وصفه الكواكب والشمس والقمر بصفة العقلاء التي هي السجود.

ونظر ذلك أيضاً قوله تعالى: {إِنَّمَا تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ إِسْتِبْطَاءٍ مَّا يُظْلَمُ}، وقوله تعالى: {قَالَ أَنْتَ أَنتَ آتِيْنَا عَلَيْهِمْ}. * قوله تعالى: {مَاتُ الْكَلَامِيْنِ مِنْ حَيِّيْمِ ۖ وَلَا سَفِعِيْ}.

قد قدمنا الكلام عليه في سورة البقرة وسورة الأعراف، وأهلنا عليه مراراً.

* قوله تعالى: {يَعْلَمُ جَلَالَةَ الْعَزِيزِ وَمَا تُعَقِّبُ}. 

قد قدمنا الكلام على ما يماثله من الآيات في أول سورة هود، وفي غيرها، وأهلنا عليه أيضاً مراراً.

* قوله تعالى: {وَلَقَدْ أُرْسِلَنا مُوسَى مُبَارَكًا وَسَلَّمَتْ مِيْتِيَّهُ إِلَى فُرُوجِهِ وَهَذَنَ وَقَرَبُونَ قَالُوا سَحْرُ وَسَكََّذَبَ}. 

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه أرسل نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، بايته وحجه الواضح، كالعصا واليد البيضاء، إلى فرعون وهامان وقارون، فكذبوه وزعموا أنه ساحر.

قوله تعالى: «و قال موسى إنه عُدث برَّة ورَيَّبكم».

ذكر جل علا في هذه الآية الكريم أأن نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، عاد بره، أي اعتصم به وتمعنً، (من كل متكربر)، أي متصف بالكبر، (لا يؤمن يوم الحساب) أي لا يصدق بالبعث والجزاء.

وسبب عياذ موسى بره المذكور، أن فرعون قال لقومه:

«ذُوقوا أثقل موسي وليلذغ ربيّة إلى أن يُسبّل دينهكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد».

فعياذ موسى المذكور بالله إنما هو في الحقيقة من فرعون، وإن كانت العبارة أعم من خصوص فرعون؛ لأن فرعون لا شك أنه متكربر لا يؤمن يوم الحساب، فهو داخل في الكلام دخولاً أولياً، وهو المقصود بالكلام.

وما ذكره جل علا في آية المؤمن هذه، من عياذ موسى بالله 84 من كل متكربر لا يؤمن يوم الحساب، كفرعون وعنتاه قومه، ذكر نحوه في سورة الخلق في قوله تعالى عن موسى مخاطباً فرعون وقومه: «و إن عذّبُ بريّ ورَيَّبكم فأن تُرجمون» الآية.
قوله تعالى: «وَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لِاللَّهِ فَرَعُونَ تُبْكِينَ».

في هذه الآية الكريمة، أن رجلاً مؤمناً من آل فرعون (يكتب إيمانه) أي يخفى عنهم أنه مؤمن، أنكر على فرعون وقومه إرادتهم قتل النبي موسى عليه وعلى بني آدم الحضرة والسلم، حين قال فرعون: «ذُو فِي أَفْقَاحِ مُوسَى وَلْيَعْنَى رَبِّي» الآية، مع أنه لا ذنب له يستحق به القتل، إلا أنه يقول: ربي الله.

ولقد بين في آيات أخرى عن عادة المشركين قتل المسلمين، والتنكيل بهم، وإخراجهم من ديارهم من غير ذنب، إلا أنهم يؤمنون بالله ويقولون: ربي الله، كقوله تعالى في أصحاب الأحاديث، الذين حرموا المؤمنين: «فَيَلَوْنَ الْأَحْدَاثَ أَنَّ اللَّهَ ذَاتُ الْوَكُودِ إِنَّهُ عَلَيْهِ فُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَقْعُولُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شَهَدُوٌ وَمَا نَقْعُوْنَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ يُؤُولُوا بِاللَّهِ أَلْهَيْنَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ فَقَدَّرُوهُمْ»، وقيل له تعالى: «أَوْ لَنَفْقِدَنَّكُمْ بِفَتْحٍ بَيْنَهُمْ يُظْلِمُوا وَاللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَا تَحْزَنُوا إِنَّهُمْ يُقَلِّبُونَ مَآءَ مَآءًا»، وقيل له تعالى: «أَوْ لَنُهْيَنِعَ بِكَ أَنَّ لَكُمْ أَمْسِكَمْ أَجْمَعِيكُمْ» أنهم أجابوه بما ذكره الله عنهم في قوله: «قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْتَقِلُونَ، وَمَا نَقْلُ مِنْهُ أَنَّا إِلَّا أَنَّا مَأْمُنُونَ رَبَّنَا» جَلَّ اِلَّهُ عَلَيْهِ إِلَىً غَيْرِ ذَلِكَ من الآيات.

والتحقيق أن الرجل المؤمن المذكور في هذه الآية من جماعة فرعون، كما هو ظاهر قوله تعالى: «مِنْ مَّائَةٍ فَرَعُونً». فدعوى أنه إسرائيلي، وأن في الكلام تقديماً وتأخيراً، وأن (من
أضواء البيان

 آل فرعون) متعلق بـ (يكتم)، أي وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، أي يخفى إيمانه عن فرعون وقومه = خلاف التحقق، كما لا يخفى.

وقيل: إن هذا الرجل المؤمن هو الذي قال لموسى: "إليك آلماً كأن تروتين يُقَتِّلُوكُمُ فالأخلاَج". وقيل غيره.

واختلف العلماء في اسمه اختلافًا كثيرًا، فقيل: اسمه حبيب، وقيل اسمه شمعان، وقيل اسمه حزقيل، وقيل غير ذلك، ولا دليل على شيء من ذلك.

والظاهرة في إعراب المصدر المنسب من أن وصلتها في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (أن يقول ربي الله) أنه مفعول من أجله.

وقال البخاري رحمه الله في صحيحه في تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، قال: حدثني يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: Axiosuni باشح ما صنع المشركون برسول الله ﷺ.

قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ منكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ منكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: "أتقنون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من زيكم".

* قوله تعالى: "قال ففرعون ما أريك إلا ما أرى وما أهديك إلا سبيل الارشاد".

الظاهرة أن (أرى) في هذه الآية الكريمة علمي، عرفانية،
تدعى لمفعول واحد، كما أشار له في الخلاصة بقوله:

لعلم عرفان وظفْن تَهْمَةٍ تعديدة لواحد ملتزمةٍ
وعليه فالمعنى: قال فرعون: ما أعلمك وأعرفك من حقيقة
موسى، وأنه ينبغي أن يقتل، خوف أن يبدل دينكم، ويظهر الفساد في
أرضكم، (إلا ما أرى) أي أعلم وأعرف أنه الحق والصواب، فما
أخفي عنكم خلاف ما أظهره لكم، وما أهديكم بهذا إلا سبيل
الرشاد، أي طريق السداد والصواب.

وهذان الأموران اللذان ذكر تعالى عن فرعون أنه قالهما في هذه
الآية الكريمة قد بين في آيات آخر أن فرعون كاذب في كل واحد
منهما.

أما الأول منهما وهو قوله: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَأَيْتِ) فقد بين
 تعالى كذبه فيه في آيات من كتابه، وأوضح فيها أنه يعلم ويتقن أن
الأيات التي جاءه بها موسى حق، وأنها ما أنزلها إلا الله، وأنه جددها
هو ومن استيقنها معه من قومه ليستخفوا بها عقول الجهلة منهم،
كقوله تعالى في سورة النمل: وَأَدْخَلْ بَيْنَهُمَا تَحْيُّصًا مِّنْ غَيْرِ شَرَّٰهَا
فِي يَتَّبِعَانِ إِلَّا فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ(11) فَلَمَّا جَاءَهُمْ إِلَيْهِمْ ءَامَنُوا بَعْدُ مَبْصِرَةً فَأْلَوْىَ
هَذَا سِحْرُ مَيْتٍ (12) وَحَجَّدْتُهَا وَأَسْتَيْقَنْتُها أَنْفُسَهُمْ ظَلَّلَا وَغَلَّوْا فَانْظَرْ كَيْفَ
كَانَ عَلْقَةُ الْمُفْتَنِينَ(13).

فقوله تعالى في هذه الآية: (وَحَجَّدْتُهَا وَأَسْتَيْقَنْتُها أَنْفُسَهُمْ ظَلَّلَا وَغَلَّوُا) دليل واضح على أن فرعون كاذب في قوله: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا
ما أَرَأَيْتِ).

وكقوله تعالى في سورة بني إسرائيل: (فَأَلَّا لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنَّزلَ}
هَكَنَّاَ لَكُمُ الْأَرْضُ وَالْأَشْرَى وَمَا يَضُرُّ لَكُمُ عَنْهُمُ أَنْ تُتْلَى لَكُمُ الْبَرَاءَةُ مُبِينًةً

فَقُولُ بَنِي إِلَيْهِمْ لَفِرْعَوْنَ: {لَا تَقُولُوا مَآ أَلَّهُ مِنْهُمُ إِلَّا رَبُّ أَرْضَيْنَا وَأَّمَرَّيْنَا}.

87

وَكَانَ غَرِيضُ فِرْعَوْنِ بِهذَا الْكِذْبِ الْتَّدْلِيسُ وَالْتَحْمِيَّةُ؛ لِيَظْنُ جِهَالُ قُومِهِ أَنَّهُ مَعِيَ الحَقِّ، كَمَاءِ أَشَّارَ تَعَالَى إِلَيْهِمْ فِي قَوْمِهِ; {فَأَسْجَفْنَ قُوَّةً}.

وَأَمَّا الْأَمْرُ الْأَنثَى وَهُوَ قُولُهُ: {وَمَا أَهْدَيْنَاهُ إِلَّا سَبِيلَ الْبِلَّاقَةَ}.

فَقْدَ بَيْنَ تَعَالَى كَذِبَهُ فِي أَيَّاتِ مِنْ كِتَابِهِ، كَفْرُهُ تَعَالَى: {فَأَلَغَأَ أَمْرُ فِرْعَوْنِ} وَقُولُهُ تَعَالَى: {وَأَضْلَّ فِرْعَوْنَ قُوَّمَهُ}.

وَكَذَا وَقَالَ بَعْضُ الْعَلَّامَةِ فِي قَوْلِهِ: {مَا أَرْيَكُمُ إِلَّا مَا أَرَى}:

أَيْ مَا أَشِيرَ عَلَيْكُمُ إِلَّا بَعْضُهُمْ، مِنْ قَتَلٍ مُوسِى؛ وَالْعَلَّامُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

قُولُهُ تَعَالَى: {مِنْ عَمَلِ سَيِّئَةٍ فَلَا يُجْرِرَ إِلَّا مَنْ يُشْقِّاهَا}.

هذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ وَأَمْثَالُهَا مِنْ الأَيَاتِ الْبَدَلَةِ عَلَى أَنَّ السَّيِّئَاتِ لا تَضَعُّ فْعَلًا، وَلَا تَنْسَى إِلَّا بِمَعْلَمَتِهَا، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الأَيَاتِ الْأَخْرَى الْبَدَلَةِ عَلَى أَنَّ السَّيِّئَاتِ رَمْبا ضَوَاعَتِهَا فِي بَعْضِ الْآوَّلَاتِ، كَفْرُهُ تَعَالَى فِي نَبِيِّنَا: {إِذَا أَذَفْنَا ضَعَفَ الْحَبَّةَ وَضَعَفَ الْأَلْمَاتِ}، وَقُولُهُ تَعَالَى فِي نَسَيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {يَلِسَّنَّ أَلْيَا مِنْ يَبْتَغُونَ مَنْ يَضْلِعُ}.

وَقَدْ قَدَّمَنا الْجُوَابَ عَنْهُ مَوْضُوًّا فِي سَوْرَةِ النُّملِ، فِي الْكَلَامِ عِنْدَ قُوَّةٍ تَعَالَى: {وَمَنْ جَاهَّرٌ}.
فَدَّعُونِي إِلَى الْنَّارِ

لاَ إِكْفَرْ بِاللَّهِ وَأَشْرَكْ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بَيْهِ مَثَلٌ

والظاهر أن جملة قوله: (تدعوني لأكثر بالله) بدل من قوله:
(وتدعوني إلى النار) لأن الدعوة إلى الكفر بالله والإشراك به دعوة 
إلى النار.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الكفر والإشراك بالله 
مستوجب لدخول النار، بينه تعالى في آيات كثيرة من كتابه، كقوله: 
»إِنَّمَا يَنْزِلُ مِنْ يَمِينِ الْبَلَدِ مَنْ يَشَاءُ، فَخَافَ عَلَى الْحَجِّ وَمَا أُوْلَى مِنْ أَنْتَ»، وقد قدمنا 
ما فيه كفاية من ذلك في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: 
»وَمَنْ يَشَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَلِيمَانِ فَكَانَ أَخْرِجُوا مَنْ أَعْمَالَهُمْ الْمَبَاهِلُ الآية«.
قوله تعالى: «فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أُقْرِر لَّحَسَمٍ وأَفْضَى الْمَهِيْمُ إِلَى الَّذِينَ يَذْكَرُونَ الْحَسَمَ وَيَتَبَيِّنُونَ»

الت neger الوحي الذي لا شك فيه، أن هذا الكلام من كلام مؤمن آل فرعون الذي ذكر الله عنه، وليس لموسى فيه دخل.

وقوله: «فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أُقْرِر لَّحَسَمٍ» يعني أنهم يوم القيامة بعلمون صحة ما كان يقول لهم، وذكرون نصيحته، فندمون حيث لا يشفع الندم، والآيات الدالة على مثل هذا من أن الكفاف تكشف لهم يوم القيامة حقائق ما كانوا يكذبون به في الدنيا كثيرة، كقوله تعالى: «وَكَذَّبْتُ بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْحَقُّ فَلْتَسْتَعِبْنَ عَلَيْكُمْ يَيْكَلِّي» وَكَذَّبْتُ بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْحَقُّ فَلْتَسْتَعِبْنَ عَلَيْكُمْ يَيْكَلِّي، وقوله تعالى: «وَلَعَلَّمُنَّكُمْ بَعْدَ غِيْبَانِ» وقوله تعالى: «كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» وقوله تعالى: «كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»، وقوله تعالى: «فَكُلِّفْنَاهُمْ غَطَاءً كَأَلْبَاءَ كَأَلْبَاءَ فَصَّرْتُ إِلَى هَٰذِهِ الْحَيَّٰزُ».

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «وَأَفْضَى الْمَهِيْمُ إِلَى الَّذِينَ يَذْكَرُونَ الْحَسَمَ» دليل واضح على أن التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه، سبب للحفظ والوقاية من كل سوء. وقد تقرر في الأصول أن الفئاء من حروف التعليل، كقولهم: سها فسجد، أي سجد لعلة سهوء، وسرق فقطعت يده، أي لعلة سرقة، كما قدمناه مراراً.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من كون التوكل على الله سبباً للحفظ، والوقاية من السوء، جاء مبيناً في آيات أخرى، كقوله تعالى:
سورة غافر

وَمَا يَتَّبَعُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسَبٌ، وَقُولُهُ تَعَالَى: "أَلَمْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَلَهُمْ فَرَادَاءٌ فَأَحْتَسَبُوهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسَبُنَا اللَّهَ وَذَمِّمْ أَلِكَ فَإِنَّكَ لَمْ تَنْهَوْا مِنِّمْلَةِ اللَّهِ وَفَضْلِي لَمْ تَمَسْهُمْ سُوءٌ".

وَقَدْ ذَكَرْنَا الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلِىٰ ذلِكَ بَكْثَرَةً فِي أُولِي سُورَةِ بني إِسْرَائِيلِ، فِي الْكَلَامِ عَلَيْهِ قُولُهُ تَعَالَى: "آَلَّا تَنْذِرُوا مِن دُونِ وَصِیَّالِكُمْ". ۹۳

وَالظَّاهِرُ أَنَّ(مَا) فِي قُولِهِ: "سَيَّاتَ مَامَةَ سَيَّاتَ، مَتَّىْ" مَصْدِرَةً، ۵۰

أي فِوْقَاهِ اَللَّهُ سَيَّاتَ مَكَرُّهمْ، أَيِّ أَضْرَارُ مَكَرُّهمْ وَشِدَّاؤُهُ، وَالْمَكِرُ: الْكِيْدُ.

فَقَدْ دَلَّتْ هِذَهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، عَلَى أَنَّ فَرَعُونَ وَقُوْمِهِ أَرَادُوا أَن يَمَكُّنُوا بِهِذَا الْمُؤْمِنِينَ الْكَرِيمِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ وَقَاهُهُمْ، أَيْ حَفَظَهُمْ وَنَجَاهُمْ مِن أَضْرَارِ مَكَرُّهُمْ وَشِدَّاؤُهُ، بِبَشْرُهُ تَوْكِلَهُ عَلَى اللَّهِ، وَتَفْوِيضُهُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ.

وَبَعْضُ ِالْعَلَمَاءِ يَقُولُ: نِجَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَعَ مُوسَى وَقُوُّمِهِ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: صَعُودٌ جَبَّالٌ فَأَعْجِرُهُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَنَجَاهُمْ مِنْهُمْ. وَكِلَّ هَذَا لَا دَيْلٌ عَلَيْهِ، وَغَيْبَةٌ مَا ذَلِلَ عَلَى الْقَرَارِ أَنَّ اللَّهَ وَقَاهُ سَيَّاتَ مَكَرُّهُمْ، أَيْ حَفَظَهُمْ وَنَجَاهُمْ مِنْهَا.

وَقُولُهُ تَعَالَى فِي هِذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: "وَحَقَّ إِلَى فَرَعُونَ سُوءٍ الْعَذَابِ" مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَمْ أُرَادُوا أَن يَمَكُّنُوا بِهِذَا الْمُؤْمِنِينَ، وَقَاهُ اللَّهُ مَكَرُّهُمْ وَرَدَّ الْعَاقِبَةِ السَّيِّئَةِ عَلَيْهِمْ، فَرِدَ سُوءُ مَكَرُّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ الْمُؤْمِنُ المَذَكُورُ نَاجِيًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَكَانَ فَرَعُونَ وَقُوُّمِهِ هَالِكِينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالْبَرَزُخِ.
فقال في هلاكم في الدنيا: {وَأَعَرَّفُكُم مَّا ذَٰلِكَ فِي جَنَّةٍ} الآية، وأمثالها من الآيات.

وقال في مصيرهم في البرزخ: {أَلَّا تَفْرَجُوا عَلَيْهِ عِدْوًا وَعَشِيَّةً}.

وقال في عذابهم في الآخرة: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا عَالَمَ فِرْعَوْنَ أَخْدَمَانِ}.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة، من حيق المكر السنيء، بالماكر، أوضحه تعالى في قوله: {وَلَا يَجِبُ الْمَكْرُ أَن يُخْذِبَ إِلَّا بِأَهْلِهِ}.

والعرب تقول: حاَقَ بِهِ المكرَ الَّذِي يَجِبُ أَن يُخْذِبَ بِهِ حيَاقَةً وحَيْبَاقاً، إذا نزل به وأحاظ به. ولا يطلق إلا على إجهاض المكرَ الَّذِي خاصَهُ، يقال: حاَقَ بِهِ السَّوءَ والمكرَ، ولا يقال: حاَقَ بِهِ الخيرَ، فمَا حيَاقَةُ المَكْرَ الَّذِي هو يَوْمَ يَجِبُ أَن يُخْذِبَ إِلَّا بِأَهْلِهِ.

91

وقد قدمنا أن وزن السِنِئة بالميزان الصريح في {فِيِّلَةٍ}، من السوء، فأدغمت ياء الَّتِي زادت في الواو التاء في وَأَيَّا، على النَّاصِرَة أو النَّاصِرَة، على القاعدة التَّحْفُظَةَ المَعْرُوفَةَ إلىCambria. بقوله:

فأوْطأٌ جُرُدُ الخِيل عَقَرَ دِبْرَهُم وَحَاقَ بِهِم مِّن يَأْسِ ضَبْأَةٍ حَائِقُ

إن يَسَكَن السَّبِيق مِن وَأَيَّا وَيَا فيِّلَةَ الْوَأَوَافِيِّلَةَ مَدْعُومًا وَاتِّصَالًا وَمِن عَروض غِرْبًا وَشَدَّ مُعْطُىً غِيرُ ما قَدْ رَسَماً.
قوله تعالى: «إذًا يتحججون في الآلار فيقولون الصعفُوا لِلذين آتائكم إلا أن تقدموا فهلك أنتم مغنوٌّ عنا». نصيبة من الآلار قال الذين آتائكم إلا أن تقدموا فهلك أنتم مغنوٌّ عنا. الله قد حكم بربر البكماء.

قوله تعالى: «يتحججون في الآلار» أصله يتفاعلون، من الحجة، أي يختصمون ويحقق بعضهم على بعض.

وما تضمنته هذا الآية الكريمة، جاء موضحًا في آيات من كتاب الله، قوله تعالى: «إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٍّ تَعَمَّرُ مِنْ أَهْلِ الْآلَارِ»، وقوله تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذَا الْقَلَوْمَاتِ مُؤَقَّطَتْ عَنْدَ رَبِّهِمْ يَجْعَلُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْعَاكِفِينَ لَحَتَّى يَصِيبَهُمْ عَذَابُ الدُّنْيَا وَالْأَخِيرَةِ وَيَجْعَلُ الْمَلْكَ لِلَّذِينَ أَسْتَعْنَاهُمْ لَكُلٌّ كَانَ لَهُمْ مُّجِبٌ».

وقال الذين آتائكم إلا أن تقدموا فهلك أنتم مغنوٌّ عنا. بعد إذ جاء كرب الله كتب الجرمين وقال الذين آتائكم إلا أن تقدموا فهلك أنتم مغنوٌّ عنا. مكر أتيل والتهار إذ تأمورنا أن نكفر بالله ويجعل له أنداذاً، وقوله تعالى: «كَلِمَةً دَخَلَتْ أُمَّةً لَّمْ يَكُونَتْ فِيهَا حَتَّىٰ إِذَا أُذِنَّا لَهَا فِيهَا جَعَلْنَاهَا قَالَتْ أَخْرُجْنَهَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَٰكِنْ آتِلَهُ اسْتَفْتُوا وَٰذَٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَيْفٍ ۔ وَقَالَ لِأَوْلَاهُمْ اسْتَفْتُوا وَقَالُوا لَمَّا كَانَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَدُونُوَا العذاب يَمَا كَانَ تَكَبِيبًا ۔ وَقَالُهُ تَعَالَيْنَ إِذَا نُزُلَ الْأَذِنَانِ أَنَا لَكُمْ مَنْ تَبَيَّنَ مِنْهُمْ الأَسْبَابَۖ وَقَالُ الَّذِينَ أَتَبَيَّنُوا لَوْ أَنْتُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ فَأَنْتُمْ كَانِيَنَّ فَهَلَّ أَنتُمْ مُعَضَّنُ عَنَّا مِّنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قالوا لىَهُدَى الله يَدْعُونَ عَلَى مَعْمَرًا أَمَّ سَبِيرًا أَمَّا لِيَا مِنْ مَحِيضٍ ۔ وَقَالُ الأَشْهَانُ لَمْ يَفْضِّلَ الْأَمْرَ إِلَى الرَّحْمَةِ إِلَى الله وَعَلَّمُوهُمْ
وعد الله وعدهكم فلا خشواكم وما كان لي عليكم من سلطن إلا أن دُونكم فاستجذب في فلآ تلوموني وليوم آتكم مأنا أيمضىكم وما أشر يمضىكم إلى سَكِّرتِمْ يَا شَرَّكِمْ من قُبْلِهِ، والآيات بمن هذا كثرة وقد قدمنا الكلام عليها في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك.

قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحَرْنَأَ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبِّكُمْ يُحْفَظُ عَنَّاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ» (2) ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أهل النار طلبا من خزنة جهنم أن يدعوا لهم الله أن يخفف عنهم من شدة عذاب النار.

وقد بين في سورة الزخرف أنهم نادوا مالكاً خاصة، من خزنة أهل النار ليقضي الله عليهم، أي لليميه فيستريحوا بالموم من عذاب النار.

وقد أوضح جل وعلا في آيات من كتابه أنهم لا يجابون في واحد من الأمرين فلا يخفف عنهم العذاب، الذي سألوا تخفيفه في سورة المؤمن هذه، ولا يحصل لهم الموت الذي سألوه في سورة الزخرف.

فقال تعالى في عدم تخفيف العذاب عنهم في هذه الآية: «قَالَوْا أَوَلَمْ تُقُدْ تَأْخِذِكُم رُسُلُ اللَّهِ بِالْبَيَانِ فَقَالُوا فَلَنْ نَقْتَفَعَ وَمَا دُعِنَ أَلْحَبَانِينَ إِلَّا فِي صَلَّيْنَ»، وقال تعالى: «وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنَ عَذَابِهِمْ كَذَٰلِكَ يَجِرُّ الْكَفُّؤُرُ»، وقال تعالى: «قَلْنَا نُزِيدْهِمْ إِلَاءَ الْعَذَابِ»، وقال تعالى: «لَا يَضُرُّ عَلَيْهِمْ مِّنْ فِي هِيَمٍ فَيَقُولُونَ»، وقال تعالى: «فَسَوَّ قَلَّةَ عَذَابَهُمْ كَانَ غَرَّاً»، و
قوله تعالى: «قالوا أولم تأتونكم رسولنا».

قد قدمنا الكلام عليه مع الآيات التي بمعناه في سورة بني إسرائيل، ففي الكلام على قوله تعالى: "وما كامعرين حتى بعث رسولًا".

قوله تعالى: «إن آتى نصر رسولًا والذين آمنوا في الحياة الآخرة».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: «وأيمن من ظل فقتل منهم ريبون كيد» الآية، وذكرنا طرفًا من ذلك في الصافات، في الكلام على قوله تعالى: «ولقد سببتم» كمن زيدًا لعبادًا للمساندن»، وستأتي له زيادة إيضاح إن شاء الله في سورة المجادلة.
أضواء البيان

94 / قوله تعالى:  
"ولقد ءاباًتا موسى الهدئ وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب".

اللام في قوله:  
"ولقد ءاباًتا موسى الهدئ" موطئة للقسم، وصيغة الجمع في (أتينا) ( وأورثنا) للتعظيم.

المراد بالهدي ما تضمنته التوراة من الهدى في العقائد والأعمال، ( وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) وهو التوراة، قوله: (هدي وذكرى لأولى الألباب) مفعول من أجله، أي لأجل الهدى والتذكير.

وقال بعضهم: (هدي) حال، وورود المصدر المنكر حالاً معروف، كما أشار له في الخلاصة بقوله:

ومصدر منكر حالاً يقع بكثرة كتبة زيد طلع وقال القرطبي: (هدي) بدل من الكتاب، أو خبر مبتدأ محنوف.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة، من أن الله أنزل التوراة على موسى، وأنزل فيها الهدى لبني إسرائيل، جاء موضحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى:  
"ما أتينا موسى الكتاب وجعلناه هدياً لبني إسرائيل، إلا أن نخذوا من دون وكيلاً"، وقوله تعالى:  
"ولقد ءاباًتا موسى الكتاب فلا تكن في مريح من لقاءه، وجعلته هدياً لبني إسرائيل الآية، وقوله تعالى:  
"إنا أرسلنا الأورثة فيها هدى وترور يحكم يده أهل البيت الذين أرسلناه الذين هادوا وأهل البيت من الأحبة"، وقوله تعالى:  
"ولقد ءاباًتا موسى الكتاب، ومن بعد ما أهلكونا القرآن الأول بصداق للناس وهدى ورحمة لعلهم يذكركون"، وقوله تعالى:  
"ثم ءاية منا".
سورة غافر

مولى الكتب تماشا على الله أحسن وتقسيلا للكثير شيء وهدى ورحمة لعالمهم

ليبقوا رمياً يرمون»، وقوله تعالى: «وكتبنا له في الآلواح من
حکم شيء موعظة وتقسيلا للكثير شيء» الآية. إلى غير ذلك من
الآيات.

* قوله تعالى: (إن في صدوريهم إلا صبير ما هم 95

* يقول الله تعالى: (لخلق السمنوت والأرض أحكم من
خلق البشرين.

قد قدمنا إيضاحه في سورة الأعراف، في الكلام على قوله
 تعالى: ( قال فأهبطن بنيها فما يكون لك أن تتكبَر فيها)، وذكرنا هناك بعض
النتائج السيئة الناشئة عن الكبر.

* قوله تعالى: (وما يستوي الأعمى وال بصير والذين
عموا أو عجزوا الصليحون ولا ألسين) الآية.

قوله تعالى في هذه الآية الكريم: (وما يستوي الأعمى
والبصير) قد قدمنا الكلام عليه في سورة هود، في الكلام على
قوله تعالى: (مثل الفريقيين سائلًا عينو والأسيو والبسيت و السبيع
الآية.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «وَالَّذِينَ عَامَلُوا ٱلصَّرَّافَاتَ وَلَا ٱلْمُسِئِينَ» قد قدمنا إيضاح معناه بالأيات القرآنية، في سورة ص في الكلام على قوله تعالى: «أَمْ تَجَعَلُ ٱلَّذِينَ أَعْمَلُوا ٱلصَّبْرَ كَأَنَّهُمْ هُمْ ٱلْمَهْدُوِّينَ».

قوله تعالى: «إِنَّ ٱلساعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلْأَنَابِلَ لَا يُؤْمِنُونَ».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان، في الكلام على قوله تعالى: «لَكِنْ ٱلْكَذِّبِيْنَ يُضِلُّونَ وَأَعْمَلُونَ لَعَنَّهُمْ صَدَقَةً ٱلصَّعَابَةَ».

قوله تعالى: «وَقَالَ رَبِّكُمُ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُرِّ إِنَّ الْزَّيَّنَ يَسْتَكِبَرُونَ عَنْ عِبَادَيْكَ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَخِيرَـيْنَ».

قال بعض العلماء: «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُرِّ إِنَّ الْزَّيَّنَ يَسْتَكِبَرُونَ عَنْ عِبَادَيْكَ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَخِيرَـيْنَ».

وقال بعض العلماء: «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُرِّ إِنَّ الْزَّيَّنَ يَسْتَكِبَرُونَ عَنْ عِبَادَيْكَ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَخِيرَـيْنَ».

ولاء منافاة بين القولين؛ لأن دعاء الله من أنواع عبادته.

وقد أوضحنا هذا المعنى، وبناء وجه الجمع بين قوله تعالى: «وَإِذَا سَالَتَ عِبَادَي ٱلرَّحْمَٰنِ يَقُوبُ أَجِبَتُ دَعَوَتَهُمْ إِنَّ ٱلرَّحْمَٰنِ يَقُوبُ مَنْ ۙ أَسَأَلَهُ» مع قوله تعالى: «فَيَكْفِشُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنَّ شَئَنَا»، فأغنى ذلك عن إعادته.

هنا.
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِى جَعَلَ لِكُمْ أَيْنَالَ لِتَسْكَنُوا فِيهِ﴾

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لِكُمْ أَيْنَالَ لِيُبَايَعَانَهُ وَيُعْلَمَ نَفْسَهُ وَجَعَلَ الْمَهْيَأَ لَيْسَ مَيْلًا﴾، وفي سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَحَولَا َََٰٓإِبَاللَّٰٓٔآيَةَ وَجَعَلَنَا َََٰٓأَيِّهَا الْمَهْيَأَ مُبَيِّنًا لِيُبَيِّنَّا قَضَائِهِ مَنْ يُرِيكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿هَوَّ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّارٍ ثُمَّ مِّن نَّفْخٍ ثُمَّ مِّن عَلَقٍ ثُمَّ مِّن يَخَرِّجَكُم طَفِلاً ثُمَّ مِّن إِلَبْسَتِكُم ثُمَّ مِّن يَتَكَلَّمُوا﴾.

فقد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَوَّاهَا الْمَسِيحَ فَإِنَّهُ لَطَيِّبٌ مِّن شُعَبِهِ وَمَن يُنَزِّلُ مِّن مَّيْلٍ أَنْ يُبَيِّنَّاهُ لِيُبَيِّنَّا لَهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ وَلَعَلَّهُمْ يُعْلَمُونَ﴾.

قالوا: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يُقُولُ لَهُ كَمْ فَيُكُونُ﴾.

فقد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا قُولُونَا لِيُحَذَّرْنَاهُ إِذَا أَرْتَدَّنَا أَنْ نَقُولُ لَهُ كَمْ فَيُكُونُ،﴾

وبينا أوجه القراءة في قوله: (فيكون) هناك.
بالنسبة إلى النص، باللغة العربية:

* قوله تعالى: (أدخلوا أبواب جهنم حيتين فيها فَنَسَبُ. مَثْوَى الْمُسْتَكْبَِيْنِ). *

لم يبين هنا جل وعلا عدد أبواب جهنم، ولكنه بين ذلك في سورة الحجر، في قوله تعالى: (وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمْ يَضْعَفْهَا أَجَّاهِينَا. لَهَا سَبْعَةً. أَبْوَابُهَا لَكِ بِغَيْرِ يَدِينَهَا جَرَّى مُقَسَّمَةً). *

* قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مِنْ قَصَصَنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مِنْ لَمْ نَقْصَصْ عَلَيْكَ). *

ما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن الله تبارك وتعالى قص عليه نبيه عليه السلام أبناء بعض الرسل، أي كنوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعبة، وموسى، وأنه لم يقصص عليه أبناء رسل آخرين، ببيني في غير هذا الموضوع، كقوله في سورة النساء: (وَرَسَلُ اٍ قَدْ قَصَصْنِئْلَهُ مِنْ قَبْلِ وَرَسَلُ اٍ لَمْ نَقْصَصْ عَلَيْكَ وَكَمْ اٍ لِلَّهِ مُوسِئ). 98(تَصْيِيمًا)، وأشار إلى ذلك في سورة إبراهيم في قوله: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوُّ يَوْمَينَ مِنْ قَلِيلٍ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ تُخَطِّئُنَّ لا يَعْفَ عَنْهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَادِّيَـزُهُمْ رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَتِ). الآية، وفي سورة الفرقان في قوله تعالى: (وَعَدَّاً وَنَعْمَدَ أَضْحَبَ أَرْسِلْنَ وَقُرْنُوا بِذَلِكَ كَبِيرًا). إلى غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: (فإِذَا جَآءَ أَمَرُ اللَّهِ فُضُّيَّ بَالْحَقِّ وَحَسْرَ). *

هُنَا لَكَ مَبْطَّلُوْنَ. (187)

قوله هنا: (فإذا جاء أمر الله) أي قامت القيادة، كما قدمنا إيضاحه في قوله تعالى: "أَنَّ أَمَرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ" أي فإذا قامت القيادة قضى بالناس بالحق الذي لا يخلطه حيف ولا جور، كما
قال تعالى: "وَأَشْرَقَّ الْأَرْضُ رَيْبًا وَوُضِعَ اللَّكْنَةَ وَجَآؤَ إِلَيْهِ يَلِينُضَ وَأَلْصَدَاهَا وَقَضِيَ بِنَبِيِّهِ الْحَقَّ الآية، وقال تعالى: "وَثُرِيَ الْمَلِكِيَّةُ حَافِيظًا مِّنْ حَوَالِ عَلَيْهِ يَسِيرُونَ بِحَمَّادِ رَبِّهِمُ وَقَضِيَ بِنَبِيِّهِ الْحَقَّ".

والحق المذكور في هذه الآيات: هو المراد بالقسم المذكور في سورة يونس في قوله تعالى: "وَلْيَشْهَدْ أُحَمَّدُ رَسُولٍ إِذَا جَآءَهَا رَسُولُهُمُ فَقُضُّبُ بَيْنِهِمْ بِالْقِيَسَتِ".

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أنه إذا قامت القيادة يخسر المبطلون، أوضحه جل وعلا في سورة المجادلة في قوله تعالى: "وَلَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ نَقُومٍ السَّاعَةِ يَخْرُجُ أَيُّهُ الْقَاعِدُونَ قُسُومًا".

والمبطل: هو من مات مصراً على الباطل.

و*sinفان المبطلين المذكور هنا، قد قدمنا بيانه في سورة يونس، في الكلام على قوله تعالى: "فَقَدْ خَيَّرَ اللَّهُ لَهُ كَذِبَّوْا يَلِيقَوْهُ اللَّهُ وَمَا كَانُوا مُهْتَيِّنِينَ".

/ قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْفُثَ لِتَرْسَكُبُوا 99 مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" وَلَكُمُ فِيهَا مُنْتَجٌ وَلاَ تَضْرِبُوا عَلَيْهَا حَالَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحْمَلُونَ.

قد قدمنا أن لفظة "جَعَل"، تأتي في اللغة العربية لأربعة معان، ثلاثة منها في القرآن:

الأول: إيتان "جَعَل" بمعنى اعتقدم، ومنه قوله تعالى: "وَجَعَلُوْا الْمَلِكِيَّةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ اللَّهِ إِنَّمَا هُمْ أي اعتقدواهم إناها، ومعلوم أن هذه تنصب المبدأ والخبر."
الثاني: «جعل» بمعنى صيرً، كقوله: مَحَيَّ جَعَلْنَاهُمْ حَسَبًا خَيْبِينِ، وهذه تنصب المبتدا والخبر أيضاً.

الثالث: «جعل» بمعنى خلق، كقوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ أي خلق السماوات والأرض وخلق الظلمات والنور.

والظاهر أن منه قوله هنا: ﴿الله الذي جعل لكم الأمم﴾ أي خلق لكم الأعصاب، وبهذا يفيد ذلك قوله تعالى: ﴿والأنعم خلقها لحكم﴾، وقوله: ﴿أولئك يرون أنا خلقنا لهم بعضاً حكماً آمناً أنعموا بهم﴾ الآية.

والرابع، وهو الذي ليس في القرآن: «جعل» بمعنى شرع، ومنه قوله:

وقد جعلت إذا ما قمت يتقلني ن две فأنهض نهض الشارب الشكير."}

وما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية الكريم، من الأمنان بهذه النعم الكثيرة التي أنعم عليهم بها، بسبي خلقه لهم الأعصاب، وهي الذكور والإناث من الإبل والبقر والضأن والمعز، كما قدمنا إيضاحه في سورة آل عمران في الكلام على قوله: (والأنعم خلقها لحكم فيها وف، ومنتبغ ومتها تأكرون وكم فيها جمال جبين وعينان وعيون نيرتان، وتحصى أقدام الحكم إلى بلد، أو تكونوا بليلك إلا يشقي الأنفس)، والدفع ما يتدفون به في الثياب المصنوعة.
من جلود الأنعام وأوبارها وأشعارها وأصواتها، وقوله تعالى:
» وجعلت لك من جلود الأنعام مطعّنات من يوم يطبعونها يوماً وثلثينكم ويوم إثني عشركم ومن أصواتها وأوبارها وأشعارها أنت وما بعدها إلى حين.»
وقوله تعالى:
» أولاً يرجون أن حلفنا لهم بما عملت أبدًا أن تعصموا لهم ليحكمو منكرون ولأثركنها فكم فيها من نفع وضمان فأ فلا يشكرون،»
وقوله تعالى:
» وإن للك في الألف لابرة تفيقين ما في بطونها من بين غرف وودر لا تعلمها إلا الله.»
وقوله تعالى:
» وإن لك في الأنفس لابرة تفيقين ما في بطونها وكيف فيها مفيق كذرة وهمها كلون. وعلماً على الافتيك تحملون»
وقوله تعالى:
» وربك في الأنف يحمولة وذكرناها مهما رفعته الله ولا تتغيض خروج السبطين إنه لمكم عدو مبين.»
ظنيت آزوج من آزوج أنتين ومن السبع آسنين إلى قوله:
» أم كنت شهادًا إذ وصفحكم الله بهذَا؟»
وقوله تعالى:
» جعل لكم من أنفسكم آزوجًا وين الأنف آزوجًا الآية، وقوله تعالى:
» وألبى خلق الأزوج كلهًا وجعل لكم من الافتيك والانف ما تركب تكن الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلِيَّةُ الْأَلْبَى مِن قَبْلِهِمْ» الآية.

قد ذكرنا الآيات الموضحة له في مواضع متعددة من هذا الكتاب / المبارك، وبينما مواضعها في سورة الروم، في الكلام على قوله تعالى: «أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلِيَّةُ الْأَلْبَى مِن قَبْلِهِمْ» الآية.
قوله تعالى: "فَلَمَّا يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسْتَنَتْلَلَّ آلِلَّهُ الَّذِي قَدْ خَلَتْ فِي عَبَادِهِ وَخَيْرَ هُمْ كُلَّ الْكَبِيرِينَ".

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة يونس في الكلام على قوله تعالى: "أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ مَا أَمَنتُمْ بِهِ مَأْلِئَةٌ وَقَدْ كَنْتُمْ يَفْتُنُونَ تَسْتَعِجَّلُونَ"، وفي سورة ص في الكلام على قوله تعالى: "فَادْعُوا وَلَاتَ جَبِيلَ مَنَاسِقَهَا".
سورة فصلت
قوله تعالى: {حسب تزيين من الأيام الرجيم}.
قد قدمنا الكلام عليه وعلى نظائره من الآيات، في أول سورة الزمر.

قوله تعالى: {كتب قيصر أبينه}. (كتاب) خبر مبتدأ محذوف، أي هذا كتاب، والكتاب: فعّال بمعنى مفعول، أي مكتوب.

وإنا قيل له كتاب; لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: {بطل هو قولان مكذوب} في {لآج تحقوقي}. ومكتوب أيضاً في صحف عند الملائكة، كما قال تعالى: {كلما ذكرت} من شأنه. دكر في {صحف مكرور} مرفوعاً مطنوراً. بأيدي سفر {أربع كرام بزرز}.

وقال تعالى في قراءة النبي لما تضمتها الصفح المكتوب فيها القرآن: {رسول من الله يقرأ حكماً مطهراً} في كتب قيصرة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {قصيلة أبينه}. التفصيل ضد الإجمال، أي فصل الله آيات هذا القرآن، أي بينها.
أوضح فيها ما يحتاج إليه الخلق من أمور دينهم ودنياهم.
والمسؤل لحذف الفاعل في قوله تعالى: «كُتِبَتْ اِنْكَثَارًا» هو
العلم بأن تفصيل آيات هذا القرآن لا يكون إلا من الله وحده.
وما تضمنت هذه الآية الكريمة من تفصيل آيات هذا الكتاب،
صحة موضحاً في آيات أخرى، مبيناً فيها أن الله فصله على علم منه،
وأن الذي فصله حكيم خبير، وأنه فصله لبهديه الناس ويرحمهم،
وأن تفصيله شامل لكل شيء، وأنه لا شك أنه منزل من الله، كقوله 
تعالى: «وَلَا يُكَتِبُ الْخَبَرُ إِلَّا أَنْ تُقَصَّرِ النِّفَاثَةُ عَلَى مُهَادِي نَحْرَةٍ لَّفْوُورٍ يَوْمَنَ»،
وقوله تعالى: «كَبِيرُ الْأَحْكَامِ كَبِيرُ قَصْدَهُ مِنْ أَرْبَعِينَ حُكْمٍ خَيْرٍ»،
وقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَى مُعْلِمَ الْكِتَابِ مُقَصَّرًا»، والآيات بمنزل تلك كثيرة.

قوله تعالى: «فَأَعْرِضْ أَمَامَهُمْ فَهُمْ لا يُسَمِّعُونَ».

قوله (قرآنا عربياً) قد تكلمنا عليه وعلى الآيات التي بمعناها في
القرآن في سورة الزمر، في الكلام على قوله تعالى: «فَأَعْرِضْ أَمَامَهُمْ عِيْنَ».

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «فَأَعْرِضْ أَمَامَهُمْ»، أي
فصلت آياته، في حال كونه قرآنا عربياً، تقوم يعلمون.

وإذنا خصهم بذلك؛ لأنهم هم المنتفعون بتفصيله، كما
سورة فصلت

خصصهم بتفصيل الآيات في سورة يونس في قوله تعالى: ﴿ما خلق الله ذلک إلا للثنيين﴾، وفي سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قد كتبنا الألفية لقوم يعلمون﴾ وهو الذي أنشأكم من فئتين وجعلكم له قواما ومسؤولاً ففصلنا الآلتين لقوم يفقهون إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أوضحنا وجه تخصيص المنتفعين بالأمر المشترك دون غيرهم في سورة فاطر في الكلام عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُذِرُ الْيَتَّجِهِينَ﴾ يُشْكِّرُونَ رِيَاضَيْنِ بَلْغِيْهِنَّ وَأَقَامُواِ / أَلسَّنَةِ﴾، وبيان هناك أن تخصصهم بالإ nowrap

بالإنذار دون غيرهم، في آية فاطر هذه، وفي قوله تعالى في بس ﴿إِنَّمَا نُذِرُ مِنْ أَنْبِعَ الْبَحْرِ وَجِبْحِي الْخَمَنِ بَلْغِيْهِ﴾، وقوله في النازعات: ﴿إِنَّمَا أُذِرْتُ مِنْ أَنْبِعَهَا﴾، وقوله في الأعراف: ﴿وَأَنْذَرْ يَتَّجِهِينَ يُصَبِّحُونَ أَنْ يُشْكِّرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ ذِوِّ الْقُروضِ وَلَا شَفِيعٌ﴾ الآية، مع أن أصل الإنذار عام شاملاً للمذكورين وغيرهم، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عِبَادِهِ لِيَكُونُ لِلنَّاسِ نُزُولًا﴾.

وإذا خص المذكورين بالإ nowrap؛ لأنهم هم المنتفعون به؛ لأن من لم ينذروا بالإ nowrap، ومن لم ينذر أصلاً سواء في عدم الاندفاع، كما قال الله تعالى: ﴿سواءً عَلَيْهِنَّ أَنْذَرْنِهِمْ أَمْ لَنُذِرْنِهِمْ لا يَوْمُونَ﴾.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿بَشَّرِيْنَ وَنِذِّرْيَا﴾ حال بعد حال. وقد قدمنا الكلام عليه وبعض شواهده العربية في أول سورة الكهف في الكلام عليه قوله تعالى: ﴿لْيُذِرْ بِأَسْأَالِيْدَكَ أَنْذَرْ النَّاسِ وَبِيَشْرَرْatoes مُؤَمَّنِينَ﴾ الآية، وبسطنا الكلام عليه في أول سورة الأعراف في الكلام عليه قوله تعالى: ﴿أَنْذَرْ أَوْلِيَاءُ عَلَيْهِنَّ ﺗُبَيِّنَ فِي صَدْرِكَ حَجَرَ يَمْشِيهِ﴾.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «فَأْفَازَ أَسْأَلَاهُمْ». قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: «أَلَقَّدْ حَقَّ الْقُولَ عَلَى أَكْرَمِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ»، وفي سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: «وَإِن تَجْعَلُوا أَسْأَلَةَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ». 

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «لَا يَسْمَعُونَ» أي لا يسمعون سماع قبول وانتفاع.

/ وقد أوضحنا ذلك بالآيات القرآنية في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَشْعُرُ أَمْوَكَ وَلَا تُقْنِعُ أَمْثَلَ الدَاخِلِينَ» الآية.

* قوله تعالى: «وَقَالُوا قَلَوْنا فِي أَسْكِنَةِ مَيَا نُذُوعُ يَلِيَّ وَفِي أَذَاثِنَا وَقَرْآءِ وَمِن بِنْيَانِ وَبَيْنِيَّ حَجَابٌ». 

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار صرحوا للنبي ﷺ بأنهم لا يستجيبون له ولا يؤمنون به، ولا يقبلون منه ما جاءهم به، فقالوا له: قلوبنا التي نعقل بها ونفهم في أكثرة، أي أغطية. والأكثرة، جميع كنان، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء وينمنعه من الوصول إليه.

ويعون: أن تلك الأغطية مانعة لهم من فهم ما يدعوه إليه ﷺ، وقالوا: إن في آذانهم التي يسمعون بها وقرأً، أي: نقلًا، وهو الصمم.

وأن ذلك الصمم مانع لهم من أن يسمعوا من النبي ﷺ شيئاً مما يقول، كما قال تعالى عنهم: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَسْمَعُونَ لِذَٰلِكَ الْقُرْآنَ وَالْعَظِيمَ».
وأن من بينهم وبينه حجاباً مانعاً لهم من الاتصال والاتفاق؛ لأن ذلك الحجاب يحجب كلًا منهم عن الآخر، ويحول بينهم وبين رؤية ما ييديه من الحق.

والله جل وعلا ذكر عنهم هذا الكلام في معرض الذم، مع أنه تعالى صرح بأنه جعل على قلوبهم الأكثرة، وفي آذانهم الورق، وجعل بينهم وبين رسوله حجاباً عند قراءته القرآن، قال تعالى في سورة بني إسرائيل: { وأما قرآت الرقمن جعلناها بículك وبين آذرود الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكثرة أن يفقهوا وفي آذانهم وقرآً، وقال تعالى في الأععم: { وَمِنْ يَسَاعُ إِلَّا وَجْهًا تَحْتَهُ وَجْهًا يُرَى}، وقال تعالى في الكهف: { إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قلوبه مَكَانًا أَن يَفْقِهُوا فِي آذانهم وقُرآً وَإِنْ تَدْعُوُهمُ إِلَى الْهَيْدَر}. فلَن يَنْتَهُوا إِذَا أَبَداً.}

ووهذا الإشكال الذي أشرنا إليه في هذه الآيات قوي، ووجه كونه مشكلاً ظاهرًا لأنه تعالى ذمهم على دعواهم الأكثرة والورق والحجاب في هذه الآية الكريمة من فصلت، وبين في الآيات الأخرى أن ما ذمهم على ادعايتهم واقع بهم فعلاً، وأنه تعالى هو الذي جعله فيهم.

فقال: فكيف يذمون على قول شيء، هو حق في نفس الأمر؟

والتحقيق في الجواب عن هذا الإشكال، هو ما ذكرنا مراراً من أن الله إنهما جعل على قلوبهم الأكثرة، وطبع عليها وختم عليها، وجعل الورق في آذانهم، ونحو ذلك من الموانع من الهدى، بسبب أنهم بادروا إلى الكفر وتكذيب الرسول طائعين مختارين، فجازهم الله.
على ذلك الذنب الأعظم، طمس البصيرة، والعصي عن الهدى، جزاء وفاقتًا.
فالألسنة والوقير والحجاب المذكورة إنما جعلها الله عليهم مجازاة لكفرهم الأول.
ومن جزاء السيدة تمادي صاحبها في الضلال، والله الحكمة البالغة في ذلك.
والآيات المصرحة بمعنى هذا كثيرة في القرآن، كقوله تعالى:
» وَقَالَ قَوْلًا آتَاهُ ابْنُ سُهاَيْلٍ لَّا يَكْفَرُونَ جَعَلْنَا مَكَةَ كُفَّارًا ".
قول اليهود في الآية: قُلْ نَا عَلَيْنَا كُفَا نَّا مكة: كُفَّارًا في أَسْوَيْنَا "؛ لأن الغُلَّاف جمع أغفل وهو الذي عليه غلاف، والألسنة جمع كنان، الغلاف والكنان كلاهما بمعنى الغطاء الساطر.
وقد رد الله على اليهود دعواهم بـ (بل) التي هي للأضراب الإبطالي، في قوله: بل طمع الله علينا بِكُفَّرُهُم ".
فالاباء في قوله: (بِكُفَّرُهُم) سبب، وهي دالة على أن سبب الطبع على قلوبهم هو كفرهم، والألسنة والوقير والطبع كلها من باب واحد.
وكقوله تعالى: » ذلِكَ يَوْمَ يَأْتُونَهُ مَنْ أَمَاتُوهُمْ كَذَّبُوا قَطْعًا عَلَى قَلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَقْفِهُونَ؟ "، والفاء في قوله: (فَطُعُب) سبب، أي ثم كفرنا فطبع على قلوبهم بسبب ذلك الكفر.
وقد قدمنا ماراً أنه تقرر في الأصول أن النافن من حروف التعليل، ومن المعلوم أن العلة الشرعية سبب شرعي.
وكذلك الناف في قوله: فَهُمْ لَا يَقْفِهُونَ؟ فهي سبب أيضاً،
أي فطع على قلوبهم، فهم بسبب ذلك الطبع (لا يفقهون) أي لا يفهمون من براهين الله وحجه شدته.

وذلك ما يبين أن الطبع والأكثرة يؤول معناهما إلى شيء واحد، وهو ما ينشأ عن كل منهما من عدم الفهم؛ لأنه قال في الطبع: «فطع على قلوبهم فهَّر لا يفقهون»، وقال في الأكثرة: «وجَّهَّنَا على قلوبهم أكثرة أن يفقهوه» أي كراءة أن يفقهوه، أو لأجل ألا يفقهوه، كما قدمنا إيضاحاه.

وكقوله تعالى: «فلما زاغوا آن أذاعة الله قلوبهم» فبين أن زاغهم الأول / كان سبباً لإزاغة الله قلوبهم، وتلك الإزاغة قد تكون بالأكثرة والطبع والبختم على القلب.

وكقوله تعالى: «في قلوبهم مرض فراردهم الله مرضًا»، وقوله تعالى: «ونَقِلَّبٌ أُفَتَّدَهُمْ وآتَصَدَّرَهُمْ كمَا لَوْ يَوْمَئِذٍ يَوْمُومُوا يَأْوُلَ مَرَضٍ» الآية، وقوله تعالى: «وَأَمَّا الْبُيَّنَتُ في قلوبهم مرض فراردهم يجعله إلى يجسهم الآية.

وايضاح هذا الجواب: أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: «قلوباً في أسِنىً يُتمَّ أَمَانًا في إذانينا وقرر ومن بنيا وبيتكم الجحاب» يقصدون بذلك إخباره بأنهم لا يؤمنون به بوجه، ولا يتبعونه بحال، ولا يقررون بالحق الذي هو كون كفرهم هذا هو الجريمة والذنب الذي كان سبباً في الأكثرة والوقر والحجاب.

فقدعواهم كاذبة; لأن الله جعل لهم قلوباً يفهمون بها، وآذانًا يسمعون بها، خلافاً لما زعموا، ولكنه سبب لهم الأكثرة والوقر والحجاب، بسبب مبادرتهم إلى الكفر وتكذيب الرسول .
وقد حاول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة الجواب على الإشكال المذكور، فقال: فإن قيل: إنه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض الدم، وذكر أيضاً ما يقرب منه في معرض الدم، فقال: وَقَالُوا قُلُوبُنَا عُطِفَتْ بِلْ أَعْمَلُونَا لَهُمْ نَزُولُهُمْ أَيَّجَّرُونَهُمْ، ثم إنه تعالى ذكر هذه الأشياء الثلاثة بينها في معنى التقرير والإثبات في سورة الأع마ع، فقال: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِكُمْ أَكْبَسَةً تَقْفَهُوْا فِي أَذَٰلِكَ، وَقَرَأْ فَكَيْفَ الجمع بينهما؟

قلنا: إنه لم يقل هنا: إنهم كذبوا في ذلك، إنما الذي ذمهم عليه أنهم قالوا: إذا كنا كذلك، لم يجز تكليفنا وتوجيه الأمر والنهي علينا.

وهو هذا الثاني باطل، أما الأول: فلأنه ليس في الآية ما يدل على أنهم كذبوا فيه. اهـ منه. والأظهر هو ما ذكنا.

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى: وَمِن بَيْنِي وَبَيْنِكَ حَجَابُ.

فإن قلت: هل لزيادة (من) في قوله: (ومن بينا وبينك حجاب) فائدة؟ قلت: نعم؛ لأنه لو قيل: وبيننا وبينك حجاب، لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين.

وأما بزيادة (من) فالمعنى: أن حجاباً ابتدأ منا وابتداً منك، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستويّة بالحجاب، لا فراغ فيها. انتهى منه.
واستحسن كلامه هذا الفخر الرازي، وتعقبه ابن المنير على الزمخشري، فأوضح سقوطه، والحق معه في تعقبه عليه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ بَيْنِي وَبَيْنِكَ جِبَالٌ﴾ قد قدمنا تفسيره وإيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأَتَ الْقُرْآنَ جَعَلَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آنِئِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَجَابَ عَلَيْهِمْ أَن يُؤْمِنُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلُ اِنِّي أَنَا بَيْشَرٌ مُّبِلَّكُرُ يُوحِيُّ إِلَى أَنَا إِلَهُ أَوَحِيَ إِلَيْهِ وَجَدٍْ﴾.

أمر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة نبيه ﷺ أن يقول للناس: ﴿إِنِّي أَنَا بَيْشَرٌ مُّبِلَّكُرُ يُوحِيُّ إِلَى أَنَا إِلَهُ أَوَحِيَ إِلَيْهِ وَجَدٍْ﴾.

والقصر في قوله: ﴿إِنِّي أَنَا بَيْشَرٌ إِضَافِيًّا، أَيْ لَا أُقُولُ لِكَمْ إِنِي مُلُكٌ، وَإِنِّي أَنَا رَجُلٌ مِنَ البَشْرِ وَقُولُهُ: ﴿مُبِلَّكُرُ﴾ في الصفات البشرية، ولكن الله فضلني بما أُوْحِي إِلَيْهِ مِنَ التِّوْحِيِّد.

كما قال تعالى عن الرسول في سورة إبراهيم: ﴿قَالَ تَلَلَّهُمْ رُسُلَهُمْ إِنْ تَحْيَنَ إِلَآ بَشَرٌ يَلْعَبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمِينُ عَلَيْنَ مِنْ يَسْتَأْنِيْنَ قَرَاءَتَهُمْ أَيْ كَمَا مِنَ علينا بالوحي والرسالة.

وأما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ذكره في آخر سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿قُلُ إِنِّي أَنَا بَيْشَرٌ مُّبِلَّكُرُ يُوحِيُّ إِلَى أَنَا إِلَهُمْ إِلَهُ وَجَدٍْ فَيُمَلِّمُ عَلَى صِبَاحِهِمْ الْآيَةِ﴾.
وقد أوضحنا وجه حصر ما أوحي إليه في مضمون "لا إله إلا الله" في قوله تعالى: "قل إنما يأتيُ إلَّا أن نأيَّمَكُمْ إلَّا أن تؤمنوا فهُمُ أنصارُ مُسْلِمُونَ في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي إِلَىِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَيُؤْمِنُونَ في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك إنكار المشركين كون الرسول من البشر، وأنهم ينبغي أن يكونوا من الملائكة، وما رد الله عليهم به ذلك من الآيات القرآنية، أوضحنا ذلك في سورة ص، في الكلام على قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا جَاهِزَةً مَّيِّثَرًا وَفِي سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: "وَمَا مِنْ أَلْبَاسَ أَن يُؤْمِنَّاهُ إلَّا قَالَهَا مُلْكًا رَسُولاً.

* قوله تعالى: "وَفَوْقُ الْمُشْرِكِينَ أَلْيَنِّينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكْوَةَ وَهُمْ بالآخرين كفُرُونَ.

قد استدل بعض علماء الأصول بهذه الآية الكريمة على أن الكفار مختاطبون بفروع الشريعة؛ لأنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة بأنهم مشركون، وأنهم كافرون بالآخرة، وقد توعدهم بالويل على شركهم وكفرون بالآخرة، وعدم إيتائهم الزكاة، سواء قلنا إن الزكاة في الآية هي زكاة المال المعروفة، أو زكاة الأبدان بفعل الطاعات واجتناب المخاصب.

ورجح بعضهم القول الأخير؛ لأن سورة فصلت هذه من القرآن النازل بعامة قبل الهجرة، وزكاة المال المعروفة إنما فرضت بعد الهجرة سنة أربعين، كما قدمناه في سورة الأعام، في الكلام على قوله تعالى: "وَأَنَا أَحَقُّ مَعَكَ حَسَبًا".
وعلى كل حال، فالآية تدل على خطاب الكفาร بفروع الإسلام. أعني امتناع أوامر واجتياز نواهيه.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمه من كونهم مخاطبين بذلك، وأنهم يذبون على الكفر، ويذبون على المعاصي، جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى علهم مقرراً له: "فَمَّا سَلَّمَكُمْ فِي سَقْرِ فَلَا أَلْزَمْكُمْ وَلَا تَطَهَّرْنِي عَلَيْهِمْ وَكُنْتُمْ مَعَ الْمُسْتَفِيضِينَ وَقُلْتُمْ نَحْوُضُ مَعَ أَلْيَاضِينَ وَكَذَا نَذِكْرُ نِّيَمَهُ الَّذِينَ مَعَنَا للهِمْ رَزِيْقَةٌ". ـ 17

فصرح تعالى عليهم: مقرراً له، أن من الأسباب التي سلكتهم في سقر، أي أدخلتهم النار، عدم الصلاة، وعدم إطعام المسكين، وعَدَّ ذلك مع الكفر بسبب التكذيب بيوم الدين.

وتنظر ذلك قوله تعالى: "خُذُوهُ فَأَعْلَمُوهُ فَرِّقُوا مَّطَابِعَهُمْ فَرَّقُ في نَظَرِ الْمَطَابِعِ"، ثم بين سبب ذلك فقال: "إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِلِلْهَيْلَ"، ولا يُحَذَّرُ لَعَلَّهُمْ تَظَيَّنُوا فَلَنْ تُحِبَّضَ عَلَى طَعَامِ الْيَسِيْمِينَ وَلَا تَطَعَّمَ الَّذِينَ إِلَّا غَيْشَلِينَ"، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَلَّهُمَّ أَجْرُ عَيْرٌ مَّمْنُونٌ".

الأجر جزاء العمل، وجزاء عمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات هو نعيم الجنة، وذلك الجزاء (غير ممنون) أي غير مقطوع، فالممنون اسم مفعول منه بمعنى قطعه، ومنه قول بيد بن ربيعة في معلقته: لمعفر فهد تنارع شَلُوْهُ غُبْسُ كُوَّاِسِبٌ ما يَمِن طعامها.

فقوله: ما يمن طعامها، أي ما يقطع.
وقول ذي الأصلع:

إني لعمرك ما بابي بذي غلق على الصديق ولا خيري بممنونٍ،

وأما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن أجرهم غير ممنون،

نص الله تعالى عليه في آيات آخر من كتابه، كقوله تعالى في آخر سورة الاشكال: "إِلاَّ الْأَلْدَىَّينَ إِمَّةً وَعَمِلُوا الصَّبَلُحَاتُ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرٌ مَّمَنُونٍٖ"، وقوله تعالى في سورة التنين: "إِلاَّ الْأَلْدَىَّينَ إِمَّةً وَعَمِلُوا الصَّبَلُحَاتُ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرٌ مَّمَنُونٍٖ"، وقوله تعالى في سورة هود: "وَأَمَّا الْأَلْدَىَّينَ سُجِّدَا أَمَّنَعَانِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي هَا مَآذِيَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ مَا أَمَسَّهَا رَبُّ عَطَا".

فقوله: (غير مجزوذ) أي مقطوع؛ وبه تعلم أن (غير مجزوذ) و (غير ممنون) معناهما واحد.

وقوله تعالى في ص: "إِنَّ هَذَا لِرِزْقَتِنَا مَا لَرِزْقِنَا إِنِّي مَا لِي مِنْ انتهاء ولا انقطاع، وقوله في النحل: "ما عَنَّيْكُمْ بَنْفُذُوا مَعِيْنَةً الْحَمَّامَةَ بَاقِيَةً".

وأيما ذكرنا هو الذي عليه الجمهور، خلافاً لمن قال: إن معنى (غير ممنون) غير ممنون عليهم به، وعليه، فالم يذكر معنى الآية من جنس المذكور في قوله تعالى: "لَبِينَتُوْاَصِدَقُّتمُ بِالْمَلَيْكُومُ، أَلَمْ يَأْمُرُكُمْ بِالْأَذَىٖ".

ومن قال: إن معنى (غير ممنون) غير منقوص، محتجاً بأن العرب تطلق الممنون على المنقوص، قالوا: ومنه قول زهير: فضل الجِبادَة على الخيل البطاء فلا يعني بذلك ممنونا ولا نرقاً.

فقوله: "ممنونا" أي منقوصاً.

وأيما ذكرنا هو صاح لغة، فالآخرون أن ليس معنى الآية، بل معناها هو ما قدمنا. والعلم عند الله تعالى.
سورة فصلت

قوله تعالى: *(وَجَعَلْهُ فِي هَا رُوسَى مِنْ قَوْفَهَا وَتَرَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَامٍ)*.

الظاهرة أن معنى قوله هنا: (في أربعة أيام) أي في تتمة أربعة أيام.

وتنتمي الأربعة حاصلة ببئاتين فقط؛ لأنه تعالى قال: *(فَقُلْ أَيَّنَ ِّكُمْ لَتَكْفُرُونَ إِلَّا حَتَّى لَنْ أَخْلِقَ الْأَرْضَ فِي وَمَيْنَينَ*، ثم قال: (في أربعة أيام) أي في تتمة أربعة أيام، ثم قال: *(فَقُضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَائَاتٍ فِي يَوْمَيْنَ*، فنظم الاليومين إلى الأربعة السابعة، ليكون مجموع الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض وما بينهما، ستة أيام.

117 / وهذا التفسير الذي ذكرنا في الآية لا يصح غيره بحال؛ لأن الله تعالى صرح في آيات متعددة من كتابه بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، كقوله في الفرقان: *(لَيْلَى خَلَقَ الْسَّمَائَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَبْعَةِ أَيَامٍ*). ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعُرْشِ الْقَرْنِينَ فَسَمَّى بِهِ هَٰذِهِ الْبُلْبُلُ (٢٠). وقوله تعالى في السجدة: *(لَيْلَى خَلَقَ السَّمَائَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَبْعَةِ أَيَامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعُرْشِ الْقَرْنِينَ فَسَمَّى بِهِ هَٰذِهِ الْبُلْبُلُ*). وقيل فيما بينهما في سبعة أيام، وقيل في ليلة وسبعة أيام، وقيل في سبعة أيام، وقيل في سبعة أيام، وقيل في سبعة أيام، وقيل في سبعة أيام. وقيل: *(وَلَقَدْ خَلَقَ الْسَّمَائَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَبْعَةِ أَيَامٍ*). وقيل: (بِيْنَهُمَا فِي سَبْعَةِ أَيَامٍ) وقيل: *(إِنَّ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَائَاتِ وَالأَرْضَ فِي سَبْعَةِ أَيَامٍ*).

فَلَوْ نَفِسُ قَالَتُهُ تَعَالَى: *(وَجَعَلْهُ فِي رُوسَى مِنْ قَوْفَهَا وَتَرَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَامٍ)*. بأن معناه: في تتمة أربعة أيام، لكان المعنى أنه تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ثمانية أيام، لأن قوله تعالى: *(وَجَعَلْهُ فِي رُوسَى مِنْ قَوْفَهَا وَتَرَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَامٍ)* إذا فسر بأنها أربعة أيام.
كاملة، ثم جمعت مع الويدين الذين خلقته فيهما الأرض المذكورين في قوله: «قل أيتمكم تكفرن بالذي خلق الأرض في يومين»، واليومين الذين خلقته فيهما السماوات المذكورين في قوله تعالى: «فَقَضِيْنِ ١٦٦ سَبَعَ سَمَوَاتٍ في يوْمِينِ»، لكان المجموع ثماني أيام. وذلك لم يقل به أحد من المسلمين.

والنصوص القرآنية مصرحة بأنها ستة أيام، فعلم بذلك صحة التفسير الذي ذكرنا، وصحة دلالة الآيات القرآنية عليه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «وَحَقّ فِيهَا رَوْاسِي مِن قُوَّتِهَا» قد قدمنا الكلام على أمثاله من الآيات في سورة النحل في الكلام على / قوله تعالى: «وَأَلْقِنَ فِي الأَرْضِ رُوَايَةً أَنْ تَمِيدَ يَصِيبُ» الآية.

وقوله تعالى: «وَتَرْكُوهَا» أي أكثر فيها البركات، والبركة الخير.

وقوله تعالى: «وَقَدْ رَفَعَهَا فَأَفْتَنَهَا» التقدير والخلق في لغة العرب معناهما واحد، والأقوات جمع قوت، والمراد بالأقوات أرزاق أهل الأرض ومعايشهم وما يصلحهم.

وقد ذكرنا في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» أن آية فصلت هذه، أعني قوله تعالى: «وَقَدْ رَفَعَهَا فَأَفْتَنَهَا» يفهم منها الجمع بين الآيات الدالة على أن الأرض خلقت قبل السماء، كقوله هنا: «قُلِّ أَيْتُمْكُمْ تُكْفِرُونَ بِالذِّي خَلقَ الأَرْضَ في يوْمِينِ»، ثم رتب على ذلك بـ «ثم» قوله: «فَخُصُوصْنِ ١٦٧ إِلَى اسْتُوْيَتِيهَا كَمَان» إلى قوله: «فَقَضَيْنِهِ ١٦٨ سَبَعَ سَمَوَاتٍ في يوْمِينِ»، مع بعض الآيات الدالة على أن
السماء خلقتم قبل الأرض، فقلوه تعالى في النازعات: "ألم تَسْلَمُوا خَلْقَ ۖ أَمِّ الْأَرْضِ فَتَحَتَّمْنَاهَا ۚ وَأَلْقُوهَا قَبْلَ ذَٰلِكَ دَخْلَهَا".

فقالوا في كتابنا المذكور ما نصه: قوله تعالى: "هَوَّا الَّذِينَ خَلَقْنَ" لكُمْ مَا في الأرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسَخَّرْنَاهَا إِلَى السَّمَاوَاتِ الآية، هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء، بدليل لفظة (ثم) التي هي للترتيب والانفصال.

وكل ذلك آية حم السجدة، تدل أيضاً على خلق الأرض قبل السماء؛ لأنه قال فيها: "قُلِ اِبْتِرَكْنَ مِنْ هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ فِي يَوْمِيْنِ" إلى أن قال: "ثُمَّ كَأَنَّا قَلْوُهَا إِلَى آتِيهَا وَرَحْمَةٌ لَكُمْ" الآية.

مع أن آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء؛ لأنه قال فيها: "إِنَّمَا أَشْدَدْ حَلَقًا أَمِّ الْأَرْضِ فَتَحَتَّمْنَاهَا ۖ وَأَلْقُوهَا قَبْلَ ذَٰلِكَ دَخْلَهَا".

أعلم أولاً أن ابن عباس رضي الله عنهما سأل عن الجمع بين 119 آية السجدة وأية النازعات، فأجاب بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدخوطة، ثم استوى إلى السماء فسواها سبعاً في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وجعل فيها الرواسي والأنهار وغير ذلك.

فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحوها بجبالها.

ولاحظها ونحو ذلك بعد خلق السماء.

وبدله لهذا أنه قال: "وَأَلْقُوهَا قَبْلَ ذَٰلِكَ دَخْلَهَا ۖ وَلَمْ يَقْلِ; خَلْقَهَا، فَمَفْسَدُ دِحْوَهَا إِياها بِقْوَةٍ: أَخَذَ بِهَا مَعْلُوْمَاء، وَرُفِعْنَاهَا".

وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح
لا إشكال فيه، مفهوم من ظاهر القرآن العظيم، إلا أنه يرد عليه إشكال من آية البقرة هذه.

وإيضاحه: أن ابن عباس جمع بأن خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحوها بما فيها بعد خلق السماء، وفيه آية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء; لأنه قال فيها:

"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء" الآية.

وقد مكنت زمناً طويلاً أفكر في حل هذا الإشكال، حتى هداني الله إليه ذات يوم ففهمته من القرآن العظيم.

وإيضاحه: أن هذا الإشكال مرتفع من وجهين، كل منهما تدل عليه آية من القرآن:

الأول: أن المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء: تدل على أن المراد بهذا الخلق التقدير، لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود. والعرب تسمي التقدير خلقاً، ومنه قول زهير:

والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير: أنه تعالى نص على ذلك في سورة فصلت، حيث قال: «وقدّر فيها أقوامها»، ثم قال:

"تمّ أسوأ إلى الأملّ وعذّب دُمَعاه" الآية.

الوجه الثاني: أنه لما خلق الأرض غير مدحوة، وهي أصل لكل ما فيها، كان كل ما فيها كأنه خلق بالفعل؛ لوجود أصله فعلاً.

والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع وإن لم يكن موجوداً بالفعل، قوله تعالى: «ولقد"
قوله تعالى: 

«ورَبِّ أَسْمَاءَ الْدُّنْيَا وَمَسْبِيحٌ وَحَافِظٌ».

المصابيح: النجوم.

وما تضمنته هذه الآية من تزيين السماء الدنيا بالنجوم، قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الأنعام، في الكلام على قوله تعالى: 

«وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجُومَ ظِيَارًا بَيْنَ يَدَيْهَا» الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: 

«وَحَفِظٌ» قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية في سورة الحجر، في الكلام على قوله تعالى:

«وَحَفَظَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ يَعِثُرُ» الآية.
* قوله تعالى: «قالوا أَوْشَاهُ رَبّنَا لَأَنْ ذَلِكَ مَلَيْكَةُ قَالَهَا يَمَآ أَرْسَلْنَّهُ.» 

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية في سورة ص، في الكلام على قوله تعالى: «وَجَبَّرَانَ جَاهِلِيَّةَ مَنْ ذَرِّيَّتِهِمْ».

* قوله تعالى: «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا في أَيَامٍ نَحْسَاتٍ».

الصرص: وزنه بالميزان الصرفي (فعقل)، وفي معنى الصر صمودًا أو ارادة قوية، أورثه في هذه الآية، في سبيل التفسير وجهان معروفان:

أحدهما: أن الريح الصرص هي الريح العاصفة الشديدة، الهبوب، التي يسمى لهبوبها صوت شديد، وعلى هذا، فالصرص من الصر، التي هي الصيحة المزعجة.

ومنه قوله تعالى: «فَأَقْبَلْتَ أَمْرَنِّي فِي صَرْصَرٍ» أي في صحة، ومن هذا المعنى: سبب الباب والقلم، أي صوتهما.

الوجه الثاني: أن الصرص من الصر الذي هو الصر الصديد المحرق، ومنه على أصح التفسيرين قوله تعالى: «صُمِّمَ رِيحُ فِيهَا صَرِّ.» الآية. أي فيها برد شديد محرق، ومنه قول جائز الطائي:

أوقاد فإن الليل ليل قدر والريح يا واققد ريح صرُّ 
علل يبري نارك من بمر إن جلبتي ضيفاً فأنتم حرُّ

فقوله: ريح صر، أي بارد شديدة البارد.
سورة فصلت

والظلم أن كلا القولين صحيح، وأن الريح المذكورة 
جامعة بين الأمرين، فهي عاصفة شديدة الهموم، باردة شديد 
البرد.

وما ذكره الجل ولا من إهلاكه عاداً بهذه الريح الصرصر، في 
تلك الأيام النحسات، أي المشؤومات النكدات؛ لأن النحس ضد 
السعد، وهو الشؤم = جاء موضحاً في آيات من كتاب الله.

وقد بين تعالى في بعضها عدد الأيام والليالي التي أرسل عليهم 
الريح فيها، كقوله تعالى: <<وَأَنَّ أَعَدَّ شَرَّ اْلَّذِينَ كَفَّارُوا بِرِيحٍ مَّسْحُورٍ عَالِمَةً >> 
سْحُرُوا علَيهِم سُبُعَ الَّيَالِ وَنَمَيدْا أَيَامِ حُسْوَاءٍ فَتَرَفَ أَلْقَوْمٍ فِي هَا السَّرَّ عَلَى كَثِيرَتِهِمْ أَعْجَرُ 
غَلْبَةً حَاوِيَةً <<وَفَهَّلَ تَرَى لَهُم بِيْكَةً >>، وقوله تعالى: <<فَوَيَوْمٍ إِذَا أَرْسَلَنَا 
عَلَيْهِمْ الْرَّجُلَ الْمَقْبُولَةَ مَنْ نَذَرَ مِن شَيْءٍ أَنْتَ عَلَى كَثِيرَتِهِمْ كَالرَّجُلَةِ >>، وقوله 
تعالى: <<إِذَا أَرْسَلَنَا عَلَيْهِمْ رَجُلًا مَّسْحُورًا فَيَوْمَانِينَ مَسْحُورًا مَّنْ أَلْقَاءَ كَثِيرَتَهُمْ أَعْجَرُ 
تَفَقَّلَ مَسْحُورًا >>، وقوله تعالى: <<فَلَيْنَّ مَا أَنْتَ عَلَى كَثِيرَتِهِمْ رَجُلًا مَّسْحُورًا >> الآية.

وهذ هذه الريح الصرصر هي المراد بصاعة عاد في قوله تعالى: 
<<فَقَلَّ أَنْذَرْتُمُو صَيْعَةً مَّثَلَ صَيْعَةَ عَيْنٍ >> الآية.

وقرأ هذا الحرف نافع، وأبوب كبير، وأبو عمر: (نحاسات) 

(123)

/ وقرأ هذا الحرف نافع، وابن كثير، وأبو عمر: (نحاسات) 

بسكن الحاء. وعليه، فالنحاس وصف أو مصدر نزل منزلة 

الوصف.

وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: (نحاسات) 

بكسر الحاء، ووجهه ظاهر.

وقد قدمنا أن معنى النحاسات: المشؤومات النكدات.
قال صاحب الدر المنثور: وأخرج الطسفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن نافع بن الأزرق قال له: اخبرني عن قوله عز وجل: "في يوم غليظ". قال: النحس, البلاء والشدة. قال: وهم تعرف العرب ذلك? قال: نعم, أما سمعت زهير بن أبي سلمى يقول:

سواء عليه أي يوم أتيته أضواء نحس تنقى أم بأسعد وتفسير النحس بالبلاء والشدة تفسير بالمعنى; لأن الشؤم بلاء وشدة. ومقابلة زهير النحس بالأسعد في بته يوضح ذلك، وهو معلوم.

ويزعم بعض أهل العلم، أنها من آخر شوال، وأن أولها يوم الأربعاء وآخرها يوم الأربعاء، ولا دليل على شيء من ذلك.

وأما يذكره بعض أهل العلم من أن يوم النحس المستمر، هو يوم الأربعاء الأخير من الشهر، أو يوم الأربعاء مطلقً، حتى إن بعض المتسننين لطلب العلم وكثيراً من العوام صاروا يشانمون يوم الأربعاء الأخير من كل شهر، حتى إنهم لا يقدمون على السفر والتزوج ونحو ذلك فيه, ظانين أنه يوم نحس وشؤم، وأن نحسه مستمر على جميع الخلق في جميع الزمان، لا أصل له ولا معول عليه، ولا يثقت إليه من عنده علم; لأن نحس ذلك اليوم مستمر على عاد فقط الذين أهلكهم الله فيه, فاتصل لهم عذاب البرزخ والآخرة بعذاب الدنيا، فصار ذلك الشؤم مستمراً عليهم استمراراً 124 لا انقطاع له, أما غير عاد فليس مؤخزاً بذنب عاد؛ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى.
وقد أردنا هنا أن نذكر بعض الروايات التي اغتنب بها من ظن
استمرار نحس ذلك اليوم، لتبين أنها لا معول عليها.
قال صاحب الدرس المنثور: وأخرج ابن أبي حاتم عن زر بن
حيش في يوم يميت: قال: "يوم الأربعاء".
وأخرج ابن المنذر وابن مردوخ، عن جابر بن عبد الله قال: قال
رسول الله ﷺ: "قال لي جبريل: أقض باليمين مع الشاهد. وقال:
يوم الأربعاء يوم نحس مستمر".
وأخرج ابن مردوخ عن علي قال: "نزل جبريل على النبي ﷺ باليمين مع الشاهد، والحجامة، ويوم الأربعاء يوم نحس مستمر".
وأخرج ابن مردوخ عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول:
"يوم نحس: يوم الأربعاء".
وأخرج ابن مردوخ عن أنس قال: "ستل رسول الله ﷺ عن الأيام، وستل عن يوم الأربعاء، قال: يوم نحس. قالوا:
كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: أغرق فيه الله فرعون وقومه، وأهلك
عائداً وثموداً".
وأخرج وكيع في الغرر وابن مردوخ والخليفة بسند ضعيف عن
ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر".

فهذه الروايات وأمثالها لا تدل على شؤم يوم الأربعاء على من
لم يكفر بالله ولم يعصه؛ لأن أغلبها ضعيف، وما صرح معناه منها
فالمراد بسند شؤمه على أولئك الكفرة العصاة الذين أهلكهم الله
بسبب كفرهم ومعاصيهم.
مقالة: أضواء البيان

134

الحاصل أن النحو والشعور إنما مشؤومه وسببه الكفر والعاصي، أما من كان متقياً لله مطيعاً له في يوم الأربعاء المذكور، فلا نحس ولا شؤم فيه عليه، فمن أراد أن يعرف النحو والشعور والنكد والبلاء والشقاء على الحقيقة، فليتحقق أن ذلك كله في معصية الله وعدم امتثال أمره، والعلم عند الله تعالى.

 قوله تعالى: (وَأَمَّا نَمْوًى فَهُدِيْتَهُمْ فَأَسْتَحْبَرُوا الْعَمَى عَلَىٰ الْمَدْيَنَّ).

 قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَهُدِيْتَهُمْ) المراد بالهدي في هدى الدلالة والبيان والإرشاد، لا هدى التوفيق والاصطفاء.

 والدليل على ذلك قوله تعالى بعده: (فَأَسْتَجِبُوا الْعَمَى عَلَىٰ الْمَدْيَنَّ)؛ لأنها لم كانت هدایة توفيق لما انتقل صاحبها عن الهدى إلى العمى.

 قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَأَسْتَجِبُوا الْعَمَى عَلَىٰ الْمَدْيَنَّ) أي اختياروا الكفر على الإيمان، وآثروا عليه، وتعوضوه منه.

 وهذا المعنى الذي ذكرنا يوضحه قوله تعالى: (يَبْنَاهَا الْلَّهُ..) (أَسْتَجِبُوا وَأَمْلَحُوا) (تَأْوِيلُ) (فَقُولُهُ فِي آيَةَ التوبة هَذِهِ: إِنَّ أَسْتَجِبُوا الْعَمَى عَلَىٰ الْإِيمَانِ) (فَقُولُهُ مَوَافِقُ فِي الْمَعْنَى لِقُولِهِ هَذَا: فَأَسْتَجِبُوا الْعَمَى عَلَىٰ الْمَدْيَنَّ).

 ونظير ذلك في المعنى قوله تعالى: (أَلَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الحَيَوَةِ اللُّدُنِّيَةَ عَلَىٰ الْآخِرَةَ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) الآية.
فسورة فصّلت

فلفظة «استحب» في القرآن كثيراً ما تتعدي بـ (على)؛ لأنها في معنى اختيار وأثر.

وقد قدمنا في سورة هود في الكلام على قوله تعالى: ١٢٦ ) مثّل القيّمين ﴿كَالْأَعْمَى﴾ الآية، أن العمي الكفر، وأن المراد بالأعمى في آيات عديدة الكافر.

وما تضمنت هذه الآية الكرمة، من أن الهدى يأتي في القرآن بمعنайه العام، الذي هو البيان والدلالة والإرشاد، لا ينافي أن الهدى قد يطلق في القرآن في بعض المواضع على الهدى الخاص الذي هو التوفيق والاصطفاء، كقوله تعالى: ﴿أُولِئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فِيهِمْ أَقْسَمُهُمْ﴾.

فمن إطلاق القرآن الهدى على معناه العام قوله هنا: ﴿أَمَّا مَوْكِعُ فَهْدِينَّهُمْ﴾ أي بينا لهم طريق الحق وأمرناهم بسلوكه، وطرق الشر ونهيناهم عن سلوكها، على لسان نبينا صلح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ﴿فَأَسْتَجَابُوا الْعَمَّالَ عَلَى الْمُهْدِى﴾ أي اختاروا الكفر على الإيمان بعد إيضاح الحق لهم.

ومن إطلاقه على معناه العام قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِالْأَسْبِيل﴾ بدليل قوله بعده: ﴿إِنَّآَيَاتِيْ أَكْفُرُوا﴾؛ لأنه لو كان هدى توفيق لما قال: ﴿وَأَيُّهَا الْكُفَّارُ﴾.

ومن إطلاقه على معينة الخاص قوله تعالى: ﴿فَهْدِينَّهُمْ أَقْسَمُهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنَّ أَهْدَىْ رَأَدَهُ هُدَى﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيَ﴾.

وبعرفة هذه الإطلاقين تتبث إزالة إشكال قرآني، وهو أنه
 تعالى أثبت الهدى لنبينا محمد ﷺ في آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىَّ سَبِيلً مُّسْتَقِيمً﴾، ونفاه عنه في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي مَنْ أَخْبَثَ﴾.

فيعلم مما ذكرنا: أن الهدى المثبت له ﷺ هو الهدى العام 127 الذي هو البيان والدلالة والإرشاد، وقد فعل ذلك ﷺ، فيبين المحجة البيضاء، حتى تركها لبئها كنهاة لا يزيغ عنها هالك.

والهدي المنفي عنه في آية: ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي مَنْ أَخْبَثَ﴾ هو الهدى الخاص الذي هو التفاضل بالتوافق؛ لأن ذلك بيد الله وحده، وليس بيده، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِيدُ أن يَهْزَمَ اثْنَٰئِيْنَ لِمَثَالَ تَمْرِكَ لِمَثَالٍ﴾، ﴿وَلَا يَحْمِلَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ صَبْرًا﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَلَى هَذَا الْقُرْآنِ أُلْهَمْتُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ مُتَّقِينٌ﴾، والهدي الخاص بالمتقين هو الهدى الخاص، كما لا يخفى.

وقد بين هذا في غير هذا الموضوع. والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: ﴿فَأَخْذُوهَا صَبْعَةً ﻣِنَ الْعَذَّابِ ﻟِلَّذِينَ كَفَارَە﴾ الآية.

النها في قوله: (فأخذتهم) سبيرة، أي فاستحبوا العمى على الهدى، وبسبب ذلك أخذتهم صاعقة العذاب الهون.

واعلم أن الله جل وعلا عبر عن الهلاك الذي أهلك به ثمود
سورة فلسط

عبارة مختلفة، فذكره هنا باسم الصاعقة في قوله: (فلحدهم صيحة العدوء، أهون)، وقوله: (قل أنذرهم صيحة يملأ صيحة عاود وتمود).

وعبر عنه أيضاً بالصاعقة في سورة الذاريات في قوله تعالى:

وفي نموذ جم يعلم نم تملحوا حتى حين، فعثو على أمر ربهم بأذنهم الصيحة ونهم ينظرون.

وعبر عنه في الصيحة في آيات من كتابه، كقوله تعالى في سورة هود، في إهلاكهم تموذ: (وأواد الديك ظلما، الصيحة، فاصبحوا في ذريتهم جحيط، كان لم ينفعهم ألا إن شدودا صفاروا أضلا، بعدا إشمو،) وقوله تعالى في الحجر: (وكانوا يتحدون من يقبيل بويتين أميرتين فأخذتهم الصيحة صفين،) وقوله تعالى في القمر: (إذا أرسلنا عليهم صيحة وحيدة، فكانوا كشيئ للمنظر،) وقوله تعالى في العنكبوت: (ومنهم من أخذت الصيحة يعني شموداً المذكورين في قوله قبليه: وعما وشمودا وقد تبعت لهم حكم من مسيرتهم الآية.

وعبر عنه بالرجهة في سورة الأعراف في قوله تعالى: (فصفروا التفاحة، وعكنوا عن أمر ربيهم، وقالوا يتصلبح أتينا بما تعيدنا إن كنتم من المرسلين،) فأخذتهم الرجهة الآية.

وعبر عنه بالتدمير في سورة النمل في قوله تعالى: (فأنظر كيف سكب علبة مكرهم آناد مرتهم وقومهم أجمعين).

وعبر عنه بالطاغية في الحاقة في قوله تعالى: (فأنا نمود، فأهلكوكا بطالعين،).

وعبر عنه بالدمدمة في الشمس في قوله تعالى: (فكذبوه، فعمروها فصدموه عليهم ربههم بذيهم فسوها).
وعبر عنه بالعذاب في سورة الشعراء في قوله تعالى: ۙ فَعَمْرُوهَا
فَأَصْبَحُوا تَدَرَّبَيْنِۚ فَأَخْضَعْنَهُمُ الْعَذَّابَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَدَّرَجُونَ الآية.

ومعنى هذه العبادات كلها راجع إلى شيء واحد، وهو أن الله أرسل عليهم صحة أهلكتهم، والصحة الصوت المزعج المهلك.

والصاعقة تطلق أيضاً على الصوت المزعج المهلك، وعلى النار المحرقة، وعليهما معاً، وتشدد عظم الصحة وهولها ۙ مِنْ فِي قُوٍّهُمْ يَرِجُونَ أَنْ يَهْزَمَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ فَمَنْ فِي هَذِهِ الْقَوْةِ فَأَجَعَلْتُهُمْ كَأَنَّمَا أَلَمَّا أَلَمُّهُمْ الآية، أي جواز الحدود التي يبلغها الماء عادة.

واعلم أن التحقيق أن المراد بالطاغية في قوله تعالى: ۙ فَأَقَامْتُوْنَهُمْ فَأَقَلِسُوكُمْ إِنَّها الصيحة التي أهلكهم الله بها، كما يوضحه قوله بعد: ۙ وَأَنَا أَقَلِسُكُمْ بِرِجْلِ مَعْرَضٍ عَانِقٍ. خلافاً لمن زعم أن الطاغية مصدر، كالعاقبة والعافية، وأن المعنى أنهم أهلكوا بطغيانهم، أي بكفرهم وتكذيبهم نبيهم، كقوله: ۙ كَذَّبُتُمُّ تَغِيُّضُهُمْ. وخلافاً لمن زعم أن الطاغية هي أشقاءهم، الذي انبعث فعقر الناقة، وأنهم أهلكوا بسبب فعله وهو عقر الناقة.
وكل هذا خلاف التحقيق، والصواب إن شاء الله هو ما ذكروا، والسباق يدل عليه، واختياره غير واحد.

وأما قوله تعالى: فُقدْ مَسُّتْ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذْبِهِمْ فإنما لا يخالف ما ذكروا؛ لأن معنى دمدم عليهم ربهم بذنهم، أي إطلاق عليهم الغذاب وألبسهم إياه، بسبذنهم.

قال الزمخشري في معنى دمدم: وهو من تكرير قوله: ناقة مدمومة، إذا ألبسها الشحم.

وأما إطلاق الغذاب عليه في سورة الشعراء فواضح، فاتضح رجوع معنى الآيات المذكورة إلى شيء واحد.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: صمغة الغذاب أثمٌ. من النعت بالمصدر؛ لأن الهون مصدر بمعنى الهوان، والنعت بالمصدر أسلوب عربي معروف، أشار إليه في الخلاصة بقوله: ونعتوا بصمغة كثيرة فالنظام الإفراد والتذكيرا وهو موجه بأحد أمرين:

أحدهما: أن يكون على حذف مضاف. أي العذاب ذي الهون.

والثاني: أنه على سبيل المبالغة، فكان العذاب لشدة اتصافه بالهوان اللاحق بمن وقع عليه، صار كأنه نفس الهوان، كما هو معروف في محله.

وقوله تعالى: يَا كَانُوا يُكَسِّبُونَ كَالتوكيد في المعنى لقوله: فَأَشْهَبُوا أَلْمَمًا عَلَى الْمُلْدَعِيَّةِ لأن كلا منهما سبب لأخذ الصاعقة إياهم، فالنها في قوله: (فأخذتهم) سببية، وإلقاء في قوله: (بما كانوا) سببية، والعلم عند الله تعالى.
قوله تعالى: «وَجِئَناَ الَّذِينَ أَمَنَّاٰ وَكَانُوا يَبْدُونُونَ». ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريم، أنه أهلک ثروال بالصاعة، ونجى من ذلك الإهلاك الذين آمنوا وكانوا يتكونون اللۡه، والبراد بهم صالح ومن آمن معه من قومه.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريم، جاء مبينًا في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في سورة هود: «فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُ ﷺ إِلَى بِنْيَانِ ابْنِيَةِ سَبْلِّيَةٍ وأَمْنُوا مَعَهُ يَحْمِمُ مَكَا وَمِنْ خَزَى يَرْتُبُّ إِنْ رَبُّكَ ﷺ أَلْقَىَ»، وقوله تعالى في النمل: «وَلَقَدْ أُرِسَلْنَا إِلَى ثُمُودٍ أَهْلَهُمْ صَلِبًا هُمْ أَنْتُمْ لَتَسْتَمِعُونَ» إلى قوله تعالى في سورة مريم: «فَذَا اللَّهُ تَوَلَّى وَأَنْتُمْ قَلِيلًا»، وقوله تعالى في نوح: «أَلَّذِينَ آمَنُوا وَحَمَّلْنَا عَلَيْهِمْ الْوَحْيَ وَأَنْفَسَ أَيَّامَهُمْ» أي وهم صالح ومن آمن معه.

قوله تعالى: «وَيَوْمًا يُحَصُّرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى الْجَارِيَٰ فَحُشُورَ يُوُزَعُونَ».

قرأ هذا الحرف عامة القراء غیر نافع فحشر يحشر بضم الياء وفتح الشين مبنيًا للمفعول (أَعْدَاءُ اللَّهِ) بالرفع على أنه نائب الفاعل.

وقرأ نافع وحزمة من السبعة (تحشر أعداء اللَّه) بالون المفتوحة الدالة على العظمة، وضم الشين مبنيًا للفاعل، (أَعْدَاءُ اللَّهِ) بالنصب على أنه مفعول به.

أي واذكر يوم يحشر أعداء اللَّه، أي يجمعون إلى النار. وما دلت عليه هذه الآية، من أن الله أعداء، وأنهم يحشرون يوم القيامة إلى النار، جاء مذكورة في آيات أخرى.
فبين في بعضها أن له أعداء، وأن أعداءه هم أعداء المؤمنين،
وأن جزاءهم النار، كقوله تعالى: { من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبيل وميسائل فأتيك الله عذراً للكذيرين }، وقوله تعالى:
{ وسراً ونبلائل أحلولاً تهرون بن عدو الله وعدوكم } الآية، وقوله تعالى: { فليت لهنما أن تجدوا عدوهم وعدوكم } الآية، وقوله تعالى: { ذلك جزأ أعداء الله الأتاركم فيءدار الآخرة } الآية. إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: { فهم يركون } أي يرد أولهم إلى آخرهم، ويلحق آخرهم بأولهم، حتى يجمعوا جميعاً، ثم يدفعون في النار، وهو من قول العرب: وزعت الجيش، إذا حبست أوله على آخره حتى يجمع.

وأصل الوزع الكف، تقول العرب: وزعه يزعم وزعاً، فهو وزع له / إذا كفه عن الأمر، ومنه قول نابغة ذيبيان:

على حين عاتب المشيب على الصبا فقلت ألمأ أصح والشيء وزع وقول الآخر:

ولن يزع النفس المستعمار من الهوى من الناس إلا وافر العقل كامله.

وأما ذكرنا تعلم أن أصل معني (بوزعون) أي يكف أولهم عن التقدم، وأخرهم عن التأخر، حتى يجتمعوا جميعاً.

والذي يدل على أنهم يساقون سوقاً عنيفاً، يجمع به أولهم مع آخرهم.

وقد بين تعالى أنهم يساقون إلى النار في حال كونهم عطشاً، في قوله تعالى: { وسوى المجرمون إلى جهنم وداً }.
ولعل الوزع المذكور في الآية يكون في الزمرة الواحدة من زمر
أهل النار؛ لأنهم يساقون إلى النار زمراً زمراً، كما قدننا الآيات
الموضحة له في سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: «وسيمَ
المَجَازِفَ إلى جَهَمَ زِمَا» الآية.

قوله تعالى: ﴿حَيَّ إِذَا مَا جَآءَهَا سُهُدَتْ عَلَىٰهُمْ سَمَعُهُمْ﴾.

وأصبرهم وجلودهم بما كانوا يعملون.

قد قدننا الآيات الموضحة له في سورة بس في الكلام على
قوله تعالى: ﴿أَلَيْتَمُّ تَعْمَرُ عَلَىٰ أُفُورِهِمْ وَتَكْفُرُّانَا أَعَلَيْهِمْ﴾ الآية، وفي سورة
النساء في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.

وبنياً هناك وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ مع قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكْنُ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنِ قَالُوا وَلَّهُ رَبُّنَا مَا كَانَ مُشْرِكِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ نَظَنُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا يَدَمًا﴾.

/ وذُلِّكَ لَا يَنْفُرُ اللَّهُ الْيَدَ وَلَا يَرِيَهُمْ كَسَاهُمْ فَأَصْبِحُوهُمْ يَنَّ

الْمُتَّسَرِينَ (41) فَإِنَّ يَسَرُّ فَأَفْلَحُوهَا مِنْ لَهُمْ﴾.

قد قدننا الكلام عليه في سورة ص في الكلام على قوله تعالى:

(47) فَأَلَّهُ يَزْدَوَّرُ لِلْيَتَّقِينَ كَفَرْوْا وَلَا هُمْ يَسَرُّونَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُسَتَّعِبْبُوا فَمَا هُمْ مِنْ أَلْمَعَتِينَ﴾.

قد بنياً معناه مع شواهد العربية في سورة النحل في الكلام
على قوله تعالى: ﴿لَمَّا يُؤْذَى لِلْيَتَّقِينَ كَفَرْوْا وَلَا هُمْ يَسَرُّونَ﴾.
ورد علاوة: 

(القيد: وَقَضَسْنَا لَهُمْ قُرَانًا فَرَنَّوْا هُمْ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَفُهُمْ).

لعلماء التفسير في تفسير قوله: (القيد: وَقَضَسْنَا) عبارات يرجع

بعضها في المعنى إلى بعض.

كقول بعضهم: (القيد: وَقَضَسْنَا لَهُمْ قُرَانًا) أي جئاهم بهم,

ونحن أهلهم لهم.

وكقول بعضهم: (قيد) أي هيآنا.

وقول بعضهم: (قيد) أي سلطنا.

وقول بعضهم: أي بعثنا و وكلنا.

وقول بعضهم: (قيد) أي سبنا.

وقول بعضهم: قدْنَا.

و نحو ذلك من العبارات، فإن جميع تلك العبارات راجع إلى
شيء واحد، وهو أن الله تبارك وتعالى هياً للكافرين قرء من
الشياطين يضلونهم عن الهدى، ويدينون لهم الكفر والمعاصي,
وقد أخورهم عليهم.

و في القرآن: جمع قرين، وهم قرناهم من الشياطين، على التحقق.

وقوله: (قيد) أي من أمر الدنيا، حتى آثرنه
على الآخرة (قيد) أي من أمر الآخرة، فدعوه إلى التذكيب
به، وإنكار البعث.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن تعالى قيض للكفار قراء
من الشياطين يضلونهم عن الهدى، بينه في مواضع أخرى من كتابه.
و زاد في بعضها سبب تقييضهم لهم، وأنهم مع إسلامهم لهم
يظلون أنهم مهتدون، وأن الكافر يوم القيامة يؤمن أن يكون بيه وبين قرويه من الشياطين بعد عظيم، وأنه يذمه ذلك اليوم، كما قال تعالى:

«ومن يعف عن ذكر الله في الشياطين فهو له قريء» (النحل: 32) وإنهم لصدوا عن أليم السبيل وتعصبون أنهم مهددون.»

فترتب قوله: (نقيض له شيطاناً)، على قوله: (ومن يعف عن ذكر الرحمن) ترتيب الجزاء على الشرط، يدل على أن سبب تقيضه له هو غفلته عن ذكر الرحمن.

ونظير ذلك قوله تعالى: "من شر الألواس الواسع السام"؛ لأن الوسواس هو كثر الوسوسة، ليس بل الناس، والخناس هو كثير التأثير والرجوع عن إضلال الناس، من قولهم: حسن، بالفتح، يحسن، بالضم، إذا تأخر.

فوهو وسواس عند الغفلة عن ذكر الرحمن، خناس عند ذكر الرحمن، كما دلت عليه آية الزخرف المذكورة، ودل عليه قوله تعالى: "إِنَّمَاذِكَرُونَ عَلَى الْجُنُوبِ رُحُومًا إِلَّا هُمُ الْمُشْرِكُونَ" (البقرة: 189) إنما سُلطن على الذين يتولونهم، وذين هم بِمُشْرِكُونَ؛ لأن الذين يتولون والذين هم به مشروكون، غافلون عن ذكر الرحمن، وبسبب ذلك قيضه الله لهم فأضلهم.

ومن الآيات الدالة على تقيض الشياطين للكفار لضلوهم، قوله تعالى: "فإن أرسلنا الشياطين على الكافرين نؤذهم آنآ" (القصarta: 26)، وقد أوضحنا الآيات الدالة على ذلك في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: «فإن أرسلنا الشياطين على الكافرين» الآية، وبينا هناك آقوال أهل العلم في معنى (تؤذهم آنا).»
وسينما أيضاً هناك أن من الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:

"وَوَمَّا يَحْصُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَثَرُ أَلْحَنُّ قَدْ أَسْتَكْرِمْنَ ۖ مِنَ الإِنْسِ أَيَّ اسْتَكْرِمْنَ ۖ مِنْ عِبَارَةَ الْقَرَانِ بِالْقَرَانِ".

من إصلاح الإنسان في دار الدنيا، وقوله: "وَأَخَوْنَاهُمْ بِمَدْيَةِ مَنْ يَقُولُ للْهِ أَلَآ إِلَيْهِ يَنْتَهَى وَيَنْمَيْنَا لَيْقَضَى رَبَّنَا وَمَنْ يَقُولُ لِذُرِّيَّتِنَا إِنَّفَرَتْ عَلَيْنَا رِئَاسَةٌ نَّمَائِنَا فَأَلْقُونَا إِلَى رَبِّنَا مُكَيلاً كَبِيرًا".

إلى غير ذلك من الآيات.

وقد دل قوله في آية الزخرف: (فَيَكُنَّ الْقَرَّينُ) على أن قرنة الشياطين المذكورين في آية فصلة واية الزخرف وغيرهما، جديرون بالذم الشديد، وقد صرح تعالى بذلك في سورة النساء في قوله:

"وَمَن يَكُنَّ الْقَرَّينُ لَمْ تَقُلَّ إِلَيْهِمْ فَسَاءَ قَرِينَةٌ"، لأن قوله: (فَسَاءَ قَرِينَةٌ) بمعنى (فَيَكُنَّ الْقَرَّينُ) لأن كلا من ساء وبدف فعل جامد لانشاء الذم، كما ذكره في الخلاصة بقوله:

واجعل كتب سيء واجعل فعلاً من ذي ثلاثية كنعم مسجلًا.

وأعلمنا أن الله تعالى بين أن الكفار الذين أضلهم قرأوهم من الشياطين يظنون أنهم على هدى، فهم يحسبون أشد الضلال أحسن الهدى، كما قال تعالى عنهم:

"وَأَهْلَهُمْ لَا يُسَتَّدِرُونَ عَنِ السَّبِيلِ وَيُخْسَبُونَ أَنْ هُمْ مُهْتَدُونَ"، وقال تعالى:

"إِنَّهُمْ آتَخَذُوا الْشَّيَاطِينَ أُولَيَاءً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيُخْسَبُونَ أَنْ هُمْ مُهْتَدُونَ".

وبين تعالى أنهم بسبب ذلك الظن الفاسد هم أخطر الناس أعمالاً، في قوله تعالى:

"قُلُوهُ لِنَبِيّكَ يَلَّوَّضَهُ الْأَخْرَى أَحْيَانًا أَلَّيْنِ صَلَّ سَبِيعَ مِنْ هَذِهِ الْيَوْمِ الَّذِي يَطْمُتُ عَنْهُمْ مَخْسَوْنًا صَعُوْعًا".

وقوله تعالى في آية الزخرف: (وَمَنْ يَقْسِمَ عَنْ ذِكْرِهِ الرَّجُلِ) من 136.
قولهم: عشا - بالفتح - عن الشيء، يعشو - بالضم - ، إذا ضعف بصرهم عن إدراكه؛ لأن الكافر أعمى القلب، فصبرته تضعف عن الاستنارة بذكر الرحمن، وسبب ذلك يقضي الله له قرناً على الشياطين.

* قوله تعالى: 

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: 

* قوله تعالى: 

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: 

* قوله تعالى: 

ما تضمنته هذه الآية الكريمة مما أعد الله في الآخرة للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، ذكره الله تعالى في الجملة، في قوله في الأحكام: 

137
لسورة فصلت

لأن انتفاء الخوف والحزن، والوعد الصادق بالخلود في الجنة المذكور في آية الأحقاف هذه، يستلزم جميع ما ذكر في هذه الآية الكريم من سورة فصلت.

قوله تعالى: «أدعَّ فِيَالْيَنِّى هَيَّ أُحْسِنَ فَإِذَا الَّذِى يَنْبِكَ وَبَيْنَهُ عَذَابٌ كَانَهُ وَلَى حَمِيمٍ»، وما يثلثها إلّا أَلّهَينَ صَبِرُوا وَمَا يِلْقَلُها إلّا دَوَّ حَجَلٌ عَظِيمٍ، وإِمَّا يَنَزِعُونَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْعًا فَاسْتَيِدُوا.»

بِاللَّهِ إِنَّهُ وَالسَّمِيعُ العَلِيمُ.

قد أوضحنا مع الآيات التي بمعناها في آخر سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: "١٣٠ مُّعَطَّفًا وَاتّلَى،"، إلى قوله: "١٣١ إِنَّهُ السَّمِيعُ العَلِيمُ.

قوله تعالى: "١٣٢ وَمِنْ آيَاتِهِ آيَتٌ وَالْنِّهَارُ" الآية.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: "١٣٣ وَجَعَلْنَا آيَتَكَ وَالْنِّهَارَ آيَاتٍ" الآية، وفي غير ذلك من المواضع.

قوله تعالى: "١٣٤ لَا تَسْجُدُوا لِلسَّمِيسِ وَلَا لِلْقَمَّرِ" الآية.

قد قدمنا الكلام عليه في سورة النمل، في الكلام على قوله تعالى: "١٣٥ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ مُحَمْسِنًا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ" الآية.

قوله تعالى: "١٣٦ فَإِنَّ أَسْتَحْكَمُونَ عِندَ رَبِّكَ يُسَحُّونُ لَهُمْ بِالْيَدِ وَالْنِّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَفْعَونَ.

قوله تعالى: "١٣٧ فَإِنَّ أَسْتَحَّكَمُوْا،" أي فإن تكبر الكفار عن
توحيد الله، والسجود له وحده، وإخلاص العبادة له، (فالمذين عند ربك) وهم الملائكة، (يسبحون له بالليل) أي يعبدونه ويزهبون دائماً، ليلاً وأثناء النهار، (وهم لا يسأمون) أي لا يملون من عبادة ربهم، لاستلذاذهم لها، وحلاوة عنهم، مع خوفهم منه جل وعلا كما قال تعالى: "وَيَسْتَقِيمُ الْرَّعْدُ يَمْحُدُوهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْعُوهُ بِجَنُوبيَّتهِ".

وقد دلت هذه الآية الكريمة من سورة فصلت على أمرين:

أحدهما: أن الله جل وعلا إن كفر به بعض خلقه، فإن بعض أخر من خلقه يؤمنون به، ويطيعونه كما ينبغي، ويلازمون طاعته دائماً بالليل والنهار.

والثاني منهما: أن الملائكة يسبحون الله ويطيعونه دائماً لا يفترون عن ذلك.

وهذان الأموران اللذان دلت عليهما هذه الآية الكريمة، قد جاء كل منهما موضحاً في غير هذا الموضع.

أما الأول منهما: فقد ذكره جل وعلا في قوله: "فإن يكثِرُهَا هُؤُلَاءِ، فقُدْ ثَمَّنَهَا يَهُوَاءُ الَّذِينَ يَطْعَمُونَهَا يَكْتُرُونَ إِلَى رَبِّهِ".

وأما الثاني منهما: فقد أوضحه تعالى في آيات من كتابه، كقوله تعالى في الأنيباء: "وَلَمْ يُؤْتِهِمَا الْمَسْجِدَ وَلَمْ يُؤْتِهِمَا عِبَادَتَيْهَا وَلَمْ يَنْفَعُهَا الْبَيْنَ الْأَرْضِ وَاَلْيَوْمِ الْآخِرَ"، وقوله تعالى في آخر الأعراف: "إِنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ آخَرَ مَا يُؤْتِيهِمَا وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ".

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَهُمْ لَا يَسْتَمْعُونَ وَلَا يَنْفَعُونَ"، إلى غير ذلك من الآيات.
لا يملون. والسامة الملل، ومنه قول زهير:
ستمثت تكاليف الحياة ومن يعثر
ثمانين حولاً، لا أبا لك، يسأم

* قوله تعالى: *وَقَدْ أَكَلْتُمْ أَنْبَاءَ الْكَافِرِينَ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَسَعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا أَلْلَهَا أُهْرَى فَوَزَّبَتْ* الآية.

هذه الآية الكريمة قد أوضحتا الكلام عليها، مع ما في معناها 139 من الآيات، وبينا أن تلك الآيات فيها البرهاان القاطع على البحث بعد الموت، وذكرنا معها الآيات التي يكثر الاستدلال بها في القرآن على البحث بعد الموت، وهي أربعة براهين قريبة.

ذكرنا ذلك في سورة البقرة، وفي سورة النحل، وغيرها، وأحلنا عليه مراراً.

* قوله تعالى: *فَأَمَّن يَلْقَنَ فِي الْبَيْنَاءِ خَيْرًا مِّن يَلْقَنَ أَمْكَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ*.

قد قدمنا الكلام عليه، مع ما يماثله من الآيات، في سورة الفرقان، في الكلام على قوله تعالى: *فَقُلْ أَدَّلْكُمْ حَيْرًا مَّا جَنَّتُكُمُ الْخَلْقُ الآية.

* قوله تعالى: *فَقُلْ هُوَ يَلْقِنَكُمُ الْمَثَّا نَا هُدَى وَشَفَاءٌ*.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة البقرة، في الكلام على قوله تعالى: *هَذَا لِلْمُتَّقِينَ*، وفي سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: *وَنَزْلُ مِن الَّذِينَ مَأْهَرُ شَفَاءٍ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ* الآية.
قوله تعالى: "من عيل صلحًا في نفسه، ومن أسأله فعلتهما".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: "إبن أحسنهم أحسنكم وأنفسكم وإن أسلم فلا"، وفي سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: "ومن شكر فإنما يشكر لنفسه".

قوله تعالى: "وماربك يظلل لعبيد".

ما ذكره جل وعلا في الآية الكرماء من كونه ليس بظلم للعبيد، /ذكره في مواضع أخرى، كقوله تعالى في سورة آل عمران: "ذلك يمددتُ أفيكم وأن الله ليس يظلل لعبيد" الذي قالوا: "الله عهد إلَّى آية" الآية، وقوله في الأنفال: "ذلك يمددتُ أفيكم وأن الله ليس يظلل لعبيد كباب للمأوى للعبيد" الآية، وقوله في الحج: "ذلك يمددتُ يد الله لأن الله ليس يظلل لعبيد" ومن الآية من يعد الله الآية، وقوله في سورة ق: "ما يبدل القول لدى وما أنت يظلل لعبيد".

وفي هذه الآيات سؤال معروف، وهو أن لفظة "ظلم" فيها صيغة مبالغة، ومعلوم أن نفي المبالغة لا يستلزم نفي الفعل من أصله؛ فقولك مثلاً: زيد ليس يقتل للرجال، لا ينفي إلا مبالغته في قتلههم، فلا ينافي أنه ربما قتل بعض الرجال.

ومعلوم أن المراد بنفي المبالغة في الآيات المذكورة هو نفي الظلم من أصله.
والجواب عن هذا الإشكال من أربعة أوجه:
الأول: أن نفي صيغة المبالغة في الآيات المذكورة، قد بينت آيات كثيرة أن المراد به نفي الظلم من أصله.
وإن نفي صيغة المبالغة إذا دلت أدلل منفصلة على أنه يراد به نفي أصل الفعل، فلا إشكال؛ لقيام الدليل على المراد.
والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة، كقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ يُصَلَّيْنَاهَا»، وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ الْأَلْيَامَ السَّيِّئَاتَ وَلَا يَظْلِمُ الْأَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ الْقَسَمَ» الآية، وقوله تعالى: «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أُمَّتِيَّا»، وقوله تعالى: «وَقَضَّ الْمُوَسِّيَّةَ الْقُسُطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ نَظَلِّمُنَّ سَيِّئَاتُنَا» الآية. إلى غير ذلك من الآيات، كما قدمنا إيضاحه في سورة الكهف والأنباء.

الوجه الثاني: أن الله جل وعلا نفى ظلمه للعبيد، والعبيد في غاية الكثرة، والظلم المنفي عليهم تستلزم كثرتهم كثرته، فناسب ذلك الإتيان بصيغة المبالغة للدلالة على كثرة المنفي التابعة لكرة العبيد المنفي عليهم الظلم، إذ لو وقع على كل عبد ظلم ولو قليلاً، كان مجموع ذلك الظلم في غاية الكثرة، كما ترى.

وذلك تعلم اتجاه التعبير بصيغة المبالغة، وأن المراد بذلك نفي أصل الظلم عن كل عبد من أولئك العبيد، الذين هم في غاية الكثرة، سبحانه وتعالى عن أن يظلم أحداً شيئاً، كما بينته الآيات القرآنية المذكورة.

وفي الحديث: «يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي» الحديث.
الوجه الثالث: أن العظيم لصيغة المبالغة، أن عذابه تعالى بالغ
من العظم والشدة أنه لولا استحقاق المعذبين لذلك العذاب بكثره
ومعاصيهم، كان معذبهم به ظلماً بليغ الظلم متفاقماً، سبحانه
وع تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا الوجه والذي قبله أشار لهما الزمخشري في سورة
الأنفال.

الوجه الرابع: ما ذكره بعض علماء العربية وبعض المفسرين،
من أن المراد بالنفي في قوله ( وَمَا رَبِّكَ يَطَلُّبُ يَعْلَمَ اْلْعِيْنَدَ ) نفي نسبة
الظلم إليه؛ لأن صيغة فعلت تستعمل مراداً بها النسبة فتغني عن ياء
النسب، كما أشار له في الخلاصة بقوله:

ومع ففاعل وفعاً فعال فعال في نسب أغنى عن اليا فقيل

معنى البيت المذكور: أن الصيغ الثلاثة المذكورة فيها هي
فعل كظلام، وفعاً كظلام، وفاعلاً كفرج، كل منها قد تستعمل مراداً
بها النسبة، فيستغني بها عن ياء النسب، ومثاله في (فاعل قوله
الخطيئة في هجوم الزرقان بن بدر التميمي:

١٤٢ / دع المكارم لا ترحل لبغتتها
واقعد فإنك أنت الطعام الكاسي
فالمراد بقوله "الطعام الكاسي" النسبة، أي ذو طعام وكسوة.
وقول الآخر، وهو من شواهد سبوعه:

وغررتني وزعمت أنك انْمٌ في الصيف نامر
أي ذو لبن وذو تمر. وقول نابغة ذبيان:

كليني ليهم يا أميمة ناصب ولا أقيسه بطيء الكواكب
فوقة: "ناصب" أي ذو نصب.
ومثاله في "فعَّال" قول امَرِيَّة القيس:
وليس بذي رمح فيطعني بِهَـو وليس بذي سيف وليس بِنَبَّال
فوقة: "وليس بِنَبَّال" أي ليس بذي نبل، وبدل عليه قوله قوله قبله:
وليس بذي رمح، وليس بذي سيف.
وقال الأشموني بعد الاستشهاد بالبيت المذكور: قال المصنف
رَبِّيَكَ بِظَالَمَةِ لِلْمَعْمَدِ [٥٠] أي بذي ظلم. أه.
وما عزاه لابن مالك جزم به غير واحد من النحويين
والمنسرين.
ومثاله في "فعَّال" قول الراجز، وهو من شواهد سبوته:
لَسْت بليلي ولكني نَهْر لا أدلج الليل ولكن أبتكر
فوقة: "نَهْر" بمعنى نهاري.
وقد قدمنا إيضاح معنى الظلم بشواهده العربية، في مواضع
متعددة من هذا الكتاب المبارك، والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: *إِلَىٰ يَرْدُ عَمَلَ الْيَوْمِ الْآتِيَةَ*. 

تقدم الكلام على نحوه في سورة الأعراف في الكلام على قوله
 تعالى: *قُلِ ِإِنَّا عَلَمْنَا عِنْدَكَ ۗ ذَٰلِكَ لَا يَحْكِبُهَا ۗ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ ۗ وَقُل ۛ كَرِّمَتُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا إِلَّا هُوَ ۗ وَقُلْ نَسْتَغْفِرَ لِلَّهِ ۚ وَنَسْتَغْفِرْ لِمَنْ كَانَ لَهُ مَصَاصٍ مَّا قَاتَلَهُ ۗ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۗ وَقُلْ رَبِّ ۚ مَنا طَوَّفَ دَاخِلَهُمَا. *
قوله تعالى: "ومَا أَحْيَلَ مِن أَنْتِنَا وَلَا أَنْفَعُ إِلَّا يَعِيْلَمُهُ".

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى:

"أَلْلَهُ يَعْلَمُ مَا أَحْيَلَ مِنْ أَنْتِنَا وَلَا أَنْفَعُ إِلَّا يَعِيْلَمُهُمَا وَمَا رَزَقَذَا" الآية.

قوله تعالى: "وَظَلَّوا أَهْلَهُمْ مِنْ مَهْيِصِ".

الظن هنا بمعنى اليقين؛ لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، وشاهدوا الحقائق، علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص، أي ليس لهم مفر ولا ملجأ.

والظاهر أن المحيص مصدر ميمي، من حاص يحيص بمعنى حاد وعدل وحرب.

وأما ذكرنا من أن الظن في هذه الآية الكريمة بمعنى اليقين والعلم، هو التحقق إن شاء الله؛ لأن يوم القيامة تنكشف فيه الحقائق، فيحصل للكفار العالم بها لا يخلجونهم في ذلك شك، كما قال تعالى عنهم: إنهم يقولون يوم القيامة: "رَبِّآ أَبْصَرْنا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعُنا نَعْمَلُ صَلِيْبًا إِنَّا مُوقُوتُونَ"، وقال تعالى: "أَمْ يَأْتِيهِمْ أَبْصَرًا وَأَبْصَرًا يَوْمِ يَوْمَ آيَةِ اللَّهِ"، وقال تعالى: "فَكَفِنَا عَنْكَ عَدَاءً كَفْسِرَكَ آيَةً خَيْبِيْدً"، وقال تعالى: "وَلَوْتُنِّي إِذْ دَفِقْتُمْ عَنْ رَبِّي إِنَّمَا يَتَّلِي ذَلِكَ يَلَّهُكُمْ فَأَوْلَى بِأَيَّامِهِ"، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: "لَيَأْدِرُكُمْ عَلَى مَأْتِئِكَ في الآخِرَةِ" الآية.

ومعلوم أن الظن يطلق في لغة العرب، التي نزل بها القرآن على معنيين:

أحدهما: الشك، كقوله: "إِنَّ الظَّنَّ نَأْثَرَ عَنْ الْيَقِينَ سَيَكَأَ"، وقوله:

تعالى عن الكفار: "إِنَّ النَّظَنَّ إِلَّا أَظَنَّانِ مُسْتَبْتِبِينِينَ". 

"وَمَا أَحْيَلَ مِن أَنْتِنَا وَلَا أَنْفَعُ إِلَّا يَعِيْلَمُهُ".
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
على قوله تعالى: "وللَّذينَ رُذِّبَتْ إِلَى رَبِّهِمْ لَأِجْدَدَنَّ حَيَاتَهُمْ عِنْدَهُمَا مَطْلِبًا".

/ قوله تعالى: "وَإِذَا أَنَعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أُعْرِضَ وَتَنَا بِجَانِبِهِ،
وَإِذَا مَسَّهَا الْفَرْقُدُ دُعَا عَرَضٍ.

قد قدمنا الآيات الموضحة له، وبعض الأحاديث الصحيحة

الموافقة لها في سورة بيوس في الكلام على قوله تعالى: "وَإِذَا سَسَّى
الْإِنسَانَ الْعُرْضُ دَاخِلًا لِجَانِبِهِ، أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَامًا فَلَا إِيَّاهُ كَلِسْطَانَ عَتْهُ ضَرُّ مَرْسَامِكَ أَلَّو
يَدْعُنَّهُ إِلَى ضَرْرِ عَرَضِهِ".

/ قوله تعالى: "سَرِّهِمْ وَأَيْتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ".

الآية.

قد قدمنا الكلام عليه في سورة المؤمن في الكلام على قوله

تعلى: "هَوَاهُ الَّذِي يَرِيكمُ أَيْتَنَا، وَيُنْزِلُ لَكُمَّ مِنْ السَّمَاءِ رُزُقًا" الآية.

/ قوله تعالى: "أَلَّا إِنَّهُمْ فِي مَرْيَةٍ مِنْ لَقَاءِ رَبِّهِمْ".

المرية: الشك.

وما تضمته هذه الآية الكريمة من شك الكفار في البعث
والجزاء، قد قدمنا الآيات الموضحة له، ولما يترتب عليه من الخلود
في النار، في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: "بَلْ كَذَّبُوا
بِالْحَسَاءَةِ وَاَمْتَدَّنَّا لَهُمْ صَدْرَهُ بِالْحَسَاءَةِ سَعِيراً".

[لقطة شاشة من السطر الأخير من الصفحة]
سورة الشورى
قوله تعالى: ﴿حَدَّ عَسَقٍ كَذَّكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَىٰ النَّبِينَ مِن قَبْلَكَ أَلَّهُ الْمُرْيَزُ الْخَيْرِيَّ﴾.

قد قدمنا الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة هود.

وقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: ﴿كَذَّكَ يُوحِي إِلَيْكَ﴾ أي مثل ذلك الولي، أو مثل ذلك الكتاب، يوحى إليك وإلى الرسل من قبلك. الله. يعني أن ما تضمنت هذه السورة من المعاني، قد أوحى الله إليك مثله، وفي غيرها من السور، وأوحاها من قبلك إلى رسله، على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية، لما فيها من التنبيه البليغ، واللطف العظيم، لعباده من الأولين والآخرين. اهمته.

وظهر كلامه أن التشبيه في قوله: ﴿كذك يوحى﴾ بالنسبة إلى الموهي باسم المفعول.

والاظهر أن التشبيه في المعنى المصدري الذي هو الإيحاء.

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِلَىٰ النَّبِينَ مِن قَبْلَكَ﴾ لم يصرح هنا بشيء من أسماء الذين من قبله الذين أوحى إليهم، كما أوحى إليه، ولكن قد بين أسماء جماعة منهم في سورة النساء، وبين فيها أن
بعضهم لم يقصص خبرهم عليه، وأنه أوحي إليهم وأرسلهم لقطع حجيج الخلق في دار الدنيا، وذلك في قوله تعالى: (وَإِذَا أُوحِيَ إِلَيْكَ إِلَى نَجْجٍ وَإِلَيْكَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَإِلَى إِبَراهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَمُوسَى وَكَانَتِنَا دَائِرَةً زُورًا) سورة البقرة.

وَرُسَلُ الله ﷺ قد فصصتهم عليه من قبل ورسلنا لهم نقصصتهم عليه. وَقَدْ أَيَّدَتُهُمُ الْعَلِيَّةُ وَقَدْ أَيَّدَتُهُمُ الْمُسْتَقِيمُ وَمُنْذِرُونَ إِلَّا يَكُونُ

الله ﷺ على الله ﷺ حجة بعد الرسول وَقَدْ أَيَّدَنَا ﷺ وَقَدْ أَيَّدَنَا الله ﷺ.

وقوله تعالى: (يَا أَبَا بَرَكَّةَ الْأُلْكِيَّمِ) ذكر جل وعلا فيه الثناء على نفسه باسمه العزيز، واسمه الحكيم، بعد ذكره إنزاله وحية على أبنائه، كما قال في آية النساء المذكورة: (كَانَ اللَّهُ مَعْرِيِّبًا حَكِيمًا)

بعد ذكره إحياء إلى رسوله.

وقد قدمنا في أول سورة الزمر أن استقراء القرآن قد ذل على أن الله ﷺ جل وعلا إذا ذكر تزويجه كتابه أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وذكرنا كثيراً من أمثلة ذلك.

وقرأ هذا الحرف عامة السبعة غير ابن كثير (يُوحَّى) بكسر الحاء بالنابين للفاعل، وعلى قراءة الجمهور هذه قوله: ( الله العزيز الحكيم) فاعل يوحي.

وقرأ ابن كثير (يُوحَّى إِلَيْكَ) بفتح الحاء بالنابين للمفعول، وعلى هذه القراءة، قوله: (الله العزيز الحكيم) فاعل لفعل محدود تقديره يوحي، كما قدمنا إيضاحه في سورة النور في الكلام على قوله تعالى: (يَسْمَعُ لَهُمْ يَا أَبَا بَرَكَّةَ وَأَلْقَ أَصَالٍ يَجَالَ) الآية.

وقد قدمنا معانا الوحي مع الشواهد العربية في سورة النحل
في الكلام على قوله تعالى: (وَأَوْحَيْ رُبُّكَ إِلَى أَقْلِيْلِهِ) وَوَهْوَ أَلْمَيْلُ الْعَزِيْزِ. 
وقوله تعالى: (أَلْمَيْلُ العَزِيْزِ).
وصف نفسه جل وعلا في هذه الآية الكريمة، بالعلو والعظمة، وهما من الصفات الجامعة كما قدمنا في سورة الأعراف، في الكلام على قوله تعالى: (يَمَّمَّ أَسْوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ).
وأما تضمنته هذه الآية الكريمة، من وصفه تعالى نفسه بهاتين الصفتين الجامعتين المتضمنتين لكل كمال وجلال، جاء مثله في آيات أخرى، كقوله تعالى: (وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَهْوَ أَلْمَيْلُ الْعَزِيْزِ)، وقوله تعالى: (إِنَّ أَلْمَيْلَ كَانَ عَلَيْهِ عَالَمَاتٍ)، وقوله تعالى: (عِلْيَهُ أَلْمَيْلٍ وَأَلْمَيْلٌ عَلَى الْعَرْشِ)، وقوله تعالى: (وَلَهُ الكَرَمَةُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَاةَ), إلى غير ذلك من الآيات.
وقوله تعالى: (تُكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَهَا وَتُبْعَثُونَ مِنْ فُوقُهَا).
واللَاكِيْكَةُ فيَصْحَبُونَ يَمْدُحُهُمْ وَيُسْتَعْفِرُونَ لَمْ يَفْتَرَ فيَفْتَرَ.
قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير نافع والكسائي (تَكَادُ) بالتأتية الفوقية؛ لأن السماوات مؤنثة، وقرأه نافع والكسائي (تُكَادُ) بالباء التحتية، لأن تأتي السماوات غير حققي، وقرأه عامة السبعة غير أبي عمرو، وشعبة عن عاصم (يَنْفَطَرْنَهَا) بتأتية فوقي، مفتوحة بعد الباء وفتح الطاء المشددة، مضارع تفتقر، أي تشتق.
وقرأ أبو عمرو وشعبة عن عاصم (يَنْفَطَرْنَهَا) بكون ساكنة بعد.
لا يكسر الطاء المخففة، مضارع انفطرت، كقوله: "إذا أسلمتْ انفطرتْ" أي انشقت.

وقوله: (تكاد) مضارع كاد، التي هي فعل مقاربة، ومعلوم أنها تعمل في المبتدأ والخبر، ومعنى كونها فعل مقاربة أنها تدل على قرب اتصاف المبتدأ بالخبر.

وإذا، فمعنى الآية: أن السماوات قاربت أن تنصف بالنفتر، على القراءة الأولى، والانفتر، على القراءة الثانية.

واعلم أن سبب مقاربة السماوات بالنفتر في هذه الآية الكريمة، فيه للعلماء وجهان كلاهما يدل له قرآن:

الوجه الأول: أن المعنى تكاد السماوات ينفطرن خوفاً من الله، وهيبة وإجلالاً، يبدله لهذا الوجه قوله تعالى قبله: "وَهُوَ الَّذِي أَعْلَمَ" ؛ لأن علويه وعظمته سبب السماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تنفطر.

وعلى هذا الوجه فقوله بعده: "وَالْمَلَكَتَّةِ يَسَّحَّونَ يَحْمِدُ رَبِّهِ" وَيَسْتَعْفَرُونَ لَمَنْ فِي الْأَرْضِ" مناسبه لما قبله واضحة؛ لأن المعنى: أن السماوات في غاية الخوف منه تعالى والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة فهم يسحون بحمد ربهم أي يزهوه عن كل ما لا يليق بكماله وجلالته، مع إثباتهم له كل كمال وجلال، خوفاً منه وهيبة وإجلالاً، كما قال تعالى: "وَيُسَيِّبُ أَرْعَاهُ يَكْمِدْهُ، وَالْمَلَكَتَّةِ يَنْفَخُهُ"، وقال تعالى: "وَيَقْسِمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَاتِيْ وَالمَلَكَتَّةِ وَهُمْ لا يَسَكَّنُونَ قَبْلَ عِينِهِمْ وَيَقْبَلُونَ ما يُؤْمِنُونَ".
سورة الشورى

فهم لشدة خروفهم من الله، وإجلالهم له يسبحون بحمد ربه، ويخفون على أهل الأرض، ولذا يستغفرن لهم خوفاً عليهم من سخط الله وعقابه.

ويستحسن لهذا الوجه بقوله تعالى: "إِنَّعَرَضْتُمُ اللَّهَ عَلَى الْخَيْرِ"، و"الأَرْضِ" إلى قوله: "وَأَشْفَقْنَيْنِيَا"؛ لأن الإشفاق الخوف.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَتَسَعَّرْنَ بِهَا لِنَفَرٍ فِي الأَرْضِ" يعني / لخصوص الذين آمنوا وتابوا إلى الله واتبعوا سبيله، كما أوضحه تعالى بقوله: "لَا يُؤَاذَنُ اللَّهُ عَلَى الْمُتَّقِينَ وَمَنْ حَرَّمَ يُؤْتَى بِحَمَّامَةٍ وَيُؤْتَى بِيَمَامَةٍ، وَتَسَعَّرْنَ بِلِلْيَوْمِ الْأَخِرِ".

فقوله: "لَا يُؤَاذَنُ اللَّهُ عَلَى الْمُتَّقِينَ" يوضح المراد من قوله: "لِنَفَرٍ فِي الأَرْضِ".

ويزيد ذلك إيضاحاً قوله تعالى عنهم، إنهم يقولون في استغفارهم للمؤمنين: "فَأَعْفَرْ اللَّهُ لِلْيَتَّبَعْنَ تَأْفِكًا وَأَتَبَعُوا سَبِيلَكَ"؛ لأن ذلك يدل دلالة واضحة على عدم استغفارهم للكفار.

الوجه الثاني: أن المعنى: "تَسَعَّرْنَ السَّمْوَاتِ وَيَنْفَرْنَ" من شدة عظم الفرية التي افترها الكفار على خلل السماوات والأرض جل وعلا، من كونه اتخذ ولداً، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهذا الوجه جاء موضحاً في سورة مريم في قوله تعالى: "وَقَالَواْ أَنْجَحَ الْجَنُونَ وَلَدًا ٨١ لَا يُؤَاذَنُ عَلَى الْمُتَّقِينَ إِذَا ٨٦ تَسَعَّرَ السَّمْوَاتِ وَيَنْفَرَنَّ مِنْهُ وَتَسَعَّرَ الْأَرْضُ وَيَبْصِرُ الْيَدَلُّ هَذَا ٨٢٦ اِنْدَعَوْا لِلْرَّحْمَةِ وَلَدًا ٨٢٧ وَمَا يَنفَرُ الْرَّحْمَةُ أَنْ يَنْجَحَ وَلَدًا ٨٢٨ إِنِّي أَمْرُنِي فِي السَّمْوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا أَنَّى إِلَى الْرَّحْمَةِ عَبْدًا" كما قدمنا إيضاحه.
وغاية ما في هذا الوجه أن آية الشورى هذه فيها إجمال في سبب*Tفطر السماوات، وقد جاء ذلك موضحاً في آية مريم المذكورة.*

وكلا الوجهين حق.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {يَقْتَرِبُونَ مِنٌ فَوْقَهُنَّ} فيه للعلماء أوجه:

قيل: (يتفطرن)، أي السماوات، (من فوقهن) أي الأرضين.

ولا يخفى بعد هذا القول، كما ترى.

/ وقال بعضهم: (من فوقهن) أي كل سماوة تتفطر فوق التي تليها.

وقال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت لم قال: {من فوقهن} قلت: لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السماوات، وهي العرش والكرسي، وصفوف الملائكة المرتبة بالتسبيح والتقديس حول العرش، وما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظيم، فلذلك قال: {يَقْتَرِبُونَ مِنٌ فَوْقَهُنَّ} أي يبتديء الانفتاح من جهتهن الفوقانية.

أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذي تحت السماوات، فكان القياس أن يقال: يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة، ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق، كأنه قيل: يตนدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن، دع الجهة التي تحتهن.

ونظيره في المبالغة قوله عز وجل: {يُصُبُّن مِنٌ فَوْقَهُمُ الْجَمِيعِ} {يُصُمَّرهُ، ما في بَطُوْعِهِمْ} فجعل الحميم مؤثراً في أجزاءهم الباطنة. اهـ محل الغرض منه.
وَهَذَا إِنَّمَا يَتَمَشَى عَلَى الْقُولِ بِأَنَّ سَبْبَ الْنَفْسُ الْمَذَكُورَ

هوِ افْتِرَأْهُم عَلَى الْلَّهِ فِي قُولُهُمُ: "إِنَّهُ الْحَمْلُ وَلَدًا (٥٦)"، وَقَدْ قَدْمَنَا

أَنَّهَا أَنْفِسَهَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَيَةً مََى مِمَّا مَذَكَّرَهَا، وَعِلْهَا فَمَانِسَبَةَ قُولُهُ:

وَالْبَيْكَةُ يَسْتَحْفَرُ بِمَعْمَالِ رَيْحَمٍ (٨١)". لَمَّا قَبْلُهُ: أَنَّ الْكَفَّارَ وَإِنْ قَالُوا أَعْظَمُ

الْكَفَّارَ وَأَشْنَعُهَا، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ بَخَاكَفُهُمْ، فَإِنْهُمْ يِدَاوُونَ ذَكْرِ اللَّهِ

وطَاعَتِهَا.

وِيُوْفِقَ ذَلِكَ قُولُهُ تَعَالَى: "فَإِنَّ أَسْتَحْفَرُوا فَالَّذِينَ عَنْدَ رَبِّكَ

يَسْتَحْفَرُونَ لَهُ الْغَلُوْلَ وَالْبَحْثَرِ وَهُمْ لَا يَسْتَقْوُونَ (٨٢)"، وَقُولُهُ تَعَالَى: "فَإِنَّ

يُكْرِهُ بهُمْ أَهْوَالَهُمْ فَقَدْ وَقَدْ طَغَنَّاهُمَا أَثَامًا أَيِّصَأْ أَيْكَفِيرُونَ (٨٣)"، كَمَا قَدْمَنَا إِيْضَاحَهُ

فِي أَخْرَجُ سُورَةَ فَصِلَتَ.

* قُولُهُ تَعَالَى: "آَلَّا إِنَّ اللَّهُ وَهُوَ الْعَفْرَانُ الرَّحِيمُ (٥٥)".

/ أَكَّد جَل وَعَلاً فِي هذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَنَّهُ الْعَفْرَانُ الرَّحِيمُ.

وَبَيْنَ فِيهَا أَنَّهُ وَحَدَهُ المَخْتَصَ بِذَلِكَ.

وَهذَا الْأَمَرُ الْلَّذَانِ تَضْمِنْهُمَا هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَقَدْ جَاءَا

مَوْضُعٌ فِي غِيْرِ هَذَا الْمَضْعُوَ. أَما اُخْتِصَاصُهُ هُوِ جَلُ وَعَلاً بِغُفْرَانِ الْذَّنُوبِ، فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي قُولُهِ

تَعَالَى: "وَمَنْ يَغْفِرُ الْذَّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ (٥٦)"، وَالْمَعْنَى: لَا يَغْفِرُ الْذَّنُوبِ

إِلَّا اللَّهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: "رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظَلَمًا كَثِيرًا، وَلَا يُغْفِرُ

الْذَّنُوبِ إِلَّا أَنتَ" الْحَدِيثُ، وَفِي حَدِيثِ سَيْدِ الْأَسْتَغْفَارِ: "اللَّهُمَّ أَنتَ

رَبِّي إِلَّا إِنَّيْ أَنتَ خَلَقْتِي" الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: "وَأَبُوَّ بَذَنْبِي فَاعْفَرَ لِي

فَإِنَّهُ لَا يُغْفِرُ الْذَّنُوبِ إِلَّا أَنتَ".

وَوْجَهُ دَالَّةُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَحَدَهُ هُوَ الَّذِي يُغْفِرُ
الذنوب، هو أن ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه في قوله:

«الله هو العفو الرحب» يدل على ذلك كما هو معلوم في محلة.

وأما الأمر الثاني، وهو توكيده تعالى أنه هو العفو الرحب، فإنه أكد ذلك هنا بحرف الاستفتيج الذي هو (ألا)، وحرف التوكيد الذي هو (إنّ).


ف erótج الله جلاله وعلا الكريم الرؤوف العفو الرحب، أن يغفر لنا جميع ذنوبنا، ويتجاوز عن جميع سيئاتنا، ويدخلنا جنته على ما كان منا، ويعفر إخواننا المسلمين. إنه غفور رحيم.

/ 156/ قوله تعالى: «وَالَّذِينَ أَتْحَدَّوْا مِن دُونِهِهِ أُولِيَّةٌ الله حَفِيضٌ علىٌّ ومَا أَنتَ عَلَيْهِمْ يَوْكِيلٌ».

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «أَتْحَدَّوْا مِن دُونِهِ أُولِيَّةٌ» أي أشركونا معا شركاء يعبدونهم من دونه، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: «وَالَّذِينَ أَتْحَدُّوْا مِن دُونِهِ أُولِيَّةٌ لما عَبْدُوهُمْ إلا ليُقْرِينَا إلى الله» وَلْيُقْرِينَ إِن الله يحب عبدهم في ما هم فيه يُقْرِينُونَ إِن الله لا ينهدień مِن هُوَ كنذب سُفْرٍ، وقيله تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَّرُوا أُولِيَّةً».
الْطَّلَعَوْتُ يَخْرُجُونَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ إِلَى الْأَزْوَاجِ أُوْلِيَاءَهُمْ أُصْحَبُهُمْ طَيْحُهُمْ فِي مَيَا حَلِيلَةَكَ، وَقَولَهُ تَعَالَى: "إِنَّهُمْ أَلَّامُنَا الْكَفَّارُ أُوْلِيَاءَهُمْ مِنْ دُونِ الْأَلِيمِ" وَيَحْسَبُونَ أَنْهُمْ مُهَادَدُونَ (۸۸) وَقَولَهُ تَعَالَى: "إِنَّمَا ذَلِكَ لِلْشَّيْطَانِ يَخْتَوِيَ أُوْلِيَاءَهُ" أي يخويفهم أولئك، وقوله تعالى: "فَقُلْتُمُوا أُوْلِيَاءَ النَّصِيرِ" الآية.

وَقَدْ وَبْحَمِهِمْ تَعَالَى عَلَى أَتَخَذُّهُمْ الشَّيْطَانُ وُذُرِّيَتَهُ أُوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ تَعَالَيْنَ فِي قُوْلِهِ: "أَفْسَخُذُونَ وَذُرِّيَتَهُ أُوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يَضُهِّرُ لِلْظَّلِيمِينَ بَدْلًا" (۹۰) وَقَدْ أَمَرَ جَلُّ وَعَلَّا بَاتِبَاعِ هذِهِ الْقَرَآنِ الْعَظِيمِ، نَاهِيَةً عَن اتَّبَاعِ الْأُوْلِيَاءِ الْمُتَحَذِّظِينَ مِنْ دُونِهِ تَعَالَى، فِي أَوْلِيَاءِ الْعَرَافِ فِي قُوْلِهِ تَعَالَى: "أُتِبْعَثُوا مَا أَنِلَّ أَلِيِّكُمْ يَنْزِلُ وَلَا تُبْعَثُوا مِنْ دُونِيَّ أُوْلِيَاءَ يَقِيلُ أَلْلَهُ مَا تَذَكَّرُونَ (۹۶)

وَقَدْ عَلَمَتْ مِنْ الْآيَاتِ المُذَكُورَةِ أَنْ أُوْلِيَاءِ الْكَفَّارِ الَّذِينَ أَتَخَذُّهُمْ وُعَدُوِّهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ نَوْعَانُ:

الأَوْلِيَاءِ مِنْهُمْ: الْشَّيَاطِينُ، وَمَعْنَى عَبَادَتِهِمْ لِلشَّيْطَانِ طَاعَتِهِمْ لَهُ، فِي مَا يَدْرَجُهُمْ مِنَ الْكَفَّرِ وَالْمُعَاصِي، فَشَكِرُهُمْ بِهِمْ شَكَرٌ طَاعَةٌ، وَالآيَاتُ الْمَدَّالِةُ عَلَى عَبَادَتِهِمْ لِلشَّيَاطِينِ بِالْمَعْنَى الْمَذْكُورُ كَثِيرَةً كَقُولِهِ تَعَالَى: "وَلَامَّا أَهْلَهُ إِلَّا كُنْ يَبْنِى يَسْعَى / هَكَذَا أَنْ تَعْبَدُوا الشَّيْطَانُ") الآيَةَ وَقُولِهُ تَعَالَى: ۱۵۷ "إِنَّمَا أَوْحَيْنَاهُ إِلَى الشَّيْطَانِ (۹۱) إِنْ تُبْعَثُونَ مِنْ دُونِي إِنْ تُبْعَثُونَ إِلَّا قَرِينُ مِنْهُ إِلَّا قَرِينُ مِنْهُ مُنْقُصُرًاً أي" وَمَا يَعْمُدُونَ إِلَّا شَيْطَانُ مِرَدَا، وَقُولُهُ تَعَالَى: «قَالَ أَوْلَادُ السَّبِيعَةَ أَنَّا وَلَيشَمُونَ دُوْنَهُمْ بِلَ كَأَنَّا يَعْبُدُونَ أَحَدَنَّ أُحْصَرُوهُمْ بِيَمْهُ مُؤْمِنِينَ (۷۱) وَقُولُهُ تَعَالَى: "إِنَّمَا سُلُطُتُهُ عَلَى الْقَبِيلَةِ بَيْنَمَا نَحْنُ هُمْ يَهْوَى مُشْرِكُونَ (۷۱) وَقُولُهُ تَعَالَى: "وَلَكُنْ زَاجِلًا مَّعَ الْمُسْلِمِينَ" (۹۸)
تعالى: «وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَيْتُونَ إِلَى الَّذِينَ أَوْلَاهُمُ الْجَاهِلِينَ جَبَلْ لَوْكُمْ وَأَطْعَمْتُمُوهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ، اعْبُدُوهُمْ إِلَّا لَيْفُنُّوا إِلَى اللَّهِ رَبِّكُمْ الآيَة.»

والنوع الثاني: هو الأوثان، كما بين ذلك تعالى بقوله: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ رَبِّكُمْ الآيَة.»

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «أَلَّا تُقَصِّرُوهُمْ» أي رقب عليهما، حافظ عليهما كل ما يعملونه من الكفر والمعاصي، وفي أوله اتخاذهم الأولياء يعبدونهم من دون الله. وفي الآية تهديد لكل مشرك.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ.»

أي لست يا محمد بموكل عليهم تهدى من شئت هديته منهم، بل إنما أنت نذير فحسب، وقد بلغت ونصحت، والوكيل عليهم هو الله الذي يهدى من بشاء منهم ويضل من يشاء. كما قال تعالى: «إِنَّا أَنتَ نَذِيرٌ وَلَّدِيّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَرَسُولٌ.» وقال تعالى: «وَلَوْ سَأَلْتُنَّ مِن فِي الْأَرْضِ سَأَتَهُمْ جَمِيعًا أَفْتَنْهُمْ آتِهَنَّ الْكَانَةَ حِتَّى يَكُونُوا مُؤَيِّيِنِينَ»، وَمَا كَانَ لَنَفَسٌ أَنْ تَوَهِّيَ إِلَّا إِذَاذَ نَزَّلَ الْكِتَابُ عَلَى الْبُلُوطِ لَا يَعْقِلُونَ، وقال تعالى: «وَإِنَّا كَانَ كَذَّابٌ إِخْرَاجُهُمْ إِلَيْنَا إِذَا لَمْ تَشْهُدُوا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى أَنْ تَبْنَيَّنَّ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَامًا فِي السَّمَاوَاتِ فَتَأْتُوهُ بِمَثَلٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَّحَهُمْ عَلَى الْهَجَدِ فَلا تَظْنُوا مِنَ الْمُجَهَّدِينَ»، والآيات بمتلك ذلك كثيرة.

وإذا ذكرنا تعلم أن التحقيق في قوله تعالى: «وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ»، وما جرى مجرد من الآيات، ليس منشوعاً باية السيف، والعلم عند الله تعالى.
قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فِرَايْنَاءَ عَرْبِيَّةَ".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى: "ليكوَنَّ منَ النَّبِيِّينَ"، وفي المؤمن في الكلام على قوله تعالى: "فرَائِنَاءٌ عَرْبِيَّةٌ عَلَيْهِ عَجِّ"، وفي غير ذلك من المواضع.

قوله تعالى: "وَلَنَذَرْنَاهُمُ الْقُرْءَانَ وَمِنْ حَوْلَاتِهِ".

خُصِّ الَّذِي تَبارَك وَتَعَالَى فِي هذِهِ الآيَةِ الكَرِيَّةِ إِنَذَارَهُ بِأَمَّ الْقُرْءَانِ وَمِنْ حَوْلَاتِهِ، وَلَنَذَرْنَاهُمُ الْقُرْءَانَ وَمِنْ حَوْلَاتِهِ.

ولكنه أوضح في آيات أخرى أن إنذاره عام لجميع الثقلين، كقوله تعالى: "فَلِيُكَبِّرُوا أَنْ تُبَيِّنُنَّ لَهُمُ الْكَلِمَةَ"، وقوله تعالى: "لَا تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ عِبَادُهُ، لِيُكَوَّنَ لِلنَّاسِ دُرُءًا"، وقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا حَكِيمًا لِلنَّاسِ" الآية، كما أوضحنا ذلك مرارًا في هذا الكتاب المبارك.

وقد ذكرنا الجواب عن تخصص أم القرى ومن حولها هنا وفي سورة الأنعام في قوله تعالى: "وَلَنَذَرْنَاهُمُ الْقُرْءَانَ وَمِنْ حَوْلَاتِهِ" الآية، في كتابنا "دفاع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"، فقلنا فيه: والجواب من وجهين:

الأول: أن المراد بقوله: "وَمِنْ حَوْلَاتِهِ" شامل لجميع الأرض، كما رواه ابن جرير وغيره، عن ابن عباس.

الوجه الثاني: أنا لو سلمنا تسليماً جدلياً أن قوله: "وَمِنْ حَوْلَاتِهِ" لا يتناول إلا القريب من مكة المكرمة حرسها الله، كجزيرة العرب.
على هذا القول كقوله: "وَأَنْذِرْ عَشَرِيَّكَ الْآَفْقَرَبِ،" فإنه لا يدل على عدم إنذار غيرهم، كما هو واضح. والعلم عند الله تعالى. أهـ منه.

* قوله تعالى: "وَتَنَذِّرْ يَوْمَ الْجَمِيعِ لَرَيْبَ فِيهََِّ.*

تضمنت هذه الآية الكريمة أمرين:

أوَّلهماً: أن من حكم إيحائه تعالى إلى نبينا هذا القرآن العربي إنذار يوم الجمع، فقوله تعالى: "وَتَنَذِّرْ يَوْمَ الْجَمِيعِ" معروف على قوله: "وَلَعَلَّذِيْنَ يَقُولُونَ" أي لأجل أن تنذر أم القرى وأن تنذر يوم الجمع، فحذف في الأول أحد المفعولين، وحذف في الثاني أهدهما، يكَانى ما أثبت في كل منهما دليلاً على ما حذف في الثاني، ففي الأول حذف المفعول الثاني، والتقدير: لتندبر أم القرى أي أهل مكة ومن حولها، عذاباً شديداً إن لم يؤمنوا، وفي الثاني حذف المفعول الأول، أي وتنذر الناس يوم الجمع وهو يوم القيامة، أي تُخْيَفِهِم مما فيه من الأهواء والأوجال، ليستعدوا لذلك في دار الدنيا.

والثاني: أن يوم الجمع المذكور لا ريب فيه، أي لا شك في وقوعه.

/ وَهَذِهِ النَّهَارُانِ اللَّذانِ تَضْمِنَتْهَا هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيَّةِ، جَاءَ مَوْضِعِهِنَّ فِي آيَاتِ أَخَرِ.
أما تخويفه الناس يوم القيامة، فقد ذكر في مواضع من كتاب الله، كقوله تعالى: «وَأَنْتَ أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُونَ مَعَ الْمُجَتَّمِعِ الْقَيْسِيَّةَ أَيْنَ مَا رَوْئَاكُمْ فَأَنْعَمُّ عَلَيْكُمْ فِي الْأَيَاةِ» الآية، وقوله تعالى: «وَأَنْذَرْهُمْ يَوْمَ الْآخِرَةِ أَيْنَ مَا رَوْئَاكُمْ فَأَنْعَمُّ عَلَيْكُمْ فِي الْأَيَاةِ» الآية، وقوله تعالى: «فَكَيْفَ تَنْقُونُ إِن كَفَرُتُمْ فَيُعِدُّ الْوَلَدُانَ شِيْبَاً أَلْسَمَا مُنْفِقْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ»، وقوله تعالى: «أَلَا يَضُرُّ أَوْلِيَاءُ الْكَفَرِ أَنْ تُهْجَٰوُنَّآتَ مِثْلَ الْعَلْقَيْنِ»، والآيات بمثل ذلك كثيرة.


وإنهما سمي يوم القيامة يوم الجمع؛ لأن الله يجمع فيه جميع الخلق. والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة، كقوله تعالى: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَجُمُوعٌ إِلَى الْمُجَتَّمِعِ إِلَى مُجَتَّمَعِ مُلْعَمِينَ»، وقوله تعالى: «هَذَا يَوْمُ الْقَيْسِيَّةَ إِلَيْهِ»، وقوله تعالى: «أَلِلَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي جَمَعَهُ إِلَيْهِ الْقَيْسِيَّةَ» الآية، وقوله تعالى: «ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجَمُوعٌ لَّهُ الْكَالِسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَسْهُوْرٌ»، وقوله تعالى: «فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتُمْ لَيْسَ رَبِّ فِيهَا» وقوله تعالى: «فَكَّرُونَ قَلْبَكُمْ إِنُفِيدَ مِنْهُمَا أَحَدًا».

وقد بين تعالى شمول ذلك الجمع لجميع الدواب والطيور في قوله تعالى: «وَما يَأْتِي فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يُطِيرُ بِجُنُبِهِ إِلَّا أَمْامَ أَمَامْكُمَا»، وقوله تعالى: «وَهُمْ فِي الْأَرْضِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا إِلَّا آتَيْنَاهُمْ مَا كَانَتْ لَهُمْ أَمْثَالًا».
161 قَرَنَّا في / الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ نَهَّيْنَاهُمْ لِأَيَّامٍ مُّكْشَمٍ (628) ، والآيات الدالة على الجمع المذكور كثيرة.

قوله تعالى: (فِيِّ مَا فَرَّقُ فِيْ أَلْسِنَةِ وَفَرَّقُ فِى أَسْعَىِّ).

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الله خلق الخلق، وجعل منهم فريقًا سعداء وهم أهل الجنة، وفريقًا أشقياء وهم أصحاب السعير، جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى: (هَوَاءُ الْأَلْذَى سَفَرَ) (629) فِيْمَا كَجَبَ اِلِّهُ وَمَن كَرَّ، وقوله تعالى: (وَلا يَزَالُونَ مُتَفَكِّرِينَ), إلا من رُيِّقٍ يَكُونُ وَلَدَّاهُ خَلْقُهُمْ أي ولذلك الاختلاف إلى مؤمن وكافر وشقي وسعيد خلقهم، على الصحيح، ونصوص الراوي الدالة على ذلك كثيرة جداً.

وقد ذكرنا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، وجه الجمع بين قوله: (وَلَدَّاهُ خَلْقُهُمْ) على التفسير المذكور، وبين قوله: (وَمَا خَلَقْتَ لَهُمْ إِلَّا وَلَدَادًا إِلَّا لِّيَعْبُدُونَهُ), وسنذكر ذلك إن شاء الله في سورة الداريات.

وقد قدمنا معنى السعير بشواهده العربية في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: (وَهَيْدِهِ إِلَى عَذَابِ السَّعَيْرِ). والجنة في لغة العرب: البستان. ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

كَانَ عَيْنِيّ فِي غَرْبِيّ مُفَتَّلَةٍ من النواحي تسقي جَنَّة سَحَقاً.

وقوله: جَنَّة سَحِقاً، يعني بستانًا طويل النخل.

وفي اصطلاح الشعراوي: هي دار الكرامة التي أعد الله لأوليائه يوم القيامة.
والفرق: الطائفة من الناس، ويجوز تعدده إلى أكثر من أثنتين، ومنه قول نصبٌ:
فقال فريق القوم لا، وفريقهم نعم، وفريق قال ويكال ما ندري والمسموع للابتداء بالنكرة في قوله: (فريق في الجنة) أنه في معرض التفصيل.

ومنظمه من كلام العرب قول امرئ القيس:
فلما دنوت تسديتَهَا فنوب نسيت وثوب أجر
* قوله تعالى: (ومَا أَخْلَفْنِي عِندَكُمْ ثَلَاثَةَ حَكْمَةَ، إِلَيْ الَّهِ). 

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الآحاد فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحا في آيات كثيرة.

فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: (وَلَا شَرَكَتِ ابْنِ عَامِرٍ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: (وَلَا تَشْرَكَ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) بصيغة النهي.

وقال في الإشراك به في عبادته: (فَكَانَ يَجَزَّؤُ لَقَدْ رَبَّكُ فَلْيُعْمَلَ عَمَلًا صَلِيحًا وَلَا تَشْرَكَ بِعِبَادَتِي أَحَدًا)، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله.

وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والذين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدله تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه، كفر بواح لا نزاع فيه.
وقد قال القرآن في آيات كثيرة، على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع / تشريع غيره كفر به، فمن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِبِلَادِنَا وَأَمَرَ أَبَا بَكْرِيْنَ إِلَّآ إِيَّاهُ"، وقوله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِبِلَادِنَا وَأَمَرَ أَبَا بَكْرِيْنَ إِلَّآ إِيَّاهُ"، وقوله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِبِلَادِنَا وَأَمَرَ أَبَا بَكْرِيْنَ إِلَّآ إِيَّاهُ"، وقوله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِبِلَادِنَا وَأَمَرَ أَبَا بَكْرِيْنَ إِلَّآ إِيَّاهُ"، وقوله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِبِلَادِنَا وَأَمَرَ أَبَا بَكْرِيْنَ إِلَّآ إِيَّاهُ"، وقوله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِبِلَادِنَا وَأَمَرَ أَبَا بَكْرِيْنَ إِلَّآ إِيَّاهُ"، وقوله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِبِلَادِنَا وَأَمَرَ أَبَا بَكْرِيْنَ إِلَّآ إِيَّاهُ". 

وقد قدمنا إيضاحها في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: "وَلَا يُشْرَكُ بِهِ حَكْمٌ أَحَدٌ".

وأما الآيات الدالة على أن اتباع تشريع غير الله المذكور كفر فهي كثيرة جدا، كقوله تعالى: "إِنَّمَا أَسَلَنَّ عَلَيْكُمْ مَا يَمْكُرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْكُرُ بَيْنَ هُمْ مِنْ مَثَلَّهٖ"، وقوله تعالى: "إِنَّمَا أَسَلَنَّ عَلَيْكُمْ مَا يَمْكُرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْكُرُ بَيْنَ هُمْ مِنْ مَثَلَّهٖ"، وقوله تعالى: "إِنَّمَا أَسَلَنَّ عَلَيْكُمْ مَا يَمْكُرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْكُرُ بَيْنَ هُمْ مِنْ مَثَلَّهٖ"، وقوله تعالى: "إِنَّمَا أَسَلَنَّ عَلَيْكُمْ مَا يَمْكُرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْكُرُ بَيْنَ هُمْ مِنْ مَثَلَّهٖ"، وقوله تعالى: "إِنَّمَا أَسَلَنَّ عَلَيْكُمْ مَا يَمْكُرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْكُرُ بَيْنَ هُمْ مِنْ مَثَلَّهٖ"، وقوله تعالى: "إِنَّمَا أَسَلَنَّ عَلَيْكُمْ مَا يَمْكُرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْكُرُ بَيْنَ هُمْ مِنْ مَثَلَّهٖ"، وقوله تعالى: "إِنَّمَا أَسَلَنَّ عَلَيْكُمْ مَا يَمْكُرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْكُرُ بَيْنَ هُمْ مِنْ مَثَلَّهٖ".

مسألة

أعلم أن الله جل وعلا بين في آيات كثيرة صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة، التي سنوضحها الآن إن شاء الله، ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع.
سبحان الله و تعالى عن ذلك.

فإن كانت تنطبق عليهم ولكن تكون، فليتبع تشريعهم، وإن ١٦٤
ظهر بقينا أنهم أحرق وأحس وأذل وأصغر من ذلك، فليقف بهم عند
حدهم، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الروبية.

سبحانه و تعالى أن يكون له شريك في عبادته، أو حكمه أو
ملكه.

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم
والتشريع قوله هنا: ﴿وما أختلفتم فيه من شيء فحكمت إلى الله﴾، ثم قال
مبنية صفات من له الحكم: ﴿ذلكم الله ربي علية توسطت ولله أبٌ ﴿
قال: ﴿الأسموت والأرض جعل لكر كَنْ أَنْفِسَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَنَ الْأَنْفِسِ أَزْوَاجاً
يَدْرُكُمْ فِيهَا لَسْ كِرْمًا كَنَّاهُمُ بَيْنَ الْمَيْكَامِ أَيْنَ مِثْلَهُ ﴿**١٤٨**
الأسموت والأرض يبسط أرزاق لمن يشاء و يقدر أن يكلم شقي عليم﴾.

فهل في الكفرة الفجوة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق
أن يوصف بأنه الرم الذي تفوض إليه الأمر، ويتولى عليه، وأنه
فأطر السماء والأرض، أي خالقهما ومخترعهما على غير مثل
سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجًا، وخلق لهم أزواج الأنعام
الثمانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثمَّة أَزْوَاجَ يَزَالَ الْأَسْماَءُ أَثْنَىٰ
الأية، وأنه ﴿ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿ وَهُوَ الْسَّيِّمَ عَلَيْهِ ﴿**١٤٩**، وأنه ﴿لَمْ
مَقْالِدُ الأَسمَاتِ والأَرْضِ ﴿، وأنه هو الذي ﴿يَبْسُطُ أَرْزَاقِهِ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
أي يضيقه على من يشاء، ﴿وَهُوَ الْقَهَّارُ عَلَيْهِ ﴿**١٥٠**؟!

فعليكم أيها المسلمون أن تنفهموا صفات من يستحق أن يشرع
ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعا من كافر خسيس حصير جاهل.
ونظرت هذه الآية الكريمه قوله تعالى: "فَإِنَّ تَزَكُّيمُ فِي شَيْءٍ فَرَدَوْهُ إِلَى
الله وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تَوَارَونَ بِالله وَالرَّسُولِ الآخِرَةُ ذُلُكَ حَيَّ وَأَحْسَنُ نَأْوَيْلاً".
فقوله فيها: "إِلَى الله وَالرَّسُولٍ" كقوله في هذه: "فَحَمَّلْهُ إِلَى
الله".

وقد عجبني بهذا بعد قوله: "فرَدَوْهُ إِلَى الله" من الذين يدعون الإمام، مع أنهم يريدون المحاكمة إلى من لم يتصف بصفات من له الحكم، المعبر عنه في الآية بالطاغوت، وكل تحاكم إلى غير شرع الله فهو تحاكم إلى الطاغوت، وذلك في قوله تعالى: "الَّذِي نَزَّلَ إِلَى الْيَهُودِ َرَبِّ عَبْدُكَ أُوْلِيَ الْؤْمَنَيهُمْ إِنَّمَا نُؤْلَى إِلَيْكَ وَمَا نُؤْلَى مِنْ قَبْلَكَ يُبْرِئُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الْطَّغَاتِ وَقَدْ أَمَرُّهُمْ أَن يَكَفَّرُوا يَدَاهُمْ وَيُبْرِئُ النَّسَيَّةَ أَن يُصِبُّهمُ صَلَالَ بَعْدَهَا".

فالكفر بالطاغوت، الذي صرح الله بأنه أمرهم به في هذه الآية، شرط في الإيمان، كما بينه تعالى في قوله: "فَمَن يَكَفِّرُ بِالْطَّغَاتِ وَيُؤْصِرُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَسْتَمَسَّكَ السَّبِيلَ الْمُفْتَقِرَةَ".

فينههم منه أن من لم يكفر بالطاغوت لم يتمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يتمسك بها فهو مترد مع الهاكين.

ومن الآيات الداله على ذلك قوله تعالى: "لَنْ غَيْبَ الْخَمُرَ وَالْآثَامَ أَصْبِرْ بِهِ وَاشْفَعْ مَا نَلَمْهُ مِنْ دُونِهِ مَنْ وَلَيْهِ وَلَا يَشْرَكُ في حَكِيمِهِ " أَحَدًا".

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السماوات والأرض؟! وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبصره بكل البصرات؟! وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟!
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَن ذَلِكَ عَلَيْهِ كِبْرٌ أَن يَوْصِفَ مَنْ يُقَدِّرُ وَيَعْقِبُ ۚ وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ قُوْلُهُ تَعَالَى : ۗ ﴿وَلَا تَنَافَعُ مِنْ إِلَّهِ إِلَّا إِلَهُ إِلاَّ إِنَّهُ إِلَّا هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَنفُسَكُمْ وَالْيَوْمَ الْحَيَّةَۚ وَإِلَّا رَبُّكُمْ رَبُّ الْقُرْءَانِ﴾ ۧ۴۸.

فَهَلْ فِي الْكَفَرِ الْفَجْرِ الْمُشْرِعِينَ مِنْ يُسَتَّحِقُّ أَنْ يُوْصِفَ بِإِلَهِ الْواَحِدِ؟! وَأَنْ كُلِّ شَيْءٍ هَالَّكَ إِلاَّ وَجْهُهُ؟! وَأَنَّ الخَلَقَ يُرِجِعُونَ إِلَيْهِ؟!

۱۶۶ / تَبَارَكْ رَبِّنَا وَتَعَالَى وَتَقَدِّسْ أَنْ يُوْصِفَ أَخْسَ خِلَقِهِ بِصِفَاتِهِ.

وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ قُوْلُهُ تَعَالَى : ۗ ﴿ذِلِكَ الَّذِي بِعَدْيِهِ إِذَا دَلِّيَ اللَّهُ وَجَعَلَكُمْ نَافِعَةً لِّلَّذِينَ كُفُّوْنَ﴾ ۩۹.

فَهَلْ فِي الْكَفَرِ الْفَجْرِ الْمُشْرِعِينَ النَّظَمَ الشِّيَاطِينِيَةِ مِنْ يُسَتَّحِقُّ أَنْ يُوْصِفَ فِي أَعْمَامِ كِتَابٍ سَمَاوِيٍّ بِأَنَّهُ الْعَلِيّ الْكَبِيرُ؟!

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَن كُلِّ مَا لَا يَلِقِّي بِكُمْ وَجَلَالُكَ.

وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ قُوْلُهُ تَعَالَى : ۗ ﴿وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي إِنَّهُ أَنفُسُكُمْ وَأَلْقَيْتُهُمْ فِي هَذَا الْأَرْضِ وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ﴾ ۧ۶۹. ﴿قُلْ قَالَ اللَّهُ إِنَّ أَنفُسَكُمْ وَأَلْقَيْتُهُمْ فِي هَذَا الْأَرْضِ وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ﴾ ۧ۷۰.

فَهَلْ فِي مُشْرِعِ الْقُوَانِينِ الْوَضْعِيَةِ، مِنْ يُسَتَّحِقُّ أَنْ يُوْصِفَ بِأَنَّهُ الْحَمِّدُ فِي الْأَوْلِيَاءِ وَالآخِرَةِ ؟! وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُصْرِفُ النَّهَارَ وَاللَّيْلَ،

مَبِينًا بِذلِكَ كَمَلَ قُدُرَتهُ وَعَظْمَةِ إِنْعَامِهِ عَلَى خِلَقِهِ؟!
سِبْحَانٌ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، جَلْ وَعَلَىٰ، أَنْ يَكُونَ لِهِ
شَرَكٌ فِي حِكْمَةِ، أَوْ عِبَادَتِهِ، أَوْ مَلكِهِ.
وَمِنْ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ قُولُهُ تَعَالَىٰ: "إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا يَتَّبِعُهُ
أَلَّا تَعْبِدُوا إِلَّا يَتَّبِعُ يَتَّبِعُهُ" ۚ وَلَكِنْ أَحْكَمُ الْمَلِكُ، لَا يَضْعَفُونَ ۚ
فَهَلْ فِي أَوْلَئِكَ مِنْ يُسِتَّحِقُ أنْ يُوصَفَ بِأنَّهُ هَوَّهَا الْمَلِكُ،
وَأَوْلَيْكَ هَوَّهَا الْمَلِكُ، وَهَوَّهَا هُوَ الْعَزِيزُ، هُوَ الْقَهِيرُ؟
وَفِي أَوْلَئِكَ مِنْ يُسِتَّحِقُ أنْ يُوصَفَ بِأنَّهُ هَوَّهَا الْمَلِكُ،
وَأَوْلَيْكَ هَوَّهَا الْمَلِكُ، وَهَوَّهَا هُوَ الْعَزِيزُ، هُوَ الْقَهِيرُ؟
وَفِي أَوْلَئِكَ مِنْ يُسِتَّحِقُ أنْ يُوصَفَ بِأنَّهُ هَوَّهَا الْمَلِكُ،
وَأَوْلَيْكَ هَوَّهَا الْمَلِكُ، وَهَوَّهَا هُوَ الْعَزِيزُ، هُوَ الْقَهِيرُ؟
وَفِي أَوْلَئِكَ مِنْ يُسِتَّحِقُ أنْ يُوصَفَ بِأنَّهُ هَوَّهَا الْمَلِكُ،
وَأَوْلَيْكَ هَوَّهَا الْمَلِكُ، وَهَوَّهَا هُوَ الْعَزِيزُ، هُوَ الْقَهِيرُ؟
وَفِي أَوْلَئِكَ مِنْ يُسِتَّحِقُ أنْ يُوصَفَ بِأنَّهُ هَوَّهَا الْمَلِكُ،
وَأَوْلَيْكَ هَوَّهَا الْمَلِكُ، وَهَوَّهَا هُوَ الْعَزِيزُ، هُوَ الْقَهِيرُ؟
فهل فيهم من يستطيع أن يوصف بأنه يقص الحق، وأنه خير الفاصلين؟

وبمنا قوله تعالى: 
«أَقْصِرْ أَنْ تُبْثِكَ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمَّ
الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ مَاتُوا مِنَ الْمَرْجٍ ذَٰلِكَ يَأْتِي
مِنْ أُوْلِي الْمُلْكِ وَمِنْ أُوْلِي الْأَمْرِ يَكُونُونَ يَصِّلُونَ»
وَقَالَ كَيْلَةُ رِبْكَ صِدْقًا وَعَدْلاً».

فهل في أولئك المذكورين من يستطيع أن يوصف بأنه هو الذي أنزل هذا الكتاب مفصلًا، الذي يشهد أهل الكتاب أنه منزل من ربكم بالحق، وبأنه تمت كلماته صدقًا وعدلًا، أي صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وأنه لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم؟!

سُبَحَّان رَبِّنَا مَا أَعْظَمَهُ وَمَا أَجَلَ شَأْنَهُ.

وبمنا قوله تعالى: 
«مَثَلَ الْأَرْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رَزْقٍ
فَجَعَلَ شَمْرَانَهَا حَرَاماً وَحَلَالَةً قَالَ اللَّهُ رَبُّ الْكَبْرِ اسْتَفْرَطَ أَنْ أَنزَلَ عَلَى اللَّهِ تَفَشَّرَتْ».

فهل في أولئك المذكورين من يستطيع أن يوصف بأنه هو الذي ينزل الرزق للخلق، وأنه لا يمكن أن يكون تحليلاً ولا تحريم إلا بإذن؟! لأن من الضروري أن من خلق الرزق وأنزله هو الذي له التصرف فيه بالتحليل والتحريم.

سُبَحَّان رَبِّنَا وَعَلَى أَنْ يَكُونُ لَهُ شِريكٌ في التحليل والتحريم.

وبمنا قوله تعالى: 
«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُؤْتِيْكَ هُمُ
الْكَفَّارُونَ».

فهل فيهم من يستطيع الوصف بذلك؟!

سُبَحَّان رَبِّنَا وَهَلْ تَفْلُؤُ لَمَا نَصِفَ أَلْسِنَتَكُمْ إِلَّا مَا هَذَا.
فقد أوضح الرأية أن المشرعين غير ما شرعه الله، وإنما تصف
بكلمة الكذب، لأن أن يفترون على الله، وأنهم لا يفترون، وأنهم
يمتعون قليلاً ثم يعذبون العذاب الأليم، وذلك واضح في بعض
صفاتهم من صفات منه أن يحلل ويحرم.
ومنها قوله تعالى: {قل هؤلاء شهداؤكم الذين يشهدون أن الله حرم
هذا فإن كهذا فلا تشهد عليهم} الآية.

فقوله: {هل هؤلاء شهداؤكم} صيغة تعجز، فهم عاجزون عن بيان
مستند التحريم، وذلك واضح في أن غير الله لا يتصف بصفات
التحليل ولا التحريم، ولما كان التشريع وجمع الأحكام، شرعته
كانت أو كونية قدري، من خصائص الروبية، كما دلت عليه الآيات
المذكورة، كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريعة الله قد اتخذ ذلك
المشرع رباً، وأشركه مع الله.
والآيات الدالة على هذا كثيرة، وقد قدمناها مراراً، وسنعيد
منها ما فيه كفاية.

فمن ذلك، وهو من أوضحه وأصرحه: أنه في زمن النبي
وقعت مناظرة بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، في حكم من
أحكام التحريم والتحليل، وحزب الرحمن يتبوع تشريعة الرحمن في
وجيه في تحريمه، وحزب الشيطان يتبوع وحي الشيطان في تحليله.
وقد حكم الله بينهما وآتى فيما تنازعوا فيه فتوى سماوية قرآنية
تتلى في سورة الأعرام.
وذلك أن الشيطان لما أوهى إلى أوليائه، فقال لهم في وحيه:
سلموا محمدًا عن الشاة تصريح ميتة من هو الذي قتلها؟ فأجابوه:
أن الله هو الذي قتلها.
قالوا: الميتة إذا ذبيحة الله، وما ذبحه الله كيف تقولون إنه حرام، مع أنكم تقولون: إنما ذبحتموه بأيديكم حالال، فأنتم إذا أحسن من الله وأحل ذبيحة؟!
فأنزل الله - بإجماع من يعتد به من أهل العلم - قوله تعالى:
"ولا تأسفوا وما لا تدرك أسرار الله عليكين" يعني الميتة، أي وإن زمن الكفر أن الله ذكاها بهذه الكريمة بسكين من ذهب، "وإنم لفسق" والضمير عائد إلى الأكل المفرح من قوله: "ولا تأسفوا"، وقوله: 170 يفسق" أي خروج عن طاعة الله، وإتباع لتشريع الشيطان، "وإن الساطع في沃حون إلى أوليائه ليجذبلونك" أي يقولهم: ما ذبحتموه حالال وما ذبحه الله حرام، فأنتم إذا أحسن من الله، وأحل تذكية.
فلما بين الفتوى السماوية من رب العالمين، في الحكم بين الفريقين في قوله تعالى: "ولآن أطعمنهم إنكم لمشركون".
فهي فتوى سماوية من الخالق جل وعلا صرح فيها بأن متبع تشريع الشيطان المخالف لتشريع الرحمن مشرك بالله.
وهذه الآية الكريمة مثل بها بعض علماء العربية لحذف اللام الموطنة للقسم، والدليل على اللام الموطنة المحذوفة عدم اقتران جملة (إنكم لمشركون) بالفاء؛ لأنه لو كان شرطًا لم يسبققه قسم لقيل: فإنكم لمشركون، على حد قوله في الخلاصة:
واقرن بفا حتماً جواباً لو جعل شرطاً لان أو غيرها لم ينجعل
وهو مذهب سبويه، وهو الصحيح، وحذف الفاء في مثل ذلك من ضرورة الشعر.
وما زعمه بعضهم من أنه يجوز مطلقًا، وأن ذلك دلت عليه آياتان من كتاب الله:
إحداهما: قوله تعالى: {وَإِنْ أَطْهَمْتُوهُمْ إِنَّمَا لَشَرِّكُونَ}.
والثانية: قوله تعالى: {وَمَا أَسْتَبَرْكُمْ مِنْ مَصِيبَتِكُمْ وَيَسْتَبَرْكُمْ أَيْدِيكُمْ} بحذف الفاء في قراءة نافع وابن عامر من السبعة = خلاف التحقيق.
بل المسوغ لحذف الفاء في آية: {إِنَّمَا لَشَرِّكُونَ} تقدير القسم المحدود قبل الشرط المدلول عليه بحذف الفاء، على حد قوله في الخلاصة:
واحد لدا اجتماع شرط وقسم جواب ما أحرت فهو ملتزم
وعليه، فجملة (إنكم لمشركون) جواب القسم المقدر، وجواب الشرط محدود، فلا دليل في الآية لحذف الفاء المذكور.
والمسوغ له في آية {قَيِّمَانِ كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ} أن (ما) في قراءة نافع وابن عامر موصولة كما جزم به غير واحد من المحققين، أي والذي أصابكم من مصيبة كان وواقع بسبب ما كسبت أيديكم.
وأما على قراءة الجمهور، فما موصولة أيضاً، ودخول الفاء في خبر الموصول جائز كما أن عدمه جائز، فكلتا القراءتين جارية على أمر جائز.
ومثال دخول الفاء في خبر الموصول قوله تعالى: {أَلِيَاتُ} يُنفَعُونُ أَفْوَاهَهُمُ بأَيْلٍ وَأَلْتِهَارٍ يُسَرَّ وَعَدَّلُينَا فَلَهُمُ أَجْرُهُمْ}.
ولأَخَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرَجُونَ،»، وهو كثير في القرآن. وقال بعضهم: إن (ما) في قراءة الجمهور شرطية، وعليه فاقتران الجزاء بالفاء واجب. أما على قراءة نافع، فيهي موصولة ليس إلا، كما هو التحقيق إن شاء الله.
وكون (ما) شرطية على قراءة، وموصولة على قراءة، لا إشكال فيه؛ لما قدمنا من أن القراءتين في الآية الواحدة كالآتيين.
ومن الآيات الدالة على نحو ما دلت عليه آية الأعamel المذكورة قوله تعالى: «إِنَّمَا سُلَطْتُ عَلَيْهِمُ ٱلْيَدَيْنِ ۖ قَمُّوا ۖ وَلَيْسَ لِي مَثَلُهُمْ مِنَ ٱلْإِخْرَاطِ»، فصرح بتوليهم للشيطان، أي باتباع ما يشتركون لهم من الكفر والمعاصي مخالفًا لما جاءت به الرسول، ثم صرح بأن ذلك إشراك به في قوله تعالى: «وَلَيْسَ مِثَالُهُمْ مِنَ ٱلْإِخْرَاطِ»، وصرح أن الطاعة في ذلك الذي يشرعه الشيطان لهم ويزينه عبادة للشيطان.
ومعلوم أن من عبد الشيطان فقد أشرك بالرحمن، قال تعالى: «نَعْلَمُ أَنَّكَ وَلَدَ أَنَّكَ لَا تُعْبِدُوا ٱلشَّيْطَانَ إِذِّنَ أَتَكُونُوا مُهْيَأِينَ ١٧٢
وَأَنَّ عُسْدِكُمْ هُوَ هَذَا صَرْطُ ۖ مُسْتَقِيمُ ۚ وَلَقَدْ أَنْصَلَ مِنكُمْ جِيْلًا كَبِيرًا ۚ».
ويدخل فيهم متبوع نظام الشيطان دخولاً أوليًا (كأن تكونت عقولهم)
ثم بين المصير الأخير لمن كان عبد الشيطان في دار الدنيا، في قوله تعالى: «هَذِهِ ٱلْجِهَةُ ٱلَّتِي كَسَّطَّت تَكْفِيرٌ ۚ أَصَلُوا ٱلْيَوْمَ بِمَا كَتَبَ تَكْفِيرُ ۚ أَلِفُ ١٧٣
ۚ قَالَ أَيُّ ۗ كَانَ يَكْبِسُونَ».
وقال تعالى عن نبيه إبراهيم: «كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَسَىٰ ۖ فَقُولُهُ: (لا تُعْبِدُوا ٱلشَّيْطَانَۚ)».
من الكفر والمعاصي، مخالفًا لما شرعه الله.
وقال تعالى: "إِن يَعْدُوُّ الَّذِينَ دُونَهُ إِلَّآ إِنَّهُ وَإِن يَعْدُوُّ الَّذِينَ سَيْتَطَنُّهُمْ إِلَّآ سَيْتَطَنُّهُمْ يَعْنِي ما يَعْبُدُونَ إِلَّآ شَيْطَانٌ مَّرِيدٌ.

وقوله تعالى: "وَقَالَ شَيْطَانُ لَمَّا فَيَضَى الأمَّةِ إِنَّ اللهَ وَعَلَى عَهْدِهِمْ وَعَدَّ الْمَلَأِ وَعَدَّ فَأَخْلَفَهُمْ"، إلى قوله: "إِنَّا كَرَّتْنَا يَمَا أَشْرَكُوْا مِن مَّعِينٍ قَبْلَهُ" فقد اعترف بأنهم كانوا مشركين به من قبل أي في دار الدنيا، ولم يكفر بشركهم ذلك إلا يوم القيامة.

وقد أوضح النبي ﷺ هذا المعنى الذي بينا، في الحديث لما سأله عدي بن حاتم رضي الله عنه عن قوله: "أَفْخَذْتُمْ أَحَبَّارَهُمْ وَرَهَبَتِنَّهمْ أَرْبَابًا؟" كيف أتخذوه أربابًا؟ وأجابه ﷺ أنهم أحلوا لهم ما حرم الله وحرموا عليهم ما أحل الله، فاتبعوه، وبذلك الاتباع أتخذوه أرباباً.

ومن أصرح الأدلّة في هذا: أن الكفار إذا أحلوا شيئاً يعلمون أن الله أحله، فإنهم يزدادون كفرًا.
 الجديدة بذلك، مع كفرهم الأول، وذلك في قوله تعالى: "إِنَّمَا الْكَبْرَىٰ أَوْلَىٰ بِالْكَبْرِ بِمَنْ يَبْطُرُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَعْمَلُ عِمْرًةٌ مِّنْ آخِرِهِ وَيَخْلُقُ وَيَبْنِيَ وَيَحْفَدَةً".

وعلى كل حال، فلا شك أن كل من أطاع غير الله في تشريع مخالف لما شرعه الله، فقد أشرك به مع الله، كما يدل لذلك قوله: "وَكَذَلِكَ دُونِيٌّ يُجْعَلُ وَيُقَدِّمُ تُمُّ النُّؤُجَاءَ فَمَنْ أَطَأَهُمْ شَرِكَاءٌ فِي الْأَوْلِيَاءِ". فسماهم شركاء لما أطاعوه في قتل الأولاد، وقوله تعالى: "أَمْ لَهُمْ مُّسَرَّكَةٌ أَشُرُّتُوا لَهُمْ مِنَ الْمَيْتِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ"، فقد سمى تعالى الذين يشرون من الدين لما لم يأذن به الله شركاء.

ومما يزيد ذلك إيضاحاً، أن ما ذكره الله عن الشيطان يوم القيامة، من أنه يقول للذين كانوا يشركون به في دار الدنيا: (إني كفرت بما أشركت ممن قبل) أن ذلك الإشراك المذكور ليس فيه شيء زائد على أنه دعاهم إلى طاعته فاستجابوا له، كما صرح بذلك في قوله تعالى عنه: "وَمَا كَانَ لِي عَلَيْهِمْ مِنْ شَرِيكٍ إِلَّا أنْ عَلَيْهِمْ فَاسْتَجِبَتْ هُمْ لِلْآثَرِ". وهو واضح كما ترى.

وقوله تعالى: "فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لِكُلٍّ مَّنْ أَنْفَسَكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الأَنْتَهَى أَزْوَاجًا يُدْرِوْمُونَ فِيهِ".

وقوله تعالى: "فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" تقدم تفسيره في أول سورة فاطر.

وقوله: "جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفَسَكُمْ أَزْوَاجًا" / أي خلق لكم أزواج من أنفسكم، كما قدمنا الكلام عليه في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: "وَلَهُ الْحَمْدُ لِكُلِّ مَنْ أَنْفَسَكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجٍ بَيْنَنِ وَحْفِدْتَهُ "، وبينا أن المراد بالأزواج الإناث، كما يوضحه قوله.
 تعالى: (وَمِنَ الْعَبْرَاءِ أَزْوَاجُكُمْ وَأَزْوَاجُ الْأُمَّةِ) الآية، وقوله تعالى: (وَأَنَّمَنْ قَالَ هَلْ يُنفِّذُوا نُقُولًا ؟) ، وقوله: (كَانَ هَيْنَاءً مِّنَ الْكُفَّارِ) والأنثى (مُنَظَّفَةُ إِنْ تَطَوَّرَ،) وقوله تعالى: (أَلَيْلًا إِذَا بُكِّيَتْ،) والنهار إِذَا جَاءَتِ الْحَيَاةُ الْآتِيَةُ) والأنثى (الْأَثْرَاءُ بِأَنفُسِهَا رَيْكُمْ الَّذُّي خَلَقْنَهُمْ مِنْ تَنْفِيرٍ وَجِدَأٍ وَحَصَّانٍ لَّهَا زَوَّجَهَا) الآية، وقوله تعالى فيه أيضاً: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَنْفِيرٍ وَجِدَأٍ وَحَصَّانٍ لَّهَا زَوَّجَهَا لِيُسْكِنَّهَا إِلَيْهِ) الآية، وقوله تعالى فيه أيضاً: (خَلَقَكُمْ مِنْ تَنْفِيرٍ وَجِدَأٍ وَحَصَّانٍ لَّهَا زَوَّجَهَا) الآية.

وقوله تعالى: (وَمِنَ الْعَبْرَاءِ أَزْوَاجُكُمْ) هي الشماینة المذكورة في قوله تعالى: (تَنََّبِئُهَا أَزْوَاجُكُمْ بِالْكُفَّارِ آمِنَّكُمْ) الآية، وفي قوله: (خَلَقْنَهُمْ مِنْ تَنْفِيرٍ وَجِدَأٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُمُّ بِرَزْقٍ ثَمَّ نَرْكَرَنَّ الْأَطْرَابَ ثَمَّ نَتََّبِئُهَا) والأنثى (الْعَبْرَاءُ) وهي ذكر ضِمْرِ الرِّضَانِ والرَّفْضِ والبَرْقِ، والبقرة وإناثها، كما قدمنا إيضاحاً في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: (وَالْأَطْرَابُ) والاحترام.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (يُذَرُّوكُمْ فِيهَا) الظاهرة أن ضمير الخطاب في قوله: (يذروكم) شامل للإدمين والأئم، وتغليب الأئم على الأئم فيضمير المخاطبين في قوله: (يذروكم) واضح لا إشكال فيه.

والتحقيق إن شاء الله أن الضمير في قوله: (فيه) راجع إلى ما ذكر من الذكور والأئم من بنى آدم والأئم في قوله تعالى: (جَعَلْنَهُمْ آتِيَةً وَمِنَ الْعَبْرَاءِ أَزْوَاجُكُمْ) سواء قلنا إن المعنى: أن جعل للإدمين إناثاً من أنفسهم أي من جنسهم، وجعل للأئم أيضاً إناثاً كذلك، أو قلنا إن المراد بالأزواج الذكور والأئم منهما معاً. 175
وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الآية الكريمة: (يذروكم) أي يخلقكم وينصركم وينشركم (فيه)، أي فيما ذكر من الذكور والإناث، أي في ضمته، عن طريق التناسل كما هو معروف.

ويوضح ذلك في قوله تعالى: "أنموزكم الله الذي خلقكم من تقيين وجدوا وخلق منها زوجها وتب منهما يجَالا كَيْبَر وَاسْتَمِعْتُوْا، فقوله تعالى: "ربت مثنا يجَالا كَيْبَر وَاسْتَمِعْتُوْا" يوضح معنى قوله: "يذروكم فيه".

فإن قيل: ما وجه إفراد الضمير المجري في قوله: (يذروكم فيه) مع أنه على ما ذكرتم، عائد إلى الذكور والإناث من الآدميين والأنعام؟ فالجواب: أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن، رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً.

ومثاله في الضمير: "قل أريهم إن أحد الله سمعكم وأباحكم وخمم على قولكم من إله غير الله يأتيكم به الآية، فالضمير في قوله: (به) مفرد، مع أنه راجع إلى السمع والأبصار والقلوب.

وقوله: "يأتيكم به" أي بما ذكر من سمعكم وأباحكم وقلوبكم، ومن هذا المعنى قول رؤية بن العجاج: فيها خطوط من سواه وبلق كانه في الجلد تولع البهق، فقوله: "كأنه" أي ما ذكر من خطوط من سواه وبلق.

ومثاله في الإشارة: "لَفَارِضُ وَلَا يَكُونُ عَلَىَّ بِيدَك ذلك" أي بين ذلك المذكور من فارض وبكر، وقال عبد الله بن الزبير السهمي:

إِنَّ لِلَّهِ وَلَلشَّهَرْ مُدَّى وَكَلَا ذلِكَ وَجِهٌ وَقَبْلٌ 176

أي كلا ذلك المذكور من الخير والشر.
وقول من قال: إن الضمير في قوله: (فبه) راجع إلى الرحم،
وقول من قال: راجع إلى البطن، ومن قال: راجع إلى الجعل
المفهوم من جعل، وقول من قال: راجع إلى التدبير، ونحو ذلك من
الأقوال؛ خلاف الصواب.
والتحقيق إن شاء الله هو ما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: *لِنَسْأَلُهُمَا رَبَّنَا شَفَّهُمَا وَهُوَ أَلَّمِيْسِعُ
البصيرُ.*

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الأعراف في الكلام على قوله
 تعالى: *تَمْ أَسْأَلُوهُ عَلَى الْعَرَبُ."

* قوله تعالى: *لَمْ نَيْشَأْهَا وَيَقْبَدْرُ."

*(مقاليد السموات والأرض) هي مفاتيحهما.

وهو جمع لا واحد له من لفظه، فمفردها إقليد، وجمعها
مقاليد على غير قياس، والإقليد المفتاح. وقيل: واحدها مقليد،
وهو قول غير معروف في اللغة.

وكونه جل وعلا *لَمْ تُقْلِيدُهُمَا الْعَمَّارُوتُ وَالْأَرْضُ. أي مفاتيحهما،
كتابة عن كونه جل وعلا هو وحده المالك لخزائن السماء والأرض؛ لأن ملك مفاتيحها يستلزم ملكها.

/ وقد ذكر جل وعلا مثل هذا في سورة الزمر في قوله تعالى:
سورة الشورى

١٨٩

لَكَ مَقَالَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الآيَةِ.

وَمَا دَلَّ عَلَى أَيَّةِ الشُّورِيٍّ هَذِهِ وَايَةَ الزَّمَرِ المذكُورَانِ، مِنْ أَنَّهُ

جِلَ وَعَلَا هُوَ مَا لِكَ بِخَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، جَاءَ مِنْ وَسْعِهِ فِي

آيَاتٍ أُخَرَ كَفَّارَتُهُ تَعَالَى: "وَلَكِنِّ خَزَائِنِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمَسْتَفْقِينَ لَا

يَقْهَجُونَ"، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: "فَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعْنَادُهُ مَحْرَابًا وَمَا مَحْرَابٌ إلَّا

يَقْدِرُ مَعْلُوَبًا".

وَبِيْنَ فِي مَوَاضِعٍ أَخَرٍ أَنَّ خَزَائِنِ الرَّحْمَةِ لَا يَكُونُ أنْ تَكُونَ

لِغِيرِهِ، كَفَّارَتُهُ تَعَالَى: "أَرَأَيْتُوهُ خَزَائِنَ رَحمَةِ رَبِّكَ الْغَفُورِ الرَّحْمَٰنِ"، 

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: "أَرَأَيْتُوهُ خَزَائِنَ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَسْتَفْقِينَ"، وَقَوْلِهِ

تَعَالَى: "فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَا كَسِبَتِهِمْ عَرْجُونًا رَحْمَةً رَبِّي إِذَا لَا مَسْتَفْقِينَ حَسَبُهُ الْإِنْفَقَاءُ وَكَانَ

الْإِنْسَانُ فَحَّرَارًا(١٦٤)

وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ الْمَثْقُوبَةِ: "يَبْسُطُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ" جَاءَ

مَعْنَاهُ مَوْضِحًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَفَّارَتُهُ تَعَالَى: "فَلْيُرَى رَبُّكَ بِسْطَانَ الرَّزْقِ لِمَنْ

يَشَاء مِنْ عَبادِهِ وَيَقْدِرُ لِمَنْ يَشَاء" الآيَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "فَلْيُرَى رَبُّكَ بِسْطَانَ الرَّزْقِ

لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلِيْكَ أَنْ تَكُونَ لَا يَعْلَمُونَ"، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "آَللَّهُ

يَبْسُطُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ وَفِيْهَا خَيْرُ الْحَيَاةِ الْأَكْبَرُ" الآيَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "وَلَّهُ

فَضْلُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَرْضِ" الآيَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّ يَكُونُ غَيْبًا أوْ قَبْيِاءً

فَأَلْحَلَّ مَنْ يَشَاء مِنَ الْجَهَّاَلِ الآيَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "فَلِينْفَقُ دُرَّةً مِّنْ سَعْبَةِ مَنْ ذُكِّرَ

عَلَيْهِ رَقْمَٰتُ مَا قَالَهُنَّ اِبْنَ آدَمَ آلِهَةٌ إِلَّآ اللَّهُ الآيَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى

رَقْمِهِ يُضِيقُ عَلَيْهِ رَزْقٍ فَلَمْ يَشَاءُ لَهُ وَيَقْدِرُ" فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ، أَيْ بِسْطَانِ الرَّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ
ويقدر أي يضيق الرزق على من يشاء تضييقه عليه، كما أوضحنا في سورّة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: "قُلْ أَلَّا تَثْثِيرَ عَلَيْهِ".

وقد بين جل وعلا في بعض الآيات حكمة تضييقه للرزق على من ضيق عليه.

وذكر أن من حكّم ذلك أن بسط الرزق للإنسان قد يحمله على البحير والطغيان، كقوله تعالى: "وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ آدَمَ الرَّزْقَ لِيُبَيِّنَّهُ، لَبْغَوُا فِي الأَرْضِ وَلَكِنَّهُمْ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ فِيهِ صَرْقًا حَيْرًا"، وقوله تعالى:

"كَذَلْكَ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ فَلَوْ رَآهَا لَأَسْتَعْفَىٰ".

* قوله تعالى: "شَاعَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مَا وَصَىَ الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيهِ وَأَلَذِينَ".

أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَيْتَهُ بِإِبْرَاهِيمَ وَمَوْضُوعَ وَعِيسَىَ أَقِيمْوا اللَّهِنَّ.

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى: "وَإِذَا أَقِيتُمُ الْأَلَّذِينَ مَسْتَعْقِبُوا مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَنَافِكَ وَمَنْ فُجِّيَ" الآية.

* قوله تعالى: "وَلَا يَنْفِرُوا فِيهِ".

الضمير في قوله: (فيه)، راجع إلى (الدين) في قوله: (أن أقيموا الدين).

وَمَا تضمنته هذا الآية الكريمة من النهي عن الافتراف في الدين، جاء مبينًا في غير هذا الموضوع، وقد بين تعالى أنه وصى خلقه بذلك، فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: "وَأَغْمَضْنَا بِيْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا نَفْرُقُوا الآية"، وقوله تعالى: "فَأَنَّ هَذَا صَرْطُ مُسْتَقِيمًا فَايْتَعُوا وَلَا تَتَعْمَى أَشْبَالُ نَفْرُقٍ يَكْمِنُ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَ مُصْنَعُ بِهِ لَعَلَّهُمْ يُنَقُّونَ".
وقد بين تعالى في بعض المواضع/ أن بعض الناس لا يجتنبون
179 هذا النهي، وهدهم على ذلك، كقوله تعالى: "إن آليين فرقوا بينهم
وكأنوا يقولون لست مميتين في شيء/ إنما أرسلتم إلى الله بنيتم/ يا كتابيا يشعرون (55)
لأن قوله: "لست مميتين في شيء/ إلى قوله: "يشعرون" فيه تهديد عظيم
لهم.

وقوله تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون: "وإن هذه أمشك أمة
ووجدة/ ونا ربحكم قالتور (100) فتقطعوا أمتكم
فقالبم أن جربا بما للذين
فرعون (3) فذرهم في عمرتهم حتى جهن (46)

فقوله: "فإن هذه أمشك أمة ووجدة" أي إن هذه شريعةكم شريعة
واحدة، ودينكم دين واحد، وربكم واحد؛ فلا تفرقوها في الدين.
وقوله جل وعلا: "فتقطعوا أمتكم بينهم زبرًا " دليل على أنهم
لم يجتنبو ما نهوا عنه من ذلك.

وقوله تعالى: "فذرهم في عمرتهم حتى جهن (46) فيه تهديد لهم
وعيد عليهم.

ونظير ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء: "إن هذين أمشك
أمة ووجدة: ونا ربحكم فأتعبدوب (92) وتقطعوا أمتكم بينهم
إليهما رجوع (102) فإنه تعالى: "ستيلإيهما رجوع (91) فيه
أيضا تهديد لهم ووعد على ذلك، وقد أوضحنا تفسير هذه الآيات
في آخر سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: "إن هذين أمشك
أمة ووجدة" الآية.

وقد جاء في الحديث المشهور افتراق اليهود على إحدى
وسبعين فرقة، وافتراق المسلمين إلى اثنين وسبعين فرقة، وافتراق
هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأن الناجية منها واحدة، وهي التي كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

قوله تعالى: (كُبِّرُوا الْمُشْرِكِينَ مَا نَذَّبْهُمْ إِلَيْهِ). ١٨٠

بين جل وعلا أنه (كبير على المشركين) أي شق عليهم وعظم ما يدعوه إليه من عبادة الله تعالى وحده، وطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولهفظ ذلك ومشقق عليهما كانوا يكرهون ما أنزل الله، ويجهدون في عدم سماعه لشدة كراهتهم له، بل يكادون يبسطون بمن ينزل عليهم آيات ربه لشدة بعضهم وكراهتهم لها.

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ.

فقد بين تعالى مشقة ذلك على قوم نوح وكبير عليهم في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: (وَأَتِلَّ عَلَيْهِمْ نَجْوَىٰ إِذْ قَالَ الْمُكَفَّرُونَ ۖ يَقُولُونَ إِنَّ كَبِيرًا عَلَىٰ مَعَاءٍ. وَذَكَّرُوهُ يُكْتَبُونَ أَنَّ اللَّهَ وَيُسْكُنُّونَ الآية، وقوله تعالى عن نوح: (لَا إِلَّا ٍسَكَةٍ دُوَّارُهُمْ يَتَّقُونَ نَزُلَهُمْ جَعَلُوا أَصِيَّعًا فِي مَا داَمُوا وَأَسْتَغْشَروْا بَيْنَهُمْ وَأَسْتَغْشَروْا أَسْتَكَبَارًا). ٢

وقوله تعالى: (جَعَلُوا أَصِيَّعًا فِي مَا داَمُوا وَأَسْتَغْشَروْا بَيْنَهُمْ) يدل دلالة واضحة على شدة بعضهم وكراهتهم لما يدعوه إلى نوح، فهو واضح في أنهم كبر عليهم ما يدعوه إليه من توحيد الله والإيمان به.

وقد بين الله تعالى مثل ذلك في الكفار الذين كذبوا نبنا محمدًا ﷺ في آيات من كتابه، كقوله تعالى: (فَإِذَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ أَيْنَّا بِيَدّهَا ۖ تَعْرَفُ فِي وُجُوبِ أَلَٰٓيْهِ كُفَّرُوا الْمُحْسِنِينَ يَكَادُونَ يُسْتَطْوِرُونَ).
باب الذين يكرهون {أنيبناً}، فقوله تعالى: {تَعَفَّرُ في وجوهِ الَّذينَ كَفَّارُ الَّذينَ كَفَّارٍ} الآية، يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم وكراهيتهم لسماع تلك الآيات.

وقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَّارُونَ لَا شَمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَلَا قُرْآنَ فِي مَعْلُوْمٍ} الآية، ولذلك أثبته القدح في الزخرف: {لَا تَكُنُّ نِعْمَةً لَّهُمْ وَلَا أَكْرَمَ مِنْ يَتَّقُونَ} كَرَهَوْنَ، وقوله تعالى في قل أفلح المؤمنون: {آمِنُوا بِي وَجَنِّبُوا مَنْ كَرَهَكُمْ} {بَلْ جَاهِزُونَ}، وقوله تعالى في النقول: {ذِلِّلَهُمْ أَنْ يَكُونُوا كَرَهِّي} {وَأَكْسَرُوْمُ} هُمْ كَرَهُوْنَ، وقوله تعالى في الفتن: {بِنَبَأَتْنَاهُ اِلَّهُ} فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَ اِلَّهِ وَمَا بَعْدُهُ {مَعْلُوْمٍ}. وقوله تعالى: {وَإِذَا قَالْتَ عَلَيْهِمْ وَلَا قُرْآنٍ فِي مَعْلُوْمٍ} كَرَهَوْنَ، وأنَّهُمْ لا يَأْمُرُونَ {بِمَا تَعْلَى}. وقوله تعالى: {يَسْتَنْفِدُ عَلَيْهِمْ وَلَا شَمَعُوا} وقوله تعالى: {وَقَالْوا قُلْوًا فِي أَسْمَاعِنَا} {مَا نَعْلُوهُ إِلَّا وَقِيَ إِذَا كَانَ وَقِوٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ جَحَابٌ} الآية والآيات بمعنى ذلك كثير.

واعلم أن هؤلاء الذين يكرهون ما أنزل الله، يجب على كل مسلم أن يحذر كل الحذر من أن يطيعهم في بعض أمرهم، لأن ذلك يستلزم نتائج سبعة متاهية في السوء، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَّارٍ ارْتَدُوا أَلَمْ يَتَذَكَّرُوا أَلَمْ يَتَذَكَّرُوا أَيَّامَنَا وَأَيَّامُ الْآخِرَةِ} {ذِلِّلَهُمْ} {إِنَّا نَهَيْنَا الْأَمْامِ} {فِي} {إِذَا نَزَعْتُمْ كَمَا نَعْلُوهُ} وقوله {فَأَصْحَبُوا} فأصحبوا ما أنزل الله وكرهوا ورضوناهما وأحببوا أعمالهم {كَرَهَوْنَ} فعلى كل مسلم أن يحذر ثم يحذر ثم يحذر كل الحذر.
من أن يقول للذين كفروا، الذين يكرهون ما أنزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر؛ لأن ذلك يسبب له ما ذكره الله في الآيات المذكورة، ويكفيه زجراً وردعاً عن ذلك قول ربه تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا نُفِتَّهُمْ المَلِكَيْتَانِ بَصْرِيَّتُهُمْ وَجُوْهَرُهُمْ وَأَذْبَحُّهُمْ أَمْلَىٰهُمْ" إلى قوله: «فَأَحْذَرُوهُمْ أَمْلَىٰهُمْ.")

قوله تعالى: "َِلِلْيَوْمِ الْيَوْمِ الْمَيِّضِ إِلَيْهِ مِنْ يُشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ يُشَاءُ".

الاجتياء في اللغة العربية معناه الاختيار والاصطفاء.

وقد دلت هذه الآية الكريمة على أنه تعالى يجتبي من خلقه من يشاء اجتياه.

وقد بين في مواضع أخرى بعض من شاء اجتياه من خلقه، فيبين أن منهم المؤمنين من هذه الأمة، في قوله تعالى: "يَتَأْتِيَهَا الْذَّينُ أَوْلَادُهُ وَأَمَّهُ وَأَبُوَّهُ وَأَتْهَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَخْفَفْتُهُمْ وَأَكْرَبْتُهُمْ وَأَنْعَمَ فَأَنْعَمْ رَبُّكَ عَلَيْهِمْ إِنَّ رَبَّكَ لَعَظِيمٌ" إلى قوله: "هُوَ الْكَبِيرُ الْخَيرُ الْمُبَارَكُ للَّذِينَ مَسَّهُمْ مِنَ الْأَذْىَ" وقوله تعالى: "فَمَنْ أَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنْ لَهُمْ أُوْلَادُ فَهُمْ أُوْلَادُ الْمَيِّضِ إِلَّا هُمْ إِلَى رَبِّهِمْ يُنْتِيُّهُمْ يَدُوْنَى" الآية.

وبين في موضوع آخر أن منهم آدم، وهو قوله تعالى:

"ثُمَّ أَجَنَبُهُ رَبُّهُ فَأَفَاتَهُ وَهَدَاهُ"، وذكر أن منهم إبراهيم في قوله: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ۖ إِلَى قَوْلِهِ: "سَاحِكُراً لَّنَعِمَّ أَجْبَتُهُ" الآية. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اجتياء بعض الخلق بالتعيين.

وقوله تعالى: "وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ تَبْيِينٍ" أي من سبق في
علمه أنه ينسب إلى الله، أي يرجع إلى ما يرضيه من الإيمان والطاعة.
ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الرعد: "قل إنَّ الله يُضيفُ مِن
يشاء وَيَهْدِئِهِ إِلَيْهِ مِنْ أَنَابٍ".

* قوله تعالى: "وَقَلَّ عَامَتُ يَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ
وَأَمْرُتُ لَأَعْدَلِ بِيْنَهُمَا".

تقدمت الآيات الموضحة له في سورة البقرة في الكلام على
 قوله تعالى: "وَمَا أَوْيَىٰ الْبَيِّنَاتُ مِنْ ذِي الْقُرْآنِ لَا تَفْرَقُ بِهِ بَيْنَ أَحَدِ يَتَّهِمُوهُ".

* قوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ يَلَحَّقُ
183 وَالْمِيزَانَ".

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي أنزل الكتاب
في حال كونه متباسما بالحق الذي هو ضد الباطل، وقوله: "لكتاب"
اسم جنس مراد به جميع الكتب السماوية.

وقد أوضحنا في سورة الحج أن المفرد الذي هو اسم جنس
يطلق مرادا به الجمع، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك مع الشواهد
العربية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَالْمِيزَانَ" يعني أن الله جل
وعلا هو الذي أنزل الميزان، والمراد به العدل والانصاف.

وقال بعض أهل العلم: الميزان في الآية: هو آلة الوزن
المعروفة.

وهما يؤكد ذلك أن الميزان مفعول، والمفعول قياسي في اسم
الآلة.
وُلِي التفسير الأول وهو أن الميزان: العدل والإنصاف، فالميزان الذي هو آلة الوزن المعروفة داخل فيه؛ لأن إقامة الوزن بالقسم من العدل والإنصاف.

وأما تمضيت هذه الآية الكريمة من أن الله تعالى هو الذي أنزل الكتاب والميزان أوضحه في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في سورة الاحمد: "لقد أرسلنا رسالنا إلى بني إسرائيل وآزلنا معهم الكتب والميزانات وقد علمنا آليتص.

فصرح تعالى بأنه أنزل مع رسله الكتاب والميزان لأجل أن يقوم الناس بالقسم، وهو العدل والإنصاف، وكقوله تعالى في سورة الرحمن: "والسماوات رفعها ووضع الميزانات ولا تطغوا في الميزان ولا تقصروا في الميزان".

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن الميزان في سورة الشورى وسورة الحديد هو العدل والإنصاف، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وأن الميزان في سورة الرحمن هو الميزان المعروف، أعني آلة الوزن التي يوزن بها بعض المبيعات.

ومما يدل على ذلك أنه في سورة الشورى وسورة الحديد عبر بإزال الميزان لا بوضعه، وقال في سورة الشورى: "إِنَّ خَلْقَ الْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ"، وقال في الحديد: "وآزلنا معهم الكتب والميزانات".

وأما في سورة الرحمن فقد عبر بالوضع لا بإزال، قال:

...
والسما، وقَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ... ثم أتبع ذلك بما بدَّل على أن المراد به آلة الوزن المعروفة، وذلك في قوله: وأَقِيمُوا الْوُزَرَ لَيْكُمْ وَالْمِيزَانَ... لأن الميزان الذي نهوا عن إخساره هو أخو المكيل، كما قال تعالى: وأَقِيمُوا الْكَلِلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخَيَّرِينَ وَزِرنَاهَا لَيْكُمْ أَسْتَطِيعُونَ... وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زِرنَاهُمْ مَكِيْلًا، وقال تعالى عن نبيه شعيب: ولا تنفصُوا الْمِيْكَالَ وَالْمِيزَانَ... الآية، وقال تعالى عنه أيضاً: قد جاءتم بِكِتَابٍ مِّن رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْمِيْكَالَ وَالْمِيزَانَ... الآية، وقال تعالى في سورة الأعام: وأَوْفُوا الْمِيْكَالَ وَالْمِيزَانَ لَا تَكُونُ نفساً إِلَّا وَسُعُهَا، وقال تعالى في سورة بني إسرائيل: وأَوْفُوا... الكَلِلَ إِلَّا كَلِلَ وَرَزْنِهَا لَيْكُمْ أَسْتَطِيعُونَ.

فإن قيل: قد اجتزم أن المراد بالميزان في سورة الشورى وسورة الحديد، هو العدل والإنصاف، وأن المراد بالميزان في سورة الرحمن هو آلة الوزن المعروفة، وذكرت نظرات ذلك من الأيات القرآنية، وعلى هذا الذي اجتزم / يشك أن الفرق بين الكتاب والميزان؛ لأن الكتب السماوية كلها عدل وإنصاف.

فالجواب من وجهين:

الأول منها: هو ما قدمنا مراً من أن الشيء الواحد إذا عبر عنه بصفتين مختلفتين جاز عطفه على نفسه، تنزيلاً للتفاوت بين الصفات منزلة التفاوت في الذوات، ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: سَيَعَزِّرُ رَبُّكُ الْأَكْثَرِ أَلَّا يَلْعَظُ فَضْوَى ۗ وَلَاتَّبِعِ الْأَطْرَابَۚ وَلَاتَّجِلُّ أَنْحَرَ ۚ فَالْمِصْرُوفُ وَاحِدٌ وَالصُّفَاتُ مَخْلُوقَة، وقد ساق...
العطاف لتغاير الصفات. ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر:
إلى الملك القرم، وابن الهما، م وليث الكتبة في المهد،
وأما الوجه الثاني: فهو ما أشار إليه العلامة ابن القيم رحمه الله
في {إعلام الموقفين} من المغافرة في الجملة بين الكتاب والميزان.
وإيضاح ذلك: أن المراد بالكتاب هو العدل والإنصاف
المصرح به في الكتب السماوية.
وأما الميزان، فيصدق بالعدل والإنصاف الذي لم يصرح به في
الكتب السماوية، ولكنه معلوم مما صرح به فيها.
فالتأليف في قوله تعالى: {فلانقلُ مَثَلًا أَنَّى} من الكتاب؛ لأنه
صرح به في الكتاب، ومنع ضرب الوالدين مثل المدلول عليه بالنهاي
عن التأليف، من الميزان، أي من العدل والإنصاف الذي أنزله الله مع
رسله.

/ وقبول شهادة العدلين في الرجعة والطلاق، المنصوص في
قوله تعالى: {وَأَشْهَداً ذَوَى عَدْلٍ يَنْتَكَرُ} من الكتاب الذي أنزله الله;
لأنه صرح به فيه.
وقبول شهادة أربعة عدول في ذلك، من الميزان الذي أنزله الله
مع رسله.

وتحريم أكل مال اليتيم المذكور في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَموَلَ آَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ} في {طُوُيْهُمْ نَارًا} الآية، من الكتاب.
وتحريم إغراء مال اليتيم وإجراحه، المعروف (1) من ذلك، من
الميزان الذي أنزله الله مع رسله.

(1) كذا في الأصل.
وجلد القاذف الذكر للمحصنة الأنثى ثمانين جلدة، ورد
شاهدته، والحكم بفسقه، المنصوص في قوله تعالى: «وَأَلَّذِينَ يَرْمُونَ
المُحَصَّنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمَّ شَهَادَةً فَأَجِدْنَهُمُ شَهَاءً جَلْدًا» إلى قوله: «إِلَّا أَلَّذِينَ
كَأَوْمَلًةً آيَةً، من الكتاب الذي أنزله الله.

وعقوبة القاذف الذكر لذكر مشله، والأنثى القاذفة لذكر
أو لأنثى، بمثل تلك العقوبة المنصوصة في القرآن، من الميزان
المذكر.

وحيلية المرأة التي كانت مبتوطة، بسبب نكاح زوج ثان وطلاقه
لها بعد الدخول، المنصوص في قوله تعالى: «إِنَّهُمَا فَلاَجْعَالُ عَلَيْهِمَا
آنْ يُزِجْعَا»، أي فإن طلقتها الزوج الثاني بعد الدخول وذوق العيسيلة،
فلا جناح عليهما) أي لا جناح على المرأة التي كانت مبتوطة،
والزوج الذي كانت حراما عليه، أن يترجعا بعد نكاح الثاني وطلاقه
لها = من الكتاب الذي أنزله الله.

وأما إن مات الزوج الثاني بعد أن دخل بها وكان موتة قبل أن
يطلقها، / فحلّيتها للأول الذي كانت حراما عليه، من الميزان الذي
أنزله الله مع رسوله.

ونقل أشرنا إلى كلام ابن القيم المذكور، وأكثرنا من الأمثلة
لذلك في سورة الأنبياء في كلامنا الطويل على قوله تعالى: «وَكَادُوْدُ
وَسَيْمِنَ إِذْ يَعْصِمُنَّاهُمْ فِي الْجُهَرُ» الآية.

* قوله تعالى: «وَمَا يَدْرِيَّكَ لِعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ».

قد قدمنا الآيات الموضحة له، في أول سورة النحل في الكلام
على قوله تعالى: «أَنَّ أَمَّةَ اللَّهِ فَلاَ شَعَاءُلُوهُ» الآية، وفي سورة
الأحزاب في الكلام على قوله:  "وَمَا يَدْرِيكَ لَمَّا الْسَاعَةُ تَكُونُ قَرِينَةَ؟، وفي سورة المؤمن في الكلام على قوله تعالى:

* قوله تعالى:  "يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَاِّثْمِالْيَوْمِ الْآخِرِ" الآية.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل:

الأولى: أن الكفار الذين لا يؤمنون بالساعة، يستعجلون بها أي يطلبون تعجيلها عليهم، لشدة إنكارهم لها.

والثانية: أن المؤمنين مشفوقون منها، أي خائفون منها.

والثالثة: أنهم يعلمون أنها الحق، أي أن قيامها ووقوعها حق لا شك فيه.

وكل هذه المسائل الثلاث المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت موضحة في غير هذا الموضع.

أما استعجالهم لها، فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الرعد في الكلام / على قوله تعالى:  "وَيَسْتَعِجِلُونَ يَّمِينًا قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الْمَلِئُ"، وفي غير ذلك من المواضع.

وأما المسألة الثانية، التي هي إشراق المؤمنين وخوفهم من الساعة، فقد ذكره في مواضع أخرى، كقوله تعالى:  "الَّذِينَ يَعْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغُدُّ وَهُمْ يَتَّلَبُونَ الْسَاعَةَ مُشْفَقَوْنَ، وهو قوله تعالى:  "يَقْتُلُونَ يَوْمَ الْيَومِ نَسْلُبُ بِهِ آٓبَالْقُوَّةَ وَالْأَلْقِسْرِ"، وقوله تعالى:  "يَقُولُونَ بِالْدُّرَّ وَيَقُولُونَ يُومًا كَانَ شَرَّ مَسْتَيْرًا."
وصمlec تلسة الثالثة، وهي علمهم أن الساعة حق، فقد دلت عليه الآيات المقرحة بأنها لا ريب فيها؛ لأنها تتضمن نفي الرب فيها عن المؤمنين، والرب: الشك، كقوله تعالى عن الراسخين في العلم: "ربين إنا إنك جناحيماً أثناء لينظر ربك فيهم" الآية، وقوله تعالى: "الله لا إله إلا هو ليجم منهكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه" الآية، وقوله تعالى: "فكيين إنا Если جعتهم ليوم لا ريب فيه" الآية، وقوله تعالى: "ونذر يوم القيامة لا ربك فيه" الآية، وقوله تعالى: "ذلك يرام اللهم هو الحق وأنت بما توقع أولهم وأنت على كل شيء قدير" وأن الساعة مربعة لا ريب فيها وأخر الله يبعث من في القبور"، إلى غير ذلك من الآيات.

قله تعالى: "لا إله إلا الله يمارة في الساعات لبني صلليم".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: "كل كذبوا بالساعة وأعدوا له من سكينة بالساعة سمعاً".

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "يوم عورتك"، مضارع، ماري، ماري مرا ومرارة، إذا خاصم وجاد.

ومنه قوله تعالى: "فلا تماريفهم إلآ ظهراء".

وقوله: "لي من سلالم بساعدة" أي بعيد عن الحق والصواب.

وقد قدمنا معاني الضلال في القرآن واللغة العربية، مع الشواهد، في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى "قال فعلمها إذا وتأين الصالحين"، وفي مواضع أخرى من هذا الكتاب المبارك.

قله تعالى: "قل لا أستلقو عليكم أجرًا إلآ الموهد في القرآن".

قد بينا في سورة هود في الكلام على قوله تعالى: "ويقذور لا"
إنشاءكم عليه مالاً الآية، أن جميع الرسل عليهم الصلاوات والسلام
لا يأخذون أجراً على التبليغ، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك.

وقد ذكرنا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب،
وجه الجمع بين تلك الآيات، وأية الشورى هذه، فقلنا فيه:

أعلم أولاً أن في قوله تعالى "إلا المودة في القرآن" أربعة أقوال:

الأول: ورواه الشهابي وغيره عن ابن عباس، وله قال مjahad
وقتادة وعكرمة وأبو مالك والضحاك، ابن زيد وغيرهم، كما
نقله عنهم ابن جرير وغيره، أن معنى الآية "قل لا أستلم عليهم أجراً إلا المودة في القرآن" أي إلا أن تودوني في قرباني التي بيني وبينكم، فتكفوا عني أذاكم وتمعاوني من أذى الناس، كما تمنعون كل من بينكم وبينه مثل قرباني منكم، وكان له في كل بطن من قريش
رحم، فهذا الذي سألهم ليس بأجر على التبليغ؛ لأنه مبذول لكل
أحد؛ لأن كل أحد يود أهل قرابته وينتصرون له من أذى الناس.

وقد فعل له ذلك أبو طالب، ولم يكن أجراً على التبليغ؛ لأنه
لم يؤمن.

وإذا كان لا يسأل أجراً إلا هذا الذي ليس بأجر، تحقق أنه
لا يسأل أجراً، كقول النابغة:
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتائب
ومثل هذا يسميه البلاغيون تأكيد المدح بما يشبه الذم.
وهذا القول هو الصحيح في الآية، واختاره ابن جرير، وعليه
فلا إشكال.
الثاني: أن معنى الآية "إلا المودة في القرن" أي لا تؤذوا قرابتي وعترتي واحفظوني فهم، ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وعلي بن الحسين، ويعليه فلا إشكال أيضاً؛ لأن المودة بين المسلمين واجبة فيما بينهم، وأخرى قرابة النبي ﷺ، قال تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعموم أولياء الله بعض بعض"، وفي الحديث "مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كالجسد الواحد، إذا أصاب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، وقال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، والأحاديث في مثل هذا كثيرة جداً.

وإذا كان نفس الدين يوجب هذا بين المسلمين، تبين أنه غير عوض عن التبليغ.

وقال بعض العلماء: الاستثناء منقطع على كلا القولين، وعليه فلا إشكال.

فمعناته على القول الأول: "لا أستلمكم عليه أجراً" لكن أذكركم قرابتي فيكم.

/ وعلى الثاني: لكن أذكركم الله في قرابتي، فاحفظوني فهم.

القول الثالث، وله قال الحسن: (إلا المودة في القرن) أي إلا أن تتدوا إلى الله وتقتربوا إليه بالطاعة والعمل الصالح. وعليه فلا إشكال؛ لأن التقرب إلى الله ليس أجرًا على التبليغ.

القول الرابع: (إلا المودة في القرن)، أي إلا أن تتدوا إلى قراباتكم وتصلا أرحامكم. ذكر ابن جرير هذا القول عن عبد الله بن
القاسم، وعليه أيضاً فلا إشكال؛ لأن صلة الإنسان رحمه ليست أجرًا على التليل.

فقد علمت الصحيح في تفسير الآية، وظهر لك رفع الإشكال على جميع الأقوال.

وأما القول بأن قوله تعالى: «إلا المودة في القرآن» منسوخ بقوله تعالى: «قل ما سألتكم من أجر فهؤلاء لكم»، فهو ضعيف، والعلم عند الله تعالى. إنهه منه.

وقد علمت مما ذكرنا فيه أن القول الأول هو الصحيح في معنى الآية، مع أن كثيرًا من الناس يظنون أن القول الثاني هو معنى الآية، ففي سبيل أن معنى «إلا المودة في القرآن» إلا أن تودون في أهل قرابتي.

ومنه ذكر محمد السجاد، حيث قال لقائه يوم الجمل: أذرك حم، يعني سورة الشورى هذه، ومراده أنه من أهل قرابية رسول الله ﷺ، فيلزم حفظه فيهم؛ لأن الله تعالى قال في حم هذه: «إلا المودة في القرآن»، فهو يريد المعنى المذكور، يظهر هو المراد بالآية، ولهذا قال قائه في ذلك:

١٩٢ / يذكرني حاميم والرحم شاجر فهلا تلاحاميم قبل التقدم.

وقد ذكرنا هذا البيت والأبيات التي قبله في أول سورة هود، وذكرنا أن البخاري ذكر البيت المذكور في سورة المؤمن، وذكرنا الخلف في قائل الأبيات الذي قتل محمد السجاد بن طلحة بن عبد الله يوم الجمل، هل هو شريف بن أبي أوفى العبسي كما قال البخاري؟ أو الأشر النخعي، أو عصام ابن مقشعر، أو مدلج بن كعب السعدي، أو كعب بن مدلج.
سورة الشورى

ومن ظن أن معنى الآية هو ما ظنه محمد السجاد المذكور،
الكميت، في قوله في أهل قرابة رسول الله ﷺ:
وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منتقية ومغربة،
والتحقيق إن شاء الله أن معنى الآية هو القول الأول: «إلا
المؤذة في القرن»، أي إلا أن تذودي في قرابة فيك وتحفظوني فيها،
فتكفوا عنى أذاكم وتمعوني من أذى الناس، كما هو شأن أهل
القرابات.

* قوله تعالى: *ومن يقرف حسنة نردها فيها حسنة*.

الاقتراف معناه الاكتساب، أي من يعمل حسنة من الحسنات
ويكسبها نردها فيها حسناً، أي نضاعفها له.

فمضاعفة الحسنات هي الزيادة في حسنها، وهذا المعنى
توضحه آيات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: *وإن تلك حسناً
يضاعفها ويوتوب بين الله أجرًا عظيمًا*، وقوله تعالى: *من جاه
بالسنة فالمئة عشر أمثالها*، وقوله تعالى: *من ذا الذي يقرض الله قرضًا
حسناً يضاعف له أضعافًا حكيمة*، وقوله تعالى: *وأبقوا الصلاة وآتوا
الزكوة وأرضوا الله فضلًا حسناً وما تقيموا لأنفسكم من حشر تجدون عند الله هو خيرا وأعظم
أجرًا* فكونه خيرا وأعظم أجرًا زيادة في حسنة، كما لا يخفى، إلى
غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: *وهو الذي يقبل النوبة عن عباده ويغفروها عنٍ
السيِّئات*.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو وحده الذي يقبل النوبة
عن عباده ويعفو عن السائتات. وقد جاء ذلك موضوعاً في مواضع أخرى، كقوله تعالى: {&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&
تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَوَأْتُمُوهُ جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ» يعني سفينة نوح، وسميت جارية لأنها تجري في البحر.

وقوله: «كَالْقِلَّةِ» أي كالجبال، شبه السفن بالجبال، لعظمها. وعن مjahد أن الأعلام القصور، وعن الخليل: أن كل مرتفع تسميه العرب علماً، وجمع العلم أعلاهم.

وهاذا الذي ذكره الخليل معروف في اللغة، ومنه قول الخنساء ترشي أخاه صخراً:

وإن صخراً لتؤمن الهداة به كأنه علم في رأسه نار.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن جريان السفن في البحر، من آياته تعالى الدالة على كمال قدرته، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: «وَأُولَٰيَةٌ مِّنَ الْجَمِيعِ أَنْ أَخْلَصُواْ ذُنُوبَهُمْ فِي الْكَبَارِ»، و«وَخُفَّتْهُمْ مِّنْ يَعْقِبِهِمْ»، وإن شأ نغرقهم فلا صريع لهم ولاهم يبكونون إلاّ رحمة مثنا ومتنا إلى حين، وقوله تعالى: «فَأَفْجَنِّيهِ وَأَصْحَبُ الْمَسْبِكَةَ»، وقوله تعالى: «إِنَّ فِي حُقُقِ الْقُرْآنِ أَخْطَأَتْ وَأَحْيَاتُهَا وَجَعَلَهَا»، وقوله تعالى: «لَا يَلْقُوْنَ عَفْلَانًا»، وقوله تعالى في سورة النمل: «وَنَزَّهُوْا الْمَلَّاكَ»، وقوله تعالى في الآية، وقوله في فاطر: «وَرَأَى الْمَلَّاكُ»، لتنغوا من فضله، الآية، والآيات بعث ذلك كثيرا معلوما.

وقرأ هذا الحرف نافع وأبو عمرو (الجواري) بباء ساكنة بعد الراء في الوصل فقط دون الوقف، وقرأ ابن كثير بالباء المذكورة في
الوصول والوقف معاً، وقرأ الباكون (الجوار) بحذف الياء في الواصل والوقف معاً.

* قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثمِّ وَالْفَوْاحَشَ»

الأية.

قرأ هذا الحرف حمزة والكسائي (كبير الائم)، بكسر الباء بعدها ياء ساكنة وراء، على صيغة الافراد.

وقرأ الباكون بفتح الباء بعدها ألف فهمها مكسورة قبل الراء، على صيغة الجمع.

وقوله: «وَالَّذِينَ» في محل جر عطفاً على قوله: «وَمَا عَمِدَ اللَّهُ خَيرًا وَأَبْقَى لِلْيَتِيمَاءِ أَمْسِكَةً وَأَرَى رَبَّهُمْ يَوْمَ يُوْقَبُونَ» أي وخير وأبقى أيضاً للذين يجتبن كبار الائم والفواحش.

والفواحش جمع فاحشة. والحقيقة إن شاء الله أن الفواحش من جملة الكبائر، والأظهر أنها من أشعها؛ لأن الفاحشة في اللغة هي الخصلة المتناهية في القبح، وكل متشدد في شيء مبالغ فيه فهو فاحش فيه.

ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته:
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المشد.

وقوله: «الفاحش» أي المبالغ في البخل المتناهي فيه.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من وعده تعالى الصادق للذين يجتبن كبار الائم والفواحش بما عنده لهم من الثواب الذي هو خير وأبقى، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، فبين تعالى في سورة
النساء أن من ذلك تكفيه تعالى عنهم سيئاتهم، وإدخالهم المدخل الكرم وهو الجنة، في قوله تعالى: {إنَّكُم مِّن غَاصِبٍ مَا أَمْتَنُونَ عَنْهُ}.
وبين في سورة النجم أنهم باجتتاهم كبار الإثم والفواحش يصدق عليهم اسم المحسنين، ووعدهم على ذلك بالحسنى، والأظهر أنها الجنة، ويدل له حديث: {الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم} في تفسير قوله تعالى: {وَلَيْلَتَينِ أَحْسَنَانِ لِأَمْسِكَ وَزِيَادَةً} كما قدمتاه.

وأية النجم المذكورة هي قوله تعالى: {وَجَعَلُونَ الْمَسْتَقُّ الْمَسْتَقِيمَ}، ثم بين المراد بالذين أحسنا في قوله: {الَّذِينِ يَجْتَنَبُونَ كَبِيرَ الْأَثَرِ وَالْفَوْرِجَحِ إِلَّا لَمْ يَرْكَبْ وَيَسْقِعَ}.

وأظهر الأقوال في قوله: {إِلاَّ الْلَّهُ}، أن المراد باللهم صغير الذنوب، ومن أوضح الآيات القرآنية في ذلك قوله تعالى: {إِنَّكُم مِّن غَاصِبٍ مَا أَمْتَنُونَ عَنْهُ} الآية؛ فدلت على أن اجتتاهم الكبار بسبب لغفران الصغار، وخير ما يفسر به القرآن الكريم.

وبدل لهذا حديث ابن عباس الثابت في الصحيح، قال: ما رأيت شيئا أشبه باللهم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ، قال: {إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمُ حَظَهُ مِنَ الْزَّنَةِ، أَدْرَكْ ذَلِكَ لَا مَحَالَةً، فَزَنَا الْعَينَ الْمَرْحُولَةَ.}.

وعلى هذا القول فالاستثناء في قوله: {إِلاَّ الْلَّهُ} منقطع؛ لأن اللهم الذي هو الصغير على هذا القول لا يدخل في الكبار.
وانفاحش، وقد قدمنا تحقيق المقام في الاستثناء المنقطع في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: «لا يسمعون فيها ولا يبلغون». وقالت جماعة من أهل العلم: الاستثناء متصل، قالوا: وعليه فمعنى (لا يسمعون فيها ولا يبلغون) إلا أن يلم بفاحشة مرة ثم يجتنبها ولا يعود لها بعد ذلك.

وأستدلوا بذلك بقول الراجز:

إن تغفر اللَّهُمَّ تغفر جَمَعًا وأي عباد لك مَا أَلَمْا وروى هذا البيت ابن جرير والترمذي وغيرهما مرفوعًا، وفي صحته مرفوعًا نظر.

وقال بعض العلماء: المراد باللمم ما سلف منهم من الكفر والمعاصي، قبل الدخول في الإسلام. ولا يخفى بعده وأظهر الأقوال هو ما قدمنا؛ لدلالة آية النساء المذكورة عليه، وحديث ابن عباس المتفق عليه.

واعلم أن كبار الآثام ليست محدودة في عدد معين، وقد جاء تعني بعضها، كالسمع الموبقات أي المهلكات لعظمها، وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أنها «الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والزول يوم الزحف، وقذف المحتشات الغافلات المؤمنات».

وقد جاءت روایات كثيرة عن النبي ﷺ في تعني بعض الكبار، كعقوبة الوالدين، واستحالة حرمة بيت الله الحرام، والرجوع إلى البادية بعد الهجرة، وشرب الخمر، واليمين الخموس، والسرقة، ومنع فضف الماء، ومنع فضل الكلا، وشهادة الزور.
وفي بعض الروايات الثابتة في الصحيح عن ابن مسعود: أن أكبر الكبائر الأشرار بالله الذي خلق الخلق، ثم قتل الرجل ولده خشية أن يطعم معه، ثم زنأهم بحليلة جاره. وفي بعضها أيضاً: أن من الكبائر تسبب الرجل في سب والديه، وفي بعضها أيضاً: أن سباب المسلم فسوق وفتاحه كثر، وذلك يدل على أنهما من الكبائر.

وفي بعض الروايات: أن من الكبائر الوقوع في عرض المسلم والسبتين بالسبتين.

وفي بعض الروايات: أن منها جمع الصلاتين من غير عذر.

وفي بعضها: أن منها اليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، ويدل عليهما قوله تعالى: "إِنَّمَا لا يَأْتِيُّكُمْ مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا أَلْقَوْمٌ الْكَفَّارُونَ"، وقوله: "فَلَا يَأْتَنَّ مَحْسُورٌ اللَّهِ إِلَّا أَلْقَوْمٌ الْخَمِيسِيُّونَ".

وفي بعضها: أن منها سوء الظن بالله، ويدل له قوله تعالى: "وَعَدَّبْهُ الْمُنَفِّقِينَ وَالْمُتَعَفِّقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ الْأَظُلَّاءِ بِآيَاتِنَا أَنَّهُمْ فِي السَّوْءِ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ وَأَعَدُّ لَهُمْ جَهَنَّمَةَ وَسَاءَتُ مَصِيرُهُمْ.".

وفي بعضها: أن منها الإضرار في الوصية.

وفي بعضها: أن منها الغلول، ويدل له قوله تعالى: "وَمَن يَقْتَلُ يَتَّبِعَهُمْ يَوْمَ الْقِبَّةَ". وقدمنا معنى الغلول في سورة الأنفال، وذكرنا حكم الغال.

وفي بعضها: أن من أهل الكبائر الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً، ويدل له قوله تعالى: "أَوْلَٰئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي
ألْخَرَ، وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ يَخُذُّونَ الْمَغْمُوْمَ، وَلَا يُجْعَلُنَّ عَلَيْهِمْ غُنْهًا وَلَا عَذَابًا إِلَّآ أَيْضًا ذَلِكَ لِيُزَحَّكُواْ بِهِمْ وَلَهُمْ.

وَلَمْ نَذَكْرُ / أَسَانِيدَ هَذِهِ الْرَوَايَاتِ وَنَصُوصُ مَتَنَّـِهَا خَوَفَ الْإِطَالَةُ، وَأَسَانِيدَ بَعْضَهَا لا تَخْلُوٌ مِنْ نُظْرٍ، لَكِنْهَا لَا يَكَادُ يَخَلُوٌ شَيْءٌ مِّنْهَا عَنْ بَعْضِ الشَّوَاهِدِ الصَّحِيحَةِ، مِنْ كِتَابِ اللَّهُ أَوْ سَنَةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَأَعْلَمَ أنَّ أُهِلَّ العُلُومِ اخْتَلَفُوا فِي حَدِ الكِبْرَةِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِي كُلُّ ذَنْبٍ أَسْتُوِجَّ حَدًا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِي كُلُّ ذَنْبٍ جَاوَّلُ الْوَعْيِ عَلَيْهِ بَنُورٍ أَوْ لِعْنَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ عَذَابٍ.

وَخَتَّامُ بَعْضُ المُتَأَخِّرِينَ حَدِ الكِبْرَةِ بَأَنَا هِي كُلُّ ذَنْبٍ دُلْ عَلَى إِلْمَتْرَكَةِ عِلَاءَ الْخَيْرَ.

وَعَنْ أَبِنِ عُبَيْسَ أَنَّ الكَبِرَاتِ أَقْرَبُ إِلَى الْسَّبِيعِ مِنْهَا إِلَى السَّبِيعِ، وَعَنْهُ أَيْضاً أَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى سَبْعَمَائَةِ مِنْهَا إِلَى السَّبِيعِ،

قَالَ مَقِيِّدُهُ عَفَّا اللَّهُ عَنْهُ وَغَفَّرَ لِهِ: الْتَحْقِيقُ أَنَّهَا لَا تَتَحَصَّرُ فِي السَّبِيعِ، وَأَنْ مَا دَلْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَلَى أَنَّهَا سَبِيعٌ لَا يَقْضَى اِنْحَصَّارَهَا فِي ذَلِكَ الْعَدْدِ؛ لَكِنَّهُ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى نَفَيِّ غَيْرِ السَّبِيعِ بِالْمَفْهُومِ، وَهُوَ مَفْهُومُ لِقبٍ، وَالحَقُّ عَدْمُ اعْتِبارِهِ.

وَلَوْ قَلْنَا إِنَّ مَفْهُومَ عَدْدٍ لَكُنَّا غَيْرُ مَعْتَبِرٌ أَيْضاًٌ لِأَنَّ زِيَادَةَ الكِبَرَاتِ عَلَى السَّبِيعِ مَدُولَةً عَلَيْهَا بِالْمَنْطُوقِ.

وَقَدْ جَاوَّلَهَا فِي الصَّحِيحِ عَدْدٌ أُخْرَيْ مِنْ سَبِيعِهِ، وَالْمَنْطُوقِ مُقْدَمٌ عَلَى الْمَفْهُومِ، مِثْلُ مَفْهُومِ الْعَدْدِ لَيسْ مِنْ أَقْوَى الْمَفاهِيمِ.
والأظهر عندي في ضابط الكبيرة أنها كل ذنب اقترن بما يدل
على أنه أعظم من مطلق المعاصية، سواء كان ذلك الوحيد عليه بنار
أو غضب أو لعنة / أو عذاب، أو كان وجب الحد فيه، أو غير ذلك
200
mma يدل على تغليط التحرير وتوكيده.

مع أن بعض أهل العلم قال: إن كل ذنب كبيرة. وقوله تعالى:
«إن يَحْسَنُوا سَكَبَّيْرًا مَا ثُمِّنَ عَنْهُ» الآية، وقوله: "إِنَّ اللَّهَ يَلَد
على عدم المساواة، وأن بعض المعاصي كبائر وبعضها صغرى،
والمعروف عند أهل العلم: أنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع
الاستغفار، والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: «وَجَرَّوْا سَيْنَا سَيْنَا وَمِثْلَهَا».

قد قدمنا الآيات الموضوعة له في آخر سورة النحل في الكلام
على قوله تعالى: «وَإِنَّ عَابِرِيَ الْمَسْتَمْعَانِ مَعْوَظَةٌ مَّعْوَظَةٌ» الآية، وفي
سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: «فَنِعَّالٌ عَبَدٌ أَلَّذِينَ يُسْتَمِعُونَ
الْقُوَّةِ فِيْعَنَّ أَحْسَنَهَا» الآية.

* قوله تعالى: «وَلَمْ يَنْصَرِ بَعْدٌ طَيِّبٌ مَا عَلِيَّهُ مِنْ
سَيْبِيلٍ».

قد قدمنا الآيات الموضوعة له في الكلام على آية النحل وآية
الزمر المذكورتين آنفاً.

* قوله تعالى: «وَرُوِّي الْبَلَيْمَينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» الآية.

قد قدمنا الآيات الموضوعة له في سورة الأعراف في الكلام
على قوله تعالى: «فَهْلَ لَنَا مِنْ شُفَعاءٍ يَشْفَعُونَ لَنَا أَوْ تَقَلَّبْنَى
فَيَنْصَلُ».
قوله تعالى: (وَذَلِكَ أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبُّكُمْ أَمْرًا). قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: (نَزَّلَ الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مُرْسَالِهِ مِنْ عَبْدِهِ). الآية.

قوله تعالى: (مَا كَنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَا يُسْتَقِيمُ). جعلتهُ نُورًا تَهْدِي بين مَنْ شَأَّهُ مِنْ عَبْدِهِ.

قوله تعالى في هذه الآية الكرمة: (مَا كَنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) لبين الله جل وعلا فيه منته على هذا النبّي الكريم، بأنه علمه هذا القرآن العظيم ولم يكن يعلمه قبل ذلك، وعلمته تفاصيل دين الإسلام ولم يكن يعلمها قبل ذلك.

قوله: (مَا كَنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ) أي ما كنت تعلم ما هو هذا الكتاب الذي هو القرآن العظيم، حتى علمته، وما كنت تدري ما الإيمان الذي هو تفاصيل هذا الدين الإسلامي، حتى علمته.

ومعلوم أن الحق الذي لا شك فيه الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد.

وذلك ثابت في أحاديث صحيحة كثيرة، منها: حديث وفد عبد القيس المشهور، ومنها حديث: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا» الحدِيث، نسبي فيه قيام رمضان إيمانًا، وحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، وفي بعض روآته: «بضع وستون شعبة أعلاها شهادة آلا إله إلا الله، وأدناها إبادة الأذى عن الطريق».
والآحاديث بمثل ذلك كثيرة، ويكون في ذلك ما أورده البيهقي في "شبه الإيمان".

فهو صلوات الله وسلامه عليه ما كان يعرف تفاصيل الصلوات المكتوبة وأوقاتها، ولا صوم رمضان، وما يجوز فيه وما لا يجوز، ولم يكن يعرف تفاصيل الزكاة ولا ما تجب فيه ولا قدر النصاب وقدر الواجب فيه، ولا تفاصيل الحج، ونحو ذلك، وهذا هو المراد بقوله تعالى: "ولَآ أَلِيمَنَ".

وأما ذكره هنا من أنه لم يكن يعلم هذه الأمور حتى علمه إياها بان أوعى / إليه هذا النور العظيم الذي هو كتاب الله، جاء في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: "وَأَنُّذِرْنَ أَلِيمَاً عَلَىَّ أَلِيمَ حِيْبَةً وَأَلِيمَةً وَعَلِيمًا مَا لَمْ تُنْتَعِلَمْ آيةً، وقوله جل وعلا: "يَقُولُ نَفْسُ عَلِيمَ أَخْسَسُ النَّصِيحَةِ لَمَّا أَوَحَّيْتُ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن سَكَتْ مِن قَبْلِهِ لَيَسُهُّ اللَّهُ الْعَفَّارِ".

فقوله في آية يوسف هذه: "وَإِن سَكَتْ مِن قَبْلِهِ لَيَسُهُّ اللَّهُ الْعَفَّارِ"، كقوله هنا: "ما كَتَبْنَا مَا أَلِيمَتْ وَلَا أَلِيمَنَ"، وقوله تعالى: "وَوَجَادُكَ سَالِمًا فَهَدِيْاً يَقُولُ: أَلا فَطُنَّا إِذَا أَوَاتَنَا مِن الصَّالِحِينَ"، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَلَنْ نَجِلَّنَّهُ نُورًا ثَنَيدًا يُهَدِيهِ مِن نَّشَاءَ"، الضمير في قوله: (جعلناه) راجع إلى القرآن العظيم المذكور في قوله: "وَفَرِّحْ بِنَآيَةٍ"، وقاله: "ما كَتَبْنَا مَا أَلِيمَتْ" أي ولكن جعلنا هذا القرآن العظيم نورًا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا.
وسمي القرآن نوراً، لأنه يضيء الحق ويزيل ظلمات الجهل والشك والشرك.

وأما ذلك هنا من أن هذا القرآن نور، جاء موضحًا في آيات أخرى، كقوله تعالى: "بَلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْكَبْرِيَّةِ مِنكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا"، وقوله تعالى: "وَاتَّبِعُوا الأَنْبَاءَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مَعَ مُوسَى"، وقوله تعالى: "فَبِذَاتِ الْخَلْقِ فَاعْلَهُ بِذَاتِ الْخَلْقِ وَيَهْدِي إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"، وقوله تعالى: "أَطْهَرُوا أَيْنَاءَ وَرُسُلِي وَالْأَنْبَاءَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ".

وهذا، مثل هذه الآيات الكريمة من كون هذا القرآن نورًا يدل على أنه هو الذي يكشف ظلمات الجهل، ويظهر في ضوئه الحق، ويتميز عن الباطل، ويميز بين الهدى والضلال والحسن والقبيح.

فيجب على كل مسلم أن يستضيء بنوره، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويمثل أوارمه، ويتجنب ما نهى عنه، ويعتبر بقصصه وأمثاله.

والسنة كلها داخلة في العمل به، لقوله تعالى: "وَمَا أَنْذَكَرْنَا الرَّسُولَ".

* قوله تعالى: "وَإِذَا لَمْ يَنْفَعَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ حَذَرُوهُ وَمَا أَحَدَّهُمُ الْعَذَابَانِ".

الصراط المستقيم، قد بنيته تعالى في قوله: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقيم، أنّمَتُ عليهم غير المغضوب عليهم ولا أَضْلَّا لَينَ".
وقوله في هذه الآية الكريمة (وَإِنَّكَ لَتَهْيَئٌ) الآية، قد بينا الآيات الموضحة له في سورة فضلت في الكلام على قوله تعالى: (وَمَا نَمَى فَهَيْدُبُوا هُمُ الْآيَةَ) الآية، وبيننا هناك وجه الجمع بين قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْيَئٌ إِلَى صَبْرٍ مُّسْتَقَيِّمٍ) مع قوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدَى مَنْ أَحْبَبَ). والصراط في لغة العرب: الطريق الواضح، والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ومنه قول جبريل: أمير المؤمنين على صراط إذا أعوج الموارد مستقيم.

قوله تعالى: (آَلَآ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأَمْوَرُ). ما تضمنت هذه الآية الكريمة من كون الأمور كلهها تصير إلى الله، أي ترجع إليه وحده لا إلى غيره، جاء موضحًا في آيات أخرى، كقوله تعالى: (وَلَهُمْ غَيْبُ الْعُمُوْرِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْوَرُ) كلامًا، وقوله تعالى: (وَلَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأَمْوَرُ) كُنُمْ خَيْرَ أَمْيَةٍ أَخْرَجْتُ لِلْكُنُوس). إلى غير ذلك من الآيات.
سورة الزخرف
ِنُبِيُّ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* قوله تعالى: «حمٌ»، وَالْكَبِيرٌ أَلْمَيْسِينِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْرِيْبًا» الآية.

قد قدمنا الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة هود.

وقوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْرِيْبًا» قد قدمنا الكلام عليه في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى: «يَتَکُونُ مِنَ السَّنَادِرِ»، وفي سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: «قُرْءَانًا أَعْرِيْبًا غَيْرَ ذِي عَوْجَٰرَةٍ» الآية.

* قوله تعالى: «فَأَهْلَكْنَا أَشْدَ مِنْهُم بَطْشًا وَمَعْصِيَّةٍ مَّنْ أَلْقَى».

الضمير في قوله: (منهم) عائد إلى القوم المسرفين، المخاطبين بقوله: «فَأَضْرَبْ عَنْكُمْ الْبَطْشَ لَا تَظْلِمُوا الْمُسْلِمِينَ»، وفيه ما يسميه علماً البلاغة باللفظتين من الخطاب إلى الغيبة.

وقوله: «أَشْدَ مِنْهُمْ» مفعول به لأهلنا، وأصله نعت لمجذوف، والتقدير: فأهلنا قوماً أشد منهم بطشاً، على حدد قوله في الخلاصة: وما من المنعوت والنعوت عقل يجوز حذفه وفي النعوت يقيل.
وقوله: (بطشأ) تميز محول من الفاعل، على حد قوله في

الخلاصة:

والفاعل المعنى انصب بفاعل، مفضلاً كانت أعلا منزلا
والبطش: أصل الأخذ بعنف وشدة.

والمعنى: فأهلكنا قوماً أشد ببطشأ من كفار مكة الذين كذبوا

نبينا، بسبب تكذيبهم ورسلهم، فليحذر الكفار الذين كذبوا

أنهلكهم بسب ذلك كما أهلكنا الذين كانوا أشد منهم ببطشأ، أي أكثر

منهم عدداً وعدداً وجلداً.

فعلى الأضعف الأقل أن يتبع بإهلاك الأقوى الأكبر.

وقوله في هذه الآية الكريمة: (ومضى مثل الآولين 8) أي

صفتهم التي هي إهلاكهم المستأصل، بسبب تكذيبهم الرسل.

وقول من قال: (ملك الآولين 8) أي عقوبته وعستهم،

راجع في المعنى إلى ذلك.

وأما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد الكفار الذين كذبوا

محمدًا ﷺ، بأن الله أهلك من هم أقوي منهم، ليحذروا أن يفعل بهم

مثل ما فعل بأولئك، جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى:

(أولئك أتبعوا في الأرض فنظرها كيف كنعنيمة اللدن من قبلهم حكمنا أشد

بهم قوة واناروا الأرض وعمروها استقرت مما عمروها) الآية، وقوله

 تعالى: (أتم سبئوا في الأرض فنظرها كيف كان عنيمة debated من قبلهم

كانوا أحكموا فيهم وأشد قوةً واناروا في الأرض) الآية، وقوله تعالى: (إذ

يرى الله من قبلهم من قرن مكتملهم في الأرض ما تم نكماً لكر وآنساً السماء

عليهم يدراك) إلى قوله: ( فأهل كهم يبكون) الآية، وقوله تعالى:
وسُذِّبَ آلِذٍ من قِلَّيمِهِم وَمَا بَلَغَوْا مِعْشَارَ مَا أَلْبَنُوهُم فَكَذَّبُوهُم رَسُولُهُ فَكَفَّرَ كَانَ
مُكِّرٌ ﴿۲۰۹﴾، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكُمُ الْيَتِيمُونَ الَّذِينَ فِي الْأَرْضِ فَيُظْهِرُونَ كَفَّارًا كَانَ عَلَيْهِمْ
أَلْبِينُهُم وَكَانَوا أَشْدًّا مِّنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ يُعْجِرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمُوُّ وَلَا
فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴿۲۱﴾.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَفَصِّلْ مَكْلَٰلٗ﴾: ما تضمنت هذه الآية الكريمة من تهديد كفارة مكة الذين كذبوا محمدًا ﷺ، بصفة إهلاكهم وسته فيهم التي هي العقوبة وعداب الاستقصال، جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ نَيْبُوتُهُمْ رَأَوْا إِلَّا نُوحًا﴾، ﴿أَسْتَكَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكَرَ الْأَسْتِيَّةَ لَا يُجَفَّ أَلْسِنَتُهُمْ إِلَّا ﴿۲۱۰﴾، ﴿وَلَا يَحَلُّ الْأَمْرُ إِلَّا ﴿۲۱۱﴾، ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رَسُولُهُ بِالْيَسِينَتْ فَحَرَّجُوا بِمَا
عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَفَاحَكَهُمْ وَبَلَغَوْا بَيْهُمَا كَأَنَّهُمْ يَسَّرُّونَ ﴿۲۱۲﴾، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَيْنَاهَا ﴿۲۱۳﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۱۴﴾، ﴿رَأَوُا بَيْنَاهَا ﴿۲۱۵﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۱۶﴾، ﴿يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۱۷﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۱۸﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۱۹﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۲۰﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۲۱﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۲۲﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۲۳﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۲۴﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۲۵﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ ﴿۲۲۶﴾، ﴿فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ لَمْ 

وقد قدمنا بعض الآيات الدالة على هذا في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَأَعْفَوْنَا مِنْهُمْ وَأَفْرَغْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابَ الْعَذَابِ الْأَلَّمِ﴾، ﴿وَلَنَسَلَّنَّهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُوُّ وَالأَرْضَ﴾:

* قوله تعالى: ﴿وَلَنَسَلَّنَّهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُوُّ وَالأَرْضَ﴾، ﴿لِيَقُولُوا حَلَّقَهُنَّ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.
الكلام على قوله تعالى: "إِنَّهُمْ أَلَّا يَأْتَى إِلَّيْنِي هُمْ أُقْمُونَ".

* قوله تعالى: "اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لِّا مُنْهَدَةً "مَهْدًا بِفَتْحِ الْمِيم*.

قرأ هذا الحرف عاصم وحزمة والكسائي "مهدًا" بفتح الميم وسكون /الهاء، وقرأ بها السبعة "مهدًا" بكسر الميم وفتح الهاء.

بعدها ألف، ومعناهما واحد وهو الفراش.

وكذلك ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه جعل الأرض لبنى آدم مهدًا أي فراشاً، وأنه جعل لهم سبلًا أي طرقًا ليمشوا فيها ويسكنوها، ففصلوا بها من قتار إلى قتار. وهذان الأمران اللذان تضمنهما هذه الآية الكريمة، من كونه تعالى جعل الأرض فراشاً لبنى آدم، وجعل لهم فيها الطرق لينفذوا من قتار إلى قتار، جاء مواضحاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: "وَاللَّهُ جَعَلَ لُكْرُ الأَرْضِ يِسَاطَا عَلَيْهَا فَتَسَكُّنُوا فِيهَا بِفَتَاحٍ "مَهْدًا وَسُبُلًا لِلْمُتْمِئِنِينَ"، وقوله تعالى: "وَجَعَلَنَا فِي الأَرْضِ رَوْئِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلَنَا فِيهَا فِجْرًا وَسُبُلًا لِلْمُتْمِهِّدِينَ".

وذكر كون الأرض فراشاً لبنى آدم في آيات كثيرة، كقوله تعالى: "وَالْأَرْضُ فَرَشَّتْهَا لَكُمْ الْمُهِدُودُونَ "مَهْدًا وَسُبُلًا لِلْمُتْمِيِّمِينَ"، وقوله تعالى: "اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشُّتًا بِالْمَيَامِهـَةِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً جَعَلْتُهُ مَرَزًا وَرَفَقَهُ مِنَ الصَّمْرَتِ وَلَسُبُلًا لِلْمُتْمِيِّمِينَ "مَهْدًا وَسُبُلًا لِلْمُتْمِيِّمِينَ" الآية.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: "وَأَلَقَّنَا فِي الأَرْضِ رَوَآيَةً أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَسُبُلًا لِلْمُتْمِهِّدِينَ "مَهْدًا وَسُبُلًا لِلْمُتْمِيِّمِينَ".
سورة الزخرف

قوله تعالى: "وَلَّيْ نَزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَا يُقَدِّرُ فَانْشَرْنَا".

٨١١

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من دلالة إحياء الأرض بعد موتها على خروج الناس من قبورهم أحياء بعد الموت، في قوله تعالى: "كَذَلِكَ تَعَلَّمُونَ" جاء موضحاً في آيات كثيرة قد قدمناها في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: "وَأَنَّىٰ مَنْ آتَيْنَاهُمَا رَحْمَةً فَأَخْذَاهُ".

وقد قدمنا في سورة الفرقان معنى الإنشاء والنشور وما في ذلك من اللغات مع الشواهد العربية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "يُقَدِّرُ".

قال بعض العلماء: أي بقدر سابق وقضاء.

وقال بعض العلماء: أي بمقدار يكون به إصلاح البشر، فلم يكثر الماء جداً فيكون طوفاناً فيヘルكهم، ولم يجعله قليلاً دون قدر الكفاية، بل نزله بقدر الكفاية من غير مضرة، كما قال تعالى: "وَأَنَّىٰ مَنْ آتَيْنَاهُمَا مَا يُقَدِّرُ فَأَشْكَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَأَيْنَّا عَلَىٰ ذِبَاحٍ بَيْنَ لَيْكَنَّ رَبِّلَيْكَ إِنَّا يُقَدِّرُونَ".

وقال تعالى: "وَقَلْنَ قِدْرًا إِلَّا مَعَ كُلِّ حَيَاتٍ وَمَا نَزَّلَهُ إِلَّا يُقَدِّرُ".

"مَعْلُومٌ" إلى قوله: "وَمَا أَشْهَرَ مِنْ لَبَدْعِّيْنِ".
قوله تعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ كَلِهاً).

الأزواج الأصناف، والزوج تطلقه العرب على الصفح.

وقد بين تعالى أن الأزواج المذكورة هنا تشمل أصناف النبات.

وبني آدم وما لا يعلمه إلا الله.

قال تعالى: (وَمَنْ أَنفَسْهُمْ وَمَيْمَا لَا يُعَلَّمُونَ مَثَلًا)، وقال تعالى: (وَأَيْمَنْ يَسْتَمِعُ إِلَى مَثَلَ الْبَالِغِينَ؟)... 211

فأخبرنا به أزواجه من نبات شغٍّ. / وقال تعالى: (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا آللَّهُ أُهْتَرَتْ وَرَتَّبْتَ مِنْ صَقُّ رَجُلٍ نَحْيَجْ أَيَّ مِنْ كُلٍّ صَنفٍ حسن من أصناف النبات، وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاء مَاءً كَابِنَانِ فِيهَا مِنْ صَقِّ رَجُلٍ نَحْيَجْ). 212

ومن إطلاق الأزواج على الأصناف في القرآن قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْنَا مِنْ شَكْلٍ إِلَّا مَثَلًا،) وقوله تعالى: (لاَمْ تَضْعَفْنَ عِبَادَتِي إِلَّا مَتَاعًا)

وقد قدمنا طرفاً من ذلك في سورة الصفات في الكلام على

قوله تعالى: (خَلَقْنَا مِنْ أَلْفَاتِكَ وَالْأَعْمَى مَا تَرَكُونَ 211)

قوله تعالى: (وَحَجَّلْ لِكُلِّ فَلَكٍ وَالْأَعْمَى مَا تَرَكُونَ).

لَيَسْتَوَيْنَ عَلَى ظُهُورِهِ، مَا تَذَكَّرُوا، أَيَّامًا رَيْمًا إِذَا أَسَوِيَّتْ عَلَيْهِمَّ).

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثره في سورة المؤمن، في

الكلام على قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَفَاتَ لِتَكُونُوا عَرُوْضًا لْهُمْ) الآية.

وضمير المفرد المذكور الغائب في قوله: (لَيَسْتَوَيْنَ عَلَى ظُهُورِهِ)،

وقوله: (إِذَا أَسَوِيَّتْ عَلَيْهِ،) الرجوع إلى لفظ (ما) في قوله: (وَحَجَّلْ لِكُلِّ فَلَكٍ وَالْأَعْمَى مَا تَرَكُونَ 211).
قوله تعالى: «وَقُولُواْ سَبِحْنَآ اللَّهَ سُحْرَرًا لَّنَا هَدًا وَمَا كُنَّا مُقَرِّرِينَ».

يعني جل وعلا أنه جعل بني آدم ما يركبونه من الفلك التي هي السفن، ومن الأنعام؛ ليستوا، أي يرتفعوا معتدلين على ظهوره، ثم يذكروا في قلوبهم نعمة ربي عليهم تلك المركبات، ثم يقولوا بأسلبهم مع تفهم معنى ما يقولون: «سَبِحْنَآ اللَّهَ سُحْرَرًا لَّنَا هَدًا وَمَا كُنَّا مُقَرِّرِينَ».

وقوله: «سُبْحَنَّهُ» قد قدمنا في أول سورة بني إسرائيل معناه بإيضاح / وأنه يدل على تنزيه الله جل وعلا أكمل التنزيه وأتمه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، والإشارة في قوله: «هَدًا» راجعة إلى لفظ ( ما ) من قوله: «مَا تَرْكُونَ» وجمع الظهور نظراً إلى معنى ( ما )؛ لأن معناها عام شامل لكل ما تشمله صلتها، وللفظها مفرد فالجمع في الآية باعتبار معناها، والمراد باعتبار لفظها.

وقوله: «اللَّهِ سُحْرَرًا لَّنَا هَدًا» أي الذي ذل لنا هذا الذي هو ما تركه من الأنعام والسفن؛ لأن الأنعام لو لم يذلله الله لهم لما قدووا عليها، ولا يخفى أن الجمل أقوى من الرجل، وكذلك البحر لو لم يذلله لهم ويسخر لهم إجراء السفن فيه لما قدووا على شيء من ذلك.

وقوله تعالى: «وَمَا كُنَّا مُقَرِّرِينَ» أي مطيعين. والعرب تقول: أقرن الرجل للأمر وأقرنه، إذا كان مطيعاً له كنفأً للقيام به، من قولهم: أقرنت الدابة للدابة، بمعنى أنك إذا قرنتهما في حبل قدرت على مقاومتها، ولم تكن أضعف منها، فتجروا؛ لأن الضعيف إذا لَّزَّ
في القرآن أي الحبل مع القوي جرره ولم يقدر على مقاومته، كما قال:
جرير:
وابن اللبون إذا ما لز في قرن
لم يستطع صولة البلق القنايص
وهي المعنى معروف في كلام العرب، ومنه قول عمر بن معد
يكرب، وقد أنشده قطرب لهذا المعنى:
لقد علم القبائل ما عقيل
ليتنا في النائيات بمرتينا
وقول ابن هرمة:
وأقرنت ما حملنتي ولقلما
يطاق احتمال الصدأ يا دععدها الهجر
وقول الآخر:
و14/ ركبتم صعبتي أشرًا وحيفة
وأائد للصعاب بمرتينا
وما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن ما ذكر من السفن والأنعام لو لم
بذل الله لهم لما أقرنوا له ولما أطلقوا، جاء مبيناً في آيات أخرى، قال تعالى
في ركوب الفلك: "وايتها لهم آلياً حاسباً ذرتهم في الفلك المشحون، وفقهنا لهم
هالتي يقله ما يركبون" وقال تعالى: "وهو الذي سحق الأبحر
ليكون أشرباً منهما لتحمياً طرياً" الآية، وقال تعالى: "اللهم حنيف
البحر ليجري الفلك فيه يا أمير، ولبسطوا من فضلك" الآية، وقال تعالى: "سحق
لهم الفلك ليجري في البحر يا أمير، وسحق لكم الأنهار" الآية، وقال
تعالى: "إن في خلق السماوات والأرض ولاستلتف أنيبلي وانهض والبلق أنيبلي
تجري في البحر يا يفع القاس" الآية، وقال تعالى: "اللهم تر أن الله سحق
لكل ما في الأرض والبلق تجري في البحر يا أمير، ويسبك أكلمك أنت تمنع عن الأرض
إلا بإذنها" الآية، الآيات بمثل ذلك كثيرة.
وقال تعالى في تسخير الأنعام: "وخلقتها لم يكمن فيها ركوبهم وقلهها"
قال تعالى: {وجعلوا الله عباده جزءًا}. قال بعض العلماء: {جزءًا} أي عدلًا ونظيرًا، يعني الأصنام وغيرها من المعبدات من دون الله. وقال بعض العلماء: {جزءًا} أي ولداً. وقال بعض العلماء: {جزءًا} يعني البنات.

/وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: أن الجزء النصيب، 215/ واستشهد على ذلك بآية الأعام، أعني قوله تعالى: {وجعلوا أيوبًا ذرًا} يرمي {الحكرث والأنعيم} تصيبًا فقولاً: هكذا يدعو الله يرميهما، وهذا ليس بالزيت، الآية.

قال مقيده عنا الله عنه وغفر له: الذي يظهر أن قول ابن كثير هذا رحمه الله غير صواب في الآية؛ لأن المجعل لله في آية الأعام، هو النصيب مما ذرأ من الحرك والأنعام، والمجعل له في آية الزخرف هذه، جزء من عباده لا مما ذرأ من الحرك والأنعام. وبين الأميرين فرق واضح كما ترى.

وأن قول قنادة ومن وافقه: إن المراد بالجزء العدل والنظر الذي هو الشريك، غير صواب أيضًا؛ لأن إطلاق الجزء على النظر ليس بمعروف في كلام العرب.
أما كون المراد بالجزء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث، فهذا هو التحقق في الآية.

وإطلاق الجزء على الولد يوجه بأمرين:

أحدهما: ما ذكره بعض علماء العربية من أن العرب تطلق الجزء مرادًا به البنات، ويقولون: أجزأت المرأة إذا ولدت البنات، وأمراء مجزئة أي تلد البنات، قالوا ومنه قول الشاعر:

إن أجزأت حرة يومًا فلا عجب 
قد تجزيء الحرة المذكار أحياناً

وقول الآخر:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة للعوسج اللدن في أبائها زجل وأنكر الزمخشري هذه اللغة قائلًا: إنها كذب وافترا على العرب.

قال في الكشاف في الكلام على هذه الآية الكريمة: ومن بدع التفسير، تفسير الجزء بالإناث، وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه: أجزأت المرأة، ثم صنعوا بيتًا وبيتاً:

* إن أجزأت حرة يومًا فلا عجب *

* زوجتها من بنات الأوس مجزئة * . أهمنه بلظمه.

وقال ابن منصور في اللفظ: وفي التنزيل العزيز: وجعلنا آله

من عبادي جزأ، أرجأ، قال أبو إسحاق: يعني به الذين جعلوا الملائكة بنات الله تعالى وتقدس عما افتروا، قال: وقد أنشد بيتًا يدل على
سورة الرَّحْف

أنعني جزءاً معني الأُنثاء، قال: ولا أسري البيت هو قديم أم مصنوع؟

* إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب * البيت.

والمعنى في قوله: {وَجَعَلْنَا لَمَّا مِنْ عِبادِي جَزَءًا} أي جعلوا
نصيب الله من الولد الأُنثاء. قال: ولم أجدوه في شعر قديم
ولا رواه عن العرب الثقاب، وأجزأت المرأة ولدت الأُنثاء، وأنشد
أبو حنيفة:

* زوجتها من بنات الأووس مجزئة * البيت

انتهى الغرض من كلام صاحب اللسان.

وظهر كلامه هذا الذي نقله عن الزجاج أن قولهم: أجزأت
المرأة إذا ولدت الأُنثاء، معروف، ولذا ذكره وذكر البيت الذي أنشده
له أبو حنيفة بالمسلم له.

والوجه الثاني وهو التحقيق إن شاء الله - أن المراد بالجزء
في الآية الولد، وأنه أطلق عليه اسم الجزء، لأن الفرع كأنه جزء من
أصله، والولد كأنه بضعة من الوالد كما لا يخفى.

/ وأما كون المراد بالولد المعبر عنه بالجزء في الآية خصوص
الأُنثاء فقريته السياق دالة عليه دالة واضحة؛ لأن جعل الجزء
المذكور لله من عباده هو عينه الذي أنكره الله إنكاراً شديداً، وقُلَّع
مرتكبته تقريعاً شديداً في قوله تعالى بعده: {أَوْ أُعْقَدْ مَنْ يَخْيَضُ بُكَاتٌ}
وأَصْفَنْكُم بِالْبَنِينَ {16} ؛ وإذا بَيَّنَ أُحْدِهْم بِصَمَّرٍ للرَّحْمَيْنِ مَثَّلَ رَجْحَاهُ
مُسْوَدَّاً} إلى قوله: {وَهُوَ فِي نَحْصَارٍ عِيْرٍ مُّيَّينٍ}.}{
وقرأ هذا الحرف شعبة عن عاصم (جزءًا) بضم الزاي، وباقى السبعة بإسكانها، وحمزة عند الوقف يسقط الهمزة بنقل حركتها إلى الزاي مع حذف التنوين للوقف.

قوله تعالى: "أيَانْتَخِذْ مِمَّا يُخْلِقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَانَكُمْ بَيْنَ الْأَمْيَةَ وَالْأَمْيَةَ".

(أم) هنا بمعنى استفهام الإنكار، فالكفار لما قالوا: الملائكة بنات الله، أنكر الله عليهم أشد الإنكار، موثقاً لهم أشد التوبخ، حيث افترووا عليه الولد، ثم جعلوا له أنقص الولدان وأغرقهما وهو الأشتر، كما قال هنا: "أيَانْتَخِذْ مِمَّا يُخْلِقُ بَنَاتٍ" وهي النصيب الأدنى من الأولاد، (وأصافاك) أنتم، أي خصكم وآثركم بالبنين الذين هم النصيب الأعلى من الأولاد؟

وإِنْ كَانَ هَذَا عَلَيْهِمْ وَتَوَيْيِخُهُمْ عَلَيْهِ جَاء مُوضِحاً في آيات كثيرة، كقوله: "وإِذَا بَيْنَ أَحْدَهُمْ يُصَلِّبُ لِلَّهِ مِنْ مَا قَضَى" يعني الأشتر، كما أوضحه بقوله: "وإِذَا بَيْنَ أَحْدَهُمْ يُصَلِّبُ لِلَّهِ مِنْ مَا قَضَى وَجَهْرُهُ مَسْوَدًا" وهو كليم.

يعني: فكيف تجعلون له الإناث وأنتم لو بشير الواحد منكم بأن أمرأه ولدت أشتر (لظل وجهه مسوداً) يعني من الكباب (وهو كليم) أي ممتلئ حزناً وغماً؟، وكقوله تعالى هنا: "أَوْمَنْ يُؤْثِرُ عَلَى الْجَلِيلَةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ عَيْبُ مِمْبَنِيْنِ" ففيه إنكار شديد وتقريع عظيم لهم بأنهم مع افترائهم عليه جل وعلا الولد جعلوا له أنقص الولدان، الذي لنقصه الخلقى (يشأ في الخلية) من الحلي والحلل وأنواع الزينة، من صغره إلى كبيرة، لجبر بتلك الزيتة نقصه الخلقى الطبيعي، (وهو في الخصام غير مبين)؛ لأن الأشتر غالباً لا تقدر على القيام بحجتها.
سورة الزخرف

ولا الدفاع عن نفسها، وقد أوضحتنا هذا المعنى بشواهد العربية غاية الإيضاح في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: "إِن هَذَا الْكُلُوبُ مَنْ يَتَّقُونَ"، وقوله تعالى: "وَجَعَلُونَ الْأَبْنَاءِ سَبَحَنَنَاهُمْ"، ولَهُمْ مَا يَشْهُدُونَ، وقوله تعالى: "وَجَعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ"، وقوله تعالى: "أَعَفَّاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِينَ وَأَنْعَمَّنَا عَلَى الْمَلَكِ مِنْ نَزْلَتِكُمْ". فَوَأَلْقَ عَلَيْهِمْ إِذَا قَسُطْتُمُّهَا ضَيْرًا، وقوله تعالى: "أَقْسَفْنِي هُمُّ الْمَكْتُوبَ وَلَهُمُ السَّمَوَاتُ وَأَمْ حَلَّنَا الْكُلُوبَ إِذْنَآ وَهُمُ شَهَدُونَ أَلَآ أَنْبِئُهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ". وَلَدَّ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكَذِبِنَّ أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْكُفَّارِ مَا كَفَّ تَحْمَرْنَ أَفَلَا نَذَّرُونَ أَلَآ يَكْسِبُونَ أَفَأَوْقَاتُكُمْ إِن كَنْمَ صَدَقْنِينَ.

وقد قدمنا كثيرًا من الآيات الموضحة لهذا المعنى في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: "وَجَعَلُونَ اللَّهِ الْأَبْنَاءِ سَبَحَنَنَاهُمْ وَلَهُمْ مَا يَشْهُدُونَ".

ووجه التعبير عن الأنثى بما ضرب مثلًا لله في قوله: "وَإِذَا أَبَيَّنَ" أَجْدَحُ مِنْ أَصْفَرَبَ الْرَّحْمَنِ مِثْلًا" الآية، ظاهرًا; لأن البناء المزعومة يلزم ادعاوها أن تكون من جنس من نسبت إليه; لأن الوالد والولد من جنس واحد، وكلاهما يشبه الآخر في صفاته.

قوله تعالى: "وَجَعَلْنَاهُمَا الْمَكْتُوبَةِ الْأَنْثَىَانِ هُمُ عِبَادُ الْرَّحْمَنِ".

إِنْ أَنَا أَنْسَأِهَا وَخَلَقْتُهَا سُلْطَنًا كَسَبَسْتُهَا وَيَدُونَ.(

قرأ هذا الحرف نافع وابن كثير وابن عامر: (عند الرحمن).

بسكرة النون وفتح الدال، ظرف، كقوله تعالى: "إِنَّ الْلَّهِنَّ عِندَا رَبِّكُمَا لَيْسَ كُونُونَ"، وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والخسائي: "اللَّهِنَّ هُمَّ".
البيان

219

عبد، كقوله: (وَيَبَذَّلُكَ اللَّهُ) الآية.

وقوله: (أَشْهَدْوَا خَلَقَهُمْ) قرأه عامة السبعة غير نافع

(وَأَشْهَدْوَا) بهمزة واحدة مع فتح الشين، وقرأه نافع (أَشَهَدُوا)

بهما: فتبتان الأولى مفتوحة محققة، والثانية مضمومة مسحية بين بين،

وقالون يجعل بينهما ألف الإدخال على إحدى الروايتين.

وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أربع مسائل:

الأولى: أن الكفار افتروا على الملائكة أنهم إناث زاعمين أنهم

بنات الله.

الثانية: أنه وبحملهم على ذلك توبخاً شديداً وأنكر عليهم ذلك

في قوله: (أَشْهَدْوَا خَلَقَهُمْ) يعني هل حضروا خلق الله لهم فعابونهم

إناثًا؟

الثالثة: أن شهادتهم الكاذبة بذلك ستكتب عليهم.

الرابعة: أنهم يسألون عنها يوم القيامة.

وهذه المسائل الأربعة التي تضمنتها هذه الآية الكريمة، جاءت

وضحة في غير هذا الموضع.

أما الأولى منها، وهي كونهم اعتقذاً الملائكة إناثًا، فقد ذكرها

 تعالى في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: (أَفَأُصِفْنَا رَجْسًا مِّنَ اللَّهِ)

(وَأَنْفَعَا مِنَ اللَّهِ) إننا إنما إنكرنا لقولهم قولًا عظيماً (8) ، وكرهه تعالى: (إِنَّ

اللَّهِ لَا يَمْتَنُونَ إِلَّا أَحَدَيْنَ اللَّهِ وَلَهُمُ اللَّهُ الْيَوْمَ الْآخِرِ) الآية، وكرهه تعالى:

(فَأَسْتَفْعَاهُمُ اللَّهُ أَرْزِقُكُمْ وَلَهُمُ الْبَسَّارُ) (414) أَمْ حَلَقَتْ النَّارُ إِنَّا

الآية، إلى غير ذلك من الآيات.
وأما المسألة الثانية، وهي سؤاله تعالى لهم على وجه الإنكار والتوبخ والتقريع: هل شهدوا خلق الملائكة وحضرته، حتى علموا أنهم خلقوا إناذا، فقد ذكرها / في قوله تعالى: {أم خلقنا} المليكة إناذا {وهم شهدون} 9 وبين تعالي أنه لم يشهد الكفار خلق شيء في قوله: {ما أشهدهم خلق السموات والأرض} ولا خلق أنفسهم} الآية.

وأما المسألة الثالثة التي هي كون شهادتهما بذلك الكفر سكت عليهم، فقد ذكرها تعالى في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: {فإن عليكم خذليكم} الذين {يعلمون ما تعملون} 11، وقوله تعالى: {هذا كتبنا بطلا عليكم} بالحِي، إن {كنا نستسنح ما كنتم تعملون} 12، وقوله تعالى: {ام يحسبون أن لا يسمع بسرا} يعقلون وتلك {ورسلنا} للذين يكمنون 89، وقوله تعالى: {إن رسلنا يكتبون ما تموتون} 13، وقوله تعالى: {وكان الله أخبار أزمنته} طية في عينه، وخرج له يوم القيامة حكمنا بل منه مشربا} أقرأ كتبه} الآية، وقوله تعالى: {سكت ستكتب ما يقول وندم لم من الأبد} مدا} 87.

وأما المسألة الرابعة: وهي كونهم يسألون عن ذلك الافتراء والكفر، فقد ذكرها تعالى في آيات من كتابه، كقوله تعالى: {وينبئون أنهكم} وأنشأكم {ولستن يوم القيامة} عما سكنوا {بفترت} 36، وقوله تعالى: {قروبا لتشاهدهم جميع} عما كانوا {يعملون} 39، وقوله تعالى: {إنه لذكر الله} وقومه وسوف {تشاهدون} 11، وقوله تعالى: {وعمالنا للاعملون} عينا رفعهم تأله} لتشاهدن} عما كنتم تفتخرن} 62 إلى غير ذلك من الآيات.
قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ شَآءَ الْرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَّدُْنَاهُمْ، مَا لَهُمْ يَنْمِلُونَ}.

في هذه الآية الكريمة، إن شاء الله، هل يعقل أن يعدهم الذين يدعيون أن لا يعبدون إلا الذين آمنوا بالله ورسوله! هل يعقل أن يعبدهم من يعتقدون أن لا يعبدون إلا الذين آمنوا بالله ورسوله! هو بالنظر إلى ظاهره كلام صحيح، لأن الله لو شاء أن يعبدوا ما عبدهم، كما قال تعالى: {وَلَوْ شَآءَأللَّهُ مَا أَشَّا}.

وقال تعالى: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ الْدُّنْيَا عَلَى الْمَلَأِ فَلَا يَكُونُونَ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ}، وقال تعالى: {وَلَوْ يَشَتَّتُنَا كَلِّ نَفْسٍ هَٰذَهَا}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَقَالُ الْأَلْبَيْنِ أَشْرُعْنَا لَوْ شَآءَ الْلَّهُ مَا إِيَّاَمُ ما أَشَّاَوْا}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَقَالُ الْأَلْبَيْنِ أَشْرُعْنَا لَوْ شَآءَ الْلَّهُ ما أَشَّاَوْا}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

وأما آية النحل، فهي قوله: {وَلَوْ أُولُو مَّكَانَةَ}.

فإذا عرفت أن ظاهر آية الزخرف وزائدة الأنعام وأية النحل: أن ما قاله الكفار حق، وأن الله لو شاء ما اعتبروا من دونه من شيء ولا أشركون به شيئاً، كما ذكرنا في الآيات الموضحة قريباً.

فأعلم أن وجه الأشكال، أن الله صرح بكذبهم في هذه الدعوى التي ظاهرها حق، قال في آية الزخرف: {ماَلَّهُمْ يَنْمِلُونَ مِنْ عَلَيْهِ إِنَّهُمْ}.

وهذا الإشكال المذكور في آية الزخرف هو بعينه واقع في آية الزخرف، وآية المهم.
ولا يخرجون إلى الله من قبلهم** 222**

ومعلوم أن الذي فعله الذين من قبلهم، هو الكفر بالله والكذب على الله، في جعل الشركاء له وأنه حرم ما لم يحرمه.

والجواب عن هذا: أن مراد الكفار بقولهم: *لَوْ شَآءَ اللهُ لَأَشْتَكَنَّا* مارادهم به أن الله لما كان قادرًا على منعهم من الشرك وهدایتهم إلى الإيمان، ولم يمنعهم من الشرك، دل ذلك على أنه راض منهم بالشرك في زعمهم.

قالوا: لأنه لو لم يكن راضيًا به، لصرفنا عنه; فتذکب الله لهم في الآيات المذكورة منصب على دعواهم أنه راض به، والله جل وعلا يکذب هذه الدعوى في الآيات المذكورة، وفي قوله: *وَلَا يَزِيدُنّا إِلَّا الْكَفْرَْا*.

فالکفار زعموا أن الإرادة الكونية القدیرة تستلزم الرضى، وهو زعم باطل، وهو الذي كتبهم الله فيه في الآيات المذكورة.

وقد أشار تعالى إلى هذه الآيات المذكورة، حيث قال في آية الزخرف: *إِنَّمَا الْكِتَابُ مَسْتَمَتْسَكُونَ* أي أتيناه كتبًا يدل على أننا راضون منهم بذلك الكفر، ثم أضرب عن هذا إضراب إبطال مهینًا أن مستندهم في تلك الدعوى الكاذبة هو تقليد أبائهم التقليد الأعمى، وذلك في قوله: *إِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا زِيَادَةُ عَلَى الدِّينِ الْأَعْمَى ابْنَاهَا قَبْلَا وَآثَارَهَا وَأَوَّلَ أَهْلِهَا وَعَبْدَةَ الأُوْلَانَ وَإِنَّ أَعْلَمَهُمْ مَهْنَدُونَ*.
فقوله عنهم: (مبتدون) هو مصير التكذيب؛ لأن الله إنما يرضى بالاهتداء لا بالضلالم.

فالهتداء المزعوم أساسه تقليد الآباء الأعمى، وسأتي إيضاح رده عليهم قريباً إن شاء الله.

وقال تعالى في آية النحل بعد ذكره دعواهم المذكورة: »وَلَقَدْ بَعَضُهُمْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ أُيُومٌ رَأَيْتَ نَبِيًّا مَّنْقَصِدًا لِّلْطَّغُوتِ فِيمَنْ مِنْ هَذَى اِلَّا أَنَّهُمْ يَتَّهَمُّونَ مِنْ حَقِّ أَنَّهُمْ عَلَى الصِّلَاةِ«.

فأوضح في هذه الآية الكرمة أنه لا يمكن راضياً بكفرهم، وأنه بث في كل أمة رسوله، وأمرهم على لسانه أن يعبدوا الله وحده، ويجبنوا الطاغوت، أي يبتعدوا عن عبادة كل معبد سواء.

وأن الله هدى بعضهم إلى عبادته وحده، وأن بعضهم حقت عليه السلالة، أي نبأ عليه الكثير والشفاء.

وقال تعالى في آية الأعجمين: »فَقُلِ وَلِيْلَةَ الْحَجّةِ الْبَيْلَةَ فَلْيَشَاءَ الْهَادِئُ نُكْمِنَ أَجْمَعِينَ«.

فملكه تعالى وحده للتوافق والهداية، هو الحجة البالغة على خلقه، يعني فمن هديناه وفضلنا عليه بالتوافق فهو فضل من ورحمة، ومن ثم نفعل له ذلك فهو عدل منا وحكمة؛ لأنه لم يكن له ذلك ديناً علينا ولا واجباً مستحقاً يستحقه علينا، بل إن أعطينا ذلك ففضل، وإن لم نعطه فعدل.

وحاصل هذا: أن الله تبارك وتعالى قد قدر مقدار الخلق قبل أن
خلق الخلق، وعلم أن قومًا صارون إلى الشقاء وقومًا صارون إلى السعادة، فريق في الجنة وفريق في السعير، وأقام الحجة على الجميع ببعث الرسل وتأييدهم بالمعجزات التي لا تترك في الحق لبساً، فقامت عليهم حجة الله في أرضه بذلك.

ثم إنه تعالى ووفق من شاء توفيقه، ولم يوفق من سبق لهم في علمه الشقاء الأزلي، وخلق لكل واحد منهم قدرة وإراده يقدر بها على تحصيل الخير والشر، وصرف قدَّرهم وإرادتهم بقدرته وإرادته إلى ما سبق لهم في علمه / من أعمال الخير المستوجبة للسعادة.

وأعمال الشر المستوجبة للشقاء.

فأتوا كل ما كانوا فعلوا كل ما فعلوا، طائين مختارين، غير مจบرين ولا مقهرين، وَمَا أتَشَاءَنْ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُۢ، قُلْ فَلْيَلْهَيْنَّ الْحَجَّةَ الْبَيْلَائِيَّةَ فَلْوَشَاءْ لِهِدْنِيْكُمُ أَجْمَعِيْنَ.

وادعاء أن العبد مجبور لا إراده له، ضروري السقوط عند عامة العقلاء.

ومن أعظم الضروريات الدالة عليه: أن كل عاقل يعلم أن بين الحركة الاختيارية والحركة الاضطرارية كحركة المرتعش، فرقًا ضروريًا لا ينكره عاقل.

وأنك لو ضربت من يدعي أن الخلق مجبورو، وقُفِّت عينه مثلاً، وقُلِّت ولده، واعتذرت له بالجر، فقلت له: أَنَا مَجِبُور وَلَا إِراَداً لِي فِي هَذَا السَّوَءِ الَّذِي فَعَلَهُ بِكَ، بَلْ هُوَ فَعَلَ اللَّهُ، وأَنَا لَا دَخِلِي فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ مَنْكِ هَذِهِ الْدَّعُوَى بَلَا شَكًّ، بَلْ يَبْلَغُ فِي إِراَداَةً الانتِقَامِ مَنْكِ قَائِلًا: إِن هَذَا بِإِراَداَتِكَ وَمَشْيِنَكَ.
ومن أعظم الأدلة القطعية الدالة على بطلان مذهب القدرية،
وأن العبد لا يستقل بفاعلية دون قدرة الله ومشيئته، أنه لا يمكن أبداً
أن ينكر علم الله بكل شيء قبل وقوعه، والآيات والأحاديث الدالة
على هذا لا ينكرها إلا مكابر.

وسبب علم الله بما يقع من العبد قبل وقوعه برهان قاطع على
بطلان تلك الدعوى.

وإيضاح ذلك، أنك لو قلت للقدرية: إذا كان علم الله في سابق
أزله تعلق / بأنك تقع منك السرقة أو الزنا في محل كذا في وقت كذا،
وأردت أن تبادرتك المستقلة في زعمك دون إرادة الله، ألا تفعل تلك
السرقة أو الزنا الذي سبق بعلم الله وقوعه، فهل يمكنك أن تستقل
بذلك؟ وتصير علم الله جهلاً، بحيث لا يقع ما سبق في علمه وقوعه
في وقته المحدد له؟

والجواب بلا شك: هو أن ذلك لا يمكن بالحال، كما قال
 تعالى: "وَمَا كَانَ لِلرَّحْمَانَ إِلَّا أَن يُشَاءَ أَن يُسْتَبِيْعَ الْحَيَّةَ الْأُولَى فَلَوْ شَاءَ لَهُمْ أَجْمَعُوهُنَّ).

ولا إشكال البينة في أن الله يخلق للعبد قدرة وإرادة يقدر بها
على الفعل والترك، ثم يصرف الله بقدرته وإرادته قدرة العبد وإرادته
إلى ما سبق به علمه فتأتيه العبد طائعاً مختاراً غير مفهور ولا موجب،
 وغير مستقل به دون قدرة الله وإرادته، كما قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِلرَّحْمَانِ إِلَّا أَن يُشَاءَ أَن يُسْتَبِيْعَ الْحَيَّةَ الْأُولَى فَلَوْ شَاءَ لَهُمْ أَجْمَعُوهُنَّ.

والمناظرة التي ذكراها بعضهم بين أبي إسحاق الإسفرايني
وعبد الجبار المعتزلي توضح هذا.
وفي: أن عبد الجبار قال: سبحانه من تنزه عن الفحساء، يعني أن السرقة والزنا ليسا بمشيئة الله؛ لأنه في زعمه أنزه من أن تكون هذه الرذائل بمشيئته.

فقال أبو إسحاق: كلمة حق أريد بها باطل.

ثم قال: سبحانه من لا يقع في ملكه إلاّ ما يشاء.

فقال عبد الجبار: أتراه يشاؤه ويعاقبوني عليه؟

فقال أبو إسحاق: أتراك تفعله جبراً عليه، أنت الرب وهو العبد؟

فقال عبد الجبار: أرأيت إن دعاني إلى الهدى، وقضي علي بالردي، دعاني وسد الباب دوني؟ أتراه أحسن أم أساء؟

فقال أبو إسحاق: أرى أن هذا الذي منعك إن كان حقاً واجباً، لك عليه فقد ظلمك وقد أساء، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإن كان ملكه المحض فإن أعطاك ففضل وإن منعك فعدل.

فهبت عبد الجبار، وقال الحاضرون: والله ما لهذا جواب.

ومضمون جواب أبي إسحاق هذا الذي آذى به عبد الجبار، هو معنى قوله تعالى: {قل قل الله هو الحجة أكلبته قلوا شاء لهذين الكه}. {241}

والذ كبعضهم أن عمرو بن عبيد جاءه أعربابي فشكا إليه أن دابته سرتقت وطلب منه أن يدعو الله ليردها إليه، فقال عمرو ما معناه: الله لهم إنها سرتقت ولم ترد سرقتها؛ لأنك أنت وأنج من أن تدير هذا الخنا.
فقال الأعرابي: ناشدتك الله يا هذا إلا ما كففت عنني من دعائك هذا الخبيث، إن كنت سرقت ولم يرد سرقتها فقد يريد ردها ولا ترد، ولا ثقة لي برب يقع في ملكه ما لا يشاؤه. فالقمة حجراً.

وقد ذكرنا هذه المسألة في كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب في الكلام عن آية الأنعام المذكورة في هذا البحث، وفي سورة الشمس في الكلام عن قوله تعالى: {أُنَّجُوهَا فِى رَحْمَتِنَا وَتَقُونُهَا}.

* قوله تعالى: آمَّنَّا آيَاتَنَا كِتَابًا مِّن قُبْلِهِ، فَهُمْ يُهَدُونَ

(أم) هنا تتضمن معنى استنفهام الإنكار، يعني جل وعلا أن هذا الذي يزعم الكفار من أنهم على حق في عبادتهم الأولان، وجعلهم الملائكة بنات الله، لا سبيل لهم عليه. ولذا أنكر أن يكونا آةهم كتاباً يحل فيه ذلك، وأن يكونوا مستمسكين في ذلك بكتاب من الله، فأناكر عليهم هذا هنا إنكارًا دالًا على النفي للتمسك بالكتاب المذكور، مع التوثيق والتقريع.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة، من أن كفرهم المذكور لم يكن عن هدى من الله، ولا كتاب أنزله الله بذلك، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى في سورة فاطر: {قُلُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ شُرُوكٌ عَلَى الْأَرْضِ نَسُوحٌ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ لَا يُؤَذَّنَ لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ}، وقوله تعالى في الأحقاف: {قُلُوا إِنَّمَا مِثَالُ الْجَنَّةِ الْأُخْلَفُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ كَمِيزَانٌ فِي يَدَيْهِمْ} الآية، وقوله تعالى في الأحقاف: {قُلُوا إِنَّمَا مِثَالُ الْجَنَّةِ الْأُخْلَفُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ كَمِيزَانٌ فِي يَدَيْهِمْ} الآية.
سورة الزَّخرف

هَذِهِ أَوِّلَ أَنْبَأَتُكُمْ عَلَىٰ إِنَّكُمْ صَدِيقُونَ، وَقُولُوا تَاوَلِي فِي الرُّومِ:

أَمْ آتَرَنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَحْكُمُ بِهَا كَانُوا يَتَرَكُّونَ، وَقُولُوا تَاوَلِي

فِي الأَصَابِعِ: أَمْ لَكُرُّ سُلْطَانُ مِيْتٍ فَأَفْتَأْ مَكَّنَّكُمْ إِنَّكُمْ صَدِيقُونَ،

فِي النَّمل: أَمْ بِيَدَٰكُمْ هُذَا الْحَقَّ ثُمَّ تَعْبِدُونَ وَمَنْ يَرْفَعَ مِنَ السَّمَاوَاتِ

وَالآخِرَينَ أَوْلَيۡهِمۡ مَعَ اللَّهِ قَلِ مَا كَانُوا بِهِ لَىۡ مَهۡتُمۡ إِنَّكُمْ صَدِيقُونَ،

فِي الأَحَدَ: وَقُولُوا تَاوَلِي فِي الْحَجَّ وَالْقَمَامَ: مِنَ الْأَلَّاۡسَبِ مَنْ يَجِدُۡ لُغَةً يَقُولُ وَلاۡ هَذَا لَا كُنۡبُ مُقۡتِلَةٌ، وَقُولُوا تَاوَلِي فِي الْأَنۡعَامِ: قُلۡ هَلۡ عِنْدَكُم مَّنْ مَعَ عِلۡمٍ

فَمَتَّعَّجُوًۢا إِنَّا لَنَتَّعَبِّرۡوۡنَ إِلَّا الْأَلَّمَ وَإِنَّ أَنَّا لَا نَعْتَرِضُونَ.

قوله تعالى: وَكَذَٰلِكُمۡ مَا أُرۡسِلۡنَا مِنْ قَبۡلِكُمۡ إِنَّ فِي قُرۡآنِ مِنْ نُزُلٍ

/ إِلَٰهَ أَلۡيَآۡفُوهَا إِنَّا وَجَدۡنَٰا عَبَآءًا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا إِنَّآ عَلَىٰ عِلَمِهِمۡ مُقۡتَدِرُوُّۢا ۢ

۲۲۸

قُلۡ أُوَلَوۡ ۚ جَنَّتُكُمۡ بَأَهۡدَى مَمَّا وَجَدۡتُمۡ عَلَیۡهِ ۢ آبَآؤُكُمۡ.

قد قَدَّمۡنَا الآيات الموضحة له في سورة قد أُفِلَح المؤمنون، في الكلام على قوله تعالى: فَمَا أُرۡسِلۡنَا مِنْ قَبۡلِكُمۡ إِنَّ فِي قُرۡآنِ مِنْ نُزُلٍ

فِي الآية، وفي سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: وَكَذَٰلِكُمۡ جَعَلۡنَا

فِي كُلِّ قُرۡآنٍ أَحۡكَامِ مَعۡجِرَ مِمَّا كَانَ.

وقوله تعالى: قُلۡ أُوَلَوۡ ۗ جَنَّتُكُمۡ بَأَهۡدَى مَمَّا وَجَدۡتُمۡ عَلَیۡهِ

۲۲۸

أُبَا ۢآؤُكُمۡ.

قَرِئَهَا نَافِعٌ وَابنٌ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمَّرٍ وَحَمۡزَةَ وَالَّذِيۡنِ وَالَّذِينِ وَشُعُبُهَا وَعَنٌ عَاصِمٌ: قُلۡ أُوَلَوۡ ۗ جَنَّتُكُمۡ بَضَمَّ الْقَافِ وَسُكُونَ الْسَّلَامِ، بِصِيَاغَةِ

اِلْآَمِرِ.

وَقَرِئَهُ اِبْنٌ عَامِرٍ وَخَفْصٌ عَنِ عَاصِمٍ: قُلۡ أُوَلَوۡ ۗ جَنَّتُكُمۡ بِفَتَحٍ
الفاء والراء بينهما ألف، بوصفة الفعل الماضي.

فعلنا قراءة الجمهور فالمعنى: قُل لِلهِ يَا نَبِيِّ اللَّهِ أَنْتُدُونَ بَآبَائِكُمْ فِي الْكَفَرِ وَالأَضْلَالِ، وَلَوْ جَنَتُكُمْ بِأَهْدَى، أَيْ بِدَينَ أَهْدَى مَا

وجدتم عليه آبائكم؟ وصيغة التفضيل هنا لمطلق الوصف؛ لأن آباؤهم

لا شيء عندهم من الهداء أصلاً.

وعلِى قراءة ابن عامر وحفص، فالمعنى: (قال) هو، أي

رسول الله ﷺ.

وقد أوضحنا هذا المعنى بشهوده العربية مراراً في هذا الكتاب المبارك.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من تسيف رأي الكفار وبيان شدة

ضلالهم في تقليدهم آباءهم هذا التثقيف الأعمى، جاء موضحًا في

آيات كثيرة، كقوله تعالى في البقرة: {وَإِذَا قَبَلَهُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ كَانُوا نُكَبَاءُ وَلَا}

يَهْدُونَ} ﴿172﴾، وكتابه تعالى في المائدة: {وَإِذَا قَبَلَهُمْ تَصَالُوا إِلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ كَانُوا نُكَبَاءُ وَلَا}

يَهْدُونَ} ﴿229﴾.

وأوضح تعالى في آية لقمان أن ما وجدوا عليه آباءهم من الكفر

والضلائل طريق من طريق الشيطان يدعوهم بسلوكها إلى عذاب

السح، وذلك في قوله تعالى: {وَإِذَا قَبَلَهُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْزَلَهُمْ إِلَى عَذَابٍ سَمِيمٍ} ﴿172﴾،

كقوله تعالى: {وَلِكَذَٰلِكَ أَهْلُ الْيَدِينَ إِبْرَاهِيمُ رَسُولُهُ وَكُلٌّ يَدُ إِلَى عَلَيْهِمْ} ﴿229﴾،

وقوله تعالى: {وَلِكَذَٰلِكَ أَهْلُ الْيَدِينَ إِبْرَاهِيمُ رَسُولُهُ وَكُلٌّ يَدُ إِلَى عَلَيْهِمْ} ﴿229﴾.
قوله تعالى: 
وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني برآء ممًا.

تذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم عليه وعلى نبيا الصلاة وال السلام قال لأبيه وقومه: إنه (براء) أي بريء، من جميععجباتهم التي يعبدونها من دون الله، أي يعني أنه بريء من عبادة كل معبد، إلا المعبد الذي خلقه وأوجد فه وحده.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى الذي ذكره عن إبراهيم في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى: قال أوعين ما كسرت تعتدون 
أنش وساء وعملاء المؤمنون 
أمثلة: واحد من الرب اليارب الخالق فهو يهدي الآية، وقوله تعالى: فمن لها السلم برهانه قال هذا رفي من هذا أَسْتَكِيرَ فلما أَلْتَ قَالَ بَلْ يَهِدَّمُ إِنِّي بَرَءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ 
إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهَ الَّذِي فَتَرَى السَّمَوَاتِ والأَرْضَ حَيَّاً وَمَا أَنَا بِالمَشْرِكِينَ 

وزاد جل وعلا في سورة الممتنة براءته أيضاً من العابدين وعذاؤته لهم وبغضه لهم في الله، وذلك في قوله تعالى: فقد كانت لكم أسوة حسناء في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لأبيهم إنا برهانًا لقومهم إن كسرت وهم يتمنون من دون الله كفرنا بكفر ونتبلى بعينا ونتبتكم العذور وبغضنا أبداً حتى تؤمنوا بإله.

وَحَدِهْرَ
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَقَالَ إِنَّى بِرَأِهَا مَا تَعْبِدُونَ) 
إِنَّهُ مُفْتَرِنًِّمُ فَكَذَلِكَ يَدُلْ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحْقُقُ العِبَادَةِ إِلَّا الْخَلِيْقُ وَهُوَ الْخَلَّاقُ.

وَقَالَهُ تَعَالَى فِي هِذهِ الآيَاَةِ الْكَرِيْمَةِ: (إِنِّى بِرَأِهَا مَا تَعْبِدُونَ) 
إِنَّهُ مُفْتَرِنًِّمُ فَكَذَلِكَ يَدُلْ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحْقُقُ العِبَادَةِ إِلَّا الْخَلِيْقُ وَهُوَ الْخَلَّاقُ.

وَهُذِهِ الْعَنْيَةُ الَّذِي دَلَّ عَلَى هِذِهِ الآيَاَةِ الْكَرِيْمَةِ، دُلِّتْ عَلَى

١٣١ قُولُهُ تَعَالَى: (ۖ قَدْ جَعَلْنَاهُمْ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيدهِمْ لَعَلَّهُمْ 
بَلْ مَتَقَّنُونِ) وَإِنَّهُمْ حَقَّ جَاهِلِهِمْ أَحْلَى وَرَسُولُ 
ۖ مُّسِئ١ۖ وَلَمْ يَأْخَذَهُمْ فَٰقِهَا وَهَذَا السِّحْرُ وَإِنَّهُ يَكْفُرُونَ) .

الضمير المنصوب في (جعلها) على التحقيق راجع إلى كلمة الإيمان المشتملة على معنى لا إله إلا الله، المذكورة في قوله: (إِنَّى
سورة الرّ خِف  

٢٤٧

١٣١  إِلاَّ الَّذِي قَطَرَ مِنْهُ ؛ لَنْ أَنَّ إِلَّا إِلَّهَ إِلاَّ الَّذِي نُفِيَ وإِلَّا الَّذِي صَدَقَ ؛  
فَمَعْنَى النِّفِيِّ مِنْهَا هُوَ الْبَرَاءَةُ مِنَ جِمْعِ الْمُعْبَدَاتِ غَيْرَ الَّذِي فِي جِمْعِ  
أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، وَهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ مَوْضُعًا فِي قُوْلِهِ: «إِنَّى بَرَاءُ مِمَّا  
تَعْبُدُونَ» ١٣١.

وَمَعْنَى الْإِثْبَاتِ مِنْهَا هُوَ إِفْرَادِ اللّهِ وَحِدَّهُ بِجِمْعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ  
عَلَى الْوَجُّ الَّذِي شَرَّعَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رَسِلِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ مَوْضُعًا  
فِي قُوْلِهِ: «إِلاَّ الَّذِي قَطَرَ مِنْهُ إِلاَّ الَّذِي مَسَّهُ اللَّهُ» ١٣٢.

وُضِيِّرُ الفَاعِلُ المَسْتَرِ في قُوْلِهِ: «وَجَعْلَهَا».

كَالْبِعْضَهُمْ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ ظَاهِرُ السِّياقِ.

وَكَالْبِعْضَهُمْ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

فَعْلَ الْقُولِ الْأَوْلِ، فَالْمَعْنَى: صِبَّ إِبْرَاهِيمُ تِلُكَ الْخَلْقَةُ بَاِقِيَةٌ  
فِي عَقِبِهِ، أَيْ وَلَدِهِ وَوَلَدُوُ لَدِهِ.

وَإِنَّمَا جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ بَاِقِيَةً فِي هُمْ لَتَنَسَى لَذلِكَ بِأَمْرِهِنَّ.

أَحَدُهُمَا: وَصِيَّتُهُ لأَوَّلَادِهِ بَذَلِكَ، وَوَصَّرَهُ بِتَوْارِثَ الْوَصْيَةِ  
بِذَلِكَ عَنِهِ، فِي وَصِيَّتِهِ بِالسَّلِفِ مِنْهُمْ الخَلْف، كَمَا أَشَّرَّ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ  
بِقُوْلِهِ: «وَقَمْ يَرَيْعَ عَنْ مَلَّةٍ إِلَّا هُمْ خَالِقُهُمْ إِلَّا مِنْ سَيْفِ رَحْمَةٍ» ١٣٢٩١، وَلَقَدْ أَسْتُطِيْدَتْ فِي  
الْأَذْنَى وَإِنَّهُوَ فِي الْأَخْرَى لَمْ يَصَلِّيَ  
١٣٣٠٠ُهُ، إِذْ قَالُ اللَّهُ تَعَالَى. أَسْلَمْ أَسْلَمْتُ لَرَبِّّ  
الْعَلَّامِينَ، وَقَصَّى يَهُوَاءً / إِبْرَاهِيمُ بِنِيهِ وَيَعْقُوبُ تَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أُضْطَفَىَ لَكُمْ  
١٣٣١، إِلَّا أَيْهَا الْأَلَّمُينَ».

وَالْأَمْرُ الْثَانِي: هُوَ سَؤَالُ رَبِّهِ تَعَالَيْ لِذَرِيَّتِهِ إِيَمَانُوُ وَالصَّلاحِ،  
كَقُوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَذَلِكَ أَتَبَيَّنَ  
١٣٣٤٩٠ُهُ، يُكْيَدُثُ قَآئِمَهُ فَأَقْلِمُوُ قَالُ إِلَيْهِ جَاعِلُ لِلْنَّاسِ  
إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذِرِيَّتِي»، أي وَاجِبُ مِنْ ذِرِيَّتِي أَيُّشَا أَنْمَهُ، وَقُوْلُهُ تَعَالَى

وقد أجاب الله دعاءه في بث الرسول المذكور، بعهده: محمدًا، ولذا جاء في الحديث عنه قال: «أنا دعوة إبراهيم».

وقد جعل الله الأنباء بعد إبراهيم من ذريته، كما قال تعالى في سورة العنكبوت: «وهم الذين لا إله إلا الله إسحاق ويعقوب وجمالا في ذرييبة... والكتب»، وقال عنه وعن نوح في سورة الحديد: «وقد أرسلناكما وبرهانًا في ذرييتكم النبوة والكتب» الآية.

وعلى القول الثاني، أن الضمير عائد إلى الله تعالى، فلا إشكال.

وقد بين تعالى في آية الزخرف هذه، أن الله لم يجب دعوة إبراهيم في جميع ذريته، ولم يجعل الكلمة باقية في جميع عقبه؛ لأن كفار مكة الذين كذبوا بينبنا من عقبه بإجماع العلماء، وقد كذبوه، وقالوا: إنه ساحر. وكثر منهم مات على ذلك. وذلك في قوله تعالى: «بل ممتنت هكذا» يعني كفار مكة (وأباههم حتى جاءهم الحق ورسل مبين)، هو محمد: «ولما جاءهم الحق قالوا هدى».

وأما دلت عليه آية الزخرف هذه من أن بعض عقب إبراهيم لم يجعل الله الكلمة المذكورة باقية فيه، دلت عليه آيات أخرى من
كتاب الله، كوله تعالى في البقرة: "قال وَهَمْ أَنَّى قَلَّ لا يُتَّلِى عَهْدِ الْيَلِيمِينَ". أي للظلمين من ذريعة إبراهيم، وقوله تعالى في الصافات: "وَبَرَكَّا عَلَيْهِ وَعَلَّمَهُمْ إِنَّ ذَٰلِكَ مَنْ ذَٰلِكَ هُمْ مُّتَّقُونَ وَظَاهَرُ يَنْبِيٰتُهُ إِلَى نَفْسِهِ". فالمحسن منهم هو الذي الكلمة باقية فيه، والظلم لنفسه المبين منهم ليس كذلك، وقوله تعالى في النساء: "فَقَدْ أَتَيْنَا أَيْلًا إِلَى هُمْ الكِتَابَ وَأَيْتَاهَا وَأَيْتَاهَا مُلْكًا عَظِيمًا فِي فِيهم مِنْ عَمَّانِ يَهُودُ وَقَوْمُهُمۡ مِنْ صُدُّ عَنْهَا وَكَفَيْنَ بِجَهَّالِهِمْ سَعِيًا".

وقد بين تعالى في الحدید أن غير المهتدين منهم كثيرون، وذلك في قوله: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا لَهُمْ رَأِبَةً وَإِذْرَعِيما وَجَعَلْنَا فِيهِمُ الْبَذَّاءَ وَالْكِتَابَ فِيهِم مُّهَادِمٌ وَكَبِيرٌ مِنْ فِئَتِهِمْ قَالُونَ".

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "لَعَلَّمُهُمْ يُرْجِعُونَ" أي جعل الكلمة باقية فيهم لعل الزائغين الضالين منهم يرجعون إلى الحق بإرشاد المؤمنين المهتدين منهم؛ لأن الحق ما دام قائماً في جملتهم. فرجل الزائنين عني إليه مرجو مأمول، كما ذا عليه قوله: "لَعَلَّمُهُمْ يُرْجِعُونَ".

والرجاء المذكور، بالنسبة إلى بني آدم؛ لأنهم لا يعرفون من يصير إلى الهدى ومن يصير إلى الضلال.

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: وفي الكلام تقديم وتأخير، ومعنی: فإن سيهدِن لعلهم يرجعون، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون أي قال لهم، يتوبون عن عبادة غير الله. اهـ.

/ وإيضاح كلامه: أن المعنى: أن إبراهيم قال لأبيه وقومه: إنني 234
براء مما تعبدون؛ لأجل أن يرجعوا عن الكفر إلى الحق، والضمير في قوله: (لعملهم يرجعون) على هذا راجع إلى أبيه وقمه.

وعلى ما ذكرناه أولًا فالضمير راجع إلى من ضل من عقبه؛ لأن الضالين منهم دخلون في لفظ العقب، فرجع ضمير (هم) إلى العقب لا إشكال فيه، وهذا القول هو ظاهر السياق، والعلم عند الله تعالى.

مسألة

ظاهرة هذه الآية الكريمة التي ذكرنا يدل على اتحاد معنى العقب والذرية والبنين؛ لأنه قال في بعضها عن إبراهيم: {وَأَجْنَبِي وَبَيْنَ آيَتَاهُ مَقِيمًا}. {وَأَجْنَبِيَ مُقِيمًا لِّلْأَصْلَةَ وَمِن ذَرِّيَّتِي}، وفي بعضها: {وَبَيْنَ آيَتَهُمَا}. وفي بعضها: {وَأَجْنَبِيَ مُقِيمًا لِّلْأَصْلَةَ وَمِن ذَرِّيَّتِي}، وفي بعضها: {وَأَجْنَبِيَ مُقِيمًا لِّلْأَصْلَةَ وَمِن ذَرِّيَّتِي}. {وَأَجْنَبِيَ مُقِيمًا لِّلْأَصْلَةَ وَمِن ذَرِّيَّتِي}.

فالظاهرة المبتذلة من الآيات أن المراد بالنبنين والذرية والعقب شيء واحد؛ لأن جميعها في شيء واحد، وبذلك تعلم أن ظاهر القرآن يدل على أن من وقف وقفاً أو تصدق صدقة على بننه أو ذريته أو عقبه أن حكم ذلك واحد.

وقد دل بعض الآيات القرآنية على أن أولاد البنين يدخلون في اسم الذرية واسم البنين.

وإذا دل القرآن على دخول ولد البنت في اسم الذرية والبنين،
والفرض أن العقب بمعناهما، دل ذلك على دخول أولاد البنات في العقب أيضاً.

فمن الآيات الدالة على دخول ولد البنت في اسم الذرية قوله تعالى: «ومَّن ذَرَّيْتِهِ دَأَّوْدَ وَسُكَيْمُونَ» إلى قوله: «وَعِيسَى وَإِلِيَّاسَ»، وهذا نص قرآني صريح في دخول ولد البنت في اسم الذرية؛ لأن عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ولد بنت إذ لا أب له.

ومن الآيات الدالة على دخول ولد البنت في اسم البنين قوله تعالى: "مَّرَحِمَتُ عَلَيْهِمْ أَمْهَتَكُمْ وَبَيَاتُكُمْ"، وقوله تعالى: "وَبَيَاتُ أَبَاهُ وَبَيَاتُ أَبَاهُ"؛ لأن لفظ "البنات" في الألفاظ الثلاثة شامل لبنت البنات وبنات بناتهم، وهذا لا نزاع فيه بين المسلمين، وهو نص قرآني صحيح في استواء بنات بنيهن وبنات بناتهم.

فتصح أن دخول أولاد البنات في الوقف على الذرية والبنين والعقب، هو ظاهر القرآن ولا ينبغي العدول عنه.

وكلام فقهاء الأمصار من الأئمة الأربعة وغيرهم في الألفاظ المذكورة معروف، ومن أراد الإطلاع عليه فلينظر كتاب فروع المذاهب، ولم نستع على ذلك الكلام هنا لأننا نريد أن نذكر هنا ما يدل ظاهر القرآن على ترجيحه من ذلك فقط.

أما لفظ الولد فإن القرآن يدل على أن أولاد البنات لا يدخلون فيه.

وذلك في قوله تعالى: "يَوْصِيَهُمْ إِنَّهُمْ يَوْمَ القيَمَةِ الآية".
فإن قوله: (في أولادكم) لا يدخل فيه أولاد البنات، وذلك لا نزاع فيه بين المسلمين، وهو نص صريح قرآني على عدم دخول أولاد البنات في اسم الولد، وإن كان جماهير العلماء على أن العقب والولد سواء، ولا شك أن اتباع القرآن هو المتعين على كل مسلم.

أما لفظ النسل فظاهر القرآن شموله لأولاد البنات؛ لأن قوله تعالى: {ذلك علائم الله وله الشهادة، ثم يجعل للناس من طيبين} نجح، ونظير سائر مثيله من ما ذكره في أن لفظة النسل في الآية شاملة لأولاد البنات كما لا يخفى.

والألفاظ التي يتكلم عليها العلماء في هذا المبحث هي أحد عشر لفظاً، ذكرنا خمسة منها وهي: الذرة والبنون والعقب والولد والنسل. وذكرنا أن أربعة منها يدل ظاهر القرآن على أنها يدخل فيها أولاد البنات، وواحد بخلاف ذلك وهو الولد.

وأما السesta الباقية منها فهي: الآل والأهل ومعناهما واحد، والقراءة، والعرفنة، والقوم، والموالي. وكلام العلماء فيها مضطرب، ولم يحضرني الآن تحديد يتميز به ما يدخل في كل واحد منها وما يخرج عنه إلا على سبيل التقريب، إلا للفظين منها، وهما القراءة والعفة.

أما القراءة فقد ثبت في الصحيح عنه أنه أعطى من خمس خير بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل، مبيناً أن ذلك هو معنى قوله تعالى: {فأي الله حمسمه ولرسله ولذئب}
 السنوات » كما تقدم إيضاحه في سورة الأنفال في الكلام على آية
الخمس هذه.

ومأما العشيرة فقد ثبت في الصحيح عنه ممن حديث
ابن عباس أنه لما نزلت { وَأَنْذَرُ عَيْشِيرَتُكَ الْآَثِرُينَ } صعد النبي
على الصف فجعل ينادي «يا بني فهير، يا بني عدي»، لبطن قريش،
حتى اجتمعوا. الحديث. وفيه تحدد العشيرة الأربعين بجمع بني
فهير بن مالك وهو الجد العاشر له.

وفي رواية أبي هريرة في الصحيح: أنه لما نزلت الآية 237
المذكورة قال: {يا معشر قريش أو كلمة نحوها} الحديث، وقريش
هم أولاد فهير بن مالك، وقيل: أولاد النضر بن كنانة، والأول هو
الأظهر، لحديث ابن عباس المذكور، وعليه الأكبر.

تنبئه

فإن قيل: ذكرتم أن ظاهر القرآن يدل على دخول أولاد البنات
في لفظ البنين، والشاعر يقول في خلاف ذلك:

بَسْنَا بَنَوِي أَبِيِّنَا وَبَسْنَا بَنَوِي أَبِيِّنَا وَبَسْنَا بَنَوِي أَبِيِّنَا
وكثير من أهل الفقه يذكرون البيت المذكور، على سبيل
التسليم له، قالوا: وما يوضح صدقته أنهم ينسبون إلى رجال آخرين
ربما كانوا أعداء لأهل أمهاتهم، وكثيراً ما يتعج الولد أباه وعصبته في
عداعة أخواله وبغضهم كما هو معلوم.

فالطواب: أن الواحد بالشخص له جهتان، فمعنى لفظ الابن له
جهة خاصة هي معنى كونه خلق من ماء هذا الرجل على وجه يلتحق
فيه نسبه به، وهذا المعنى منفي عن والد أُمّه، فلا يقال له «ابن» بهذا
الاعتبار، وثبت لأبيه الذي خلق من مائه، وله جهة أخرى هي كونه
خارجًا في الجملة من هذا الشخص، سواء كان بال مباشرة، أو بواسطة ابنه أو بنته وإن سلف، فالبنوة بهذا المعنى ثابتة لولد البنت، وهذا المعنى هو الذي عناه في قوله في الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن بني هذا سيد الحديث، وهو المراد في الآيات القرآنية، كقوله تعالى: "حرمت عليهكم أمهتكم وبناتكم"»، وقوله تعالى: «لا جناح على ابن أخيك وابن أختي»، وقوله تعالى: »أَلَا ۖ إِخْوَانٌ إِخْوَانٌ وَلَا أَبَاءٌ إِخْوَانٌ وَلَا أَبْنَاءٌ إِخْوَانٌ أَخْوَاهُمُ الْآَيَة.

فلفظ البنات والأبناء في جميع الآيات المذكورة شامل لجميع أولاد البنين والبنات وإن سلفوا، وإنما شملهم من جهة المذكورة بالاعتبار المذكور، وهو إطلاق للفظ البنت على كل من خرج من الشخص في الجملة، ولو بواسطة بناته.

وأما البيت المذكور فالمراد به الجهة الأولى والاعتبار الأول، فإن بني البنات ليسوا أبناء لأبناء أمهاتهم من تلك الجهة، ولا بذل ذلك الاعتبار لأنهم لم يخلقوا من ماهم وإنما خلقوا من ماء رجال آخرين، ربما كانوا أبعد وربما كانوا أعداء.

فصح بهذا الاعتبار نفي البنوة عن ابن البنت، وصح بالاعتبار الأول إثبات البنوة له، ولا تناقض مع انفكاك الجهة.

وإذا عرفت معنى الجهتين المذكورتين وأنه بالنظر إلي إحداهما تثبت البنوة لابن البنت وبالنظر إلى الأخرى تنفي عنه.

فأعلم أن قوله: "إن بني هذا سيد" وقوله تعالى: »وَيَتَدَّلِّى أَلَّا إِخْوَانٌ إِخْوَانٌ وَنَحْوَاهَا مِنَ الآيات يُنَزِّلُ عَلَى إِحْدَى الجهتين،"
وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِثْلَكَ أَبَا أُحَدٍ مِّنْ يَجَارِيكُمِ ﴾ يتنزل على الجهة الأخرى. وتلك الجهة هي التي يعني الشاعر بقوله:

* وبناتنا بنوه أن الرجال الأبعد *

ويزيد ذلك إيضاحاً: أن قبائل العرب قد تكون بينهم حروب ومقاتلات، فتكون تلك القتال بين أعمام الرجال وأخواه، فيكون مع عصيته دائماً على أخوائه، كما في البيت المذكور.

وقد يكون الرجل منهم في أخوائه فيعاملونه معاملة دون معاملتهم لأبنائهم، كما أوضح ذلك غسان بن وعلة في شعره حيث يقول:

إذا كنت في سعد وأمرك منهم شطيراً فلا يغررك خالك من سعد
فإن ابن أخت القوم مصغي إناؤه إذا لم يزاحم خاله بأب جلد
فقوله: ﴿مصغي إناؤه﴾ من الإصغاء وهو الإملاءة؛ لأن الإنسان إذا أميل ولم يترك معتدلاً لم يتسع إلا للقليل، فهو كتابة عن نقص نصيبه فيهم وقلته.

وعلى الجهتين المذكورتين يتنزل اختلاف الصحاقة في ميراث الجدّ والأخوة.

فمن رأى منهم أنه أب يحجب الإخوة فقد راعى في الجد

إحدى الجهتين.

ومن رأى منهم أنه ليس بأب وأنه لا يحجب الإخوة فقد لاحظ

الجهة الأخرى.

ولم نطل الكلام هنا في جميع الألفاظ المذكورة التي هي أحد
عشر لفظاً خوف الإطالة، ولأنا لم نجد نصوصاً من الوحي تحدد شيئاً منها تحديداً دقيقاً.

ومعلوم أن فظ القوم منها قد دل القرآن على أنه يختص بالذكور دون الإناث، وأن الإناث قد يدخلن فيه بحكم التبع إذا اقترب نما يدل على ذلك، لأن الله تعالى قال: ﴿لا يَبْقِ قَوْمٌ مَّنْ فُرِطَ عَنِّي أَنَّمَا يَكُونُواُ خَيْرًا مِّنْكُمْ وَلَدَىِّي نَيَسَّأُونَ ﴿ الآية. فعطبه النساء على القوم يدل على عدم دخولهن في فظ القوم.

ونظيره من كلام العرب قول زهير:

وأما الدخول النساء في القوم بحكم التبع عند الاقتراح بما يدل على ذلك، فقد بيّن قوله تعالى في ملكة سبأ: ﴿وَصَدَّلَهَا مَا كَانَتْ تَعْبِدُونَۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢ

وأما الموالى فقد دل القرآن واللغة على أن المولى يطلق على كل من له سبيل يواليه.

ولذا أطلق على الله أنه مولى المؤمنين لأنهم يوالونه بالطاعة ويواليهم بالجزاء، ونفي ولاية الطاعة عن الكافرين، في قوله تعالى:

۹٧۷ ﴿ذَلِكَ ۖ يُذَكَّرُ ۗ أَلَيْنَ يَأْمُرُونَ أَنْ يُكَفَّرُواۡ وَأَنْ يُؤْمِئُواۡ لَا مَوَلَّ مِنَّهُ مُّلَّامٌ﴾.

وأثبت له عليهم ولاية الملك والقهر في قوله تعالى: ﴿وَرَّدُواَ إِلَىَّ الْحَقَّ مَعَ أَصْحَابِهِۦٓ أَنْ أَفْتَرَىۡ مَا كَانُواۡ يَفْتَرُونَ﴾، كما أثبت لهم ولاية النار في قوله: ﴿عَلَيْكَ الْئَارِجُ هُمۡ مُّلُوكُهُمۡ﴾ الآية.

وأطلق تعالى اسم الموالي على العصبة في قوله تعالى:
وقالوا: "ولولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من الأقريبيين عظيمين أهله يقسمون رحمت ربك خُمُسًا فقسمنا بينهم معيشتهم في الجحوة الدنيا ورفعتا بعضهم فوق بعض درجتي ليسجن ببعضهم بعضًا سحرًا وسحرًا تلتو خيرًا مما يجمعون".

(و قالوا) أي كفار مكة: (لولا) أي هلا (نزل هذا القرآن على)
رجل من القرئين) أي من إحدى القرئين، وهما مكة والطائف (عظيم) يعنون بعضهما كثرة ماله وعظم جاهه، وعلو منزلته في قومه، وعظيم مكة الذي يريدون هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، وفي مرة بن كعب يجتمع نسبه بالنبي .

وقيل: هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

وعظيم الطائف: هو عروة بن مسعود، وقيل: حبيب بن عمرو بن عمر، وقيل: هو كنانة بن عبد ياليل، وقيل غير ذلك.

وإيضاح الآية أن الكفار أنكروا أولاً أن يبعث الله رسولًا من البشر، كما أوضحناه مرارًا.

ثم لما سمعوا الأدلة على أن الله لم يبعث إلى البشر رسولًا إلا من البشر تنازلوا عن اقتراحهم إرسال رسل من الملائكة إلى اقتراح آخر، وهو اقتراح تنزيل هذا القرآن على أحد الرجلين المذكورين.

وهذا الاقتراح يدل على شدة جهلههم، وسخافة عقولهم، حيث يجعلون كثرة المال والجاه في الدنيا، موجباً لاستحقاق النبوة وتنزيل الوحي.

ولذا زعموا أن محمدًا ليس أهلاً لإنزال هذا القرآن عليه، لقلة ماله، وأن أحد الرجلين المذكورين أحق أن ينزل عليه القرآن منه .

وقد بين تعالى في هذه الآية الكريمه، شدة جهلههم، وسخافة عقولهم بقوله: "أُهُّرِيَّكُمْ رَحْمَتِيْ رَبِّكُكُمْ"، والظاهر المتبادر أن المراد برحمة ربك النبوة وإنزال الوحي.
وإطلاق الرحمة على ذلك متعدد في القرآن، كقوله تعالى في الدخان: «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (رَحْمَةً مِّنْ نَعْمَاتِنَا) الآية، وقوله في آخر النقصان: «وَمَا كَانَ بَعْضُكُم مِّنْكُمْ يَلَقُّ إِلَيْكُمْ الْحَسَبَةُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكُمْ» الآية، وقوله في آخر الأنبياء: «وَمَا أُسْنِدَ لَهُ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ».

وقد قدمنا الآيات الدالة على إطلاق الرحمة والعلم على النبي في سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى: «فَجَدَنَا عِبَادًا يَسْتَغْنُونِ عَنْ نَعْمَائِنَا» الآية.

وقدمنا معاني إطلاق الرحمة في القرآن في سورة فاطر ففي الكلام على قوله تعالى: «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ للَّذينَ يَأْتَونَهُ رَحْمَةً فَلاَ مُهْتَسِكُ لِهَا» الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية: «إِنَّمَا قَسَمَنَا بِنَيْنَ مِيِّتِيْنَ فِي الْجَوْهَرِ الَّذِي وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ وَقَرَّبْنَاهُ بَعْضٍ دَرْجَتَيْنِ» يعني أنه تعالى لم يفوض إليهم أمر معايشتهم وحظوظهم في الدنيا، بل تولى هو جل وعلا قسمة ذلك بينهم، فجعل هذا غنياً وهذا فقيراً، وهذا رفيعاً وهذا ضعيفاً، وهذا خادماً وهذا مخدوماً، ونحو ذلك، فإذا لم يفوض إليهم حظوظهم في الدنيا، ولم يحكمهم فيها، بل كان تعالى هو المتصور فيها بما شاء كيف شاء، فكيف يفوض إليهم أمر إنزال الوحي حتى يتحكموا في مننزل إليه الوحي؟ فهذا مما لا يعقل، ولا يظنه إلا غبي جاهل كالكافرون المذكورين.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «إِنَّمَا أَضْعَفْتُ عَضْعَاً سُحْرَىٰ» التحقيق إن شاء الله أنه من التسخير، ومعنى تسخير بعضهم
لبعض: خدمة بعضهم لبعض وعمل بعضهم لبعض؛ لأن نظام العالم في الدنيا يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمتة جل وعلا أن يجعل هذا قريباً مع كونه قوياً قادراً على العمل، ويجعل هذا ضعيفًا لا يقدر على العمل بنفسه ولكنه تعالى يهيئه له دراهم يؤجر بها ذلك الفقير القوي، فينفع القوي بدراهم الضعيف والضعيف بعمل القوي، فتنظم المعيشة لكل منهما، وهكذا.

وهذه المسائل التي ذكرها الله جل وعلا في هذه السورة الكريمة جاءت كلها موضحة في آيات أخر من كتاب الله.

أما زعمهم أن محمدًا ﷺ نقص شرفًا وقدراً من أن ينزل عليه الوحي، فقد ذكره الله عنهم في (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: "أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْذِّكَّارُ بَيْنَا هُمْ يُبْتَغُونَ الْغُنَّى مَنْ يُؤَلفُ مِنْ ذُرِّيَّةِنَا" الآية.

فقول كفار مكة: "أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْذِّكَّارُ بَيْنَا هُمْ يُبْتَغُونَ الْغُنَّى مَنْ يُؤَلفُ مِنْ ذُرِّيَّةِنَا" معناه إنكارهم أن يخصه الله بإزالة الوحي من بينهم، لزعمهم أن فيهم من هو أحق بالوحي منه، لكثرة ماله وواجهه وشرفه فيهم.

وقد قال قوم صالح مثل ذلك لصالح، كما قال تعالى عنهم:

"أَلَّا يَأْتَيْنَاهُمْ الْذِّكَّارُ بَيْنَا هُمْ يُؤَلفُونَ مِنْ ذُرِّيَّاتِنَا".

فقلوب الكفار مشابهة، فكانت أعمالهم مشابهة، كما قال تعالى: "كَذَٰلِكَ قَالَلِلَّهُ مِنْ بَعْلِهِمْ بَعْلَ فِرَاعَةَ تَشْهَبُهُ فَالْمَرْتُوهُمْ"، وقال تعالى: "أُوْاَلِيَ الْقُلُوبِ فَلاَ يَتَأَمَّلُونَ".

وأما اقتراحهم إزالة الوحي على غيره منهم، وأنهم لا يرضون خصوصيته بذلك دونهم، فقد ذكره تعالى في سورة الأعام
في قوله تعالى: «وإِذَا جَاءَ تَحْكُمُ مَيْيَةٍ فَأَوَّلَ آمَنَّى نَّغْفِي لَأَنْ نُؤُونَ حَتَّى نُؤُونَ مِثْلَ مَا أُوْقَى رَسُولُ اللَّهُ»، وقوله تعالى في المدثر: «فَلَمَّا يَرَى كُلُّ أَمْرٍ يَجِدُ نَّغْمًا أَنْ تُؤُونَ صَحَّفَهَا مُنَبَّرًا»، أي تنزل عليه صحف بالنوح من السماء، كما قاله مجاهم وغير واحد، وهو ظاهر القرآن. وفي الآية قول آخر معروف.

وأما إنكاره تعالى عليهم اقتراح إنزال الوحي على غير محمد ﷺ، الذي دلت عليه همزة الإنكار المتضمنة مع الإنكار لتجهيلهم وتسفيه عقولهم، في قوله: «أَهْرَى يُقِسَّمُونَ رَحمَتَ رَبِّكَ»، فقد أشار تعالى إليه مع الرعي الشديد في الأعماق; لأنه تعالى لما قال: «وإِذَا جَاءَ تَحْكُمُ مَيْيَةٍ فَأَوَّلَ آمَنَّى نَّغْفِي لَأَنْ نُؤُونَ حَتَّى نُؤُونَ مِثْلَ مَا أُوْقَى رَسُولُ اللَّهُ»، أي أن cuey على ذلك بقوله: «سَيَصِبُ الَّذِينَ أَجَرَّوْا صَغَارًا عَنْدَ اللَّهِ وَعَدْتُمُهُ هُمْ كَأَوْلَا يَعْلَمُونَ»، ثم أوعدهم على ذلك بقوله: «سَيَصِبُ الَّذِينَ أَجَرَّوْا صَغَارًا عَنْدَ اللَّهِ وَعَدْتُمُهُ هُمْ كَأَوْلَا يَعْلَمُونَ».

وأما كونه تعالى هو الذي تولى قسمة معيشتهم بينهم، فقد جاء في مواضع أخر، كقوله تعالى: «وَلِلَّهِ فَضْلًا بَعْضَ كُرُوبٍ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَرْضِ فَأَذَّنَ فِي نُبُوَّةٍ رَبِّي فَرَسُوحًا عَلَى مِلْحَكَتٍ ثُمَّ تَأْيِّدُوهُ فِيهِ سُوَاءً»، وقوله تعالى: «أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَلْنا بَعضًا عَلَى بَعْضٍ وَلا خَلَفَ أَكْثَرَ دَرَجَةً وَأَكْثَرَ تَفَضِّلًا»، وقوله تعالى: «وَلَكِنْ يُؤُرُّ بَيْنَ الْأَقْدَارِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ يَبْيَاضُ جَبْرًى صَبِيرٌ»، وقوله تعالى: «إِنَّ يَكْتُحُ غَيْبَيْنِ أَوْ يَقْرِرُ أَفَلَمْ يَكُ تَأْيِّدًا اللَّهُ وَلَأَيْضًا» الآية.

وقد أوضح تعالى حكمة هذا التفاضل والتفاوت في الأرزاق والحظوظ والقوة والضعف، ونحو ذلك، بقوله هنا: «إِسْجَدُ بَعضُم بَعْضًا بَعْضًا صَحِيرًا»، كما تقدم.
وقوله تعالى هنا: (ورحمت ربي خير ما يجمعون) يعني أن النبوة، والهتادء بهدي الأنياء، وما يناله المهتدون يوم القيامة، خير مما يجمعه الناس في الدنيا من حطامها.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله في سورة يوشع: (قل يُقسم الله ورضي عنه، فإذذاك ليغفر أو مغفرة مغفرة من الله ورحمة خير ما يجمعون). وقوله تعالى في آل عمران: (ولؤين قُتلتم في سبيل الله أو مسرى لمغفرة من الله ورحمة خير ما يجمعون).

مسألة

دلت هذه الآيات الكريمة المذكورة هنا، كقوله تعالى: (لا تنافسوا الناس في الأرزاق واحترموا سنة من سنن الله السماوية الكونية القدرية، لا يستطيع أحد من أهل الأرض البينة تبديلها ولا تحويلها بوجه من الوجه، (قل فَلۡتُمْ تَسْأَلُونَ اللَّهَ بِأَثَّرٍ مَّنْ هُنَّ تَعِينُونَ).]

وبذلك تحقق أن ما يتذروبه الآن الملاحظة المتكررون لوجود الله، ولجميع النبوات والرسائل السماوية، إلى ابتعاز ثروات الناس، ونزع ملكهم الخاص عن أملاكهم، بنعوى المساواة بين الناس في معايشتهم، أمر باطل لا يمكن بحال من الأحوال.

مع أنهم لا يقصدون ذلك الذي يزعمون، وإنما يقصدون استثمارهم بأملاك جميع الناس، ليتمتعوا بها ويتصرفوا فيها كيف شاؤوا، تحت ستار كثير من أنواع الكذب والغور والخداع، كما
يتحقق كل عاقل مطلع على سيرتهم وأحوالهم مع المجتمع في بلادهم.
فالغلمة القليلة الحاكمة، ومن ينتمون إليها، هم المتمتعون بجميع خيرات البلاد، وغيرهم من عامة الشعب محرومون من كل خير، مظلمون في كل شيء، حتى ما كسبوه بمايدهم، يعلونون ببطاقة كما تعلف البغال والحمير.
وقد علم الله جل وعلا في سابق علما أنه يأتي ناس يغتصبون أموال الناس بدعوى أن هذا فقير وهذا غني. وقد نهى جل وعلا عن اتباع الهوى بثقل / الدعوى، وأوعده من لم ينته عن ذلك بقوله تعالى: "إن يكن غنيًا أو قريباً فلا يسعوا الهوى أن تعبدوا و إن تلووا أو تعرفوا فإن الله كان يما تعمولون حيّراً." و قوله: "فإن الله كان يما تعملون حيّراً" في وعيد شديد لمن فعل ذلك.
قوله تعالى: "و لولا أن يكون الناس أمنة واحدة لجعلنا * لمن يكثر بألحمن إضجعهم سقفاً من فضيّة ومعايج عليها يظهرون وليلجينهم أوبة وسرراً عليها يبتكون ورخفاً وإن سكن ذلك لما متع السفيرة الدنيا والآخرة عند ربك للمتينين".
 قوله: (ليبيتهم)، في الموضعين، قرأاه ورش وأبو عمرو وحفظ عن عاصم بضم الباء، على الأصل.
وقرأ قالنون عن نافع وابن كثير وابن عمار وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: (ليبيتهم) بكسر الباء، لمجازسة الكسرة للباء.
وقوله: (سقفا) قرأ نافع، وأبن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم: (سقفا) بضمتين، على الجمع.
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (سقفا) بفتح السين وإسكان القاف، على الإفراد المراد به الجمع.
وقوله: (وإن) (وإن) (وإن) ذلك لما معَّ انتشرت الدنيا قرأ نافع وأبن كثير وأبن عامر في رواية ابن ذكوان، وإحدى الروايتين عن هشام، وأبو عمرو والكسائي: (لمأ) متاع الحياة الدنيا بتخفيف الميم من (لَمْ) (لَمْ) (لَمْ).
وقرأ عاصم وحمزة، وهشام عن ابن عامر في إحدى الروايتين: (لمأ) متاع الحياة الدنيا) بتشديد الميم من (لَمْ).

ومعنى الآية الكريمة: أن الله لما بين حقارة الدنيا، وعظم شأن الآخرة في قوله: (وَهُدِمَهَا خِيرًا مَا يَجْمَعُونَ) أتبع ذلك بيان شدة حقارتها، وأنه جعلها مشتركة بين المؤمنين والكافرين، وجعل ما في الآخرة من النعيم خاصًا بالمؤمنين دون الكافرين، وبين حكمته في اشتراك المؤمن مع الكافر في نعيم الدنيا بقوله: (وَلَوْ لَأَنَّ أَنَّا أَعْطَى اسْتَغْدَرَةً) أي لولا كراحتنا لكون جميع الناس أمة واحدة متفقة على الكفر لأعطينا زخارف الدنيا كلها للكفار، ولكننا لعلمنا بشدة ميل القلوب إلى زهرة الحياة الدنيا، وجبها لها، لو أعطينا ذلك كله للكفار لحملت الرغبة في الدنيا جميع الناس على أن يكونوا كفارا، فجعلنا في كل من الكافرين والمؤمنين غنيا وفقيرا، وأشركتا بينهم في الحياة الدنيا.

ثم بين جل وعلا اختصاص نعيم الآخرة بالمؤمنين في قوله:
سورة الزخرف

ولا إن ذلك لما ممتع الحياة الدنيا والأخرى عند ربك للمتَّقين أي خالصة لهم دون غيرهم.

وهذا المعنى جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في الأعراف: "قل من حرم زينة الله الذي أخرج لبادها والطيبين من الطرب فليَّدين فانصرفوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة".

فقوله: "قل يليَّدين فانصرفوا في الحياة الدنيا" أي خاصية بهم، دون الكفار، يوم القيامة؛ إذ لا نصيب للكفار البينة في طيبات الآخرة.

فقوله في آية الأعراف هذه: "قل يليَّدين فانصرفوا في الحياة الدنيا" صريح في اشتراك المؤمنين مع الكفار في متاع الحياة الدنيا، وذلك الاشتراك المذكور، دل عليه حرف الامتناع للوجود الذي هو (لولا)، في قوله هنا: "لولا أن يكون الناس أمة ورجة".

وخصوص طيبات الآخرة بالمؤمنين، المنصوص عليه في آية الأعراف بقوله: "خالصة يوم القيامة" هو الذي أوضحه تعالى في آية الزخرف هذه بقوله: "والآخرة عند ربك للمتَّقين".

وجميع المؤمنين يدخلون في الجمالة في لفظ (المتَّقين) لأن كل مؤمن اتقى الشرك بالله.

ومما ذلت عليه هذه الآيات من أنه تعالى يعطي الكفار من متاع الحياة الدنيا، دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: "قل ومن كفر فأتمثِّل له ما أضرَّره إلى عدَّة من النُّجَر"، وقوله: "تنبئهم".
فقد بين تعالى في آيات من كتابه، أن إعجازه على الكافرين ليس لكرامتهم عليه، ولكن للاستدراج، كقوله تعالى: 
(قد ردوا ذلك مثلاً)
بكلمة "أي كذب بهذا المذهب ستستند إليه من حيث لا يعقلون؟"، وأي كلم إن كيد محبٍّ.
وقوله تعالى: 
(فما ذكرنا ما دعوا فيه فأنت حاكمه بحق وإنما هم من أولهم)
فقل لأبي القور الذين ظلوا فرحاً وما أدوا أخذهم عنهم بقية فإذا هم مخلدون.
(فقلبنا ملكاً سليمنا، وقللنا من أنجزها بما من كافرون)
ووقوله تعالى:
(ما بدان ملكاً سليماً)
وقد بين تعالى في إعجازه ولاستدراجهم، أن إنعامه على الكافرين ليس لكرامتهم عليه، ولكن للاستدراج، كقوله تعالى: 
(قد ردوا ذلك مثلاً)
بكلمة "أي كذب بهذا المذهب ستستند إليه من حيث لا يعقلون؟"، وأي كلم إن كيد محبٍّ.
وقوله تعالى:
(فما ذكرنا ما دعوا فيه فأنت حاكمه بحق وإنما هم من أولهم)
فقل لأبي القور الذين ظلوا فرحاً وما أدوا أخذهم عنهم بقية فإذا هم مخلدون.
(فقلبنا ملكاً سليمنا، وقللنا من أنجزها بما من كافرون)
ووقوله تعالى:
(ما بدان ملكاً سليماً)
وقد بين تعالى في إعجازه ولاستدراجهم، أن إنعامه على الكافرين ليس لكرامتهم عليه، ولكن للاستدراج، كقوله تعالى: 
(قد ردوا ذلك مثلاً)
بكلمة "أي كذب بهذا المذهب ستستند إليه من حيث لا يعقلون؟"، وأي كلم إن كيد محبٍّ.
وقوله تعالى:
(فما ذكرنا ما دعوا فيه فأنت حاكمه بحق وإنما هم من أولهم)
فقل لأبي القور الذين ظلوا فرحاً وما أدوا أخذهم عنهم بقية فإذا هم مخلدون.
(فقلبنا ملكاً سليمنا، وقللنا من أنجزها بما من كافرون)
ووقوله تعالى:
(ما بدان ملكاً سليماً)
سورة الزخرف

حكسبٍ، وقوله تعالى: "وما ينفع عنيه مالٌ، إلا إذا ردته"، وقوله تعالى: "ولقد جئتكم نذيرًا كما خلقتمكم أول مَّرَزٍ وتركته مَا خَلَّتْكُمْ ورَأَهُ ظَهْرُكُمْ"، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا طرفاً من هذا في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: "ولَيْن رَدِّتُ إِلَيْهِ لَأُجْعَلَ أَنَّهُ خَيْرًا مِّنْهَا مَنْقَلِبًا".

ولنرجع إلى تفسير ألقاها الآية الكريمة.

فقوله: "جعلنا" أي صبرنا، وقوله: (لبيوتهم) بدل اشتمال مع إعادة العامل من قوله: (لم يكفر).

وعلى قراءة (سَقَفَ) بضمتين فهو جمع سقف، وسقف البيت معروف.

وعلى قراءة (سَقَفَ) بفتح السين وسكون القاف، فهو مفرد أريد به الجمع.

وقد قدمنا في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: "ثم نُصْرِحُهُمْ طَلَقًا" أن المفرد إذا كان اسم جنس يجوز إطلاقه مراداً به الجمع، وأكثرنا من أمثلة ذلك في القرآن، ومن الشواهد العربية (١).

وقوله: "ومعاجر" الظاهر أنه جمع معاجر بلا ألف بعد الراء.

والمعجر والمعرج بمعنى واحد، وهو الآلة التي يعرج بها، أي يصعد بها إلى العلو.

وقوله: (يظهرون) أي يصعدون ويرتفعون، حتى يصرفوا على ظهور البيت. ومن ذلك المعنى قوله تعالى: "فَمَا أُسْتَطَّعُوا أَن يُظَهَّروُنَّ وَمَا أُسْتَطَّعُوا أَن يُسْتَطَّعُوا أَن يُظَهَّرُوُنَّ".

والسر جمع سرير، والانكاء معروف.

(١) كان بعده في المطبوعة: "على ذلك"! 
الأبواب جمع باب وهو معروف، والزخرف الذهب.

قال الزمخشري: إن المعارج التي هي المصاعد والأبواب والسرير كل ذلك من فضة، لأنه يرى أشراكة المعطوف والمتعروف عليه في ذلك، وعلى هذا المعنى قوله: (زخرفا) مفهول عامله مذوف، والتقدير: وجعلنا لهم مع ذلك زخرفاً.

وقال بعض العلماء: إن جميع ذلك بعضه من فضة، وبعضه من زخرف، أي ذهب.

وقد ذكر القرطبي أن إعراب قوله: (وزخرفا) على هذا القول أنه منصب بنزع الخافض، وأن المعنى: من فضة ومن زخرف، فحذف حرف الجر فانتصب زخرفاً.

وأكثر علماء النحو على أن النصب بنزع الخافض ليس مطرداً ولا قياسياً، وما سمع منه يحفظ ولا يقاس عليه.

وعليه درج ابن مالك في الخلاصة في قوله:

وإن حذف فالنصب للمنجر... نقلنا...... إلخ

وعلي بن سليمان وهو الأخفش الصغير يرى اطراده في كل شيء أمن فيه اللبس، كما أشار في الكافية بقوله:

وابن سليمان اطرادة رأى إن لم يخف لبس كم زيد نأي وقاله تعالى: (فَوَإِن كَسَّكْنَاهُ لَمْ يَشْكَرَ) على قراءة الجمهور بتخفيف الميم من (لما)، ف (إِن) هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بين (إِن) المخففة من الثقيلة، و (إِن) التافية المشار إليها بقوله في الخلاصة:

وخففت إن فَقَلَ العْمَل... وتلزم اللام إذا ما تهمس...
و (ما) مزيدة للتوكيذ.
وأما على قراءة عاصم وحمزة وابن عامر في إحدى الروايتين عن هشام (لمًا) بتشديد الميم، ف (إن) نافية، و (لما) حرف إثبات بمعنى إلا، والمعنى: وما كله ذلك إلا متناج الحياة الدنيا.
وذكر بعضهم أن تشديد ميم (لما) على بعض القراءات في هذه الآية وآية الطارق: "إِنَّ كُلَّ قَينَّ لَا يَعْلَىَ حَافِظٌ لَّغَةَ بَنِي هِذِيلِ" ابن مدركة، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: "وَمَن يَعْشَ عِنْ ذَكْرِ الْحَمِيمِ تَقْيِيمٌ لِّلَّهِ شَيْطَانًا فَهُوَ لِلَّهِ قَرِينٌ ۖ وَلَهُمْ لِيُصْدَدُونَ عَنْ السَّبِيلِ وَيَخْسَأُنَّهُم مُّهَدَّدُونَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ نَا قَالُوٓا يَلُجُّ بَيْنَيْنَ بَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقِينَ فِيْنَسُونَ الْقَرِينِ" .

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة فصلت في الكلام ۲۵۳
على قوله تعالى: "وَقَيْضَنَا لِقُرَءَاءِهِ آيَةً" الآية.

قوله تعالى: "وَأَنَّ يَنْفَعُكُمْ لَيْلَةٌ إِذْ ظَلَّتُمْ أَنْتُكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشَتَّرِكُونِ" .

قد قدمنا الكلام عليه في الصفات في الكلام على قوله تعالى:
"فِي أَهْمِهِ يَوْمًا فِي الْعَذَابِ مُشَتَّرِكُونَ ."

قوله تعالى: "فَآتِهِمْ تَشَجَّعُ الْجَمْعِ أَوْ هَدِيَ الْعَمِّيَّ وَمِنْ كَاتِ في صَلَّى مُعْبِرِينَ".

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة النمل في الكلام
على قوله تعالى: {إِنَّكَ لَجَعَلْتَ السَّمَاءَ مَخْطُورًا وَلَا تَشِيعَ الْأَضْحَامَ الدُّلَّاءَ إِذَا وَلَوْا مُتَّقِينَ}.

قوله تعالى: {فَأَسْتَمِسِيكَ بِالذِّي أُوْحِي إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صَرْطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

أمر الله جل وعلا نبئي في هذه الآية الكريمة أن يتمسك بهدي هذا القرآن العظيم، وبين له أنه على صراط مستقيم أي طريق واضح لاعوجاج فيه، وهو دين الإسلام الذي تضمنه هذا القرآن العظيم الذي أوحى إليه.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، قد جاء موضحاً في آيات أخرى من كتاب الله.  

أما أمره بالتمسك بالقرآن العظيم، فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {وَأَنَّ الَّذِي أُوْحِي إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مِنْ لِكَمْ قَبْلَهُ}.

وأما إخباره له بأنه على صراط مستقيم، فمن الآيات التي أوضح ذلك فيها قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَا عَلَى شَرِيعَةِ مَنْ أَوْصَاهَا وَلَا تَشْيَعَ الْأَضْحَامَ الدُّلَّاءَ}، وقاله تعالى: {وَإِنَّكَ لَبَشَّارٌ إِلَى صَرْطٍ مُسْتَقِيمٍ سَيَأْتِهُ اللَّهُ رَبُّ الْكَافِرِينَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وقاله تعالى: {وَإِنَّ الْيَتِيمَ لَمَعَنَّكَ إِلَى صَرْطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قوله تعالى: {فَلاَ هَزِينَكَ فِي الأَمْرِ وَادْخُلْ إِلَى رَبِّكَ إِنَّ هُدْيَكَ مُسْتَقِيمٌ}، قوله تعالى: {فَوَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} إلى غير ذلك من الآيات.
وسورة الرَّحْف

وأيَّة الرَّحْفِ هذِه تَدَلْ عَلَى أَنَّ المَتَمِسَك بِهِذَا الْقُرْآن عَلَى هَدٍ من اللَّه، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالضَرْوَرَة.

قوله تعالى: "وَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسْلِنَا أُجْلَنَّا مِنْ دُونِ أَرْحَامِنَا عَلَى هَيْثَمُ."

ما تَضْمِنَتْ هذِه الآيَة الكِرِيمَة، مِن أَنْ جَمِيع الرُّسُل جَاؤُوا بِإِخْلاَصِ التَّوْحِيْد اللَّه، الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ كِلَمَةٌ لَا إِلَه إِلَّا اللَّه، جَاءَ مَوْضُوحاً فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَيْفَانَ وَقَالَهُ عَلَى: "وَلَقَدْ بَشَرْنَا فِي سَكْنِي أَقْطُرُ رُسُلًا أَنْبِيَاءَ أَهْلِهَا أَنْبِيَاءَ اللَّهَ وَأَجْسَحُوا الْطَّغْوَاتِ"، وَقَوْلِهِ عَلَى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَهُ مِنْ رُسُلِهِ إِلَّا نُوْجُهُ إِلَيْهِ أَنتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَهُ".

وَذَلِكَ التَّوْحِيْد هُوَ أَوْلِى مَا يَأْمُرْ بِهِ كَلْ بَيْ أَمِثٍ.

قَالَ تَعَالَى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَيْ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّه مَالَكِ يَنْقُومُ إِلَيْهِ"، وَقَالَ تَعَالَى: "وَلَكِنْ عَادٍ أَخَاهُ هُوَ الَّذِي يَنْقُومُ إِلَيْهِ أَعْبُدُوا اللَّه مَالِكِ يَنْقُومُ إِلَيْهِ"، وَقَالَ تَعَالَى: "فَإِنْ تَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّه مَالِكِ يَنْقُومُ إِلَيْهِ"، وَقَالَ تَعَالَى: "وَلِلَّهِ مَدِينَتُكُمْ شَهِيدًا وَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّه إِلَيْهِ"، إِلَى غَيْرِ مِنْ الآيَات.

قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسىٌ بِيَدِيِّهِ إِلَى فَرَعَوْنَ.

وُمَلِلَ فَيْهُ" الآيَة.

قَدْ قَدَّمْنَا الكِلَام عَلَى قَصَة مُوسى وَفِرَعُون فِي سُورَةَ الأَعْرَاف وَسُورَةَ طَهِّ.
قوله تعالى: » وأخذتهم بالعذاب لعلهم يرجعون«.

لم يبين هنا نوع العذاب الذي أخذهم به، ولكنه أوضحه في الأعراف في قوله تعالى: » وقالوا مهما تأتينا بها من آية ليسحرنا بها كما محسن لله مبتسم«. فأرسلنا عليهم أطفاكم وجراد والغم والقصب والدم فذات مفصلة، وقوله تعالى: » ولقد أخذنا علآ لرفعون ألسين ونصص من النصرت الآية.

قوله تعالى: » وقالوا يتألق الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إلا إنه لم يهتدون فلم يكثروا على عينهم العذاب إلا هم ينكثرون«.

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أوضحه في الأعراف بقوله: » ولما وقع عليهم الرجوز قلوا ينعمون أدع لنا ربك بما عهد عندك لين كشف عننا الريح لجومن لك ولرسلنا مهاك بني إسرائيل فلما كشفنا عينهم الريح للجوم هم على الله إذ هم ينكثرون«.

والرجوز المذكور في الأعراف هو بعينه العذاب المذكور في آية الزخرف هذه.

قوله تعالى عن فرعون: » ولا يكاد ينيبن«.

قد تقدم الكلام عليه في طه في الكلام على قوله تعالى عن موسي: » وأعمل عقدهم لساني« الآية.

/ 265 

قوله تعالى: » فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جل穹 معه المأثرة مقرة من مقرة«.

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الفرقان في الكلام على قوله
сура ан-нур

نعتاً: لَوَّا أُولُوٍّ إِلَّهَ مَلَكَ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا الآية.

* قوله تعالى: فَلَمَا أَسْفَنَا أَنْقَمَنَا وَمُهْمًٰهٓ.

(آسفاً) معناه أغضبنا وأسخطونا، وكون المراد بالأسف الغضب، يدل عليه إطلاق الأسف على أشد الغضب في قوله تعالى:

وَلَمْ آرِجَ مَعْسَكَ إِلَّا قَوْمِي غَضَبِي أَيَّافًا على أصح التفسيرين.

* قوله تعالى: فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا وَمُتَنَابِئًا لِلْآخِرَاتِ.

قد قدمنا الكلام عليه في هذه السورة الكريمة، في الكلام على قوله تعالى: فَأَهْلَكْنَا أَشْدَدَ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمُصِبَّانَ مِثْلُ الْأُولِياءِ.

* قوله تعالى: وَلَمَا صَبِبَ أَبَنَ مُرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قُوْمُهُ

يَسْتَنْجِبُونَ وَقَالَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَرْعَ اللَّهِ أَنْ هَوَّ مَصْرَعُهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بِلِلَّهَِ حَصُمُونَ.

قرأ هذا الحرف نافع وابن عامر والكسائي (يَصُدَّون) بضم الصاد. وقرأه ابن كثير وأبو عمر وعاصم وحمزة (يَصُدَّون) بكسر الصاد.

فعلي قراءة الكسر فمعنى (يَصُدَّون) يضجعون ويصيحون، وقيل: يضحكون، وقيل: معنى القراءتين واحد، كيعرشون ويعرشيون، ويعرفون ويعرفون.

وعلى قراءة الضم فهو من الصدود، والفاعل المحدود في قوله: فَصَادَ قال جمهور المفسرين هو عبد الله بن الزبير.
السهمي قبل إسلامه. / أي وَلَمْ يَضْرِبُ ابْنُ الْزِبْرِيْرِ المذكور عِيسى
ابن مريم مثلاً فَأَجَّلَكَ قُومُكَ بِالضَّجَّيْجِ والصِبَاحِ والضَّحْكِ، فَرَجَا فِيهِم
وزعماً منهم أن ابن الزبيري خَصَمَكَ، أو فَأَجَّلَكَ صَدْوَدَهُمْ عَن
الإيَمان بسبب ذلك المِثْل.

والظاهرة أن لفظة (مُن) هِنا سِبِيْبة، ومعْلُوم أن أهـ
العربية يذكرون أن من معاني (مُن) السَِبِيْبة، ومنه قوله تعالى:
۹۲۸٩ أنْ أَخْطِبُوهُمْ أُقِّرُوا فَأَخْلُصُوا نَارًا. أي بسبب خطِئِاتهم أُقِّرُوا.
ومن ذلك قول الحالين في أيمان القسامة: أَقَسِمَ بِاللِّهِ لِمِن
ضربه مات.

وإيضاح معنى ضرب ابن الزبيري عيسى مثلاً، أن الله لما أُنزل
 قوله تعالى: ۹۲۸٩ «إِنْ حَكَمْتُ وَمَا أَعْبَدْتُ كِنِىْنِيْنَ أَحْضَرَ
لِهَا وَرَذُونِيْنَ»، قال ابن الزبيري: إن محمدًا ﷺ يقول: إن كل
معبود من دون الله في النار، وأننا وأَصِانَمَا جَمِيعًا في النار،
وهذا عيسى ابن مريم قد عَبَدَهَا النصارى من دون الله، فإن كان
ابن مريم مع النصارى الذين عبده في النار فقد رضيتنا أن نكون نحن
والهتنا معه.

وكانوا مثل ذلك في عزيز والملائكة؛ لأن عزيزاً عَبَدَهَا اليهود،
والملائكة عَبَدُهم بعض العرب.

فَاتضح أن ضربه عيسى مثلاً، يعني أنه على ما يَزْعُم
أن محمدًا ﷺ قاله من أن كل معبود وعابده في النار يقتضي
أن يكون عيسى مثلاً لأَصِانِمَاهم في كون الجميع في النار، مع
أن النبي ﷺ يُنْهَى علي عيسى الشاب الجميل، ويبين للناس أنه
عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

فزعتم ابن الزبير أن كلام النبي ﷺ لما اقتضى مساوأة الأصنام مع عيسى في دخول النار مع أنه ﷺ يعرف بأن عيسى رسول الله ﷺ وأنه ليس في النار، دل ذلك على بطلان كلامه عندئذ.

وعند ذلك أنزل الله: *إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ أُولِيَاءَ عَنْهَا مُبَدِّدُونَ لَا يَسْتَمَعُونَ حَسِيبَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهِيَ أُشْتَهِيَ خَلِيْدُونَ لَا يَحْزَنُونَ فَرْعُوكُمُ الْأَكْبَرُ أَلَّا يَجْرِيَّنَّهُمُ الْقُلُوبُ أَلَّا يُخْلِّصُواْ الْآمَانَةَ أَلَّا يَذْهَبُواْ مَرَّاتَيْنِ مَثَلًا أَلَّا يَجْعَلُواْ مَثَلًا مَّثَلَّهَا أَلَّا يَقْدِرُواْ مَثَلَّهَا* الآية، وأنزل الله أيضاً قوله تعالى: *وَلَا يُؤْسَرِبُ أَنَّ مَرَّيَّ مَثَلًا* الآية.

وعلى هذا القول فمعنى قوله تعالى: (ما ضربوه لك إلا جدلًا)، أي ما ضربوا عيسى مثلا إلا من أجل الجدل والخصوصة بالباطل.

وقيل: إن (جدلًا) حال، وإتيان المصدر المنكر حالاً كثير.

وقد أوضحتنا توجيهه مراراً.

والمراد بالجدل هنا الخصومة بالباطل لقصد الغلبة بغير حق.

قال جماعة من العلماء: والدليل على أنهم قصدوا الجدل بشيء يعلمون في أنفسهم أنه باطل، أن الآية التي تدرعوا بها إلى الجدل، لا تدل البينة على ما زعموه، وهم أهل السكان، ولا تخفى عليهم معاني الكلمات.

والآية المذكورة إنما عبر الله فيها بلغة (ما) التي هي في الوضع العربي لغير العقلاء، لأنه قال: *إِنَّكُمْ وَإِنَّكُمْ مَا تَعْبُدُونَ* ولم يقل: (وَمَنْ تَعْبُدُونَ) وذلك صريح في أن المراد الأصنام، وأنه
لا يتناول عيسى ولا عزيرا ولا الملائكة، كما أوضح تعالى أنه لم يرد ذلك بقوله تعالى بعده: «إِنَّذِينَ سَبَّبَتْ لَهُمْ يَبِينَ الْحِسَانِيَّةَ» الآية.
وإذا كانوا يعلمون من للغاية أن الآية الكرامة لم تتناول عيسى بمقتضى لسانهم العربي الذي نزل به القرآن، تحققنا أنهم ما ضربوا عيسى مثلًا إلا لأجل الجدل والخصومة بالباطل.
ووجه التعبير في صيغة الجمع في قوله: «ما ضربوهُ لَكِ إِلَّا جَدَّلًا»، مع أن ضرب المثل واحد وهو ابن الزهري يرجع إلى أمه:
أحدهما: أن من أساليب اللغة العربية إسناد فعل الرجل الواحد من القبلة إلى جميع القبلة، ومن أصرح الشواهد العربية في ذلك قوله:
فسفيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بدي ورقاء عن رأس خالد فإنه نسب الضرب إلى جميع بني عبس، مع تصريحه بأن السيف في يد رجل واحد منهم، وهو ورقاء بن زهير، والشاعر يشير بذلك إلى قتل خالد بن جعفر الكلازي لزهر بن جذيمة العبسي، وأن ورقاء بن زهير ضرب بسيف بني عبس رأس خالد بن جعفر الكلازي الذي قتل أباه، ونبا عنه، أي لم يؤثر في رأسه؛ فإن معنى «نبا السيف» ارتفع عن الضربة ولم يقطع.
والشاعر يهجو بني عبس بذلك.
والحروب التي نشأت عن هذه القصة، وقتل الحارث بن ظالم المري لخالد المذكور، كل ذلك معروف في محله.
والأمر الثاني: أن جميع كفار قريش، صوبوا ضرب ابن الزهري عيسى مثلًا، وفرحوا بذلك، ووافقوه عليه، فصاروا كالمتمالحين عليه.
وبهذين الأمرين المذكورين جمع المفسرون بين صيغة الجمع في قوله: «فَعَظََّاهَا وَقَولهُ: فَكَذََّبَهَا فَعَظََّاهَا» وبين صيغة الإفراد في قوله: «فَأَوَاصَِّهِ فَعَظََّاهَا».

وقال بعض العلماء: الفاعل المذكور في قوله: (ولما ضرب) ابن مريم مثلًا هو عامة قريش / الذين قالوا أيا كفار قريش (1) لما سمعوا النبي ﷺ بذكر عيسى، وسمعوا قول الله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلَ هُذَا لِلَّهُ بَنِي إِسْرَاَلٍ» قالوا للنبي ﷺ: ما تريد بذكر عيسى إلا أن نعبد كما عبد النصارى عيسى.

وعلى هذا فالمعنى أنهم ضربوا عيسى مثالًا للنبي ﷺ، في عبادة الناس لكل منهما، زاعمين أنه يريد أن يعبد كما عبد عيسى.

وعلى هذا القول فمعنى قوله: (ما ضربوته تأكّد إلا جدلاً)، أي ما ضربوا لك هذا المثل إلا لأجل الخصومة بالباطل، مع أنهم يعلمون أنك لا ترضى أن تعبد بوجه من الوجه.

وقوله تعالى: «فَلْتَأْهِلْ الْكِتَابَ تَعَلَّمُوا إِلَى سَلَّمِ بِنِسَا، وَيَتَبَيَّنْ» (أَلاَّ تُسْتَبِدَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شَرِيكَ إِلَّهٌ مَّنْ شَهِّدَ وَلَا يَتَبَيَّنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْبَاضًا مِّنْ دُونِ اللَّهَ). الآية، وإن كان من القرآن المدني النازل بعد الهجرة، فمعناه يكرره عليهم النبي ﷺ كثيرًا قبل الهجرة كما هو معلوم، وكذلك قوله: (وَلَا يَأْمُرُنَّكُمْ أَنْ تَتَّجَّهُوا لِلشَّكْكَةِ وَالنَّيْبِينَ أَيْبَاضًا أَيْبَاضًا لِلْكَلِمِ مِنْشِئًا إِذَا أَنْتمُ مُسْلِمُونَ).

ولا شك أن كفار قريش متفقون في جميع المدة التي أقامها

(1) العبارة في المطبوعة: «والذين قالوا إن كفار قريش...».
في مكة قبل الهجرة بعد الرسالة، وهي ثلاث عشيرة سنة، أنه لا يدعو إلا إلى عبادة الله وحده لا شريك له. فقد كانوا أنهم يريدون أن يعبدوا، اقتراء منهم، وهم يعلمون أنهم مفتركون في ذلك.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: 

{ أَلَهَهُ كَأَنَّهُمْ أَرْضَىَهُ}. 

التحقيق أن الضمير في قوله: 

{هوُ رَاجِعُ إِلَى عِيسَى، لا إِلَى مُهَمَّدٍ عَلِيهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ}. 

 قال بعض العلماء: ومرادهم بالاستفهام تفضيل معبوداتهم على عيسى. 

قيل: لأنهم يتخذون الملائكة آلهة، والملائكة أفضل عندهم من عيسى. 

وعلى هذا فمرادهم أن عيسى عبد من دون الله، ولم يكن ذلك سببا لكونه في النار، ومعبدتنا خير من عيسى، فكيف تزعم أنهم في النار.

وقال بعض العلماء: أرادوا تفضيل عيسى على آلهتهم.

والمعنى على هذا أنهم يقولون: عيسى خير من آلهتنا، أي في زعمك، وأنت تزعم أنه في النار بمقتضى عموم ما تقوله من قوله: 

{إِنَّكَ مَا تَعْبِدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصُبٌ جَهَنَّمَ}. 

وعيسى عبده النصارى من دون الله، فدلالة قوله على أن عيسى في النار، مع اعتراف بخلاف ذلك، يدل على أن ما تقوله من آنا والهتنا في النار ليس بحق أيضا.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْصُمُونَ﴾ ﴿وَتَنَزَّلَهُمْ قُوَّمًا لَّنَا﴾ أي شديدي الخصومة، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَلْحَصَرَ﴾؛ لأن الفعل بفتح فكسر كحصيم، من صبغ المبالغة، كما هو معلوم في محلة.

وقد علمت مما ذكرنا أن قوله تعالى هنا: ﴿وَلَا أُصْرِبْ أَيْنَ﴾ مرتين مثلاً الآية، إنما بينته الآيات التي ذكرنا ببيان سببه.

ومعلوم أن الآية قد يتضح معناها ببيان سببها.

فعلي القرار الأول، أنهم ضربوا عيسى مثلاً لأصحابهم في دخول النار، فإن ذلك المثل يفهم من أن سبب نزول الآية نزول قوله تعالى قبلها: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبًٌ جَهَّارٌ﴾؛ لأنها لما نزلت قالوا: إن عيسى عبد من دون الله كأهلهم، فهم بالنسبة لما دلت عليه سواء.

وقد علمت بطلان هذا مما ذكرناه آنفاً.

وعلى القرار الثاني، أنهم ضربوا عيسى مثلاً لـ محمد ﷺ، في أن عيسى قد عبد، وأنه يريد أن يعبد كما عبد عيسى، فكون سبب ذلك سماعهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إِدَمَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ تَرَابٍ﴾، وسماعهم للآيات المكية النازلة في شأن عيسى، يوضح المراد بالمثل.

وأما الآيات التي بنيت قوله: ﴿مَأْصَرِبُوهُ لَكَ إِلَّا جَلَدًا﴾ فيبيانها له واضح على كلا القولين. والعلم عند الله تعالى.
قوله تعالى: «إن هؤلاء لآبادي أجمعون عليه».

والتحقيق أن الضمير في قوله: (هو) عائد إلى عيسى أيضاً لا إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

وقوله هنا: «عبد أنعمّا علّيكم» لم بين هنا شيئا من الإعفاء الذي أنعم به على عبده عيسى، ولكنه بين ذلك في المائدة، في قوله تعالى: «إذ قال الله يوسيس أن مريم أُذكِرتُ يعمدُ علَيْك إعْلَمٌ وَعَلِيْكُمُ الْعَلَّمُ».

وفي أثنا عشر سورة البقرة في الآية 30: «إِذْ كَانَ بَيْنَ مِنَ الْحَيَاةِ الْأُمُورِ بُيُوتٌ كَانَ فِيهَا ضُحْاً وَرُبُضٌ وَمَنْ أَرْسَلَ اللَّهُ بِهَا مُنَذَّرًا إِلَى عِيسَى بْنِ مَيْلَى».

وفي آل عمران، في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُك بِكِتَابٍ مِّثْلَ كِتَابِ يَسُوعُ بْنِ مَيْلَى».

قوله تعالى: «وَإِنَّ اللَّهَ يَلْعَمُ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَتِمَّرْنَ يَا أَيُّهَا الْأُمَّةُ».

التحقيق أن الضمير في قوله: (وإنه) راجع إلى عيسى لا إلى القرآن، ولا إلى النبي.

ومعنى قوله: «أَلْعَمُ لِلسَّاعَةِ» على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم، والسنة المتنورة، هو أن نزول عيسى في آخر الزمان حيااً علم ل الساعة، أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنها من أشراطها الدالة على قربها.

إطلاق علم الساعة على نفس عيسى، جار على أمين، كلاهما أسلوب عربي معروف:
سورة الرّحف

أحدهما: أن نزول عيسى المذكور، لما كان علامة لقربها، كانت تلك العلامة سببًا لعلم قريها، فأطلق في الآية المسبب وآريد السبب.

 وإطلاق المسبب وإرادة السبب، أسفل عربى معروف في القرآن، وفي كلام العرب.

 ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: 

 وَرَزَقَكُمْ مِنِ السَّمَاةِ رَزْقًا

 ۲٦٤

والذي هو الرزق وأريد سببه الذي هو المطر للملابسة القوية التي بين السبب والمسبب.

ومعلوم أن البلاغيين ومن وافقهم، يزعمون أن مثل ذلك من نوع ما يسمونه المجاز المرسل، وأن الملابسة بين السبب والمسبب من علاقات المجاز المرسل عندهم.

والثاني من الأمرين: أن غاية ما في ذلك أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: وإنه لذو علم للساعة، أي وإنه لصاحب إعلام الناس بقرب مجيئها، لكونه علامة لذلك، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في القرآن وفي كلام العرب، وإليه أشار في الخلاصة بقوله:

 ۲۸۱

 وما يلي المضاف يأتي خلفا عنه في الأعراب إذا ما حذفنا وهذا الأخير أحد الوجهين اللذين وجه بهما علماء العربية النعت بال مصدر، كقوله: زيد كرم وعمرو عدل، أي ذو كرم وذو عدل، كما قال تعالى: (وَأَنْتَ هُدَايَاً عَلَىٰ مَلِكِ الْأَرْضِ،) وقد أشار
إلى ذلك في الخلاصة بقوله:
ونعتنا بمصادر كثيرة فالتنزيموا الإفراد والتذكيرا
أما دلالة القرآن الكريم على هذا القول الصحيح، ففي قوله تعالى في سورة النساء: «وإن بين أهل الكتب إلا ليؤمنن يهود قبل موته» أي ليؤمنن بيعيسى قبل موت عيسى، وذلك صريح في أن عيسى حي وقت نزول آية النساء هذه، وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب، ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نزوله إلى الأرض.
فإن قيل: قد ذهب جماعة من المفسرين، من الصحابة فمن بعدهم، إلى أن الضمير في قوله: (قبل موتته) راجع إلى الكتابي، أي.
بلا ليومن بلكت ذا الكتابي قبل موت الكتابي.
فالمجاور: أن كون الضمير راجعاً إلى عيسى، يجب المصير إليه، دون القول الآخر؛ لأنه أرجح منه من أربعة أوجه:
الأول: أنه هو ظاهر القرآن المتبادر منه، وعلى تنسج الضمائر بعضها مع بعض، والقول الآخر بخلاف ذلك.
وإيضاح هذا أن الله تعالى قال: "ونقولهم إن ألقانتم السبحة عيسى ابن مريم رسول الله، ثم قال تعالى: (وما قلتموه) أي عيسى، (وما صلبوه) أي عيسى، (ولكن شبه لهم) أي عيسى، (ولكن الذين اعتنقوا فيه) أي عيسى، (ألفت لنكم منه) أي عيسى، (ما لم يبه من عليكم) أي عيسى، (وما قلتموه يبينا) أي عيسى، (قبل رفعه الله) أي عيسى، (ولإن بين أهل الكتب إلا ليؤمنن به) أي عيسى، (قبل موته) أي عيسى، (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أي يكون هو، أي عيسى شهيداً."
جُبِّرَتْ حَيَاةُ إِسْمَّاهُ مِن قُلُوبِ كُلِّ أُمِّيٍّ لَّهُ كَأَنَّهُ ثَيْرٌ.  
فَهَذَ هَا السِّيَاقُ الْقُرَآَنِيُّ الَّذِي تُرِى ظاهرًا لَا ينْبِغي العدُوُّ  
عَنْهُ، فِي أَنّ الضَّمِّيِرَ فِي قُوَّلِهِ: (قِبْلَ مَوْتِهِ) رَاجِعَ إِلَى عِيْسَى،  
الوجه الثاني: مِن مَرِجُحَاتَ هَذَا القُولِ، أَنَّهُ عَلَى هَذَا الْقُولِ  
الصحيح، فمَفْسِرُ الضَّمِّيِر مَفْلُوْظ مَصْرُوحٌ بِهِ فِي قُوَّلِهِ تُعَالَى: {رَوْقَّوْلَهُمْ}.  
إِنَّا قَلَبْنَا الْسِّيَاهَ عِيْسَى أَبِي مُمَّمَّل رَسُولٌ اِلْلَّهِ}.  
وَأَمَّا عَلْى الْقُولِ الْآخِر فمَفْسِرُ الضَّمِّيِر لَيْسَ مَذْكُورً ﴿ۛ﴾  
أَصَلًّا، بِلْ هُوَ مُقَدَّرُ تَقْدِيرِهِ: مَا مِنْ أَهِلِّ الْكُتَّابِ أَحَدٌ إِلَّا لَيْمَتَّنَّ بِقِبْلَ  
مَوْتِهِ، أَيْ مُوتَّ أَحَدِ أَهِلِّ الْكُتَّابِ المَقَدُّرِ.  
وَمَا لَا شِكٌّ فِيهِ أَنَّ ما لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ أَرْجَحُ واَوْلِي مَا  
يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ.  
/  
الوجه الثالث من مَرِجُحَاتَ هَذَا الْقُولِ السِّيَاحِ ۱۱۲۶  
تَشْهَدُ لِهِ السَّنَةُ النَّبِويَّةُ الْمَتَوَارِثَةُ؛ لَانَّ النَّبِي ۱۱۲۸ قُدْمَصَرَتُ  
عَنْهُ الأَحَادِيثُ بِأَنَّ عِيْسَى حَيُّ الْآنّ، وَأَنَّهُ سَيَنْزُلُ فِي أَخْرَ الزَّمَانِ حَكْمًا  
مَقْسَطًّا.  
۱۱۲۸  
وَلَا يَنَكُّرُ نُوْاتِرَ السَّنَةِ بِذَلِكَ إِلَّا مُكَابِرٌ.  
قَالَ ابْنُ كِثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذَا الْقُولِ السِّيَاحِ وَنَسْبَهُ  
إِلَى جُمُعَّةَ مِنَ الْمَفْسِرِينِ مَا نَصْهُ: وَهَذَا الْقُولُ هُوَ الْحَقَّ كَمَا سَبَّبَتْهُ  
بَعْدَ الْبَالْدِلِّ الْقَاطِعِ إِن شَاءَ اِلْلَّهُ تَعَالَى. اَهِ.  
وَقَولُهُ: {بَالْدِلِّ الْقَاطِعِ} يَعْنِي السَّنَةُ المَتَوَارِثَةُ؛ لَأَنَّها قَطِعِيَّةٌ،  
وَهُوَ صَادِقُ فِي ذَلِكَ.  
وَقَالَ ابْنُ كِثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْزَّخْرِفِ هَذِهِ مَا نَصْهُ:  
۱۱۲۸  
وَقَدْ نُوْاتِرَتَ الأَحَادِيثُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﴿ۛ﴾ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِنُزُولٍ
عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلاً وحكماً مقسطًا». اهد منه.

وهو صادق في تواتر الأحاديث بذلك.

وأما القول بأن الضمير في قوله: (قبل موته) راجع إلى الكتاب فهو خلاف ظاهر القرآن، ولم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة.

الوجه الرابع: هو أن القول الأول الصحيح، واضح لا إشكال فيه، ولا يحتاج إلى تأويل ولا تخصيص، بخلاف القول الآخر، فهو مشكل لا يكاد يضطُّع إلا مع تخصص، والتأويلات التي يرونها فيه عن ابن عباس، وغيره، ظاهرة البعد والسقوط، لأنه على القول بأن الضمير في قوله: (قبل موته) راجع إلى عيسى، فلا إشكال ولا خفاء، ولا حاجة إلى تأويل، ولا إلى تخصص، وأما على القول بأنه راجع إلى الكتاب فإنه مشكل جدًا بالنسبة لكل / من فاجه الموت من أهل الكتاب، الذي يسقط من عالٍ إلى أسفل، والذي يقطع رأسه بالسيف وهو غافل، والذي يموت في نومه، ونحو ذلك، فلا يُضطُّع هذا العموم المذكور في الآية على هذا النوع من أهل الكتاب، إلا إذا أدعى إخراجه من به بخصوص، ولا سبيل إلى تخصص عمومات القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه من المخصصات المتصلة أو المنفصلة.

وأما يذكر عن ابن عباس من أنه سئل عن الذي يقطع رأسه من أهل الكتاب فقال: إن رأسه يتكلم بالإيمان بعيسى، وأن الذي يهوي من عالٍ إلى أسفل يؤمن به وهو يهوي، لا يخشى بعده وسقوطه، وأنه لا دليل على بعه، كما ترى.
و بهذا كله تعلم أن الضمير في قوله: {قَالَ مَوَيْهُ} راجع إلى عيسى، وأن تلك الآية من سورة النساء تبين قوله تعالى هنا: {وَإِنَّهُ أَلْقَىَ الْسَاعَةَ} كما ذكرنا.

فإن قيل: إن كثيرة ممن لا تحقيق عندهم يزعمون أن عيسى قد توفى، ويعتقدون مثل ما يعتقد ضلال اليهود والنصارى، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: {إِذْ قَالَ الَّذِي كَبَسَهَا إِنِّي مُتَوْفِيٌّ وَراَفَعُكَ إِلَىِّهِ}، وقوله: {قُلْ مَأْتَىٰ الْأَرْقَابُ عَلَيْهِمْ}. فالجواب: إنه لا دلالة في إحدى الآيتين البينة على أن عيسى قد توفى فعلاً.

أما قوله تعالى: {إِنِّي مُتَوْفِيٌّ} فإن دلالة المزعومة على ذلك منفية من أربعة أوجه:

الأول: أن قوله: {مُتَوْفِيٌّ} حقيقة لغوية في أحذ الشيء كاملاً غير ناقص، والعرب يقول: توفى فلان دينه يتوفر فهو متوفى له، إذا قبضه وحازه إليه كاملاً من غير نقص.

فمعنى: {إِنِّي مُتَوْفِيٌّ} في الوضع اللغوي: أي حايرك إليها كاملاً بروح وجسمك، ولكن الحقيقة العرفية خصصت التوفي المذكور بقبض الروح دون الجسم.

و نحو هذا مما دار بين الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية فيه لعلماء الأصول ثلاثة مذاهب:

الأول: هو تقديم الحقيقة العرفية، وتخصيص عموم الحقيقة اللغوية بها.
وهذا هو المقرر في أصول الشافعي وأحمد، وهو المقرر في أصول مالك، إلا أنهم في الفروع ربما لم يعتمدوه في بعض المسائل.

وإلى تقديم الحقيقة العرفية على الحقيقة اللغوية أشار في مراقي السعودية بقوله:

واللفظ محمل على الشرعي إن لم يكن فمطلق العرفي فاللغوي على الجلي ولم يجب بحث عن المجاز في الذي انتخب المذهب الثاني: هو تقديم الحقيقة اللغوية على العرفية، بناء على أن العرفية وإن ترجحت بعرف الاستعمال، فإن اللغوية مترجمة بأصل الوضع.

وهذا القول مذهب أبي حنيفة رحمه الله.

المذهب الثالث: أنه لا تقدم العرفية على اللغوية، ولا اللغوية على العرفية، بل يحكم باستوائهما ومعادلة الاحتمالين فيهما، فيحكم على اللفظ بأنه مجمل، لاحتمال هذه واحتمال تلك.

وجهود اختيار ابن السبكي، ومن واقعه.

وإلى هؤلاء المذهبين الأخيرين أشار في مراقي السعودية بقوله:

٢٨٦ / ومذهب النعمان عكس ما مضى والقول بالإجمال فيه مرتضى وإذا علمت هذا، فاعلم أنه على المذهب الثاني، الذي هو تقديم الحقيقة اللغوية على العرفية، فإن قوله تعالى: «إِذْ مُوتِيْلُكُ» لا يدل إلا على أنه قبضه إليه بروجه وجسمه، ولا يدل على الموت أصلاً، كما أن توفي الغرم لدَيْنِه لا يدل على موت دُيّنِه.

وأما على المذهب الأول: وهو تقديم الحقيقة العرفية على
الغوية، فإن لفظ التوفي حينئذ يدل في الجملة على الموت، ولكن ستري إن شاء الله أنه وإن دل على ذلك في الجملة، لا يدل على أن عيسى قد توفي فعلاً.

وقد ذكرنا في كتابنا: "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" في سورة آل عمران، وجه عدم دلالة الآية على موت عيسى فعلاً، أعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْفِيقَكَ ﴾، فقلنا ما نصه:

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: أن قوله تعالى: ﴿مَوْفِيقَكَ ﴾ لا يدل على تعيس الوقت، ولا يدل على كونه قد مضى، وهو متوه فيه قطعاً يوماً ما، ولكن لا دليل على أن ذلك اليوم قد مضى، وأما عطبه (ووافقه إلي) على قوله: (متوه فيه) فلا دليل فيه:

لإطابق جمهور أهل اللسان العربي على أن الواو لا تقضي الترتيب ولا الجمع، وإنما تقضي مطلق التشريذ.

وقد ادعى السيرافي والسهيلي إجماع النحاة على ذلك، وعزا الأكثر للمحققين، وهو الحق، خلافاً لما قاله قطرب والفراء وثعلب وأبو عمر الزاهد وهشام والشافعي من أنها تفيد الترتيب لثرة استعمالها فيه.

وقد أنكر السيرافي ثبوت هذا القول عن الفراء، وقال لم أجده.

في كتابه، وقال ولي الدين: أنكر أصحابنا نسبة هذا القول إلى الشافعي. حكاه عنه صاحب الضياء اللامع.

وقوله ﴿أَبَدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ﴾ يعني الصفا، لا دليل فيه على اقتضائها الترتيب.
وبيان ذلك هو ما قاله الفهري كما ذكره عنه صاحب الضاياء
اللامي، وهو أنها كما أنها لا تقتضي الترتيب ولا المعية، فكذلك
لا تقتضي المنع منهما.

فقد يكون العطف بها مع قصد الاهتمام بالأول، كقوله:

ienia al-saffa wa al-murta' min s-sa' a l-lahu, al-a'ma, b'dil al-adh-dh-hi al-mutqdm.

وقد يكون المعطوف بها مرتباً، كقول حسان:

* هجوت محمدًا وأجبت عنه *

على رواية الوار.

وقد يراد بها المعية، كقوله: فآتيته وأصحاب السفيك،
وقوله: وجمع الشتى ولفمر، ولكن لا تحمل على الترتيب
ولا على المعية إلا بدليل منفصل.

الوجه الثاني: أن معنى متوافق أي مُنْيِمك ورافعك إلي،
أي في تلك النومة.

وقد جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم في قوله تعالى:
woho al-dhi bo-nofawat i, lillahi w-salma ma-arhumun y-al-ha, w-products: al-lahu b-nافَق
الأنفس حين موتهما، وألَا لَتَمَتْ في مَنْ اتَّمَتْهَا، وعزى ابن كثير هذا

القول للآخرين، واستدل بالآيتين المذكورتين.

الوجه الثالث: أن متوافق اسم فاعل توفاه، إذا قبضه وحازه
إليه، ومنه قولهم: توفى فلان دينه إذا قبضه إليه، فتكون معنى
متوافق على هذا: قابلتك منهم إلي حياً، وهذا القول هو اختيار
ابن جرير.
وأما الجمع بأنه توفاه ساعات أو أياماً، ثم أحياه، فلا معول عليه، إذ لا دليل عليه، اهد من دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

وقد قدمنا في هذا البحث أن دلالة قوله تعالى: ﴿مَتَّعَىٰكُمْ﴾ على موت عيسى فعلاً، منفية من أربعة أوجه، وقد ذكرنا منها ثلاثة، من غير تنظيم:

أولها: أن ﴿مَتَّعَىٰكُمْ﴾ حقيقة لغوية في أخذه بروحه وجسمه.

الثاني: أن ﴿مَتَّعَىٰكُمْ﴾ وصف محتمل للحال والاستقبال والماضي، ولا دليل في الآية على أن ذلك التوفي قد وقع ومضى، بل السنة المتواترة والقرآن دالان على خلاف ذلك، كما أوضحنا في هذا المبحث.

الثالث: أنه توفيّ نوم، وقد ذكرنا الآيات الدالة على أن النوم يطلق عليه الوفاة، فكل من النوم والموم يصدق عليه اسم التوفي، وهما مشتركان في الاستعمال العرفي.

فهذه الأوجه الثلاثة ذكرناها كلها في الكلام الذي نقلنا من كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

وذكرنا الأول منها بانفراده؛ لنيبن مذاهب الأصوليين فيه.

وأما قوله تعالى: ﴿قَلِّمَا تَوَفَّيْتَىٰ آئِهَآ﴾ الآية، فدللته على أن عيسى مات، منفية من وجهين:

الأول منهما: أن عيسى يقول ذلك يوم القيامة، ولا شك أنه يوم قبل / يوم القيامة، فإن الخبر يوم القيامة بمومته لا يدل على أنه الآن قد مات، كما لا يخفى.

٢٨٩
أضواء البيان
والثاني منهما: أن ظاهر الآية أنه تَوَفَّى رفع وقبض للروح والجسد، لا توفي موت.

وإيضاح ذلك أن مقابلته لذلك التوفي بالديمومة فيهم، في قوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شهِيدًا مَا دَمَتْ فِي هُمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتُهُمْ الآية، تدل على ذلك؛ لأنه لو كان تَوَفَّى موت، لقال: ما دمت حيًا فلما توفيتني، لأن الذي يقابل بالموت هو الحياة، كما في قوله: ﴿وَأَوْصَبْنِي بِالصَّلَاةِ وَالْزَكَاةِ مَا دَمَتْ حَيًا﴾، أما التوفي المقابل بالديمومة فيهم، فالظاهر أنه توفي انتقال عنهم إلى موضع آخر.

وغاية ما في ذلك هو حمل اللفظ على حقيقته اللغوية مع قريبة صارفة عن قصد العرفية، وهذا لا إشكال فيه.

وأما الوجه الرابع، من الأوجه المذكورة سابقاً: أن الذين زعموا أن عيسى قد مات، قالوا: إنه لا سبب لذلك الموت إلا أن اليهود قتلوه وصلةوه، فإذا تحقق نفي هذا السبب وقطعهم أنه لم يمت بسبب غيره، تحققنا أنه لم يمت أصلاً، وذلك السبب الذي زعموه منفي يقيناً بلا شك؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿وَمَا قَتَلْتُوْمَا مُصَلُّبُوهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلْتُوْمَا بَلْ رَفَعَهُ إِلَيْهِ﴾.

وضمير (رفعه) ظاهر في الجسم والروح معاً كما لا يخفى.

وقد بين الله جل وعلا مستند اليهود في اعتقادهم أنهم قتلوا، بأن الله ألقى شبهه على إنسان آخر فصار من يراه يعتقد اعتقاداً جازماً أنه عيسى، فرأه اليهود لما أجمعوا على قتل عيسى، فاعتقدوا لأجل ذلك الشبه الذي / ألقى عليه اعتقاداً جازماً أنه عيسى، فقتلوا.
فهم يعتقدون صدقهم في أنهم قتلوه وصلبواه، ولكن العلم
اللطيف الخير، أُوحى إلى نبيه في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خطبه أنهم لم يقتلوه ولم يصلبواه.
فمحمد عليه السلام والذين اتبعوه عندهم علم من الله بأمر عيسى،
لم يكن عند اليهود ولا النصارى، كما أوضحه تعالى بقوله: "وإذ
آثنا آثناً حملنا فيه لى شكك من ماهلهم بين علم إلا أن ياع الغئفن وما قتلوا يقيموا
بِرَفعَةِ اللَّهِ إِلَيْهِ".
والحاصل أن القرآن العظيم على التفسير الصحيح والسنة
المتواربة عن النبي صلى الله عليه وسلم كلاهما دال على أن عيسى حي، وأنه سنار
في آخر الزمان، وأن نزوله من علامات الساعة، وأن معتمد الذين
زعموا أنهم قتلوه ومن تبعهم هو إلقاء شبهه على غيره، واعتقادهم
الكاذب أن ذلك المقتول الذي شبه بعيد هو عيسى.
وقد عرفت دلالة الوحي على بطلاً ذلك، وأن قوله
"موثوقية" لا يدل على موته فعلاً، وقد رأيت توجيه ذلك من أربعة
أوجه، وأنه على المقرر في الأصول في المذاهب الثلاثة التي ذكرنا
عنهم لا إشكال في أنه لم يمت فعلاً:
أما على القول بتقديم الحقيقة اللغوية فالأمر واضح؛ لأن الآية
على ذلك لا تدل على الموت.
وأما على القول بالإجمال، فالمقرر في الأصول أن المجمل
لا يحمل على واحد من معنيه ولا معانيه، بل يطلب بيان المراد منه
بدليل منفصل، وقد ذل الكتاب هنا والسنة المتواربة على أنه لم يمت
وأنه حي.
أجمع إن حقيقة تتماّت على التقدم للأنبياء

فمن حلف ليأكلن من هذه النخلة، فمقتضى الحقيقة اللغوية أنه لا يبر يمينه حتى يأكل من نفس النخلة لا من ثمّرها، ومقتضى الحقيقة العرفية أنه يأكل من ثمّرها لا من نفس جذعها.

والمصير إلى العرفية هنا واجب إجماعاً؛ لأنّ اللغة في
سورة الزخرف

مثل هذا أميت بالكلية؛ فلا يقصد عاقل البنتة الأكبر من جذع النخلة.

أما الحقيقة اللغوية في قوله تعالى: {إِنَّ مَثَّالَكَ فَإِنَّها} فإنها

ليست من الحقيقة المماثلة كما لا يخفى.

ومن المعلوم في الأصول أن الغريبة تسمى حقيقة عرفية ومجازاً لغويّاً، وأن اللغة تسمى عندهم حقيقة لغوية ومجازاً عرفيًّا.

وقد قدمنا مراراً أنا أوضحنا أن القرآن الكريم لا مجاز فيه على التحقيق، في رسالتنا المسماة "منع جواز المجاز، في المنزل للعبد والإعجاز".

فاتضح مما ذكرنا كله أن آية الزخرف هذه تبينها آية النساء المذكورة، وأن عيسي لم يمت، وأنه ينزل في آخر الزمان، وإنما قلنا: إن قوله تعالى هنا: {وَإِنَّهُ لِيَشَاءَ} أي علامة ودليل على قرب مجيتها؛ لأن وقت مجيتها بالفعل لا يعلمه إلا الله.

وقد قدمنا الآيات الدالة على ذلك مراراً.

وقوله تعالى في هذه الآية البارمة: {فَلَا تَمَرَّتْ يَدُهَا} أي لا تشكل في قيام الساعة فإنه لا شك فيه.

وقد قدمنا الآيات الموضوعة له مراراً كقوله تعالى: {وَأَلآفَتَاهَا} {وَرَبٌّ فِيهَا}، وقوله: {وَرَبَّ امْلَأَكَهَا} {وَرَبَّ فَيْهَا}.

وقوله: {فَكِيفَ إِذَا جَعَلْتُمُوهُ} {لَيْتَ أَرْبَّ فِيهِ}، إلى غير ذلك من الآيات.
أضواء البيان

قوله تعالى: "ولأ يصدركم الشيطان إنما لكم عدوى مبين."

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة مارآ، كقوله: "إن الشيطان لكم عدو فأعذروه عدوًا الآية، وقوله: "أضجقوه وذريته، أوليكم من دون وهم لكم عدوًا الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: "قولي للذين ظلموا من عداب يووم أليم."

قوله هنا: "ظلموا أي كفر وا، بدليل قوله في مريم، في القصة بعينها: "قولي للذين كفروا أي ظلموا بعليم."

وقوله: "من ماهد تأوؤ عظيم" يوضح قوله هنا: "من عداب يووم أليم.

وقد قدمنا مارآ الآيات الدالة على إطلاق الظلم على الكفر، كقوله: "أبلا أشرك أظلم عظيم "، وقوله: "والكفرون هم أظلامون "، وقوله: "ولا تتغ من دون الله ما لا يضرك ولا يضرك فإن قالت فإنا إذا ما أنظلأتيكم "، وقوله تعالى: "ولطأ تسبوا إيمانهم يظهروه " أي بشرك، كما فسره به النبي ﷺ في الحديث الثابت في صحيح البخاري.

قوله تعالى: "هل يتظروش إلا ظلامة أن تأتيهم بعنة وهم لا يشعرون.

الاستفهام بـ (هل) هنا بمعنى النيفي، و (ينظرون) بمعنى ينتظرون. أي ما ينتظر الكفار إلا الساعة، أي القيامة، (أن تأتيهم بعنة) أي في حال كونها مزاغة لهم، أي مفاجأة لهم، (وهم}
لا يشعرون) أي بسقوطها في حال غفلتهم وعدم شعورهم بمجيئها.
والظاهر أن المصدر المنسب من أن وصلتها في قوله: ۚ أن تأثَّيرُهم ۙ في مهن نصب، على أنه بدل اشتغال من (الساعة)، وكون
(ينظرون) بمعنى ينتظرون، معروف في كلام العرب، ومنه قول امرئ
القيس:
فإنكما إن تنظروا ساعة
من الدهر تنغبني لدى أم جندب
وما تضمنت هذه الآية الكريمة، من أن الساعة تأتيهم بثغة،
جاء موضحًا في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى في الأعراف: ۚ
۔ ۗ نَّفَتْ فِي السَّمَوَّاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأثَّيرُهُمْ إِلَّا بَغِيَّةً، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْقَطَّالِ: ۚ
۔ ۗ فَهَلِ يَنَظُّرُونَ إِلَّا أُلَّهَةً أُلَّهٍ فِي أَلْبَاءٍ أَشْرَاطُهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
۔ ۗ الْيَمِينُ وَلَا يَنَظُّرُونَ إِلَّا صَحِيحَةً وَحِيْدَةً تَأَخُّذُهُمْ وَهُمُ يَصِمُّونَ ۛ فَلا يَسْتَيْعَبُونَ نُوْصَيَّةُ
۔ ۗ الْآيَة.
فالمراد بالصيحة: القيامة.
وقوله: ۚ ۗ وَهُمْ يَصِمُّونَ ۛ فَلا يَسْتَيْعَبُونَ نُوْصَيَّةُ الْآيَة، يدل على
أنها تأتيهم وهم في غفلة وعدم شعور بإثباتها. إلى غير ذلك من
الآيات، والعلم عند الله تعالى.
قوله تعالى: ۚ يَعْبَدُ لَا حَوْفُ عَلَيْهِ مُنْتَزِجُ ۚ أَفَلَا أَنْشُرُ
حَرْجَهُ. ۗ أَلَئِنَّؤُمَا أَمَّا إِيَّاهَا وَهَكَانَا أَسْلَمُيَّنَاهُ. ۛۚ
ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة بعض صفات الذين ينتفي
عنهم الخوف والحزن يوم القيامة.
ذكر منها هنا الإيمان بآيات الله والإسلام، وذكر بعضًا منها في
غير هذا الموضوع.
فمن ذلك: الإيمان والثقة، وذلك في قوله تعالى في سورة بني إسرائيل: "آلهة أنتَ أولاً. الله لا حفظ علىهم ولا هم يحصروا"، والمفتاح في أحكامه: "ءاشنوا وفسوا ويا큐رون".

ومن ذلك الاستقامة، وقولهم: ربا الله، وذلك في قوله في فصلت: "إني اللنبي قالوا أرنا الله ثم استقلتما أكرهتم على هم الّتي كنتما تكلمن في أملاككم، فلا تحفون ولا تصرّون" الآية، وقوله تعالى في الأحقاف: "إني لبني قالوا أرنا الله ثم استقلتما فلا حفون على هم ولا هم يحصرون"، إلى غير ذلك من الآيات.

والخوف في لغة العرب: الغم من أمر مستقبل. والحزن: الغم من أمر مضى. وربما استعمل كل منهما في موضع الآخر.

وإطلاق الخوف على العلم أسلوب عربي معروف.

قال بعض العلماء: ومنه قوله تعالى: "إلا أن يعاقب ألا يتبين ما حدود الله". قال معيت: "إلا أن يعلموا".

ومنه قول أبي محنن الثقفي: إذا مات فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي في الممات عروقها ولا تدهلناني في الفلاة فإني أخاف إذا ما مات ألا أذوقها.

وقوله: (أنا) أي أعلم، لأنه لا يشك في أنه لا يشربي بعد موعته.

وقوله في هذه الآية الكريمة: "أَلَّذِينَ كَانُوا يَتَابِعُونَ مُسْلِمِينَ" ظاهر المغايرة بين الإيمان والإسلام.

وقد ذل بعض الآيات على اتحادهما، كقوله تعالى: "فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فأولى فأوليًا فبهما غياباً بني مسلمين".
ولا منافاة في ذلك، فإن الإيمان يطلق تارةً على جميع ما يطلق عليه الإسلام من الاعتقاد والعمل، كما ثبت في الصحيح في حديث وفد عبد القيس، والأحاديث بمثل ذلك كثيرة جداً.

ومن أصلحها في ذلك قوله: «الأيمان بضع وسبعون»، وفي بعض الروايات الثابتة في الصحيح: «وستون شعبة، أعلاها شهادة ألا إله إلا الله وأدناها إمامة الأذى عن الطريق».

فقد سمى إمامة الأذى عن الطريق إيماناً.

وقد أطلال البيهقي رحمه الله في «شعب الإيمان» في ذكر الأعمال التي جاء الكتاب والسنة بسميتها إيمانًا.

فالإيمان الشرعي التام والإسلام الشرعي التام معناهما 279 واحد.

وقد يطلق الإيمان إطلاقاً آخر على خصوص ركنه الأكبر الذي هو الإيمان بالقلب، كما في حديث جبريل الثابت في الصحيح.

والقلب مضغة في الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله، فغيره تابع له. وعلى هذا تحصل المغايرة في الجملة بين الإيمان والإسلام.

فالإيمان، على هذا الإطلاق اعتقاد، والإسلام شامل للعمل.

واعلم أن مغايرته تعالى بين الإيمان والإسلام في قوله تعالى:
قال بعض العلماء: المراد بالإيمان هنا، معناه الشرعي، والمراد بالإسلام معناه اللغوي؛ لأن إذاع الجوارح وانقيادها دون إيمان القلب إسلام لغة لا شرعاً.

وقال بعض العلماء: المراد بكل منهما معناه الشرعي، ولكن نفي الإيمان في قوله: (ولما يدخل الإيمان) يراد به عند من قال هذا نفي كمال الإيمان لا نفي أصله، ولكن ظاهر الآية لا يساعد على هذا؛ لأن قوله: (ولما يدخل) فعل في سياق النفي، وهو صيغة عموم على التحقيق، وإن لم يؤكد بمصدر، ووجهه واضح جداً، كما قدمنا مرازاً، وأن الفعل الصناعي ينحل عن مصدر وزمن عند التحوين، وعن مصدر وزمن ونسبة عند البلاذرين، كما حروها في مبحث الاستعارة التبعية، وهو أصوب.

فالمصدر كامن في مفهوم الفعل الصناعي إجماعاً، وهو نكرة لم تعرف بشيء، فيتحول إلى معنى النكرة في سياق النفي.

وقد أشار صاحب مراقي السعداوي إلى أن الفعل في سياق النفي أو الشرط من صيغة العموم بقوله:

ونحو لا شربت أو إن شرباً واتفقوا إن مصدر قد جلبوا

ووجه إهمال (لا) في هذه الآية في قوله تعالى: (لا حَوْفٌ) أن (لا) الثانية التي هي (ولا هم يَحْزَنُونَ) بعدها معرفة وهي الضمير، وهي لا تعمل في المعارف، بل في النكرات، فلما وجب
إهمال الثانية أهملت الأولى؛ لينسج الحرفان بعضهما مع بعض في إهمالهما معاً.

قوله تعالى: 

* "أدخلوا الدنيا أناشي وأزينجوكمَّ" 

(76)

قوله تعالى في هذه الآية: "أزينجوكمَّ" في لعلماء التفسير.

وجهان:

أحدهما: أن المراد بأزواجهم نظراً لهم وأشباحهم في الطاعة وتقوى الله. واقتصر على هذا القول أبن كثير.

والثاني: أن المراد بأزواجهم، نساؤهم في الجنة؛ لأن هذا الأخير أبلغ في التنزيم والتلزيم من الأول، ولذا يكتر في القرآن ذكر إكرام أهل الجنة بكونهم مع نسائهم، دون الامتنان عليهم بكونهم مع نظرائهم وأشباحهم في الطاعة.

قال تعالى: "إن أصحب الجنة اليوم في شغله فكهونهم هم وأزينجوهم" في ظلّي على الأزاي كمكرون ، وقال كثر من أهل العلم: إن المراد بالشغل المذكر في الآية، هو افتراض الأبكابر، وقال تعالى: "وَزَوجْنِهِمْ مُحَرَّرَ عِينٍ"، وقال تعالى: "وَحَرَّرَ عِينَ كَمْ شَلَّلَ اللَّوْلَى"، وقال تعالى: "فَهُمْ شَيْتَانُ جِسَانُ"، إلى قوله: "ursed مَقَصُّرُتْ في الْكِيَارِ"، وقال: "وعينهم قصيرت / أَطْلَفْ عِين"، وقال تعالى: "وعينهم قصيرت الطرف أزارب" إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا: أن مفرد الأزواج زوج، بلا هاء، وأن الزوجة بالناء لغة لا لحن، خلافًا لمن زعم أن الزوجة لحن من لحن الفقهاء وأن ذلك لا أصل له في اللغة.
والحق أن ذلك لغة عربية، ومنه قول الفرزدق:
والنحاح الذي يسعى ليفسق زوجتي كساً إلى أسد الشرى يستقبلها قول الحماسي:
فبني بناتي شجحن وزوجتي والظاعون إلى ثم تصدعوا وفي صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال في
صفية: "إنه زوجتي". وقوله: "طيبات عَلَيْهم* صَحَافٌ مِن ذَهْبٍ*.
و*a* قوله تعالى: "وَأَنْتُمْ فِيهَا أَحْلَالٌ يَدْخُلُونَهَا*.
قد قدمنا الآيات الموضحة له، وجميع الآيات التي فيها الإنعام على أهل الجنة بأواني الذهب والفضة، والخضير بهما، ولبس الحرير، ومنه السندس والإستبرق، في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: "وَتَسْتَخْرُّوُمُهُ جَلِيلَةَ تَلْسِمُهَا*.
و*a* قوله تعالى: "وَفِيهَا مَا شَتَهَى الأَنفُسُ وَتَلَّى الأَعْيُنَ*.
ذكر جمل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن في الجنة كل ما تشهيه الأنس، وتلذ الأعين، أي تلذ به الأعين، أي بروئته. لحسنه، كما قال تعالى: "صَفَرَاهَا فَاقْعَ / لَوْنَهَا نَسْرُ الْبَئِسَْ أَطْلُقُ". وأسند اللذة إلى العين، وهي في الحقيقة مسئدة لصاحب العين، كإسناد الكذب والخطيئة إلى الناصبة، وهي مقدم شعر الرأس، في قوله تعالى: "تَنْصِرُوهُ كَذِيْبَةً خَالِقُ"، وكإسناد الخشوع والعمل والنصب إلى الوجه، في قوله تعالى: "وَجْهُ".
سورة الرُّخْف

يَوْمَ يُقَرِّبُ عَلَى نَاصِبٍ عَايِمَةً نَاصِبَةً الآية.

ومعلوم أن الكذب والخطيئة مسندان في الحقيقة لصاحب الناصية، كما أن الخشوع والعمل والنصب مسندات إلى أصحاب الوجه.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الجنة فيها كل مشتهى، وكل مستلز، جاء مبسوطًا موضحة أنواعه في آيات كثيرة من كتاب الله، وجاء مجملًا أيضًا إجمالاً شاملاً لكل شيء من النعيم.

أما إجمال ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمَ نَفْسَ مَا أَخْيَفَ لَهُمْ مِن فَرْجٍ﴾ (17).

وأما بسط ذلك وتفصيله، فقد بين القرآن أن من ذلك النعيم المذكور في الآية: المشارب والماكلا، والمناكح، والفسح والسرر، والأواني، وأنواع الحلي والملابس، والخدم، إلى غير ذلك، وسنذكر بعض الآيات الدالة على كل شيء من ذلك.

أما الماكلا، فقد قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ فَنِفُّذَهَا كِبْرَىً مِنْهَا تَأْكُونُونَ﴾ (78)، وقال: ﴿وَقَالَ اللَّهُ كَيْفَ كَبِيرٌ مَّا يُنَبِّئُونَ﴾ (79)، وقال تعالى: ﴿وَفَتَكَهْرُ كِبْرٍ﴾ (33)، وقال تعالى: ﴿وُلَّدُوا مَّا مَّثُّلُهُ﴾ (33)، وقال تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ مَنْ نُضَرِّرَ رَزَقُهُ قَالَ أَنَا هَذَا الِّذِي رَزَفَهُ رِزْقُهُ فِي قُبُولٍ وَأُنْتَ عَلَى رَبِّكَ مُشْتَهِيٌّ﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

أما المشارب، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْدَارِ يُبَيِّنُونَ مِنَ الْعَصِيَّةِ﴾ (75)، وقال تعالى: ﴿وَتَشَفَّيْنَ فِيهَا كَأَنَّهَا كَرَّتُها رَجُلٌ رِجْلَينَ﴾ (76)، وقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَ فِيهَا كَأَنَّا كَرَّتُها رَجُلٌ رِجْلَينَ﴾ (77).
وأما المناكح فقد قدمنا بعض الآيات الدالة عليها قريباً، وهي كثيرة، كقوله تعالى: "ولهم فيها أزوج مطهرة" الآية. ويكفي ما قدمنا من ذلك قريباً.

وأما ما يتكون عليه من الفرش والسرور ونحو ذلك، ففية آيات كثيرة، كقوله تعالى: "مالكين على قوم بطلابها من إستقر"، وقوله تعالى: "ثم وأزوجهما في طيال على الأزى فمكنك«، وقوله تعالى: "على سرير مقوسونا شيكين عليها ما أحسبيناه«، والسرر الموضوعة هي المنسوجة بقضبان الذهب، وقوله تعالى: "إحونا على سرير متقيلين"، وقوله تعالى: "سرير متفوع«، وقوله تعالى: "مكنكين على رفيع حضر وعبقرى جسان" إلى غير ذلك من الآيات.

وأما خدمهم، فقد قال تعالى في ذلك: "بطروف علهم ولد مخلدون" الآية، وقوله تعالى في سورة الإنسان في صفة هؤلاء الغلامان: "إذا رأيتهم / حبيبتم ولدوأضنور«.
وذكر نعيم أهل الجنة بأبلغ صيغة في قوله تعالى: {وإذا رأيتَم رأيتُم رأيتُكم وملكًا كَبِيرًا}.

والآيات الدالة على أنواع نعيم الجنة وحسنها وكمالها، كالطلال والعون والأنهار وغير ذلك، كثيرة جداً، ولتكتشف منها بما ذكرنا.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وأَرْشِفِهَا خَيْلَىٰ دَوَابَّ} قد قدمنا الآيات الموضحة لأن خلودهم المذكور لا انقطاع له البته، كقوله تعالى: {عَطْلَةٌ غَيْرَ مَطْرَعٍ} أي غير مقطوع، وقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَرَفَقًا مَا لَيْكُم نَّفَرًا}، وقوله تعالى: {مَا عَنْكُمْ بِهِ شُفُوفٍ وَمَا عَنْدَكُمْ إِلَّا بَيِّنَّا}.

قوله تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا أُوْزِنُوهَا يَما كَشَر تَعُمْلُون}.

قد قدمنا الكلام على هذه الآية الكريمة، ونحوها من الآيات الدالة على أن العمل سبب لدخول الجنة، كقوله تعالى: {وَفَوْقُوا أنْ يَلْكَمْ اللَّهُ مَا أُوْزِنُوهَا يَما كُشَرَتْ تَعُمْلُون}، وقوله تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا أُوْزِنُوهَا يَما كُشَرَتْ تَعُمْلُون}.

وبينا أقرب أوجه الجمع بين هذه الآيات الكريمة وما بمعناها، مع قوله تعالى: {لَن يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ عَمَّامِهِ الْجَنَّةَ}، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغلمدني الله برحمته منه وفضله.

وذكرنا في ذلك أن العمل الذي بنيت الآيات كونه سبب دخول الجنة هو العمل الذي تقبله الله برحمته منه وفضل، وأن العمل الذي لا يدخل الجنة هو الذي لم يقبله الله، والله يقول: {إِنَّمَا يَنْتَبِهُ اللَّهُ مِنَ المُّبْقَين}.
أضواء البيان

285

قوله تعالى: "وَنَادَوْا يَالِيَّ يَقِضٌ عَلَيْنَا رَبَّكَ قَالَ إِنْ كَثَرَتْ قَاتِلَتُكُمْ مَكَّةَ".

اللام في قوله: (ليَقِضَ) لام الدعاء.
والظاهرة أن المعنى: أن مرادهم بذلك سؤال مالك خازن النار، أن يدعو الله لهم بالموت.
والدليل على ذلك أمران:

الأول: أنهم لو أرادوا دعاء الله بأنفسهم أن يميتهم لما نادوا:
(يا مالك) ولمما خاطبوه في قولهم: "زَكَّارِيكَ".

والثاني: أن الله بين في سورة المؤمن أن أهل النار يطلبون خزينة النار أن يدعوا الله لهم ليخفف عنهم العذاب، وذلك في قوله تعالى:
"وَقَالُ Aleِيْلَيْنِ فِي الْناَّرِ إِلَيْهِمْ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُقِيمُ عَنَّا يَوْمَ يَنْزِلُ الْعَذَابُ".

وقوله: (ليَقِضَ عَلَيْنَا رَبَّكَ) أي ليمتنا فنستريح بالموت من العذاب. ونظيره قوله تعالى: "فَوَكَّرُوْا وَفَقِّشُوهَا عَلَيْكُمْ أي أماته.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "قَالَ إِنْ كَثَرَتْ قَاتِلَتُكُمْ مَكَّةَ" دليل على أنهم لا يجابون إلى الموت، بل يمثرون في النار مذببين إلى غير نهاية.

وقد ذل القرآن العظيم على أنهم لا يمرون فيها فيستريحوا بالموت، ولا تغنيه عنهم، ولا يخفف عنهم عذابها، ولا يخرجون منها.
أما كونهم لا يمرون فيها الذي دل عليه قوله هنا: "قَالَ إِنْ كَثَرَتْ قَاتِلَتُكُمْ مَكَّةَ" فقد دلت عليه آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: "إِنِّ
سورة الزخرف

من يأت بعد يومين فليس له جنحة ولا يموت فيها ولا يحيى، وقوله تعالى: (وينجيهما الأشقي) الذي يصل إلى الآخرة الكبير في ثم لا يموت فيها ولا يحيى، وقوله تعالى: (والتwo كفروا) بهم نار الجحيم لا يقضى عليهem فهموتوها الآية. وقوله تعالى: (ويأتيه الدوموم من كل مكان وما هو يسمع) الآية.

وأما كون النار لا تغني عنهم فقد بئه تعالى بقوله: (سُمِّنَ حبَّت يَدُنُّهُم سُعِيرًا)، فمن يدعي أن للنار خبوة نهائية وفناء رد عليه بهذه الآية الكريمة.

وأما كون العذاب لا يخفف عنه فقد دلت عليه آيات كثيرة جدا، كقوله: (ولا يخفف عنهم من عذابها)، وقوله تعالى: (قَالَ يَعْفُفُ عَنْهُمْ وَلَا يُظْرِفُونَ)، وقوله تعالى: (فَلا تَبْدِهَا إِلَّا عَذَابًا)، وقوله تعالى: (لا يُفَرِّقُ عَنْهُمْ الآية)، وقوله: (إِذَا عَذَابَهُ كَانَ غَزَّارًا)، وقوله تعالى: (فَسَفَفَ يَسْكُنُ لَزَامًا) على الأصح في الأخرين.

وأما كونهم لا يخرجون منها فقد جاء موضحًا في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى في البقرة: (كذلِك نُرِيهمُ الله أعملهم حسرت)، وعلى مَما هم يخرجون من النار، وقوله تعالى في الجائزة: (يُرِيدون أن يخرجوا من النار) وما هم يخرجون منها ولهم عذاب مقيم، وقوله تعالى في الحج: (سُلِّمْ أَراَدَوْا أَن يَخْرُجوا مَنْ يَحْمِدَهُمَا) الآية، وقوله تعالى في السجدة: (كَأَمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجوا مَنْ يَحْمِدَهُمَا)، وقوله تعالى في الجائزة: (تَأْلَوْمَا لَا يَخْرُجُونَ مَنْ يَحْمِدَهُمَا) إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أوضحنا هذا المبحث إيضاحًا شافيا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب في سورة الأعجم في الكلام على
قوله تعالى: 

قُلَّ أَلَئِكُمْ مُّونُكُمْ حَنِينُ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ،ُ وفي سورة النبي في الكلام على قوله تعالى: أَلِينَ فِيهَا أَحَقَّاً، وسنوضح أيضًا إن شاء الله في هذا الكتاب المبارك في الكلام على آية النبي المذكورة، وتوضح هناك إن شاء الله إزالة إشكال يورده الملحدون على الآيات التي فيها إيضاح هذا المبحث.

قوله تعالى: "لَقَدْ يَجْعَلَنَا مَلِّيئَكُمْ أُكْ زِرَ مُّ الْحَقِّ كَرِهِينَ"

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: "كَبْرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا لَمْ يَكُنْ لِلْيَوْمِ مَعَهُمْ".

قوله تعالى: "قَالُوا وَرَسَّلْنَا لَهُمْ يَكْتَبُونَ".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في هذه السورة الكريمة، في الكلام على قوله تعالى: "سَتَكْبِرُ بَشَهَدَهُمْ وَسُتَّعَلِّنَ"، وأكثرنا من الآيات الموضحة لذلك في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: "فَهَلْ أَنَبَأْكُمُ اللَّهُ فِي الْأَيَةِ الْآتِيَةِ".

قوله تعالى: "قُلْ إِنَّكَ لِلْرَّحْمَٰنِ وَلَدَّ فَأَنَا أَوَّلُ العَبَّادِينَ".

اختالف العلماء في معنى "إن" في هذه الآية.

فقالت جماعة من أهل العلم: إنها شرطية، واختاره غير واحد، ومنه اختيار ابن جرير الطبري.

والذين قالوا إنها شرطية، اختلفوا في المراد بقوله: (فأنا أول العبادين).
سأل بعضهم: (فأنا أول العبادين) لذلكولد.
وأَلَّا يَمْكِنْ أن يُجِبَّ مَا كُونَ لَهُ ولد.
وأَلَّا يَمْكِنْ أن يُجِبَّ عَلَى الْأَيَاةِ نَافِيَةٍ،
والمعنى: ما كان الله ولد.
وعلى القول بأنها نافية ففي معنى قوله: (فأنا أول العبادين).
ثالثة أوجه:
الأوَّلِ، وَهُوَ أَقْبَرُهَا: أن المعنى: ما كان الله ولد، فَأَنَا أَوَّل
العبادين الله، المنزهين له عن الولد، وعن كل ما لا يليق بكماله
وجلاله.
والثاني: أن معنى قوله: (فأنا أول العبادين): أي الآنفين
المستنكر في ذلك، يعني القول الباطل المفترى على ربي، الذي
هو ادعاء الولد له.
والعرب تقول: عَبَدَ، بكسر الباء، يُعْبُدُ، يُعْبِّدُ، يُعْبِدُ،
ينفتح فكسر، على القياس، وعابد أيضا، سماعا، إذا اشتدت أنفته
واستنكره وغضببه، ومنه قول الفرزدقة:
أَلِكَ قَوْمِي إِن هُجُوْنِي هُجُوهُم
وأَعْبَدْ أَن أَهْجُو كَلِيَّةً بِدَارِم
فقوله: (وأَعْبَدْ) يعني أنف وأستنكر.
ومنه أيضا قول الآخر:
مِتَى مَا يَشَأ ذُو الْوُدٍّ يَصِرُّ خَلِيلهِ
وَيَعْبِدْ عَلَيْهِ لا مَحَالَةٌ ضَالَّا
وفي قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه المشهورة: أنه جيء
بأمرأة من جهينة تزوجت، فولدت لستة أشهر، فبعث بها عثمان ليترجم، اعتقاداً منه أنها كانت حاملة قبل العقد، لولادتها قبل تسعة أشهر، فقال له علي رضي الله عنهما: إن الله يقول: «وَحَمِيلُ وَفَصْلَلُ ﻛَلَّذَةَ شَهْرٍ»، ويقول جل وعلا: «وَفَصْلَنَا ﻓِيهِ عَامِيًّا» فلم يبق عن الفصال من المدة إلا ستة أشهر.

فما عبد عثمان رضي الله عنه أن يبعث إليها لترد ولا ترجم.

ومحل الشاهد من القصة: «فوالله ما عبد عثمان»، أي ما ألف ولا استنكر من الرجوع إلى الحق.

الوجه الثالث: أن المعنى (أُحَلَّ أَوْلَىُّ الْمُؤَمِّنِينَ) أي الجاهدين النافين أن يكون الله ولده، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له:

الذي يظهر لي في معنى هذه الآية الكريمة: أنه يتعيين المصري إلى القول بأن (إن) نافية، وأن القول بكونها شرطية لا يمكن أن يصح له معنى بحسب وضع اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وإن قال به جماعة من أجل العلماء.

وإلاً اخترنا أن (إن) هي النافية لا الشرطية، وقلنا إن المصري إلى ذلك متعين في نظرنا لأربعة أمور:

الأول: أن هذا القول جار على الأسلوب العربي، جرياناً واضحاً لا إشكال فيه، فكون (إن كان) بمعنى ما كان، كثير في القرآن وفي كلام العرب، كقوله تعالى: (إن كنت إلا صيحة وحيدة) أي ما كانت إلا صيحة واحدة.

فقولك مثلاً: معنى الآية الكريمة: ما كان الله ولد، فأنا أول العبادين الخاضعين للعظيم الأعظم المنتزه عن الولد، أو النافين
المستنكفين من أن يوصف ربنا بما لا يليق بكماه وجلاله من نسبة الولد إليه، أو الجاحدين النافين أن يكون لربنا ولد، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً = لا إشكال فيه؛ لأنه جار على اللغة العربية التي نزل بها القرآن، دال على تنزيه الله تنزيهاً تاماً عن الولد، من غير إيهام البينة لخلاف ذلك.

الأمر الثاني: أن تنزيه الله عن الولد، بالعبارات التي لا يهم فيها، هو الذي جاءت به الآيات الكثيرة في القرآن، كما قدمنا إيضاحه في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {وَيَذَرُّ الَّذِينَ قَالُواَ أَتَعْبَدُونَ إِلَّا لُوطًا وَلَدًا } الآية، وفي سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: {وَقَالُواَ أَتَعْبَدُونَ الرَّحْمَٰنَ وَلَدًا } / {لَقَدْ جَعَلْنَاهُ شَيْئًا إِذَا }، والآيات الكثيرة التي ذكرناها في ذلك تبين أن {إِنَّ } نافية.

فالنفي الصريح الذي لا نزاع فيه بين أن المراد في م찰 النزاع النفي الصريح.

وخير ما يفسر به القرآن القرآن، فكون المعبَّر في الآية: ما كان للرحمن ولد، بصيغة النفي الصريح، مطابق لقوله تعالى في آخر سورة بني إسرائيل: {وَقَالَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ لَوَلَّىٰ نِسَاءً وَرَجُلًا } الآية، وقوله تعالى في أول الفرقان: {وَلَمْ يَنْبِئَهَا وَلَمْ يَخْبِرِكَ فِي اِلْحَالِيَّاتِ } الآية، وقوله تعالى: {لَمْ يَنْبِئَهَا } وَلَمْ يُوَلَّدَ }، وقوله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ يَقُولُونَ } إلى غير ذلك من الآيات.

وأما على القول بأن (إن) شرطية، وأن قوله تعالى: {فَأَلَّا أَوْلُ }
أضواء البيان

الْكِتَابِ ﴿۸٨﴾ جَزَاء لِلذَّكَرِ الشَّرْطِ، فَإِنْ ذَلِكَ لَا نَظُورُ لِهِ البَتْهَةُ فِي
كتاب الله، ولا توجد فيه آية تدل على مثل هذا المعنى.

الأمر الثالث: هو أن القول بأن ﴿إِنّا﴾ شرطية لا يمكن أن يصح
له معنى في اللغة العربية، إلا معنى محذور لا يجوز القول به حال,
وكتاب الله جل وعلا يجب تنزيهه عن حمله على معان محذورة
لا يجوز القول بها.

ويرجى هذا أنه على القول بأن ﴿إِنّا﴾ شرطية، وقوله: ﴿فَأَنَا
أَوُلَّي الْعَمَّارِى﴾ جزاء الشرط، لا معنى لصدقه البته إلا بصحة الربط
بين الشرط والجزاء.

والمحقيق الذي لا شك فيه أن مدار الصدق والكذب في
الشرطية المتصلة، منصب على صحة الربط بين مقدمها الذي هو
الشرط وتأليها الذي هو الجزاء، والبرهان القاطع على صحة هذا هو
كون الشرطية المتصلة تكون في غاية الصدق مع كذب طرفيها معاً
أو أحدهما، لو أزيلت أداة الربط بين طرفيها، فمثال كذبهما معاً مع
صدقها قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ ﻓِي هَٰذِهِ ءَايَةٌ إِلَّا ﻟَيْلَةٌ ﻟَيْسَدَدْ﴾ هذه قضية في
غاية الصدق كما ترى، مع أنها لو أزيلت أداة الربط بين طرفيها كان
كل واحد من طرفيها قضية كاذبة بلا شك، وتعني بأداة الربط لفظة
(لو) من الطرف الأول، واللام من الطرف الثاني، فإنهمما لو أزيلوا
وحذفاً صار الطرف الأول: (كان فيهما آلهة إلا الله)، وهذه قضية في
متهي الكذب، وصار الطرف الثاني: (فسدتنا) أي السماوات
الأرض، وهذه قضية في غاية الكذب كما ترى.

فاطضح بهذا أن مدار الصدق والكذب في الشرطيات على
صحة الرَبِط بين الطرفين وعدم صحته، فإن كان الرَبِط صحيحاً، فهي صادقة ولو كذب طرفها أو أحدهما عند إزالة الرَبِط، وإن كان الرَبِط بينهما كاذباً كاذبة، كما لو قلت: لو كان هذا إنساناً لكان حراً، فكذب الرَبِط بينهما وذكِب القضية بسببه كلاهما واضح.

وأمثلة صدق الشرطية مع كذب طرفها كثيرة جداً، كالآية التي ذكرناها، وقولك: لو كان الإنسان حراً لكان جماداً، ولو كان الفرس ياقوتاً لكان حراً، فكل هذه القضايا ونحوها صادقة مع كذب طرفها ولو أزلت أداة الرَبِط.

ومثال صدقها مع كذب أحدهما قولك: لو كان زيد في السماء ما نجا من الموت، فإنها شرطية صادقة لصدق الرَبِط بين طرفها، مع أنها كاذبة أحد الطرفين دون الآخر، لأن عدم النجاة من الموت صدق، وكون زيد في السماء كذب. هكذا مثل بهذا المثال البناني:

وفيهم عندي أن هذه الشرطية التي مثل / بها اتفاقية لا لزومية، ولا دخل للاتفاقيات في هذا البحث، والمثال الصحيح: لو كان الإنسان حراً لكان جسماً.

واعلم أن قوماً زعموا أن مدار الصدق والكذب في الشرطيات منصب على خصوص التالي الذي هو الجزاء، وأن المقدم الذي هو الشرط قيد في ذلك، وزعموا أن هذا المعنى هو المراد عند أهل اللسان العربي.

والمتحقيق الأول، ولم يقل أحد البئت بقول ثالث في مدار الصدق والكذب في الشرطيات.
إذا حققت هذا، فاعلم أن الآية الكريمة على القول بأنها جملة شرط وجزاء، لا يصبح الربط بين طرفيها البتة بحال، على واحد من القولين اللذين لا ثالث لهما، إلا على وجه محذور لا يصح القول به بحال.

وإيضاح ذلك: أنه على القول الأخير، أن مصب الصدق والكذب في الشرطيات إنما هو التالي الذي هو الجزاء، وأن المقدم الذي هو الشرط قيد في ذلك، فمعنى الآية عليه باطل، بل هو كفر؛ لأن معناه أن كونه أول العابدين بشترط فيه أن يكون للرحمن ولد، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن مفهوم الشرط أنه إن لم يكن له ولد لم يكن أول العابدين، وفساد هذا المعنى كما ترى.

وأما على القول الأول الذي هو الصحيح، أن مدار الصدق والكذب في الشرطيات على صحة الربط بين طرفي الشرطية؛ فإنه على القول بأن الآية الكريمة جملة شرط وجزاء، لا يصح الربط بين طرفيها البتة أيضاً إلا على وجه محذور لا يجوز المصير إليه بحال؛ لأن كون المعبدوذ ذا ولد، واستحقاقه هو أو وله العبادة، لا يصح الربط بينهما البتة إلا على معنى هو كفر بالله؛ لأن المستحق للعبادة لا يعقل بحال أن يكون ولداً أو والداً.

ويعلم أن الشرط المزعوم في قوله: ﴿إِنَّ كُونَ الَّذِي نُكَلِّي وَلَدًا ﴾ إنما يتعلق به مجال، لاستحالة كون الرحمن ذا ولد، ومعلوم أن المجال لا يتعلق عليه إلا المجال.

فتعليق عبادة الله التي هي أصل الدين على كونه ذا ولد ظهور
فساده كما ترى، وإنما تصدق الشرطية في مثل هذا لو كان المعلق عليه مستحيلًا، فادعاء أن "إِنَّ... في الآية الشرطية مثل ما لو قيل: لو كان معه آلهة للكتت أول العابدين له، وهذا لا يصدق بحال؛ لأن واحدًا من آلهة متعددة لا يمكن أن يعبد، فالربط بين طرفيها مثل هذه القضية لا يصح بحال.

ويتضمن ذلك بمعنى قوله: "وَبَعَلَّمَهُمْ عَلَى مَعَايِنِ ۚ إِنِّي لَذَهَبْنُ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُمْ لَذُبَّارُ ۚ وَإِنَّكَ لَمَعْلُومٌ مِّنْهُمْ" الآية.

فإن قوله (إذا) أي لو كان معه غيره من الآلهة، لذهب كل واحد منهم بما خلق واستقل به، وغالب بعضهم بعضًا، ولم ينظم للسماوات والأرض نظام، وفسد كل شيء، كما قال تعالى: "لَوْ كَانَ فِي هَٰذَا عَلَّمًا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَفَسَّدَنَّهُ ۖ وَقُولُوا لَا تَكُونُوا كَفَّارًا مِّنَ اللَّهِ كَمَا يُقَوْلُونَ إِذَا لَبَغَوُا إِلَى ٱلْمَيَّزَانِ سَيِّيًا" على الصحيح الذي هو الحق من التفسيرين.

/ ومعنى ابتعاثهم إليه تعالى سبيلًا هو طلبهم طريقًا إلى مغالبته، 294

كما يفعله بعض الملوك مع بعضهم.

والحاصل: أن الشرط إن علق به مستحيل فلا يمكن أن يصح الربط بينه وبين الجزاء، إلا إذا كان الجزاء مستحيلًا أيضاً؛ لأن الشرط المستحيل لا يمكن أن يوجد به إلا الجزاء المستحيل.

أما كون الشرط مستحيلًا والجزاء هو أساس الدين وعماد الأمر؛ فهذا مما لا يصح بحال، ومن ذهب إليه من أهل العلم والدين لا شك في غلطة.
ولا شك في أن كل شرطية صدقية مع بطلان مقدمها الذي هو الشرط وصحة تاليها الذي هو الجزاء، لا يصح التمثيل بها لهذه الآية بوجه من الوجه، وأن ما ظنه الفخر الرازي من صحة التمثيل لها بذلك غلط فاحش منه بلا شك.

وإيضاح ذلك: أن كل شرطية كاذبة الشرط صادقة الجزاء عند إزالة الربط، لا بد أن يكون موجب ذلك فيها أحد أمرين لا ثالث لهما البينة، وكلاهما يكون الصدق به من أجل أمر خاص لا يمكن وجود مثله في الآية الكريمة التي نحن بصددها، بل هو مناقض لمعنى الآية، والاستدلال بوجود أحد المتناقضين على وجود الآخر ضروري البطلان.

وتعني بأول الأمرين المذكورين كون الشرطية اتفاقية لا لزومية أصلاً، وبالتالي منهما كون الصدق المذكور من أجل خصوص المادة.

ومعلوم أن الصدق من أجل خصوص المادة لا عبرة به في العقليات، وأنه في حكم الكذب لعدم اضطراده؛ لأنه يصدق في مادة ٢٩٥ ويكذب في أخرى، ومعنبر إنما هو الصدق اللازم المضترد، الذي لا يختلف باختلاف المادة بحال.

ولا شك أن كل قضية شرطها محال لا يضطرد صداقها إلا إذا كان جزاؤها محاالاً خاصة.

فإن وجدت قضية باطلة الشرط صحيحة الجزاء، فلا بد أن يكون ذلك لكونها اتفاقية أو لأجل خصوص المادة فقط.
فمما وقوع ذلك لكونها اتفاقية قولك: إن كان زيد في السماء
لم ينج من الموت.

فالشرط الذي هو كونه في السماء باطل، والجزء الذي هو
كونه لم ينج من الموت صحيح.

وإنما صح هذا لكون هذه الشرطة اتفاقية.

ومعلوم أن الاتفاقية لا علاقة بين طرفيها أصلاً، فلا يقتضي
ثبوت أحدهما ولا نفيه ثبوت الآخر ولا نفيه، فلا ارتباط بين طرفيها
في المعنى أصلاً وإنما هو في اللفظ فقط.

فكون زيد في السماء لا علاقة له بعدم نجاته من الموت أصلاً،
ولا ارتباط بينهما إلا في اللفظ.

فهو كقولك: إن كان الإنسان نافقاً فالفرس صال.

وقد قدمنا تذكيراً الفرق بين الشرطة اللزومية والشرطة
الاتفاقية في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: ۚ وَإِنَّ ذَٰلِكَ
إِلَّا أَلْهَدَى فَلَن يَهْدَى أَيْدَاهُ ۚ فَرَاجِعِهِ.

ومعلوم أن قوله: ۚ قُلْ إِن كَانَ اللَّهُنَّ وَلَدَّا ۛ لَا يَقُولُ أُحُدٌ
إِنها شرطية اتفاقية، ولم يدع أحد أنها لا علاقة بين طرفيها
أصلاً.

ومثال وقوع ذلك لأجل خصوص المادة فقط، ما مثل به الفخر
الرازي لهذه الآية الكريمة، مع عدم انتباهه لشدة المنافاة بين الآية
الكريمة وبين ما مثل لها به، فإنه لما قال: إن الشرط الذي هو: ۚ إِن
كان للرحمن ولد باطل، والجزاء الذي هو: (فَاتَّنَا أُولَٰئِكَ الْمَيْدَانِينَ) صحيح، مثل بذلك بقوله: إن كان الإنسان حجراً فهو جسم، يعني أن قوله: إن كان الإنسان حجراً، شرط باطل، فهو كقوله تعالى: (إِنَّ كَانَ لِلَّهِ وَلَدٌ) فكون الإنسان حجراً وكون الرحمن ذا ولد كلاهما شرط باطل.

فلما صح الجزاء المرتب على الشرط الباطل في قوله: إن كان الإنسان حجراً فهو جسم، دل ذلك على أن الجزاء الصحيح في قوله: (فَاتَّنَا أُولَٰئِكَ الْمَيْدَانِينَ) يصح ترتيبه على الشرط الباطل الذي هو (إِنَّ كَانَ لِلَّهِ وَلَدٌ).

وهو هذا غلط فاحش جداً، وتسوية بين المتناقضين غاية المناقاة؟ لأن الجزاء المرتب على الشرط الباطل في قوله: إن كان الإنسان حجراً فهو جسم، إنما صدق لأجل خصوص المادة لا لمعنى اقتصاد الربط البينة.

وإيضاح ذلك: أن النسبة بين الجسم والحجر، والسبة بين الإنسان والجسم، هي العموم والخصوص المطلق في كليهما.

فالجسم أعم مطلقاً من الحجر، والحجر أخص مطلقاً من الجسم، كما أن الجسم أعم من الإنسان أيضاً عموماً مطلقاً، والإنسان أخص من الجسم أيضاً خاصاً مطلقاً، فالجسم جنس قريب للحجر، وجنسي بعيد للإنسان، وإن شئت قلت: جنس متوسط فيهما. / إيضاح ذلك أن تقول في التقسم الأول:
الجسم إما نام، أي يكبر تدريجًا، أو غير نام، فغير النامي كالحجر مثلاً.

ثم تقسم النامي تقسيماً ثانياً فتقول:
النامي إما حساس أو غير حساس، فغير الحساس منه كالم букв.

ثم تقسم الحساس تقسيماً ثالثاً فتقول:
الحساس إما ناطق أو غير ناطق، والناطق منه هو الإنسان.

فانتضح أن كلاً من الإنسان والحجر يدخل في عموم الجسم، والحكم بالأعم على الأخص صادق في الإيجاب بلا نزاع ولا تفصيل.

فقولك: "الإنسان جسم" صادق في كل تركيب، ولا يمكن أن يكذب بوه، وذلك للملاضة الخاصة بينهما من كون الجسم جنساً للإنسان، وكون الإنسان فردًا من أفراد أنواع الجسم، فلا أجل خصوص هذه الملاضة بينهما كان الحكم على الإنسان بأنه جسم صادقاً على كل حال، سواء كان الحكم بذلك غير متعلق على شيء، أو كان متعلقاً على باطل أو حق.

فلا استدلال بصدق هذا المثال على صدق الربط بين الشرط والجزاء في قوله تعالى: "قل إن كان للرحمن ولقاتان أولاً الملدرين 88" بطلانه كالشمسي في رابعة النهار، والعجب كل العجب من عاقل يقوله؛ لأن المثال المذكور إنما صدق لأن الإنسان يشبه مسمى الجسم، أما من كان له ولد فالناسة بينه وبين المعبد الحق هي تباين.
المقابلة؛ لأن المقابلة بين المعبد بحق وبين والد أو ولد هي المقابلة بين الشيء ومساوي نقيضه؛ لأن من ولد أو ولد له لا يمكن أن يكون معبدوًا بحق بحال.

/ وإيضاح المنافاة بين الأمرين أنك لو قلت: الإنسان جسم، لقلت الحق، ولو قلت: المولود له معبد، أو المولود معبوذ، قلت الباطل الذي هو الكفر البواح.

ومما يوضح ما ذكرنا إجماع جميع الناظرين على أنه إن كانت إحدى مقدمتي الدليل بائثة، وكانت النتيجة صحيحة، أن ذلك لا يكون إلا لأجل خصوص المادة فقط، وأن ذلك الصدق لا عبرة به، فحكمه حكم الكذب، ولا يعتبر إلا الصدق اللازم المضطرب في جميع الأحوال.

فلو قلت مثلاً: كل إنسان حجر، وكل حجر جسم؛ لأنج من الشكل الأول: كل إنسان جسم، وهذه النتيجة في غاية الصدق كما ترى، مع أن المقدمة الصغرى من الدليل التي هي قوله: كل إنسان حجر، في غاية الكذب كما ترى.

إننا صدقت النتيجة لخصوص المادة كما أوضحنا، ولولا ذلك لكان كاذبة، لأن النتيجة لازم الدليل، والحق لا يكون لازماً للباطل، فإن وقع شيء من ذلك فليس خصوص المادة كما أوضحنا.

وبهذا التحقيق تعلم أن الشرط الباطل لا يلزم وتطرد صحة ربطه إلا بجزء باطل مثله.

وما يظن به بعض أهل العلم من أن قوله تعالى: «إِنَّا كَتَبْنَا فِي شَكِّ»
سورة الزخرف

319

وَمَا أُرْتَلَّى إِلَّا أَنْ يُتَنَكَّرِنَّ لَدَيْنَا الْكِتَابُ قِرْءَاءً مَّنْ قَبْلَكُ
، كَمَا تَعلَّى:

قُلْ إِنَّ كَانَ لِلَّهِمَّ عَلَّمَنِي وَلَدَّ فَأَنَا أَوْلُ الْمُتَّقِينِ
فَهُوَ غَلَطٌ فَاحِشٌ، والفرق

وَبِينَ مِنْ أَبْيَنَيْنِ شَاسِعٌ، فَظَنَّ اسْتَوائُها فِي الْمَهْمَى بَاطِلٍ.

إِيَضَاحٌ ذَلِكَ: أَنْ قُولُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ كَنَّا فِي شَكٍّ﴾ 299، مَعْنَا

الْمَقْصُودُ مِنْهُ جَارٍ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْعَرَبِي، وَلَا إِيَهَامٍ فِيهِ؛ لَكَنَا

أُوْضَحْنَا سَابِقًا أَنَّ مِدَارًا / صِدَاقَ الْشَّرَطِيَّةِ عَلَى صَحِيَّةِ الْرِّبْطِ بَيْنَ شَرَطِهَا

وْجُزَائِها، فَهِيْ صَادِقَةٌ وَلَوْ كَذَّبَ طَرَفًا عَندَ إِزَالَةِ الْرِّبْطِ كَمَا تَقَدَّم

إِيَضَاحُهُ قَرِيبًا.

فِرْطُ قُولُهُ: ﴿فَإِنَّ كَنَّا فِي شَكٍّ﴾ بَقُولِهِ: ﴿فَسْتَغْلَبَ الْدِّينُ قِرْءَاءً الْكِتَابُ﴾

وَرِطْبُ صَحِيَّةٌ لَا إِشَكَالٌ فِيهِ؛ لَأَنَّ الشَّاكُ في الْأَمْرِ شَأْنَهُ أَن

يَسَلُّ الْعَالَمَ بِهِ عَنْهُ كَمَا لَا يَخْفَى، فَهِيْ قَضَىَةٌ صَادِقَةٌ، مَعَ أَنْ شَرَطِهَا

وْجُزَائِهَا كَلا هَمَا بَاطِلٌ بَانْفَرَادِهِ، فَهِيْ كَقُولِهِ: ﴿لَوْ كَانَ فِي هَمٍّ إِلَّا اللَّهُ

فَسْتَدَّوْا﴾، فَهِيْ شَرَطِيَّةٌ صَادِقَةٌ لَصَحِيَّةِ الْرِّبْطِ بَيْنَ طَرَفَهَا، وَإِنَّ الْطَرَفَانِ بَاطِلٌ عَندَ إِزَالَةِ الْرِّبْطِ.

أَمَا قُولُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ كَانَ لِلَّهِمَّ عَلَّمَنِي وَلَدَّ فَأَنَا أَوْلُ الْمُتَّقِينِ﴾ عَلَى

الْقُولُ بَأَنَّ (إِنَّ) شَرَطِيَّةٌ لَا تَمْكِن صَحِيَّةَ الْرِّبْطِ بَيْنَ شَرَطِهَا وْجُزَائِهَا

الْبَتْهَا؛ لَأَنَّ الْرِّبْطَ بَيْنَ الْمَعْبُودِ وَبَيْنَ كَوْنِهِ وَالْدَا أَوْ وَلْدًا لَا يَسْحَب.

بِحَال.

وَلَذا جَاءَ عِنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَا أَشْكُ لَا أَسَالُ أَهْلِ الكِتَابِ﴾، فَنَفْسُ الْطَّرَفَيْنِ مَعَ أَنْ الْرِّبْطَ صَحِيَّةٌ، وَلَا يَمْكِن أَنْ يَنْفَعُ

هُوَ لَا غَيْرُ الْطَّرَفَيْنِ فِي الْأَلِيْهَةِ الآخَرَيْنِ، فَلَا يَقُولُ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ لَيْسُ

لَهُ وَلَدُ وَلَا أَعْمَدُهُ.

وَعَلَى كِلَّ حَالٍ، فَالْرِّبْطُ بَيْنَ الشَّكَ وَسُؤَلِ الشَاكِ لِلْعَالَمِ أَمْر
 الصحيح، بخلاف الربط بين العبادة وكون المعبدو والدًا أو ولدًا فلا
يصح.
فاتضح الفرق بين الآيتين.
وحديثٌ: «لا أشك ولا أسأل أهل الكتاب» رواه قتادة بن دعامة
مرسلًا، وبنحوه قال بعض الصحابة، فمن بعدهم، ومعناه صحيح بلا
شك.
وما قاله الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة يستغره كل
من رآه، لقبه وشاعته، ولم أعلم أحدًا من الكفار في ما قص الله في
300 كتابه عنهم يتجأ / على مثله أو قريب منه، وهذا مع عدم فهمه لما
يقول وتناقض كلامه.
وسنذكر هنا كلامه القبيح، للتنبيه على شناعة غلطة الديني
واللغوي.
قال في الكشف ما نصه: «قل إن كان للرحمن وللله» وصح ذلك
وثبت بيرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدللون بها، فأنه أول من
يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له، كما يعظم الرجل
ولد الملك لتعظيم أبيه.
وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لفرض، وهو
المبالغة في نفي الولد والإطاب فيه، وألا يترك للناطق به شبهة إلا
مضحكة، مع الترجمة عن نفسه بإثبات القدم في باب التوحيد،
وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محل في نفسها، فكان
المتعلق بها مثالًا مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي
معنى نفيهما على أبلغ الوجه وأقواها.
من نظيرة أن يقول العدلّي للمجبر: إن كان الله تعالى خالقاً للكفر في القلوب ومعذبًا عليه عذابًا سرماً فأنا أول من يقول: هو شيطان وليس بإله.

فمعني هذا الكلام وما وضع له أسئلته ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقاً للكفر، وتنزيهه عن ذلك وتقديسه، ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرناه مع الدلالة على سماحة المذهب، وضلالاً الذاهب إليه، والشهداء القاطعة بإحالته، والالتفاصح عن نفسه بالبراءة منه، وغاية النفور والاشتهار من ارتكابه.

و نحو هذه الطريقة يقول سعيد بن جميل رحمه الله للحجاج حين قال له: أما والله لأبدلك بالدنا ناراً تلطفى: لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدي ألهًا غيرك.

وقد تمحλ الناس بما أخروا به من هذا الأسلوب الشريف 301

الملاط باللبنات والفواكه، المستقل بالتوازي التوحيد على أبلغ وجهه، فقيل: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله، المكذبين قولكم لإضافة الولد إليه. إحدى الغرض من كلام الزمخشري.

وفي كلامه هذا من الجهل بالله، وشدة الجراءة عليه، والتخط والتناقض في المعاني اللغوية ما الله عالم به، ولا أظن أن ذلك يخفى على عاقل تأمله.

و سنين ذلك ما يتضح به ذلك، فإنه أولاً قال: إن كان للرحمن ولد وصح ذلك برهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلن بها فأنانا
أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه».

فكلامه هذا لا يخفى بطلانه على عاقل؛ لأنه على فرض صحة نسبة الولد إليه، وقيام البرهان الصحيح والحجة الواضحة على أنه له ولد، فلا شك أن ذلك يقتضي أن ذلك الولد لا يستحق العبادة بحال، ولو كان في ذلك تعظيم لأبيه؛ لأن أباه مثله في عدم استحقاق العبادة، والکفر بعبادة كل ولد وكل مولود شرط في إيمان كل موحد، فمن أي وجه يكون هذا الكلام صحيحًا؟!

أما في اللغة العربية فلا يكون صحيحاً البطة.

وما أظن أنه يصح في لغة من لغات العجم، فالربط بين هذا الشرط وهذا الجزاء لا يصح بوجه.

فمعنى الآية عليه لا يصح بوجه؛ لأن المعلق على المحال لا بد أن يكون محالًا مثله.

والمخشي في كلامه كلما أراد أن يأتي بمثال في الآية خارج عنها اضطر إلى أن لا يعلق على المحال في زعمه إلا محالًا.

ففرضه للآية المثل بقصة ابن جبير مع الحجاج، دليل واضح على ما ذكرنا وعلى تناظره وتخطيه.

فإن قال فيها: إن الحجاج قال لسعيد بن جبير: لأبدلنك بال الدنيا نارًا نلظم. قال سعيد للحجاج: لو علمت أن ذلك إليك ما عبدت إلهاً غيرك.

فهو يدل على أنه علق المحال على المحال، ولو كان غير
من تناقض للمعنى الذي مثل له بالزمخشري لقال: لو علمت أن ذلك
إليك لكنت أول العبادين الله.
فقوله: لو علمت أن ذلك إليك، في معنى «إن كان لله بَنَّا
وَلِدًّا»، فنسبه الولد والشريك إليه معناهما في الاستجابة وادعاء
النقش واحد.
فلو كان سعيد يفهم الآية كيفهك الباطل لقال: لو علمت أن
ذلك إليك لكنت أول العبادين الله.
ولكنه لم يقل هذا؛ لأنه ليس له معنى صحيح يجعل المصير
إليه.
وكذلك تمثل الزمخشري للآية الكريمة في كلامه القبيح البشع
الشريع الذي يتقاصر عن التلفظ به كل كابر.
فقد اضطر فيه أيضاً إلى ألا يعلق على المحال في زعمه إلا
محاالاً شنيعاً، فإنه قال فيه:
ونظيره أن يقول العدلي للمجبر: إن كان الله تعالى خالقاً
lلكفر في القلوب ومعدباً عليه عذاباً سردماً فأنه أول من يقول هو
شيطان وليس بإلهه».

فانظر قول هذا الضال في ضربه المثل في معنى هذه الآية
الكريمة يقول الضال الذي يسمي العدلي: إن كان الله خالقاً للكفر في
القلوب. .إلخ.

/ فخلق الله للكفر في القلوب وتعذيبه الكفار على كفرهم،
مستحيل عنه كاستحالة نسبة الولد الله، وهذا المستحيل في زعمه
باطل، إنما علق عليه أفعظ أنواع المستحيل، وهو زعمه الخبيث
أن الله إن كان خالقاً للكفر في القلوب ومعذباً عليه فهو شيطان لا إله،
 سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.
 فانظر رحمك الله فظاعة جهل هذا الإنسان بالله، وشدة تناقضه
 في المعنى العربي للآية.
 لأنه جعل قوله: "إن كان الله خالقاً للكفر ومعذباً عليه" بمعنى
 "إن كان لِرَجْمِينِ وَلَدْ" في أن الشرط فيهما مستحيل، وجعل قوله
 في الله: "إنه شيطان لا إله" سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً
 كبيراً، كقول النبي ﷺ: أنا أول العبادين.
 فاللازم لكلامه أن يقول: لو كان خالقاً للكفر فأنا أول العبادين
 له، ولا يخفى أن الادعاء على الله أنه شيطان مناقض لقوله: (فأنا أعلم
 العبادين).
 وقد أعرضت عن الإطالة في بيان بطلان كلامه، وشدة ضلاله
 وتناقضه، لشناعته ووضوح بطلانه، فهي عبارات مزخرفة، وشقيفة
 لا طائل تحتها، وهي تحمل في طياتها الكفر والجهل بالمعنى العربي
 للآية، وتناقض الواضح، وكم من كلام ملء بعرق الفوائد، وهو
 عقيم لا فائدة فيه، ولا طائل تحته، كما قال:
 وإنني وإنني ثم إني وإنني
 فظل يعمل أياماً رويته
 وشبه الماء بعد الجهد بالماء
 وعلم أن الكلام على القدر، وخلق أفعال العباد، قدمنا منه
 جمالاً كافياً في هذه السورة الكريمة، في الكلام على قوله تعالى:
 ۳۰۴ "فَقَالُوا أَلَوْ شَهَّـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَ~
سورة الزخرف

خالق كل شيء، كما قال تعالى: ﴿اللّهُ خَلَقَ ۖ سُبُّلَ ١٨٨﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ۖ سُبُّلَ ۚ ۖ فَقَدْ رَوَى ۖ نَفْقَةٌ ۱٨٩﴾، وقال: ﴿هَلَّمَّا خَلَقَ غَيْرَ ۗ اللّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ نَفْقَةٌ فَقُدْرَةٌ﴾ الآية.

فإن الإمام بالقدر خيره وشره الذي هو من عقائد المسلمين جعله الزمخشري يقتضي أن الله شيطان، سبحانه الله وتعالى عما يقوله الزمخشري علواً كبيراً، وجزي الزمخشري بما هو أهله.

الأمر الرابع: هو دلالة استقراء القرآن العظيم، أن الله تعالى إذا أراد أن يفرض المستحيل لبين الحق بفرضه، علّقه أولًا بالأدلة التي تدل على عدم وجوده وهي لفظة ﴿لو﴾، ولم يعلق عليه البينة إلا محالًا مثلاً، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِي مَآءٍ إِلَّا اللّهُ لَفَسَّدَنَا﴾، وقاله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللّهُ أَن يُتَحَدَّدَ وَلَدَٰ لَا صَفَطَ وَلَا يُحَذَّرَ مَا يَشَاءُ﴾، وقاله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَخِذَهُمْ أُخْذَدَنِىٰ لَدَنَا﴾ الآية.

وأما تعليق ذلك بأداة لا تقضي عدم وجوده، كلفظة ﴿إن﴾، مع كون الجزاء غير مستحيل، فليس معهودًا في القرآن.

ومنها يوضح هذا المعنى الذي ذكرناه، المحاوارة التي ذكرها جماعة من المفسرين، التي وقعت بين النضر بن الحارث والوليد بن المغيرة، وهي وإن كانت أسانيدها غير قائمة فإن معناها اللغوي صحيح.

وهي أن النضر بن الحارث كان يقول: الملاءكة بنات الله، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللّهُ قُوَّةً مَّا يَسُوءُ ﴿الآية.

فقال النضر للوليد بن المغيرة: ألا ترى أنه قد صدقني؟
فقال الوليد: لا ما صدقك ولكنه يقول: ما كان للرحمن ولد. 

ف骚نا أول العبادين، أي الموحدين من أهل مكة، / المتزهين له عن الولد.

فمحاورة هذين الكافرين، العالمين بالعربية، مطابقة لما قرنا؟
لأن النضر قال: إن معنى الآية على أن (إن) شرطية مطابق لما يعتقد الكفار من نسبة الولد إلى الله، وهو معنى محذور، وأن الوليد قال:
إن (إن) نافية، وأن معنى الآية على ذلك هو مخالفته الكفار
وتنزيه الله عن الولد.

ويجمع ما ذكرنا يتضح أن (إن) في الآية الكريم نافية.
وذلك مروي عن ابن عباس والحسن والسدي وقادة وابن زيد
وزهير بن محمد وغيرهم.

تنبيه

علم أن ما قاله ابن جرير وغير واحد من أن القول بأن (إن)
نافية يلزم إيهام المحذور الذي لا يجوز في حق الله.
قالوا: لأنه إن كان المعنى: ما كان الله ولد، فإنه لا يدل على
نفي الولد إلا في الماضي، فلكفأ أن يقولوا: إذا صدقت لم يكن له
في الماضي ولد، ولكن الولد طرأ عليه بعد ذلك لما صاهر الجن;
وولدته له بناته التي هي الملائكة.

وإن هذا المحذور يمنع من الحمل على النفي = لا شك في
 عدم صحته؛ لدلالة الآيات القرآنية بكثرة على أن هذا الإيهام لا أثر
له، ولو كان له أثر لما كان الله بمدح نفسه بالثناء عليه بلفظة (كان)
الدالة على خصوص الزمن في الماضي في نحو قوله:  { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا}
فقد كان الكفار يقولون ذلك الذي زعموه، الذي هو قولهم: صدقت، ما كان له ولد في الماضي ولكنه طرأ له، لقالوا مثله في الآيات التي ذكرناها، كأن يقولوا: كان علينا حكيمًا في الماضي ولكنه طرأ عليه عدم ذلك، وهكذا في جميع الآيات المذكورة ونحوها.

ومعنى كل تلك الآيات: أنه كان ولم يزل.

وأيضاً، فإن المحدود الذي زعموه لم يمنع من إطلاق نفي الكون الماضي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيَّا﴾، وقوله: ﴿وَمَا كُنْتُ مُسْلِمًا عَلَى نَفْسِي﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مُهْلِكَ الْقُرْآنَ إِلَّا أَهْلُهَا فَلِيُوَلَّوْهَا﴾، والآيات بتمثل ذلك كثيرة، ومن أوضحها في محل النزاع قوله تعالى: ﴿وَمَا سَكَتَ مِنْ نَفْسِهِ﴾ الآية.

ولم يمنع من نفي القرآن للولد في الزمن الماضي في قوله تعالى: ﴿مَا أَتَقَضِّى١٠٣ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيُوَلَّوْهَا﴾ فإن الكفار لم يقولوا يوماً ما: صدقت، ما اتخذته في الماضي ولكنه طرأ عليه اتخذه.

ولكن ذلك في قوله: ﴿لَتَرَبَّعَ وَلَدًا١٠٤﴾، وقوله: ﴿لَمْ سَيْكِلَّدَ﴾؛ لأن (لم) تنقل المضارع إلى معنى الماضي.

والكفار لم يقولوا يوماً: صدقت، لم يتخذ ولداً في الماضي.
ولكنه طرأ عليه اتخاذه، ولم يقولوا: لم يلد في الماضي ولكنه ولد أخيراً.

والحاصل أن الكفار لم يقولوا أن الله منزه عن الولد لا في الماضي ولا في الحال ولا في الامكان.

ومعلوم أن الولادة المزعومة حديث متجلد.

وبذلك تعلم أنمو زعمه من إيهام المحتور في كون (إن) في الآية النافع_balance/، لا أساس له ولا معول عليه، وأن ما ادعوه من كونها شرطية ليس له معنى في اللغة العربية إلا المعنى المحتور الذي لا يجوز في حق الله تعالى.

واعلم أن كلام الفخر الرازي في هذه الآية الكريمة الذي يقتضي إمكان صحة الربط بين طرفها على أنها شرطية، لا شك في غلطه فيه.

وأما إبطاله لقول من قال: إن المعنى: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العبادين له والمكذبين لكم في ذلك، فهو إبطال صحيح، وكلامه فيه في غاية الحسن والدقة، وهو يقتضي إبطاله بنفسه لجميع ما كان يقرره في الآية الكريمة.

والحاصل أن كون معنى (إن) في الآية الكريمة هو النفي، لا إشكال فيه ولا محتور ولا إيهام، وأن الآيات القرآنية تشهد له لكثرة الآيات المطابقة لهذا المعنى في القرآن.

وأما كون معنى الآية الشرط والجزء فلا يصح له معنى غير محتور في اللغة، وليس له في كتاب الله نظير، لإجماع أهل اللسان العربي على اختلاف المعنى في التعليق بان، والتعليق بلون.
لأن التعليق بلو يدل على عدم الشرط، وعدم الشرط استلزم عدم المشروط، بخلاف إن، فالتعليق بها يدل على الشكل في وجود الشرط، بلا نزاع، وما خرج عن ذلك من التعليق بها مع العلم بوجود الشرط أو العلم بنفيه، فأسباب آخر، وأدلة خارجة، ولا يجوز حملها على أحد الأمرين المذكورين إلا بدليل منفصل، كما أوضحنا في غير هذا الموضوع.

تنبئه

علم أن ما ذكرنا من أن (لو) تقتضي عدم وجود الشرط، وأن (إن) تقتضي الشك فيه، لا يرد عليه قوله تعالى: 

فإن كنت في شك، فأنزَّلنا إليك الآية، كما أشرنا له قريباً، لأن التحقق أن الخطاب في قوله: (فإن كنت في شك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد به من يمكن أن يشک في ذلك من أمه.

وقد قدمنا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى:

لا تجعل مع الله إلهًا آخرين الآية، دلالة القرآن الصريحة على أنه يتوجه إليه الخطاب من الله والمراد به التشريع لأمه، ولا يراد هو البينة بذلك الخطاب.

وقدمنا هناك أن من أصرح الآيات القرآنية في ذلك قوله تعالى:

ويلَزِلنِّي إِفْسَامًا إِنَّمَا يَبْلُغُ عِندَكَ الْحَكْمَاءُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلَا تُسِيرَ فَرْمَآءُ أي الآية، فالتحقق أن الخطاب له والمراد أمره لا هو نفسه؛ لأنه هو المشرع لهم بأمر الله.

وإيضاح ذلك أن معنى: (إِنَّمَا يَبْلُغُ عِندَكَ الْحَكْمَاءُ) أي إن يبلغ عندك الكبر يا نبي الله والداك أو أحدهما فلا تقل لهما أيّ.
وعلو من أبا مات وهو حمل، وأمة مات وهو في صباه، فلا
يمكن أن يكون المراد: إن يبلغ الكبير عندك هما أو أحدهما، والواقع
أنهما قد ماتا قبل ذلك بأزمان.
وبذلك يتحقق أن المراد بالخطاب غيره من أمته الذي يمكن
إدراك والديه أو أحدهما الكبير عنده.
وقد قدمنا أن مثل هذا أسلوب عربي معروف، وأوردنا شاهداً
لذلك رجز سهل بن مالك الفزاري في قوله:
يا أخت خير البدو والحضارة
كيف ترين في فتى فزارة
أصبح يهوى حرة معتزارة
إياك أعني واسمعي يا جارة
وقد بسطنا القصة هناك، وبينا أن قول من قال: إن الخطاب في
قوله تعالى: "إِنَّمَا يَبْلَغُ عَنْكَ الْحَكَّارَ أَحَدُهُمَا أَوْ كُلَّهُمَا" الآية، لكل
من يصح خطابه من أمته ثم لا هو نفسه، باطل، بدليل قوله تعالى
بعده في سياق الآيات: "ذَلِكَ يُمَّا أُخْرِجَ إِلَيْكَ رُبْكَ مِنَ الْجَهَّازَةِ" الآية.
والحاصل أن آية: "فَإِنَّكُنَّ فِي سَلِيكِ مِمَّا أَرْزَقْتَ إِلَيْكَ الآية،
لا ينقض بها الضابط الذي ذكرناه: لأنها كقوله: "لا تجعل مع الله إلَّا
أَخَرَى"، "ليكن أثراك ليحيط عمالك"، "فلا تكون من الإثمارين"،
ولا تطبع الكفرين والمنافقين، "ولا تطعن فيهم إني أدركوا"، إلى
غير ذلك من الآيات.
ومعلوم أنه هو لا يفعل شيئاً من ذلك البته، ولكنه يأمر
وبينه ليشرع لأمته على لسانه.
وبذلك تعلم اطراد الضابط الذي ذكرناه في لفظة (لو)، ولفظة
(إن)، وأنه لا ينتقض بهذه الآية.
هذا ما ظهر لنا في هذه الآية الكريمة، ولا شك أنه لا محذور فيه ولا غرر ولا إهانة، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿سُبِحَّنَ رَبِّ السَّمُوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرشِ عَمَّاهُمْ يَصِفُونَ﴾.

قد قدمنا معنى لفظة (سبحان) وما ندل عليه من تنزيه الله عن كل ما / يليق بكماله وجلاله، وإعراض لفظة (سبحان) مع بعض الشواهد العربية، في أول سورة بني إسرائيل.

وlama قال تعالى: ﴿قُلِ إنْ كَانَ لِلَّهِ وَلَدٌ ﷺ الآية، نزه نفسه تنزهها تاماً عما يصفونه به من نسبة الولد إليه، مبيناً أن رب السماوات والأرض ورب العرش جدير بالتنزيه عن الولد، وعن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

 وما تضمنت هذه الآية الكريمة، من أنه لما ذكر وصف الكفار له بما لا يليق به، نزل نفسه عن ذلك، معلماً خلقه في كتابه أن ينجزوا عن كل ما لا يليق به، جاء مثله موضحًا في آيات كثيرة، قوله تعالى: ﴿ما أَخْرَجْتُ مِنْ أَلْبَىٰ إِلَّا رُبُّكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا أَنْخَذْتُ مِنْ الْيَوْمِ إِلَّا وَعْمَاءَ يَصِفُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعِيَ مَا يُؤْمِنُونَ إِذَا لَمْ يَنْتَفِعُهُمْ إِلَّا الْعَمَّاءُ يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَيْنَ فِي هَٰذَا مَثَلٌ إِلَّا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿سُبِحَّنَ رَبِّ الْعَرَشِ عَمَّاهُمْ يَصِفُونَ﴾.

 إلى غير ذلك من الآيات.
قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يَقْضُونَ وَيَعْلَمُونَ حَتَّى يَنْثَوِيَ أَوْلَمُ الْيَوْمُ الْآخِرُ﴾، ﴿وَعَدُّونَ﴾.

قد قدمنا الآيات الموضوعة له في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْتِكُمْ وَيَتَّمَّعُوا وَيَبْعَثُونَ يَوْمَ الْآخِرَ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، ﴿إِلهَ﴾.

قد قدمنا الآيات الموضوعة له في أول سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سَرَكَمْ وَجَهَرَكَمْ﴾ الآية.

* قوله تعالى: ﴿وَعَنْدَهُ عَلَمُ السَّاعَةِ﴾.

قد بينا الآيات الموضوعة له في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَعَنْدَهُ مَقَاتِلُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية، وفي الأعراف في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْتُ هُمْ بِمَا لَاتَبَعُوهَا لَيَخْبِرُوا لَوْلَا إِلَّا هُوَ﴾، وفي غير ذلك من المواضع.

* قوله تعالى: ﴿وَلا يَتَّبِعُ الْأَذَى الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾، ﴿الشَّفَعَةُ﴾ الآية.

قد قدمنا الآيات الموضوعة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَة﴾ الآية، وفي غير ذلك من المواضع.
سورة الزخرف

قوله تعالى: (وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمُ مِنْ خَلْقِهِمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قَاتِلُ)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة، في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: (إِنَّهُمْ أُلْقَوْنَ بِهِمْ لِيُصَلِّوُنَّهُمْ أَقْوَمَ).

قوله تعالى: (وَقَبَلِهِ يَذْرِبُ إِنَّ هُنَّ هُدَايَاً قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ).

قرأ هذا الحرف نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمر، والكسائي: (وقبله) بفتح اللام وضم الهاء، وقراءة عاصم وحمزة: (وقبله) بكسر اللام والهاء.

قال بعض العلماء: إعرابه بأنه عطف محل على (الساعة)، لأن قوله تعالى: (وَعَيَّنَنَّ إِلَيْكُمُ السَّاعَةَ) مصدر مضاف إلى مفعوله، فلفظ (الساعة) مجري لفظاً بالإضافة، منصوب محلاً بالمفعولية، وما كان كذلك جاز في تابعه التنصب نظراً إلى المحل، والخفض نظراً إلى ٣١٢.

اللفظ، كما قال في الخلاصة: وجر ما يتبع ما جر ومن راعي في الاتباع المحل فحسن وقال في نظيره في الوصف: وانخفاض أو انصب تابع الذي انخفض كمبتغي جاه ومالاً من نهض وقال بعضهم: هو معلوم على (سرهم).

وعليه فالمعني: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، وقيله يا رب، الآية.

وقال بعضهم: هو منصوب على أنه مفعول مطلق.
أي: وقال قيله، وهو بمعنى قوله، إلا أن القاف لما كسرت
أبدل الواو باء لمجازة الكسرة.
قالوا: ونظير هذا الإعراب قول كعب بن زهير:
تمشي الوشاة جنايبها وقيلهم إنك يا بن أبي سلمى لمقتول
أي ويقولون قيلهم.
وقال بعضهم: هو منصب بـ (يعلم) محدودة؛ لأن العطف
الذي ذكرنا على قوله: (سراهم)، والعطف على (الساعة) يقال فيه:
إنه يقتضي الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يصح،
لكونه اعتراضاً، وتقدير الناسب إذا ذل المقام عليه لا إشكال فيه،
كما قال في الخلاصة:
ويذف الناصبهما إن علم ما وقد يكون حذفه ملتزماً
ولما على قراءة الخفض، فهو معطوف على (الساعة)، أي
وعنده علم الساعة، وعلم قيله يا رب.
واختار الزمخشري أنه مخفوض بالقسم، ولا يخفى بعده كما
نه عليه أبو حيان.
والتحقيق أن الضمير في (قيله) للنبي ﷺ.
والدليل على ذلك أن قوله بعد: "فأصبح عتمهم وقل سلام" خطاب
له إضافة أن الضمير في (قيله) لعيسى لا دليل عليه ولا
وجه له.
وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من شكواه ﷺ إلى ربه عدم
إيمان قومه، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى:
"وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﻋﻠَمَرِبَ إِنَّ قَوْمِي أَتَخْذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مُهْجُورًا (١٢)"، وذكر مثله
قاله تعالى: «فاصفح عنهم وقل سلم فسوف يعلمون».

قرأ هذا الحرف ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: (فسوف يعلمون) بياء الغيبة، وقرأ نافع وابن عامر (فسوف تعلمون) بتاء الخطاب.

وهذه الآية الكرمة تضمنت ثلاثة أمور:

الأول: أمره بالصحيح عن الكفار.
والثاني: أن يقول لهم سلام.
والثالث: تهدد الكفار بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما وعد به الكافر من عذاب النار.

314/ وهذه الأمور الثلاثة جاءت موضحة في غير هذا الموضع.

قسحة تعالى في الأول: «ورثب الساعة لذرية فاصفح الصفح الجميل»، وقسحة تعالى: «ولأ يطبع الكفرين والمستقفين ودع أذلهم».

والصفح: الإعراض عن المؤاخذة بالذنب.

قال بعضهم: وهو أبلغ من العفو.

قالوا: لأن الصفح أصله مشتق من صفحة العنق، فكأنه يولي المذنب بصفحة عنته، معرضًا عن عتابه، فما قوة.
وأما الأمر الثاني، فقد بين تعالى أنه هو شأن عباده الطيبين، ومعلوم أنه يسيدهم، كما قال تعالى: {وعبداؤُ الرَّحْمَنِ ٱلَّذِينَ يَرْضَى ٱللَّهُ بِمَآ يَعْمَلُونَ}، وقال تعالى: {وإِذَا سَيَبَتَ ٱلْفَخْرُ أَعَرَضَوا عَنَّهُ وَقَالُوا لَنَّا أَطْلَعْنَ وَلَكَ أَعْلَمُ ۖ ۖ سَلَّمُ عَلَيْكُمْ لَا بَنِي ٱلطَّيْرِينَ}، وقال عن إبراهيم أنه لما قال له أبوه: {لَيْنَ لَمْ تَكَ ٱلْجِهَادَ}، قال له: {سَلَّمُ عَلَيْكَ}

ومعنى السلام في الآيات المذكورة، إخبارهم بسلامة الكفار من أذاهم، ومن مجازاتهم لهم بالسوء، أي سلمتم منا، لا نسافهكم ولا نعاملكم بما تعاملونا.

وأما الأمر الثالث الذي هو تهديد الكفار بأنهم سيعلمون الحقيقة، فقد جاء موضحاً في آيات كتاب الله، كقوله تعالى: {وَلَعَلَّمُنَّ ۖ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ۖ لَكُلِّ ٱلْمَلَأِ ۖ تَقُلُّونَ ۖ وَسُؤْفَ ۖ تَعْلَمُونَ}، وقوله تعالى: {كَلَّا سَئِلُونَ}، وقوله: {كَلَّا سَئِلُونَ}، وقوله: {كَلَّا سَئِلُونَ}، وقوله: {كَلَّا سَئِلُونَ}، وقوله تعالى: {لَعْرُونَ ۖ ۚ لَكُلِّ يَتَّبِعِ ۖ ۖ ۖ كُلٌّ} إلى غير ذلك من الآيات.

وكثر من أهل العلم يقول: إن قوله تعالى: {قَاتِفُهُمْ} وما في معناه، منسوخ بآيات السيف، وجماعات من المحققين يقولون: هو ليس بمنسوخ.

والقاتل في المحل الذي يجب فيه القتال، والصفح عن الجهلة والإعراض عليهم، وصف كريم، وأدب سماوي، لا يتعارض مع ذلك، والعلم عند الله تعالى.
سورة الدخان
قوله تعالى: (إِنِّي أُنْزِلْتَهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَارِكَةِ).

ذهب تعالى هذه الليلة المباركة هنا، ولكنه بين أنها هي ليلة القدر في قوله تعالى (إِنِّي أُنْزِلْتُهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، وبين كونها المذكورة هنا في قوله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرَانَ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) إلى آخر السورة.

قوله: (فِي لَيْلَةِ الْمُبَارِكَةِ) أي كثيرة البركات والخيرات.

ولا شك أن ليلة هي خير من ألف شهر، إلى آخر الصفات التي وصفت بها في سورة القدر، كثيرة البركات والخيرات جداً.

وقد بين تعالى أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر التي أُنزل فيها القرآن من شهر رمضان، في قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانِ الَّذِيِّ أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ).

فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان، كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك في أنها دعوى باطلة؛ لمخالفتها لنص القرآن الصريح.

ولا شك، كل ما خالف الحق فهو باطل.

والأخبار التي يوردها بعضهم في أنها من شعبان، المخالفه
لصرح القرآن، لا أساس لها، ولا يصح سندها شيء منها، كما جزم به ابن العربي وغير واحد من المحققين.
فالعجب كل العجب من مسلم يختلف نص القرآن الصريح بلا مستند كتاب ولا سنة صحيحة.

* قوله تعالى: ∴ فيها يفرق كل أمر حكيم ∴ أمرًا ين عندها.

معنى قوله: (يفرق) أي يفصل ويبين، ويكتب في الليلة المباركة، التي هي ليلة القدر، (كل أمر حكيم) أي ذي حكمة بالغة؛ لأن كل ما يفعله الله مشتمل على أنواع الحكم الباهرة.

وقال بعضهم: (حكيم) أي محكم، لا تغيير فيه ولا تبدل.
وكلاء الأمرين حق؛ لأن ما سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبديل.
ولأن جميع أفعاله في غاية الحكمة، وهي في الاصطلاح وضع الأمور في مواضعها وإيقاعها في موقعها.

وإيضاح معنى الآية أن الله تبارك وتعالى في كل ليلة قدر من السنة يبين للملائكة ويكتب لهم بالتفصيل والإيضاح جميع ما يقع في تلك السنة، إلى ليلة القدر من السنة الجديدة.

فتبين في ذلك الآجال والأرزاق، والفقر والغني، والخصب والجدب، والصحة والمرض، والحروب والزلازل، وجميع ما يقع في تلك السنة كائناً ما كان.

قال الزمخشري في الكشاف: ومعنى (يفرق): يفصل ويكتب
كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم فيها، إلى الأخرى القابلة، إلى أن قال: فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبرائيل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت. إه محل الغرض منه بلفظه.

ومرادنا بيان معنى الآية، لا التزام صحة دفع النسخ المذكورة للمملكة المذكورين؛ لأننا لم نعلم له مستندًا.

/ وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، يدل أيضاً على أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، فهو بيان قرائي آخر. وإيضاح ذلك أن معنى قوله: "إِنِّي أَنْزَلْتُهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" أي في ليلة التقدير لجميع أمور السنة، من رزق، وموت وحياة وولادة، ومرض وصحة، وخصوص وجدب، وغير ذلك من جميع أمور السنة.

قال بعضهم: حتى إن الرجل ينحى ويتصرف في أموره يولد له، وقد خرج اسمه في الموتى في تلك السنة.

وعلى هذا التفسير الصحيح لليلة القدر، فالقدير المذكور هو بعينه المراد بقوله: "فِي هَيَّةِ قَرْنٍ كُلَّ أَمْرٍ حَكِيمٍ".

وقد قدمنا في سورة الأنباء في الكلام على قوله تعالى: "فَظَنَ أنَّ نَتْقَدِرَ عَلَيْهِ" أن قدر، بفتح الدال مخففاً، يقدر ويقدر، بالكسر والضم، كيضرب وينصر، قدراً، بمعنى قدَّر تقديرًا، وأن ثعلباً أنشد لذلك قول الشاعر:

فليست عشيات الحمي برعجن لنا أبداً ما أورق السلم النضر
ولا عائد ذلك الزمان الذي مضى تبارك ما تقدر يقع ولك الشكر.
وبينا هناك، أن ذلك هو معنى ليلة القدر؛ لأن الله يقدر فيها وقائع السنة.
وأوضحنا هناك أن القدر بفتح الدال، والقدر بسكونها، هما ما يقدره الله من قضاياه، ومنه قول هديبة بن الحشرم:
"ألا يا لقومي للنواب والقدر والامريات المرء من حيث لا يدري واعلم أن قول من قال: إنما سميت ليلة القدر لعظمها وشرفها على غيرها من الليالي، من قولهم: فلان ذو قدر، أي ذو شرف ومكانة رفيعة، لا ينافي القول الأول، لاتصافها بالأمرين معاً، وصحة وصفها بكل منهما، كما أوضحنا مثله مراراً.
واختلف العلماء في إعراب قوله: "أمراً، عنيناً":
قال بعضهم: هو مصدر منكر في موضوع الحال، أي أنزلنا في حال كوننا آمرين به.
وممن قال بهذا الأخفش.
وقال بعضهم: هو ما ناب عن المطلق من قوله: "أنزلته"، وجعل (أمراً) بمعنى: إنزالاً.
وممن قال به المبرد.
وقال بعضهم: هو ما ناب عن المطلق من (يفرق)، فجعل (أمراً) بمعنى فراقاً، أو فراقاً بمعنى (أمراً).
وممن قال بهذا الفراء والزجاج.
وقال بعضهم هو حال من (أمر) أي: يفرق فيها بين كل أمر حكيم، في حال كونه أمرًا من عدنا.

و هذا الوجه جيد ظاهر، وإنما ساغ إتبان الحال من النكرة وهي متأخرة عنها؛ لأن النكرة التي هي (أمر) وصفت بقوله: (حكيم)

كما لا يخفى.

و قال بعضهم: (أمرًا) مفعول به لقوله: (مُذْرِين).

وقيل غير ذلك.

واختار الزمخشري أنه منصب بالإختصاص، فقال: جعل كل أمر جزلاً فخماً بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وأكسبه فخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عدنا، كائناً من لدنا، وكما اقتساه علمنا وتدبيرنا.

و هذا الوجه أيضاً ممكن، والعلم عند الله تعالى.

 قوله تعالى: (إِنَّا كَانْنَا سِيرِينَ,
 رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ).

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف، في الكلام ٣٢٣

على قوله تعالى: (فَوَجَدَ عِبَادًا يَوْمَ يُعْبَدُونَ إِلَيْهِ رَحْمَةً مِنْ عِدَّتِهِنَّ) الآية،

وفي سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى: (مَا يُفْتِحُ اللَّهَ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَتِهِ
فَلَامَعَبْكُمْ لَهَا) الآية.

قوله تعالى: (ثُمَّ تَوَلَّوَ عَنْهُ وَقَالُوا أَمْ عَلِيٌّ).

هذا الذي ادعوه على النبي ﷺ افتراء، من أنه معلوم، يعنون أن القرآن علمه إياه بشر، وأنه مجنون، قد بينا الآيات الموضحة لإبطاله.
أما دعوهم أنه معلَّم فقد قدمنا الآيات الدالة على تلك الدعوى في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: "وَلَقَدْ نَصَّبْنَاهُ مَهْيَأً وَقَالَ اللَّهُ مَثْنَى ذِي الْقُرْنِينَ"، وفي سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: "وَقَالَ الْمُلُوِّنُ كَفَّارًا إِنَّ هَذَٰذَا إِلَّا أَفْقَهُ أَفْقِهِنَّ وَأَعَانُهُ عَلَيْهِ فَوَجَّهْتُهُ قَوْمًا أَحَمَّرَتْهُ".

إلى قوله: "فَسَيَنْعَلُّ عَلَيْهِ يَكْأَبَةٌ وَأَصْيَلَةٌ".

وبينا الآيات الموضحة لافترائهم وتعنتهم في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: "يُسَاءِلُ الَّذِينَ يَلْتَجَّدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبُكُم"، وَهَذَا يُسَاءِلُ عَكْرُوفُ مَثْنَى وَمَا يُسَاءِلُ عَكْرُوفُ مَثْنَى، وفي الفرقان في الكلام على قوله تعالى: "فَقَدْ جَاهَزَ وَظَلْمًا وَرَدَّتْ وَقَالَ أَسْتَيْرُ أَوْلِيَاءِكَ أَعْكَبُوهَا " الآية.

وأما دعوهم أنه مجنون، فقد قدمنا الآيات الموضحة لها ولابطالها في سورة قد أفلح المؤمنون في الكلام على قوله تعالى: "وَقَدْ نَزَّلَنَا عَلَيْهِم مِّن قَبْلٍ رَّسُولًا لِلَّذِينَ يَجِهُونَ اللَّهَ" الآية.

قوله تعالى: "وَجَاهِهِمُ الرَّسُولُ ﷺ وَأَدْوَى إِلَىَّ عِبَادَ اللَّهِ".

الرسول الكريم هو موسى، والآيات الدالة على أن موسى هو الذي أرسل لفرعون وقومه كثيرة ومعروفة.

وقوله: "أَدْوَا إِلَىَّ أي سلموا إلَّيٍّ (عَبَادِ اللَّهِ) يعني بني إسرائيل، وأرسلوه معي.

فقوله: "عِبَادَ اللَّهِ" مفعول به لقوله: "أَدْوَا".

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن موسى طلب فرعون أن
يسلم له بنى إسرائيل ويرسلهم معه جاء موضحًا في آيات أخرى، مصرح فيها بأن عباد الله هم بنو إسرائيل، كقوله تعالى في طه:

"فأيامها فقولاً إنا رسول ربنا ممسى بنى إسرائيل ولا تغيبهم"، وقوله تعالى في الشعراء:

"فأيام فولكن فقولاً إنا رسول ربنا الكليم" علٍ أن أرسل مَن آلاء إسرائيل الآية.

والتحقق أن (أن) في قوله: "أن أدرى" هي المفسرة؛ لأن مجيء الرسول يتضمن معنى القول، لا المخففة من الثقيلة، وأن قوله: "عباد الله" مفعول به كما ذكمنا وكما أوضحته آية طه وأية الشعراء، لا منادي مضاف.

* قوله تعالى: "وأي عدت بني وربيعك الآية.

قد قدمنا الكلام عليه في سورة المؤمن في الكلام على قوله تعالى: "و قال موسى من عدت بني وربيعكم من كل متكبّر لا يؤمن بؤفر السباب".

* قوله تعالى: "كذاباً و أورثهنها قوماء أحرى ابن".

لم يبين هنا من هؤلاء القوم الذين أورثهم ما ذكره هنا، ولكنه بين في سورة الشعراء أنهم بنو إسرائيل، وذلك في قوله تعالى: "كذاباً وأورثنها بني إسرائيل الآية، كما تقدم في الترجمة، وفي الأعراف.

* قوله تعالى: "ولقد كنتا بني إسرائيل من العذاب المعنيين".

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أنه نجي ٣٢٥
بني إسرائيل من العذاب المهين الذي كان يذيبهم به فروع وقومه، جاء موضحاً في آيات أخرى، مصرف فيها بأنواع العذاب المذكور، كقوله تعالى في سورة البقرة: «ورَأْتُ نَظَرَةً عَظِيمَةً مِّنَ الْفَرْعَوْنِ»، وقال في الأعراف: «وَرَأْتُ نَظَرَةً عَظِيمَةً مِّنَ الْفَرْعَوْنِ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَلِّذُونَ». إنها الأمة، وقوله تعالى في المؤمنين: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِي قَالُوا أُعْجِبْتُمْ بِمَنْ أَتَيْنَاكُمْ مَعَنِيَ الْآيَةِ»، وقوله تعالى في إبراهيم: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَنْ تَسْجَدُوا لِلرَّحْمَانِ ، إِذْ أُنَبِينَكُمْ مِنْ ٨٨٢٤ يُسُوءُونَ الْعَذَابَ وَيُسُوءُونَ أَنْبَاهُمْ الْآيَةِ»، وقوله في الشعراء: «وَقَالَ يَعْقُوبُ لى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ»، فتعبدها إياه من أنواع عذابه لهم، إلى غير ذلك من الآيات.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، من أن فروع كان عالياً من المسرين، أوضحها أيضاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في يونس: "ورَأْتُ نَظَرَةً عَظِيمَةً مِّنَ الْأَمْرِ رَبِّي لِيَأْمُرِكُمْ لِيَأْمُرُوا الْمُسْرَفِينَ"، وقوله تعالى في أول القصص: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَيَعْقَبُ أَمْرَهُ ، وَيُصِيبُ فِي الْأَرْضِ وَيُضْلِعُ فِي الْأَرْضِ يَشَٰبَهُ شَيْئًا يُضْطَعِفُ طَلَالِقَهُ أَنْبَاهُمْ يُعْلَمُ أَنْبَاهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْرَفِينَ »، إلى غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: *thy צו* ُو ُوُقُُّ ُوُقُُّ رَأْيِهِ ُوُقُُّ عَذَّابِ *الْحَمِيمَ*.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: *يَصِيبُ مِنْ فِرْعَوْنِهِمْ ُالْحَمِيمَ*.
ولقد تركنا إحالات متعددة بينها فيها بعض آيات سورة الدخان ۳۲۶

هذه خشية الإطالة بكثرة الإحالة.

قوله تعالى: {إِفَّإِنَّمَا يَسُرُّنَا هُدُيُّكَ لِيُسَأَلُكُ لَعْلَمَهُمْ بَعْدَ مَكْرٍ} (۷۳).

قد قدمنا الآيات الموضحة في سورة مريم في الكلام على
قوله: {إِفَّإِنَّمَا يَسُرُّنَا هُدُيُّكَ لِيُسَأَلُكُ لَعْلَمَهُمْ بَعْدَ مَكْرٍ} الآية.
سورة الجاثية
قوله تعالى: "إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَذْهَبْ لِلْمُؤْمِنِينَ (۳) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا نَبِعْتُمُ فِي دَارِنَا مَايَّتُ لِقَوْمٍ يُرِيدُونَ (۴) وَلَا خَلْقَ الْيَلِدِ وَالْمَيْتِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاوَاتِ مُؤْتِمًا فَأَحْيَا يِهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَقَصِّرَ فِى أَرْبَعِيَاتِهَا لَقَوْمٍ يُعِقَّلُونَ (۶)".

ذكر جل وعلا في هذه الآيات الكريمة من أول سورة الجاثية ستة براهين من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده تعالى.

الأول منها: خلقه السماوات والأرض.

الثاني: خلقه الناس.

الثالث: خلقه الدواب.

الرابع: اختلاف الليل والنهار.

الخامس: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.

السادس: تصريف الرياح.

وذكر أن هذه الآيات والبراهين، إنما ينتفع بها المؤمنون.
الموقنون، الذين يعقلون عن الله حجيجه وآياته، فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم.

ولذا قال: (لا يؤمنون) (57)، ثم قال: (ما أنتم لقوم يؤمنون) (58)، ثم قال: (أأنتم لقوم يعقولون) (59).

وهذه البراهين السبعة المذكورة في أول هذه السورة الكريمة، جاءت موضحة في آيات كثيرة جداً كما هو معلوم.

أما الأول منها: وهو خلقه السماوات والأرض، المذكور في قوله: (إذ في السماوات والأرض لا يؤمنون) (60)، فقد جاء في آيات كثيرة، كقوله تعالى: (أئتم نظروا إلى السماوات ففهم كيف بنيت وزيدت وما لها من فرج) (61) والأرض ممددة وآلفت فيها رؤوس وآينت ففيها من كدي رمز (62)، بصرف وذكر للكعبة مبناة (63)، وقوله تعالى: (أئتم نظروا إلى ما بين أذنهم وما خلفهم مكأ السماوات والأرض) الآية، ومنه: (أئتم نظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغنى آئتم ونذر عن قوم لا يؤمنون) (64) الآية، وقوله: (أئتم نظروا في ملكوت السماوات والأرض) الآية، وقوله: (ومن يأتبه خلق السماوات والأرض) في الروم والشورى، وقوله: (الذي جعل لكم الأرض فرضًا والسماة بيتًا) الآية، وقوله تعالى: (الله الذي جعل لحكم الأرض قرارًا والسماة بساتًا) (65)، وقوله تعالى: (وأرسلنا بينهما بأيدين فإذا لم يؤمنون) (66) والأرض فرشنتها فنعم المهديون (67)، وقوله تعالى: (أئتم نعفوتم مبئًا شدأ) (68)، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً معرفة.

وأما الثاني منها: وهو خلقه الناس، المذكور في قوله: (وخلقنا) (69)، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: (ومن آيتنا أن خلقتم من تراب ثم إذا أنت بشير نشروتك) (70)، وقوله:
سورة الجاثية

» يتأثراً الناس أعبدوا تزعم أنفسهم وَهُمْ يَقِيمُونَ فِي قَلْبِهِمْ الآية، وقوله تعالى: عن نبيه نوح: »ُنَّا لَوْ نَزَّلْنَا بَعْضُ الْحَقِّ وَأَخْبَاهُ الْأَطْوَارُ«، وقال: يُرْسِلُ هَذَى اللَّهُ رَبِّكُمْ يَا مُلُوكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنَا نَصْرُونِ سَيَكُونُنَّ، وقوله:» وَفِي الْأَفْسَارِ أَمْلَاءَ بِيْرَوْنَ(٢١)«، والآيات بمثل ذلك كثيرة ومعلومة.

/ وَأَمَّا التَّالِثُ مِنْهَا: وَهُوَ خَلْقُ الْمَدَابِرُ، الْمَذْكُورُ فِي قُوَّلِهِ:

» وَمَا بَيْنَنَا دَابِرٍ «، فَقَدْ جَاءَ أَيضاً مَوْضُوحاً فِي آيَاتٍ كَثِيرةٍ أَيضاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَقُولِهِ تَعَالَى فِي سَوْرَةِ الْشُّورَى: » وَمِنْ آيَاتِنَا خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما مِنِ الدَّابِرِ وَهُوَ عَلَى جَمِيعِهِمْ إِذَا يَنْضَجَّونَ فَذَٰلِكُمْ نُصُرُّهُنَّ(١١٦) «، وقُولُهُ تَعَالَى فِي الْبَقْرَةِ: » وَمَا أُنِزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ نَافِعٍ أَحَدُهُمْ إِلاًّ مَّبَالِغُ مَقْيَضَهُ وَبَيْنَ فِيهَا مَنْ سَطَّلَ دَابِرَهُ(١١٧) الآية، وقُولُهُ تَعَالَى: » وَلَنْ نَحْلُقَ كُلُّ دَابِرٍ مِنْ نَافِعٍ مَّبَالِغُ مَقْيَضَهُ وَبَيْنَ فِيهَا مَنْ سَطَّلَ دَابِرَهُ(١١٨) الآية، وقُولُهُ تَعَالَى: » وَأَنْزَلْنَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ رُزْقَكُمْ، وَالآيات بمثل ذلك كثيرة ومعلومة.

/ وَأَمَّا الرَّابعُ مِنْهَا: وَهُوَ اخْتِلَافُ الْلَّيْلِ وَالْنِّهَارِ، الْمَذْكُورُ فِي قُوَّلِهِ:» وقد جاء موضحاً أيضاً في آيات كثيرة من كِتَابِ اللَّهِ، كَقُولُهُ تَعَالَى فِي الْبَقْرَةِ: » إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْخَلْوَاتِ وَالْبَيْطِلِ الَّتِي يَطْبَعُونَ فِيهَا بِمَا يَتَفَعَّلُ النَّاسُ إِلَى قُوَّلِهِ: » لَا يُقَوْمُ بِمِقْلُونَ(١١٩) «، وقُولُهُ تَعَالَى فِي آل عمران: » إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْخَلْوَاتِ وَالْبَيْطِلِ الَّيْلُ وَالْهَيْامُ لَآيَاتٌ لَّوْلَى الْأَلْبَابِ(١٢٠) «، وقُولُهُ تَعَالَى فِي فَسْلَاتِ: » وَمِنْ آيَاتِهِ آيَاتُ اللَّيْلِ وَالْهَيْامَ وَالْشِّمَاشُ وَالْقُمْرَ(١٢١) الآية، وقُولُهُ تَعَالَى: » وَإِذَا أَهْلُ الْيَلِِّ نَسْلَحُ مُنْهُ الْهَيْامُ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمونَ(١٢٢) وَالْقُمْرُ آيَةً لِمُسْتَفْقِرِهَا(١٢٣) الآية، وقُولُهُ
أضواء البيان

354

تاعلى: {ّبُلِّبَ اللهُ آيَللَّهِ وَالنَّهَارِ إِنَّهُ فِي ذَلِكَ لَقُوَّةً لَّأولِ الأَبْصَرِ}، وقوله
تاعلى: {ّقُل أَرْبَعْنَةَ بَقْتُ يَسْلِمُكَ اللَّهُ إِلَىٰ وَيَتَّجِهُ إِلَىٰ وَيَتَّجِهُ اللَّهُ إِلَىٰ يَسْلِمُكَ} {ّقُل أَرْبَعْنَةَ بَقْتُ عَلَىٰكَ اللَّهُ إِلَىٰ وَيَتَّجِهُ إِلَىٰ يَسْلِمُكَ} {ّهَلَيْكَ ثُمَّ كَلَّمَهُ اللَّهُ} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ فِيهَا} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ فِيهَا} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} فَنَفَسُهُ. وَقَوْلُهُ تاعلى: {ّوَهُوَ أَلْلَهُ اِلْحَيَّ} / وَيُمِيتُ وَلَهُ}

{
أَحْلَفَ الْبَيْنَيَّةَ وَالنَّهَارِ أَفْلَامٌ ثُمَّ كُلُّ أَفْلَامٍ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وأما الخامس منها وهو: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به وإنبات الرزق فيها، المذكور في قوله: {ّوَمَا أَنَّ اللَّهَ مِنَ السَّمَاوَاتِ رَزَّيْنَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا}، فقد جاء موضحًا أيضا في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى في البقرة: {ّإِنَّهُ يَخْلُصُ السَّمَوَاتَ وَالْأَرْضَ} {ّوَأَحْلَفَ الْبَيْنَيَّةَ وَالنَّهَارِ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} إلى قوله: {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا}، وقوله تعالى: {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ}.

وايضاح هذا البرهان باختصار أن قوله تعالى: {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ} {ّفَإِنْ أَحَبَّ يُمْلَأُهَا} {ّفَلِيْ كُلُّ أَفْلَامٍ} {ّلَا يَشَّرَبُونَ} {ّوَلَا يُمْلَئُونَ}.

إِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ أَحَدٌ غَيْرَهُ أَن يَخْلَقَهُ؟

الجواب: لا.

ثم هب أن الماء قد خلق بالفعل، هل يقدر أحد غير الله أن ينزله إلى الأرض، على هذا الوجه الذي يحصل به النفع من غير
ضرر، بإزاله عن الأرض رشاً صغيراً، حتى تروى به الأرض
تدريجاً، من غير أن يحصل به هدم ولا غرق، كما قال تعالى:
"فرى الوُذْقُ يُخْرِجُ مِنَ الْأَرْضَ"؟
الجواب: لا.
ثم هب أن الماء قد خلق فعلاً، وأنزل في الأرض على ذلك
الوجه الأتمِ الأكمل، هل يقدر أحد غير الله أن يشق الأرض، ويخرج
منها مسار(1) النبات؟
الجواب: لا.
ثم هب أن النبات خرج من الأرض، وانشقت عنه، فهل يقدر
أحد غير الله أن يخرج السنبل من ذلك النبات؟
الجواب: لا.
ثم هب أن السنبل خرج من النبات فهل يقدر أحد غير الله أن
ينمي حبه ويئله من طور إلى طور حتى يدرك ويكون صالحاً للغذاء
والقوت؟
الجواب: لا.
وقد قال تعالى: «إنَّا نَظَرْنَا إِلَى نَكْرِيهِنَّ إِذًا أَنَّهُمْ رَيَّضُونَا إِنَّا مِنْ مَعْصِرِنِهِمْ لَأَلْبَتِ»،
لى جَوْرَهُمْ يُؤْمِتُونَ(3)، وكقوله تعالى: «وَأَنزَلْنَاهُمْ مِنَ الْمَعْصَرِ مَدْرَسَ»،
يَخْرِجُونَ جَنَّتَاهُمْ وَجَنَّتُ الْأَلْفَافِ(4)، وقوله تعالى: «وَآَيَةُ هُمُ الْأَرْضُ
الْأَمْيَةَ أحْيُنَّهَا وَأَخْرَجُنَّهَا بِحِبَاءٍ فَيْنَهُ بَحَاسُّونَ»(5)، والأيات بمثل ذلك
كثيره معلومة.
واعلم أن إطلاقاً تعالى الرزق على الماء، في آية الجاثية هذه،

(1) في المطبوعة: "مسمار"، ونظر ما سيأتي ص 842.
فقد أوضحنا وجهه في سورة المؤمن في الكلام على قوله تعالى: "مَا أَلَّهُ يُرِيكُمۡ إِبَاتٍۢ، وَيَقِيلُ لَكُمْ قَدْ أَنَّ اللَّهَۢ وَرَزَقُكُمۡ نَسۡمَاءًۢ وَرَزَقُكُمۡ آۡيَةًۢ.

وأما السادس منها: وهو تصريف الرياح، المذكور في قوله:  "وَتَصَرَّفَهُمَاۢ إِلَى اللَّهِ" فقد جاء موضحاً أيضاً في آيات من كتاب الله كقوله في البقرة:  "وَتَصَرَّفَهُمَا إِلَى اللَّهِ وَالسَّاحِبِ الۡمُسۡتَخۡرِجُ بَيۡنَ الۡسَۡمَآءِۢ وَالۡأَرَّضِ لَآۡيَتٍۢ"، وقوله تعالى:  "وَيَجِبۡ عَلَيۡهِنَّ أَنْ يُرِسَّ آۡيَتَهُمَاۢ مُۡبِرَرَتۡ"، وقوله تعالى:  "وَأَرۡسَلۡنا آۡيَتَهُمَا لَوۡقَعَ" إلى غير ذلك من الآيات.

/ تنبيه

أعلم أن هذه البراءين العظيمة المذكورة في أول سورة الجاثية هذه، ثلاثة منها من براهين البعث التي يكثر في القرآن العظيم الاستدلال بها على البعث كثرة مستفيدة.

وقد أوضحناها في مواضع من هذا الكتاب المبارك، في سورة البقرة وسورة النحل وغيرهما، وأحلنا عليها مراراً كثيرة في هذا الكتاب المبارك، وسعيد طرفاً منها هنا لأهميتها إن شاء الله تعالى.

والأول من البراءين المذكورة: هو خلق السماء والأرض المذكور هنا في سورة الجاثية هذه:  "إِنَّ فِي ٱلۡخَلۡقِ وَالۡأَرَّضِ ۡلَآۡيَتِۢ"; لأن خلقه جل وعلا للسماء والأرض، من أعظم البراءين على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر لا شك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر.

والآيات الدالة على هذا كثيرة، كقوله تعالى:  "لَحۡلُوۡتَ ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرَّضَ ۡأَلَّهُ ۢلَخۡلُوۡتُنَّ ۚ فَۡۢ أَيُّهَا ٱلنَّاسُۢۢ إِنَّ ۡخَلۡقَ ٱلۡبَيۡحِ ۢلَّهُۢ فَۡۢ أَوْلَٰٓيَّۢ ۢخَلۡقٍ" أي ومن مقدر على خلق الأكبر فلا شك أنه قادر على خلق الأصغر، وقوله تعالى:  "أَوْلَٰٓيَّ ۢخَلۡقٍ".
السموات والأرض يقدر علی أن يخلق مشاهدهم بأن هو الخلق المعلیم(86)  
وقوله تعالى: "أولم بروآ أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعَ مُلَّاقِهِنَّ  
يقدر علی أن يخلق منسوجًا بسیل إله علی كل شيء قدير(87)"  
وقوله تعالى: "أولم بروآ أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مشاهدهم  
الآية، وقوله تعالى: "أتم أَمُّدَّ خلقًا أُمَّانًا فِي نَفْسِهَا  
وأغطس لبیلها وأخرج فحصها وإلآء الأزق بعد ذلك دخلها(76) أخرج منها ماهما  
وسرعها(75) والليل والنهار(74) منزلا لتك perl (88).  

وتنظیر آية النازعات هذه قوله تعالى فی أول الصافات:  
335 فاستخفاهُم أم ( وَأَمَّرْنَّ خَلِقًا مِّنْ خَلِيقٍ) الآية ؛ لأن قوله: "أَمَّمَ خَلِيقًا"  
يشير به إلى خلق السماوات والأرض وما ذكر معهما، المذكور في قوله تعالى: "رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهَا وَرَبُّ الْمُشْدِرِينَ"  
إلى قوله:  
قَآبِعًا يَشَابُ نَافِقٌ  
(89).  

وأما الثاني من البراهين المذكورة: فهو خلقه تعالى للناس  
المرة الأولى؛ لأن من ابتدع خلقهم على غير مثال سابق، لا شك في  
قدره على إعادة خلقهم مرة أخرى، كما لا يخفى.  

والاستدلال بهذا البرهان على البته كثير جدًا في كتاب الله،  
كقوله تعالى: "يَكَآبِيْهَا الْأَلْوَانُ إِنْ كَتَبْنَ بِرَبِّنَا مِنَ الْبَيْعِ فَإِنَا خَلَقْنِي مِنْ  
تَرَابٍ"  
إلى آخر الآيات، وقوله تعالى: "وَصَبَرْنَ حَتَّى مَاتُوا وَنَبَتَّ خَلْقَهُمُ قَالُ  
مِنْ يَمِينِ الْعَلِيمِ وَهُوَ رَيْسُ"  
قَالُ يَحِيُّهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أُولَى مَرْجُو وَهُوَ بِكَلِمَةٍ حَيَا  
عَليِّمٍ"(77)  
وقوله تعالى: "وَبِيَوْلَدِ الْإِلَٰهِ إِنَّهَا فَتْحَةٌ مِّنْ قِبَلِ وَلَمْ يُبْكِي شَيْئًا  
فُورًا كَلَّمَهُ ثُمَّ نَحْصُرُهُمْ  
وَالْسُّبُلِينَ" الآية، وقوله تعالى:  
وَهُوَ الَّذِي يَبْنُوا الأَلْجَحٍ ثُمَّ يَمْسِيُوهُ وَهُوَ  
أُهْرُبُ عَلَيْهِ" الآية، وقوله تعالى:  
فَسِيَّقَوْنَ فِي يَعِيدُونَ قَلِ الَّذِي فَطَرُّنُكَمْ  
(90).
أول مقرر، وقوله تعالى: "كما بدأنا أول حكالي تعيد ممحدًا، وعدًا علمنا إذا كنا فعلين"، وقوله تعالى: "أطيعنا بالخلق الأول بل هما في ليس من خلق جديد، وقوله تعالى: "ولقد عينت النشأة الأول فولا تذكرون"، وقوله تعالى: "وال экономическون الذين الذكر والأثناين من نظفة إذا تمتين، وأنه حذل النشأة الأخرى، وقوله تعالى: "أحسس الأدنى أن يدرك سلكة، يكلط طمن ميتيتين، ثم كأن علقة فدعل سكوتهم بجعل من الرجال الذين الذكور والأثناين، أي ذلك ينديز على أن يحكي الدوام، وقوله تعالى: "أرئين، ورئتين، ولهذا هذا الأمير، لقد حلقته الأدنى في حسن تقويب" إلى قوله: "فما يكذب به بعد إينان" يعني أي شيء

356

/ يحمل على التكذيب بالذين أي بالبعث والجزء، وقد علمت أن خلقنا الأول في أحسن تقويم، وأنه تعلم أنه لا يخفى على عاقل أن من ابتدأ الإيجاد الأول لا شك في قدرته على إعادته مرة أخرى، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما البرهان الثالث منها: وهو إحياء الأرض بعد موتها، المذكور في قوله تعالى في سورة الجاثية: "وما أنزل الله من السماء، يرتفع فأجها، يا الأرض بعد موتها"، فإنه يكثر الاستدلال به أيضاً على البعث في القرآن العظيم؛ لأن من أحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتها: لأن الجميع إحياء بعد موت.

فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: "ويرى الأرض خشعة إذا أرنها علمنا أهترى وربوت إن الذي أحياها لمجي الموت. إنما على كل شيء قدير"، وقوله تعالى: "ودري الأدنى هامدهما فإذا أنزلنا عليها ألمه أهترى وربوت وأركنت من سكالي رجين تهيج. ذلك بأن الله هو الحكيم وأنتم محي الموت. وأنتم على كل شيء قدير" وأن السعادة إيناه لرب فيها وأرك.
سورة الجاثية

الله بَعْثَ مِنْ فِي الْقُبُورِ، وَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْظُرِ إِلَىٰ عَرَاقِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِي الْأَرْضَ بِمَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لِيُنْجِيَ الْمُوَقِتٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَبِيلَٰهُ﴾، ﴿وَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِي الْأَرْضَ بِمَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لِيُنْجِيَ الْمُوَقِتٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَبِيلَٰهُ﴾. ﴿فَأَنْظُرِ إِلَىٰ عَرَاقِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِي الْأَرْضَ بِمَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لِيُنْجِيَ الْمُوَقِتٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَبِيلَٰهُ﴾.

فَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ تَحْيَى الْمُوَقِتُ﴾ أي نبعثهم من قبورهم أحياء كما أخرجنا تلك النمرات بعد عدمها، وأحيينا بإخراجهما ذلك البلد الميت، ﴿فَأَنْظُرِ إِلَىٰ عَرَاقِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِي الْأَرْضَ بِمَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لِيُنْجِيَ الْمُوَقِتٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَبِيلَٰهُ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِي الْأَرْضَ بِمَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لِيُنْجِيَ الْمُوَقِتٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَبِيلَٰهُ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِي الْأَرْضَ بِمَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لِيُنْجِيَ الْمُوَقِتٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَبِيلَٰهُ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِي الْأَرْضَ بِمَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لِيُنْجِيَ الْمُوَقِتٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَبِيلَٰهُ﴾. ﴿وَأَحَيْتَنَّهُ بَلَدَةً مَّيَّتًا كَذَلِكَ تَحْيَى الْمُوَقِتُ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: ﴿ثَلََثُ اِيَنَّكَ اِلَّاَلِّهُ تَسْتَوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾.

أشار جل وعلا لنبيه ﷺ إلى آيات هذا القرآن العظيم، وبين لجاحته أنه يثوا على مثابة بالحق الذي لا يأتيه الباطلم من بين يديه ولا من خلفه.

وما ذكره جل وعلا في آية الجاثية هذه، ذكره في آيات أخرى بلفظه، كقوله تعالى في البقرة: ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ nu al-nuṣūs بَعْضُهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَنْكَ بَلَغَتْنَاهُمْ عِلْمَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ nu al-nuṣūs بَعْضُهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَنْكَ بَلَغَتْنَاهُمْ عِلْمَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ nu al-nuṣūs بَعْضُهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَنْكَ بَلَغَتْنَاهُمْ عِلْمَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ nu al-nuṣūs بَعْضُهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَنْكَ بَلَغَتْنَاهُمْ عِلْمَ الْمُرْسَلِينَ﴾. وقوله تعالى في آل عمران: ﴿وَأَمَّآ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ وَجْهَهُمْ فَقَدْ رَحَمَهُمْ رَحْمَةً جَمِيقًا﴾.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿يَلَّكَ بَعْضُهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَنْكَ بَلَغَتْنَاهُمْ عِلْمَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بمعنى هذه.
ومن أساليب اللغة العربية إطلاق الإشارة إلى البعيد على الإشارة إلى القريب، قوله: «ذَلِكَ أَلْكَتِبٌ» بمعنى هذا الكتاب، كما حكاه البخاري عن أبي عبيدة معمر بن المشي، ومن شواهد قول خفاف بن ندبة السلمي:

فإن تلك خيلى قد أصيب صويمها فعمداً على عيني تيممت مالكاً
تأمل خفافاً إني أنا ذالكاً
يعني أنا هذا.

وقد أوضحنا هذا المبحث وذكرنا أوجهه في كتابنا (دفع إبهام الاضطراب / عن آيات الكتاب) في أول سورة البقرة.

وقوله تعالى: (نِّلْهُوَاهُ) أي نقرؤها عليك.

وأرسل جل وعلا تلاؤتها إلى نفسه؛ لأنها كلامه الذي أنزله على رسوله بواسطة الملك، وأمر الملك أن يتلوه عليه مبلغًا عنه جل وعلا.

ونظير ذلك قوله تعالى: (لا تَكُونِي رَبِّي وَلَسَّنَاكَ لَيَصَّبِحُ يَدَّ) وإن العالي.

جَعَلْتُكَ وَقَأْرَأْتُكَ وَقَأْرَأْتُ الْقُرْآنَ تَأْيِدَتَكَ وَقَأْرَأْتُ الْقُرْآنَ ثُمَّ كَفَّرْتَ بِكَيْدِكَ.

فقوله: (فإذا قرأناه) أي قرأه عليك الملك المرسل به من قبلنا مبلغًا عنا، وسمعته منه، (فاتبع قرائه) أي فاتبع قراءته وأقرأه كما سمعته يقرؤها.

وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: (وَلَّا تَقْرَأْ بِمَعْرِضٍ مِّنْ قَبْلِ أن يَقْضَى إِلَيْكَ وَجِيمِكَ).

وسماعه القرآن من الملك المبلغ عن الله كلام الله وفهمه له هو معنى تنزله إياه على قلبه في قوله تعالى: (قُلْ مَن كَانَ عِدْوًا لِجِبَرِيلِ إِنَّهُمْ رَأَبُونَ عَلَى قَلَبِكَ يَذَّنُونَ إِلَى اللَّهِ)، وقوله تعالى: (وَلَّهُ الْخَزَائِنُ رَبُّ).
سورة الجالبة

ووقله تعالى في هذه الآية: "إِنَّكَ مَلِئُ دُنْيَا الْحَيَوَاتِ وَلَتَكُونِ يَدُ اللَّهِ مُتَّبِعَةً لَّكَ عَلَى مَعْلُومٍ".

الشرعية الدينية.

واعلم أن لفظ "الآية" يطلق في اللغة العربية إطلاقياً، وفي القرآن العظيم إطلاقياً أيضاً.

أما إطلاقاً في اللغة العربية:

فالأول منهمما وهو المشهور في كلام العرب: فهو إطلاق آلية

بمعنى العلامة، وهذا مستفيض في كلام العرب، ومنه قول نابغة ذبيان:

توهمت آيات لها فعرفتها

لستة أعمام وذا العام سابع

ثم بين أن مراده بالآيات علامات الدار في قوله بعده:

/رِمَادَ كَحْلِ الْعَيْنِ لَا يَأْبَى آبِهُ /وَتُؤْهِنِ كَجِدْمٍ الحُوُضُ أَثْلَمَ خَاشَع

وأما الثاني منهمما: فهو إطلاق آلية بمعنى الجماعة، يقولون:

جاء القوم بآيتهم أي بجماعتهم.

ومنه قول برج بن مسهر:

خُرْجْنَا مِنَ النِّقْبِينَ لَا حَي مَثْلًا

بَعْيَتًا نَزْجِي الْلَقَاحِ المِطَافَلا

وقوله: "بَعْيَتَا" يعني بجماعتنا.

وأما إطلاقاً في القرآن العظيم:

فالأول منهمما: إطلاق آلية على الآية الشرعية الدينية، كآيات هذا القرآن العظيم، ومنه قوله هنا: "تَلَكَ ِلْيَسَأَلُهُمَا عَلَيْكَ إِلَّامكِ آيَةً".
وأما الثاني منهما: فهو إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية، كقوله تعالى: "إِيتُّ فِي حُلُقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَخَلَقُ فَأَلِيُّ وَأَلِيمُ لاَ يَلِبِّي لأَوَلِي الْأَلْبَابِ.

أما الآية الكونية القدرية فهي بمعنى الآية اللغوية التي هي العلامة؛ لأن الآيات الكونية علامات قاطعة على أن خالقها هو الرَّب المعبد وحده.

وأما الآية الشرعية الدينية، فقال بعض العلماء: إنها أيضاً من الآية التي هي العلامة؛ لأن آيات هذا القرآن العظيم علامات على صدق من جاء بها، لما تضمنته من برهان الإعجاز، أو لأن فيها علامات يعرف بها مبدأ الآيات ومتناها.

وقال بعض العلماء: إنها من الآية بمعنى الجماعة، لتضمنها جملة وجماعة من كلمات القرآن وحروفه.

واختار غير واحد أن أصل الآية أَيْن أَيْن أو ألْفَا أَيْبُدْلَ بعَدَ فَمْتَصِلْ، إن حرك الناعم.

وقلته: من ياء أو واو بتحريك أَيْبُدْلَ بعَدَ فَمْتَصِلْ، إن حرك التالي... إلخ.

والمعلوم في علم التصرف، أنه إن اجتمع موجباً إعلال في كلمة واحدة، فالأكثر في اللغة العربية تصحيح الأول منهما وإعلال الثاني بإبدال ألفاً، كاللهوى والنوى والطوى والى، وربما صيح الحادي واعل الأول، كغابة ورائة وآية، على الأصح من أقوال عديدة.
ومعولون أن إعلالهما لا يصح، ولهذا أشار في الخلاصة بقوله:

وإن لحرفين ذا الإعلال استحق صحيح أول وعكس قد يحقق

قوله تعالى: "فَقَالَ حَدِيثٌ بَعْدَ أَنْبَيْهِ بِاللهِ يَوْمِانِ يُؤْمِنُونَ وَيُؤْمِنُونَ لِكُلِّ أُفُوْقٍ أَيْمَٰٰٓٓٗ يَسْمَعُ عَادتْ اللهِ تُطِعُّهُمْ تُصِيرُ مُسْكِنًا كانَ لَّمْ يَسْمَعُنَّهَا فَقَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ."

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن من كفر به ويايات الله ولم يؤمن بذلك مع ظهور الأدلة والبراهين على لزوم الإيمان بالله وآياته، أنه يستبعد أن يؤمن بشيء آخر؛ لأنه لو كان يؤمن بحديث لنا من الله وآياته لظهور الأدلة على ذلك، وأن من لم يؤمن بأيات الله متعدد بالويل، وأنه أفكار أمين، والأفكار: كثير الإفك وهو أسوأ الكذب، والأفك: هو مرتكب الإفك بقلمه وجوارجه، فهو مجري وقلمه ولسانه وجوارجه = قد ذكره تعالى في غير هذا الموضع، فتوعد المكذبين لهذا القرآن بالويل يوم القيامة، وبين استبعاد إيمانونهم بأي حديث بعد أن لم يؤمنوا بهذا القرآن / وذلك بقوله في آخر المرسلات: "وَإِذَا قَالَ مَثَلُ الْيَوْمِ الْأَخِرِ لَهُمْ يَرْكُوبُونَ وَفَيْلٌ يَوْمٍ يَوْمًا يُؤْمِنُونَ فَيَأْتِيَ حَدِيثٌ بَعْدُ هُمْ يُؤْمِنُونَ"، فقوله تعالى: "وَفَيْلٌ يَوْمًا يُؤْمِنُونَ لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ".

كقوله هنا: "وَفَيْلٌ لِكُلِّ أُفُوْقٍ أَيْمَٰٓٓٗ.

وقد كرر تعالى وعَد المكذبين بالويل في سورة المرسلات كما هو معلوم، وقوله في آخر المرسلات: "فَقَالَ حَدِيثٌ بَعْدُ هُمْ يُؤْمِنُونَ.

كقوله هنا في الجلالة: "فَقَالَ حَدِيثٌ بَعْدُ، أَنْبَيْهِ يَوْمِانِ يُؤْمِنُونَ".

ومعلوم أن الإيمان بالله على الوجه الصحيح يستلزم الإيمان بآياته، وأن الإيمان بآياته كذلك يستلزم الإيمان به تعالى.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "يسمعوُ آمناتٍ تلَّى عليهُمْ، يبهرُ مستكبيرًا كأن لَّوْ سمحت لهُ بهذَا أليمٌ" يدل على أن من يسمع القرآن يتلى ثم يصر على الكفر والمعاصي في حالة كونه مستكبرًا عن الانقياد إلى الحق الذي تضمنته آيات القرآن كأنه لم يسمع آيات الله، لِلهِ البشارة يوم القيامة بالعذاب الأليم وهو الخلود في النار.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في لفظ: "وَإِذَا تَنُّلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ وَأَلْقىْ عَلَيْهِمْ مَسْتَكِبْرًا، كَانَ لَّوْ يَسْمَعُونَهُ كَانَ فِي ذِنْهَا وَقَرَأْ فِي تَرْكِبٍ أَلْمَينِ"، وقوله تعالى في الحج: "وَإِذَا تَنُّلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ بَيِّنَّتٌ تَعْرُفُ فِي وَجُوُورِهِ كَانَ كُفْرًا مُّنِبَّئًا"، وقوله تعالى في المنبئ: "يا بني آدم أو تلتّوا آياتنا طعن الله عليهم حكماً وابنوا أحوالهم ماذا قال علّق أولاً أُولٌ أهل النار!"، فقوله تعالى عنهم: (ماذا قال آنذا) يدل على أنهم ما كانوا يبالون بما يتلو عليهم النبي ﷺ من الآيات والهدى.

وقد ذكروا كثيرًا من الآيات المتعلقة بهذا الموضوع في سورة البقرة. فنص لفظية: "فأطعن أَوَّلْ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُونًا فِي أَسْبَنُ أَصْدَعُونَ إِلَيْهِ وَقَوْلاً مَّنْ أَنْفَسُا وَقُرْنِم بِيِنْنَا وَبيِنْكِ بَجَابٍ" الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية: "كان لَّوْ سمعها" خففت فيه لفظة (كان)، ومعنى أنه: إذا خففت كان اسمها مقدراً وهو ضمير الشأن والجملة خبرها، كما قال في الخلاصة: وخففت كأَن أَيْضاً فَنْوَيَ منصوبها وثابتاً أيضاً رُوِيَ.
وسنة جائزة

وقد قدمنا في أول سورة الكهف، أن البشارة تتعلق غالباً
على الإخبار بما يسر، وأنها ربما أطلقت في القرآن وفي كلام
العرب على الإخبار بما يسوء أيضاً، وأوضحنا ذلك بشواهده
العربية.

وقوله في هذه الآية الكريمة: "وَيَلُّكُلُّ أَفَالَآ أَيْمَهُ".

قال بعض العلماء: (ويل) واد في جهنم.

والآخرون أن لفظة (ويل) كلمة عذاب وهلاك، وأنها مصدر
لا لفظ له من فعله (1)، وأن المسؤولة للابتذال بها مع أنها نكرة كونها
في معرض الدعاء عليهم بالهلاك.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "فَأَيُّ حَدِيثٌ مَّعْدُودٌ أَيْمَهُ وَأَكْتِبَهُ؟"

(يؤمنون) بباء الغيبة.

قرأه نائف، وأبي كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم:

(يؤمنون) بباء الخطاب.

وقرأ ابن عامر، وحمزه، والكسائي، وشببة عن عاصم:

/ وقرأ ورش عن نائف، والسوسي عن أبي عمرو: (يؤمنون)

بإبتدال الهمزة وواواً وصلنا ووقفاً.

وقرأ حمزة بإبتدال الهمزة وواواً في الوقف دون الوصول.

والباحثون بتحقيق الهمزة مطلقاً.

(1) هذا سبب قلم من الشيخ، صوابه: لا فعل له من لفظه.
قوله تعالى: "ولا يعلم من آتينا شيئاً أخذها هزواً ولا تكلهم". عذاب مهين.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة توعد الأفلاك الأئثيم بالويل، والبشراء بالعذاب الأليم.

وقد قدمنا قريباً أن من صفاته أنه إذا سمع آيات الله تتناول عليه أسر مستكبراً كان لم يسمعها، وذكر في هذه الآية الكريمة أنه إذا علم من آيات الله شيئاً اتخذها هزواً أي مهروساً بها، مستخفًا بها، ثم توعده على ذلك بالعذاب المهين.

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن الكفار يتخذون آيات الله هزواً، وأنهم سيعذبون على ذلك يوم القيامة، قد بينه تعالى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى في آخر الكهف: "ذلك جزاؤكم جههم بما كفرواً وأتخذوا عباداً خيرًا ونبيين هزواً"، وقوله تعالى في الكهف أيضاً: "وأجل الذين كفروا بأبائهم ونجاتهم ونذعلوهما هزواً ونورهداهنا بلفاتين ونضلهم ونفخ في نفخهم". وقوله تعالى في سورة النجمية هذه: "وفيي الأيام تمسكنا كأن كتبنا لهها يوم يخرجون من نصرين". وذلك بآخره: "هزواً أنبيت الله هرواً".

والآية.

ورأى هذا الحرف عامة القراء السبعة غير حمزة وحفظ عن عاصم: (هزواً) بضم الزاي بعدها همزة محقة.

ورآه حفص عن عاصم بضم الزاي وإبدال الهمزة وواو.

ورآه حمزة (هزواً) بسكون الزاي بعدها همزة محقة في حالة الوصل، وأما في حالة الوقف، فعن حمزة نقل حركة الهمزة إلى
الزاي فتكون الزاي مفتوحة بعدها ألف، وعنه إبدالها واوً محركة بحركة الهمزة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٠٦" أي لأن عذاب الكفار الذين كانوا يستهزؤون بآيات الله لا يراد به إلا إهانتهم وحزيهم وشدة إيلامهم بأنواع العذاب، وليس فيه تطهير ولا تمحيص لهم، بخلاف عصاة المسلمين فإنهم وإن عذبوا فسيترون إلى الجنة بعد ذلك العذاب، فليس المقصود بعذابهم مجرد الإهانة بل ليؤلو بعده إلى الرحمة ودار الكرامة.

قوله تعالى: "فُتِّنُ وَرَأُبِيْهِمْ جَهَنْمَ ۚ وَلا يُغْنُي عَنْهُمْ مَّا كَسَبَّوْا ١٠٧" شَيْيًا وَإِلاَّ مَا أَخَذُوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَٰٓيَاءَ ۚ وَفِيمْ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠٨.

قوله تعالى: "فُتِّنُ وَرَأُبِيْهِمْ جَهَنْمَ ۚ قَدْ قَدَّنَا الْآيَاتِ المُوضِحَةَ لِهَا ١٠٩" مع الشواهد العربية في سورة إبراهيم في الكلام على قوله تعالى: "وَأَسْتَظْهَارًا وَأَذَابُ ۗ جَنَّاتًا عَظِيمَةً ۗ فِي وَرَأَبِيْهِمْ جَهَنْمَ ۚ الْآيَةَ، وَبِينَا ١١٠" هنا أن أصح الوجهين أن وراء بمعنى أمام.

فمعنى (من وراء جهنم) أي أمامه جهنم يصلها يوم القيامة، كما قال تعالى: "وَكَانُ وَرَآئُهُمْ مَلِكٌ يَحْذِرُ كُلَّ سَفَنَةٍ عَصْبًا ١٠٨ " أي أمامهم ملك.

وذكرنا هناك الشواهد العربية على إطلاق وراء بمعنى أمام، وبينا أن هذا هو التحقق في معنى الآية، وكذلك آية الجاثية هذه، فقوله تعالى: "فُتِّنُ وَرَأُبِيْهِمْ جَهَنْمَ ۚ أي أمامهم جهنم يصلونها يوم القيامة.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «ولا يُقُرِّنَّ عَنْهُمَا كَسَبْوا شَيْئًا وَلَكَّمَا أَخَذَوْا مِنَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَهُ».

أوضح فيه أن ما كسبه الكفار في دار الدنيا من الأموال والأولاد لا ينبغي عليهم شيئًا يوم القيامة، أي لا ينفعهم بشيء، فلا يجلب لهم بسببه نفع ولا يدفع عنهم بسببه ضر، وإنما اتخذوه من الأولياء في دار الدنيا من دون الله، كالمعبدات التي كانوا يعبدونها ويزعمون أنها شركاء لله، لا ينفعهم يوم القيامة أيضاًشيء.

وهاتان المسألتان اللتان تضمنتهما هذه الآية الكريمة، قد أوضحهما الله في آيات كثيرة من كتابه.

أما الأولي منهما: وهي كونهم لا ينبغي عليهم ما كسبوا شيئاً.


وأما الثاني منهما: وهو كونهم لا ينبغي عليهم ما كسبوا شيئاً.

فقد أوضحها في آيات كثيرة، كقوله تعالى: «وَلا تَعْلَمُونَ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۡوَلَا يَنْفَعُ مَا لَا بُدُّنَوْا ۡوَلَا يَبْلُغُونَ الْآيَةَ»، وقوله تعالى: «وَلَا أَمْوَلُكُمْ وَلَا أَنْتَكَرُونَ إِلَّا مَنْ أَتَّبَعَ اللَّهَ</code>
سورة الجالبة

"أن تُنَفِّضُ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَآ أُلْدُهُمْ مِنَ اللَّهِ وَلَا شِيْئًا مِّنَ الْبَيْنَةِ " الآية.

والأيات بمثل هذا كثيرة جداً، وقد قدمنا كثيراً منها في مواقف متعددة من هذا الكتاب المبارك.

وأما الثانية منهما: وهي كونهم لا تنفعهم المعابدات التي اتخذوها أولياء من دون الله، فقد أوضحها تعالى في آيات كثيرة، كقوله تعالى في هود: "وما أطالت أوقالتهم وليكن طلماً أنفسهم" فما أعطت عنهم هالهم آلهة يدعون من دون الله من شعب لما جاء أمي زية وما رادوه من غير تنبيه"، وقوله تعالى "قلو نصرهم الذين أخذوا من دون الله قربًا"، وقولة تعالى: "يأملون أن يسواء وذل ذلك إنكم وما كنا نبتروتك"

"وفيما أدعوا شركاء فأورفعه فلتيجوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهدون"، وقوله تعالى: "ويوم يقول نذرواء شركاء الذين زعمتم فذروهن فلتيجوا لهم وجلتكا بنمك"، وقوله تعالى: "ومن أصل ممن يدعون من دون الله من لا يستجيب له إلي يوحي القبضة وهم عن دعاهه عليهم غفلونا و إذآ أخبر الناس كانوا لهم أعداء الآية، وقوله تعالى: "ذل لكم الله زكيم للملك وذكريم توعون من دونه ما بكيكون من قطير إن تدعون لا يسمعواك إلا كفر ولو سمعوا ما استجابنا لكر وقَامَ الْقَبْضَةُ يَكُونُون يبَحْرُكم ولا يبَحْرُكم مثل عينت"، وقوله تعالى: "ولم أطيعك من دون الله إلهي ليكون لكم عنا"، كالسيكرون يعادونهم ويكونون عليهم ضدهم، وقوله تعالى: "والإنا لم أتخذ من دون الله أوثانا موضع بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم بعضاً ويُلَعَّبُ بعضكم بعض ويُلَعَّبُ.

"وقوله تعالى في هذه الآية الكريم: "ولا ما أطغوا من دون الله أولىهم"، الأولياء: جمع ولياً، والمراد بالأولياء هما: المعابدات 347
التي يوالونها بالعباده من دون الله، (وما) في قوله: {ما كسبوا}
و {ما أعذوا} موصولة، وهي في محل رفع في الموضعين؛ لأن (ما)
الأولى فاعل (يغني)، (وما) الثانية مفعولًا عليها، وزيادة (لا) قيل
المعروف على منفي معروفة.

وقوله: {وللِّغَيْفِي} أي لا ينفع. والظاهر أن أصله من الغناء،
بالفتتح والمد، وهو النفع.

ومنه قوله الشاعر:

وقل غناء عنك مال جمعته إذا صار ميراثاً وواراك لأحدٍ
فقوله: {قل غناء} أي قل نفعاً. وقول الآخر:
قل الغناء إذا لاقى الفتى تلقاً قول الأحبة لا تبعد وقد بعداً
فقوله: {الغناء} أي النفع.

والبيت من شواهد إعمال المصدر المعرف بالألف واللام؛ لأن
قوله: {قول الأحبة}، فاعل قوله {الغناء}.

وأما الغناء، بالكسر والمد، فهو الألحان المطربة.

وأما الغني، بالكسر والقصر، فهو ضد الفقر.

وأما الغني، بالفتتح والقصر، فهو الإقامة، من قولهم: غني
بالمكان، بكسر النون، يَغْنِي، بفتحها، غني، بفتحتين، إذا أقام به.

ومنه قوله تعالى: {كَانَ لَمْ تَنْفَعَ إِلَّا لِلَّدَمِرَ}، وقوله تعالى: {كَانَ}
لَمْ يَنْفَعُهُمْ كأنهم لم يقيموا فيها.

وأما الغني، بالضم والقصر، فهو جمع غني، وهي ما يستغني به
الإنسان.
سورة الجاثية

وأما الغُناء، بالمد والضم، فلا أعلمه في العربية.

وهذة اللغات التي ذكرناها في مادة "غنى" كنت تلقيتها في أول شبابي في درس من دروس الفقه، لقنتها شيخي الكبير أحمد الأقرم بن محمد المختار الجكني، وذكر لي بيتتي رجيز في ذلك لبعض أفضال علماء القطر وهم قوله:

"وضع فقر كإليه، وكسحب النفع، والمطرب أيضاً ككتاب 348
وكفتي إقامة، وكهننا جمع لغنية لما به الغني"

قوله تعالى: "هَنَذَا هَذَا الَّذِينَ كَفَرُواْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ مُّدَمَّرَ.

وَمِنْ يَجِرْ مَلِكٌ أُلُوِّجٌ".

الإشارة في قوله: "هَنَذَا هَذَا" راجعة للقرآن العظيم المعبر عنه بآيات الله في قوله: "يَا بُيَابَتِ أَلَّهُ"، وقوله: "فَإِنَّ هَذَا حَدِيثُ يَوْمِ الْيَوْمِ نُبَيْنِيْهَا" الآية، وقوله: "يَسَعُ كَبْرَكَ أَنْ تُتْلَى عَلَيْكَ"، وقوله: "وَلَوْ أَعْلَمَ مِنْ آيَاتِيْنِ شَيْئًا".

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن هذا القرآن هدى، وأن من كفر بآياته له العذاب الأليم، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع.

أما كون القرآن هدى، فقد ذكره تعالى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: "وَلَمْ يَكُنْ فِي هَا ذَا الْقُرْآنِ شَيْئًا يَشَتَّبَهُ بِهِ شَيْءٌ مِّنْ دُونِهِ القُرْآنِ"، وقوله تعالى: "وَنَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِرَيْعٍ عَرْضَةٍ لَّكُمْ وَرَحْمَةٌ وَبِشْرَىٰ لِّلنَّاسِ"، وقوله تعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ بَيْنِي وَإِنَّهُ مَثْلُهُ هُدُّيْهَا لأَقِيمْ، وقوله تعالى: "شَهِرٌ رَمَضَانُ الَّذِيَ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هَذَا لِتَذَاكَرِيْ وَيَتَبَيَّنَ مِنْ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ"، وقوله: "اللَّهُمَّ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَبِّ
في هذ الْمَلْكَينَ ۛ، وقدره تعالى: \( \text{فَلَهُ الْيَدِينَ} \) \( \text{وَاسْمُوا هَذَا} \) وشَفَكَاهَا، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وأما كون من كفر بالقرآن يحصل له بسبب ذلك العذاب الأليم، فقد جاء موضوعًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: \( \text{وَمَن يَكْفُرُ} \) \( \text{بِهِ} \) \( \text{الْحَرْبَ} \) فَالْحَرْبُ مَوْعَدُمُ فَلَا تُلْكَ فِي مَثْعُوبَةٍ الآية، وقوله تعالى: \( \text{وَقَدْ} \) أَنْبَكَنَا مِن أًدُنَا وَصَرَّ فَمَنْ أَعَزَّ عَنْهُ إِنْ كَيْنَ يَحْسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَزُوْنَا حَسَبَاهُنَا فينْسَأَهُمْ وَهُمْ الْقَبْلَةُ / جَالِسَةَ،\) وقوله تعالى: \( \text{ذَلِكَ} \) \( \text{جَرَّ أَوْمَٰظَ جَمِيعَ يَا} \) كفرًا واتّقاداً أَيْنِ أَرْسِلُ هُما، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة.

وقد قدمنا في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: \( \text{وَأَمَّا} \) نَمُودُ فِهْدِيَتِهِمْ الآية، وغير ذلك من المواضيع، أن الهدى يطلق في القرآن إطلاقاً عامةً بمعنى أن الهدى هو البيان والإرشاد وإيضاح الحق، كقوله: \( \text{وَأَمَّا} \) نَمُودُ فِهْدِيَتِهِمْ أي بينا لهم الحق وأوضحنا وأرشدناهم إليه وإن لم يتبعوه، وقوله: \( \text{هَذُّنَ لِلْمَكَازِسِ} \)، وقوله هنا: \( \text{هَذَا} \) هُدًى، وأنه يطلق أيضًا في القرآن بمعنى الخاص وهو التفضل بالتوافقي إلى طريق الحق والاصطفاء، كقوله: \( \text{هَذِى} \) لَمْتَىٰ ءَامَنْتُ أَمْناَهَدْتُ وَشَفَكًا، وقوله: وَاللَّيْلَيْنَ أَهَمِّدْنَا ذَلِكَ هَذَا، وقوله: \( \text{أَوْلَٰئِكَ} \) أَلَيْنَ هَذِهِ الْأَمَانِ لَمِنْهُمْ أَفْقُهُمْ، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أوضحنا فيما في سورة فصلت أن معرفة إطلاق الهدى المذكورين، يزول بها الأشكال الواقع في آيات من كتاب الله.

والهدى مصدر هداه، على غير قياس، وهو هنا من جنس النعت بالمصدر، وبينما فيما مضى مرارًا أن تنزل المصدر منزلة الوصف إما على حذف مضاف، وإنما على المبالغة.
وعلى الأول، فالمعنى: هذا القرآن ذو هدى، أي يحصل بسببه
الهدى لمن اتبعه، كقوله: "إِنَّ هَذَا الْقُرآنُ يُهْدِي لِلِّبَنِي إِسْرَائِيلَ آمَنِ"
وعلى الثاني، فالمعنى: أن المراد المبالغة في اتصاف القرآن
بالهدى حتى أطلق عليه أنه هو نفس الهدى.

وقوله في هذه الآية الكريمة: (لهم عذاب من رجز أليم)، أصح
القولين / فيه أن المراد بالرجز العذاب، ولا تكرار في الآية؛ لأن
العذاب أنواع متفاوتة، والمعنى: لهم عذاب من جنس العذاب
الأليم، والأليم معناه المؤلم، أي الوصوف بشدة الألم وفظاعته.

والتحقيق إن شاء الله: أن العرب تطلق الفعل وصفاً بمعنى
المُفَعَّل، فما يذكر عن الأصمعي من أنه أنكر ذلك إن صح عليه فهو
غلط منه؛ لأن إطلاق الفعل بمعنى المُفَعَّل معروف في القرآن العظيم
وفي كلام العرب، ومن إطلاقه في القرآن العظيم قوله تعالى:
(عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي مؤلم، وقوله تعالى: (بِيَدَيْنِ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي
مبعدهما، وقوله تعالى: (إِنَّ هُوَ الَّذِي لَمْ يُدْخِلْ لُكْمَ) الآية، أي منذر لكم،
وتنظر ذلك من كلام العرب قول عمر بن معد يكرب:

أمن ريحانة الداعي السمعي يؤرقتني وأصحابي هجوع
فقوله: "الداعي السمعي" يعني الداعي المُسيمخ. وقوله أيضاً:
وخيل قد دلفت لها بْحَيْلٍ
تحية بينهم ضرب وجيع
أي موجع. وقول غيلان بن عقبة:
ويرفع من صدور شمردلات
يصعب وجهوها وهج أليم
أي مؤلم.
وقرأ هذا الحرف عامة السبعة غير ابن كثير وحفظ عن عاصم:
(من رجز آليم) بخفاض (آليم) على أنه نعت له (رجز).
وقرأ ابن كثير وحفظ عن عاصم: (من رجز آليم)، برفع
(آليم) على أنه نعت له (عذاب).

* قوله تعالى: "أَنُعِمَّ اللَّهُ عَلَى الْبَـحْرِ لِجُرِّي الْفَلَكِ فِيهِ
بِأَزْقِهِ وَلَبَنَغْوُونَ فِيهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" ١٣.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل في الكلام على
قوله تعالى: "وَهُوَ الْرَّحْبِ الْبَـخْرِ يَتَأَصِّلُوا مَنْهُ لَحْمًا طَرْبًا" الآية، وفي سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: "وَاللَّدِي خَلَقَ
الْأَرْضَ كَلِهَا" إلى قوله: "وَمَاتَكَا مَعْطَفَيْنَ" ١٦.

* قوله تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فِي ضُرْعَهُ مِنْ آسَاءَ
فَعِلْنِيَّهَا" ١٥.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة بني إسرائيل في الكلام
على قوله تعالى: "إِنَّ أَحَسْنَتَكُمْ أَحْسَنَتُكُمْ لِلَّهِ" الآية، وفي غير ذلك
من المواضع.

* قوله تعالى: "وَفَضَّلْنِمُّ الْعَلَّامِينَ" ١٦.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه فضل بني إسرائيل على
العالمين.

وذكر هذا المعنى في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى في
سورة البقرة: "يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذَكَّرُوا نِعْمَتَيْنَ آيَتَيْنَ أَنْعَبَتْ عَلَيْكُمْ وَأَيْنَ فَضَلْناكَ عَلَّ
العالمين في الموضعين، وقوله في الدخان: «ولقد أخمنتهم على علماً على العالمين»، وقوله في الأعراف: «قال أطيع الله أبنا يحيى»، إلّا أنها وهى فضلتكم على العالمين.

ولكن الله جل وعلا بين أن أمة محمد خير من بني إسرائيل وأكرم على الله، كما صرح بذلك في قوله: «كنتم خير أمة أخرجت للعالمين وملموم» الآية. ف(خير) صيغة تفضيل، والآية نص صريح في أنهم خير من جميع الأمم، بني إسرائيل وغيرهم.

ومما يزيد ذلك إيضاحاً حديث معاوية بن حيدة التشري رضي الله عنه أن النبي قال في أمته: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»، وقد رواه عن الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم، وهو حديث مشهور.

وقال ابن كثير: حسن النذر، ويروي من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه.


واعلم أن ما ذكرنا من كون أمة محمد أفضل من بني إسرائيل كما دلت عليه الآية والحديث المذكوران وغيرهما من الأدلة لا يعارض الآيات المذكورات آنفًا في تفضيل بني إسرائيل، لأن ذلك التفضيل الوارد في بني إسرائيل ذكر فيهم حال عدم وجود أمة محمد والمعدد في حال عده ليس بشيء حتى يفضل
أو يفضل عليه، ولكنه تعالى بعد وجود أمة محمد صرح بأنها خير الأمم.

وهذا واضح؛ لأن كل ما جاء في القرآن من تفضيل بني إسرائيل، إنما يراد به ذكر أحوال سابقة؛ لأنهم في وقت نزول القرآن كفروا به وكتبوا كما قال تعالى: فنَّذَّبَهُمَا جَآءَتَهُمَا مَا عَرَفُوا

وكما قال الله تعالى: وعلما أن الله لم يذكر لهم في القرآن فضلاً إلا ما يراد به أنه كان في زمنهم السابق لا في وقت نزول القرآن.

وعلما أن أمة محمد لم تكن موجودة في ذلك الزمن السابق الذي هو ظرف تفضيل بني إسرائيل، وأنها بعد وجودها صرح الله بأنها هي خير الأمم، كما أوضحنا. والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: فَأَنْعَمْهَا.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: فَأَسْتَجِنَّكَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّكَ عَلَى صُرْطٍ مُسْتَقِيمٍ.

* قوله تعالى: وَلَا تَسْتَعْهَوْا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.

نهى الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريم عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون.

وقد قدمنا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: لا تجعل مِّن ذَٰلِكَ وَأَحْيَاهُ فَثُلُثٌ مَّعْنَى مَّنْ عَلَّمُونَا. أنه جل وعلا بأمر نبيه محمدًا وينهاه، ليشرع بذلك الأمر والنهي لأمه، كقوله هنا:

* ولَا تَسْتَعْهَوْا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.
وملوم أنه لا يتبع أهواء الذين لا يعلمون، ولكن النهي المذكور فيه التشريع لأمته، كقوله تعالى: "ولأ تطيع مثمنًا إلّا أو كفرون"، وقوله تعالى: "فلا تطيع المكذبين"، وقوله: "ولأ تطيع كل حماي مهين"، وقوله: "ولأ تحصل مع الله إلينا ما خير"، وقوله: "لَيْسَ أَشْرَكَتُ لَيْحَجُّ عَلَيْكُمُ الْعَلَكَ"، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد بين الأدلة القرآنية على أنه يخاطب، والمراد به التشريع لأمته، في آية بني إسرائيل المذكورة.

وأما تضمئته آية الجاثية هذه، من النهي عن اتباع أهوائهم، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى في الشورى: "وَلَا تَنْبِئُ أُهُواهُمْ وَقَدْ أَسْتَنْعَرْتُمُهُمْ أَنْ أَتُّرُكُونَ ۖ وَقَدْ أَنْزَلْنَا سَكَّيْنَبَ"، وقوله تعالى في الأعرام: "فَإِنَّ شَهِيدًا فَلَا تَشْهَدَ مَعْهُ وَلَا تَنْبِئُ أُهُواهُمْ كُذَّبَ تِبَّانَا وَأَلَّهَيْنِ لَا يُؤَمِّنُونَ بِالْجِهَادِ وَهُمْ يُرْتِهِمْ بَعْدُ مَلِيْقَةً"، وقوله تعالى في القصص: "فَإِنَّ أَلِيَّاً سَيُجِيبُكَ لَكَ فَأَيْمَنُ أَنَا سَيَهْبُنَ أُهُواهُمْ وَمِنْ أَصْلِ ٓعَرْقِيَّ أَنْبِعَ هُوْنَا"، وعُرْقُهُ هُذَا يَبْعِرُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقُوَّمِ الْأَظْلَمِينَ، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وقد بين تعالى في قد أفلح المؤمنون أن الحق لو اتبع أهواءهم لفسد العالم، وذلك في قوله تعالى: "وَلَّيْ أَتْبَعَنَ أَلْحَقَ أُهُواهُمْ لَفَسَدَتْ آنَسَمَانِ وَأَلْبَسَتْ وَمَا فِيهَا".

والأهواء: جميع هُؤُلَى بفتنتين، وأصله مصدر، والهمزة فيه مبدلة من ياء كما هو معلوم.

* قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَأَنَّ أَظْلَمِينَ بَعْضَهُمْ أَوْلَٰٓيَاءَ بَعْضٍ".

قد قدمنا في هذا الكتاب المبارك مرازاً أن الظلم في لغة العرب أصله وضع الشيء في غير موضعه.
وأن أعظم أنواع الشرك بالله لأن وضع العبادة في غير من خلق ورزق هو أشنع أنواع وضع الشيء في غير مواسمه. ولذا كثير في القرآن العظيم، إطلاق الظلم بمعنى الشرك، كقوله تعالى: {والكفرُون هُم اللَّهُ}. وقوله تعالى: {ولَم تَجِ نَا دُونَ اللهِ ما لَ يَفْعَلَ ولَا يَضَرَّكَ فإن قُلْتَ فَاللَّهُ إِذَا فَتَرَكْتَ.}، وقوله تعالى: {وَقَالَ يَوْمَ الْيَوْمِ عَلَى بُدنِهِ يَكُونُ يَنْبِئُيُّ ابْنَيِهِ ابْنِيَّ الرَّسُولِ سَيْلَا}. وقوله تعالى عن لقمان: {يَبْعَثُ لَا تَشُرِّكُ بِي إِنَّ الْأَلْبَارَ لَظَلَّلُ عُظِيمُ}. وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ فسر قوله تعالى: {اللَّهُ اسْتَؤْنَى وَلَيْسَوا إِيمَانُهُمْ / يَطْلُبُونَ}. بأن معناه: ولم يلبسوا إيمانهم بشرك.

وأما تضمنتها آية الجائزة هذه من أن الظلمين بعضهم أولياء بعض، جاء مذكورةً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في آخر الألفالف: {وَلَّيْنَ كَفَرُوا بِعِبَادَتِي أُولِيَايَ بِعِبَادَتِهِمْ إِلَّا تَفْعَلُونَهُمْ فِي الأَرْضِ وَقَدْ سَكَرَبُونَ}.، وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُفِّيَ بَعْضُ الْكَافِرِينَ بَعْضًا يَكُونُ كَانُوا يُكْبِسُونَ}.، وقوله تعالى: {وَلَيْسَ كُرُوا أُولِيَايُؤْمِنُونَ الْأَطْلَعُونَ}.، وقوله تعالى: {يُخَجَّرُونَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ إِلَى الْكَبَارَةِ}.، وقوله تعالى: {يُقَلِّبُونَ اقْطَرْاً}.، وقوله تعالى: {فَقَلِبْنَا أُولَياَ الْكَبَارَةِ}.، وقوله تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكَ أَلْفَاظُ يُفَوَّهُ أُولَياَ ؛}.، وقوله تعالى: {إِنَّمَا سُلَطْنُهُ عَلَى الْذُّبَّاَرِ يَتَوَّلُونَ}. الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: {وَاللَّهُ وَلَدَنَا إِلمَهْيَ}. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه ولي المتقيين، وهم الذين يمثلون أمره ويجتيبون نهيه.
وذكر في موضع آخر أن المتقين أولياؤه، فهو وليهم وهم أولياؤه؛ لأنهم يوالونه بالطاعة والإيمان، وهو يوالينهم بالرحمة والجزاء، وذلك في قوله تعالى: "ألا إِنَّ أَوْلَياءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْفُونَ كَثِيرًا".

ثم بين المراد بأوليائه في قوله: "الَّذِينَ أُمِّتُوا وَصََّارُوا يَتَّقُونَ"، قوله تعالى: "وَكَانُوا يَتَّقُونَ" كقوله في آية الجاثية هذه: "وَلَا رَبَّكَ وَلَا مَنْ يَشْرَكُنَّ".

وقد بين تعالى في آيات من كتابه أنه ولي المؤمنين، وأنهم أولياؤه، قوله تعالى: "إِنَّهُمْ وَيَدُونُ اللَّهُ وَرسُولُهُ الْآيَةَ وَقُولُهُ تَحْكَمَنَّهَا فَمَنْ أَتَمَّ مِن الْأَطْلُسِ إِلَى النَّورِ"، قوله تعالى: "لِيُنَزِّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّلِيمَانَ"، قوله تعالى في الملائكة: "قُلُوا سَبِينَةُ أَنتَ وَلِسَانُ مَنْ دُونِهِمْ الآية، إلى غير ذلك من الآيات، كما تقدم إيضاحه بأيض من هذا.

قوله تعالى: "هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهَذَا وَرَحْمَةٌ لِّفَوْرِ.

الإشارة في قوله: "هَذَا" للقرآن العظيم.

والأصائر جمع بصيرة، والمراد بها البرهان القاطع الذي لا يترك في الحق لبسا، كقوله تعالى: "فَلَهَذَا سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أي على علم ودليل واضح.

والمعنى: أن هذا القرآن براهين قاطعة، وأدلة ساطعة، على أن الله هو المعبد وحده، وأن ما جاء به محمد حق.
وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن القرآن بصائر للناس، جاء موضحاً في مواضع أخرى من كتاب الله، كقوله تعالى في أخريات الأعراف: «قل إنيما أتتبع ما يوحى إلي من ربك من بصائر من ربكم وهم يقومون وهم يقضون»، وقوله تعالى في الآرام: «قد جاءكم بصائر من ربك فمن أبصر فليؤمن ومن عي قلبه وما أنا عليهم يخفيف».

وأما تضمنت آية الجاثية من أن القرآن بصائر وهدى ورحمة، ذكر تعالى مثله في سورة القصص عن كتاب موسى الذي هو التوراة في قوله تعالى: «وَلَقَدْ أُنْزِلَتْ لَكَ الْكِتَابُ مَنْ بَعْدَ مَا أُهْلِكَ الْقُرُءَاءُ».  

وأما تضمنت آية الجاثية هذه من كون القرآن هدى ورحمة جاء موضحاً في غير هذا الموضوع.

أما كونه هدى فقد ذكرنا الآيات الموضحة له قريباً.

وأما كونه رحمة فقد ذكرنا الآيات الموضحة له في الكهف في الكلام على قوله تعالى: «قُوِّضْ عَبَدَكُمْ مِنْ عِبَادِنَا عَلَى الْبُصِيرَةِ رَحْمَةً وَقُوْمِ يُقُولُونَ رَحْمَتُ رَبِّكَ الآية».  

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «لَقَوْرُ يُوقِنُونَ»، أي لأنهم هم المنتفعون به.

وفي هذه الآية الكريمة سؤال عربي معروف.

وهو أن المبتدأ الذي هو قوله: «هَذَا» اسم إشارة إلى مذكر

380

357
ملزم، والخبر الذي هو (بسائر) جمع مكسر مؤنث.
فقال: كيف يسند الجمع المؤنث المكسر إلى المفرد المذكور؟
والجواب: أن مجموع القرآن كتاب واحد، تصح الإشارة إليه
بهذا، وهذا الكتاب الواحد يشتمل على براهين كثيرة، فصح إسناد
البصائر إليه لاستعمالها عليها كما لا يخفى.

قوله تعالى: ًأم حسب الذين أجرحو السبطان أن يجعلهم
كذينين أمنوا وعملوا الصبر بنحن.
قد قدمنا الكلام عليه في سورة (ص) في الكلام على قوله
 تعالى: ًأنت تجعل الذين أضعفت وجعلوا الصبر بنحن كذينين في الألفين أرض
 يجعل الذين كذين كالفجار.

قوله تعالى: ًأفرؤيت من أتخذ إلههم هونه.
قد أوضحنا معناه في سورة الفرقان، في الكلام على قوله
 تعالى: ًأرهبت من أتخذ إلههم هونه أفات تكون عليه وصيًلاً.

قوله تعالى: ًوحم على سمعه وقلبه وجعل على بصري
غشوة.
قد أوضحنا معناه في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى:
 ًحسم الله على قلوبهم وعلى سموعهم وعلى أصابتهم غشوة.

قوله تعالى: ًوقال أهاي إلائي الاحيان الدنيا يموت وحي.
ما تضمت هذه الآية الكريمة، من إنكار الكفار للبعث بعد
الموت، جاء موضوعاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى عنهم: ًوما تخزُنُ
وقدي قدمنا البراهين القاطعة القرآنية على تكذيبهم في إنكارهم
البعث، وبينا دلائلتنا على أن البعث واقع لا محالة، في سورة البقرة،
وسورة النحل، وسورة الحج، وأول سورة الجاثية هذه، وأحلانا على
ذلك مراراً.

وبينا في سورة الفرقان الآيات الواضحة أن إنكار البعث
كفر بسم الله والآيات التي فيها وعيد منكري البعث بالنار، في الكلام
على قوله تعالى: «كل كذبوا بالساعة وأعربنا لمن كذب بالساعة
سعيروا».

* قوله تعالى: «ويوم تقوم الساعة يومئذ يحضر
المبطلون».

قد قدمنا الكلام عليه في سورة المؤمن في الكلام على قوله
تعالى: «فإذا أجكَّت أمه أمر الله فضِّلها وحَرَس هؤلاء المبطلون».

* قوله تعالى: «كل أم بتدفع إلى كنيته» الآية.

قد قدمنا إيضاحه في سورة الكهف، في الكلام على قوله
تعالى: «ووضع الله فتى الأبدارين مشفقين متفانيه».

أمثَّلُوا ما نذكره في القرآن الكريم بالあなاديد والمنامات
كما تقوم الأفعال وإن أورديناها في كتابات أخرى.

* قوله تعالى: «فأي منزل سوى جحيم مسلماً» الآية.

وقد قدمنا تقييمهم في القرآن الكريم وذكرهم بالعذاب
القاسيم في الجحيم للذين تعادوا عليه، في القرآن الكريم.

* قوله تعالى: "لَاتَّكِلُوا إِلَى الْمَغْيَّبِ" الآية.

وقد قدمنا توجيههم في القرآن الكريم وكيف أن الأيمن
يأتونهم إلى النعمة وتوقعهم إلى النعمة الأبدية.

* قوله تعالى: "وَلَا تَحْزَنُوا إِنَّ اللَّهَ بَارَزاً الْمَكْتُوبِ" الآية.

وقد قدمنا شرفهم في القرآن الكريم وكيف أن الأيمن
يجعلهم إلى النعمة والهداية، وتوقعهم إلى النعمة الأبدية.

* قوله تعالى: "وَلَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ فِي النَّارِ فَاحْتِمالٌ" الآية.

وقد قدمنا شرفهم في القرآن الكريم وكيف أن الأيمن
يجعلهم إلى النعمة والهداية، وتوقعهم إلى النعمة الأبدية.

* قوله تعالى: "لَا تَفْرَكُوا مِنۢ ذِي الْمَلَکَ" الآية.

وقد قدمنا شرفهم في القرآن الكريم وكيف أن الأيمن
يجعلهم إلى النعمة والهداية، وتوقعهم إلى النعمة الأبدية.

* قوله تعالى: "فَلَا يُعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْتَلْ بِمَعْرِضَةٍ" الآية.

وقد قدمنا شرفهم في القرآن الكريم وكيف أن الأيمن
يجعلهم إلى النعمة والهداية، وتوقعهم إلى النعمة الأبدية.
قوله تعالى: "هَذَا كَثِبَا يَطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كَانَ نَسْتَنْسِخُهَا كَثِيرًا يَعْمَلُونَ".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة مريم، في الكلام على قوله تعالى: "سَكَتَا مَسْتَكْبِبًا مَا يَقُولُ وَحَمِيَّةً مِنَ الْعَذَابِ مَدَّاً" (٦٩)، وفي غير ذلك من المواضع.

قوله تعالى: "وَقَالَ إِلَى هَذَا يَوْمِ نَسْتَكِبُ كَمَا نَسْتَنْسِخُ لِقَالَةً يُؤْمِنُونَ هُدًى".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة هود، في الكلام على قوله تعالى: "وَلَقَدْ عَهْدَنَا إِلَى هَذِهِ آتِمَةً مِنْ قَبْلِ فَسَيْرٍ وَلَمْ يُعْرَى في عِرْبَةً" (٨٥).

قوله تعالى: "فَإِلَيْهِ لا يُخَرَّجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمُّ يَعْتَبُونَ".

قد أوضحنا معنى قوله: (يَعْتَبُونَ) في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: "وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَتَّبِعُهُمُ السَّبِيعُ وَيَكْفُرُ اللَّهُ قَوْمَهُمَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا يَعْتَبُونَ" (٤٨).

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَإِلَيْهِ لا يُخَرَّجُونَ مِنْهَا)، قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: "وَمَا أَوْفِيَكُمْ مِنْ لِقَاءٍ رَبِّكُمْ قَالَ رَبِّي أَنْتَ أَلْبَاسُ الْأَرْضِ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْخَلْقِ".

قوله تعالى: "قَالَ اللَّهُ إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ يَرْجِعُونَ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْأَرْضِ".

أتبع الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة حمدته جل وعلا بوصفه بأنه رب السماوات والأرض ورب العالمين، وفي ذلك دلالة على أن...
رب السماوات والأرض ورب العالمين، مستحق لكل حمد ولكل ثناء جميل.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى في سورة الفاتحة: "الحمد لله رب العالمين"، وقوله تعالى في آخر الزمر: "وقضي بينهم بالقي نور"، وقوله تعالى: "فقطع دار القوى للذين ظلموا والحمد لله رب العالمين"، وقوله تعالى في أول الأنعام: "الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وهو اللطيف الخبير"، وقوله في أول فاطر: "الحمد لله فاطر السماوات والأرض الآية.*

قوله تعالى: "ولله الكريمة في السماوات والأرض وهو..."
وقال: "وَلَهُ الْمَلَِّس الْأَكْمَلُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ".

فقوله: "وَلَهُ الْمَلَِّس الْأَكْمَلُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" معناه أن له الوصف الأكمل، الذي هو أعظم الأوصاف وأكملها وأجلها في السماوات والأرض.

وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ: "أن الله يقول: العظمة إزارى والكبراء ردائي، فمن نازعني في واحد منهما أسكنته ناري".
قوله تعالى: «حم° تنزيلٌ الكتبِ من الله العزيز الجلّ الجامع».
قد قدمنا الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة هود، وقديمنا الكلام على قوله: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) في أول سورة الزمر.
قوله تعالى: «ما خلقنا السمَّوات والأرض وما بينهما إلا بإيمان يَلِحَقُ وَأَجْلٌ مَّسْعُوْى».
صيغة الجمع في قوله: (خلقنا) للتعظيم.
وقوله: (إلا بالحق) أي إلا خلقنا متلبسا بالحق.
والحق ضد الباطل، ومعنى كون خلقه للسماوات والأرض متلبسا بالحق: أنه خلقهما لحكم باهرة، ولم يخلقهما باطلًا، ولا عيّنا، ولا لعبا.
فمن الحق الذي كان خلقهما متلبسا به: إقامة البرهان على أنه هو الواحد المعبر وحده جل وعلا، كما أوضح ذلك في آيات كثيرة، لا تكاد تحصيها في المصحف الكريم، كقوله تعالى في البقرة:
فتبليغ خلقه للسمواد والأرض بالحق واضح جداً من قوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيةٌ لِّلْمُرْسَلِينَ" إلى قوله: "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ"؛ لأن إقامة البركان القاطع على صحة معنى لا إله إلا الله وهو أعظم الحق.

وكقوله تعالى: "يَا نَاسٍ اتَّبِعُوا رَحْمَةً عَزِيزَةً جَعَلَ لَّكُمْ أَرْضَ فِرْسَانَ وَسَمَاوَاتَ يَتَحَكُّمُونَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْلَصْ لَكُمْ مَا نَزَّلَ رَبَّكُمْ وَلَا تَعْمَلُوا مَّكَارِضًا"؛ لأن قوله: "أَعْبَدُوا رَبَّكُمْ" في معنى الآيات من لا إله إلا الله، وقوله: "فَأَخْلَصْ لَكُمْ مَا نَزَّلَ رَبَّكُمْ وَلَا تَعْمَلُوا مَّكَارِضًا" يتضمن معنى النفي منها على أكمل وجه وأتمه.

وقد أقام الله جل وعلا البركان القاطع على صحة معنى لا إله إلا الله، نفياً وإثباتاً، بخلقه للسمواد والأرض وما بينهما، في قوله: "يَا خَلْقَمُ وَلَدِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مَلَكُّمُ نَضْقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَّكُمْ أَرْضًا فِرْسَانَ وَسَمَاوَاتَ يَتَحَكُّمُونَ" الآية.

وبذلك تعلم أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بأعظم الحق، الذي هو إقامة البركان القاطع على توحيد جل
وعلا، ومن كثرة الآيات القرآنية الدالة على إقامة هذا البرهان القاطع المذكور على توحيده جل وعلا، علم من استقراء القرآن أن العلامة الفارقة بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها، هي كونه خالقاً لغيره، فمن كان خالقاً لغيره فهو المعبدو بحق، ومن كان لا يقدر على خلق شيء فهو مخلوق محتاج، لا يصح أن يعبد بحال.

فالآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً، كقوله تعالى في آية البقرة المذكورة / انفاً: «إِنَّ آَيَاتِيَا لَأَنْعَمَ أَنْعَمَ وَرَزَاَكُمْ أَلَّا خَلَقْنَا وَلَدِينَ مِنْ قَلْبِكُمْ» 367 الآية، فقوله: «أَلَّا خَلَقْنَا» يدل على أن المعبدو هو الخالق وحده، وقوله تعالى: «أَنْ خَلَقْنَا» يدل على أن خالقهم هو الله خالق كل شيء، أي: خالق كل شيء هو المعبدو وحده.

وقد أوضح تعالى هذا في سورة النحل؛ لأنه تعالى لما ذكر فيها البراهين القاطعة على توحيده جل وعلا، في قوله: «غَيْرَ الْعَرْشِ» و«إِلَّا قَرْنَتْ» 110 إلى قوله: «قَلْ لَقَدْ كُنْتُ مُرْسَلًا إِلَيْكُمْ 111 وَعَلَّمَتْكُمْ دَرَجَاتَ الْجَنَّةِ وَالْجَحِيمِ 112»، فبأع ذلك بقوله: «أَفَمَنْ يَخْلُقْ كَمْ لَا يَجْعَلُ أَفَلاً 113 تُدَكَّرُونَ».

وذلك واضح جداً في أن من يخلق غيره هو المعبدو، وأن من لا يخلق شيئاً لا يصح أن يعبد.

ولهذا قال تعالى بعدها قريباً منه: «وَلَا يُخْلِقُونَ شَيْئَانَ وَمِنْذَ أَنْ خَلَقْنَا 114»، وقال تعالى في الأعراف: «أَشْكُرُونَ» 115 لا يخلق شيئاً وهم خلقون، وقال تعالى في الحج: «يَنْتَهِىْنَ آَلِ النَّاسِ 116 ضَرِّبِ مثْلَ فَأَسْتَمِعُوا لِلْهِ إِنَّهُ أَلْدَى بَيْنَ أَلَدِينَ بَعْضٌ يَتَّبِعُونَ مَنْ دُونَ اللَّهِ أَنْ يَتَّبِعُوا ذَبَابَاتَا».
ولِوَ أَجَآمَسْ مَعَهُ أَيُّهَا الْأَرْضُ أَي وَمْنَ لا يُقَدِّرُ أَن يَخْلِقَ شَيْاً لَّا يَصْحُ أَن يَكُونَ مَعْبُوداً بِحَالٍ، وَقَالَ تَعَالَى: «سَيَذَّكَّرُ يَكَبَّ الْأَعْلَى ۖ اللَّهُ خَلَقَ ۖ وَهُمْ ۖ مُّخْلِقُونَ» الآية.

ولما بين تعالى في أول سورة الفرقان، صفات من يستحق أن يعبد، ومن لا يستحق ذلك، قال في صفات من يستحق العبادة: «١٠٨َ–ِّلَّهُ دَارُ الْقَدْسِ ۖ وَأَلْبَسْنَاكَ عَلَى ٥ۘ٩٧٩١ بَيْنِ الْيَدَيْنِ ۖ وَلَمْ يَكُنَّ لَهُمْ شَرَيعَةً إِلَّاً مَا فِي ۖ إِلَّآ أَن يَكُونُوا ۖ «١٠٨َ–ِّلَّهُ دَارُ الْقَدْسِ ۖ وَأَلْبَسْنَاكَ عَلَى ٥ۘ٩٧٩١ بَيْنِ الْيَدَيْنِ ۖ وَلَمْ يَكُنَّ لَهُمْ شَرَيعَةً إِلَّآ أَن يَكُونُوا ۖ» الآية.

وقد بين جل وعلا أن من الحق الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا خلقاً ملمساً بالحق.

فلا لعل التعليل في قوله: (تعلموا) متعلقة بقوله: «خلق سبع سماوات الآية، وبه تعلم أنه ما خلق السماوات السبع والأرضين السبع، وجعل الأمر يتزل ببنهم، إلا خلقاً ملمساً بالحق.

ومن الحق الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما خلقاً ملمساً به، هو تكليف الخلق، وإبلاهم أيهم أحسن عملًا، ثم جزاؤهم على أعمالهم، كما قال تعالى في أول سورة هود: «وَهُوَ
سورة الأحقاف

الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وركش عرشه على الماء ليجلوكم أيكم أحسن عملاء.

فلام التحليل في قوله: (ليبلوكم) متعلقة بقوله: خلق السماوات والأرض، وبه تعلم أنه ما خلقهما إلا خلقهما متبلاً بالحق.

ونظير ذلك قوله تعالى في أول الكهف: إنا أجتنبنا على الأرض زينة لها ما ليس لهونهم أحسن عملاء، وقوله تعالى في أول الملك:

الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاء.

ومما يوضح أنه ما خلق السماوات والأرض إلا خلقهما متبلاً بالحق، قوله تعالى في آخر الذariasات: وما خلقتم مثلي وآلهتكم إلا ليعبدون ما أريد من زرق وما أريد أن يطيعون.

سواء قلنا: إن معنى (إلا ليعبدون) أي لآمرهم بعبادتي فيعبدني السعداء منهم؛ لأن عبادتهم يحصل لهم بها تطيبهم الله وطاعته والخضوع له، كما قال تعالى: فإن يكرر بها هلؤا فقد وكنى بها قوم لا يسعو بها يكبرون قال تعالى: فإن أستحكموا قال الذين عند ربكم يسبحون لهم بآلهتهم ولعلمهم لا يشعرون.

أوقلنا: إن معنى (إلا ليعبدون) أي إلا ليروا لي بالعبادوية، ويخلصوا ويدعووا لعظمتي، لأن المؤمنين يفعلون ذلك طوعاً، والكافرون يذلون لقهره وسلطانه تعالى كرهاً.

ومعلوم أن حكمة الابتلاء والتكليف لا تتم إلا بالجزاء على الأعمال.

وقد بين تعالى أن من الحق الذي خلق السماوات والأرض
خلقًا متلساً به، جزاء الناس بأعمالهم، كقوله تعالى في النجم:
\[ \text{وَظَهَّرُوا مَعَّاً} \]

وقوله تعالى:
\[ \text{وَلَيْدِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقَطْسِ، وَالَّذِينَ حَسَبُوا لِهِمْ شَرَابٌ مِّنَ الْحَمِيمِ} \]

وعلّالَا أَيْمًا كَانَوا يَكْفُرُونَ

وعلّالَا أَيْمًا يَكْفُرُونَ

ولما ظن الكفار أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلًا، لا لمحكمة تكليف وحساب وجزاء، هددهم بالويل من النار، بسبب ذلك الظن السيء، ففي قوله تعالى:
\[ \text{وَمَا حَقَّقَ النَّاسُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا بِبَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ} \]

وقد نزى تعالى نفسه عن كونه خلق الخلق عبادًا، لا لتكليف وحساب وجزاء، وأكثر ذلك على من ظنه، في قوله تعالى:
\[ \text{أَفَأَفْسَدُونَ أَنَا خَلَقْتُكُمْ عَبَدًا وَأَنْجِعْنَاهُ إِلَى نَا} \]

فتعالى الله علَّمكُمُ  إِلَيْهِ إِلَّا هُوَ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ

فقوله تعالى:
\[ \text{فَتَعَالَى اللَّهُ} \]

أي تنزه وتعاظم وتقدس عن أن يكون خلقهم لا لمحكمة تكليف وبعث، وحساب وجزاء.

وهذا الذي نزى تعالى عنه نفسه، نزه عنه أولو الألباب، كما قال تعالى:
\[ \text{إِنَّمَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَيَاتِ الْحِيَابَةَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ لَأَيْدِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ فَيْيَمًا وَفَعَّذاً وَعَلَّلَ جَنَّوْنَاهُمْ} \]

إِلَى قوله:
\[ \text{رَبِّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَيْطًا سَبَحَهُنَّ فَيْيَمًا عَدَدًا من النَّارَ} \]

فقوله
عنهم: {سُبْحَانَكَ} أي تنزيهاً لك عن أن تكون خلق هذا الخلق باطلًا، لا لحكمة تكليف وبعث وحساب وجزاء.

وقوله جل وعلا في آية الأحقاف هذه: {ما خلقتنا السموم والأرض وما بينهما إلا يالحق}، يفهم منه أنه لم يخلق ذلك باطلًا، ولا لعبأ ولا عثا.

ووهذا المفهوم جاء موضحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما ببطلان} الآية، وقوله تعالى: {ربنا ما خلقتم هذا ببطلان}، وقوله تعالى: {وما خلقنا السموم والأرض وما بينهما العيبات}.

وقوله تعالى في آية الأحقاف هذه: {والله ليس به مبتدع} معطوف على قوله:{باليحق} أي ما خلقنا السموم والأرض وما بينهما إلا خلقاً من لبسًا بالحق، / وينبغي أن أوج مسمى، أي وقت معين محدد ينتهي إليه أتم السموم والأرض، وهو يوم القيامة، كما صرح الله بذلك في أخبار الحج في قوله تعالى: {وما خلقنا السموم والأرض وما بينهما إلا بالحق وإيات الساعات لآية} الآية.

فقوله فيحجر: {إِذْ أَنْتَ الْسَّاعَةِ الْأَلِيْهِ} بعد قوله: {باليحق} يوضح معنى قوله في الأحقاف: {باليحق وآجل نسيء}.

أضواء البيان

* قوله تعالى: <الذين كفروا أعداؤنا ومرضمون>.

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار معرضون عما أندبرهم به الرسول، جاء موضوعاً في آيات كثيرة. كقوله تعالى في البقرة: <إِنَّ الَّذِينَ كُفِّرُوا سَوَّاهُمْ عَلَيْهِم مَّائِدَةً أَمْ لَمْ يُذْيِدُنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ>، وقال في يس: <وَسَوَّاهُمْ عَلَيْهِم مَّائِدَةً أَمْ لَمْ يُذْيِدُنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ>، وقال تعالى: <وَمَا كَأَلَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ إِلَّا كَانُوا

عَنْهَا مُعْتَفِينَ>، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

والإعراب عن الشيء الصدد عنه، وعدم الإقبال إليه.

قال بعض العلماء: وأصله من العرض، بالضم، وهو الجبان.

لأن المعرض عن شيء يقوله بجانب عقده صاداً عنه.

/ والإلقاء: الإعلام المقترب بهدف؛ فكل إلقاء إعلام وليس كل إلقاء إلقاءً.

وقد أوضحنا معاني الإلقاء في أول سورة الأعراف.

و (ما) في قوله: <عَمَّا أُنْذِرُونَا> قال بعض العلماء: هي موصولة.

والعائد محدود، أي الذين كفروا معرضون عن الذي أندبرهم أياً خوفاه من عذاب يوم القيامة، وحذف العائد المنصوب بفعل أو وصف مضطرب كما هو معلوم.

وقال بعض العلماء: هي مصدرية، أي والذين كفروا معرضون عن الإلقاء.

ولكليهما وجه.
قوله تعالى: «قل أَرَأَيْتَ مَا تَذْهَبُ مِن دُونِ آلِهَةِ آوِرُونَ مَا ذَهَبَ مِنْ أَلْهَاتِكُمُ الْأُوْلَىٰ ۚ وَمَا مِنْ مَيْلٍ مِّنْ مُّجَالِدَةِ الْجَهَّالِ ۚ فَأَلْهَيْنِ ۖ أَيُّهَا الْيَهُودُ وَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ صَدَقَاءٌ أَن تُخْلِقُوا مِنْ آدَمَ وَعَلَمَ إِنَّكُمْ صَدَقَاءٌۜ».

قد ذكرنا قريباً أن قوله: «وَأَخَلَّقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا إِلَٰهٍ يَقُولُونَ: يَا مَعْنِيًّا لَكُمُ الْإِلْهَانُ» يتضمن البرهان القاطع على صحة معنى لا إله إلا الله، وأن العلامات الفارقة بين المعبد بحق وبين غيره هي كونه خالقاً، وأول سورة الأحقاف هذه يزيد ذلك إيضاحاً؛ لأنه ذكر من صفات المعبد بحق أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق، وذكر من صفات المعبدات الأخرى التي عبادتها كفر مخالد في النار أنها لا تخلق شيئاً.

فقوله تعالى: «قل أَرَأَيْتَ مَا تَذْهَبُ مِن دُونِ آلِهَةِ آلِهَةَ آوِرُونَ مَا ذَهَبَ مِنْ أَلْهَاتِكُمُ الْأُوْلَىٰ ۚ وَمَا مِنْ مَيْلٍ مِّنْ مُّجَالِدَةِ الْجَهَّالِ ۚ فَأَلْهَيْنِ ۖ أَيُّهَا الْيَهُودُ وَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ صَدَقَاءٌ أَن تُخْلِقُوا مِنْ آدَمَ وَعَلَمَ إِنَّكُمْ صَدَقَاءٌۜ».

وعلى أن (ما) مساءلة، (وَأَ) موضع، فالمعنى: أروني ما الذي خلقوه من الأرض، وعلى أن (ما) و (وَأَ) بمثل كلمة واحدة يراد بها الاستفهام، فالمعنى: أروني أي شيء خلقوه من الأرض.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن من لم يخلق شيئاً في الأرض ولم يكن له شريك في السماوات، لا يصح أن يكون معبداً بحال، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى في فاتر: «قل أَرَأَيْتَ مَا تَذْهَبُ مِن دُونِ آلِهَةِ آلِهَةَ آوِرُونَ مَا ذَهَبَ مِنْ أَلْهَاتِكُمُ الْأُوْلَىٰ ۚ وَمَا مِنْ مَيْلٍ مِّنْ مُّجَالِدَةِ الْجَهَّالِ ۚ فَأَلْهَيْنِ ۖ أَيُّهَا الْيَهُودُ وَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ صَدَقَاءٌ أَن تُخْلِقُوا مِنْ آدَمَ وَعَلَمَ إِنَّكُمْ صَدَقَاءٌۜ».
أضواء البيان

... 

وقد قدمنا طرفاً منها قريباً.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "اتّبعو يكُنِّيِن قَبْلٍ ما أُقِيمَتْ مَعَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ هَذَا)، فقد قدمنا الآيات المتوضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: "أمَّا الَّذِينَ كَتَبَ النَّارَ فِيهِمْ يَعْمَالُونَ"

قوله تعالى: "وَمَنْ أُصِيبَ مِنۢ يَدُعُوۢنَ مِن دُونِ اللَّهِ مِنۢ لَا يَسۢتَجِبُ لَهُ إِلَّا جَوْرُ الْقَبۢيۡمَةَ وَهُمْ عَن دَعۢيَهُمۢ عَلَيۡهِنَّ. أفَإِذَا حَضَرَ الأُلَّاهَ كَانَوۡا لِمَّعۢدَادٍ الآياتَ".

قد قدمنا الآيات المتوضحة له في سورة الجاثية في الكلام على 374 قوله تعالى: "وَلَا يُخۡتَبِئِنَّهُمَا كَسَبْأُ يَشۡكُرُواۢ وَلَا مَآ أُعۡمَدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ آوِىۢنَ بأَيۢنَا مِن دُرِّبِ اللَّهِ إِلَهَهَنَّ يَكۡفُرُواۢ عَزِیۢنَ (8)"

قوله تعالى: "وَإِذَا لَتَنَّى علىۢ هُمۢ أَبۡيَنَانِ بَيۡنَآتِ قَالُ الَّذِينَ كَفۡرُواۢ لِلَّحۡقِ لَمَّا جَاءۢ مِنَ هذَا سُحۡرُ وَعِينِينَ (7)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا قرئت عليهم آيات هذا القرآن العظيم الذي هو الحق أدعوا أنها سحر مبين واضح، وما تضمنتها هذه الآية الكريمة من افترائهم على القرآن أنه...
سورة الأحقاف

سحر، وعلى النبي ﷺ أنه ساحر، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى في سيا: *واقال الذين كفرت بِغيبنا لَمْ يَأْتُوكُمْ إِن هَذَا إِلَّا سَحْرٌ مَّيْنُ؟*، وقوله تعالى في الزخرف: *ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنما يجري سحر*، وقوله تعالى: *ما يأتهم من دُكَِّرْنَ مِن رَبِّهِمْ*، وقوله تعالى: *نَعَّدُهُ إِلَّا أَسْتَعِيْنَ وَمَن يَعْمَعُونَ*، ولهجة قومهم، وقوله: *فَأَفْتَرُوا إِلَى الْسَّحْرَ وَأَفْتَرُوا إِلَى الْنَّصَبِ*، وقوله تعالى: *وَلَيْنَ فَلْتِ ضَعْفُهُ بِمِنْ بَعْضٍ إِلَّا أَمْوَتُ لَيْفَوْنَ الْأَلِيِّينَ صَغْرَا إِن هَذَا إِلَّا سَحْرٌ مَّيْنُ؟*.

والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

*قوله تعالى: *أم يقولون أفتره قد إن أفتره فلا يتملكون لِبَنِ الله شَيْئًا*.

(أم) هذه هي المنقطعة، وقد قدمنا أنها تأتي بمعنى الإضراب، وتأتي بمعنى همزة الإنكار، وتأتي بمعناهما معاً وهو الظاهر في هذه الآية الكريمة.

فَ (أم) فيها على ذلك تفيد معنى الإضراب والإنكار معاً، فهو بمعنى: دع هذا، واسمع قولهم المستنكر، لظهور كذبهم فيه، أن محمدًا افتري هذا القرآن.

وقد كذبهم الله في هذه الدعوى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: *أم يقولون أفتره قد فَأْتَوْا بِصُوْرَةٍ مَّيْنَهُ؟* الآية، وقوله: *أم يقولون أفتره قد فَأْتَوْا بِصُوْرَةٍ مَّيْنَهُ؟*، وقوله تعالى: *رَمَى كَانَ هَذَا القرآن أن يفتري من دُوَّر الله ولكن تصديق الذي بَنَّ يَدِه من الآية، والآيات...* بمثل ذلك كثيرة معلومة.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قل إن أفترىتم فلا تملكون لي من الله شيطاً﴾ أي إن كنت افترىت هذا القرآن، على سبيل الفرض.

والتدريب: عاجلني الله بعقوبته الشديدة، وأنتم لا تملكون لي منه شيئاً، أي لا تقدرون أن تدفعوا عنني عذابه إن أراد أن يعذبني على الافتراء، فكيف أفترىه لكم، وأنتم لا تقدرون على دفع عذاب الله عنني؟

وهذا المعنى الذي تضمنتته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: ﴿ولَوْ نُقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقاوِيلِ أُخْبِرْنَا بِهِ﴾ ﴿19﴾ ﴿20﴾ ﴿21﴾ ﴿22﴾.

فقوله تعالى في آية الحاقة هذه: ﴿وَلَوْ نُقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقاوِيلِ﴾ كقوله في آية الأحقاف: ﴿قَالَنَّ أَفَتَرَيْتُمْ﴾.

وقوله في الحاقة: ﴿فَمَا يَنْكُرُنَّ أَنْ عَمَّانَةَ حَجْرِينَ﴾ يوضح معنى قوله: ﴿فَلا تَمَكَّنُوا لِنَشَأَتِ اللَّهِ شَيْئًا﴾. لأن معنى قوله: ﴿فَمَا يَنْكُرُنَّ أَنْ عَمَّانَةَ حَجْرِينَ﴾ أنهم لا يقدرون على أن يحجزوا عنه أي يدفعوا عنه عقب الله له بالقتل، لَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقاوِيلِ، وذلك هو معنى قوله: ﴿فَلا تَمَكَّنُوا لِنَشَأَتِ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لا تقدرون على دفع عذابه عنني.

وعن ذلك في المعنى قوله تعالى: ﴿قَلْ فَمَن يَمْلِئُ مِن نَّارِ﴾ ﴿شَيْئًا﴾ إِنَّ أَرَادَ أَن يَهْيَئَ الْمُسَيِّبِ أَبْنِيَ مَرَيْمَةَ وَأَمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُبَرِّرَ اللَّهُ فَلَنَ تَمَكَّنَّ فِي النَّارِ شَيْئًا﴾.

وما تضمنته آية الأحقاف هذه آية الحاقة المبينة لها من أنه
 لو افترى على الله أو تقول عليه عاجله بالعذاب، وأنه لا يقدر أحد
على دفعه عنه، جاء معناه في بعض الآيات، كقوله تعالى في يونس:
قُالَ الْأَلِيِّبُ: لَا يَزِيدُونَ لِقَآئَةٍ، لَا أَتِّبَعُونَ نَعْمَةً يَزِيدُونَنَّهَا أَوْ يُبْلِدُونَ أَيْمَنَّهَا؟ فَلِيَكُونَ لِي
أَنْ أُبْدِلَلِمْ بِرَبِّي نَقِيضٌ إِنْ أَتْبَعْتُ إِلَّا مَا يُوْجِدُ إِلَّا إِنْ أَخَافْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ الْعُتُوْجِيِّمِ. أي إن أخاف إن عصيت ربي بالافتراء عليه
بتبديل قرآنه أو الإثيان بقرآن غيره، عذاب يوم عظيم.
وذكر الله تعالى مثل هذا عن بعض الرسل في آيات أخرى، كقوله
عن صالح: قُالَ يَفْتَوَّؤُ أَرْسَالُ مَنْ صَرَفْتُ عَلَى يَسْتَنَبْنِي رَبِّي وَأَنْتُنَّى مَنْ أَنْزَلُتُهُ ﮐَرَحَمًا.
فَمَن يَصَرِّفُ سَيْرَتُهُ إِلَيْهِ إِنَّ عَصْيَتْهُ ﮐَلَا يُرِيدُهَا الَّذِيٍّ ﮐَرَحَمًا ﮐَلَا يُرِيدُهَا.
وَيَفْتَوَّؤُ مَنْ يَنْصَرُ مِنْ آيَةٍ إِنَّهُ إِلَّا لِيْلَهُمْ ﮐَلَا يُرِيدُهَا الَّذِيٍّ ﮐَرَحَمًا ﮐَلَا يُرِيدُهَا.

* قوله تعالى: قل ما كنت يدعا من الرسول.

الأظهر في قوله: يدعا أنه فعل بمعنى المفعول، فهو بمعنى
مبتدع، والمبتدع هو الذي أبدع على غير مثال سابق.

/ ومعنى الآية: قل لهم يا نبي الله: ما كنت أول رسول أرسل
إلى البشر، بل قد أرسل الله قبلك جميع الرسل إلى البشر، فلا وجه لاستبعادكم رسالتي، واستنكاركم إياها؛ لأن الله أرسل قبلك رسولًا
كثيرة.

و هذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء موضحًا
في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ولقد أرسلنا رسولًا من بَلَك وَحَصَلْتُ لَهُم
أَزْوَاجًا وَذُرُّيَّةٍ، قوله تعالى: ولقد أرسلنا من بَلَك رسلًا إِنَّهُمْ فَجَاهُوْهُ،
بالَّذِي نَتَبَيَّنُهُ الَّذِي نَتَبَيَّنُهُ إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ تَوْجُ
وَالَّذِي نَتَبَيَّنُهُ من بَلَيْبَتِهِ، الآية، وقوله تعالى: حَدَّ عَسَقٍ كَذَٰلِكِ يُوْجِ
يَلَّوْنَ الْأَذُنَّينَ بِقَبْلَهُ يَا بُلَيْكَ الْمَتَّيْرُ الْعَلِيمُ، وقال تعالى: {ما يَقُولُ لِلَّدِينِ كَأَنَّهُمْ ثَلَاثُ إِلَّا مَا طَلَبْتُهُمُ الْمَلَأُ}. {وَمَا عَلَمَهُ إِلَّا رَسُولُ ٱللَّهِ}. {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلسُّلَّمُ إِلَى أَيْنَ يَشَاءُ عَلَى مَنْ كَانَ مُنْتَصِرًا}. {وَلَقَدْ كَتَبْنِي رَسُولَ ٱللَّهِ}. {قَبْلَهُ فَقَسَرَ وَأَعَلَى ما كَذَّبْوُا وَأَقْلَبَّوْا}. {يَدْرِيكُمُ كَيْفَ بَيْنَهُمَا أَنْهُمْ نَصَرُّهُمْ}.鞍子 آية، والآيات بعث ذلك كثيرة معلومة.

* قوله تعالى: {وَمَا آدَرَّى مَا يَقُولُ لَوْلَا يَكْرُرُ}.

التحقيق إن شاء الله، أن معنى الآية الكريمة: ما آدرى ما يفعل ببي ولا بكم في دار الدنيا، فما آدرى أخرج من مسقط رأس أم أقتل كما فعل ببعض الأنبياء، وما آدرى ما ينال من الحوادث والأمور في تحمل أعباء الرسالة، وما آدرى ما يفعل بكم، أي خسف بكم، أو تنزل عليكم حجارة من السماء، ونحو ذلك.

الذي هو اختيار ابن جرير وغير واحد من المحققين.

وهذا المعنى في هذه الآية دلت عليه آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: {وَلَوْ كَنُتُ أَلَّمَ أَعْلَمَ ٱلْقُبُولَ لَأَسْتَحْثَرَتْنَ أَعْلَمَ ٱلْقُبُولَ وَمَا مَسَّنَا الشَّوَهُ}. {آلَٰعْلَمَ ٱلْقُبُولَ} الآية، وقوله تعالى أُمَّا أَلْهَاءُ لَهُمْ، {فَلَأَيْنَ لَأَوْلُدُ كَمَّعْنَى خِيَارٍ إِلَى خَيْرِهِ أَنْ يَزَالُ إِلَّا ٌرَبَّهُ وَلَا أَلْهَاءُ إِلَّهَاهُ}. (378)

وهذا تعلم أن ما يروى عن ابن عباس وأنس وغيرهما من أن المراد: {وَمَا آدَرَّى مَا يَقُولُ لَوْلَا يَكْرُرُ} أي في الآخرة، فهو خلاف التحقق، كما سترى إيضاحه إن شاء الله.

فقد روي عن ابن عباس وأنس وقناة والضحاك وعكرمة والحسن في أحد قوليه أنه لما نزل قوله تعالى: {وَمَا آدَرَّى مَا يَقُولُ لَوْلَا}
الناظرين أن هذا كله خلاف التحقيق، وأن النبي ﷺ لا يجهل مصدره يوم القيامة؛ لعصمته صلوات الله وسلامه عليه، وقد قال له الله تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ خِيرٌ مِّنِّ الْأَوَّلِ﴾، وَسُوْفَ يَعْطِبُكَ رَبُّكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وأُولِّي الْأُمرَ الْأَخِرَةِ، وأن قوله: ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يَفْعَلُ يَوْمًا وَلَا يَكْرِرُ﴾ في أمور الدنيا كما قدمنا.

فإن قيل: قد صح عن النبي ﷺ من حديث أم العلاء الأنصارية ما يدل على أن قوله: ﴿ما لَّكُمْ فِي إِيَّاهَا أَيْ فِي الْأَخِرَةِ، فإن حديثها في قصة وفاة عثمان بن مسلمون رضي الله عنه عندهم، ودخول رسول الله ﷺ، فيه أنها قالت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك لقد أكرمت الله عز وجل، تعني عثمان بن مسلمون، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقالت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله ﷺ: "أما هو فقد جاء البقين من ربه، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل به الحديث."
 فالجواب هو ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله، فقد قال في تفسير هذه الآية الكريمة، بعد أن ساقي حديث أم العلاء المذكور بالسند الذي رواه به أحمد رحمه الله: انفرد به البخاري دون مسلم، وفي لفظ له: "ما أدرى وأنا رسول الله ﷺ ما يفعل به؟"، وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ، بدليل قوله: فأحزنني ذلك. إنه محل الغرض منه، وهو الصواب إن شاء الله، والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: {قل أرأيت إن كان من عند الله وكرمتُه}.)

جواب الشرط في هذه الآية محفوظ، وأظهر الأقوال في تقديره: إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به وجحدتموه، فأتتمم ضلال ظالمون.

وكون جزاء الشرط في هذه الآية كونه ضالين ظالمين، يبينه قوله تعالى في آخر فصلته: {قل أرأيت إن كُنْتَ مِنَ الَّذينَ قَضَيْنَاهُمُ الْمَتَاعَ فَبِعْيْنِهَا}. وقوله في آية الأحقاف هذه: {فَإِذَا وَاتَّبَغْتُمْ إِبَتَالَةَ الْأَلْلَهِ لَا يَهْدِي الْقُوَّمَ الظَّالِمِينَ}.

وقال أبو حيان في البحر: مفعولا (أرأيت) محفوظان لدلالة المعنى عليهما، والتقدير: أرأيت حاككم إن كان كذا، أسلمت ظالمين.

فالأول: حاككم، والثاني: أسلمت ظالمين، وجواب الشرط محفوظ أي فقد ظلمتم، ولذلك جاء فعل الشرط ماضياً.
وسعِ العلماء يقولون: هو أًمرَّمٌ يُمَعِنُّ أَخْبَرَونِي.
والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: ((وَمَهَدَّسَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَئِيلَ عَلَى مَثَلٍ)).

التحقيق إن شاء الله، أن هذه الآية الكريمة جارية على أسلوب عربي معروف، وهو إطلاق المثل على الذات نفسها، كقولهم: مثلك لا يفعل هذا، يعنون لا ينبغي لك أنت أن تفعله.

وعلى هذا فالمعنى: وشهد شاهد من بني إسرائيل على أن هذا القرآن وحي منزل حقاً من عند الله، لا أنه شهد على شيء آخر مماثل له؛ ولذا قال تعالى: ((فَأَمَنتُمْ وَأَمَنتَهُمْ)).

وهما يوضح هذا، تكرر إطلاق المثل في القرآن مراداً به الذات، كقوله تعالى: ((أَمَنتُمْ مَثَلُ مِنْ ذَيَّنَاءَ مَثَلُهُ مِنْ ذَيَّنَاءَ مَثَلَهُ وَأَمَنتُمْ مَثَلُ مِنْ ذَيَّنَاءَ مَثَلَهُ)).

ففي الآية: (كم مثله في الظلمات)، أي كمن هو نفسه في الظلمات، وقوله تعالى: ((وَإِنْ أَمَنتُمْ مَثَلُ مِنْ ذَيَّنَاءَ مَثَلَهُ، فَأَنَّى كَذَٰلِكَ أَمَنتُمْ مَثَلُ مِنْ ذَيَّنَاءَ مَثَلَهُ)).

ويستaneous له بالقراءة المروية عن ابن عباس وابن مسعود: (فإن آمنوا بما آمنت به الآية).

والقول بأن لفظة (ما) في الآية مصدرية، وأن المراد تشبه الإيمان بالإيمان، أي: فإن آمنوا مثل إيمانكم فقد اهتدوا، لا يخفى بعده.

٣٨١
الشاهد في الآية هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه كما قال الجمهور، وعليه فهذه الآية مدنية في سورة مكة.
وقيل: إن الشاهد موسى بن عمران عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقيل غير ذلك.

قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانُوا لَخَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِمْ».

أظهر أقوال العلماء في هذه الآية الكريمة، أن الكافرين الذين قالوا للمؤمنين لو كان خيراً ما سبقونا إليه، أنهم كفار مكة، وأن مرادهم أن فقراء المسلمين وضعفاهم كبلال وعمار وصهيب وخباب ونحوهم، أحقر عند الله من أن يختار لهم الطريق التي فيها الخير.

وأنهم هم الذين لهم عند الله عظمة وجاه واستحقاق السبق لكل خير، لزعمهم أن الله أكرمهم في الدنيا بالمال والجاه، وأن أولئك الفقراء لا مال لهم ولا جاه، وأن ذلك التفضيل في الدنيا يلزم التفضيل في الآخرة.

وهذا المعنى الذي استظهراه في هذه الآية الكريمة تدل له آيات كثيرة من كتاب الله، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

أما ادعاؤهم أن ما أعطوا من المال والأولاد والجاه في الدنيا دليل على أنهم سبعون مثله في الآخرة، وكذب الله لهم في ذلك، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: «أَيْمَا سَبَقَ أَنَّا لِيُؤْهِرُوهُ مِنْ مَالٍ وَرُئْبٍ / وَأَصْبَحُوهُمْ فِي جَحَّارٍ لَّا يَشْعُرُونَ»، وقوله تعالى: «آَفَرَاوَبَ أَلَّلَهِ كَفَرْنَا وَقَالَ أَلَوْنَا مَا لَوْنَا وَلَدَّا أَطَلَّعَ اللَّيْبَ أُوْلَدُ».
سورة الأحقاف

407

۱۸۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲۱۸۸۲
383 - واحد: إن الرجال الذين كانوا يعانون من الأشرار هم / ضعفاء المسلمين الذين كانوا يسخرون منهم في دار الدنيا ويزعمن أنهم أحرق من أن ينالهم الله بخير، وبدل له قوله: أخذتهم سحرمًا، وسيسخر ضعفاء المسلمين في الجنة من الكفار الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا وهم في النار، كما قال تعالى: إِذَا أَلَّهَتْكُمْ أَحْمُرُوا كَأَنْ هُوَ عَلَىٰ نَارٍ عَذَابٍ. إِذَا مَرَّوْا بِهِمْ يَغْفِرُونَ (1) إلى قوله تعالى: مَا كَانُوا يَظْلُمُونَ (21)، وقوله تعالى: مَنْ أَلَّهَتْهُمْ أَحْمَرُوا أَلْلَهُ يَغْفِرُونَ (24)، فهل ترون هل ترون من الذين كفروا الحيوة الدنيا وسخروا من الذين أوتوا وذابوا وذابوا فهم يوم القيامة الآية.

- قوله تعالى: (وَهَذَا كَتَبُ مُصَدِّقٌ لَّسَانَاءَ عَرَبِيَّ.)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى: (يَكُونُ من الْمُتَعَجَّبِينَ لِيسَانَاءَ عَرَبِيَّينَ)، وفي سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: (قُرْءَانًا عَرَبِيًَّا غَيْرِ ذِي عَجْجٍ) الآية.

- قوله تعالى: (يَشِيدُ آخِرُ الْأَيَّاتِ الَّذِينَ ظَلَّلُوا وَبَسَرَ الْمُحْسِنِينَ).

قد قدمنا الآيات الموضحة له مع بيان أنواع الإذار في القرآن في أول سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: (فَلَنَّ يَكُنُ فِي سَمَّائِكَ حَجَرٌ مِّن لَّهَ مَعْنَى) الآية، وفي أول سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: (يَشِيدُ بِأَسْأَلَتِيَانِ مَن لَّدُنْهُ وَيَشِيدُ الْمُؤْمِنِينَ) الآية.

- قوله تعالى: (إِنَّ الْذَّلِيْلِ فَالْأُولَى أَرْبِيَّةُ اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْطَبُوا فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَتُرُونَ)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة فصلت في الكلام على
قوله تعالى: "فَأَيَّامَ هَذَا نَزَّلَتِ الرِّجَالُ وَال نَّاسُ لِلَّهِ أَنْ يَنْتَهُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَيَرْكَبُوا مَنْ عَلَّمَهُمْ عِلْمًا عَلَى هُمْ".

قوله تعالى: "وَبِعَضْنَا آلِ إِسْحَآقٍ يُؤْلِدُونَهُ إِحْسَانًا".

قرأ هذا الحرف نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، (حسنًا).

بضم الحاء، وسكون السين، وكذلك هو في مصاحفهم.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: (إحسانًا) بهمزة مكسورة.

وإسكان الحاء، وألف بعد السين.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذه الآية في سورة بني إسرائيل.

في الكلام على قوله تعالى: "وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ تُعْبَدَا إِلَّاً إِيَةً وَبِالْوَلِيدِينَ إِحْسَانًا".

وقال أبو حيان في البحر: قيل: ضمَّنَّ "وَوَضَعَتْ" معنى ألمى، فتعدى لاثنين، فانتصب (حسنًا) و (إحسانا) على المفعول الثاني لوصينا.

وقيل: التقدير: إنشاء ذا حسن أو ذا إحسان، ويجوز أن يكون حسنًا بمعنى إحسان، فيكون مفعولاً له، أي ووصينا بها لإحساناً.

إليهما، فيكون الإحسان من الله تعالى.

وقيل: النصب على المصدر على تضمين معنى أحسانا بالوصية للإنسان، وبالإحسان، إحسانًا. اهـ. وكلها له وجه.

قوله تعالى: "حَمْلَتْهُ أَمْهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا".

قرأ هذا الحرف نافع، وابن كثير، وأبو عمر، وهشام عن ابن عامر: (كرهما) بفتح الكاف في الموضوعين.
410

وضاءة البيان

ورأه عاصم وحمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر:
(كرها) بضم الكاف في الموضعين.

وهما لغتان، كالضعيف والضعف.

وعني حملته كرهاً: أنها في حال حملها تلاقى مشقة شديدة.

ومن المعلوم ما تلاقيه الحامل من المشقة والضعف إذا أثقلت
وكرب الجنين في بطنها.

وعني وضعته كرهاً: أنها في حالة وضع الولد، تلاقي من ألم
الطلق وكربه مشقة شديدة، كما هو معلوم.

ووهذه المشاق العظيمة التي تلاقتها الأم في حمل الولد
وضعها، لا شك أنها عظم حقها بها، ويتحم برها والإحسان إليها،
كما لا يخفى.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من المشقة التي تعانيها
الحامل، دلت عليه آية أخرى، وهي قوله تعالى في لقمان: «وصنيا
الأمرين» فولديه حملته أمًّا وستاً على وَّحِينٍ أي تهن به وهتناً على وَّحِينٍ، أي
ضعفًا على ضعف؛ لأن الحمل كلما زاد وظم في بطنها ازدادت
ضعفًا على ضعف.

وقوله في آية الأحقاف: هذه: (كرها) في الموضعين، مصدر
منكر، وهو حال، أي حملته ذات كره ووضعته ذات كره، وإثبات
المصدر المنكر حالًا كثير، كما أشار له في الخلاصة بقوله:
ومصدر منكر حالاً يقع بكثرة كبِغْتة زيد طلع
وقال بعضهم: (كرها) في الموضوعين نعت لمصدر، أي حملته حملًا ذا كره، ووضعته وضعًا ذا كره، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: (وَحَمَّلَهُ وَفَصَّلَهُ ثَلَاثَونْ شَهْرًا).

هنا يдается الكلمة ليس فيها بنفاذها تعرض لبيان أقل مدة 386.

الحمل، ولكنها بضمنة بعض الآيات الأخرى إليها يعلم أقل أمد الحمل. لأن هذه الآية الكريمة من سورة الأحقاف صرحت بأن أمد الحمل والفصلان معاً ثلاثون شهراً، وقاله تعالى في لقمان: (وَفَصَّلَهُ في عَامِينْ)، وقاله في البقرة: (وَالْوَلَدَاتُ يُضِعُّنَ أُولُّهُنَّ حَوَلِيَّةً كَأَمْيَلٍ)، بين أن أمد الفصل عمان وهما أربعة وعشرون شهرًا، فإذا طرحتها من الثلاثين بقيت ستة أشهر، فتعين كونها أمداً للحمل، وهي أقل، ولا خلاف في ذلك بين العلماء.

ودلالة هذه الآيات على أن ستة أشهر أمد للحمل هي المعروفة عند علماء الأصول بدلالة الإشارة.

وقد أوضحا الكلام عليها في مباحث الحج، في سورة الحج في مبحث أقوال أهل العلم في حكم الحبيب بذللفة، وأشرنا لهذا النوع من البيان في ترجمة هذا الكتاب المبارك.

قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشْدُدو وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةٌ).

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: (حَتَّى بَلَغَ أَشْدُدو)، وفي ترجمة هذا الكتاب المبارك.

قوله تعالى: (وَأَلَّمْيَ قَالَ لَوْلَدَيْنِ أَفْيَ لَكُمْ اثْنَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي، وَهُمْ يُسَيَّبِينَ لِلَّهِ وَيَلِيكَ عَامِينَ إِنَّ وعدَ اللَّهِ أَنَّهُ حَقًّا،})

"حقًا فيقول ما هذا إلا أسطير الأولون. أوْلَٰئك اللَّذين حَقَّ عَلَيْهِمُ القُوَّةُ الآية."

/ التحقيق إن شاء الله أن (الذي) في قوله: "واللذى قال لورديه" بمعنى الذين، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث.

والدليل من القرآن على أن (الذي)، بمعنى الذين، وأن المراد به العصوب، أن (الذي) في قوله: "واللذى قال لورديه" مبتدأ خبره قوله تعالى: "أوْلَٰئك اللَّذين حَقَّ عَلَيْهِمُ القُوَّةُ الآية.

والإخبار عن لفظة (الذي) في قوله: "أوْلَٰئك اللَّذين حَقَّ عَلَيْهِمُ القُوَّةِ" بصيغة الجمع، صريح في أن المراد بـ (الذي)، العصوب لا الإفراد. وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

وبهذا الدليل القرآني تعلم أن قول من قال في هذه الآية الكريمَة إنها نازلة في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ليس بصحيح، كما جزمت عائشة رضي الله عنها ببطلانه.

وفي نفس آية الأحقاف هذه دليل آخر واضح على بطلانه، وهو أن الله صرَّح بأن الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قوله: "وَلَكَنْ حَقَّ الْقُوَّةِ مِنَ اللَّهِ أَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَهَنِّ وَلَا تَأْسِ أَجَاعَتُهُ". ومعلوم أن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم وحسن إسلامه، وهو من خيار المسلمين وأفضل الصحابة، رضي الله عنهم.

وغاية ما في هذه الآية الكريمَة هو إطلاق الذي وإرادة الذين، وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب؛ لأن لفظ الذي مفرد ومعناه...
سورة الأحقاف

عام لكل ما تشمله صلتها، وقد تقرر في علم الأصول أن الموصولات كالذي والتي وفروعهما من صين العموم، كما أشار له في مراقي السعودية قوله:

صِيْغَّهُ كُلٌ أو الجمِيع

وقد تلا الذي التي الفروع

فمن إطلاق الذي وإرادة الذين، في القرآن: هذه الآية الكريمة من سورة الأحقاف، وقوله تعالى في سورة البقرة: "مَثَلُهُمْ كُتُبُ

اللَّهُ يُصِيبُونَهُمْ وَيَكْتُمُونَهُمْ قُلْ: "لَا يُصِيبُونَهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَيَكْتُمُونَهُمْ إِلَّا هُمْ" (17) بصيغة الجمع في

الضمائر الثلاثة التي هي: "يَكْتُمُونَهُمْ"، "يُصِيبُونَهُمْ"، والواو في: "لَا يُصِيبُونَهُمْ"، وقوله تعالى في البقرة أيضاً: "كَانُوا يَنْفِقُونَ مَالًا وَيَتَّقُونَ

أَنَّى" أي كذالك ينفقون، بدون قوله: "لَا يُقَدِّرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَمَّا هُمْ مُتَصَلِّبُونَ"، وقوله في الزمر: "وَلَمْ يَكُونَ لَهُمْ مَثَلًا وَمَسَّهُمْ مَثَلُ مَا كَانَ مَثَلُ

هُمْ أَلْقَوْبَاتِ"، وقوله في النبأ: "وَلَا شَيْءٌ مِّنْهُمْ مَا كَانَ مِثَالٌ خَاصِّيًا" أي كذالك خاصوا، بناء على أنها موجودة لا مصدرية.

ونظير ذلك من كلام العرب قول أشبع ابن رمية:

فإن الذي حانت بفنجهم فهم القوم كل القوم يا أم خالد

وقول عديل بن الفرح العملي:

وابي أسقفي القوم إخوتي الذي غوايتهم غبي ورشدهم رشدي

وقول الراجي:

يا رب عبس لا تبارك في أحد في قائم منهم ولا في من فقد

"إلا الذي قاموا بأطراف المسد" وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "أَفِي لُكْمَا" كلمة تضجر.
وقائل ذلك عاق لوالديه، غير مجتنيب نهي الله في قوله: «إِنَّمَا يَلْعَنُّهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَكَذَّبُواْ مَا أَتَاهُمْ مِنْ رَحْمَةٍ إِلَّا زَوْجَةَ كَذَٰلِكَ الْخَيْبَةُ لَهُمْ فَالْمَيْلُ إِلَيْهِمْ مِنْ خِيفَةٍ».

وقوله: «أَعْدَى أَنْ يَفْتَرِظُ» فعال مضارع وعد، وحذف واهو في المضارع مطرد، كما ذكره في الخلاصة بقوله:

فَأَمَرَ أَوُلَمْ يَمْسَكَ مِنْ كَيْدَتَهُ احذَف وَفِي كَعْدَةٍ ذَا أَطْرَد

والنون الأولى نون الرفع، والثانية نون الوقاية كما لا يخفى.

وقرأ هذا الحرف أبو عمرو وابن عامر في رواية ابن ذكوان وعاصم وحمزة والكسي: (أتعداني) بنوين مكسرتين مخفتين.

وياء ساكنة.

وقرأ هشام عن ابن عامر بنوين مشددة مكسرة ولياء ساكنة.

وقرأ نافع وابن كثير بنوين مكسرتين مخفتين وياء مفتوحة، والهمزة للانكار.

وقوله: «أَنَّ أَخْرِجْ» أي أبعث من قبري حيا بعد الموت.

وال مصدر المشلب من أن وصلتها هو المفعول الثاني لتعداني، يعني أتعداني الخروج من قبري حيا بعد الموت، والحال قد مضت القرون، أي هلكت الأمم الأولى ولم يحي منهم أحد ولم يرجع بعد أن مات.

(وهما) أي والدنا (يستغثيان الله) أي يطلبانه أن يغيفهما بأن يهدي ولدهما إلى الحق والإقرار بالبعث، ويقولان لولدهما: (ويلك آمن) أي بالله وبالبعث بعد الموت.

والمراد بقولهما: (ويلك) حثه على الإيمان إن وعد الله حق، أي وعده بالبعث بعد الموت حق لا شك فيه، فيقول ذلك الولد العاق
المنكر للبعث: «ماهداً» أي الذي تعداني إياه من bwث بعد الموت.

والأساطير جميع أسطورة، وقيل: جمع إسطارة، ومراده بها ما سطره الأولون، أي كتبوه من الأشياء التي لا حقيقة لها.

وقوله: "أولئك" ترجع الإشارة فيه إلى العاقلين المكذبين بالبعث، المذكورين في قوله: "والذين قال لودي أنه في كمًا" الآية.

وقوله: "وقيق عليةهم الراء" أي وجبت عليهم كلمة العذاب.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة يس في الكلام.

على قوله تعالى: "افتدخ النزل عن أكرههم فهم لا يؤمنون".

وقوله تعالى: "ويتم الذين كفروا على النار أذهبتهم طينية في حياتك الذنية وأستمعن بها فألهم نحرهم عذاب الالهون بما كنتم تسكنون في الأرض بغير الله وما كنتم ترضون".

معنى الآية الكريمه أنه يقال للكفار يوم يعرضون على النار:

فقوله يعرضون على النار: قال بعض العلماء: معناه ينشرون حرها، كقول العرب: عرضهم على السيف، إذا قتلهم به، وهو معنى معروف في كلام العرب.
وقد ذكر تعالى مثل ما ذكر هنا في قوله: 
«يرتوض الذين كفروا
على النار، أي سرقوا
بأي يد، بل يجدون النار عذابهم»، وهذا يدل على أن المراد بالعرض مباشرة
العذاب؛ لقوله: قلوا على وداني قال قد فدوها العذاب، يا كُنتم تكفرُون،
وقوله تعالى: وحاق بئام فرعون سوء العذاب، النار يعرضون عليها
عذباً وعشيّاً، لأنه عرض عذاب.

وقال بعض العلماء: منعى عرضهم على النار هو تقربهم منها،
391 والكشف / لهم عنها حتى يروها، قال تعالى: وَرَأَى الْمُجِرَّمُونَ النَّارَ
الأيّة، وقال تعالى: وَقَالَ الْرَّحْمَنُ مِنْبَجَّرًا.

وقال بعض العلماء: في الكلام قلب. وهو مروي عن
ابن عباس وغيره.

قالوا: والمعنى: ويوم تعرض النار على الذين كفروا، قالوا:
وهو كقول العرب: عرضت النار على الحوض، يعنون عرضت
الحوض على الناقة، ويدل لهذا قوله تعالى: وَعَرَضْتَ جَهَّامَ يَقِيمُ
لَكَفِيْنَ عَرَضًا.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له:

هذا النوع الذي ذكروه من القلب في الآية، كقلب الفاعل
مفعلًا، والمفعول فاعلاً، ونحو ذلك، اختالف فيه علماء العربية،
فمنه البلاغيون إلا في التشبيه، فألبوا قلب المشبه مشبهًا به
والمشبه به مشبهًا بشرط أن يتضمن ذلك نكتة وسراً لطيفاً، كما هو
المعروف عنهم في مبحث التشبيه المقلوب.

وأجازه كثير من علماء العربية.

والذي يظهر لنا أنه أسلوب عربي نظفت به العرب في لغتها،
سورة الأحقاف

17

إلا أنه يحفظ ما سمع منه ولا يقاس عليه، ومن أمثلته في التشبيه قول الراجز:

ومنهل مغبرة أرجاعه كأن لون أرضه سماؤه

أي كأن سماءه لون أرضه، وقول الآخر:

وبدا الصباح كأن غرتته وجه الخليفة حين يمدح

لأن أصل المراد تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح، فقلب التشبيه ليوهيم أن الفرع أقوى من الأصل في وجه الشبه.

قالوا: ومن أمثلته في القرآن: 

«وَأَلْبَسْنَاهُ مِنَ الْكُحُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِيحَهُ لْيَنْضُوَّ بِالْعَصِبَةَ أَوْلَى الْقُوَّةِ»

لأن العصبة من الرجال هي التي تنوء بالمفاتيح أي تنهض بها بشقية وجهد لكثرةها وثقلها، وقوله تعالى:

«فَعِمِّسْهُمْ أَلْبَاسَكَا» أي عموا عنها.

ومن أمثلته في كلام العرب قول كعب بن زهير:

كأن أور ذراعيها إذا عرفت

وقد تلفع بالقور العساقيل

لأن معنى قوله: «تلفع» لبس اللفاع وهو اللحاف، والقور:

الحجارة العظام، والعساقيل: السراب.

والكلام مقلب؛ لأن القور هي التي تلفع بالعساقيل

لا العكس، كما أوضحه لبيد في معلقته بقوله:

فبتلك إذ رقص اللواحم بالضحي واجتتاب أردية السراب إكامها

فصرف بأن الإكام التي هي الحجارة اجتتاب أي ليست أردية السراب، والأردية جمع رداء.
أضواء البيان

و هذا النوع من القلب وإن أجازه بعضهم فلا ينبغي حمل الآية عليه؛ لأنه خلاف الظاهر، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه.

و ظاهر الآية جار على الأسلوب العربي الفصيح، كما أوضحه أبو حيان في البحر المحيط.

وقوله تعالى في الآية الكريمة: {آذَّنَبِمْ طَيِّبَكَرْمُكَ فِي حَيَاكِمُ الْذَّنْبِ} 

وأُسْتَمَعْتُمْ بِهَا قرأه ابن كثير وابن عامر: {آذَّنَبِمْ} بهمزتين، وهما على أصولهما في ذلك، فابن كثير يسهل الثانية بدون ألف إدخال بين الهمزتين، وهشام يحققها ويسهلها مع ألف الإدخال، وابن ذكوان يحققها من غير إدخال.

وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: {آذَّنَبِمْ} بهمزة واحدة على الخبر من غير استفهام.

و أعلم أن للعلماء كلاماً كثيراً في هذه الآية، قليلين إنها تدل على أنه ينبغي التقفش والإقالة من التمتع بالماكمل والمشارب والملابس ونحو ذلك، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل في عموم من يقال لهم يوم القيامة: {آذَّنَبِمْ طَيِّبَكَرْمُكَ فِي حَيَاكِمُ الْذَّنْبِ} الآية.

والمسرون يذكرون هنا آثاراً كثيرة في ذلك، وأحوال أهل الصفة وما لاقوه من شدة العيش.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له:

التحقيق - إن شاء الله - في معنى هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله لهم؛ لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم.
سورة الأحقاف

وإنما قلنا: إن هذا هو التحقيق لأن الكتاب والسنة الصحيحة
DALAN علي عليه وسلم، والله تعالى يقول: "إِنَّ نُزُلَّهُمْ فِي مَّقَامٍ يَوْمَ نَرْخِيهِمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ" الآية.

أما كون الآية في الكفار فقد صرح الله تعالى به في قوله: "وَفَيْرَضَ أَلِيمًا كَفُّوْا عَلَى أَلْلَهِ أَذْهَبْ هُمْ طَيِّبِيْكُ وَالآية.

والقرآن والسنة الصحيحة قد دلا على أن الكافر إن عمل عملا صالحا مطابقا للشرع، مخلصا فيه الله، كالكافر الذي يبر والديه، ويصل الرحمة، ويقر الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين المظلوم، يتحسي بذلك وجه الله، يثاب بعمله في دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية، ونحو ذلك، ولا نصيب له في الآخرة.

فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: «مَن كَانَ يُرِيدُ اَلْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذِينَهَا كُفُّوْا إِلَّا أَنْ يَعْمَلُوا صَالِحًا وَيَتَّقُوا»، وقوله تعالى: "وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْدُّنْيَا وَالآخِرَةَ مِنْ نَصِيبٍ".

وقد قيد تعالى هذا الثواب الدنيوي المذكور في الآيات بمشيئته وإرادته، في قوله تعالى: "مَن كَانَ يُرِيدُ السَّاجِدَةَ عِينَةً أَلْبَهُمْ وَرَحْمَةً أَلْبَهُمْ".

وقد بث في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهِ لَا يَظْلِمُ مَوْعِدًا حَسَنَةً بِغَيْرِ خَيْرٍ بِقَوْلِهِ: "وَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِلُّ قَوْلًا حَسَنَةً بِغَيْرِ مَثَلِهِ" (8).

وأما الكافر فيطعم بحساناته، ما عمل بها في الدنيا، حتى
إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها، هذا لفظ مسلم في صحيحه.

وفي لفظ له عن رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمَلَ حَسَنَةٌ أَطْعِمْهَا طَعْمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ أَعِيُّنَهُ حُسَنَتَهُ فِي الْآخِرَةَ وَيَعْقِبْهُ رَزَقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ". اهـ.

فهذا الحديث الثابت عن النبي ﷺ في التصريح بأن الكافر يجازى بحساناته في الدنيا فقط، وأن المؤمن يجازى بحساناته في الدنيا والآخرة معاً، وبمقتضى ذلك يتعين تعيين لا محيض عنه أن الذي أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها هو الكافر؛ لأنه لا يجزى بحساناته إلا في الدنيا خاصة.

وأما المؤمن الذي يجزى بحساناته في الدنيا والآخرة معاً، فلم يذهب طيباته في الدنيا؛ لأن حسناته مدخرة له في الآخرة، مع أن الله تعالى يشبه بما في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَقُبَّلَ مِنْ جَهَنَّمَ لَيَحْبَسْهُ ﷺ﴾ ترتيب: 295 ورَزْقٌ مِّنْ حَيْثُ لَا يُحَبَّسُونَ / فَجَعَلَ الْمُخْرَجَ مِنَ الْضِِيْقِ لَهُ وَرْزْقُهُ مِّنْ حِيَابِهَا لَا يُحَتَّبَ فِي الدُّنْيَا، وَلِيَسْتَقِيرُ أَجْرُهُ فِي الْآخِرَةِ.

والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وعلى كل حال، فالمج لعلا أباح لعباده على لسان نبيه ﷺ الطيبات في الحياة الدنيا، وأجاز لهم التمتع بها، ومع ذلك جعلها خاصة بهم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مِّنْ حَرْبِهِمْ زَيْتَةَ اللَّهِ أَخْرِجْ لَهُمْ وَالْمَلَائِكَةُ أَخْرِجُوا مِنْ أَلْزَمَهُ مَثَّالًا لِّلْيَدِينِ اِنْطَوَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالَةً صَنَّةً يُوضِعَ مَثَلًاٰ﴾.

فدل هذا النص القرآني أن تتمتع المؤمنين بالزينة والطيبات من
الرزق في الحياة الدنيا لم يمنعهم من اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة، وهو صريح في أنهم لم يذهبوا طيابتهم في حياتهم الدنيا.
ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر في الدنيا كصاحب الصفة، يكون لهم أجر زائد على ذلك؛ لأن المؤمنين ينجزون بما يصيبهم في الدنيا من المصائب والشدا، كما هو معلوم.
والنصوص الدالة على أن الكافر هو الذي يذهب طيابته في الحياة الدنيا؛ لأنه يجزى في الدنيا فقط، كالآيات المذكورة، وحديث أنس المذكور عند مسلم، قد قدمناها موضحة في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: "وَمَنْ أَرَادَ الْكَرِهَةَ وَسَعَى لَهَا سَعَى هُوَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ هُمْ سُعْيَهُمْ مُشْكُوْرَا 😇" وإذا ذكرنا هذا أسانيد الحديث المذكور وألفاظه.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "فَأَيُّهَمُّ بَعْضُ عَذَابِ الْخَوْلِ؟"
أي عذاب الهوام وهو الذل والصغار.
وقوله تعالى: "يَمَا كَانَ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ فِي غِيِّ الْعَيْنِ وَيَكُونُ تَفْسِيقًا 😇"، والله في قوله: (بما كنتم) سابعة، و (ما) مصدرية، أي تجرون عذاب الهوام بسبب كونكم مستكبرين في الأرض، وكونكم فاسقين.
وأما دل على هذه الآية الكريمة من كون الاستكبر في الأرض والفسق من أسباب عذاب الهوام، وهو عذاب النار، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: "وَالَّذِينَ فَسَقُوا وَهُمْ نَافِئُونَ، يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 😇،
وقوله تعالى: "فَوَلَمْ يَلُوا فَسْقَاهُمْ وَهُمْ نَافِئُونَ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 😇 الآية.
وقد قدمنا النتائج الوخيمة الناشئة عن التكبر في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: "فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرْ بِهَا؟" الآية.
وقوله تعالى: {قَدْ قَالَ الرَّمْزُ} مع أنه من المعلوم أنهم لا يستكبرون في الأرض إلا استكباراً متبلساً بغير الحق، كقوله تعالى: {وَلَا تَطُورِ بِذَٰلِكَ بَطُورًا} ومعلوم أنه لا يطير إلا بجناحيه، وقوله: {قَوْيَةٌ لِّلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْكِتَابِ} ومعلوم أنهم لا يكتبون إلا بأيديهم، ونحو ذلك من الآيات، وهو أسلوب عربي نزل به القرآن.

* قوله تعالى: {وَأَذَّكَرْ أَنَّا أَنْذَرْنَا قُوْمِ إِلَّا ذَٰلِكَ}. إِلَّا أَنْذَكَرْ أَنَّا أَنْذَرْنَا قُوْمِ إِلَّا ذَٰلِكَ.

أيهم جل وعلا في هذه الآية الكريمة أخا عاد ولم يعينه، ولكنه في آيات أخرى أنه هود عليه وعلى نبيه الصلاة والسلام، كقوله تعالى: {وَلَّيُجِبُوا عَلَىٰ نُورِهِمْ هُدًى} في سورة الأعراف، وسورة هود، وغير ذلك من المواضع.

* قوله تعالى: {أَلَّا تَعْبِدُوا إِلَّا إِنَّ اللّهَ إِلَّا أَحَافَ عَذَابٌ أَعْظَمُ}. إِنَّ اللّهَ إِلَّا أَحَافَ عَذَابٌ أَعْظَمُ.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن النبي هوذأ نهى قومه أن يعبدوا غير الله، وأمرهم بعبادته تعالى وحده، وأنه خوفهم من عذاب الله إن تمادوا في شركهم به.

وهذان الأمران اللذان تضمنتهما هذه الآية جاءاً موضحين في آيات أخرى.

أما الأول منهما، ففي قوله تعالى: {وَلَّيُجِبُوا عَلَىٰ نُورِهِمْ هُدًى} في سورة الأعراف، وسورة هود، ونحو ذلك من الآيات.

وأما خوفه عليهم العذاب العظيم، فقد ذكره في الشعراء في...
سورة الأحقاف

قوله تعالى: «وَأَنْقِلْ اِلْهَيْبَاءَ اِلْمُؤْمِنِينَ وَانْحَلِلْ عَلَيْكُمْ عَذَابَ الْيَمِينَ وَالْيَمِينَ وَالْيَمِينَ» وهو يوم القيامة.

* قوله تعالى: «قَالُوا أَجْتَنَّا إِلَى أَهْلِ الصَّدَقَاتِ إِنَّا أَنَا أُهْلُهَا فَأَيَّنَا بِمَا تَعْدِنَا».

* إن كنت من الصادقين.

معنى قوله تعالى: (لتأفكونا عن أهلكنا) أي لنصرنا عن عبادتها إلى عبادة الله وحده.

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة أمرين:

أحدهما: إنكار عاد على هود أنه جاءهم ليتركون عبادة الأوثان، ويعبدوا الله وحده.

والثاني: أنهم قالوا له: انتنا بما تعدنا من العذاب وعجله لنا إن كنت صادقاً فيما تقول، عناداً منهم وعتوا.

وهذان الأمران جاءا موضحين في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في الأعراف: «قَالُوا أَجْتَنَّا إِلَى أَهْلِ الصَّدَقَاتِ إِنَّا أَنَا أُهْلُهَا فَأَيَّنَا بِمَا تَعْدِنَا».

* قَالُوا أَجْتَنَّا إِلَى أَهْلِ الصَّدَقَاتِ إِنَّا أُهْلُهَا فَأَيَّنَا بِمَا تَعْدِنَا».

* إن كنت من الصادقين.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبي الله هوداً قال لقومه: إنه يبلغهم ما أرسل به إليهم؛ لأنه ليس عليه إلا البلاغ، وهذا المعنى جاء مذكوراً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في الأعراف: «قَالُ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ الْبَلَاغَ لَيْسَ بِسَفاهَة وَلَكِنْ رُسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

* إن نُولِوَ فَقَدْ أَبْلَغْنَكُمْ أَنَّا أُسْلِمْنَا يَهيَّئُ إِلَيْهِ الْآيَةَ.»

* إن نُولِوَ فَقَدْ أَبْلَغْنَكُمْ أَنَّا أُسْلِمْنَا يَهيَّئُ إِلَيْهِ الْآيَةَ.»

* إن نُولِوَ فَقَدْ أَبْلَغْنَكُمْ أَنَّا أُسْلِمْنَا يَهيَّئُ إِلَيْهِ الْآيَةَ.»

* إن نُولِوَ فَقَدْ أَبْلَغْنَكُمْ أَنَّا أُسْلِمْنَا يَهيَّئُ إِلَيْهِ الْآيَةَ.»
قوله تعالى: «قل هو ما استعجلتم به، ريح في عذاب أليم».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: «فارسلنا عليهم يحاصرون في أيام بحصان».

قوله تعالى: «ولقد مكنّهم فيما إن مكناكم فيه».

لفظة (إن) في هذه الآية الكرمة فيها للمفسرين ثلاثة أوجه، يدل استقراء القرآن على أن واحداً منها هو الحق، دون الاثنين الآخرين.

قال بعض العلماء: (إن) شرطية وجزاء الشرط موحذ، والتقدير: إن مكناكم فيه طغيتهم وبغيتهم.

وقال بعضهم: (إن) زائدة بعد (ما) الموصلة، حملًا لـ(ما) الموصلة على (ما) النافية؛ لأن (ما) النافية تزداد بعدها لفظة (إن) كما هو معلوم.

كقول قتيلة بنت الحارث - أو النضر - العبدية:

أبلغ بهما ميتاً بأن تحيه ما إن تزال بها النجائب تخفف

وقول دريد بن الصمة في الخمساء:

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليموم طاللي أينق جرب

فإن (إن) زائدة بعد (ما) النافية في البيتين، وهو كثير، وقد حملوا على ذلك (ما) الموصلة فقالوا: تزداد بعدها (إن) كأية الأحقاف هذه، وأنشد لذلك الأخفش:

يرجى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدباء الخطوب
أي يرجى المرء الشيء الذي لا يراه؛ و (إن) زائدة.
وهذا هما الوجهان اللذان لا تظهر صحة واحد منهما.
لأن الأول منهما فيه حذف وتقدير.
والثاني منهما فيه زيادة كلمة.
وكل ذلك لا يصار إليه إلا بدليل يجب الرجوع إليه.
أما الوجه الثالث الذي هو الصواب فإن شاء الله، فهو أن لفظة
(إن) نافية بعد (ما) الموصلة، أي ولقد مكناهما في الذي ما مكناكم
فيه، من القوة في الأجسام، وكثرة الأموال والأولاد والعدد.
وإنما قلنا: إن القرآن يشهد لهذا القول؛ لكثرة الآيات الدالة
عليه؛ فإن الله جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه يهدد كفار مكة بأن
الأمم الماضية كانت أشد منهم بطشا وقوة، وأكثر منهم عددا،
وأموالا، وأولادا، فلما كذبوا الرسل أهلهم الله، ليخافوا من تكذيب
النبي أن يهلكهم الله سبحانه، كما أهلل الأمم التي هي أقوى
منهم، كقوله تعالى في المؤمنين: «ألفتم تسيروا في الأرضين فنظروا كيف كان
عبيدة اللذين كانوا من قبيلهم كانوا أشد منهم قوة وانتاروا في الأرضين فما
اغفو عنهم ما كانوا يشيرون». 
وقوله فيها أيضاً: «ألفتم تسيروا في الأرضين فنظروا كيف كان
/ عبيدة اللذين كانوا من قبيلهم كانوا أشد منهم قوة وانتاروا في الأرضين
فأحدهم الله يذويهم» الآية.
وقوله تعالى في الروم: «ألفتم تسيروا في الأرضين فنظروا كيف كان
عبيدة اللذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وانتاروا الأرض وعمروها أحقها
بما عصموا» الآية.
وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: فَأَهْلَكَنَا أَشْدَدَ يَتَّبِعُونَ بَطْشًا وَمَضِيَّ مَلَكُ الأُوْلَيْينَ (۸).

قوله تعالى: فَلَوَلَا نَصَرُّهُمُ الَّذِينَ أُحِدُّوا مِنْ دُونَ اللَّهِ قَرِيَّاً إِلَى اللَّهِ بِصَلَوَاتِ عِنْدِهِمْ وَذَاكِ إِفْكُهمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (۸).

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الجاثية في الكلام على قوله تعالى: ﴿لَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبْوَاهُمْ إِنْ كَانُوا يَعْمَلُونَ۱﴾.

قوله تعالى: وَإِذَا صَرَفَتْ إِلَّاَيْكَ نَفْرٌ مِّنَ الْجَنِّ يُصَيَّمُونَ (۸)

الفُرْقَاءَ أَفْلَمَا حَضَرَّونَهُمْ فَأَصَلَّوْا قَالُوْا أَصِنُّوا وَأَصِنُّوا إِلَى قُوَّمِهِمْ مُسْدِرِينَ

قَالُوا قَبْرُ نَفْسِي إِنَّا سَيَسَّرُونَا صِيَامًا أَنْ لَّمْ نُبَيِّنَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

۱۱۱۰ يَهْدِئَ إِلَى الْمَيْلِ وَإِلَى الْأَحْقَاقِ مُسْتَقِيمٌ﴾.

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة من سورة الأحقاف أنه صرف إلى النبي ﷺ ﴿نَفِرٌ مِّنَ الْجَنِّ﴾، والنفر دون العشيرة ﴿يَسْتَيْعَبُونَ الْفُرْقَاءَ﴾ وأنهم لما حضروا قال بعضهم لبعض: ﴿أَصِنُّوا﴾ أي اسكتوا مستمتعين، وأنه لما قضى، أي انتهى النبي ﷺ من قراءته ﴿وَلَوُّا﴾ / أي رجعوا ﴿إِلَى الْقُوَّمِهِمْ﴾ من الجن في حال كونهم ﴿مُسْدِرِينَ﴾ أي مخففين لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بالله، وجربوا داعيه محمداً ﷺ. وأخبروا قومهم أن هذا الكتاب الذيسمعوه بالله المنزل من بعد موسى ﴿يَهْدِئَ إِلَى الْأَحْقَاقِ﴾ وهو ضد الباطل ﴿وَإِلَى الْطَّيْقِ مُسْتَيِّقِمٌ﴾ أي لا اعوجاج فيه.

وقد دل القرآن العظيم أن استماع هؤلاء النفر من الجن،
وقولهم ما قالوا عن القرآن، كله وقع ولم يعلم به النبي ﷺ حتى أوجيب الله ذلك إليه، كما قال تعالى في الفصيلة بعينها، مع بيانها وبسطها، بتفصيل الأقوال التي قالتها الجن بعد استماعهم القرآن العظيم: فل أوجيب إلى أنه أستمع فقر من أهلٍ فقالوا إنا سيعتنا قراءةً عامًا عبّاً ينذئ إلى السيدنِ فامنِباه، وإن شرك بهما أعتُنِبٌ، إلى آخر الآيات.

قوله تعالى: بنقُومنا أجيِبوا عامة الله وامتنوا به، يغفر
لحكِم مِن ذُنُوبكم ويرجِم مِن عذاب أليمٍ •

منطوق هذه الآية أن من أجاب داعي الله محمدًا ﷺ وأمن به، وبما جاء به من الحق غفر الله له ذنوبه، وأجاره من العذاب الأليم، ومفهومها، يعني مفهوم مخالفتها، المعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله من الجن ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحاً به مبيناً في آيات أخرى، كقوله تعالى: ونمت كيّمة ورَبك لأمَّلَان جَهَنْم من الجَنّْة والناس أَجْعَمُون •، وقوله تعالى: ولكن حَقَّ النُّؤْلَ مُنِي لأمَّلَان جَهَنْم مِن الجَنّْة والناس أَجْعَمُون •، وقوله تعالى: قال أَدخُلوا في أمر قد خلت من أقیّمكم من الجَنّْ والانس في آثأر •، وقوله تعالى: فَكَبِرْتُوا فيها هم وأَبَنَّو • وجَنُود إِلَيْس أَجْعَمُون •، إلى غير ذلك من الآيات.

أما دخول المؤمنين المجبيين داعي الله من الجن الجنة، فلم ۴۰۲

تتعرض له الآية الكريمة بإثبات ولا نفي، وقد دلت آية أخرى على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة، وهي قوله تعالى في سورة الرحمن: ولمن كفاه ﷺ ربه جَنَّان • في أي آلهٍ بَعِيدًا تَكَبِّرْا •، وبه
تعلم أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم، قائلين إنه يفهم من هذه الآية، من أن المؤمنين من الجن لا يدخلون الجنة، وأن جزاء إيمانهم وإجابتهم داعي الله هو الغفران وإجارتهم من العذاب الأليم فقط، كما هو نص الآية، كله خلاف التحقق.

وقد أوضحنا ذلك في كتابنا "دفع إبهام الاضطراب، عن آيات الكتاب" في الكلام على هذه الآية من سورة الأحقاف، فقلنا فيه ما نصه:

هذه الآية يفهم من ظاهرها، أن جزاء المطيع من الجن غفران ذنوبه، وإجارته من عذاب أليم، لا دخوله الجنة.

وقد تمسك جماعة من العلماء منهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بظاهر هذه الآية، فقالوا إن المؤمنين المطيعين من الجن لا يدخلون الجنة، مع أنه جاء في آية أخرى ما يدل على أن المؤمنين في الجنة، وهي قوله تعالى: "وَلَمْ نَرْسِلَ كَافِرًا مَّقَامًا بِجَنََّاتٍ" ؛ لأنه تعالى بين شموله للجن والإنس، بقوله "فَأَيُّ مَّلِكَ يُرِيكُمَا نَكْبَانَ".

ويستأنس لهذا بقوله تعالى: "لَكَ بِيْنَ مَيْتِينَ إِنْ شَاءَ رَبُّكَ وَايْوَا جَانٍ"، فإنه يشير إلى أن في الجنة جنا يطمئن النساء كالإنس.

والجواب عن هذا: أن آية الأحقاف نص فيها على الغفران والإجارة/من العذاب، ولم يُعَرَّض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات، وأيَة الرحمن نص فيها على دخولهم الجنة؛ لأنه تعالى قال فيها: "وَلَمْ نَرْسِلَ مَقَامًا بِجَنََّاتٍ".

وقد تقرر في الأصول أن الموصولات من صيف العموم،
فقوله: "ليس الحاف، يعم كل خائف مقام ربه، ثم صرح بشمول ذلك للجن والإنس معًا بقوله: "فيَأَيُّهَا الْ آوَيْلِاءِ الْيَكْبُرُانِ".

فبين أن الوعد بالجنين لمن خاف مقام ربه من آلهه، أي نعمة على الإنس والجن، فلا تعارض بين الآيتين؛ لأن إحداهما بينت ما لم تعرض له الآخر.

ولو سلمنا أن قوله: "يُقْفِرْ لَهُ كَثِرًا مِّن ذَوْيِكَرْ وَيُحْزَمْ مِّن عَذَابٍ أَلِيِّرٍ" يفهم منه عدم دخولهم الجنة؛ فإنه إنهما يدل عليه بالمفهوم، وقوله: "وَلْيَنْفَسِ مَقَامُ رَبِّي جَنَّانِ" فيأتي "الآوَيْلِاءِ الْيَكْبُرُانِ" يدل على دخولهم الجنة بعوم المنطوق.

والمفهوم المقدم على المنطوق، كما تقرر في الأصول.

ولا يخفى إذا أردنا تحقيق هذا المفهوم المدعى وجدناه معدوماً من أصله؛ للإجماع على أن قسمة المفهوم ثنائية، إلا أن يكون مفهوم موافقة أو مخالفة ولا ثالث.

ولأ يدخل هذا المفهوم المدعى في شيء من أقسام المفهومين.

أما عدم دخوله في مفهوم الموافقة بقسميه واضح.

وأما عدم دخوله في شيء من أنواع مفهوم المخالفة؛ فلن عن دخوله في مفهوم الحصر أو الغاية أو العدد أو الصفة أو الظرف، واضح.

فلم يبق من أنواع مفهوم المخالفة يتوهم دخوله فيه إلا مفهوم الشرط أو اللقب، وليس داخلًا في واحد منهما.

فظهر عدم دخوله فيه أصلاً.
أما وجه توهم دخوله في مفهوم الشرط؛ فلأن قوله: «يَغْفِرُ مَّا يَجْتَرَبُ» فعال مضارع مجزوم بكونه جزاء الطلب.

وجمهور علماء العربية على أن الفعل إذا كان كذلك فهو مجزوم بشرط مقدر، لا بالجملة قبله، كما قال به.

وعلى الصحيح الذي هو مذهب الجمهور، فتقرير المعنى: {أَحْبَأِيْكَ لَتَفَصَّلُوا إِلَى أَنْ تَجْعَلُوا ذَلِكَ يَغْفِرُ لَكُمْ}، فإن اتبعوا ذلك يغفر لكم، فيتوهم في الآية مفهوم هذا الشرط المقدر.

والجواب عن هذا: أن مفهوم الشرط عند القائل به، إنما هو في فعل الشرط لا في جزائه، وهو معتبر هنا في فعل الشرط على عادته، فمفهوم أن تجيبوا داعي الله وتؤمنوا به يغفر لكم، أنهم إن لم يجيبوا داعي الله ولم يؤمنوا به لم يغفر لهم، وهو كذلك.

أما جزاء الشرط فلا مفهوم له؛ لاحتمال أن تنرتب على الشرط الواحد مشروطات كثيرة، فذكر بعضها جزاء له فلا يدل على نفي غيره، كما لو قلت لشخص مثلاً: إن تسرق يجب عليك غرام ما سرقت. فهذا الكلام حق، ولا يدل على نفي غير الغرام كالقطع؛ لأن قطع اليد مرتبت أيضاً على السرقة كالغرام.

وكل ذلك الغفران، والإجارة من العذاب، ودخول الجنة، 405 كلها مرتبتة على إجابة داعي الله والإيمان به، فذكر في الآية بعضها وكسب فيها عن بعض، ثم بين في موضوع آخر، وهذا لا إشكال فيه.

وأما وجه توهم دخوله في مفهوم اللقب؛ فلأن اللقب في
اصطلاح الأصوليين هو ما لم يمكن انتظام الكلام العربي دونه، أعني المسند إليه، سواء كان لقباً أو كنية أو اسماً أو اسم جنس أو غير ذلك.

وقد أوضحتا اللقب عامة في المائدة.

والجواب عن عدم دخوله في مفهوم اللقب: أن الغفران والإجارة من العذاب، المدعو بالفرض أنهما لقبان لجنس مصدرهما، وأن تخصيصهما بالذكر يدل على نفي غيرهما في الآية، سندان لا مسند إليهما، بلد لان المصدر فيهما كامن في الفعل، ولا يستند إلى الفعل إجماعاً ما لم يرد مجرد لفظه على سبيل الحكاية.

ومفهوم اللقب عند القائل به إنما هو إنما إذا كان اللقب مسندً إلّيه؛ لأن تخصيص بالذكر عند القائل به يدل على اختصاص الحكم به دون غيره، وإلا لاما كان للتخصيص بالذكر فائدة، كما علّلوا به مفهوم الصفة.

واجب من جهة الجمهور: بأن اللقب ذكر ليمكن الحكم لا للتخصيص بالحكم، إذ لا يمكن الإسناد بدون مسند إليه.

ومما يوضح ذلك: أن مفهوم الصفة الذي حمل عليه اللقب عند القائل به إنما هو في المسند إليه لا في المسند، لأن المسند إليه هو الذي تراعى أفراده وصفاتها، فيقصد بعضها بالذكر، دون بعض فيختص الحكم بالذكر.

أما المسند، فإنه لا يراعى فيه شيء من الأفراد والأوصاف أصلاً، وإنما يراعى فيه مجرد الماهية التي هي الحقيقة الذهنية.
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
وقولك: رأيت أشداً، لا يفهم منه عدم رويتك لغير الأسد.
والقول بالفرق بين اسم الجنس فيعتبر، واسم العين فلا يعتبر، لا يظهر.

/ فلا عبارة بقول الصيرفي وأبي بكر الدقاق وغيرهما من الشافعية، ولا يقول ابن خويز منداد وابن القصار من المالكية، ولا يقول بعض الحنابلة، باعتبار مفهوم اللقب؛ لأنه لا دليل على اعتباره عند القائل به، إلا أنه يقول: لو لم يكن اللقب مختصاً بالحكم لما كان لتخصيصه بالذكر فائدة، كما عمل به مفهوم الصفة؛ لأن الجمهور يقولون: ذكر اللقب ليستد إلى، وهو واضح لا إشكال فيه.

وأشارصاحب مراقي السعود إلى تعريف اللقب بالاصطلاح الأصولي وأنه أضعف المفاهيم بقوله:

اضعفها اللقب وهو ما أَيٌ من دونه نظم الكلام العربي.
وحاصلي فقه هذه المسألة: أن الجن مكلفون على لسان نبينا ﷺ، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وأن كافرهم في النار بإجماع المسلمين، وهو صريح قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَجْمَعُونَ إِلَى نِعَمَهُمْ وَأَلْلَهَانِ"، وقوله تعالى: "فَاتَّفَقُوا فِي مَا آتَيْنَاكُمْ"، وقوله تعالى: "قالَ آتَخَذَّلَا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ ْيَلِيمٍ مِّنَ الْجَنِّ وَالْأَلَّلَى" إلى غير ذلك من الآيات، وأن مؤمنهم اختلف في دخولهم الجنة، ومنشأ الخلاف الاختلاف في فهم الآيتين المذكورتين، والظاهر دخولهم الجنة كما بينا، والعلم عند الله تعالى. اهـ. بلغه.
قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَبْتَغُوا أَنْ آتِيَ الْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّقُوا يَقِيرُونَ عَلَى أَنْ يَجِيءَ الْمُوَتُ أَحَدٌ إِلَّا يَقِيُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾. ﴿۳۳﴾

قد قدمنا الآيات الموضحة لهذه الآية، وأنها من الآيات الدالة على البعث، في البقرة والنحل والجاثية، وغير ذلك من المواضع، وأحلفنا على ذلك مراراً.

والباء في قوله: ﴿يَقِيرُونَ﴾ يسخره أن النفي متناول لأن فما بعدها، فهو في معنى: أليس الله بقادر?

ويوضح ذلك قوله بعد: (بلى) مقررًا لقدرته على البعث وغيره.

قوله تعالى: ﴿فَأَصِبْرُ كَأَصِبْرَ أُولِيَّ الْغُرُورِ مِنَ الرَّسُلِ﴾.

اختالف العلماء في المراد بأولى العزم من الرسول في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيراً.

وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب والشورى، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

وعلى هذا القول فالرسول الذين أمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا أربعة فصار هو خامسهم.

وأعلم أن القول بأن المراد بأولى العزم جميع الرسول عليهم الصلاة والسلام، وأن لفظة (من) في قوله: (من الرسول) بانية يظهر
سورة الأحقاف

أنه خلاف التحقق، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية، كقوله تعالى:

"فَقَامَ لَا تَكُونَنَّ كَصَاحِبِ الْحَرْثِ" الآية. فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر، ونهاه عن أن يكون مثل يونس؛ لأنه هو صاحب الحورث، وقوله: "وَلَقَدْ عِنْدَ هُذَا اللَّهُ ۚ إِلاَّ أَمَامَ ۖ فَأَيُّهَا ۛ وَلَمْ تَجِدَ لَهُ عِرْشًا "، فآية القلم وآية إله المذكراتان كلتاهم تدل على أن أولى العزيم من الرسل الذين أمر النبي ﷺ بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: «وَلَا تَسَاعِجُلْهُمْ».

نهي الله نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمه أن يستعجل/العذاب لقومه، أي يدعو الله عليهم بتعجيل لههم، فمفعوله (تستعجل) محدوف تقديره: العذاب، كما قاله الطرابي، وهو الظاهر.

وما تضمنت هذه الآية الكريمه من النهي عن طلب تعجيل العذاب لهم جاء موضوعاً في آيات أخرى، كقوله تعالى: «وَرَدْنَىٰ وَالْكَلِّيَّينَ أُولِيَ الْمَلْكَةَ وَمِهَّالُ قِيلَ لَهُ"، وقوله تعالى: «فَهَلْ أَلْكَفَنَّ أَشْهَدْنِمْ».

فإن قوله: "وَمِهَّالُ قِيلَ لَهُ" وقوله: "فَهَلْ أَلْكَفَنَّ أَشْهَدْنِمْ" موضوع لمعنى قوله: "وَلَا تَسَاعِجُلْهُمْ".

وقوله تعالى: "لَا يُغْرِقَنَّ نَبِيًّا كَثِيرًا فِي الْبَلَدِ مَعَ قَلِيلٍ نَّمَّاءٍ مَّا آوَّلَهُمْ جَهَنَّمَّ وَيَبْسُطُ أَلْبَاءُهُمْ"، وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّا نَتَّجَهَى بِمَا شَأْنَا يُهْدِي عِبَادِهِ الْمَلِيِّمَاءِ يَا سَكَانَا بَكَرْفُونَا"، إلى غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: "كَأَنَّمَآ بِمَآ يُرَأَوُنَّ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مَّن نَّعْلَمُ".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يونس في الكلام على قوله تعالى: "وَيَبْسُطُ أَلْبَاءُهُمْ كَانَ لَوْ لَبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مَّن أَلْبَاءُ بَعْثَنَ بِهِمْ"، وفي سورة قد أفرح المؤمنون في الكلام على قوله تعالى: "قَالُوا لَبَغْنَا يُؤْمَل أَيْضًا بَعْضُ يُؤْمُّونَ فَتَفَسَّرُ الْأَيَّاتُ السَّبْعَةَ".

ويبنا في الكلام على آية قد أفرح المؤمنون وجه إزالة إشكال معروف في الآيات المذكورة.

410 / قوله تعالى: "بَلْغُ".

التحقيق إن شاء الله أن أصوب القولين في قوله: "بَلْغُ" أنه خبر مبتدأ محدود تقديره: هذا بلاغ، أي هذا القرآن بلاغ من الله إلى خلقه.

ويدل لهذا قوله تعالى في سورة إبراهيم: "هَذَا بَلْغُ لِتَلَّاِسُ وَلِيَقْبَلْهُ بَيِّنًا"، وقوله في الأنبياء: "إِنَّهُ فِي هَذَا بَلْغُهُ إِلَّا لَقَوْمٍ عَكَبِيْدُ أَنفَكَ"، وخير ما يفسر به القرآن القرآن، والبلاغ اسم مصدر، بمعنى التبلغ، وقد علم باستقراء اللغة
العربية أن الفَعال يأتي كثيراً بمعنى التفعيل، كبلغه بلاغاً، أي تبلغاً، وكلمه كلاماً، أي تكلماً، وطلقها طاقاً، وسرحها سراحاً، وبينه بياناً.

كل ذلك بمعنى التفعيل؛ لأن فعل مضفعة العين، غير معتلة اللام ولا مهموزته، قياس مصدرها التفعيل.

وأما جاء عنه على خلاف ذلك، يحفظ ولا يقاس عليه، كما هو معلوم في محله.

أما القول بأن المعنى: وذلك البث بلاغ، فهو خلاف الظاهر كما ترى، والعلم عند الله تعالى.
سورة محمد
سورة القتال و هي سورة محمد

قوله تعالى: "آلذين كفروا و صدوا عن سبيل الله أضل أعملهم، وأذئبوا عباداً و عملوا الصبذات و أشمنوا بما نزل على محمد، و هو الحسن من ربيهم، كفر عنهم سيئاتهم و أصلح بالهيم، ذاك بأن أذئبوا أذئبوا البنبل، و أن أذئبوا أذئبوا الحسن من ربيهم، كذلك يضرب الله البنبل.

أعمالهم؟".

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "و صدوا عن سبيل الله" قال بعضهم: هو من الصدود؛ لأن صد في الآية لازمة.

وقال بعضهم: هو من الصدود؛ لأن صد في الآية متعدي، و عليه فالفعل محدود، أي: صدوا غيرهم عن سبيل الله، أي: عن الدخول في الإسلام.

وهذا القول الأخير هو الصواب؛ لأنه على القول بأن صد لازمة؛ فإن ذلك يكون تكراراً مع قوله "أذئبوا"؛ لأن الكفر هو أعظم أنواع الصدود عن سبيل الله.

وأما على القول: بأن صد متعدية فلا تكرار؛ لأن المعنى أنهم ضللون في أنفسهم، مضلون لغيرهم بصدهم إياهم عن سبيل الله.
وقد قدمنا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: "فَلْتَلْجِنِينَهُمْ حِيْوَةً طَيِّبَةً وَلْتَتَحَرَّكُوا بِهَا أَجَلُهُمْ" الآية، أن اللفظ إذا دار بين التأكيد والتأسيس وجب حمله على التأسيس، إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "أُصِلَ أَعْمَالُهُمْ أَيَّ أَبْطَلُ ثَوَابُهَا، فَما عَمِلَ الْكَافِرُ مِنْ حَسَنٍ فِي الْدُنْيَا كَقَرِى الْضِفْع، وَبِرَ الوَالِدِينَ، وَحِمَّى الْجَارَ، وَصِلَةِ الرَّحْمِ، وَالْتَنْفِيِّسَ عَنِ الْمَكْرُوب، يَبْطَلُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَيَضْمَحُ وَيَكُونُ لا أَثَرُ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: "وَقَدْمَى إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ مُبْكَرًا مَنْشُورًا"، وَهَذَا هُوَ الصواب في معنى الآية.

وقيل: (أَصِلَ أَعْمَالُهُمْ) أي أَبْطَلُ كَيْدِهِمْ، الذِّي أَرَادُوا أَن يَكْيِدُوا بِهِ النُّبِيِّ ﷺ.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَلَوْ يَكُونَ لَكُمْ مِثْلَ هَٰذِهِ الْحِيَوَةِ الْأُمَيَّةَ وَزَيَنَّهَا لَتُؤْفَى إِلَى أَعْمَالِهِمْ لَمْ يُحْفَزْهُمْ يَمِينًا أَيْ غَفِر لَهُمْ ذِنْوِيهِمْ وَتَجاَزَوْا لَهُمْ عَمَالَهُمْ السَّيِّئَةَ (وَأَصْلَحَ لَهُمْ أَي أَصْلَحُ لَهُمْ مَا تَأَهَّلَ بِهِمْ) أَيْ أَصْلَحُ لَهُمْ شَأْنَهُمْ وَحَالَهُمْ إِسْلَاحًا لَا فَسَادِهِ، وَمَا ذَكَرَهُ جَلَّ وَعَلَى هَذَا فِي أَوْلِهِمْ أَعْمَالِ النَّارِ، وَيُقَيِّمُ أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ، وَيُقِيمُ أَعْمَالَ الْمُؤْمِنِينَ، جَاء مَوْضُوحاً فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَفْوَةٌ تَعَالَى: "مِنْ كَانُ يُرِيدُ الْحِيَوَةَ الْأُمَيَّةَ وَزَيَّنَّهَا لَتُؤْفَى إِلَى أَعْمَالِهِمْ لَمْ يُحْفَزْهُمْ يَمِينًا وَهُرُفُ فِيهِ لَا يَخْضَعُونَ"، أَوْلَـِئِكَ الَّذِينَ لَا يَسْتَمِعُونَ إِلَى الْأَخْرَجَةِ إِلَّا الْمُكَانَةَ وَهُرُفُهُمْ كَثِيرُهُمْ، أَيْ وَتَبَيَّنَ مَا صَنَعُوا بِهِمْ وَبِذَلِكَ مَا سَتَأْتِ لَهُمْ إِلَّا عَذَابُهُمْ"، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "مِنْ كَانَ يُرِيدُ حُرَّثَ الْأَخْرَجَةِ وَرَزَقَهُمْ فِي هَٰذِهِ الْحِيَوَةِ أَيْ وَقَدْ مَوَى إِلَى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ مُبْكَرًا مَنْشُورًا"، يَصِيبُانَهُمْ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ يُؤُمِّنُونَ بِخَيْرٍ مَسْتَفَقِرٍ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً. "(ب)
وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا مع بعض الأحاديث الصحيحة فيه، مع زيادة إيضاح مهمة، في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لِمَا سَعَى وَهُوَ مُؤُومٌ فَأُولَٰئِكَ سَكَانُ السَّعْيَةِ مَسْكُورُونَ»، وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: «مِنْ عَمَلٍ صَلِّبًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُمِّيٍّ وَهُوَ مُؤُومٌ» الآية، وذكرنا طرفاً منه في سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: «أَنْحَبَثْنَ طُمِّيْنُكُونَ» الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «أَضْلَلُوا أَوْلِيَّاهُمْ» أصله من الضلال بمعنى الغيّة، والاضمحلال، لا من الضالة، كما زعم الزمخشري، فهو قول الله: «وَضَلُّوا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

وقد قدمنا معاني الضلال في القرآن واللغة، في سورة الشعراء في الكلام على قوله: «قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ»، وفي آخر الكهف في الكلام على قوله تعالى: «اللَّيْلَينَ صَلِّ سَهْبَانَ فِي مَبَابِي الْدُّنْيَا» الآية، وفي غير ذلك من المواضع.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «وَلَيْمَّا يَأْمُونَ وَعَمِّلُوا الْبَلَاءَ» قد قدمنا إيضاحه في أول سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: «وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلِيبَاتِ» الآية، وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: «مِنْ عَمَلٍ صَلِّبًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُمِّيٍّ وَهُوَ مُؤُومٌ» الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «وَمَا وَقَدْ أَيْمَاتِرَلَّ عَلَى رَحْمَتِهِ عَلَى حَمِيدٍ).»

قال فيه ابن كثير: هو عطف خاص على عام، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان، بعد بعثته. اهـ منه.
ويبدل لذلك قوله تعالى: {وَمَن يَكْفُرُ بِيَدِينِ الْأَخْرَاءِ فَلَكَنَّ أَسْتَخْرَجُ أَنَّاسًا لا
مَوْسِعٌ فَلَا تُنَزِّهُ إِلَّا مِنْ دُPRICEMISSING{}}. {وَجَاءَ اسْتَسْتَوْىَ الْأَيَّامِ كَلِّمُهُمَا}

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَهُوَ الْحَقُّ} جملة
اعتراضية تتضمن شهادة الله بأن هذا القرآن المنزل على هذا النبي الكريم هو الحق من الله، كما قال تعالى: {وَقَدْ بِيَدِينِ الْأَخْرَاءِ وَهُوَ الْحَقُّ}، وقال تعالى: {وَإِنَّ الْحَقَّ لَيُكْفَرَ بِهِ الْكَفَّارُ}، وقال تعالى: {وَقَدْ أَوْقَنَّا الْأَيَّامَةَ بِالْحَقِّ}، وقال تعالى: {فَقَالَ الرَّسُولُ الْأَيَّامَةَ كَفَّارُكُمْ أَلَمْ يَكْفُرُوا بَيْنَهُمُ الْحَقِّ}، وقال تعالى: {فَقَالَ الْأَيَّامَةَ كَفَّارُكُمْ أَلَمْ يَكْفُرُوا بَيْنَهُمُ الْحَقِّ}.

والرسول بالحقي من ربكهم الآية، والآيات بمثل ذلك كبيرة معلومة.

وقوله تعالى: {أَلْقِّيَّةُ مِنْ رَجُلٍ} أي ذلك المذكور من إضلاء أعمال الكفار، أي إبطالها واضمحلالها، وقائ ثواب أعمال المؤمنين، وتكيفر سيئاتهم وإصلاح حالهم، كله واقع بسبب أن الكفار اتبعوا الباطل، ومن اتبع الباطل فعمله باطل.
والزائل المضمحل تسميه العرب باطلًا، وضده الحق.
وبسبب أن الذين آمنوا اتبعوا الحق، ومنتبع الحق أعماله حق، فهي ثابتة باقية، لا زائدة مضمحلة.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن اختلاف الأعمال يستلزم اختلاف الشواهد، لا يتوقف استواهما إلا الكافر الجاهل الذي يستوجب الإنكار عليه، جاء موضوعاً في آيات أخرى، كقوله تعالى: {أَنْفُذُ الْيَوْمَ الْخَيْرَةَ الَّذِينَ كَانُوا يُذَكَّرُونَ} وقاله تعالى: {أَنْفُذُ الْيَوْمَ الْخَيْرَةَ الَّذِينَ كَانُوا يُذَكَّرُونَ}.
قال فيه الزمخشري: فإن قلت: أين ضرب الأمثال؟
قلت: في جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين.
أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السينات مثلاً لفозв المؤمنين. إنه منه.
وأخير ضرب الأمثال يراد منه بيان الشيء بذكر نظيره الذي هو مثلاً له.

قوله تعالى: "إِذَا لَقَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا آتَخَذَهُمُ الْقُرُونُ وَهُمْ أُكَبَّرُونَ مَا كَانَ فَلَمْ يُفْصِلْ عَنْهُمْ عَجْلَةً إِلَّا خَالِدَةً أَوْ زَوْرَةً".

قوله تعالى: (فضرب الرقب) مصدر نائب عن فعله، وهو بمعنى فعل الأمر، ومعلوم أن صيغ الأمر في اللغة العربية أربع: وهى فعل الأمر، كقوله تعالى: «أَقِمْ الصَّلَاةَ لِدُولَكُمْ الْشَّامِسَ» الآية.

واسم فعل الأمر، كقوله تعالى: "عَلَيْكُمْ مَنْفِسَكُمْ الآية.
والفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، كقوله تعالى: "ثُمَّ لَيْقَضُوْا نَفْسَكُمْ وَلَيْسَ فِيْنَادُورُوهُمُ الآية.
أضواء البيان

وال مصدر النائب عن فعله، كقوله تعالى: "فَضَرَبَ الْقُبُولَ" أي: فاضربوا رقابهم.

وقوله تعالى: "هَٰلَكَ إِذَا أَخَذَهُمْ" أي: أوجوعهم فيهم قتلاً.

فالإثخان هو الأكثر من قتل العدو حتى يضعف ويقلل عن النهوض.

وقوله: "قُنُعْتُ بِالْوُثَاقِ" أي: فأسروهم، والوثاق، بالفتح والكسر، اسم لما يؤسر به الأسير من قد ونحوه.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من الأمر بقتل الكفار حتى يشكنهم المسلمين، ثم بعد ذلك يأسرونهم، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: "مَا كَاذَبْنَ يَبْنِيَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَفَّضُنَّ فِي الْأَلْبَابِ" الآية، وقد أمر تعالى بقتلهم في آيات أخرى، كقوله تعالى:

"فَأَفْتَلُوا الْمُشْرِكِينَ حِيْثَ يَكُونُونَ" الآية، وقوله: "فَأَصْبَحُوا أَقْوَامٌ اِلْخَيْمَاتِ" الآية، وقوله تعالى:

"وَأَصْبَحُوا مِنْهَا سَكَّالُ بَيْنَاهَا" الآية، وقوله: "فَإِنَّمَا يَتَقَفَّهُمْ فِي الْحَرْجِ قَضِرًا يَهْبُهُمْ مَنْ حَلَفَهُمْ" الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "فِي اِنْفُقَاءٍ بَعْدُ وَفِي اِنْفُقَاءٍ" أي: فإما تمنون عليهم مناً، أو تفادونهم فداء.

ومعلوم أن المصدر إذا سبق لتفصيل وجب حذف عامله، كما قال في الخلاصة:

وَمَا لِلْتَفْصِيلِ كَإِمَامًا مَّنْ أَرْتَيْنَهُ حَيْثُ عَنَا

ويمنه قول الشاعر:

لأَجْهَنَّ فَإِمَامُ دَرَى واقعة

تخشى وإما بلغت السؤل والأمل
وقال بعض العلماء: هذه الآية مسوسخة بالآيات التي ذكرنا قبلها، ومنه يروى عنه هذا القول: ابن عباس والسدي وقتادة والضحاك وابن جريج.

وذكر ابن جريج عن أبي بكر رضي الله عنه ما يوته.

وتنسخ هذه الآية هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، فإنه لا يجوز عنده الممن ولفداء; لأن الآية مسوسخة عنده، بل يخبر عنده الإمام بين القتل والاسترقاق.

ومعلوم أن آيات السيف النازلة في براءة نزلت بعد سورة القتال هذه.

/وأكثر أهل العلم يقولون: إن الآية ليست مسوسخة، وأن جميع الآيات المذكورة محكمة، فالإمام مخیر وله أن يفعل ما رآه مصلحة للمسلمين من من وفداء وقتال واسترقاق.

قالوا: قتل النبي ﷺ عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، أسرتين يوم بدر، وأخذ فداء غيرهما من الأسرى.

وممن على ثامامة بن أهل سيد بني حنيفة، وكان يسترق السبتي من العرب وغيرهم.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: والحاصل أنه قد ثبت في جنس أسارى الكفار جواز القتل والمن ولفداء والاسترقاق، فمن ادعى أن بعض هذه الأمور تختص بعض الكفار دون بعض لم يقبل منه ذلك إلا بدليل ناهض يخص العمومات، والمجوز قائم في مقام المنع، وقال علي وفعله عند بعض المانعين من استرقاق ذكور العرب حجة، وقد استرق.

419
لا يختلف المسلمون في جواز الملك بالرق.

ومعلوم أن سبب أسر المسلمين الكفاح في الجهاد، والله تبارك وتعالى في كتابه يعبر عن الملك بالرق بعبارة هي أبلغ العبارات في توكيد ثبوت ملك الرقيق، وهي ملك اليدين؛ لأن ما ملكته يمين الإنسان، فهو مملوك له تماماً، حت تصرفه تماماً، كقوله تعالى:

"فإن خنست اللعين لا تدخلوا فجداً أو ما ملكت أيمنكم"، وقوله: "والذين هم في الراشدين خفون"، و"إلا على أوزيعهم أو ما ملكت أيمنهم عليهم عقولكم".

في سورة "قد أفلح المؤمنون"، و"سأ سأ"، وقوله: "والمخصصين من النساء إلا ما ملكت أيمنكم كتب الله علیكم الآية"، وقوله: "والذين يبغيون اللعب يمالكم أيمنكم فكلبواهم الآية".

وقوله: "والبعيد ذى الشرى والمحاربين الجنب والصابحين بالجميل وابن الكسيب وما ملكت أيمنكم"، وقوله: "لا يجل له النساء من بعد ولا أن بُنِّى بين من أنفج وترع أعجاس خسيراً إلا ما ملكت أيمنكم الآية"، وقوله: "بتبنها التبكشف يا أهلنا لكي أزنجائه الرب".

وقوله: "أو يساهرون وما ملكت أيمنهم"، وقوله: "ومن أمس مستطع بنسبكم طولاً أن ينسحح المخصصين المؤمنين فين ما ملكت أيمنكم من فئيقكم المؤمنين"، وقوله: "فما أتى ففَتْلوا بأيدي رفعهم على ما ملكت أيمنهم"، وقوله: "هل لكم ما ملكت أيمنكم من شيءكم الآية".
فالمراد بملك اليمن في جميع هذه الآيات كلها الملك بالرق، والأحاديث والآيات بمثل ذلك يتعذر حصرها، وهي معلومة، فلا ينكر الرق في الإسلام إلا مكابر أو ملحد، أو من لا يؤمن بكتاب الله ولا سنة رسوله.

وقد قدمنا حكمة الملك بالرق وإزالة الأشكال في ملك الرقيق المسلم في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرآنَ يُهْدِي لِلَّذِينَ يُعْفِقُونَ».

ومن المعلوم أن كثيراً من أجلاء علماء المسلمين ومحدثيهم الكبار كانوا أروقاء مملوكين، أو أبناء أروقاء مملوكين.

فهذا محمد بن سيرين كان أبوه سيرين عبداً لأنس بن مالك.

وهذا مكحول كان عبداً لأمرأة من هذيل فأعتقه.

ومثل هذا أكثر من أن يحصى كما هو معلوم.

واعلم أن ما يدعى بعض من المعصبين لنفي الرق في الإسلام من أن آية القتال هذه دلت على نفي الرق من أصله؛ لأنها أوجبت واحداً من أمرين لا ثالث لهما، وهما المن والفاء فقط، فهو استدلال ساقط من وجهين:

أحدهما: أن فيه استدلالاً بالآية على شيء لم يدخل فيها، ولم تتناوله أصلاً، والاستدلال إن كان كذلك فسقوطه كما ترى.

وإيضاح ذلك أن هذه الآية التي فيها تقسيم حكم الأساري إلى من وفاء، لم تتناول قطعاً إلا الرجال المقاتلين من الكفار؛ لأن قوله: «فَضِربُ الْقُتُولِ»، وقوله: «حَتَّى إِذَا أَخْضَمَتِ» صريح في ذلك كما ترى.
وعلى إثبات هؤلاء المقاتلين رتب بالفداء قوله: {"فَتَّارَواَلْوَاقِ}

الآية.

فظهر أن الآية لم تتناول أنيه ولا صغيرًا ألبته.

ويزيد ذلك إيضاحًا أن النهي عن قتل النساء الكفار وصبيانهم ثابت عن النبي ﷺ، وأكثر أهل الرق في أقطار الدنيا إنما هو من النساء والصبيان.

ولو كان الذي يدعي نفي الرق من أصله يعترف بأن الآية لا يمكن أن يستدل بها على شيء غير الرجال المقاتلين، لقصر نفي الرق الذي زعمه على الرجال الذين أسروا في حال كونهم مقاتلين، ولو قصره على هؤلاء لم يمكنه أن يقول بنفي الرق من أصله كما ترى.

الوجه الثاني: هو ما قدمنا من الأدلة على ثبوت الرق في الإسلام.

وقوله / تعالى في هذه الآية الكريمة: {"حَتَّى تَضَعَّ الْمِلْعَبَيْنِ أَوْزَارَهَا "} 

أي: إذا لقيتم الكفار فاضروا أعناقهم، {"حَتَّى إِذَا أَخْتَنَّكُمْ فَأَسْرُوْهُمْ "} قتلاً فأسروه، {"حَتَّى ضَعَّ الْمِلْعَبَيْنِ أَوْزَارَهَا "} أي: حتى تنتهي الحرب.

وأظهر الأقوال في معنى وضع الحرب أوزارها أنه وضع السلاح، والعرب تسمي السلاح وزراً، وتطلق العرب الأوزار على آلات الحرب وما يساعد فيها كالخيل، ومنه قول الأعشى:

وأعدت للحرب أوزارها رماحًا طوالًا وخيلة ذكورة

وفي معنى أوزار الحرب أقوال آخر معروفة، تركناها لأن هذا أظهرها عندنا، والعلم عند الله تعالى.
قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصَرُوا اللَّهُ يَصَارَعُونَهُ وَيَنْصَرُوا﴾ آَنَا مَكْرُهُ.

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن المؤمنين إن نصروا بهما من طريقهم على أعدائهم، وثبت أقدامهم، أي عصموا من الفرار والهزيمة.

وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، وبين في بعضها صفات الذين وعدهم بهذا النصر، كقوله تعالى: ﴿وَلَيَنَصَّرُنَّكُمُ اللَّهُ وَلِيْكُمْ وَلِيُّ الْمُلْكَ وَلَهُ السَّلْطَةُ وَلَهُ الْقَرْطُبُ﴾، ثم بين صفات الموعودين بهذا النصر في قوله تعالى بعده: ﴿أَلَّذِينَ إِن مَّكَثُتُمُ فِي الأَرْضِ أَقْسَمُوا الْصَّلَاةً وَالأَذْكَارَ وَالْزِّكَانِيَةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ عَلِيُّ الْبَيْنَةِ الْأَمْحَرِ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا حَقًا عَلَّيْنَا نَصَّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَصْرُوْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا ذُمُودًا وَالْمُسْلِمِينَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُلُّ سِتَّةٌ عَشَرُ سِنَاتًا الْمُرَسَّلِينَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُصْرِفُونَ وَفَإِنْ جَعَلْنَا لَهُمْ الْجَيْشَ فَلَا يَؤْتُونَ الزِّكَاةَ وَلَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لِيَسْتَجِيرُونَهُمْ وَلَا يَتَّقُونَ النَّارَ﴾.

وقوله تعالى في بيان صفات من وعدهم بالنصر في الآيات المذكورة: ﴿أَلَّذِينَ إِن مَّكَثُتُمُ فِي الأَرْضِ أَقْسَمُوا الْصَّلَاةً وَالأَذْكَارَ وَالْزِّكَانِيَةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية، يدل على أن الذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤدون الزكاة ولا يأمرون بالمروف ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر البتة.

فمثلهم كمثل الأجير الذي لم يعمل لمستأجره شيئاً ثم جاءه يطلب منه الأجرة.

فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين,
ثم يقولون: إن الله سينصرنا، مغرون؛ لأنهم ليسوا من حزب الله الموقودين بنصره كما لا يخفى.

ومعنى نصر المؤمنين الله: نصرهم لديه ولكتابه، وسعفهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العلياء، وأن تقام حدوده في أرضه، وتمثل أموره وتجنبي نواهيه، وبحكم في عباده بما أنزل على رسوله.

قوله تعالى: ﴿فأأَذَّنَت بِالْقَوْمِ فِي الْأَرْضِ فَبَيَّنُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْجَاهِلِينِ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَلَّهَا﴾.

قد قدمنا إيضاحه في سورة هود في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنْ الْقَلْبِ يَغْلِبُ﴾، وأحذنا على الآيات الموضحة لذلك في سورة الروم في الكلام على قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسْتَغْرَقْ فِي الْأَرْضِ فَيُنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْجَاهِلِينِ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَهُمْ وَأَتَّجَعَ أَشْدَمْ فِيهِمْ قُوَّةً وَأَتَبَارَأَوْا﴾ الآية، وأوضحناها في الزخرف في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنا أَشْدَمْ فِيهِمْ بَطْسًا﴾ الآية، وفي الأحقاف/ في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِي مَا فَسَادُوا فِيهِ﴾ الآية، وفي غير ذلك من المواضع.

قوله تعالى: ﴿وَأَوَانِي مِنْ قَرَبِهِ حَيَّاً أَشْدَدُ قَوَّةً مِنْ قَرَبِيَّكَ أَلِيَّ﴾.

آخره: ﴿أَهْلُكُنَّهُمْ فَلاَ نَأَصِرَهُمْ﴾.

الآيات التي توضح معنى هذه الآية هي المشار إليها في نفس الآية التي ذكرناها قبلها.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من إخراج كفار مكة للنبي ﷺ.
منها، بينه في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: ۚ ﴿ۚیَتَّبِعُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا ﱕتَّجَعُونَ عَنْ ذُرَّةِ ۚۚ وَقَدْ قَالَنَّهُمُ الْمَوْتُ وَقَدْ كَفَّرُوا بِمَا جَاءَهُمْ من الحَقِّ ﴿ۚۚ يَخْرُجُونَ الرُّسُولُ وَإِيَّاكمُ ﴿ۚۚ الآية، وقوله تعالى: ۚ ﴿ۚوَإِذَا يَمُرُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَّرُوا ﴿ۚۚ لَيَنْبُثُوا أَوْ يُقَلِّلُونَ أَوْ يُعْنِدُونَ.٥٣﴾

وقد أخرجوه فعلاً بムکرمهم المذكور، وبين جل وعلا أن النبي ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من ديارهم لا ذنب لهم بستوجبون به الإخراج إلا الإيمان بالله، كما قال تعالى: ۚ ﴿ۚلَقَدْ أَخْرَجْنَهُمْ بِذُرُّةٍ ﴿ۚۚ وَقَالَ تَنْبُثُ، وَقَالَ ﴿ۚۚ يَخْرُجُونَ الرُّسُولُ وَإِيَّاكمُ ﴿ۚۚ نَوْمًا بِذُرُّتِهَا ﴿ۚۚ أَيْ يَخْرُجُونَ الرُّسُولُ وَإِيَّاكمُ لَأَجِلِ إِيمَانُكُم بِرَبِّكُمۚ وَقَالَ تَنْبُثُ، فِي إِخْرَاجِهِمْ لِهِ: ۚ ﴿ۚۚ إِنَّ لمْ أَنزِلَ لَكُمْ عَلَى هَذِهِ أَمْثَالَ آيَاتِنَا ﴿ۚۚ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ آيَاتٍ ﴿ۚۚ الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وقرأ هذا الحرف عامة السبعة غير ابن كثير بهمزة مفتوحة بعد الكاف وباء مشددة مكسورة وون ساكنة.

وقرأ ابن كثير: (واکان)، يلف بعد الكاف، وهمزة مكسورة.

وكلهم عند الوقف يقفون على الون الساكنة، كحال الصلة، إلا أبا عمرو فإنه يقف على الياة.

وقد قدمنا أوجه القراءة في (كأين) ومعناها، وما فيها من اللغات، مع بعض الشواهد العربية في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: ۚ ﴿ۚفَكِيلَّنِّي ۚۚ أَهْلُكُنَّهَا وَهِيَ ظَلَامَةٌ ﴿ۚۚ الآية.

قوله تعالى: ۚ ﴿ۚمَثَلَ ٱلْجَٰنُونِ ٱلَّذِينَ ۚۚ وَعَدَّلُونَ فِيهِمْ أَهْرَمْنَ ۚۚ وَأَهْرَمْنَ ۚ ۚۚ أَمْسِنَ وَآخِرَهُمْ ﴿ۚۚ إِنَّ لَمْ يُغَيِّرُوا ۚۚ وَأَهْرَمْنَ ۚۚ أَمْسِنَ ۚ وَآخِرَهُمْ لَۚۚ لَذَٰلِكَ لَۚۚ لِلَّهِ ۚۚ لِلَّهِ ۚۚ الْيَوْمِ ۚۚ الآية.
أنهار الماء وأنهار الخمر التي ذكرها الله في هذه الآية بين بعض حصائرها في آيات أخرى، كقوله تعالى: "تخزى من خزى الأنهار" في آيات كثيرة، وقوله: "ومال تسركوب"، وقوله: "إن الذين في ظلال وجبلين لعذاب عظيم"، وقد بين تعالى من صفات حمر الجنة أنها لا تسكر شاربها، ولا تسبب له الصداع الذي هو وجوه الرأس، في آيات من كتابه، كقوله تعالى: "لا يصدعون عنها ولا يزرون"، وقوله: "لا فيها غول ولا حمل عذاب غزير".

وقد قدمنا معنى هذه الآيات بإيضاح في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى: "إِنَّا أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَنْبَيِّيْنَ أَنْبَايْنَ آخَرَانَ" الآية.

وقوله تعالى في الآية الكريمة: "عَرَّى كَسِيرًا" أي غير متغير اللون ولا الطعم. والآسر والآجن معناهما واحد، ومنه قوله ذي الرمة:

ومنهل آجن قفر محاضرة، تذروا الرياح على جمته البعرا

وقول الرأجع:

ومنهل فيه الغراب ميت، كأنه من الأجرون زيت

* سقيت منها القوم واستقيت *

* وبماذكرنا تعلم أن قوله: (غير آسر) كقوله: (من آس) لا يتغير طعمه.

قوله تعالى: "ولم يذبح من كل الصلالات".

قد بين تعالى في سورة البقرة أن الشمار التي يرزقها أهل الجنة يشبه بعضها بعضًا في الجودة والحسن والكمال، ليس فيها شيء
رديء، وذلك في قوله تعالى: «ِسَعْوَاهُمْ فَقُطُّ وَمَا فَقُطَّ عَالِمُهُمْ».

* قوله تعالى: «ِفَهُلْ يُظَرِّفُونَ إِلَّا أَلَّهَةُ أَنْ تُؤْمِنُونَ بِعَنْهَةِ».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحج، في الكلام على قوله تعالى: «ِيَصْبِحُ يَوْمَ الْيَوْمَ الْحَيْمُ يَصْبِحُ رُمُوسُهُمْ آتَاهُمْ مِن فِي بَطَنَّهُمْ» الآية.

* قوله تعالى: «ِفَهُلْ يُظَرِّفُونَ إِلَّا أَلَّهَةُ أَنْ تُؤْمِنُونَ بِعَنْهَةِ».

قد قدمنا الآيات الموضحة له، في سورة الزخرف، في الكلام على قوله تعالى: «ِكُلُّ يُظَرِّفُونَ إِلَّا أَلَّهَةُ أَنْ تُؤْمِنُوا بِعَنْهَةِ وَهُمْ لَا يُشَفَّعُونَ».

* قوله تعالى: «ِفَأَنَا هُدِيْهَا إِذْ جَاءَهُمْ ذَكْرُهُمْ».

التحقيق إن شاء الله تعالى في معنى الآية الكريمة، أن الكفار يوم القيامة، إذا جاءتهم الساعة، يذكرون ويؤمنون بالله ورسله، وأن الإيمان في ذلك الوقت لا ينفعهم؛ لفوات وقته، فقوله: «ِذَكْرُهُمْ» مبتدأ خبره: «ِأَنَّ هُمْ» أي كيف تنفعهم ذكرهم وإيمنهم بالله، وقد فات الوقت الذي يقبل فيه الإيمان.

والضمير المرفوع في: «ِجَاءَهُمْ» عائد إلى (الساعة) التي هي 427 القياس.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، من أن الكفار يوم القيامة يؤمنون ولا ينفعهم إيمانهم، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: «ِوَقَالُوا عَامِنَةً إِلَيْهِ وَأَنَّ هُمْ آتَانَا مَنْ مَكَانَ بَعْيَّدٍ».
وقوله تعالى: ﴿وَجَآَهَا يُؤُومَيْنَ يُؤُومَيْنَ يَتَحَسَّّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّ لَهُ الْأَلْبَرُ﴾.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيمَۢ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْدُرُ فَتَعَمَّلُ عِينَهُ﴾.

فظهر أن قوله: ﴿فَأَقَلُّ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ دُرَّ تَأْوِيمَهُ﴾ على حذف مضاف، أي أنى لهم نفع ذكراهم.

والذكرى اسم مصدر بمعنى الاتباع الحامل على الإيمان.

* قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنزِلَت سُورَةُ تُحَكَّمَةٌ وَذَكَرْ فِيهَا الْيَسَّالُ رَأى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَسْرُوضٌ يُنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرٌ الْمُعَفِّضِيَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه إذا أنزل سورة محكمة، أي متقدة الألفاظ والمعاني، واضحة الدلالة لا تسب فيها، وذكر فيها واجبات قتل الكفار، تسبب عن ذلك كون الذين في قلوبهم مرض، أي شك ونفاق، ينظرون كنظر الإنسان الذي يغشي عليه لأنه في سياق الموت؛ لأن نظر من كان كذلك تدور فيه عينه ويزغ بصره.

وهذا إنما وقع لهم من شدة الخوف من بأس الكفار المأمور بقتالهم.

وقد صرح جل وعلا بأن ذلك من الخوف المذكور في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرٌ كَالْيَمِينِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾.

وقد بين تعالى أن الأغبناء من هؤلاء المنافقين، إذا أنزل الله
سورة فيها الأمر بالجهاد، استذنذنا النبي في التخلف عن الجهاد، وذمهم الله على ذلك، وذلك في قوله تعالى: ۚ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سَوَاً أُعْمِنتُوا بِاللَّهِ وَجَاهَّدُوا مَعَ رُسُولِهِ أُضُرُّوا الْقُوَّةَ وَهُمْ وَقَالُوا ذَلِكَ نَتَّكِينَ مَعَ الْقَبِيدِينَ اِذْذَا أُنْتُمْ مَعَ الْحَوْارِيِّينَ وَتَطْرُكُوا عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَقْهَوَنَّ ۛ. ۚ

 قوله تعالى: ۚ أَفَلَا يَتَذَهَّبُونَ الْقُرَءَاتُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَاهُنَّۛ.

 الهمزة في قوله: ۖ أَفَلَا يَتَذَهَّبُونَۛ لِلإِنكارٍ، والفاء عاطفة على جملة محدودة، على أصح القولين، والتقدير: أيعرضون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن، كما أشار له في الخلاصة بقوله:

 وحذف متبوع بذا هنا استبع

 قوله تعالى: ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَاهُنَّۛ (أم) في منقطعة بمعنى بل، فقد أنكر تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن، بأداء الإنكار التي هي الهمزة، وبين أن قلوبهم عليها أفعال لا تنفتح لخير، ولا لفهم قرآن.

 وما تضمنت هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله، جاء موضحًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ۚ أَفَلَا يَتَذَهَّبُونَ الْقُرَءَاتُ وَلَوْ كَانُوْنَ مِنْ عَنْدِ عِبَادِ اللَّهِ لَجِدُوا فِيهِ أَحْسَنَ عِلْمًا صَبِيرًاۛ، وقوله تعالى: ۚ أَفَلَا يَذْهِبُوا الْقُوَّةَ أَمْ رَجُلِ يَذْرَهُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْرَهُ ۛ أَوْلَوَى الْأَوَّلِينَ، وقوله تعالى: ۚ فَكُتِبَ أَنْذَرْهُ إِلَيْهِ ۛ إِنْ كَانَ مُبَرَّكًا لَّهُ وَيُسَدَّرُ أُولُو الْآبِۛ.

 وقد ذم جل وعلا المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات
وكثيراً، كقوله تعالى: "وَمَنْ أَظَلَّ مِنْ ذَكْرِ يَارْبِهِ رَبُّهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا" الآية،
وقوله تعالى: "وَمَنْ أَظَلَّ مِنْ ذَكْرِ يَارْبِهِ رَبُّهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا".
ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات القرآن العظيم، أي
تصفحها وتقبلها، وإدراك معانيها، والعمل بها؛ فإنه معرض عنها،
غير متذبر لها، فستحقق الإنكار والتوبخ المذكور في الآيات، إن
كان الله أطعاه فهماً يقدر به على التذبر، وقد شكا النبي ﷺ إلى ربه
من هجر قومه هذا القرآن، كما قال تعالى: "وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ إِنَّ قَوْمِي
أَخَذُوا أَهْدًى الْقَرَءَانِ مُهْجُورًا ﴿ۚ﴾
وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تذبر القرآن وتقبله وتعلمه
والعمل به، أمر لا بد منه للمسلمين.
وقد بين النبي ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس، كما
ثبت عنه ﷺ في الصحيح من حديث عمرو بن عفان رضي الله عنه أنه
قال: "خيركم من تعلم القرآن وعمله"، وقال تعالى: "وَلَكَنَّ كُونُوا
رَبِينِينِ آمِنِينَ يَمْنُونَ لِكُلِّ كِتَابٍ وَيَمْنُونَ لِسُؤْرٍ ﴿ۗ﴾
فإعراضاً كثير من الأقطار عن النظر في كتاب الله وفهمه
والعمل به وبالسنة الثابتة المبينة له، من أعظم المناكر وأشنعها، وإن
ظن فاعلهم أنهم على هدى.
ولا يخفى على عاقل أن القول بمنع العمل بكتاب الله وسنة
رسوله ﷺ، اكتفاء عنهما بالمذاهب المدونة، وانتقاء الحاجة إلى
تعلمهما لوجود ما يكفي عنهما من مذاهب الأئمة، من أعظم الباطل،
وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة، ومخالف
لأقوال الأئمة الأربعة.
فمرتكبه مخالف لله ورسوله ولاصحاب رسوله جميعاً، وللائمة رحمهم الله، كما سترى إيضاحه إن شاء الله تعالى.

مسائل تتعلق بهذه الآية الكريمة

المسألة الأولى: أعلم أن قول بعض متأخري الأصوليين: إن تدير هذا القرآن العظيم وفهمه والعمل به، لا يجوز إلا للمجتهدين خاصة، وأن كل من لم يبلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروط المقررة عندهم التي لم يستند أشترات كثر منها إلى دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس جلي ولا أثر عن الصحابة = قول لا مستند له من دليل شرعي أصلاً.

بل الحق الذي لا شك فيه: أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم، وإدراك معاني الكتاب والسنة، يجب عليه تعلمها، والعمل بما علم منهما.

أما العمل بهما مع الجهيل بما يعمل به منهما فممنوع إجماعاً.

وأما ما علمه منهما علمًا صحيحًا ناشئًا عن تعلم صحيح، فله أن يعمل به، ولو آية واحدة أو حديثًا واحدًا.

ومعلوم أن هذا الدخ والانكار على من لم يتدبر كتاب الله عام لجميع الناس.

ومما يوضح ذلك: أن المخاطبين الأولين به الذين نزل فيهمهم المنافقون والكفار، ليس أحد منهم مستحكمًا لشروط الاجتهاد المقررة عند أهل الأصول، بل ليس عندهم شيء منها أصلاً. فلو كان القرآن لا يجوز أن يتفنف بالعمل به، والهتادء بهده، إلا المجهدون بالاصطلاح الأصولي، لما وبلغ الله الكفار وأنكر عليهم عدم
الابتهاج بهدا، ولما أقام عليهم الحجة به حتى يحصلوا شروط
الاجتهاد المقررة عند متأخري الأصوليين، كما ترى.
ومعلوم أن من المقرر في الأصول أن صورة سبب النزول قطعية
431 الدخول، وإذا فدخل الكفار والمنافقين في الآيات المذكورة
قطعي، ولو كان لا يصح الاتفاق بهدى القرآن إلا لخصوص
المجتهدين، لما أنكر الله على الكفار عدم تدبرهم كتاب الله، وعدم
عملهم به.
وقد علمت أن الواقع خلاف ذلك قطعاً، ولا يخفى أن شروط
الاجتهاد لا تشترط إلا فيما فيه مجال للإجتهاد، والأمور المنصوصة
في نصوص صحيحة من الكتاب والسنة، لا يجوز الإجتهاد فيها
لأحد، حتى تشترط فيها شروط الإجتهاد، بل ليس فيها إلا الاتباع،
وبذلك تعلم أننا ذكره صاحب مراقي السعود تبعاً للقرافي من قوله:
من لم يكن مجتهداً فالعمل منه بمعنى النص مما يحظل
لا يصح على إطلاقه بحال; لمعارضته لآيات وأحاديث كثيرة
من غير استناد إلى دليل.
ومن المعلوم أنه لا يصح تخصيص عمومات الكتاب والسنة إلا
بدلاً يجب الرجوع إليه.
ومن المعلوم أيضاً، أن عمومات الآيات والأحاديث الدالة على
حث جميع الناس على العمل بكتاب الله وسنة رسوله أكثر من أن
تحصى، كقوله: "تركت فيكم ما إنتمسكم به لن تضلوا:
كتاب الله وسنتي"، وقوله: "عليكم بسنتي" الحديث. ونحو ذلك
مما لا يحصي.
فتخصيص جميع تلك النصوص بخصوص المجتهدين،
وتحريم الاندفاع بهدي الكتاب والسنة على غيرهم تحريماً باتاً، يحتاج
إلى دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ولا يصح تخصيص تلك
النصوص باراءً / جماعات من المتأخرين المقررين على أنفسهم بأنهم
من المقلدين.

ومعلوم أن المقلد الصرف لا يجوز عده من العلماء ولا من
ورثة الأنبياء، كما سترى إيضاحه إن شاء الله.

وقال صاحب «مراقبي السعودية» في «نشر البنود» في شرحه لبيته
المذركون آنفاً، ما نصه: يعني أن غير المجتهد يحظى له، أي يمنع أن
يعمل بمعنى نص من كتاب أو سنة وإن صح سندها، لاحتمال
عواضه، من نسخ، وتمييز، وتخصيص، وغير ذلك من العوارض
التي لا يضبطها إلا المجتهد، فلا يخلصه من الله إلا تقليد مجيته.
قاله القرافي. اهـ محل الغرض منه بلفظه.

وهي تعلم أنه لا مستند له، ولا للقرافي الذي تبعه، في منع
جميع المسلمين غير المجتهدين من العمل بكتاب الله وسنة رسوله
الإلا مطلق احتمال العوارض التي تعرض لنصوص الكتاب والسنة، من
نسخ أو تخصيص أو تقيد ونحو ذلك، وهو مردود من وجهين:

الأول: أن الأصل السلامة من النسخ حتى يثبت ورود الناسخ,
والعام ظاهر في العموم حتى يثبت ورود المخصوص، والمطلق ظاهر
في الإطلاق حتى يثبت ورود المقيد، والنص يجب العمل به حتى
يثبت النسخ بدليل شرعي، والظاهر يجب العمل به عموماً كان
أو إطلاقاً أو غيرهما حتى يرد دليل صارف عنه إلى المحتمل
المرجح، كما هو معروف في مصلحة.
أضواء البيان

وأول من زعم أنه لا يجوز العمل بالعام حتى يبحث عن المخصص فلا يوجد ونحو ذلك، أبو العباس ابن سريج، وتبغج جماعات من المتآخرين، حتى حكوا على ذلك الإجماع حكاءة

لا أساس لها.

وقد أوضح ابن القاسم العبادي في "الآيات البيئات" غلطهم في ذلك، في كلامه على شرح المحلي لقول ابن السبكي في "جمع الجوامع" ويتمسك بالعام في / حياة النبي قبل البحث عن المخصص، وكذا بعد الوفاة، خلافاً لابن سريج أه.

وعلى كل حال فظواهر النصوص، من عموم وإطلاق، ونحو ذلك، لا يجوز تركها إلا لدليل يجج الرجوع إليه، من مخصص أو مقدد، لا لمجرد مطلق الاحتمال، كما هو معلوم في محله.

فادعاء كثير من المتآخرين أنه يجب ترك العمل به حتى يبحث عن المخصص والمقيد مثلاً، خلاف التحقيق.

الوجه الثاني: أن غير المجتهد إذا تعلم بعض آيات القرآن، أو بعض أحاديث النبي يعمل بها، تعلم ذلك النص العام، أو المطلق، وتعلم معه مخصصه ومقيده إن كان مخصصاً أو مقيداً، وتعلم ناسخه إن كان مسنوحاً، وتعلم ذلك سهل جداً، سؤال العلماء العارفين به، وراجعة كتب التفسير والحديث المعتمد بها في ذلك، والصحابة كانوا في العصر الأول يتعلمون أحداث آية فيعمل بها، وحديثاً فيعمل به، ولا يمكن من العمل بذلك حتى يحصل رتبة الاجتهاد المطلق، وربما عمل الإنسان بما علم فعلمه ما لم يكن يعلم، كما يشير له قوله تعالى: "وأتقوا الله ويعجَّسكم الله "، قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنفَعُوا اللَّهَ يُجَعَّل لَكُمْ فِرَاشًا " على القول بأن
الفرقان هو العلم النافع الذي يفرق بين الحق والباطل، وقوله تعالى: ﴿كِتَابُ الْدِّينِ أَسْمَعْنَا نَفْقَةُ اللَّهِ وَأَمَامَهُ بَصِيرَةٌ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ يَتَخَفَّصُّ كُلُّ قَلْبٍ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

ويجعل لَّهُمَا نُورًا تُمِينُونَ بِهِ الْآبَةِ.

وهذه التقوى التي دلت الآيات على أن الله يعلم صاحبها بسبيها ما لم يكن علم، لا تزيد على عمله بما علم من أمر الله، وعليه فهي عمل ببعض ما علم، زاده الله به علم ما لم يكن يعلم.

فقال بمنع العمل بما علم من الكتاب والسنة حتى يحصل رتبة الاجتهاد المطلق، هو عين السعي في حرمان جميع المسلمين من الانتفاع بنور القرآن، حتى يحصلوا شرطاً مفقوداً في اعتقاد القائلين بذلك، وادعاء مثل هذا على الله وعلى كتابه وعلى سنة رسوله هو كما ترى.

تنبه مهما

يجب على كل مسلم يخف الغرور على ربه يوم القيامة أن يتأمل فيه، ليرى لنفسه المخرج من هذه الورطة العظمى، والطامة الكبيرة، التي عمت جل بلاد المسلمين من المعمورة.

وهي ادعاء الاستغناه عن كتاب الله وسنة رسوله، استغناه تامًا، في جميع الأحكام من عبادات ومعاملات وحدود وغير ذلك، بالمذاهب المدونة.

وبناء هذا على مقدمتين:

إحداهما: أن العمل بالكتاب والسنة لا يجوز إلا للمجتهدين، والثانية: أن المجتهدين معدومون عدماً كلياً، لا وجود لأحد منهم في الدنيا.
وأخذنااً على هاتين المقدمتين، يمنع العمل بكتاب الله وسنة رسوله منعاً باتاً على جميع أهل الأرض، ويستغني عنهما بالمذاهب المدونة.

وراد كثير منهم على هذا منع تقليد غير المذاهب الأربعة، وأن ذلك يلزم استمراره إلى آخر الزمان.

فتأمل يا أخى رحمك الله: كيف يسوع لمسلم أن يقول بمنع الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعدم وجب تعلمهم وعمل بهما، استغنا عنهما بكلام رجال غير موعظيين، ولا خلاف في أنهم يخطئون؟!

فإن كان قصدهم أن الكتاب والسنة لا حاجة إلى تعلمهما، وإنهم يغني غيرهما، فهذا بهتان عظيم ومنكر من القول وزور.

فإن كان قصدهم أن تعلمهما صعب لا يقدر عليه، فهو أيضاً زعم باطل؛ لأن تعلم الكتاب والسنة أيسر من تعلم مسائل الآراء والاجتهاد المنشورة، مع كونها في غاية التعقيد والكثرة، والله جل وعلا يقول في سورة القمر مرات متعددة: «لقد كتبنا للذين يؤمنون من مذكراتكم»، ويقول تعالى في الدخان: «إِنَّمَا يَسَرُّونَ بِلَسَائِنِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ»، ويقول في مريم: «إِنَّمَا يَسَرُّونَ بِلَسَائِنِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ».

فهذا كتاب ميسر يسير لله من وفقة الله للعمل به، والله جل وعلا يقول: «إِنَّمَا يَسَرُّونَ بِلَسَائِنِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ»، ويقول:

«وَلَقَدَ جَعَلْنِي بِكَتَابٍ فَصَلَّتُهُ عَلَى هَٰذَا وَرَحْمَةَ لَّنَا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

فلا شك أن الذي يتباعد عن هذين، يحاول التبعد عن هدى الله ورحمة.
ولا شك أن هذا القرآن العظيم هو النور الذي أنزله الله إلى أرضه، ليستضاء به، فيعلم في ضوئه الحق من الباطل، والحسن من القبيح، والنافع من الضار، والرشد من الغي.

قال الله تعالى: "نُبِيّيْناَ آدَانُ عَلَيْهِمْ مَالَتْ مُّجَهَّدِيهِمْ وُقِيتْهُمْ وَآتَيْنَاهُمْ نُورًا وَجَعَلْنَاهُ لَهُمْ مِثْلَ النَّارِ وَإِذْ هُدَّيْنَاهُمْ وَمِنَ الْجَهَّالِ "، وقال تعالى: "وَلَقَدْ كَانَ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ الْأَيْامِ نُواَيِّنَى وَمِنَ النَّارِ "، وقال تعالى: "وَلَقَدْ كَانَ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ الْأَيْامِ نُواَيِّنَى وَمِنَ النَّارِ ".

فإذا علمت أبا المسلم أن هذا القرآن العظيم هو النور الذي أنزله الله ليستضاء به، ويهدئ بهدائه في أرضه، فكيف ترضى لبصريتك أن تعمى عن النور؟!

فلذا تكن خفاشى البصيرة، واحذر أن تكون ممن قيل فيهم:

خفافيش أعماها النهار بضوئه، ووقفاً قطع من الليل ظلمم مثل النهار يزيد أبصر الورى نوراً ويعمى أعين الخفاش.

*إن الذي جعلنِّيُّهُمْ أَكْثَرَ اِلَّذِينَ أُخْلِصْتُمْ نَيَّاتَهُمْ*.

*كَانَ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يُذَكَّرُ أُولُو الْأَبْلَٰثِ*.

ولا شك أن من عميت بصريته عن النور، تخطى في الظلام، ومن ل يجعل الله له نوراً فما له من نور.
أضواء البيان

467

وبهذا تعلم أيها المسلم المنصف أنك يجب عليك الجد والاجتهاد في تعلم كتاب الله وسنة رسوله، وبالوسائل النافعة المنتجة، والعمل بكل ما علمك الله منهما علمًا صحيحاً.

والتعلم أن تعلم كتاب الله وسنة رسوله في هذا الزمان، أيسر منه بكثير في القرون الأولى، لسهولة معرفة جميع ما يتعلق بذلك، من ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومتبين، وأحوال الرجال من رواة الحديث، والتمييز بين الصحيح والضعيف، لأن الجميع ضبط وأتقن ودون، فالجميع سهل التناول اليوم.

/ فكل آية من كتاب الله قد علم ما جاء فيها عن النبي ثم عن الصحابة والتابعين وكبار المفسرين.

وجميع الأحاديث الواردة عنه حفظت ودونت، وعلمت أحوال متونها وأساندتها وما يتطرق إليها من العلل والضعف.

فجمع الشروط التي اشترطوها في الاجتهاد يسهل تحصيلها جداً على كل من رزقه الله فهماً وعلماً.

والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، ونحو ذلك، تسهل معرفته اليوم على كل ناظر في الكتاب والسنة ممن رزقه الله فهماً ووفقه لتعلم كتاب الله وسنة رسوله.

واعلم أيها المسلم المنصف، أن من أشعن الباطل وأعظم القول بغير الحق على الله وكتبه وعلى النبي وسنته المطورة، ما قاله الشيخ أحمد الصاوي في حاشيته على الجلاليين، في سورة الكهف والآل عمران، واغتر بقوله في ذلك خلق لا يحبس من المتضمنين باسم طلبة العلم، لكونهم لا يميزون بين حق وباطل.
فقد قال الصاوي أحمد المذكور في الكلام على قوله تعالى:

«ولا تقول لي شاءك إن فأحل ذلك عداك الآية، بعد أن ذكر الأقوال في انفصال الاستثناء عن المستثنى منه بزمان، ما نصه: وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله، فإن شرط حل الأيمان بالمشيئة أن تصل، وإن يقصد بها حل اليمين، ولا يضر الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس، ولا يجوز تقليدها معا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضلال مضل وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر. إله منه بلغته.

فانظر يا أخي رحمك الله، ما أشنع هذا الكلام وما أبطله، وما أقرأ قاله على الله وكتبه، وعلى النبي ﷺ وسته وأصحابه، سبحانك هذا بهتان عظيم.

أما قوله بأنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة، ولو كانت أقوالهم مخالفلة للكتاب والسنة وأقوال الصحابة، فهو قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم وإجماع الأئمة الأربعة أثابهم، كما سترى إيضاحه إن شاء الله بما لا مزيد عليه في المسائل الآتية بعد هذه المسألة، فالذي ينصره هو الضلال المضل.

وأما قوله: إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر، فهذا أيضاً من أشنع الباطل وأعظمه، وقاله من أعظم الناس انتهاكًا لحمرة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، سبحانك هذا بهتان عظيم.

والتحقيق الذي لا شك فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وعامة علماء المسلمين: أنه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في حال من الأحوال بوجه من الوجه،
حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجح.

والقول بأن العمل بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر، لا يصدر البتة عن عالم بكتاب الله وسنة رسوله، وإنما يصدر عمن لا علم له بالكتاب والسنة أصلاً؛ لأنه لجهله بهما يعتقد ظاهرهما كفرًا، والواقع في نفس الأمر أن ظاهرهما بعيد مما ظنه أشد من بعد الشمس من اللمس.

وأما يوضح لك ذلك: أن آية الكهف هذه التي ظن الصاوي أن ظاهرها حل الأيمان بالتعليم بالمشيطة المتأخر زمنها عن اليمين، وأن ذلك مخالف للمذاهب الأربعة، وبنى على ذلك أن العمل بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر؛ كله باطل لا أساس له.

وقال الله تعالى 
فأكل ذلك غداً إلَّا أن يشاء الله  

ثم قال النبي: "وَأَذْكُرُ ِّزَكَّٰثٍ إِذَا كَبَّرَتِ " يعني إن قلت سأفعل كما
بعدًا، ثم نسيت أن تقول إن شاء الله، ثم تذكرت بعد ذلك، فذاكر ربك، أي قل إن شاء الله، أي لتنذارك بذلك الأدب مع الله الذي فاتك عند وقته بسبب النسيان، وتخرج من عهدة النهي في قوله تعالى:

«وَلَا تَنْصَرْنَ لَهُمْ إِلَّا قَآعِلُ ذَلِكَ عَدَا، إِلاَّ أَن يَشَاءُ اللَّهُ».

والتعليق بهذه المشيئة المتأخرة لأجل المعنى المذكور، الذي هو ظاهر الآية الصحيح، لا يخالف مذهبًا من المذاهب الأربعة ولا غيرهم، وهو التحقيق في مراد ابن عباس بما ينقل عنه من جواز تأخير الاستثناء، كما أوضحه كبير المفسرين أبو جعفر بن جبر الطبري رحمه الله، وقد قدمنا إيضاحاه في الكلام على آية الكهف.

فيا أتباع الصاوي المقلدين له تقليداً أعمى على جهالة عمياء:

أين دل ظاهر آية الكهف هذه، / على اليمين بالله أو بالطلق أو بالعناق

أو بغير ذلك من الأيمان؟

هل النبي ﷺ حلف لما قال للكلفان: سأخبركم غداً؟

وهل قال الله: ولا تقولن لشيء إني حالف سأفعل ذلك غداً؟

ومن أين جتم بالليمين، حتى قلت إن ظاهر القرآن هو حل الأيمان بالمشيئة المتأخرة عنها، وبثنا على ذلك أن ظاهر الآية مخالف لمذاهب الأئمة الأربعة، وأن العمل بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر؟

وممازيد ما ذكرنا إيضاحاً: ما قاله الصاوي أيضاً في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمۡ رَبَحٌ فَيَؤْمِنُونَ»، فإنه قال على كلام الجلال...
ما نصه: (زيغ) أي ميل عن الحق للباطل، قوله: بوقوعهم في الشبهات واللبس، أي كنمارس نجران، ومن هذا حذوه ممن أخذ بظاهر القرآن، فإن العلماء ذكروا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة. اهـ.

فأنظر رحمك الله، ما أشعن هذا الكلام وما أبطله، وما أجرأ قائله على انتهاك حرمات الله وكتابه ونبيه وسننته، وما أدرى على أن صاحبه لا يدري ما يتكلم به، فإنه جعل ما قاله نصارى نجران هو ظاهر كتاب الله، ولذا جعل مثلهم من حذا حذوه ممن أخذ بظاهر القرآن.

وذكر أن العلماء قالوا: إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر، مع أنه لا يدري وجه أدعاه نصارى نجران على ظاهر القرآن أنه كفر، مع أنه مسلم أن أدعاهم على ظاهر القرآن أنه كفرهم ومن هذا حذوه ادعاء صحيح، إلا أن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر. 

وقد قال قبل هذا قيل: سبب نزولها أن وفد نجران قالوا:

فقالوا: حسبنا، أي كفانا ذلك في كونه ابن الله، فنزلت الآية.

فاتضح أن الصاوي يعتقد أن ادعاء نصارى نجران أن ظاهر قوله تعالى: (وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ رَحْمَتًا إِلَى مَرْتَحِلٍ مَّرْتَحِلٍ) هو أن عيسى ابن الله، ادعاء صحيح، وبنى على ذلك أن العلماء قالوا: إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر.

(1) كذا في المطبعة، وفي العبارة اضطراب ظاهر.
وهذا كله من أشنع الباطل وأعظمه، فالآية لا يفهم من ظاهرها
البَتْهَة، بوجه من الوجه، ولا بدلالة من الدلاليات، أن عيسى ابن الله،
وادعاء نصارى نجران ذلك كذب بحت.

فقول الصاوي: كنصاري نجران ومن هذا حذوه بمن أخذ
بظواهر القرآن، صحيح فيه أنه يعتقد أن ما أدعاه وفد نجران من كون
عيسى ابن الله هو ظاهر القرآن، اعتقاد بطل بطل بطل، حاشا القرآن
العظيم من أن يكون هذا الكثير البواح ظاهره، بل هو لا يدل عليه البَتْهَة
فضلاً عن أن يكون ظاهره، وقوله: "وَدُوَّرَ مَنْتَهَى" كقوله تعالى:
وَسَّرَّجَ لَكُمْ مَا فِي الْبَكْرَةَ وَمَا فِي الْأَرْذُ جِينًا مِّنْهَا أي كل ذلك، من عيسى

ومن تسخير السماوات والأرض، مبدؤه ومنشئه منه جل وعلا.
فلفظة (من) في الآتيتين لابتداء الغاية، وذلك هو ظاهر القرآن,
وهو الحق، خلافاً لما زعمه الصاوي وحكاه عن نصارى نجران.

وقد اتضح بما ذكروا أن الذين يقولون: إن الأخذ بظواهر
الكتاب والسنة من أصول الكفر، لا يعلمون ما هي الظواهر، وأنهم
يعتقدون شيئاً ظاهر النص، والواقع أن النص لا يدل عليه بحال من
الأحوال فضلاً عن أن يكون ظاهره.

/ فلنبا بطلًا على بطل، ولا شك أن الباطل لا يبنى عليه إلا 442

الباطل.

ولو تصوروا معاني ظواهر الكتاب والسنة على حقيقتها لمنعهم
ذلك من أن يقولوا ما قالوا.

فنصور الصاوي أن ظاهر آية الكهف المتقدمة هو حل الأيمن
بالتعليق بالمشيئة المتأخر زمنها عن اليمين، وبناءً على ذلك مخالفته
ظاهر الآية لمذاهب الأئمة الأربعة، وأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة
من أصول الكفر، مع أن الآية لا تشير أصلاً إلى ما اعتقد أنه ظاهرها. وكذلك اعتقاد أن ظاهر آية آل عمران المذكورة هو ما زعمه نصارى نجران، من أن عيسى ابن الله، فإنه كله باطل وليس شيء مما زعم ظاهر القرآن مطلقًا، كما لا يخفى على عاقل.

وقول الصاوي في كلامه المذكور في سورة آل عمران: إن العلماء قالوا: إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر، قول باطل لا يشك في بطلانه من عنده أدنى معرفة.

ومن هم العلماء الذين قالوا إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر؟

سماوهم لنا، وبيننا لنا من هم.

والحق الذي لا شك فيه: أن هذا القول لا يقوله عالم ولا معتمل؛ لأن ظواهر الكتاب والسنة هي نور الله الذي أنزله على رسوله، ليستضاء به في أرضه، وتقام به حدوده، وتنذق به أوامره، وتنصرف به بين عبادة في أرضه.

والنصوص القطعية التي لا احتمال فيها قليلة جداً لا يكاد يوجد منها إلا أمثلة قليلة جداً، كقوله تعالى: فِصَبْهَانَ ثلَاثَةَ أَيَامٍ فِي لَّيْلٍ وَصُعبُهُ إِذَا رَجَعَ مَثَلُ عَصَرِ كَأَمِلْهُ.

والغالب الذي هو الأكبر هو كون نصوص الكتاب والسنة ظواهر.

وقد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجح، وعلى هذا كل من تكلم في الأصول.
فتتفرج الناس وإبعادها عن كتاب الله وسنة رسوله، بدعوَ أن الأخذ بظواهرهما من أصول الكفر، هو من أشعم الباطل وأعظمه كما ترى.

وأصول الكفر يجب على كل مسلم أن يحذر منها كل الحذر، ويتبع جزء منها كل التباعد، وتتجنب أسبابها كل الاجتناب، فيلزم على هذا القول المنكر الشنيع جواب التباعد من الأخذ بظواهر الوعي، وهذا كما ترى.

ويبعدنا ذكرنا يتبين أن من أعظم أسباب الضلال، ادعاء أن ظواهر الكتاب والسنة دالة على معان قبيحة ليست بلائثة، والواقع في نفس الأمر بعدها وراءها من ذلك.

وسبب تلك الدعوى الشنيعة على ظواهر كتاب الله وسنة رسوله، هو عدم معرفة مدعيها.

ولا أجل هذه البيلة العظمى، والطامة الكبرى، زعم كثير من النظار الذين عندهم فهم(1)، أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها غير لائحة بالله؛ لأن ظواهرها المتبادرة منها هو تشبه صفات الله بصفات خلقه، وعقد ذلك المقرئ في فضاءته في قوله:

والنص إن أوهم غير اللائق باَللَّه كالتшибه بالخلائق فاصرنه عن ظاهره إجماعا وقطع عن الممنفع الأطماعا.

وهذه الدعوى الباطلة، من أعظم الافتراء على آيات الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ.

(1) كذا، ولعل صوابها: «الذين ليس عنهم فهم». "نور الدين الأشʿاری"
أضواء البيان

والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها لكل مسلم راجع عقله، هي مخالفته صفات الله لصفاته خلقه.

ولا بد أن نتساءل هنا فنقول:

أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق في الذات والصفات والأفعال؟ والجواب الذي لا جواب غيره: بل.

وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يقال إن النظاظ الدال على صفته تعالى ظاهره المتبادر منه تشبيهه بصفة الخلق؟ والجواب الذي لا جواب غيره: لا.

فأي وجه يتصور عاقل أن لفظاً أنزله الله في كتابه مثلاً، دالاً على صفة من صفات الله، أثني بها تعالى على نفسه، يكون ظاهره المتبادر منه مشابهته لصفة الخلق؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فالخالق والمخلوق مخالفان كل التفاوت، وصفاتهم متناقضة كل التناقض.

فأي وجه يعقل دخول صفة المخلوق في النظاظ الدال على صفة الخالق؟ أو دخول صفة الخالق في النظاظ الدال على صفة المخلوق، مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق؟ فكل نظاظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقاً بالخالق منزهاً عن مشابهة صفات المخلوق.

وذلك النظاظ الدال على صفة المخلوق لا يعقل أن يدخل فيه صفة الخالق.
فالظاهر المتباشر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق، هو كونه

٤٤٥

جارحة هي / عظم ولحوم ودم، وهذا هو الذي يتباشر إلى الذهن في نحو قوله تعالى: {فَأَقَطَعْنَاهُ عِلْيَهُمَا}.

والظاهر المتباشر من اليد بالنسبة للمخلوق في نحو قوله تعالى:

{مَا مَنَعَ أَنْ تَسْجَدَ لِمَلَّا خَلَقْتُ بَيْنِيَ} أنها صفة كمال وجلال، لائقة بالله.

جل وعلا، ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله.

وقد بين جل وعلا عظم هذه الصفة وما هي عليه من الكمال والجلال، وبين أنها من صفات التأثير كالقدرة، قال تعالى في تعظيم شأنيها: {وَمَا قَضَوْا عَلَى اللَّهِ حَقَّ فَدَرَءَ وَالآخِرَاتُ جَمِيعًا قَضِيَتَهُ أَيْنَ عِنْدَ النَّقِيَّةَ وَالَّذِينَ مَطَوَّبِينَ}.

و وبين أنها صفة تأثير كالقدرة في قوله تعالى: {قَالَ بَلْ يَقِيمُ مَامَعَكَ} أن تسجد ليخلقت بيني، فتصريحة تتعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي من صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى.

ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البينة، لإجماع أهل الحق والباطل كلهم على أنه لا يجوز تثنية القدرة.

ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله، دخول الظاهرة التي هي عظم ولحوم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السماوات والأرض.

فاعلم أن بها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لا يليق بالله، لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث، ولم تكتم بهذا حتى ادعت.
الإجماع على صرفها عن ظاهرها = أن قولك هذا كله افتراء عظيم
446 على الله تعالى، وعلى كتابه العظيم، وأنك / بسبب كنت أعظم
المشبهين والمجمعين، وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة
التعطيل، فنسيت الوصف الذي أثبت الله في كتابه لنفسه بدعوته أنه
لا يلقي به، وأوله بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب
ولا سنة ولا إجماع ولا قول أحد من السلف.

وماذا عليك لو صدقت الله وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه
اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل؟
وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند
ذكر صفة الخالق؟

هل تلبس صفة الخالق بصفة المخلوق عند أحد، حتى يفهم
صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق؟

فأخشى الله يا إنسان، واحذر من التقول على الله بلا علم، وأمن
بما جاء في كتاب الله مع تنزهه الله عن مشابهة خلقه.

وأعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء، لا يخفى عليه الفرق
بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان
فيتحكم في ذلك يقول: هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك،
وأنا أنتي عنيك بلا مستند منك ولا من رسولك، وأنتي بدله بالوصف
اللائق بك.

فأليك مثلًا التي وصفت بها نفسك لا تلقي بك لدلالتها على
التشبيه بالجارحة، وأنا أنتي عنيك نفعاً باتنا، وأبدلها لك بوصف لائق
بك وهو النعمة أو القدرة مثلاً أو الجود.
سّبحانك هذا بُهتان عظيم.

فَأَنْفَقَتْهُ الْكَلَّامُ عَلَى الْأَبْنَاءِ الْحَقِّيَّينَ فَجَعَلَهُمَا قَدْ أَنْزَلَهُمَا إِلَّاَّ إِلَّهُكُمْ ذَكَرُوا رَسُولًا
/

يَنْبُوُوا عَلَيْهِمَا إِلَّهُ مَيْتِينَ لِيُحْيِي إِلَّهُ الْحَيَّ الْمَيْوَىَ وَيَعْمَلُوا أَمْرًا لَّهُ مَنْ أَطَمَّهُ إِلَى ٤٤٧

النَّطَرِٰ."

ومن الغريب أن بعض الجاهدين لصفات الله، المؤولين لها بمعان لم ترد عن الله ولا عن رسوله، يؤمنون فيها ببعض الكتب دون بعض.

فيقولون بأن الصفات (١) السبع التي يشتق منها أوصاف ثابتة الله مع التنزهية، وتعني بها القدرة والإرادة والإلمام والحياة والسمع والبصر والكلام؛ لأنها تُشتق منها قادر حي عليم.. إلخ، وكذلك في بعض الصفات الجامعة كالعظماء والكبراء والملك والجلال مثلاً؛ لأنها تُشتق منها العظيم والمتكب والجليل والملك، وهكذا، ويجحدون كل صفة ثبتت في كتاب الله وسنة رسوله لم يشتق منها غيرها كصفة اليد والوجه ونحو ذلك، ولا شك أن هذا التفريق بين صفات الله التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله لا وجه له البينة من الوجوه.

ولم يرد عن الله ولا عن رسوله الإذن في الإيمان ببعض صفاته، ويجحد بعضها وتأويله لأنها لا يشتق منها.

وهل يتصور عاقل أن يكون عدم الاشتراق مسوعاً لجدد ما وصف الله به نفسه؟

ولا شك عند كل مسلم راجع عقله، أن عدم الاشتراق لا يرد به كلام الله فيما أثني به على نفسه، ولا كلام رسوله فيما وصف به ربه.

١) كذا، ولهما: "فيقولون بالصفات".
والسبب الموجب للإيمان إجاباً حتماً كلياً هو كونه من عند الله، وهذا السبب هو الذي علم الراسخون في العلم أنه الموجب للإيمان بكل ما جاء عن الله، سواء استأثر الله بعلمه كالمتشابه، أو كان مما يعلمه الراسخون في العلم، كما قال الله عنهم:

وأرَسْلُونَ ﷺ ﻓِي ﺍَلدُّيْنِ يَقُولُونَ أَنَّا بِٰعْلَمِ رَبِّنَا ﻋَلَّمْنَا ﻛَلِمَةً ﻛُلِّمْنَا بِهَا ﺗَمْبَرَى

فلا شك أن قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاهُ يَدًى} من عند ربنا، وقوله تعالى: {وَأَلْهَةٌ ﻋَلَّلَ ﺲَكِيْلَ َشَهِيْرٍ} من عند ربنا أيضاً، فيجب علينا الإيمان بالجميع؛ لأنه كله من عند ربنا.

أما الذي يفرق بينه، وهو عالم بأن كله من عند ربه، بأن هذا يشتق منه وهذا لا يشتق منه، فقد آمن بعض الكتاب دون بعض.

والمقصود أن كلما جاء من عند الله يجب الإيمان به، سواء كان من المتشابه أو من غير المتشابه، سواء كان يشتق منه أو لا.

ومعلوم أن مالكاً رحمه الله سهل كيف استوى، فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب.

وأما يزعمه بعضهم من أن القدرة والإرادة مثلاً ونحوهما ليست كاليد والوجه، بدعوى أن القدرة والإرادة مثلاً ظهرت أثارهما في العالم العلوي والسفلي بخلاف غيرهما كصفة اليد ونحوها، فهو من أعظم الباطل.

ومما يوضح ذلك أن الذي يقوله، هو وأبوه وجد من آثار صفة اليد التي خلق الله بها نبيه آدم.

ونحن نرجو أن يغفر الله تعالى للذين ماتوا على هذا الاعتقاد؛ لأنهم لا يقصدون تشبيه الله بخلقهم، وإنما يحاولون تنزيهه عن مشابهة
خلقهم، فقصدهم حسن، ولكن طريقهم إلى ذلك القصد سيئة.

وكما قال الشافعي رحمه الله: نحن نرجو أن يغفر الله لهم خطأهم، وأن يكونوا دخلين في قوله تعالى: "ولن تجدوا فينا جناحاً أخشن أخشن لب ما تعمدتم قلوبكم ومكان الله عفواً رجاساً.

ولهذا المذكور لا شك فيه، ولو وفقهم الله لتطهير قلوبهم من التشبه أولًا، وجزموا بأن ظاهر صفة الخالق هو التنزيه عن مشابهة صفة المخلوق، لسموا مما وقعوا فيه.

ولا شك أن النبي ﷺ عالم كل العلم بأن الظاهر المبادر مما يمده الله به نفسه في آيات الصفات هو التنزيه التام عن صفات الخلق، ولو كان يخطر في ذهنه أن ظاهره لا يلبق، لأنه تشبهه بصفات الخلق، لبادر كل المبادرة إلى بيان ذلك؛ لأنه لا يجوز في حق تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، ولا سبباً في العقائد، ولا سيما فيما ظاهره الكفر والتشبيه.

فسكنوت النبي ﷺ عن بيان هذا يدل على أن ما زعمه المؤلون لا أساس له كما ترى.

فإن قيل: إن هذا القرآن العظيم، نزل بلسان عربي مبين، والعرب لا تعرف في لغتها كيفية ليلد مثلًا إلا كيفية المعاني المعروفة
عندها، كالجارحة وغيرها من معاني اليد المعروفة في اللغة، فيبنا لنا كافية لليد ملائمة لما ذكرتم.

فالجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن العرب لا تدرك كميات صفات الله من لغتها، لشدة منافاة صفة الله لصفة الخلق.

والوجه الثاني: أن العرب لا يعرف عقولهم كميات إلا لصفات الخلق، فلا تعرف العرب كمية للسمع والبصر إلا هذه المشاهدة في حاسة الأذن والعين، أما سمع لا يقوم بأذن وبصر لا يقوم بحدقة، فهذا لا يعرفون له كمية البة.

فلا فرق بين السمع والبصر، وبين اليد والاستواء، فالذي تعرف كميته العرب من لغتها من جميع ذلك هو المشاهد في المخلوقات.

وأما الذي اتصف الله به من ذلك، فلا تعرف له العرب كمية ولا حداً، لمخالفته صفاته لصفات الخلق، إلا أنهم يعرفون من لغتهم أصل المعنى، كما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه.

كما يعرفون من لغتهم، أن بين الخالق والمخلوق، والرزق والمرزوق، والمحيي والمحيث، والمميت والمممات، فوارق عظيمة لا حد لها، تستلزم المخالفه التامة بين صفات الخالق والمخلوق.

الوجه الثاني: أن نقول لمن قال: بيننا لنا كافية لليد ملائمة لما

---

"أضواء البيان" 480
ذكرتم، من كونها صفة كمال وجلال، منزهة عن مشابهة جارحة المخلوق:

هل عرفت كيفية الذات المقدسة المنصفة باليد؟ فلا بد أن يقول: لا.

فإن قال ذلك، قلنا: معرفة كيفية الصفات تتوقف على معرفة كيفية الذات، فالذات والصفات من باب واحد، فكما أن ذاته جل وعلا تختلف جميع الذوات، فإن صفاته تختلف جميع الصفات.

ومعلوم أن الصفات تختلف وتباين باختلاف موصوفاتها.

ألا ترى مثالًا أن لفظة «رأس» كلمة واحدة، إن أضيفتها إلى الإنسان قفلت: رأس الإنسان، وإلى الوادي فقلت: رأس الوادي، وإلى المال فقلت: رأس المال، وإلى الجبل فقلت: رأس الجبل;

فإن كلمة الرأس اختفت معانيها، وتبينت تبانياً شديداً بحسب اختلاف إضافتها، مع أنها في مخلوقات حقيقة.

فما بالك بما أضيف من الصفات إلى الله وما أضيف منها إلى خلقه، فإنه يتبين كتبائين الخالق والمخلوق، كما لا يخفى.

فاتضح بما ذكر أن الشرط في قول المقري في إضائه:

* والنص إن أوهم غير اللائق *

شرط مفقود قطعاً؛ لأن نصوص الوحي الواردة في صفات الله، لا تدل ظواهرها البيئة إلا على تنزيه الله، ومخالفته لخلقه في الذات والصفات والأفعال.

فكل المسلمين الذين يراجعون عقولهم، لا يشك أحد منهم في أن الظاهر المبادر السابق إلى ذهن المسلم، هو مخالفته للخلق،

وبذلك تعلم أن الإجماع الذي بناه على ذلك في قوله:

* فاصفه عن ظاهره إجماعاً *

إجماع مفقود أصلاً، ولا وجود له البتة؛ لأنه مبني على شرط مفقود لا وجود له البتة.

فلا الإجماع المعدوم المزعوم لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله، ولم يقله أحد من أصحاب رسول الله، ولا من تابعيهم، ولم يقله أحد من الأئمة أربعة ولا من فقهاء الأمصار المعروفين.

/ وإنما لم يقولوا بذلك؛ لأنهم يعلمون أن ظواهر نصوص الروحي لا تدل إلا على تنزية الله عن مشابهة خلقه، وهذا الظاهر الذي هو تنزية الله لا داعي لصرفها عنه كما ترى.

ولأجل هذا كله قلنا في مقدمة هذا الكتاب المبارك: إن الله تبارك وتعالى موصوف بتلك الصفات حقيقة لا مجازاً؛ لأننا نعتقد اعتقاداً جازماً لا يتطرق إليه شك، أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تدل البتة إلا على التنزية عن مشابهة الخلق واتصافه تعالى بالكمال والجلال.

إثباتات التنزية والكمال والجلال الله حقيقة لا مجازاً لا ينكره مسلم.

ووما يدعو إلى التصريح بلفظ الحقيقة، ونفي المجاز، كثرة الجاهلين النزاعيين أن تلك الصفات لا حقائق لها، وأنها كلها
مجازات، وجعلوا ذلك طريقاً إلى نفيها؛ لأن المجاز يجوز نفيه،
والحقيقة لا يجوز نفيها.
قالوا مثلاً: اليد مجاز يراد به القدرة والنعمة أو الجود، فنفوا
صفة اليد؛ لأنها مجاز.
وقالوا: (على العرش استوٍ) مجاز، فنفوا الاستواء؛ لأنه
مجاز.
وقالوا: معنى (استوٍ) استولي، وشبهوا استلائه باستيلاء
بشر بن مروان على العراق.
ولو تدبروا كتاب الله لمنعهم ذلك من تبديل الاستواء
بالاستياء، وتبديل اليد بالقدرة أو النعمة؛ لأن الله جل وعلا يقول
في محكم كتابه في سورة البقرة: "فَبَدَّلَ الْأَلْبَيْنَ ْمُلْمَهُمْ أَؤَاذَيْتُمْ آنَذَٔا يُلْقُونَ　مَا كَانَوْا يُفَسِّرُونَ؟".
ويفل في الأعراف: "فَبَدَّلَ الْأَلْبَيْنَ ْمُلْمَهُمْ أَؤَاذَيْتُمْ آنَذَٔا يُلْقُونَ　مَا كَانَوْا يُفَسِّرُونَ،　ۚ فَأَسْأَلَتْهُمُ الْأَمَامُ عَلَيْهِمْ يُضِرُّهُمْ يُذْهَبْهُمْ يُبْطَلُهُمْ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ. ۚ فَأَخَافُونَ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ. ۚ فَأَخَافُونَ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ. ۚ فَأَخَافُونَ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ. ۚ فَأَخَافُونَ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ. ۚ فَأَخَافُونَ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ. ۚ فَأَخَافُونَ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ. ۚ فَأَخَافُونَ،　ۚ ۚ فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، فَأَخَافُونَ، F542
فالقول الذي قاله الله لهم: هو قوله: (حطة) وهي فعلا، من الحط
معنى الوضع، خبر مبتدأ محذوف، أي دعاونا ومسألينا لك حطة
لذنوبا، أي حط ووضع لها عنًا، فهي بمعنى طلب المغفرة.
وفي بعض روایات الحديث في شأنهم: أنهم بدلوا هذا القول
بأُنُوا فقط فقالوا: (حطة) وهي القمح.
وأهل التأويل قيل لهم: (على العرش استوٍ)، فزادوا لاماً
قالوا: استولي.
هذه اللام التي زادوها أشبه شيء بالنون التي زادها اليهود في قوله تعالى: 
"وَفَوْلُوا أَجْهَالَكُمْ".

ويقول الله جل وعلا في منع تبديل القرآن بغيره: 
"قُل مَا يَكُونِ 
لَيْكُمْ مِن تَلَقُّبٍ إِلَّا ذَلِكَ ۛ إِنَّما مَيْتُونَ ۛ إِلَّا مَيْتُونَٰ إِلَّا أَنْ هَوَىٰ ۛ إِفْتَرَىٰ ۛ ۚ إِنْ عَصَّيْتُمْ رَبِّي 
عَذَابٌ يُوْمَ عَظِيمٍ".

ولا شك أن من بدل (استوى) باستولى مثلًا لم يتبع ما أوحي إلى النبي.

فعليه أن يجتنب التبديل، ويخفف العذاب العظيم الذي خافه رسول الله ﷺ لو عصا الله فبدل قرآنًا بغيره، المذكور في قوله: 
"إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَىٰ ۛ إِنْ عَصَّيْتُمْ رَبِّي ۛ عَذَابٌ يُوْمَ عَظِيمٍ".

واليهود لم ينكروا أن اللفظ الذي قاله الله لهم هو لفظة (حطة).

ولكنهم حرفوه بالزيادة المذكورة.

ولأجل هذه المقالة لم ينكروا أن كلمة القرآن هي (استوى)، ولكن خرجها وقالوا في معناها: استولى، وإنما أبدلوها بها؛ لأنها أصلح في زعمهم من لفظ كلمة القرآن؛ لأن كلمة القرآن توهمل غير اللائق، وكلمة استولى في/زعمهم هي المنزهة اللائقه لله، مع أنه لا يعقل تشبيه أشعن من تشبيه استيلاء الله على عرشه المزعوم باستيلاء بشر على العراق.

وهل كان أحد يغلب الله على عرشه حتى غلبه على العرش، واستولى عليه؟!

وهل يوجد شيء إلا والله مستولى عليه؟ فلله مستول على كل شيء.
وهل يجوز أن يقال: إنه تعالى أستوى على كل شيء غير العرش؟
فافهم.
وعلى كل حال، فإن المؤلِّف زعم أن الاستواء بوهم غير اللائق بالله لاستلزمته مشابهة أستواء الخلق، وجاء بدله بالاستياء؛ لأنه هو اللائق به في زعمه، ولم يتبه لأن تشبهه استياء الله على عرشه باستياء بشر نور مروان على العراق هو أقطع أنواع التشبيه، وليس بلائق قطعاً، إلا أنه يقول: إن الاستياء المزوم منته عن مشابهة استياء الخلق، مع أنه ضرب له المثل باستياء بشر على العراق، والله يقول: «لا تصدروا به الأشبال إن الله يعلم وآمر لا تعلمون».

وانحن نقول: أيها المؤلِّف هذا التأويل، نحن نسألك: إذا علمت أنه لا بد من تنزيه أحد اللفظين، أعني لفظ (أستوى) الذي أنزل الله به الملك على النبي ﷺ قرآناً يتيلى، كل حرف منه عشر حسنات، ومن أنكر أن من كتاب الله كفر.
ولفظة استيولى التي جاء بها قوم من تلقى أنفسهم من غير استناد إلى نص من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من السلف.
فأي الكلمتين أحق بالتنزيه في رأيك؟ ألا أحق بالتنزيه كلمة القرآن / المنزلة من الله على رسوله، أم كلمتمكم التي جتم بها من تلقى أنفسكم من غير مستند أصلاً؟
وانحن لا يخفى علينا الجواب الصحيح عن هذا السؤال إن كنت لا تعرفه.
واعلم أنما ذكرنا من أن ما وصف الله به نفسه من الصفات فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً، على الوجه اللائق بكماله وجلاله، وأنه لا فرق بين صفة يشتق منها وصف، كالسمع والبصر والحياة، وبين صفة لا يشتق منها كالوجه واليد، وأن تأويل الصفات، كتأويل الاستواء بالاستياء، لا يجوز ولا يصح = هو معتقد أبي الحسن الأشعري رحمه الله، وهو معتقد عامة السلف، وهو الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فمن أدعى على أبي الحسن الأشعري أنه يؤول صفة من الصفات، كالوجه واليد والاستواء و نحو ذلك، فقد افترى عليه افتراء عظيمًا.

بل الأشعري رحمه الله مصرح في كتبه العظيمة التي صنفها بعد رجوعه عن الاعتزاز، كالموجز، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، والإبانة عن أسول الديناء: أن معتقد الذين يدين الله به هو ما كان عليه السلف الصالح من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ميتي، وإثنان ذلك كله من غير كيف ولا تشبه ولا تعطيل، وأن ذلك لا يصح تأويله ولا القول بالمجاز فيه، وأن تأويل الاستواء بالاستياء هو مذهب المعتزلة ومن ضاهاهم.

وهو أعلم الناس بأقوال المعتزلة؛ لأنه كان أعظم إمام في ٤٥٦ مذهبهم، قبل أن يهديه الله إلى الحق، و سنذكر لك هذا بعض نصوص أبي الحسن الأشعري رحمه الله لتعلم صحة ما ذكرنا عنه.

قال رحمه الله في كتاب الإبانة عن أسول الديناء، الذي قال غير واحد إنه آخر كتاب صنعه، ما نصه:
فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدري والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له:
قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث.

ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولفن خلف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان به الحق ورفع به الضلال، وأوضح به النهاج، وقمع به بدع المبتدرين، وزيغ الزائنين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخليل معظم مفخم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: أنا نصر الله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً.

وأن الله رزقني على عرشه كما قال: "أَلَّهُ الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ
آسَتوىُ (٧٦)، وأن له / ووجهاً كما قال: "وَقَبَّ النَّارَ وَرَكَّزَ ذِكَرَيْنَا
والْإِكْرَارِ (١٧)، وأن له يدين بلا كيف كما قال: "خَلَقْتُ يَدًى، وكما

وأن الله استوى على عرشه كما قال: "أَلَّهُ الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ
آسَتوىُ (٧٦)، وأن له / ووجهاً كما قال: "وَقَبَّ النَّارَ وَرَكَّزَ ذِكَرَيْنَا
والْإِكْرَارِ (١٧)، وأن له يدين بلا كيف كما قال: "خَلَقْتُ يَدًى، وكما

وأن الله استوى على عرشه كما قال: "أَلَّهُ الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ
آسَتوىُ (٧٦)، وأن له / ووجهاً كما قال: "وَقَبَّ النَّارَ وَرَكَّزَ ذِكَرَيْنَا
والْإِكْرَارِ (١٧)، وأن له يدين بلا كيف كما قال: "خَلَقْتُ يَدًى، وكما
قال: "بِلَ يَدَاهُ مَتْسُوْكُتُهَا"، وأن له عينان بلا كيف كما قال: "تَجْرِيْ
يَعْمِنَا،". اهـ محل الغرض منه بلغظه.

وبه تعلم أن من يفترى على الأشعري أنه من المؤرخين المدعين
أن ظاهر آيات الصفات وأحاديثها لا يليق بالله كاذب عليه كذباً شنيعاً.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتاب الإبناة أيضاً في
إثبات الاستواء لله تعالى، ما نصحه:

إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟

قيل له: نقول: إن الله عز وجل مستو على عرشه كما قال:
"الرَّحْمُونَ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ؟"، وقد قال الله عز وجل: "إِنَّهُ يَصْبَعُ
الْكَرِيْمُ الْطَّيبُ،"، وقد قال: "إِنَّ رَفْعَةَ اللَّهِ إِلَيْهِ"، وقال عز وجل: "يَدَيْرُ
الأَمْرُ مِنْ إِلَى الأَرْضِ فَيُعيِّنُ إِلَيْهِ"، وقال حكايته عن فرعون:
"يَنْهِدُ مَنْ أَبَى لِي صَرْحَا لَعَلَّهُ أَلْقَى الأَسْبَبَٰ! أُشْبَكَ الْأَسْبَبُ فَقَطَّلَ إِلَّا إِلَيْهِ مُوَسَى وَزَيْيَٰ لَأَنْ هُوَ نَبِيٌّ لِلْقَوْمِ"، فكذب فرعون نبي الله موسى عليه
السلام في قوله: إن الله عز وجل فوق السماوات، وقال عز وجل:
"الْأَيْمَنُ مِنْ فِي الْسَّمَاوَاتِ أَنْ يَقْبَلَ فِي يَمِينِ الْأَرْضِ".

فالمسمات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال
"مَايْمَنُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ؟"؛ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات،
وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات.

هذا لفظ أبي الحسن الأشعري رحمة الله في كتاب الإبناة
المذكور.

وقد أطال رحمه الله في الكلام بذكر الأدلة القرآنية، في إثبات
صفة / الاستواء، وصفة العلو لله جل وعلا.

488
ومن جملة كلامه المشار إليه ما نصه:

وقد قال قائلون من المعتزلة والجماعية والحرورية: إن قول الله عز وجل: {أَلَبِنْكُمْ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَسْتَوَآءٌ} أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، ووجدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض، والله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم.

فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأفراد؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها.

إذا كان قادرًا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجن مستو على الحشوش والأخلاوية.

لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها.

وزعمت المعتزلة والحرورية والجماعية أن الله عز وجل في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مرير، وفي الحشوش والأخلاوية.

وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم. اهـ.

هذا لفظ أبي الحسن الأشعري رحمه الله في آخر مصنفاته، وهو كتاب الإبانة عن أصول الديانة.

ورأه صرح رحمة الله بأن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو قول ۴۰۹
المعزلة والجمهورية والحرورية، لا قول أحد من أهل السنة، وأقام البراهين الواضحة على بطلان ذلك. فليعلّم مؤلّف الأسئلة بالاستدلال أن سلفهم في ذلك المعزلة والجمهورية والحرورية، لا أبو الحسن الأشعري رحمه الله ولا أحد من السلف.

وقد أوضحتنا في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَهوَ اللَّهُ الْكُرْسَىَّ وَفِيْ الْأَرْضِ يَنْبَتُ شَرْكُهُ وَيَهْرُجُهُ ﴾ الآية، أن قول الجهمية ومن تبعهم: إن الله في كل مكان، قول باطل، لأن جميع الأمكنة الموجودة، أقصر وأقل وأصغر من أن يسمع شيء منها خلق السماوات والأرض، الذي هو أعظم وأكبر من كل شيء، وهو محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء.

فانظر إيضاح ذلك في الأنعام.

واعلم أن ما يزعمه كثير من الجهلاء، من أن ما في القرآن العظيم من صفة الاستواء والعلو والفوقية، يستلزم الجهة، وأن ذلك محال على الله، وأنه يجب نفي الاستواء والعلو والفوقية، وتأويلها بما لا دليل عليه من المعاني = كله باطل، وسببه سوء الظن بالله وكتابه.

وعلى كل حال، فمدعى لزوم الجهة لظواهر نصوص القرآن العظيم، واستلزم ذلك للنقض الموجب للتأويل، يقال له: ما مرادك بالجهة؟

إن كنت تريد بالجهة مكاناً موجوداً، انحصر فيه الله، فهذا ليس بظاهر القرآن، ولم يقله أحد من المسلمين.
وإن كنت تريد بالجهة العدم المحض، / فالعذم عبارة عن لا
شيء، فمميز أولاً بين الشيء الموجود وبين اللاشيء.
وقد قال أيضاً أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتاب الإدانة
أيضاً ما نصه:
فإن سئلنا: أنقولون: إن الله يدين ؟ قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله عز وجل: ﴿يَدَّ أَلَّهَ حَق ۚ أَلِيمًا﴾، وقاله عز وجل: ﴿لَيَّا حَلَقَتْ بِيِدٍ﴾.
وأطل رحمه الله الكلام في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على
إثبات صفة اليدين الله.
ومن جملة ما قال، ما نصه:
ويقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عنى بقوله:
﴿يَدَّ أَلَّهَ حَق ۚ أَلِيمًا﴾، ليستا نعمتين؟
فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة.
قيل لهم: ولم قضيت أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا
جارحة؟
فإن أرجعنا إلى شاهدنا، وإلى ما نجده فيما بينا من الخلق،
فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة، قيل
لهم: إن عملتم على الشاهد وقضيتيم به على الله عز وجل، فكذلك
لم نجد حياً من الخلق إلا جسةً لحماً ودماً، فافقضوا بذلك على الله
عز وجل، وإلا فائنتم لقولكم متاءلون ولاعتلالكم ناقضون.
/ وإن أثبتهم حياً لا كالأشياء منا، فلم أنكرتم أن تكون اليدان ٤٦١
اللتين أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحيتين ولا كالأيدي؟

وكذلك يقال لهم:

لم تجدوا مدبراً حكيمًا إلا إنسانًا، ثم أثبت أن للدنيا مدبراً حكيمًا، ليس كالإنسان، وخلافهم الشاهد ونقضتم اعتلاكم.

فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحيتين، من أجل أن ذلك خلاف الشاهد. اهت. محل الغرض منه بلفظه.

وبه تعلم أن الأشعري رحمة الله يعتقد أن الصفات التي أنكرها المؤولون، كصفة اليد، من جملة صفات المعاني كالحياة ونحوها، وأنه لافرق البناء بين صفة اليد وصفة الحياة، فما اتصف الله به من جميع ذلك فهو منه عن مشابهة ما اتصف به الخلق منه.

واللازم لمن شبه في بعض الصفات ونمز في بعضها أن يشعث في جميعها أو ينتز في جميعها، كما قاله الأشعري.

أما ادعاء ظهور الشبيه في بعضها دون بعض، فلا وجه له بحال من الأحوال؛ لأن الموصوف بها واحد، وهو منزه عن مشابهة صفات خلقه.

ومن جملة كلام أبي الحسن الأشعري رحمة الله المشر إليها آنفًا في إثبات الصفات، ما نصه:

إذا قال قائل: لم أنكرتم أن يكون قوله: ﴿مَا عَمِلْتَ أَيِّبَتَا﴾، وقوله: ﴿لَمْ أَخَلَّتْ بَيْدَتَي﴾ على المجاز؟

قيل له: حكم كلام الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا لحة.
فإن ظابات الحقائق ونفي المجاز في صفات الله، هو اعتقد كل
مسلم طاهر القلب من أقدر الشبيه؛ لأنه لا يسبق إلى ذهنه من اللحظ
الدل على الصفة كصفة اليد والوجه إلا أنها صفة كمال منزهة عن
مشابهة صفات الخلق.

فلا يخطر في ذهنه التشبيه الذي هو سبب نفي الصفة وتأويلها
بمعنى لا أصل له.

تنبيه مهم

فإن قيل: ظل الكتاب والسنة وإجماع السلف على أن الله وصف
نفسه بصفة اليدين، كقوله تعالى: "ما أدرك أن تسجد لِما خلقه يدَيك"،
وقوله تعالى: "بِلِ يدَاه مَسْؤوَلِي"، وقوله تعالى: "وَما قَدْرَوْاَ اللَّهَ حَيَّاً
قَدْرِيُّ وَالآَخَرُ جَمِيعاً قَبْسَتْ لَا يُقَدَّرُونَ اللَّهَ قَبْسَتْ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوَّهُنَّ يَسِيسِهِا".

الآية.

والاحاديث الدالة على مثل ما ذلت عليه الآيات المذكورة
كثيرة، كما هو معروف، وأجمع المسلمون على أنه جل وعلا لا يجوز
أن يوصف بصفة الأيدي، مع أنه تعالى قال: "أَوْلَمْ يَرَوْا أُخْلَقَتْهُمْ يَمِينًا عَمِلَتْ أَلَدْنَا أَنْفَعَهُمْ فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ (۱۷)"، فلم أجمع المسلمون على
تقديم آية (لما خلقت بدي) على آية (منا عملت أيدينا)?

فالجواب: أنه لا خلاف بين أهل اللسان العربي ولا بين
المسلمين أن صيغ الجمع تأتي لمعنيين:

أحدهما: إرادة التعظيم فقط، فلا يدخل في صيغة الجمع تعدد
أصلًا؛ لأن صيغة الجمع المراد بها التعظيم إنما يراد بها واحد.
والثاني: أن يراد بصيغة الجمع معنى الجمع المعروف.
وإذا علمت ذلك، فاعلم أن القرآن العظيم يكثر فيه جداً إطلاق الله جل وعلا على نفسه صيغة الجمع، يريد بذلك تعظيم نفسه، ولا يريد بذلك تعددًا ولا أن معه غيره. / سبحانه وتعالى عن ذلك علموا كبيرًا، كقوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نُزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَعَلِيُّونَ ".

فصيحة الجمع في قوله: "إِنَّا"، وفي قوله: "نَحْنُ"، وفي قوله: "نُزَلْنَا"، وقوله: "لَعِيُّونَ"، لا يراد بها أن معه منزلة للذكر، وحافظاً له غيره تعالى، بل هو وحده المنزل له والحافظ له.

وكذلك قوله تعالى: "أَفَرَأَيْتُمَّ مَا نَصْرَعُونَ ؟ إِنَّا نَحْنُ الْخَلِيْقُونَ "، وقوله: "أَفَأُرْسِلْنِيُّ مِنْذِنَا ؟ أَنْحَنُ الْخَلِيْقُونَ "، وقوله: "أَفَأُنْشِئُ مِنْ شَجَرَةً ؟ أَنْحَنُ الْخَلِيْقُونَ "، ونحو هذا كثير في القرآن جداً.


وإذا كان يراد بها التعظيم لا التعدد، علم بذلك أنها لا تصح بها معارضة قوله: "لَا خَلِقْتُ بَيْدًا "، لأنها دلت على صفة البدين، والجمع في قوله: "أَلِيمْنَا " لمجرد التعظيم.

وما كان كذلك لا يدل على التعدد، فيطلب الدليل من غيره، فإن ذل على أن المراد بالتعظيم واحد حُكْم به، كالآيات المتقدمة، وإن ذل على معنى آخر حُكْم به.

فقوله مثلاً: "وَإِنَّا لَعَلِيُّونَ "، قام فيه البرهان القطعي أنه حافظ واحد، وكذلك قوله: "فَلْقَتْ "، و"وَإِنَّا نَحْنُ الْخَلِيْقُونَ "، "فَلْقَتْ "، "أَنْحَنُ الْخَلِيْقُونَ "، "عَلِيْتَ "، "عَلِيْتَ "، "أَنْحَنُ الْخَلِيْقُونَ "، "الْخَلِيْقُونَ "، "الْخَلِيْقُونَ "، "الْخَلِيْقُونَ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ "، "فَلْقَتْ ".
لاذكرُ (أَمْ تَحْفَظُ الْمُنْشِئُونَ)، فإنَّهُ قد قام في كل ذلك البرهان القطعي على أنه خالق واحد، ومنزل واحد، ومنشئ واحد.
وأما قوله: (مَعَ عَمَلَتْ أَبِيَّتَا) فقد دل البرهان القطعي على أن الله موصوف بصفة اليدين، كما صرح به في قوله: (إِنَّا خَلَقْتُمْ يَدًّا) كما تقدم إيضاحه قريباً.
وقد علمت أن صيغة الجمع في قوله: (لَنْحَفَظُونَ)، قوله: (أَمْ تَحْفَظُ الْمُنْشِئُونَ)، وقوله: (أَمْ تَحْفَظُ الْمُنْشِئُونَ)، وقوله: (أَمْ تَحْفَظُ الْمُنْشِئُونَ)، قوله: (لَنْحَفَظُ)، لهم (مَعَ عَمَلَتْ أَبِيَّتَا)، لا يراد بشيء منه معنى الجمع، وإنما يراد به التعظيم فقط.
وقد أجاب أبو الحسن الأشعري رحمة الله في كتاب الإبانة بما يقرب من هذا في المعنى.
وأعلمنا أن لفظ اليدين قد يستعمل في اللغة العربية استعمالاً خاصاً، بلفظ خاص، لا تقتضي به في ذلك النعمة ولا الجارحة ولا القدرة، وإنما يراد به معنى أمام.
واللفظ المختص بهذا المعنى هو لفظة اليدين التي أضيفت إليها لفظة (بِين) خاصة، أعني لفظة (بِين يديه)، فإن المراد به هذه اللفظة أمامه. وهو استعمال عربي معروف مشهور في لغة العرب، لا يقتضي فيه معنى الجارحة ولا النعمة ولا القدرة، ولا أي صفة كائنة ما كانت، وإنما يراد به أمام فقط، كقوله تعالى: (قَالَ اللَّهُ بِيَدَيْهِ كَفَرُواَ أَن تَوَارَىَّ يَهِدْ إِلَىَّ الْشَّرْقِ وَلَا يَلْدَى بَيْنَ يَدَيْهِ) أي ولا بالذي كان أمامه سابقاً عليه من الكتب.
وكقوله: (مُصِّدِقًا لِمَا بِينَ يَدَيْ يَدَيْ يَدَيْ يَدَيْ يَدَيْ، أي مصدرًا لما كان أمامه متقدماً عليه من النزوة.)
وكلّهُ: "فَرَّحْتُوْا هُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفِهِمْ"، فَالمراد بِفظُّهُما (ما بين أيديهم) ما أمامهم.

وكحلله تعالى: "وَهُوَ الَّذِيٌّ يُرِسِّلُ الرَّسُولَ بِرُيْحٍ نَّبِيٍّ يَدْيَئُ الْخَطْأَ"، أي يرسل الرياح مبشراً أمام رحمة التي هي المطر، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما يوضح لك ذلك: أنه لا يمكن تأويل اليدين في ذلك بنعمتين ولا قدرتين ولا جارتين، ولا غير ذلك من الصفات، فهذا أسلوب خاص، دال على معنى خاص، بلفظ خاص، مشهور في كلام العرب، فلا صلة له باللفظ الدال على الجارحة بالنسبة إلى الإنسان، ولا باللفظ الدال على صفة الكمال والجلال الثابتة تعالى. فافهم.

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، الذي ذكر فيه أقوال جميع أهل الأهواء والبدع والمؤرخين والذين لصفات الله أو بعضها، ما نصه:

جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقاف عن رسول الله ﷺ.

لا يريدون من ذلك شيئاً.

وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبه ولا ولداً، وأن محمدًا عبد ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله سبحانه على عرشه، كما قال: "أَلْحَمِّنُ عَلَى الْعَرْشِ آسَّوْى٥٢"، وأن له يدين بلا كيف، كما قال: "خَلَقَتُ يَدُائِدًا"، وكما قال: "بَلْ يَدُائِدُ مَسَّوْكُتَانَ".
إلى أن قال في كلامه هذا، بعد أن سرد مذهب أهل السنة والجماعة، ما نصه:

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويروونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم

ف27 الوكيل، وبه / نستعين، وعليه نتوكل، وإليه المصير.

هذا لفظ أبي الحسن الأشعري رحمه الله في كتاب المقالات المذكور.

وبي تعلم أنه يؤمن بكل ما جاء عن الله في كتابه، وما ثبت عن رسوله ﷺ، لا يرد من ذلك شيئاً ولا ينفيه، بل يؤمن به ويثبته الله، بل
كيف ولا تشبه، كما هو مذهب أهل السنة.

وقال أبو الحسن الأشعري أيضاً في كتاب المقالات المذكور،

ما نصه:

وقال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وأنه على العرش كما قاله عز وجل: ﴿أَلْهَنَّ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىً﴾، ولا نقدم بين يدي الله في القول، بل نقول: استوى
بلا كيف.

ثم أطال الكلام رحمه الله في إثبات الصفات، كما قدمنا عنه،
ثم قال ما نصه: وقالت المعتزلة: إن الله استوى على عرشه بمعنى
استوئي. أه. محل الغرض منه بلفظه.

فترة صرح في كتاب المقالات المذكور بأن تأويل الاستواء
بالاستيلاء هو قول المعتزلة، لا قوله هو ولا قول أحد من أهل
السنة.
وزاد في كتاب «الإبانة» مع المعتزلة: الجهمية والحرورية، كما قدمنا.

وكل ما ذكرنا تعلم أن الأشعري رجع عن الاعترال إلى مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها.

وقد قدمنا إيضاح الحق في آيات الصفات بالأدلة القرآنية بكثرة في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: «َإِذْ أَسْتَوَى عَلَى ٱلۡعَرۡشِ» الآية.

واعلم أن أئمة الفازين بالتأويل، رجعوا قبل موتهم عنه؛ لأنه مذهب غير مأمون العاقبة؛ لأن منبه على ادعاء أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تتعلق بالله، لظهورها وتبادرها في مشابهة صفات الخلق، / ثم تقي تلك الصفات الواردة في الآيات والأحاديث، لأجل تلك الدعوى الكاذبة المشؤومة، ثم تأويلها بأشياء أخرى، دون مستند من كتاب أو سنة، أو قول صحابي أو أحد من السلف.

وكل مذهب هذه حاله، فإنه جدير بالعامل المفكر أن يرجع عنه إلى مذهب السلف.

وقد أشار تعالى في سورة الفرقان أن وصف الله بالاستواء صادر عن خبير بالله وبصفاته، عالم بما يليقه به وما لا يليق، وذلك في قوله تعالى: «َأَلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَبَعِينَ سَابِعَةً هُمْ أَسْتَوَى عَلَى ٱلۡعَرۡشِ الرَّحْمَٰنِ».

فتأمل قوله: (فاسأل به خبيراً) بعد قوله: (ثم استوى على العرش الرحمن) تعلم أن من وصف الرحمن بالاستواء على العرش خبير بالرخمن وبصفاته، لا يخفى عليه اللائق من الصفات وغير اللائق.
فألذى نبأنا بأنه استوى على عرشه هو العليم الخبير الذي هو الرحمن.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْتُكَ مَلِكُ جَهَرٍ﴾.

وبذلك تعلم أن من يدعى أن الاستواء يستلزم التشبه وأنه غير لائق، غير خبير، نعم والله هو غير خبير!

وسنذكر هنا إن شاء الله أن أئمة المتكلمين المشهورين رجعوا كلهم عن تأويل الصفات.

أما كبيرهم الذي هو أفضل المتكلمين المنتمين إلى أبي الحسن الأشعري، وهو القاضي محمد بن الطيب المعروف بأبي بكر الباقلاني، فإنه كان يؤمن بالصفات على مذهب السلف ويمنع تأويلها منعاً باتاً، ويقول فيها بمثل ما قدمنا عن الأشعري.

/ وسنذكر لك هنا بعض كلامه.

قال الباقلاني المذكور في كتاب التمهيد، ما نصه:

باب في أن الله وحباً وابداً، فإن قال قائل فإما الحجة في أن الله عز وجل وجهةً وابداً، فإن قال قوله: ﴿وَرَبِّي إِنِّي نُذْكَرُكَ حَثُّ الْيَوْمِ إِلَيْكَ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ ﷺ﴾، وقوله: ﴿مَا سَمِعْتُ أَنْ تَسَجَّدَ لَمَنْ خَلَقَتْ يَدًا﴾. فأثبت لنفسه وجهةً وابداً.

فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون المعنى في قوله: ﴿خَلَقَ يَدًا﴾ أنه خلقه بقدرته أو بنعمته؟ لأن اليد في اللغة قد تكون بمعنى النعمة، ومعنى القدرة، كما يقال: لي عند فلان يد بضاءة، يراد به نعمة، كما يقال: هذا الشيء في يد فلان وتحت يد فلان، يراد به أنه تحت قدرته وفي ملكه، ويقال: رجل أبدًا، إذا كان قادرًا،
وكما قال تعالى: (خلقنا لهم مِّمَا عَمِّلَهُمْ أُمُورًا أَنْعَمًا) يريد عملنا بقدرتنا، وقال الشاعر:

إذا ما رآيت لو وقع مجد تلقاهاعرابية باليمين فكذلك قوله: (خلقندى) يعني بقدرتي أو بنعمتي؟ يقال لهم: هذا باطل، لأن قوله: (ندى) يقتضي إثبات يدين، هما صفة له.

فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان، وأنتم لا تزعمون أن للباري سبحانه قدرة واحدة، فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين؟

وقد أجمع المسلمون من مثبت الصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم. وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين؛ لأن نعم الله تعالى على آدم وعلى غيره لا تحصى.

ولأن القائل لا يجوز أن يقول: رفعت الشيء بديي أو وضعته بديي أو توليته بديي، وهو يعني نعمته. وكذلك لا يجوز أن يقال: لي عند فلان يدان، يعني نعمتين، وإنما يقال: لي عندن يدان بيضاوان؛ لأن القول: (يدي) لا يستعمل إلا في اليد التي هي صفة الذات.

ويدل على فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر على ما قالوه لم يغفل عن ذلك إيبليس، وعن أن يقول: وأي فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له، وأنا أيضاً بديك خلقتي، التي هي قدرتك، وبنعمتك خلقتي؟
وفي العلم بأن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيده، دليل على
فساد ما قالوه.
فإن قال قائل: فما أنكرتم أن يكون وجهه وهده جارحة، إذ
كنتم لم تعقلوا يد صفة ووجه صفة لا جارحة؟
يقال له: لا يجب ذلك، كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً
cادرًا إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم على الله تعالى بذلك.
وكما لا يجب متي كان قائماً بذاته أن يكون جوهرًا أو جسمًا;
لأننا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك. اهد.
محل الغرض منه بلفظه.

وفي صريح في أنه يرى أن صفة الوجه وصفة اليد وصفة العلم
471 والحياة / والقدرة كلها من صفات المعاني، ولا وجه للفرق بينها،
وجميع صفات الله مخالفًا لجميع صفات خلقه.
وقال الباقلاني أيضًا في كتاب التمهيد ما نصه:
فإن قالوا: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟
cيل: معاذ الله، بل هو مستو على العرش كما أخبر في كتابه،
فقال: "الرَّحْمَةُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىً"، وقال تعالى: "إِنَّ عِبَادَ ،اللَّهِ يُصَادِقُ الْكَبُرَ
الْبَيْنِ وَلَمْ يَعْلَمَ اللَّهُ عَمَّا يَصِبُّ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَلْرَيْفَ يَكُوم
الأَرْضَ".

ولو كان في كل مكان، لكان في جوف الإنسان وفمه، وفي
الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها، تعالى عن ذلك،
ولم يجب أن يزيد بزيادة الأماكن إذا خلق منها ما لم يكن خلقه،
وبنفس بنقصانها إذا بطل منها ما كان.
ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى وراء ظهرنا وعن أيماننا وشماتنا، وهذا ما قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.

إلى أن قال رحمه الله: ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه عليه كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهرق لأن الاستياء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً عزيزاً مقتداً.

وقوله: "ثم أستوى على العرش" يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن شيئًا.

فإن قال قائل: ففصلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله، لاعرف ذلك.

قيل له: صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها.

وهي الحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان. إنه محل الغرض منه بلفظة.

وقد نقلنا من نسخة هي أجود نسخة موجودة لكتاب التمهيد للباقلاني المذكور.

وترى تصريحه فيها بأن صفة الوجه واليد من صفات المعاني كالحياة والعلم والقدرة والإرادة، كما هو قول أبي الحسن الأشعري الذي قدمنا إيضاحه.

واعلم أن إمام الحرمين أبا المعالي الجوفي، كان في زمانه من
أعظم أئمة الفائنين بالتأويل، وقد قرر التأويل وانتصر له في كتابه "الإرشاد".

ولكنه رجع عن ذلك في رسالته العقيدة النظامية، فإنه قال فيهما:

اختلقت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق فحواها وإجراها على موجب ما تبرزه أفهام أرباب اللسان منها.

فرأ بعضهم تأويلها، والالتزام هذا المنهج في آي الكتاب وفيما صح من سن النبي ﷺ.

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاء عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب سبحانه.

والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً، اتباع سلف الأمة، فالأولى الابتداع وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة.

وقد درج صحب الرسول ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام والمشتغلون بأعباء الشريعة.

وكانوا لا يأملون جهداً في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها.

فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغًا أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة.

فإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع بحق.
فعلى ذي الدين أن يعتقد تنزه الرب تعالى عن صفات المحدثات، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب.

ومما استحسن من إمام دار الهجرة مالك بن أنس أنه سئل عن قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الصَّرْحَ آسَوَى»، فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعاء.

فلتجلب آية الاستواء، والمجيء، وقوله: «لَمَّا خَلَقَ يَدَٰنِي»، و«وَجَعَّلَ رَيْكَ»، وقوله: «وَجَعَّدَ يَأْتِينَا»، وما صح عن الرسول عليه السلام كخبر النزول وغيره، على ما ذكرنا، فهذا بيان ما يجب لله تعالى. أه. كلمته بلفظه من الرسالة النظامية المذكورة، مع أن رجوع الجويني فيها إلى أن الحق هو مذهب السلف أمر معلوم.

وكذلك أبو حامد الغزالي، كان في زمانه من أعظم الفقهاء، بالتأويل، ثم رجع عن ذلك، وبين أن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب السلف.

وقال في كتابه: «الإجماع العوام عن علم الكلام»:

/ أعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر، هو ٤٧٤ مذهب السلف أعني الصحابة والتابعين.

ثم قال: إن البرهان الكلي على أن الحق في مذهب السلف. وحده يكشف بتسليم أربعة أصول مسلمة عند كل عاقل.

ثم بين أن الأول من تلك الأصول المذكورة: أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهما.
الأصل الثاني: أنه بلغ كل ما أوحي إليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم، ولم يكم منه شيئاً.
الأصل الثالث: أن أعرف الناس بمعايني كلام الله وأحراهم بالوقوف على أسراره هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين لا زموه وحضروا التنزيل وعرفوا التأويل.
الأصل الرابع: أن الصحابة رضي الله عنهم في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل، ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لأقبلوا عليه ليلًا ونهارًا ودعوا إليه أولادهم وأهلهم.
ثم قال الغزالي: وهذه الأصول الأربعة المسلحة عند كل مسلم.
نعلم بالقطع أن الحق ما قالوه والصواب ما رأوه. اهـ باختصار.
ولا شك أن استدلال الغزالي هذا لأن مذهب السلف هو الحق استدلال لا شك في صحته ووضوح وجه الدليل فيه، وأن التأويل لو كان سائغاً أو لازماً لبيان النبي ﷺ ذلك، وقال به أصحابه وتابعهم كما لا يخفى.
وذكر غير واحد عن الغزالي أنه رجع في آخر حياته إلى تلاوة كتاب الله وحفظ الأحاديث الصحيحة، والاعتراف بأن الحق هو ما في كتاب الله وسنة رسوله.
/ وذكر بعضهم أنه مات وعلى صدره صحيح البخاري رحمه الله.
واعلم أيضاً أن الفخر الرازي الذي كان في زمانه أعظم أئمة التأويل رجع عن ذلك المذهب إلى مذهب السلف، معتراً بأن طريق الحق هي اتباع القرآن في صفات الله.
فقد قال في ذلك في كتابه: "أقسام اللذات".

لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليظًا ولا تشفى عليًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الأثبات: "بهيجًا على المسرح أستوى (5)«، «إلهًا يضمّعد الكُبر الظلمة»، وفي النفي: "ليس كُتِب له شئٌ»، "هل تعلم لَمْ سيماً(2)«، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. أهـ.

وقد بين هذا المعنى في أبياته المشهورة التي يقول فيها:

هالة إقدام العقول عقال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا
ولم نستفده من بحثنا طول عمرنا
إلى آخر الأبيات.

وذلك غالب أكابر الذين كانوا يخوضون في الفلسفة والكلام، فإنه ينتهي بهم أمرهم إلى الحيرة وعدم الثقة بما كانوا يقررون.

وقد ذكر عن الحفيد ابن رشد وهو من أعلام الناس بالفلسفة أنه قال: ومن الذي قال في الألهيات شيئاً يعتد به؟ وذكرنا عن الشهرستاني أنه لم يجد عند الفلسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، / وقد قال في ذلك:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها
فلم أرا إلا واضعاً كف حائر
وسيرت طرفى بين تلك المعالم
على ذقون أو قارعناً سن نادم
وأمثال هذا كثيرة.

فيا أيها المعاصرون المتلصرون لدعوى أن ظواهر آيات
الصفات وأحاديثها خبيث لا يليق بالله، لا استلزم التشبيه بصفات
الخلق، وأنها يجب فيها وتأويلها بمعان ما أنزل الله بها من
سلطان، ولم يقلها رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه ولا من
التابعين:
فمن هو سلفكم في هذه الدعوى الباطلة المخالفة لإجماع
السلف؟
إن كنت تزعمون أن الأشعري يقول مثل قولكم، وأنه سلفكم
في ذلك، فهو بريء منكم ومن دعوكم، وهو مصروح في كتبه التي
صنفها بعد الرجوع عن الاعتراف أن القائلين بالتأويل هم المعزولة،
وهم خصمه و هو خصمهم، كما أوضحنا كلامهم في "الأبانة"
و "المقالات".

وقد بينا أن أساطين القول بالتأويل قد اعترفا بأن التأويل
لا مستند له، وأن الحق هو اتباع مذهب السلف، كما أوضحنا
ذلك عن أبي بكر الباقلاوي، وأبي المعالي الجويني، وأبي حامد
الغزالي، وأبي عبد الله الفخر الرازي، وغيرهم من ذكرنا.
فنوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، وألا تجادلوا في آيات الله بغیر
سلطان أتاكم، والله جل وعلا يقول في كتابه: "إِنَّ الْلَّهَ يُعَزِّبُ
فِي عَذَابِهِ الْكَافِرِينَ سَلَطَانٍ أَنْتُمْ إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَهُمْ
بِكَلَبِهِمْ فَأَسْتَعَذَّبُهُمْ إِنَّهُمْ هُوَ الْكَبِيرُ ۚ مَا هَمَّ
مِن شَيْءٍ ۖ فَأَتْبَعُواْ الْأَمْرَهُمْ وَلَا تَذَكَّرُواْ".

/ ويقول تعالى: "وَمِنْ آتَائِهِمْ مِنْ يَجِدُونَ فِي اللَّهِ ضَيْعًا عَلَى وَلَادِهِمْ وَلَا
كَبِيرًا مَّيْتًا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ:ۚ أَنْزَلْنَا اللَّهَ فَأُلْقُواْ عِنُوشَۡاُۡ مَا وَاجَدُوهُمْ مَعَ نَفْسِهِ ۙ أَوْلَٰٓاً
أَوْلُواْ سَكَانَ السَّيَّاتِنُ يَثْبُتُونَ إِلَى عَذَابٍ ۢاَلْسَيِّئِرِ".
المسألة الثانية: في الكلام على الاجتهاد

أعلم أولاً، أننا قدمنا بطلان قول الظاهرة بمنع الاجتهاد مطلقاً، وأن من الاجتهاد ما هو صحيح موفقة لشرع الكريم، ويستنا أديان ذاك بإيضاح في سورة الأنباء في الكلام على قوله تعالى: [وَذَاتُ الْقُرْآنِ إِذْ يُحْكَمُ الْحُكْمُ فِيهِ].

وبينا طرفاً منه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: [وَلَا نَقُفُّ مَلَائِكَتِي لَهُمْ عَلَيْهِمْ]. فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

وغرضاً في هذه المسألة هو أن نبين أن تدبر القرآن وانتفاعه متدبر بهالعمل بما علم منه، الذي دل عليه قوله تعالى في هذه الآية الكريمة التي نحن بصديدها، التي هي قوله تعالى: [أَفَلَا يَذَّكَّرُونَ القُرْآنَ أيَّ عِلْمًا أَظَنُّوهُمَا]. لا يتوقف على تحصيل الاجتهاد المطلق بشروط المعروفة عند متأخر الأصوليين.

أعلم أولاً: أن المتآخرين من أهل الأصول الذين يقولون بمنع العمل بالكتاب والسنة مطلقاً إلا للمجتهدين، يقولون:

إن شروط الاجتهاد: هي كون المجتهد بالغًا، عاقلًا، شديد الفهم طبعًا، عارفاً بالدليل العقلي، الذي هو استصاحب عدم الأصلي حتى يرد نقل صارف عنه.

/ عارفاً باللغة العربية، وبالنحو، من صرف وبلاغة، مع معرفة الحقيقية الشرعية والعرفية.

وبعضهم يزيد: المحتج إليه من فن المنطق، كشرائط الحدود والرسوم، وشرائط البرهان.

عارفاً بالأصول، عارفاً بأدلة الأحكام من الكتاب والسنة.
ولا يشترط عندهم حفظ النصوص، بل يكفي عندهم علمه
بمداركها في المصحف وكتاب الحديث.
عارفاً بمواقع الإجماع والخلاف.
عارفاً بشروط المتنور والآحاد، والصحيح والضعيف.
عارفاً بالتاسخ والمنسوخ.
عارفاً بأسباب النزول.
عارفاً بأحوال الصحابة، وأحوال رواة الحديث.
واختلفوا في شرط عدم إكراه للقياس. 
ولا يخفى أن مستندهم في اشتراطهم لهذه الشروط ليس نصاً
من كتاب ولا سنة يصح بأن هذه الشروط كلها لا يصح دونها عمل
بكتاب ولا سنة، ولا إجماعاً دالاً عليه.
 وإنما مستندهم في ذلك هو تحقيق المناط في ظنهم.

وإيضاح ذلك: هو أن كتاب الله وسنة رسوله وإجماع
المسلمين كلها دال على العمل بكتاب الله وسنة رسوله،
لا يشترط له إلا شرط واحد، وهو العلم بحكم ما يعمل به منهما.
ولا يشترط في العمل بالوحي شرط زائد على العلم بحكمه
البتهة.

وهذا مما لا يكاد يناعز فيه أحد.

ومراد متأخري الأصوليين بجميع الشروط التي اشترطوها هو
تحقيق المناط.

لأن العلم بالوحي لما كان هو مناط العمل به، أرادوا أن
يرجعوا هذا المنطاق، أي يبينوا الطرق التي يتحقق بها حصول العلم.
الذي هو مناط العمل.
فاشترطوا جميع الشروط المذكورة، فلهم منهم أنه لا يمكن تحقيق حصول العلم بالوحي دونها.
وهذا الظن فيه نظر.
لأن كل إنسان له فهم إذا أراد العمل بنص من كتاب أو سنة فلا يمنع عليه ولا يستحيل أن يتعلم معناه، ويبحث عنه هل هو متسوخ أو مخصص أو مقيد، حتى يعلم ذلك فيعمل به، وسؤال أهل العلم:
هل لهذا النص ناسخ أو مخصص أو مقيد مثلًا، وإخبارهم بذلك،
ليس من نوع التقليد، بل هو من نوع الاتباع.
وستبين إن شاء الله الفرق بين التقليد والاتباع في مسألة التقليد الآتية.
والحاصل أن نصوص الكتاب والسنة التي لا تحصى واردة
بالتزام جميع المكلفين بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
وليس في شيء منها التخصص بمن حصل شروط الاجتهاد.
المذكورة.
وسذكر طرفاً منها لنبين أنه لا يجوز تخصيصها بتحصيل
الشروط المذكورة.
قال الله تعالى: "أَتِيَّتَكُمْ يَدَا نُزُلٍ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ وَلَاتَّشْغَلَّكُمْ مِن طَائِفَةٍ أَوْلِيَاءٍ قَيْلًا مَا ذُكِرُونَۡۖ"، والمراد بما أنزل إليكم هو القرآن والسنة المبينة
له لا آراء الرجال.
발견함

وقال تعالى: «وَإِذَا قُلْتُ هَلْ تُقَالُوا إِلَى مَا أُسْرِئَلَ آَلِهَةٌ وَلِيَ آَلِهَتُمْ».

فقال: «رَأَيْتُ الْمُتَّخِطِينَ يَصِدُّونَ عَنْكَ صَدًّا وَصُدًّا».

فدلت هذه الآية الكريمة أن من دعي إلى العمل بالقرآن والسنة وصد عن ذلك أنه من جملة المنافقين، لأن العبرة بعوم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

وقال تعالى: «فَإِنَّكُمْ تَنَزَّلُونَ فِي ظُلُّٰ الْقَرْدَةِ إِلَى اللَّهِ وَمَسَّلْهُ إِنَّكُمْ تَوَسَّنُونَ يَابِنَةَ وَالِيُومِ الْآخِرِ» الآية، والرد إلى الله والرسول هو الرد إلى كتبه، والرد إلى الرسول بعد وفاته هو الرد إلى سنة.

وتعليقه الإيمان في قوله: «إِنَّكُمْ تَوَسَّنُونَ يَابِنَةٌ وَالِيُومِ الْآخِرِ» على رد التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله، يفهم منه أن من يرد التنازع إلى غيرهما لم يكن يؤمن بالله.

وقال تعالى: «وَأُتِبْئِنَ أَحَسُنُ مَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ وَرَبِّكُمْ مَنْ يَرْجِعُ عِنْدَكُمْ ۖ يَأْتِيَكُمْ عَذَابٌ بَعْضَهُ وَأَشْرِيْكُمْ لَا تَشْرِبُونَ».

ولك أنه القرآن أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، والسنة مبينة له، وقد هدد من لم يتبع أحسن ما أنزل إلينا من ربنا بقوله: «يَأْتِيَكُمْ عَذَابٌ بَعْضَهُ وَأَشْرِيْكُمْ لَا تَشْرِبُونَ».

وقال تعالى: «إِلَّا ذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقُولِ فَيَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولِيَاءُ الْيَتَّنَّ»، ولا شك أن كتاب الله وسنة رسوله أحسن من آراء الرجال.

وقال تعالى: «وَمَا أَنْزَلْنَا الرَّسُولَ فَحَدِيثًا وَمَا نَهْبْكُمْ عَنْهُمْ فَانْتَهُواْ وَأَنْتُواْ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَيْدِيدُ الْعَقَابِ»، وقوله: «إِنَّ اللَّهَ سَيْدِيدُ الْعَقَابِ» فيه تهديد شديد لمن لم يعمل بسنة رسول الله، ولا سيما إذا كان يظن أن أقوال الرجال تكفي عنها.
قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لئن كان يرتجو الله وآياتهم الآخرة"، والاعدة: الافتقاء.

فيلزم المسلم أن يجعل قدوته رسول الله ﷺ وذلك باتباع سنته.

قال تعالى: "فلا وَرِيكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكِمُوا فِيمَا شَجَرُوا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْحَدُوا أَفْتُمُهُمْ حَرَّجُوا بَيْنَهُمْ فِصْبًا وَيَسَلَّمُوا لَسْلِمًا".

وقد أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا النبي ﷺ في كل ما اختلفوا فيه.

و قال تعالى: "إِنَّهُ لَا يُسَجِّبُونَ اللّهَ قَآئِمًا وَأَنَّمَا يُعَجِّبُونَ أَهْوَاهُمْ وَمَنْ أَضْلَلْ مَنْ أَتَبَعَ هُوَانًا يَغْفِرُ هَذِهِ عَبْدَهُ إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ".

والاستجابة له بعد وفاته هي الرجوع إلى سنته ﷺ، وهي مبينة لكتاب الله.

وقد جاء في القرآن العظيم أن النبي ﷺ لا يتبع شيئا إلا الوحي، وأن من أطاعه فقد أطاع الله.

قال تعالى في سورة يونس: "قُلْ ما يُكَوَّنُ إِلَّا أَنْ بَيَّناً مِّنْ تَبَيِّنٍ لِّيْسَ إِنَّ آيَتَهُ إِنَّ عِنْصَبُ كِتَابٌ عَذَابٌ يَوْمَ يُقُومُ الْعَظِيمُ".

وقال تعالى في الأنعام: "قُلْ لَا أُؤْلِمُكَ عِنْصَبَ حَزَنًا إِلَّا أَنْ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ إِنَّ الْمَلَكَ لَيَوْمَ يَوْمٍ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَنْبِيَتِي إِلَّا مَآ أُوْلِحَ أَلَّا يُحْيَيَ إِلَّا أَيُّهَا النَّبِيُّ".

وقال تعالى في الأحقاف: "قُلْ مَا كُنْتُ يَدَعَا مِنْ الرَّسُلِينَ وَمَا آتِيَ مَآ 482 يَفْعَلْ إِنَّا لَيَوْمَ الْقَيَمَةِ وَلَا يُؤْتِيَ إِلَّآ ذِئَابَ مَيْنَ".
وقال تعالى في الأنباء: «قل إنما أذergyكُم بِالوحيِّ الآية، 
فحصر الإنذار في الوعي دون غيره.
وقال تعالى: «قل إن صلحت فإنما أضل على نفسك وإن أهتديت فسمى يوجي 
إلى رفيق»، فبين أن الاجتهاد إنما هو بالوعي.
والآيات بمثل هذا كثيرة.

وإذا علمت منها أن طريقه هي اتباع الوعي، فاعلم أن القرآن دل على أن من أطاعه فهو مطيع الله، كما قال تعالى: «من يطيع الرسول فقد أطاع الله»، وقال تعالى: «قل إن كنت تجرون الله فأطيعوني 
يحبِّكم الله الآية.

ولم يضمن الله لأحد ألا يكون ضالاً في الدنيا ولا شقياً في الآخرة إلا لمتبوع الوعي وحده.

قال تعالى في طه: «إِفَّأَمَا يَأْليثقُكُمْ مَُّيْثَ هُدْيَ فَمَنْ أتَّبَعْ هُدْيَ فَلا 
يُقِيُّ وَلَدَ يُشْقِّي»، وقد دلت آية طه هذه على انتفاء الضلال والشقاوة عن متبوع الوعي.

وبدلت آية البقرة على انتفاء الخوف والحزن عنه، وذلك في قوله تعالى: «إِفَّأَمَا يَأْليثقُكُمْ مَُّيْثَ هُدْيَ فَمَنْ أتَّبَعْ هُدْيَ فَلا خَوَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحَزِّنُونَ».

ولا شك أن انتفاء الضلال والشقاوة والخوف والحزن عن متبوع الوعي المصرح به في القرآن، لا يتحقق فيمن يقلد عالماً ليس بمعصوم، لا يدري أصول ما قلده في أم خطأ، في حال كونه معارضاً عن التدبر في كتاب الله وسنة رسوله. 

استنادي إلى: منهج الإسلام، في تفسير القرآن الكريم، ل welti. pr. 2007.
ولا سيما إن كان يظن أن آراء العالم الذي قلده كافية مغنية 483

عن كتاب الله وسورة رسوله

والآيات القرآنية الدالة على لزوم اتباع الوحي، والعمل به،
لا تكاد تحصى، وكذلك الأحاديث النبوية الدالة على لزوم العمل
بكتاب الله وسورة رسوله، لا تكاد تحصى؛ لأن طاعة الرسول
طاعة الله.

وقد قال تعالى: «وما أنتم إلا مسلمون فاصJerry وما بحتم فيكم عندهم فانهوا»
وأنتموا أن إلهي شديد الغضب 76، وقال تعالى: «وأطيعوا الله ورسوله»
لعلكم ترحموا 131، وقال تعالى: «قل أطيعوا الله ورسوله فإن تولوا فإن
قولوا إن الله لا يحب الكفارين» 132، وقال: «ومن يطيع الله ورسوله فقد فاز
فؤذًا عظيمًا» 133، وقال تعالى: «فمن يطيع الرسول فقد أطاع الله ومن تول
فما أرسلناه عليهم حفظًا» 134، وقال تعالى: «ك表明 أبلغو الرسول أولي الأسر ميتك»
الله وأطيعوا الرسول أولى الأمر ميتك فإن كنتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله إن كنتم
نومون بآذا وآتيو الأجر» الآية.

وقال تعالى: «فأيكم حذوذ إلا الله وممن يطيع الله ورسوله
بمسجلة جنته تجري من تحتها الآلهة خليفة فيها وذاتي
الفوز العظيم» 135، وص بعص الله ورسوله ويتعبد حذوذ ويدخله نارًا
كديلًا فيها وألذ عذاب مهيئًا.

وقال تعالى: «وأطيعوا الله ورسوله وأحدروا فإن تولينتم فأعلمنوا» 484

أياً ما على رسول بلغ المومين 111.

وقال تعالى: «وأطيعوا الله ورسوله وإن كنتم مؤمنين» 111.
وقال تعالى:  
"فل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تطيعوا فاتقوا فإنكم على ما خلفكم من أهل الصبر.

النبيّ.

وقال:  
"أطيعوا الصلاة وكنوا الزكاة وأطيعوا الرسول لملحمكم.

ترحمون.

وقال تعالى:  
"باذنًا أن أطمعوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلو.

أعظمكم.

وقال تعالى:  
"إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن ينظروا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفتيحون ومن يطيع الله ورسوله ويخض الله وينتقه فأولئك همファーون.

وقال تعالى:  
"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية.

وقال تعالى:  
"والمؤمنون والمؤمنات بضمن أولياء بعض بأمر الله للمغفورون.

بالمعروف ويتهمون عن النظير ويبصرون الصلاة ويؤمنون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سلمهم الله الآية.

ولا شك عند أحد من أهل العلم أن طاعة الله ورسوله المذكورة في هذه الآيات ونحوها من نصوص الوحي محصورة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله.

فنصوص القرآن والسنة كلها دالة على لزوم تدبر الوحي.

وتفهمه وتعلمه والعمل به.

فتخصص تلك النصوص كلها، بدعو أني تدبر الوحي وتفهمه

والعمل به لا يصح شيء منه إلا لخصوص المجتهدين، الجامعين

485
لشروط الاجتهد المعروفة عند متأخري الأصوليين، يحتاج إلى دليل
يجب الرجوع إليه. ولا دليل على ذلك البتة.
بل أدلالة الكتاب والسنة، دالة على وجب تدبير الوعي، وفهمه
وتعلمه والعمل بكل ما علم منه علماً صحيحاً، قليلاً كان أو كثيراً.
وهذه المسألة الثانية يتداخل بعض الكلام فيها مع بعض الكلام
في المسألة الأولى، فهما شبه المسألة الواحدة.

المسألة الثالثة في التقليد، في بيان معناه لغةً واصطلاحاً,
وأقسامه، وبيان ما يصح منها وما لا يصح.

أعلم أن التقليد في اللغة: هو جعل القلادة في العنق.
وتقليد الولاة هو جعل الولايات قلائد في أعقابهم.

ومنه قول لفيظ الأيدي:
وقد أOrdered الله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلاً
وأما التقليد في اصطلاح الفقهاء: فهو الأخذ بمذهب الغير من
غير معرفة دليله.

والمراد بالمذهب هو ما يصح فيه الاجتهاد خاصة.
ولا يصح الاجتهد البتة في شيء يخالف نصاً من كتاب أو سنة
ثابتة، سالماً من المعارض.

لأن الكتاب والسنة حجة على كل أحد كائناً من كان، لا تسوغ
مخالفتهما البتة لأحد كائناً من كان، فيجب التفتّن لأن المذهب الذي
فيه التقليد يختص / بالأمور الاجتهدية، ولا يتناول ما جاء فيه نص
صحيح من الوحي سالم من المعارض.
قال الشيخ الحطاب في شرحه لقول خليل في مختصره:

«مختصراً على مذهب الإمام مالك بن أنس» ما نصحه:

والمنهج لغة الطريق ومكان الذهاب، ثم صار عند الفقهاء حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الاجتماعية». اه محلة الغرض منه بلفظه.

فقوله: من الأحكام الاجتماعية تدل على أن اسم المذهب لم يتناول مواقع النصوص الشرعية السالمة من المعارض.

والذى أمر لا خلاف فيه؛ لإجماع العلماء على أن المجتهد المطلق إذا أقام باجتهاده دليلاً مخالفاً لنص من كتاب أو سنة أو إجماع، أن دليله ذلك باطل بلا خلاف.

وأنه يرد بالقاضي المسمى في الأصول بفساد الاعتبار.

وهذا الاعتبار الذي هو مخالفة الدليل لنص أو إجماع، من الوضع التي لا نزاع في إبطال الدليل بها. وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعودية في القوادح:

والخلف للنص أو إجماع دعا فساء الاعتبار كله من وعي، وبما ذكرنا تعلم أنه لا اجتهاد أصلًا ولا تقليد أصلًا في شيء يخالف نسًا من كتاب أو سنة أو إجماع.

وإذا عرف ذلك، فاعلم أن بعض الناس من المتأخرين أجاز التقليد ولو كان فيه مخالفة نصوص الورج، كما ذكرنا عن الصاوي وأضرابه.

وجعلت أكثر المقلدين للمذاهب في هذا الزمان وأزمان قبله.
وبعض العلماء منع التقليد مطلقاً، ومنه ذهب إلى ذلك ابن خزيمة مندلود/ من المالكة، والشوكاني في القول المفيد في أدهم 487

الاجتهاد والتقليد.

والتحقيق: أن التقليد منه ما هو جائز، ومنه ما ليس بجائز.

ومنه ما خالف فيه المتآخرون المتقدمين من الصحابة وغيرهم من القرن الثلاثة المفضلة.

وسنذكر كل الأقسام هنا إن شاء الله مع بيان الأدلة.

أما التقليد الجائز الذي لا يكاد يخالف فيه أحد من المسلمين,
فهو تقليد العامي عالماً أهلاً للفتيا في نازلة نزلت به، وهذا النوع من التقليد كان شائعاً في زمن النبي ﷺ، ولا خلاف فيه.

فقد كان العامي يسأل من شاء من أصحاب رسول الله ﷺ، عن حكم النازلة تنزل به فيقيه فيعمل بفيتها.

وإذا نزلت نازلة أخرى لم يرتبط بالصحابي الذي أفتاه أولاً بل يسأل عنها من شاء من أصحاب رسول الله ﷺ ثم يعمل بفيتها.

قال صاحب نشر البند في شرحه لقوله في مراقي السعودية:

رجوعه لغيره في آخر يجوز للإجماع عند الأكثر ما نصه: يعني أن العامي يجوز له عند الأكثر، الرجوع إلى قول غير المجتهد الذي استفتاه أولاً في حكم آخر، لإجماع الصحابة رضي الله عنهم على أنه يسوق العامي السؤال لكل عالم، ولأن كل مسألة لها حكم نفسها.

فكما لم يعين الأول للاتباع في المسألة الأولى إلا بعد سؤاله,
فذلك في المسألة الأخرى. قاله الحطاب شارح مختصر خليل.
قال القرافي: انعقد الإجماع على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء من غير حجر.
ولأجمع الصحابة على أن من استفتي أبي بكر وعمر وقلدهما فله أن يستفتي أبي هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما، ويعمل بقولهم بغير تكير.
فمن أدعى رفع هذين الإجماعين فعليه الدليل. اهـ محل الغرض منه.
وما ذكره من انعقاد الإجماعين صحيح كما لا يخفى، فالأقوال المخالفلة لهما من متآخري الأصوليين كلها مخالفلة للإجماع.
وبعض العلماء يقول: إن تقليد العامي المذكور للعالم وعمله بفتياه، من الابتعاد لا من التقليد.
والصواب: أن ذلك تقليد مشروع مجمع على مشروعيته.
وأما ما ليس من التقليد بجائز بلا خلاف، فهو تقليد المجتهد الذي ظهر له الحكم باجتهاده، مجتهداً آخر يرى خلافاً ما ظهر له هو، للإجماع على أن المجتهد إذا ظهر له الحكم باجتهاده لا يجوز له أن يقلد غيره المخالف لرأيه.
وأما نوع التقليد الذي خالف فيه المتآخرون الصحابة وغيرهم من القرون المشهود لهم بالخير، فهو تقليد رجل واحد معين دون غيره من جميع العلماء.
فإن هذا النوع من التقليد، لم يرد به نص من كتاب ولا سنة.
ولم يقل به أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا أحد من الاقوام الثلاثة المشهود لهم بالخير.

وهو مخالف لأقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله، فلم يقل أحد منهم بالجمود على قول رجل واحد معين دون غيره، من جميع علماء المسلمين.

فتقلد العالم المعين من بدع القرن الرابع، ومن يدعى خلاف ذلك، فليعين لنا رجلاً واحداً من الاقوام الثلاثة الأول، النازم مذهب رجل واحد معين، ولن يستطع ذلك أبداً؛ لأنه لم يقع البتة.

وسنذكر هنا إن شاء الله جملًا من كلام أهل العلم في فساد هذا النوع من التقليد وحجج القائلين به، ومناقشتها. وبعد إيضاح ذلك

كله نبين ما يظهر لنا بالدليل أنه هو الحق والصواب إن شاء الله.

قال الإمام أبو عمر بن عبد البر رحمه الله، في كتابه جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ما نصه:

باب فساد التقليد ونفيه، والفرق بين التقليد والاتباع.

قد ذم الله تعالى وتعالى التقليد في غير موضوع من كتابه، فقال:

﴿ أنْفَكُذَّوْا أَحْبَارُهُمْ وَرَهْبَكُذَّوْهُمْ أَرْبَيْكَا بِنَذِرِ الَّذِيٍّ قَدْ أَنْبَأُهُمْ دُوْبَيْنَ أَلِينَ ﴿

وروى عن حديثه وغيره قالوا: «لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم أخلاؿ لهم وحرموا عليهم، فتابعوه». 

وقال عدي بن حاتم: أتبت رسول الله ﷺ، وفي عملي الصليب

فقال لي: «يا عدي، ألق هذا الوثين من عنك»، فأنهت إليه وهو يقرأ سورة يقية حتى أتي على هذه الآية: ﴿ أَنْفَكُذَّوْا أَحْبَارُهُمْ وَرَهْبَكُذَّوْهُمْ أَرْبَيْكَا بِنَذِرِ الَّذِيٍّ ﴿ قال: قلت يا رسول الله: إذا لم

سورة محمد 521
نتخذهم أربابًا. قال: بلِيَّ، أَلِيْسُ يَحْلُونَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُم
فَتَحَلُونَهُ، وَيَحْرِمُونَ عَلَيْكُمْ مَا أَحْلَ اللَّهِ لَكُمْ فَتَحْرَمُونَهُ؟ فَقَلَتْ: بَلِيَّ،
فَقَالَ: تُلْكَ عَبْدَتِكُم.

حدثنا عبد الوارث بن سفيان، ثم ساق السند إلى أن قال: عن
أَبِي البختري في قوله عز وجل: (أَنْخَذُوا أَجْيَارَكُمْ وَرَزْقُكُمْ
أَرْبَيْكَابَايْنَ دُوْرُي بِاللَّهِ). أما إنهم لو أمرواهم أن يعبدوهم من دون الله
ما أطاعوه، ولكنهم أمروهم، فجعلوا / حال اللَّهِ حرامه، وحرامه
حالله، فَأطاعوهُم، فكانت تلك الرُّبُوبِيَّة.

قال: وحدثنا ابن وضاح، ثم ساق السند إلى أن قال عن
أَبِي البختري قَالَ: قِيلَ لِحُذَيْفَةَ فِي قَوْلاً: (أَنْخَذُوا أَجْيَارَكُمْ
وَرَزْقُكُمْ أَرْبَيْكَابَايْنَ دُوْرُي بِاللَّهِ). أُکَانُوا يَعْبُدوْنَهُمْ؟ فَقَالَ: لا، ولكن
كَانُوا يَحْلُونَ لَهُمُ الحَرَّامُ فَيَحْلُونَهُ، وَيَحْرِمُونَ عَلَيْهِمُ الْحَرَّامُ
فيهم.

وقَالَ جِل وعَز: (وَكَذَٰلِكَ مَا أُرْسِلْنَا بِنَبِيٍّ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَزْيَٰرٍ إِلَّا قَالَ
مُنْفَرِخُوا إِذْ وَجَدْتُمُّاهُ كَالْأَنْثَى عَلَى أَمْثَالِهَا وَإِذَا عَلَى عَائِثِهِمْ مَفْتُونُوا ۚ قَلِلْ أَوْلَى
جَنَّتَكَ وَأَهْدِي إِنْساً وَجَدْتُمُّهُ عَلَى بَابِكَّرٍ) فَمَنْعُوهُمُ الْاِتْتِفَاكِ بِبَابَائِهِمْ مِنْ قَبْلِ
الْاِهْتِدَاءِ، فَقَالُوا: (إِنَّا لَا أُرِسِلْنَا بِكَ كَافِرُونَ).

وَفِي هَؤُلَاءِ وَمِثلِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ۚ إِن شَرَّ الْبَزْوَاتِ عَنَّ
اللَّهَ أَلَّمْ يُؤْتِيَكُمْ أَلْهَيْنِ لَمْ يَعْقِلُونَ).

وَقَالَ: (ذَٰلِكَ لَا تَأْتَى الْأَذَّارُ بِرَجُلٍ مِنْ آيَاتِهِمْ أَنْبِعَتْ وَأَنْبَعَتْ
بِهِمُ الْأَسْبَابِ) وَقَالَ: (لَا تَأْتَى اللَّهُ بِرَجُلٍ مِنْ آيَاتِهِمْ كَثِيرًا فَتَمْسَأَهُمْ كَمَا تُمْسِأُهُمْ وَهُنَّ
كَذَٰلِكَ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ رَكَّعَ بِصَرْحَتِ عَلَيْهِمْ).
وقال عز وجل عائلاً لأهل الكفر وذاماً لهم: «ما هذه التفاؤل؟ أنت والله يصدرون فألوا بن وجدان أبناءك龈 كذلك يفعلون». وقال: «فأولئك أنت وناسك اذهبوا وأيضروا فأصلحوا أسئلإاً».

وذكر هذا في القرآن كثيرٌ، من ذم تقيد الآباء والرؤساء.

وقد احتاج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها؛ لأن الشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع الشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد، كما لو قلد رجل فكفر، وقلد آخر فأذن، وقلد آخر في مسألة دنياء فأخطاً وجهها، كان كل واحد ملوماً على التقليد بغير حجة.

لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضًا، وإن اختلقت الآثام فيه.

وقال الله عز وجل: «وما سألك أن تجعل الله ليضل فومًا بعد إذ هددهم حتى يطيئ لهم ما أبتغوه». وقد ثبت الاحتجاج بما قدمنا في الباب قبل هذا، وفي ثبوته إبطال التقليد أيضاً.

فإذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا وجب التسليم للأصول التي يجب التسليم لها، وهي الكتب والسنة أو ما كان في معناها بدليل جامع بين ذلك.

أخبرنا عبد الواحد، ثم ساق السنيد إلى أن قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأخفى على أمتي من بعد من أعمال ثلاثة»، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «أخف عليهم من زلة العالم، ومن حكم جائر، ومن هوى متبع». 
و بهذا الإسناد عن النبي ﷺ، أنه قال: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكم بهما كتاب الله وسنة رسوله". هذا لفظ أبي عمر في جامعه.

و كثير بن عبد الله المذكور في الإسناد ضعيف، وأبوه عبد الله مقبول.

ولكن المتنين المرؤون بالإسناد المذكور كلاهما له شواهد كثيرة تدل على أن أصله صحيح.

/ ثم ذكر أبو عمر بن عبد البر في جامعه بإسناده عن زياد بن حذير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ثلاث يهدمن الدين: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون.

ثم ذكر بالإسناد المذكور عن ابن مهدي عن جعفر بن حيان، عن الحسن قال: قال أبو الدرداء: إن فيما أخشى عليكم زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن. والقرآن حق، وعليه القرآن منار كأعلام الطريق.

ثم أخرج بإسناده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يقول في مجلسه كل يوم، قلما يخطئه أن يقول ذلك: "الله حكم قسط، هلك المرتابون، إن وراءكم فتنة يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يقرأ المؤمن والمنافق، والمرأة والصبي، والسود والأحمر، فيوشك أحدهم أن يقول: قرأ القرآن، فما أظن أن ينبغيني حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن كل بذعة ضلالة، وإياكم وزيعة الحكيم من أجل ما ذكره رحمه الله من الآثار الدالة على نحو ما تقدم، من أن زلة العالم من أخوف المخاوف على هذه الأمة."
وإنما كانت كذلك؛ لأن من يقلد العالم تقليداً أعمى، يقلده فيما زل فيه، فيقول على الله أن تلك الزلة التي قلد فيها العالم من دين الله، وأنها مما أمر الله بها ورسوله، وهذا كما ترى، والتنبيه عليه هو مراد ابن عبد البر، ومراضاً أيضاً بإيراد الآثار المذكورة.

ثم قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في جامعه ما نصه:

وشبه الحكemade زلة العالم بانكسار السفينة؛ لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير.

وإذا صح وثبت أن العالم يزل ويخطؤ، لم يجز لأحد أن يفتى ويدين بقول لا يعرف وجهه.

/ حدثنا عبد الرحمن بن يحيى، ثم ساق السند إلى أن قال: 493 عن ابن مسعود أنه كان يقول: "اغد عالماً أو متعلماً ولا تغد إمامة فيما بين ذلك".

ثم ساق الروايات في تفسيرهم الإمامة، ومعنى الإمامة معروف.

قال الجهوري في صحاحه: يقال الإمامة والإمامة أيضاً للذين يكون لضعف رأيه مع كل أحد، ومنه قول ابن مسعود: لا يكون أحدكم إمامة. اهـ منه.

ولقد أصاب من قال:

شمر وكين في أمور الدين مجتهدًا ولا تكون مثل عقبه فينقداً

وذكر ابن عبد البر بإسناده عن ابن مسعود في تفسير الإمامة أنه قال: كنا ندعو الإمامة في الجاهلية الذي يدعى إلى الطعام فيذهب معه بغيره، وهو فيكم اليوم المُحَقُّبُ دينه الرجال.
ثم ذكر أبو عمر بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:
ويل للاتباع من عورات العالم، قال: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئاً برآية، ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه، فيترك قوله ذلك، ثم تمضي الأتباع.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لخاميل بن زياد النخعي، وهو حديث م(te)بهر عند أهل العلم، يستغنى عن الإسناد لشهرته عندهم:

يا كميل، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوهاها للخير، والناس ثلاثة: فعالب رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاي أتباع كل نايع، لم يستطيعوا بنور العلم ولم يلجنوا إلى ركن وثيق.

إلى آخر الحديث.

وفيهم: أفلا حامل حق لا بصيرة له، ينفّد الشك في قلبه
بأول عارض من شبهة، لا يدرى أين الحق، إن قال أخطأ، وإن أخطأ لم يدر، مشغوف بما لا يدرى حقيقته، فهو فتنة لمن أفتتن به، وإن من الخبر كله من عرفة الله دينه، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف دينه.
ولا شك أن المقلد غيره تقليداً أعماً يدخل فيما ذكره علي رضي الله عنه في هذا الحديث، لأنه لا يدرى عن دين الله شيئاً إلآ أن الإمام الفلاسي عمل بهذا.

فعلمه محصور في أن من يقلده من الأئمة ذهب إلى كذا
ولا يدرى أصيصبه هو فيه أم مخلطاً.
ومثل هذا لم يستضيء بنور العلم ولم يلجأ إلى ركن وثيق;
لجواز الخطأ على متبوعه، وعدم ميزه هو بين الخطأ والسواب.
ثم ذكر أبو عمر بن عبد البر رحمنه الله في جامعه بإسناده عن
ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:
الآن لا يقلدون أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإنه
لا أسوة في الشر.
وقال في جامعه أيضاً رحمنه الله: وثبت عن النبي ﷺ مما قد
ذكرناه في كتابنا هذا أنه قال: "تذهب العلماء، ثم تتخذ الناس رؤساء
جهالاً يسألون ففتون بغير علم، فيضلون ويضلون".

ووهذا كله نفي للتقليد، وإبطال له، لمن فهمه وهمد لرشده.
ثم ذكر رحمنه الله آثاراً نحو ما تقدم، ثم قال:
وقال عبيد الله بن المعتمر: لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان
يقلد.

/ وهذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها
عند النازلة تنزل بها، لأنها لا تتبن موضع الحجة ولا تصل لعدم الفهم
إلى علم ذلك، لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل
أسفلها.

ووهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة، والله أعلم.

وما يتلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم
المرادون بقول الله عز وجل: \"فَشَكَّلُوا أَهْلَ الْذِّكْرِ إِنَّ كُلُّ نَاسٍ لا
تَعَلَّمُونَ (2)\".

وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزة
في القبلة إذا أشكلت عليه.
فذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به، لا بد من تقليد عالمه.

وذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا؛ وذلك والله أعلم لجهلها بالمعنى التي منها يجوز التحريم والتحليل، والقول في العلم.

ثم ذكر أبو عمر بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار، ومن استشار أخاه فأشار عليه بغير رشده فقد خانه، ومن أتى بفتيا عن غير ثبت فإنما إثمها على من أفتأه».

ثم ذكر بسنده أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

من أتى بفتيا وهو يعمى عنها كان إثما عليه. اهـ.

ولا شك أن المقلد أعمى عما يفتى به؛ لأن علمه به محصور في أن فلانا قاله، مع علمه بأن فلانا ليس بمعصوم من الخطأ والزلل.

ثم قال أبو عمر رحمه الله: وقال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين، وإدراك المعلوم على ما هو به، فمن بان له الشيء فقد علمه. قالوا: والمقلد لا علم له. ولم يختلفوا في ذلك.

إلى أن قال رحمه الله: وقال أبو عبد الله بن خويز منداد البصري المالكي:

التقليد معناه في الشرع: الرجوع إلى قول لا حجة لقائه عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، والابتعاد ما ثبت عليه حجة.

وقال في موضع آخر من كتابه: كل من اتبعت قوله من غير أن
يجب عليك قبوله لدليل يوجب عليك ذلك فآنت مقلده، والتقليد في
دين الله غير صحيح، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت
متبوعه، والابتعاد في الدين مسوع والتقليد ممنوع.

وقال أبو عمر في آخر كلامه في الباب ما نصه:
ولا خلاف بين أئمة الأمصار في فساد التقليد فأغنى ذلك عن
الاكتار.

وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله، في كلامه عن التقليد ما
نصه:
وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز التقليد
بحجة نظرية عقلية بعد ما تقدم.
فأحسن ما رأيته من ذلك قول المزنى رحمه الله، وأنا أورده،
قال:
يقال لمن حكم بالتقليد: هل لك من حجة فيما حكمت به؟
فإن قال: نعم، أبطل التقليد؛ لأن الحجة أوجب ذلك عنده
لا التقليد.

وإن قال: حكمت به بغير حجة.
قيل له: فلم أرقت الدماء، وأبحت الفروج، وأتلفت الأموال،
وقد حرم الله ذلك إلا بحجة؟
قال الله عز وجل «إن عندهم من سلطان مهداً» أي من حجة
بهذا؟
ان قال: أنا أعلم أنني قد أصب وأ إن لم أعرف الحجة؛ لأنني قلدت كبيرًا من العلماء وهو لا يقول إلا بحجة خفيت علي.
قيل له: إذا جاء تقليد معلمك؛ لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت عليك، فتقليد معلم معلمك أولى؛ لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت على معلمك، كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت عليك.
فإن قال: "نعم"، ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه، وكذلك من هو أعلى، حتى ينتهي الأمر إلى أصحاب رسول الله ﷺ.
وإن أبت ذلك نقض قوله، وقيل له: كيف تجوز تقليد من هو أصغر وأقل علمًا ولا تجوز تقليد من هو أكبر وأكثر علمًا، وهذا ناقض؟
فإن قال: لأن معلمي وإن كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه إلى علمه، فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك.
قيل له: كذلك من تعلم من معلمك، فقد جمع علم معلمك، وعلم من فوقه إلى علمه، فلزمك تقليده وترك تقليد معلمك.
وأيضاً أن أبت الأولى أن تقلد نفسك من معلمك؛ لأنك جمعت علم معلمك وعلم من هو فوقه إلى علمك.
فإن قلّد قوله جعل الأصغر ومن يُحددُ من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
وذلك الصاحب عندما يلزم التقليد التابع، والتابع من دونه في قياس قوله، والأعلى للأدنى أبداً.
وكني يقول يؤول إلى هذا تنافساً وفساداً. إهـ.
ثم قال أبو عمر رحمه الله بعد هذا ما نصه:

يقال لمن قال بالتقليد: لم قلت به، وخلفت السلف في ذلك
فإنهم لم يقلدوا؟

فإن قال: قلدت؛ لأن كتاب الله لا علم لي بتأويله وسنة رسوله ﷺ لم أحسبها، والذي قلدت قد علم ذلك، فقلدت من هو أعلم مني.

قيل له: أما العلماء، إذا أجمعوا على شيء من تأويل الكتاب أو حكاية عن سنة رسوله ﷺ، أو اجتمع رأيهم على شيء، فهو الحق لا شك فيه.

ولكن قد اختلوا فيما قلدته فيه بعضهم دون بعض، فما حجتك في تقليد بعضهم دون بعض، وكلهم عالِم، والعالم الذي رغبت عن قوله، أعلم من الذي ذهب إليه مذهب؟

فإن قال: قلدت؛ لأني أعلم أنه صواب.

قيل له: علمت ذلك بدليلاً من كتاب الله أو سنة أو إجماع؟

فإن قال: "نعم". أبطل التقليد، وطولب بما ادعاه من 499 الدليل.

وإن قال: قلدت؛ لأنه أعلم مني.

قيل له: فقلت كل من هو أعلم منك، فإنك تجد من ذلك خلقاً كثيراً، ولا تخص من قلدت؟ إذ علّنتك فيه أنه أعلم منك.

فإن قال: قلدت؛ لأنه أعلم الناس.

قيل له: فإنه إذا أعلم من الصحابة، وكفى يقول مثل هذا قبحة.
فإن قال: إنما قلدت بعض الصحابة.
قيل له: فما حجتك في ترك من لم تقلد منهم، ولعل من تركت قوله منهم أفضل من أخذت بقوله.
على أن القول لا يصح لفضل قائله، وإنما يصح بدلاً للدليل عليه.

وقد ذكر ابن مزين عن عيسى بن دينار، عن ابن القاسم عن مالك، قال: ليس كل ما قال رجل قولاً وإن كان له فضل، يُثبَّغ عليه؛ لقول الله عز وجل: { أَلَيْنِّ يَسْتَيْعَونَ الْقُوَّةَ فَيْسَبِيعُونَ أَحْسَنَهَا }. فإن قال: قصري وقلة علمي يحملني على التقليد.
قيل له: أما من قلد فيما ينزل من أحكام شريعته عالماً يفقه له على علمه، فيصدر في ذلك عما يخبره فمعذور، لأنه قد أدى ما عليه وأدى ما لزمه فيما نزل به، لجهله، ولا بدله من تقليد عالم فيما جله، لإجماع المسلمين أن المكلف يقلد من يتقب بخبره في القبلة؛ لأنه لا يقدر على أكثر من ذلك.

ولكن من كانت هذه حاله، هل تجوز له الفتيا في شرائع دين الله، فيحمل غيره على إباحة الفروج وإراقة الدماء واسترقاق الرقبان وإزالة الأمالك، ويسيرها / إلى غير من كانت في يديه، يقول لا يعرف صحته ولا قام له الدليل عليه، وهو مقرر أن قائله يخطيء ويسب، وأن مخالفه في ذلك ربما كان المصيب فيما خالفه فيه؟

فإن أجاز الفتوى لمن جهل الأصل والمعنى، لحفظ الفروع، لزمه أن يجري للعامة. وكفى بهذا جهلاً وردًا للقرآن، قال الله تعالى:
وَلَا تَنْقُفْ مَا لَيْسَ رَبِّيْكَ عِلْمُهُ، وَقَالَ: أَنْتَ قَوْلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَأَنْتُمْ عَلَّمْوَنَّكُمْ.

وَقَدْ أَجَمَّعَ الْعَلَمَاءَ عَلَى أَنَّهَا لَا مَلِكٌ وَلَا أَمَامٌ فِي بَلَاغٍ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا يَغْنُي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًاً. إِهَّ. كُلِّهُ مِنْ جَامِعٍ ابْنِ عُبَيْدِ الْرَّحْمَةِ اللَّهِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ حَاصلَ جَمِيعِ حَجْجِ الْمَقَلِدِينَ مَنْحُورِ فِي قُوَّلِهِمُ: نَحْنُ مَعَاشِرُ الْمَقَلِدِينَ مُمْتَلِئُونَ قُوَّلَ اللَّهُ تَعَالَى: ۚ فَتَشْعَلُوا أَهْلَ الْذَّكْرِ إِنَّ كُتُبَرُّمَا لَا عَلَّمُوْنَّ.

فَأَمَّرَ سَبِحَانَهُ مِنْهَا عَلَّمَهُ أَنْ يَسْأَلَ مِنْهَا عَلَّمَهُ مَنْهَا، وَهَذَا نَصُّ قُوَّلِهِ.

وَقَدْ أَرْشَدَ النَّبِيُّ مِنْهَا مِنْ لَا يَعْلَمُ إِلَّا سَؤَلُ مِنْ يَعْلَمُ، فَقَالَ فِي حَدِيثِ صَاحِبِ الشَّجَةِ: أَلَا سَأَلَّوا إِنَّمَا شَفَاءُ العَيْنِ السَّؤَالَ.

وَقَالَ أَبُو العَسِيفِ الذِّي زَنِى بِمَأْرَأَةٍ مَسْتَأْجِرَهُ: وَأَنَا سَأَلْتُ أَهْلَ الْعَلَمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ مَا عَلَى ابْنِي جَلَدُ مَائَةٌ وتَغْرِيبٌ عَامٌ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةٍ هذَا الرَّجُمٌ، فَلَمْ يَنْكُرْ عَلَى تَقْلِيدٍ مِنْهَا أَعْلَمَ مَنْهَا.

وَهَذَا عَالِمُ الْأَرْضِ أَمْرٌ قُلْدُ أَبَا بَكْرٍ، فَرُوْى شَعْبَةُ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عِنْ الشَّعَبِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرَ قَالَ فِي الكَلَالَةِ: أَفْضِي فِي هَا فَإِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَمِنَ اللَّهِ، إِنْ يَكُنْ خَطاً فَمِنَ السَّيِّئِ، وَلَا نَشَطَّانِي وَلَا اللَّهُ مِنْهَ بِرَاءٍ هُوَ مَا دَوْنُ الْوَلِدِ وَالْوَالِدِ. فَقَالَ: عَمَّرُ بْنُ الْخَطَابِ: إِنِّي لَا أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَخَالفُ أَبَا بَكْرٍ.
أضواء البيان

وحصل عليه أنه قال له: رأينا لرأيك تبع. وصح عن ابن مسعود.

أنه كان يأخذ بقول عمر.

وقال الشعبي عن مسروق: كان سنة من أصحاب رسول الله ﷺ يقف الناس: ابن مسعود وعمر بن الخطاب وعلي وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبو موسى.

وكان ثلاثة منهم يدعون قولهم لقول ثلاثة.

كان عبد الله يدع قوله لقول عمر، وكان أبو موسى يدع قوله لقول علي، وكان زيد يدع قوله لقول أبي بن كعب.

وقال جندب: ما كنت أدع قول ابن مسعود لقول أحد من الناس.

وقد قال النبي ﷺ: "إن معاذًا قد سن لكم سنة فكذلك فافعلوا"، في شأن الصلاة، حيث تأخر فصلى ما فاته من الصلاة مع الإمام بعد الفرغ، وكانوا يصلون ما فاتهم أولاً ثم يدخلون مع الإمام.

قال المقلدة:

وقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر، وهم العلماء أو العلماء والأمراء، وطاعتهم تقليدهم فيما يفتون به.

فإن له ولا التقليد لين كن هناك طاعة تختص بهم.

وقال تعالى: "وَالسَّلَّمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمَيْهَارِينَ وَالآَصَارِ وَالْأَلْبَيْنَ أَنْبِعُوهُمْ إِبْحَاشِنَِّيُ رَحْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ وَرَضْوَانُهُمْ.

وتقليدهم اتباع لهم، ففاعلهم ممن رضي الله عنهم، ويكفي
ذلك الحديث المشهور: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتنتم اهتدائكم".

وقال عبد الله بن مسعود: من كان منكم مستنفاً فليس فين بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد أبى هذه الأمة قلباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلف، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الرشدين المهديين من بعدي".

وقال: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"، "واهتدوا بهدي عمر، وتمسكوا بهدئ ابن أم عبد".

وقد كتب عمر إلى شريح: أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فقض بما قضى به الصحابة.

وقد عيد عمر عن بع بأمهات الأولاد، وبعه الصحابة.

وألزم بالطلاق الثلاث، فتبعوه أيضاً. واحتلم مرة، فقال له عمرو بن العاص: خذ ثوباً غير ثوبك، فقال: "لو فعلتها صارت سنة.

وقال أبي كعب وغيره من الصحابة: ما استبان لك فاعمل به، وما اشتهب عليه فقله إلى عالمه.

وقد كان الصحابة يفتنون ورسول الله ﷺ حي بين أظهرهم، وهذا تقليد لهم قطعاً; إذ قولهم لا يكون حجة في حياة النبي ﷺ. 535
وقد قال تعالى: {فَوَلَّى كَفُوَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَثْلًا مِثْلًا يُسَفَّقُهُمْ فِي أَلْبَاءِهِمْ وَيَسْمَعُونَ فِي أَلْبَاءِهِمْ كَذَٰلِكَ ۚ فَأَوْجَبْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ مَا أَنْزَرُوهُمْ بِهِ إِذَا رَجُعُوا إِلَيْهِمْ،} {السَّبِيرٍ}. وهذا تقليد منهم للعلماء.

وصح عن ابن الزبير، أنه سئل عن الجد والأخوة، فقال:

أما الذي قال رسول الله ﷺ: {لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذته خليلاً}، فإنه أنزله أباً.

وهذا ظاهر في تقليده له.

وقد أمر الله سبحانه بقبول شهادة الشاهد، وذلك تقليد له.

وجاءت الشريعة بقبول قول القاتف، والخارص، والقاسم، والمقيم للمحتفلات وغيرها، والحاكمين بالمثل في جزاء الصيد، وذلك تقليد محض.

وأجمعت الأمة على قبول قول المترجم والرسول والمعرف والمعدل، وإن اختلفوا في جوائز الاستثناء واحد، وذلك تقليد محض لهؤلاء.

وأجمعوا على جوائز شراء اللحمان والثياب والأطعمة وغيرها، من غير سؤال عن أسباب حله وتحريمها، اكتفاء بتقييد أربابها.

ولو كلف الناس كلهم الاجتهاد، وأن يكونوا علماء فضلاء، لضاعت مصالح العباد، وتعطلت الصنائع والمتاجر، وكان الناس كلهم علماء ماجهدين.

وو هذا مما لا سبيل إليه شرعاً، والقدر قد منع من وقوعه.

وقد أجمع الناس على تقليد الزوج للنساء اللاتي يهدين إليه زوجته، وجواز وطئها تقديداً لهن في كونها هي زوجته.
وأجمعوا على أن الأعمى يقلد في القبلة، وعلى تقليد الأئمة في الظهرة، وقراءة الفاتحة، وما يصح به الاقتداء، وعلى تقليد الزوجة المسلمة كانت أو ذمية أن حيضها قد انقطع فيباح للزوج وطؤها بالتقليد.

وباح للولي تزويجها بالتقليد لها في انقضاء عدتها.

وعلى جواز تقليد الناس للمؤذنين في دخول أوقات الصلوات، ولا يجب عليهم الاجتهاد ومعرفة ذلك بالدليل.

وقد قالت الأمه السوداء لعقبة بن الحارث: أرضعتك وأرضعت امرأتك، فأمرهما بفراقها، وتقليدها فيما أخبرته به من ذلك.

وقد صرح الأئمة بجواز التقليد، فقال حفص بن غياث: سمعت سفيان يقول: إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى تحرمته فلا تنهيه.

وقال محمد بن الحسن: يجوز للعالم تقليد من هو أعلم منه، ولا يجوز له تقليد من هو مثله.

وقد صرح الشافعي بالتقليد فقال: في الضعيف بغير قلته تقليداً لعمر.

وقال في مسألة بيع الحيوان بالبراءة من العيوب: قلته تقليداً لعثمان.

وقال في مسألة الجد مع الإخوة: إنه يقاسهم. ثم قال: وإنما قلت بقول زيد، وعنده قبلنا أكثر الفارئين.

قال في موضع آخر من كتابه الجديد: قلته تقليداً لعطار.
وهذا أبو حنيفة رحمه الله قال في مسائل الآبار، ليس معه فيها إلا تقليد من تقدمه من التابعين فيها.

وهذا مالك لا يخرج عن عمل أهل المدينة، ويصرح في موطنه بأنه أدرك العمل على هذا، وهو الذي عليه أهل العلم ببلدنا.

ويقول في غير موضع: ما رأيت أحداً أفتدي به يفعله.

ولو جمعنا ذلك من كلامه لطال.

وقد قال الشافعي في الصحابة: رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا.

ونحن نقول ونصدق أن رأي الشافعي والأئمة معه لنا خير من رأينا لأنفسنا.

وقد جعل الله سبحانه في فطر العباد تقليد المتعلمين للأستاذين والمعلمين، ولا تقوم مصالح الخلق إلا بهذا.

والذك عالم في كل علم وصناعة.

وقد فاوت الله سبحانه بين قوى الأذهان، كما فاوت بين الأبدان، فلا يحسن في حكمته وعدله ورحمة أن يفرض على جميع خلقه معرفة الحق بدله، والجواب عن معاربه، في جميع مسائل الدين دقيقة وجليلة.

ولو كان كذلك لتساوت أقدام الخلق في كونهم علماء، بل جعل سبحانه تعالى هذا عالماً وهذا متعلماً، وهذا متبعاً للعالم مؤتماً به بمنزلة المأمون مع الإمام والتابع مع المتبع.

وأين حرم الله تعالى على الجاهل أن يكون متبعاً للعالم مؤتماً به مقدلاً له يسير بسيره وينزل بنزوله؟
وقد علم الله سبحانه أن الحوادث والتوازول كل وقت نازلة بالخلق، فهل فرض على كل منهم فرض عين، أن يأخذ حكم نازلة من الأدلة الشرعية بشروطها ولوازمها؟

وهل ذلك في إمكان أحد، فضلًا عن كونه مشروعًا؟

وهل التقليد إلا من لوازم التكليف ولوازم الوجود؟ فهو من لوازم الشرع والقدر، والمنكرن له مضطرون إليه ولا بد، وذلك فيما تقدم بيانه من الأحكام وغيرها.

ونقول لمن احتاج على إبطاله: كل حجة أثرية ذكرتها فأتت مقلد لحملتها ورواتها، إذ لم يتم دليل قطعي على صدقهم، فليس بيدك إلا تقليد الراوي.

ولا يساوي بيد الحاكم إلا تقليد الشاهد، وكذلك ليس بيد العامي إلا تقليد العالم.

فما الذي سوغ لكل تقليد الراوي والشاهد ومنعنا من تقليد العالم، وهذا سمع بأذنه ما رواه، وهذا عقل بقلبه ما سمعه، فأدى هذا مسموع، وأدى هذا معقوله. وفرض على هذا تأديته ما سمعه، وعلى هذا تأديته ما عقله، وعلى من لبلغ منزلتهما القبول منهما؟

ثم يقال للممانعين من التقليد: أنتم منعتموه خشية وقوع المقلد.
في الخطأ، بأن يكون مقلده مختطاً في فتواه، ثم أوجب عليه النظر والاستدلال في طلب الحق.

ولا ريب أن صوابه في تقليده للعالم أقرب من صوابه في اجتهدته هو لنفسه.

وهذا كمن أراد شراء سلعة لا خبرة له بها، فإنه إذا قلد عالماً بتلك السلعة، خبرها بها، أمينة ناصحة، كان صوابه وحصول غرضه أقرب من اجتهدته لنفسه، وهذا متفق عليه بين العقلاء. اهـ.

هذا هو غاية ما يحتاج به المقليدون، وقد ذكره ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقفين، وبين بطلانه من واحد وثمانين وجاً.

وسنذكر هنا إن شاء الله جملة مختصرة من كلمته الطويل تكفي المنصف، وتزيد المسألة إن شاء الله إيضاحاً وإقناعاً.

قال في إعلام الموقفين بعد ذكره حجج المقلدين التي ذكرناها:

أنا ما نصه: قال أصحاب الحجة:

عجبنا لكم معاشر المقلدين، الشاهدين على أنفسهم مع شهادة أهل العلم بأنهم ليسوا من أهله، ولا معدودين في زمرة أهله.

كيف أبطالتم مذهبكم، بنفس دليلكم، فما للملتود وما للاستدل؟ وأين منصب المقلد من منصب المستدل؟

وهل ما ذكرتم من الأدلة إلا ثياباً استعرتموها من صاحب الحجة فتجملتم بها بين الناس، وكنتم في ذلك متشبعين بما لم تطروح، ناطقين من العلم بما شهدتم على أنفسكم أنكم لم تتوهوا، وذلك ثوب زور لبستموه، ومنصب لست من أهله غصبتموه.

فأخبرونا، هل صرتم إلى التقليد لدليل قادكم إليه، وبرهان
دلكم عليه، فنزلتم به من الاستدلال أقرب منزل، وكتبت به عن التقليد
بمعزل، أم سلكتم سبيله اتفاقاً وتخميناً من غير دليل؟
وليس إلى خروجكم عن أحد هذين القسمين سبيل، وأيهمما كان
فهو بفساد مذهب التقليد حاكم، والرجوع إلى مذهب الحجة منه لازم.
ونحن إن خاطبناكم بلهان الحجة، قلتم: لسنا من أهل هذه
السبيل، وإن خاطبناكم بحكم التقليد، فلا معنى لما أقموه من
الدليل.
والعجب أن كل طائفة من الطوائف، وكل أمة من الأمم، تدعي
أنها على حق، حاشا فرقة التقليد، فإنهم لا يدعون ذلك، ولو ادعوه
لكانوا مبطلين، فإنهم شاهدون على أنفسهم بأنهم لم يعتقدوا تلك
الأقوال لدليل قادم إليها، وبرهان دله عليهم، وإنما سبيلهم محض
التقليد.
والمقلد لا يعرف الحق من الباطل، ولا الحالي من العاطل.
وأعجب من هذا أن أثنتهم نهواهم عن تقليدهم فعصوه
وخالفوه، وقالوا: نحن على مذاهبهم، وقد دانوا بخلافهم في أصل
المذهب الذي بنوا عليه.
فإنهم بنوا على الحجة ونهاو عن التقليد، وأوصوهم إذا ظهر
الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه، فخالفوه في ذلك كله، وقالوا:
نحن من أتباعهم، تلك أمانهم، وما أتباعهم إلا من سلك سبيلهم,
واقتفى آثارهم في أصولهم وفروعهم.
وأعجب من هذا أنهم مصيرون كتبهم ببطلان التقليد
وتحريمه، وأنه لا يحل القول به في دين الله.
ولو اشتُرت الإمّام على الحاكم أن يحكم بمذهب معين لم يصح
شروطه ولا توليه، ومنهم من صحح التولية وأبطل الشرط.
وكذلك المفتي يحرم عليه الافتاء بما لا يعلم صحته باتفاق
الناس.
والقلد لا علم له بصحة القول وفساده، إذ طريق ذلك مسدودة
عليه.
ثم كل منهم يعرف من نفسه أنه مقلد لمتبوعه لا يفارق قوله،
ويترك له كل ما خالفه من كتاب أو سنة أو قول صاحب، أو قول من
هو أعلم من متبوعه أو نظيره.
وهو من أعجب العجب.
أيضاً فإنّا نعلم بالضرورة، أنه لم يكن في عصر الصحابة,
رجل واحد اتخذ رجلاً منهم يقلده في جميع أقواله، فلم يسقط منها
شيئاً، وأسقط أقوال غيره، فلم يأخذ منها شيئاً.
ونعلم بالضرورة، أن هذا لم يكن في عصر التابعين، ولا تابعي
التابعين.
فلمكننا المقلدون برجل واحد، سلك سبيلهم الوخيمة، في
القرى الفضيلة على لسان رسول الله ﷺ.
وإنما حددت هذه البدعة في القرن الرابع المذموم على
لسانيه ﷺ.
فالقلدون لمتبوعهم في جميع ما قالوه، يسجرون به الفروج
والدماء والأموال، وبحرونها، ولا يدركون ذلك صواب أم خطأً،
على خطر عظيم، ولهم بين يدي الله موقف شديد يعلم فيه من قال
على الله ما لا يعلم أنه لم يكن على شيء. أهـ محل الغرض منه بلفظه.
وعلى كل حال فأتم أبا المقلدون تقولون: إنه لا يجوز العمل بالوحي إلا لخصوص المجتهدين، فلم سوغتم لأنفسكم الاستدلال على التقليد بآية: "فَسُوْكُلَا أُهِلَّ الْذِّكَرِ إِنْ كَنْتُمْ لَا تَعْمَّرُونَ"، وآية
"فَلَوْلَا تَقَرْونَ كَيْ يُهْرِقُونَ مَنْ طَائِقٍ" الآية؟
هل رجعت عن قولكم بأن الاستدلال بالوحي لا يجوز لغير المجتهد، أو ارتكبتم ما تعتقدون أنه محرم من استدلالكم بالقرآن، مع شدة بعدكم عن رتبة الاجتهاد؟
وفي هذا رد إجمالي لجميع ما استدللتم به على التقليد الذي
510
أنتم عليه.
ثم يقال: أليست هذه الآيات التي استدللتم بها في زعمكم، من ظواهر الكتاب، التي سن لكم الصاوي وأمثاله أن العمل بها من أصول الكفر؟
فإنهم لم يستثن شيئاً من ظواهر القرآن يكون العمل به ليس من أصول الكفر.
فلما تجرأتين على شيء هو من أصول الكفر، وسوغتم لأنفسكم
الاستدلال بالقرآن، مع أنه لا يجوز عندكم إلا للمجتهدين؟ وسنذكر رد استدلال المقلدين تفصيلًا، بإيجاز إن شاء الله تعالى.
أما استدلالهم بآية: "فَسُوْكُلَا أُهِلَّ الْذِّكَرِ إِنْ كَنْتُمْ لَا تَعْمَّرُونَ"
فهو استدلال في غير محله.
فقد أمروا أن يسألوا أهل الذكر، ليفتوهم بمقتضى ذلك الذكر الذي هو الوحي.

ومن سأل عن الوحي، وأعلم به، وبيّن له، كان عمله به اتباعاً للوحي لا تقليداً، وتابع الوحي لا نزاع في صحته.

إن كانت الآية تدل على نوع تقليد في الجملة، فهي لا تدل إلا على التقليد الذي قدمناه أنه لا خلاف فيه بين المسلمين، وهو تقليد العامي الذي تنزل به النازلة عالماً من العلماء، وعمله بما أفتاح به، من غير التزام منه لجميع ما يقوله ذلك العالم، ولا تركه لجميع ما يقوله غيره.

أو استدلالهم بالحديث الوارد في الرجل الذي أصابته شجة في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه: هل يعلمون له خصية في التيمم؟ فقالوا: ما نرى لك رخصة وأنت قادر على الماء، فاغسل فمات، بلغ النبي ﷺ ذلك فقال: «قلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا? فإنما شفاء العب السؤال».

فهو استدلال أيضاً في غير محله، وهو حجة أيضاً على المقلدين لا لهم.

قال في إعلام الموقعين في بيان وجه ذلك ما نصه:

إن النبي ﷺ إنما أرشد المستفتيين، كصاحب الشجاعة، بالسؤال
عن حكمه وسنته، فقال: «قتلوه قتلهم الله»، فدعا عليهم حين أهتموا
بغير علم.
وفي هذا تحريم الإفتاء بالتقليد، فإنه ليس علمًا باتفاق الناس.
فإذا دعا رسول الله ﷺ على فاعله، فهو حرام، وذلك أحد
أدلة التحرير.
فما احتج به المقلدون هو من أكبر الحجج عليهم.
وكذلك سؤال أبي العيسى الذي زنى بامرأة مستأجره لأهل
العلم.
فإنما لما أخبروه بسما رسول الله ﷺ في البكر الزاني أقره على
ذلك، ولم ينكروه، فلم يكن سؤالهم عن رأيههم ومذاهبهم.
وأما استدلالهم بأن عمر قال في الكلايلة: إنني لاستحيي من الله
أن / أخلف أبا بكر، وأن ذلك تقليد منه له. فلا حجة لهم فيه أيضاً. ٥١٢
وخلاف عمر لأبي بكر رضي الله عنهما أشهر من أن يذكر.
كما خالفه في سبي أهل الردة، فسبحهم أبو بكر، وخلافه
عمر، وبلغ خلافه إلى أن ردهن حرائر إلى أهلهم إلا لمن ولدت
لسبها منهن، ونقص حكمه، ومن جملتهن خولة الحنفية أم
محمد بن علي.
وخالفه في أرض العنوة، فقسمها أبو بكر ووقفها عمر.
وخالفه في المفاضلة في العطاء، فرأي أبو بكر التسوية، ورأى
عمر المفاضلة.
وخالفه في الاستخلاف، فاستخلف أبو بكر عمر على
المسلمين، ولم يستخلف عليهم عمر أحدًا، إماً لفعل رسول الله ﷺ عليه فعلي أبي بكر رضي الله عنهم.

وخلفه في الجد والأخوة، مع أن خلاف أبي بكر الذي استحب منه عمر هو خلافه في قوله: إن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله منه بريء، هو ما دون الولد والوالد، فاستحب عمر من مخالفته أبي بكر في اعتراجه بجوز الخطأ عليه، وأنه ليس كلامه كله صواباً مأموناً عليه الخطا.

وبدل على ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقر عند موته أنه لم يقض في الكلالة بشيء، وقد اعترف أنه لم يفهمها. قاله في إعلان الموقعين.

ومن العجب استدلال المقلدين على تقليدهم، باستحية عمر من مخالفته أبي بكر، مع أنهم لم يستحوا من مخالفته أبي بكر وعمر، وجميع الصحابة، /ومخالفته الكتاب والسنة، إذا كان ذلك لا يوافق مذهب إمامهم، كما هو معلوم من عادتهم، وكما أوضحه الصاوي في الكلام الذي قدمنا على قوله تعالى: *ولا تقولن لشيئٍ إنَّ فاعل ذلك منَّا* (6) إلا أن يشاء الله.

فقد قدمنا هناك أنه قال: إن من خرج عن المذاهب الأربعة فهو ضال مضل، ولو وافق الصحابة، والحديث الصحيح والآية، وربما أدى ذلك إلى الكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر.

فمن هذا مذهب وديته، كيف يستدل باستحية عمر من مخالفة أبي بكر؟
بل كيف يستدل بنص من نصوص الولي، أو قول أحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟
مع أن أبا بكر خليفة راشد، أمر النبي بالاقتداء به في قوله:
«عليكم بستني، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»
الحديث.
فليس الاقتداء بالخلفاء كالاقتداء بغيرهم.
وأما استدلالهم على تقليلهم بقول عمر لأبي بكر رضي الله عنهم: رأينا لرأيك تبع.
فيكفي في رده ما قدمنا قريباً، من مخالفته عمر لأبي بكر، مع القصة التي قال له فيها: رأينا لرأيك تبع، ردد فيها على أبي بكر بعض ما قاله.
وأيذ الصحابة ما قال عمر في رده على أبي بكر رضي الله عنهم.
لأن الحديث المذكور في وفد باحة من أسد وغطفان حين
قدموا على أبي بكر يسألونه الصلح، فخيرهم أبو بكر بين الحرب المجلية والسلام المخزية.
 فقالوا: هذه المُجلَّية قد عرفناها، فما المُخزَّنة؟
قال: تنزع منكم الحلقة والكراع، ونغم ما أصبنا لكم وتزرون لنا ما أصبتم لنا، وتزرون لنا فتلانا. إلى آخر كلامه.
وفيهم: فقام عمر بن الخطاب فقال: قد رأيت رأياً سنثير عليك، أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلام المخزية فنعم ما
ذكرت، وما ذكرت من أن نغنم ما أصبتنا منكم، وتزودون ما أصبتهم منا، فنعلم ما ذكرت، وأما ما ذكرت من أن تدو كنفنا وتقبون قتلاكم في النار، فإن قتلاكم قد قاتلت فقتلت على ما أمر الله، أجورها على الله، ليس لها ديات.

فنتابع القوم على ما قال عمر رضي الله عنه.

فهذه القصة الثانية، هي التي في بعض ألفاظها: ورأينا لرأينا لرأيك تبع.

وأنت ترى عمر رضي الله عنه لم يقعد فيها أبا بكر رضي الله عنه، إلا فيما يعتقد صواحبه؛ فإنما ظهر له أنه صواب، قال له فيه:

نعلم ما ذكرت.

وما ظهر له أنه ليس بصواب رده على أبي بكر، وهو قول أبي بكر بدفع ديات الشهداء؛ لأن عمر يعتقد أن الشهيد في سبيل الله لا دية له، لأن الله يقول: ۘ إن الله / أَشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَموَالَهُمَّ أَرَاهُمْ لِهِدْيَتَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فِيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّاً عَلَىٰهُمْ حَافِظِاً فِي الْوَرَّاءِ وَالْأَخِيَّةِ وَالْقُرْءَانِ وَمِنْ أُولِّي الْأَوْلِيَاءِ يُهْدِيهِمْ مِنْ أَخْبَاهِهِ. ۘ قَاتِـِّـَـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّـِّ
بصراحة، كمخالفته له في أم الولد، لأن ابن مسعود يقول فيها: إنها تعتق من نصيب ولدها.

ومن ذلك أن ابن مسعود كان يطبق في ركوعه إلى أن مات، وعمر كان يضع يديه على ركبته.

وكان ابن مسعود يقول في الحرام: هي يمين، وعمر يقول: إنه طلقة واحدة.

وكان ابن مسعود يحرم النكاح بين الزانيين، وعمر يتيحهما وينحك أحدهما الآخر.

وكان ابن مسعود يرى ببع الأمة طلاقها، وعمر يرى عدم ذلك.

وأمثال هذا كثير معلومة.

مع أن ابن مسعود يقول: إنه أعلم الصحابة بكتاب الله، وإنه لو كان يعلم أحداً أعلم منه به لرحل إليه، ولم يترك عليه أحد من الصحابة.

وقد قدمنا عنه قوله: كن عالماً أو متعلماً ولا تكن إماعة.

فليس ابن مسعود من أهل التقليد، مع أن المقلدين المحتجين بتقليد ابن مسعود لعمر، لا يقلدون ابن مسعود، ولا عمر، ولا غيرهما من أصحاب رسول الله

ولا يأخذون بقول الله ولا رسوله، وإنما يفضلون على ذلك كله تقليد أحد الأئمة أصحاب المذاهب رحمهم الله.

وأما استدلالهم على التقليد بأن عبد الله كان يدع قوله لقول عمر، وأبو موسى كان يدع قوله لقول علي، وزيد يدع قوله لقول أبي بن كعب، فهو ظاهر السقوط أيضاً.
لا يدعون سنة رسول الله ﷺ لقول أحد، وهذا لا شك فيه.
وكان ابن عمر يدع قول عمر، إذا ظهرت له السنة.
وكان ابن عباس يقول: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: ﷺ، وتنقولون: قال أبو بكر وعمر.
وأما استدللهم على التقليد بأن معاذًا رضي الله عنه صلى مسوباً فدلالي ما أدرك مع الإمام أولاً، ثم قضى ما فاته بعد سلام الإمام، وكانوا قبل ذلك يصلون ما فاتهم أولاً ثم يدخلون مع الإمام في الباقين، وأي النبي ﷺ قال في ذلك: «إن معاذًا قد سن لكم سنة، فكذلك فافعلوا»، فهو ظاهر السقوط أيضاً؛ لأن ذلك لم يكن سنة إلا بأمر رسول الله ﷺ كما لا يخفى.
فلا حجة قطعاً في قول أحد كائناً من كان، ورسول الله ﷺ موجود، وإنما العبرة بقوله ﷺ وفعله وтарبته.
وهذا معلوم بالضرورة من الدين.
وأما استدللهم على التقليد بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرسول وَأَطِيعُوا الأَيُّوَامَانَ}، فقليلن: إن المراد بأولى الأمر العلماء، وأن طاعتهم المأمور بها في الآية هي تقليدهم، فهو ظاهر السقوط أيضاً.
لأنه لا يجوز طاعة أولي الأمر إجماعاً فيما خالف كتابًا أو سنة، ولا طاعة لهم إلا في المعروف كما جاءت به الأحاديث الصحيحة.

517
ولا نزاع بين المسلمين في أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

التحقيق في معنى الآية الكريمة أن المراد بأولى الأمر:

ما يشمل الأمراء والعلماء.

لأن العلماء مبلغون عن الله وعن رسوله، والأمراء منذون،
ولا تجوز طاعة أحد منهم إلا فيما أذن الله فيه.

لأن ما أمر به أولو الأمر لا يخلو من أحد أمرين:

أحدهما: أن يكون طاعة الله ورسوله من غير نزاع، وطاعة أولي الأمر في مثل هذا من طاعة الله ورسوله.

والثاني: أن يحصل فيه نزاع هل هو من طاعة الله ورسوله أو لا؟

وفي هذه الحالة لا تجوز الطاعة العمباء لأولى الأمر ولا التقليد الأعمى كما صرح الله تعالى بذلك في نفس الآية.

فقال: "أَيْلَعْبِعُونَ النَّاسَ وَأَيْلَعْبِعُونَ الرَّسُولَ وَأَيْلَعْبِعُونَ الْأَمَرَ يَمِّنُ بَغِيْسَ "

أتباع ذلك بقوله: "فَإِنْ لَنْ تَنْزِعَنْ فِي كُفَايَ مَرْجُوتُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ ".

فالآية صريحة في رد كل نزاع إلى الله ورسوله.

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله هو الرد إليه في حياته، والرد إلى سنته بعد وفاته.

وقد قدمنا في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: "إِنَّ هَالِكَ فِي الْأَرْضِ خَليلًا" بعض الأحاديث الصحيحة الدالة على أنه جاهل في الأرض جليلة.
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كحديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".

وحديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في السرية الذين أمرهم أميرهم أن يدخلوا في النار: "لو دخلوها ما خرجوا منها. أبداً، إنما الطاعة في المعروف".

وفي الكتاب العزيز: "ولا تعبدوا ما لا يعبدون في معرفات".

ولا يخفى أن طاعة الله وطاعة رسوله المأمور بها في الآية لا يتحقق وجودها إلا بمعرفة أمر الله ورسوله ونفيه الله ورسوله والمقلدون مقررون على أنفسهم بأنهم لا يعلمون أمر الله ولا نهيه، ولا أمر رسوله ولا نهيه.

وغاية ما يدعو علمه هو أن الإمام الذي قلدوه قال كذا، مع عجزهم عن التمييز بين ما هو خطأ وما هو صواب، بل أكثرهم لا يميزون بين قول الإمام وبين ما ألقه أتباعه بعده مما قاسوه على أصول مذهبهم.

ولا شك أن طاعة العلماء هي اقتفاء ما كانوا عليه من النظر في كتاب الله وسنة رسوله وتقدمهما على كل قول وعلى كل رأي كائناً ما كان. فمن قلدهم التقليد الأعمى وترك الكتاب والسنة لآقوالهم، فهو المخالف لهم المتباعد عن طاعتهم كما تقدم، وكما سيأتي إن شاء الله.

وأما استدلالهم على التقليد بقوله تعالى: "والثناءفون"
سورة محمد

الآلهوسن من الهيجين والائهار والائيين أجعوه بهجس النبى الله عليهم ورضوا
عنة، فقيلين: إن تقليدهم من جملة اتباعهم بإحسان، فمقلدهم
ممن رضي الله عنه بنص الآية، فهو ظاهر السقوط أيضاً.
لأن الذين اتبعهم بإحسان هم الذين ساروا على مثل ما كانوا
عليه من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فلما يكن أحد منهم يقلل رجلاً ويترك الكتاب والسنة لقولة.
فالعقلدون التقليد الأعمى ليسوا ممن اتبعهم البيت، بل هم
أعظم الناس مخالفتهم لهم، وأبعدهم عن اتباعهم. فأتبع الناس لمالك
مثلًا ابن وهب ونظراؤه، ممن يعترضون أقواله على الكتاب والسنة،
فياخذون منها ما وافقهما دون غيره.

وأتبع الناس لأبي حنيفة أبو يوسف ومحمد مع كثرة مخالفتهمهما
له، لأجل الدليل من كتاب أو سنة.

وأتبع أصحاب أحمد بن حنبل له البخاري وسلم وأبو داود
والآثر لتعميرتهم الدليل على قوله وقول غيره، وهكذا.
وأما استدلاليهم على تقليدهم: بحديث « أصحابنا كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتدتكم» فهو ظاهر السقوط أيضاً.

/أعلم أولًا أن الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، فهو حديث
ضعفيف لا يصح الاحتجاج به، فجميع طرقه ليس فيها شيء قائم.

قال في إعلام الموضعين:
روي هذا الحديث من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن
جابر، ومن حديث سعيد بن المسيب عن ابن عمر، ومن طريق حمزة
الجزري عن نافع عن ابن عمر، ولا يثبت شيء منها.
قال ابن عبد البر: حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد،
أن أبا عبد الله بن مفرح حدثهم ثنا محمد بن أيوب الصمود
قال: قال لنا البزار: وأما ما يروى عن النبي ﷺ: "أصحابي
كان النجوم بأيهم اقتديتم اهديتم، فهذا الكلام لا يصح عن
النبي ﷺ. إنه منه.

وضعف الحديث المذكور معروف عند أهله العلم.
مع أن المقليدين المحتاجين به يمنعون تقليد الصحابة،
وبحرون الاهتداء بتلك النجوم.

وهو تناقض عجيب؛ لأنهم تركوا نفس ما قال عليه الحديث
واستدلوا بالحديث على ما لم يتعرض له الحديث، وهو تقديمهم
تقليد أئمتهم على تقليد الصحابة، مع أن قياسهم على الصحابة
لا يصح، لعظم الفارق.

وبما ذكرنا تعلم سقوط استدلالهم بما ذكروا عن ابن مسعود من
 قوله: "من كان مستنا منكم فليستن بين قذ مات أولئك أصحاب
محمد".

وأها جل وعلا يقول: (أТАمرونَ النَّاسَ بِالْبَيْتِ وَتَنْسُونَ أنْفَسَكُمُ)

الآية.

/وأما استدلالهم بقوله: "عليكم بستني وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين من بعدي".

وقوله: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" فهو
حجة عليهم لا لهم.

لأن سنة الخلفاء الراشدين التي حث عليها رسول الله ﷺ.
مقرونة بسنته، ليس فيها البتة تقليد أعمى، ولا التزام قول رجل بعينه.
بل سنتهم هي اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتقديمها على كل شيء.
لأنهم هم أتباع الناس لرسول الله ﷺ وأشدهم حرصا على العمل بما جاء به.
فالذي يقدم آراء الرجل على كتاب الله وسنة رسوله ويستند على ذلك الحديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» الحديث، هو كما ترى، أقوال الخلفاء رضي الله عنهم وأفعالهم كلها معروفة مدونة إلى الآن، ليس فيها تقليد أعمى ولا جمود على قول رجل واحد.
وإنما هي عمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومشاروا أصخابه فيما نزل من النوازل، واستنباط ما لم يكن منصوصاً من نصوص الكتاب والسنة على أحسن الوجه وأثقها، وأقربها لرضي الله والاحتفاظ في طاعته.
وكانوا إذا بلغهم شيء عن رسول الله ﷺ رجعوا إليه ولو كان مخالفاً لرأيهم.
فقد رجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى قول المغيرة بن شعبة / ومحمد بن مسلمة أن النبي ﷺ فرض للجدة السادس، وكان أبو بكر يرى أنها لا ميراث لها، وقد قال لها لما جاءته: "لا أرى لك شيئاً في كتاب الله، ولا أعلم لك شيئاً في سنة رسول الله ﷺ".
أضواء البيان

وقد رجع عمر إلى قول المذكورين في دية الجنين أن النبي ﷺ جعل فيها غرة عبد أو وليدة.

ورجع عمر أيضاً إلى حديث عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر.

ورجع عمر أيضاً إلى قول الضحاك بن سفيان أن النبي ﷺ كتب إليه أن يوبرث امرأة أشيام الضبابي من دبة زوجها.

ورجع عثمان بن عفان إلى حديث فريعة بنت مالك أخت أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ أمرها بالسكنى في البيت الذي توفي عنها زوجها، وهي فيه حتى تنقضي عدتها.

وكان عثمان بعد ذلك يفتي بوجب السكنى للمتوفي عنها حتى تنقضي عدتها.

وأمثال هذا أكثر من أن تحصى، وفي ذلك بيان واضح لأن سنة الخلفاء الراشدين هي المتابعة لرسول الله ﷺ، وتقديم سنته على كل شيء، فعلينا جميعاً أن نعمل بمثل ما كانوا يعملون، لكون متبعين لسنة رسول الله ﷺ وستهم.

أما المقلد المعرض عن سنتهم، وعن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ففضلًا على ذلك تقليد أبي حنيفة أو مالك أو شافعي أو أحمد رحمهم الله، لما كان يحقق له أن يستدل بحديث "عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين..." الحديث; لأنه مقرر بمقتضى تقليده، بأنه أبعد الناس عن العمل بحديث "عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين..." الحديث.

وأما استدلالهم، بأن عمر كتب إلى شريج: أن اقض بما في
كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فيما في سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ، فبما قضى به الصالحون، فهو حجة عليهم أيضاً لا لهم؛ لأن فيه تقديم كتاب الله، ثم سنة رسول الله ﷺ، ثم العمل بما قضى به الصالحون، وخيرهم أصحاب رسول الله ﷺ.

ولو كان المقلدون يمثّلون هذا، لما أنكر عليهم أهل العلم، ولكن المقلدين المحتجّين بهذا يمنعون العمل بكتاب الله وسنة رسوله، والعمل بفتاوى أصحاب رسول الله ﷺ، ويوجبون الجمود على قول الإمام الذي قلدوه والتزموا بهمّه.

ومن كانت هذه حاله، فلا يحق له أن يستدّل بشيء من هذه الأدلة.

وأما استدلالهم بأن عمر رضي الله عنه منع بيع أمهات الأولاد فتبعه الصحابة، وألزم الطلاق الثلاث بكلمة واحدة، وتبعه الصحابة؛ فهو ظاهر السقوط أيضاً.

وقد قدمنا أن متابعة بعض الصحابة لبعض إنما هي لاتفاقهم فيما رأوه، لا لأن بعضهم مقلد بعضاً تقليداً أعمى.

وقد قدمنا إيضاح ذلك بما يكفي.

مع أن المقلدين المحتجّين بهذا يمنعون تقليد عمر، وسائر الصحابة، فمن عجائبهم أنهم يستدلون بما يعتقدون أن العمل به ممنوع.

وأما استدلالهم بأن عمرو بن العاص قال لعمر لما احتمل: خذ
وثوبًا غير ثوبك، فقال: لو فعلت صارت سنة. فهو ظاهر السقوط أيضاً.

لأن عمر بن الخطاب خاف أن يفعل شيئاً فيعتقد من لا علم عنه أنه إنما فعله لكونه سنة، فامتنع من فعله لأجل هذا المحذر.

مع أن المقلد يرى منع تقليد عمر رضي الله عنه.

وأما استدلالهم بما ذكرته عن أبي وغيره أنه قال: ما استبان لك فاعمل به، وما اشتبه عليك فكله إلى عالمه، فهو حجة عليهم أيضاً لا لهم.

لأن قوله: ما استبان لك فاعمل به، صريح في أن ما استبان من كتاب الله وسنة رسوله، يجب العمل به ولا يجوز العدول عنه لقول أحد.

وهذا نقيض ما عليه المقلدون، فهم دائماً يستدلون على مذهبهم بما يناقضه.

والأظهر أن مراد أبي بن كعب بقوله: فكله إلى عالمه، أي فكل علمه إلى الله.

فمراده بما اشتبه المتشابه، ومراده بعالمه: الله.

فهو يشير إلى قوله تعالى: "وَأَفَلَا أَلَمْ يَنفَعْكُمُ الْيَوْمُ الْآخَرُ فِي قَلْبِهِمْ رَزْقُ مِنْهُمْ مَا شَتَبَهُمْ مِنْ بَيْتِهِمْ وَبَيْتَاهُمْ وَمَا يَتَّبَعُهُمْ وَإِلاَّ اللَّهُ وَالرَّسُولُ إِلاَّ أَلَيْسَ مَآءً يَقُولُونَ كَآثِمًا يَدَى كُلُّ ذِنْبٍ عِنْدَ رَبِّنَا". 

فالذين قلوا: آمنا به كل من عند ربنا، فقد وكلوا ما اشتبه عليهم إلى عالمه وهو الله.
ويحتمل أن يكون مراد أبي بقوله: فكلاه إلى عالمه، أي فكلاه إلى من هو أعلم به منك من العلماء.

وهذا هو الذي فهمه ابن القيم في إعلام الموقعين من كلام أبي.

وعلى هذا الاحتمال فلا حجة فيه أيضاً للمقلدين؛ لأن من خفي عليه شيء من العلم فوكله إلى من هو أعلم به منه، فقد أصاب.

ولا يلزم من ذلك الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله، بل هو عمل بالقرآن، لقوله تعالى: "واللّه ﷺ لا يخفى عمل ﷺ".

وأما استدلالهم على تقليدهم بأن الصحابة كانوا يفتنون ورسول الله ﷺ موجود بين أظهرهم، وأن ذلك تقليد لهم فهو ظاهر السقوط أيضاً.

لأنهم ما كانوا يفتونهم في حالة وجود رسول الله ﷺ بين أظهرهم إلا بما علمهم من الكتاب والسنة كما لا يخفى.

ومن أقوى منهم وغلط في فتوه أنكر عليه النبي ﷺ فتواه التي ليست مطابقة للحق، وردوا عليه، فإنه كاره على أبي السنابل بن بكك قوله لسبيعة الأسلامية لما مات زوجها ووضعت حملها بعد ذلك بأيام: إنها لا تنتقص عدتها إلا بعد أربعة أشهر وعشر ليل.

وقد استدل أبو السنابل على ما أنتبه به بعموم قوله تعالى:

وَالَّذِينَ يَتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوُاحُكُمْ يُرِئُونَ أَنْفُسَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ

وقد رد عليه النبي ﷺ فتواه مبيناً أن عموم قوله تعالى:

وَأَوْلَٰئِكَ اللَّهُ ﴿اَلْحَمْلُ﴾ ﷺ الآية، مخصص بقوله تعالى: "وَأَوْلَٰئِكَ اللَّهُ أَجْلَهُنَّ أَنْ يَضُرُّنَّ جَمِيلَهُنَّ". ٥٦٦
وكاكثرهم على الذين أفتوا صاحب الشحة بأنهم لم يجدوا له رخصة وهو يقدر على الاماء. وقد قدمنا قصته، وأن النبي قال فيه: "قتلوه قتلهم الله" الحديث.
والظاهر أنهم استندوا في فتواهم لما فهموه من قوله تعالى: "قلتُ "قدْ يَحْدَثَا مَّا كَانُوا أَصِيبُوا طَفِئًا"، وغفلوا عن قوله: "وَإِن كُنتُم مُّمَتَّعُونَ" الآية، وأمثاله هذا كثيرة.
وأما استدلالهم على التقليد بقوله تعالى: "فَلَوْلَأَ نَفْرَتُنَّ كَيْ فَرَقَتْنَا طَائِفَٰتَكُمْ لِيَسْتَفِقُّوا فِي الْأَبْيَضِ وَيُسِيرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَيُعَلِّهَا" قاتلين: إن الآية أوجب قبول إنشادهم، وأن ذلك تقليد لهم، فهو ظاهر السقوط أيضاً.
لأن الإنذار في قوله: "وَيُسِيرُوا قَوْمَهُمْ" لا يكون برأي، وإنما يكون بالوحي خاصة، وقد حصر تعالى الإنذار في الوحي بأداة الحصر التي هي (إنا) في قوله: "فَلَوْلَأَ نَفْرَتُنَّ كَيْ فَرَقَتْنَا طَائِفَٰتَكُمْ إِنِّي أَذَرْنِي إِلَى الْوَحِيِّ".
وبه تعلم أن الإنذار لا يقوم إلا بالحجة، فمن لم تقم عليه الحجة لم يكن قد أُذن، كما أن النذير من أقام الحجة، فمن لم يأت بحجة فليس بنذر.
فمما لا شك فيه أن هذا الإنذار المذكور في قوله: "وَيُسِيرُوا قَوْمَهُمْ"، والتحذير من مخالفته في قوله: "لَيْسَ عَذَّابٌ مِّنَ الْحَزَنِ، وَلَيْسَ فِي الْأَبْيَضِ" ليس برأي ولا اجتهاد، وإنما هو إنذار بالإنساني ممن تفقه في الدين، وصار ينذر بما علمه من الدين، كما يدل عليه قوله تعالى قبله: "لَيْسَ فِي الْأَبْيَضِ"، فهو يدل على أن قوله: "وَيُسِيرُوا قَوْمَهُمْ" أي بما تفقهوا فيه من الدين.
ليس التفقه في الدين إلا علم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فتبين أن الآية لا دليل فيها البنية لطائفة التقليد، الذين يوجبون تقليد إمام بعينه، من غير أن يزد من أقواله شيء، ولا يؤخذ من أقوال غيره شيء، وتجعل أقواله عيارًا لكتاب الله وسنة رسوله، فما وافق أقواله منهما قبل وما لم يوافقهما منهما زد.

وهذا النوع من التقليد لا شك في بطلانه، وعدم جوازه.

فالآية الكريمة بعيدة كل البعد من الدلالة عليه، مع أن استدلال المقلدين بها على تقليدهم استدلال بشيء يعتقدون أن الاستدلال به ممنوع منعاً باتاً؛ لأنه استدلال بقرآن.

وأما قول إنذارهم فهو من الابتاع لا من التقليد، كما سيأتي.

إيضاحه إن شاء الله.

وأما استدلالهم بأن ابن الزبير قال ما يدل على تقليده لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، في أن الجد يحبج الادوية، فهو ظاهر السقوط أيضاً.

وقد قدمنا مراراً في رد استدلالهم بتقليد الصحابة بعضهم بعضاً ما يكفي، فأغنى عن إعادة هنا.

وأما استدلالهم بقبول شهادة الشاهد في الحقوق، قائلين: إن قبول شهادته فيما شهد به تقليد له، فهو ظاهر السقوط ؛ لظهور الفرق بينه وبين ما استدلوا عليه به، من تقليد رجل واحد بعينه، بحيث لا يترك من أقواله / شيء ولا يؤخذ مما خالفها شيء، ولو كان كتاباً أو سنة.
وذلك من وجهين:

أحدهما: أن العمل بشهادة الشاهد أخذ بكتاب الله وسنة رسوله؛ لأن الله يقول: {وَأَشْهَدْتُمَا ذَرْعًا عَلَىٰ مَنْ كَرِهْتُمْ} وقيل:
{وَاسْتَقْبَلْتُمَّ أَشْهَادَتَيْنِ} فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنَ فَرَجُلٌ وَأَمْرُ رَكَابٍ يَكْفَى.
{يَرْضَىَ مِنَ الشَّهَادَاتِ} إِلَىٰ غَيْرِ ذلِكَ مِن الآيات.

وقد صلى عن النبي ﷺ القضاء بالشاهد واليمين في الأمور.

وفي الحديث: {شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينِهَا}، وهو حديث صحيح.

فالأخذ بشهادة الشاهد إذاً من العمل بكتاب الله وسنة رسوله، لا من التقليد لرجل واحد بعينه تقليداً أعمى.

الوجه الثاني: أن الشاهد إنما يخبر عما أدركه بإحدى حواسه، والمدرك بالحاسة يحصل به القطع من أدركه، بخلاف الرأي، فإن صاحبه لا يقطع بصحة ما ظهر له من الرأي.

ولذا أجمع العلماء على الفرق بين خبر التواتر المستند إلى حس، وبين خبر التواتر المستند إلى عقل.

فأجمعوا على أن الأول يوجب العلم المفيد للقطع لاستناده إلى الحس.

وأن الثاني لا يوجب، ولو كان خبر التواتر يفيد العلم في المعقولات لكان قدم العالم مقتراً به؛ لأنه تواتر عليه من الفلاسفة خلق لا يحصين إلا الله.

مع أن حدوث العالم أمر قطعي لا شك فيه.

فالذين تواتروا من الفلاسفة على قدم العالم، الذي هو من
المعقولات / لا من المحسوسات، لو تواتر عشرهم على أمر

محسوس لأفاد العلم اليقيني فيه.

فالشاهد إن أخبر عن محسوس، وكان عدلًا، فهو عدل مخبر
عما قطع به قطعا لا يتطرق إليه الشك، بخلاف المجتهد، فإنه عدل
أخبر عما ظنه، فوضوح الفرق بين الأمرين كما ترى.

وأما استدلالهم على تقلدهم بقبول قول القاتف والخارص
المقوم والحاكemin بالمثل في جزاء الصيد، وتقليد الأعمى في
القبلة، وتقليد المؤذنين في الوقت والمترجمين والمعرفيين،
mالمعدلين والمجرحين، وتقليد المرأة في طهرها؛ فهو كله ظاهر
المصون أيضاً.

فإن جميع ذلك لا يقبل منه إلا ما قام عليه دليل من كتاب
أو سنة، فالعمل به من العمل بالدليل الشرعي لا من التقليد الأعمى.
وذلك كله من قبيل الشهادة، والإخبار بما عرفه القاتف
وخارص إلى آخره، لا من قبيل الفتوى في الدين.
وقد استدل العلماء على قبول قول القاتف بسرور النبي ﷺ من
قول مجزز بن الأعور المدلجي في أسامة وزيد: «هذه الأقدام بعضها
من بعض». 

فلو كان قول القاتف لا يقبل، لما أقره النبي ﷺ، ولما برقت
أسرار وجهه سراً به.

فقبله لذلك، فهو اتباع لرسول الله ﷺ.

وقد قدمنا الأحاديث النبوية الدالة على قبول قول الخارص،
وبينا أن بعضها ثابت في الصحيح، ورد قول من مع ذلك، في سورة
الأعوان في الكلام على قوله تعالى: «وَأَوْلَٰٰدُ الْخَيْرَةِ خَصْبَادُوهُمْ».

فهذا مثال ما ثبت بالسنة من قبول قول المذكورين.

ومثال ما دل عليه القرآن من ذلك قول قول الحكمين في المثل في جزاء الصيد: لأن الله نص عليه في قوله تعالى: «فَجَرَاءٌ يَمِلُّ ما قَالَ مِنَ الْسَمِّيْرِ يُحَمِّلُ يَدَاهُما بِالْيَمِينِ» الآية.

وهكذا كل من ذكره، فإن قبول قولهم إنما صح بدليل شرعي يدل على قبوله، من كتاب أو سنة أو إجماع.

مع أن الأخبار عن جميع ما ذكر إخبار عن محسوس، والتقليد الذي استدلنا به عليه إخبار عن معقول مظنون.

والفرق بين الأمرين قديما قريبا، فليس شيء من ذلك تقليداً أعمى بدون حجة.

وأما استدلالهم على التقليد المذكور بوجاز شراء اللحوم والنبات والأطعمة وغيرها من غير سؤال عن أسباب حلها، اكتفاء بتقليد أرببها: فهو ظاهر السقوق أيضاً.

لأن الاكتفاء بقول الدايع والبائع ليس بتقليد أعمى في حكم ديني لهما، وإنما هو عمل بالأدلة الشرعية؛ لأنها دلت على أن ما في أسواق المسلمين من اللحوم والسلع محمول على الجرائز والصحة، حتى يظهر ما يخالف ذلك.

ومما يدل على ذلك، ما صح عنه الصحيح عن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن قوماً قالوا: يا رسول الله، إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال: سموا عليه أنتم وكلوا، قال: وكانوا حديثي عهد بالكر.

أضواء البيان
قال المجد في المنتقي بعد أن ساق الحديث: رواه البخاري والنسائي وابن ماجه، وهو دليل على أن التصرفات والأفعال تحمل على حال الصحة والسلامة إلى أن يقوم دليل الفساد. أهـ منه.

وقد أجمع العلماء على هذا، فالعمل به عمل بالدليل الشرعي، لأن الله لو كلف الناس ألا يشترى أحد منهم شيئاً حتى يعلم حليته لوقعوا في حرج عظيم تتطلبه المعيشة ويختل به نظامها.

فأجاز الله تعالى ذلك برفع الحرج، كما قال تعالى: ٥٣١ وَمَارَجَعُ ْ عليه في آلهتي من حرج، فالاستدلال به على التقليد الأعمى فاسد؛ لأنه أخذ بالحجة والدليل، وليس من التقليد.

وأما استدلالهم على التقليد بأن الله لو كلف الناس كلهم الاجتهاد، وأن يكونوا علماء، ضاعت مصالح العباد، وتعطلت الصناع والمغامر، وهذا مما لا سبيل إليه شرعاً وقدراً، فهو ظاهر السقوط أيضاً.

ومن أوضح الأدلة على سقوطه أن القرنون الثلاثة المشهود لهم بالخير، لم يكن فيهم تقليد رجل واحد بعينه هذا التقليد الأعمى، ولم تتعطل متاجرهم ولا صناعتهم، ولم يرتكبوا ما يمنعه الشرع ولا القدر.

بل كانوا كلهما لا يقدمون شيئاً على كتاب الله وسنة رسوله . وكان فيهم علماء مجتهدون يعملون بالكتاب والسنة ويفتون بهما.

وكان فيهم قوم دون رتبتهم في العلم، يتعلمون من كتاب الله وسنة رسوله ما يحتاجون للعمل به في أنفسهم، وهم متبعون لا مقلدون.
وفيهم طائفة أخرى، هي العوام لا قدرة لها على التعليم، وكانوا يستفدو فيما نزل بهم من النوازل من شؤوا من العلماء، وتارَة يسألون عن الدليل فيما أفثهم به، وتارَة يكتفون بفتوه ولا يسألون، ولم يتقيدوا بنفس ذلك العالم الذي استفته، فإذا نزلت بهم نازلة أخرى، سألوا عنها غيره من العلماء إن شاؤوا.

ولا إشكال في هذا الذي مضت عليه الصحابة والتابعون وتابوعهم، ولا يلزم تعطيل صنائع ولا متجار، ولا يمنعه شرع ولا قدر.

فكيف يستدلون منصف للتقليد الأعمى، بأن الناس لو لم ترتكبه لوقعوا في المحدود المذكور؟

وعلى كل حال، فكل عاقل لم يعمه التعصب، يعلم أن تقليد إمام واحده بعينه، بحيث لا يترك من أقواله شيء، ولا يؤخذ من أقوال غيره شيء، وجعل أقواله عيارا لكتاب الله وسورة رسوله، فما وافق أقواله منهما جاز العمل به، وما خالفها منهما وجب اطراوه وترك العمل به، لا وجه له البثة.

 وهو مخالف لكتاب الله وسورة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين وتابعهم وإجماع الأئمة الأربعة.

فالواجب على المسلمين تعلم كتاب الله وسورة رسوله، والعمل بما علموا منهما.

والواجب على العوام الذين لا قدرة لهم على التعليم سؤال أهل العلم، والعمل بما أفتروه به.

ويأتي لهذا زيادة إيضاح وإنقاذ للمنصف في التنبيهات الآتية.

إن شاء الله تعالى.
فقد بينا هنا بطلان جميع الحجج التي يحتج بها المقلدون التقليد المذكور، وما لم نذكر من حججهم قد أوضحنا رده وإبطاله فيما ذكرنا.

تنبيهات مهمة تتعلق بهذه المسألة:

التنبيه الأول

علمت أن المقلدين، اغتروا بقضيتين ظنواهما صادقين، وهما بعيدات من الصدق، وظن صدقهما يدخل أوليًا في عموم قوله تعالى: "الظن لا يغني من الّغيب شيءًا"، وقوله ﷺ: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث".

أما الأولى منهما فهي: ظنهم أن الإمام الذي قلدوه لا بد أن يكون قد اطلع على جميع معاني كتاب الله ولم يفته منها شيء، وعلى جميع سنة رسول الله ﷺ ولم يفته منها شيء.

ولذلك، فإن كل آية وكل حدث قد خالفه قوله فلا شك عندهم أن ذلك الإمام اطلع على تلك الآية وعلم معناؤها، وعلى ذلك الحديث وعلم معناها، وأنه ما ترك العمل بهما إلا لأنه اطلع على ما هو أقوى منها وأرجح.

ولذلك يجب تقديم ذلك الأرجح الذي تخيلوه على نص الوحي الموجود بين أيديهم.

وهذا الظن كتب باطل بلا شك.

والآمة كلهم معترفون بأنهم ما أحاطوا بجميع نصوص الوحي، كما سيأتي إيضاحا إن شاء الله.
ومن أصرح ذلك أن الإمام مالكاً رحمه الله، إمام دار الهجرة، المجمع على علمه وفضله وجلالته، لما أراد أبو جعفر المنصور أن يحمل الناس على العمل بما جمعه في موطئه لم يقبل ذلك من أبي جعفر ورد عليه، وأخبره أن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في أقطار الدنيا، كلهم عنده علم ليس عند الآخر.

ولم يجمع الحديث جمعًا تامًا بحيث أمكن جمع جميع السنة إلا بعد الأئمة الأربعة.

لأن أصحاب رسول الله ﷺ الذين تفرقوا في أقطار الدنيا، روي عنهم كثير من الأحاديث لم يكن عند غيرهم، ولم يتيسر الإطلاع عليه إلا بعد أزمان.

وكثيرًا علم العالم لا تستلزم اطلاعه على جميع النصوص.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو عجز عن أن يفهم معنى الكلالة حتى مات، رضي الله عنه، وقد سأل النبي ﷺ عنها كثيرًا، فبينها له ولم يفهم.

فقد ثبت عنه رضي الله عنه أنه قال: ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: "يكلف آية الصيف في آخر سورة النساء".

فهذا من أوضح البيان؛ لأن مراد النبي ﷺ بآية الصيف "يُبشرُونكُمُ اللَّهُ غَيْرهُمُ فِي الْكَلَّالَا"، والآية تبين معنى الكلالة بيانًا شافياً؛ لأنها أوضحت أنها: ما دون الولد والوالد.

فبينت نفي الولد بدلالة المطابقة في قوله تعالى: "إِنَّ أَمْرَ هَكِيْلٍ لَّيْسَ لَوَالدِّ"، وبينت نفي الولد بدلالة الالتزام في قوله تعالى: "وَلَهُ".
أَخَذَتَ لَهَا يَصِيفَ مَّا ثَكَّرَتْ، فَلَنَّ مِيرَاثٍ لَّا تَسْلَمْ نَفْيَ الْوَلِدَةُ.

وَمَعِ نِعْمَةِ الْبِنْوَى الْوَضَّاحِ لِهِذِهِ الآيَةِ الْكَرِيَّةِ، فَإِنَّ عُمرًا

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْسَ فَهْمِهِ.

وَقَدْ صَحَّ أنَّ الْكَلاَلَةَ لَمْ تَزَلْ مَشَكْلاً عَلَيْهِ.

وَقَدْ خَفَّى مَعْنِي هَذَا أَيْضاً عَلَى أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ فِي الْكَلاَلَةِ: أَقُولُ فِي هَذَا بِرَايِي، فَإِنَّ كَانَ صَوْابًا فَمَنْ اللَّهِ

وَإِنَّ كَانَ خَطاً فَمَنْ الْشَّيْطَانُ، هُوَ مَا دُونَ الْوَلِدَةِ الْوَالِدَةِ

فَوَافَقَ رَأْيِ مَعْنِي الآيَةِ، وَالْوَاصِفُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فَاهَمًا لِلآيَةِ لَكَفَتَهُ

عَنَّ الرَّأَيِّ، كَمَا قَالَ الْبِنْيَانِيُّ لِعُمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "تَكْفِيكُ آيَةُ

الشَّيْفٍ"، وَهُوَ تَصْرِيحٌ مِنَهُ بِأَنَّ فِي الآيَةِ كَفَاْيَةٌ عَنَّ كَلِّ مَا سَواهَا

فِي الْحَكَمِ الْمُسْلِمِ عَنْهُ.

وَمَمَّا يُوْضَحُ ذَلِكَ أَنَّ عُمْرٍ طَلَبَ مِنَ الْبِنْيَانِيِّ بِرَايِهِ الآيَةِ،

وَتَأَخِيرُ الْبِنْوَى عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ لَا يَجِزُّ فِي حَقِّهِ، فَمَا أَحَالُ عُمْرٌ

عَلَى الآيَةِ إِلَّا لَوْ أَنَّ فِي هَذَا مِنَ الْبِنْوَى مَا يَشْقَى وَيَكْفُي.

وَقَدْ خَفَّى عَلَى أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْطَى الْجَدَةِ الْسَّدِسٍ، حَتَّى أَخَوِهِ الْمَغْيِرِ بْنُ شُعْبَةِ وَمُحَمَّدٍ بْنُ مِسْلِمَةِ

أَنَّ الْبِنْيَانِيَّ أَعْطَاهَا الْسَّدِسُ، فَرَجَعَ إِلَى قُوْلِهِمَا.

وَلَمْ يَعْلَمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنَّهُ أَنَّ الْبِنْيَانِيَّ قَضَى فِي دِيَةِ الْجَنِينِ بَغْرَةٍ

عَبْدٌ أَوْ وَلِيْدٌ، حَتَّى أَخَوِهِ الْمَذَكُورُانُ قَبْلٌ.

وَلَمْ يَعْلَمْ عُمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنَّهُ بِرَايِهِ الآيَةِ تَرَثُ مِنْ دِيَةِ زُوجَهَاٍ،

حَتَّى أَخَوِهِ الْضَّحَالِكُ بْنُ سُفَيَانِ أَنَّ الْبِنْيَانِيَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: أَنْ يُوتِّرَ

أَمْرَةُ أَشْيَامِ الْبَضَابِيِّ مِنْ دِيَةِ زُوجَهَاٍ.
ولم يعلم أيضاً بأخذ الجزية من المجوس، حتى أخبره
536: عبد الرحمن بن عوف بأن النبي ﷺ أخذ الجزية من موسى هجر.
ولم يعلم بحكم الاستئذان ثلاثًا، حتى أخبره أبو موسى
الأشعري وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه.
ولم يعلم عثمان رضي الله عنه بوجوب السكنى للمتوفى عنها،
حتى أخبرته فريحة بنت مالك أن النبي ﷺ أظلمها بالسكنى في المحلة
الذي مات عنها زوجها فيه حتى تنقضي عدتها.
وأمثال هذا أكثر من أن تحصر.
فهؤلاء الخلفاء الراشدون وهم هم، خفي عليهم كثير من قضايا
رسول الله ﷺ وأحاديثه، مع ملازمتهم له، وشدة حرصهم على الأخذ
منه، فتعلموه ممن هو دونهم في الفضل والعلم.
فما ظنك بغيرهم من الأئمة الذين نشروا وتعلموا بعد تفرق
الصحاباء في أقطار الدنيا؟ وروى عنهم الأحاديث عدول من الأقطار
التي ذهبا إليها؟
والحاصل أن ظن إحاطة الإمام بجميع نصوص الشرع ومعانيها
ظن لا يغني من الحق شيئاً، وليس بصحيح قطعاً.
لأنه لا شك أنه فؤده بعض الأحاديث، فلم يطلع عليها،
وبروى بعض العدول عن الصحابة فيبت عند غيره.
وهو معدور في ترك العمل به، بعدم اطلاعه عليه مع أنه بذل
المجهود في البحث، ولذا كان له أجر الإجهاد والعذر في الخطأ.
وقد يكون الإمام أطلع على الحديث، ولكن السند الذي بلغه به
ضعيف في تركه لضعف السند.
ويكون غيره اطلع على رواية أخرى صحية يثبت بها الحديث، فهو معذور في تركه؛ لأنه لم يطلع إلا على السند الضعيف ولم تبلغه الطريق الصحيحة الأخرى.

وقد يترك الحديث لشيء يظن أنه أرجح منه، ويكون الواقع أن الحديث أرجح من ذلك الشيء الذي ظنه، لقيام أدلة أخرى على ذلك لم يطلع عليها.

إلى أسباب أخرى كثيرة لترك الأئمة للعمل ببعض النصوص.

وهذا كله تعلم أن ظن اطلاع الإمام على كل شيء من أحكام الشرع وإصابته في معانيها كلها ظن باطل.

وكل واحد من الأئمة يصرح ببطلان هذا الظن كما سترى إياضحاً إن شاء الله.

فاللازم هو ما قاله الأئمة أنفسهم رحمهم الله، من أنهم قد يخطئون، ونهوا عن اتباعهم في كل شيء يخالف نصاً من كتاب أو سنة.

فالمتتبع لهم حقيقة، هو من لا يقدم على كتاب الله وسنة رسوله شيئاً.

أما الذي يقدم أقوال الرجال على الكتاب وصحيح السنة، فهو مخالف لهم لا متبغ لهم، ودعواه اتباعهم كذب محض.

وأما القضية الثانية: فهي ظن المقلدين أن لهم مثل ما للإمام من العذر في الخطأ.

إياضحاً: أنهم يظنون أن الإمام لو أخطأ في بعض الأحكام وقلدهم في ذلك الخطأ يكون لهم من العذر في الخطأ والأجر مثل...
572

538 ما لذلك الإمام الذي قلدوه؟/ لأنهم متبعون له، فيجري عليهم ما جرى عليه.

وهذا ظن كاذب باطل بلا شك؛ لأن الإمام الذي قلدوه بذل جهده في تعلم كتاب الله وسنة رسوله وأقوال أصحابه وفتاويهم.

فقد شمر وما قصر فيما يلزم من تعلم الوحي والعمل به وطاعة الله على ضوء الوحي المنزل.

ومن كان هذا شأنه فهو جدير بالعذر في خطه والأجر في اجتهاده.

وأما مقلدوه، فقد تركوا النظر في كتاب الله وسنة رسوله، وأعرضوا عن تعلمهما إعراضاً كلياً مع بسره وسهوه، ونزلوا أقال الناس الذين يخطئون ويصيبون منزلة الوحي المنزل من الله.

فأين هؤلاء من الأئمة الذين قلدوه؟!

وهذا الفرق العظيم بينهم وبينهم، يدل دلالة واضحة على أنهم ليسوا مأجورين في الخطأ في تقليد أعمى؛ إذ لا اقتداء ولا أسوة في غير الحق.

وليسوا معذورين؛ لأنهم تركوا ما يلزمهم تعلمه من أمر الله ونهيه على ضوء وحي المنزل.

والذي يجب عليهم من تعلم ذلك، هو ما تدعوهم الحاجة للعمل به، كأحكام عبادتهم ومعاملاتهم، وأغلب ذلك تدل عليه نصوص واضحة، سهلة التناول من الكتاب والسنة.

والحاصل أن المعرض عن كتاب الله وسنة رسوله، المفرط في تعلم دينه، مما أنزل الله وما سنه رسوله، المقدم كلام الناس على
كتاب الله وسنة رسوله، لا يكون له البتة ما للإمام الذي لم يُعرض عن
كتاب الله وسنة رسوله، ولم يقدم عليهما شيئاً، ولم يفرط في تعلم
الأمر والنهي من الكتاب والسنة.
فأين هذا من هذا؟!
سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب
التنبيه الثاني
أعلم أن الأئمة الأربعة رحمهم الله، متفقون على منع تقليدهم
التقليد الأعمى الذي يتعصب له من يدعون أنهم أتباعهم.
ولو كانوا أتباعهم حقاً لما خالفوه في تقليديهم الذي منعوا منه
ونهوا عنه.
قال الإمام أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في جامعه:
أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: حدثنا
أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاضل المالكي، قال: حدثنا موسى بن
إسحاق، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا معن بن عيسى،
cال: سمعت مالك بن أسس يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب،
فانظروا في رأبي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم
يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. اهـ محل الغرض منه بلفظه.
فمالك رحمة الله مع علمه وجلالته وفضله، يعترف بالخطأ
وينهي عن القول بما خالف الوحي من رأيه.
فمن كان مالكيًا فليمشله قول مالك ولا يخالفه بلا مستند.
وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في جامعه أيضاً:
أخبرني أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي، حدثني أبي،
أضواء البيان

540 حدثنا محمد بن عمر/ بن لبابة قال: حدثنا مالك بن علي القرشي,
قال: أنبأنا عبد الله بن مسلمة القعنبي قال:
دخلت على مالك، فوجدته باكياً، فسلمت عليه، فرد علي ثم
سكت عنى يبكي، فقلت له:
يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟ فقال لي: يا ابن قنعب، إنا الله
على ما فرط مني، ليته جُلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الأمر
بسطوط، ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي، وهذه المسائل قد
كانت لي سعة فيما سبقت إليه. اهـ محل الغرض منه بلفظه.
ومن المعلوم بالضرورة أن مالكاً رحمه الله لا يسره ولا يرضيه
تقديم رأيه هذا الذي يسترجع ويبيكي ندمًا عليه، ويتنمّي لو ضرب
بالسياط ولم يكن صدر منه، على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
فليتق الله وليستحي من الله من يقدم مثل هذا الرأي على الكتاب
والسنة زاعماً أنه متبغ مالكاً في ذلك، وهو مخالف فيه لمالك،
ومخالف فيه ورسوله، ولاصحابه، ولكن من يعتد به من أهل
العلم.
وقال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين:
وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم وذموا من أخذ أقوالهم
بغير حجة.
فقال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة، كمثل حاطب
ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري. ذكره
البيهقي.
وقال إسماعيل بن عيسى المزني في أول مختصره: اختصرت
هذا من علم الشافعي، ومن معنى قوله: لأقربه على من أراده، مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره، لينظر فيه لديه، ويعتمد فيه لنفسه.

إلى أن قال:

وقال أحمد بن حنبل: لا تقلدوني، ولا تقلد مالكاً، ولا الثوري، ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا.

وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال.

وقال بشر بن الوليد: قال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا.

وقد صرح مالك بأن من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يستناد، فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون إبراهيم أو مثله. أهـ محل الغرض منه.

ومما لا شك فيه أن الأئمة الأربعة رحمهم الله نهوا عن تقليدهم في كل ما خالف كتاباً أو سنة، كما نقله عنهم أصحابهم.

كما هو مقرر في كتب الحنفية عن أبي حنيفة، وكتب الشافعية
عن الشافعي القائل: إذا صح الحديث فهو مذهب، وكتب المالكية، والحنابلة، عن مالك وأحمد رحمهم الله جميعاً.

وذلك كان غيرهم من أخبار العلماء يمنعون من تقليدهم فيما لم يوافق الكتاب والسنة، وقد يحذرونا منه ولا يرضون.

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في جامعه:

وذكر محمد بن حارث في أخبار سحنون بن سعيد عن
سحنون، فقال: كان مالك بن أنس وعبد العزيز بن أبي سلمة ومحمد بن إبراهيم بن دينار وغيرهم يختلفون إلى ابن هرمز، فكان إذا سأله مالك وعبد العزيز أجابهما، وإذا سأله محمد بن إبراهيم بن دينار وذروه لم يجبهما.

فقال له: يا ابن أختي يا مالك وعبد العزيز فتجيبهما، وسألوك أنا وذوي فلا تجيبنا؟

فقال: أوقع ذلك يا ابن أخي في قلبي؟

قال: نعم.

 فقال له: إن يد كبرت سني ورق عظمي، وأنا أخف أن يكون خالصني في عقلي مثل الذي خالصني في بدني، ومالك وعبد العزيز عالمان فقيهان، إذا سمعا مني حقاً قبلاه، وإذا سمعا خطأ تركاه، وأنتم وذرووك ما أجبتم به قبليهم.

قال محمد بن حارث: هذا والله هو الدين الكامل، والعقل الراجح، لا كمن يأتي بالهذيان، ويريد أن ينزل من القلوب منزلة القرآن. اهـ منه.

التنبيه الثالث

اعلم أن المقليين للأئمة هذا التقليد الأعمي قد دل كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع من يعتد به من أهل العلم، أنه لا يجوز لأحد منهم أن يقول: هذا حال ولهذا حرام.

لأن الحلال ما أحله الله على لسان رسوله في كتابه أو سنة رسوله، والحرام ما حرمه الله على لسان رسوله في كتابه أو سنة رسوله.
ولا يجوز السنة للمقلد أن يزيد على قوله: هذا الحكم قائله
الإمام الذي قلده أو أفتي به.

أما دلالة القرآن على منع ذلك، فقد قال تعالى: »قل أرأيتونا
أنزل الله / لكم من رزقكم فجعلتم لنفسكم حرامًا وجعلتم في
على الله تجوهم 543«، وقال تعالى: »ولأقولوا لمما تصرف ألسنكم
الكذب هده حلال وهده حرام إن تفسروا على الله الكذب فيديرون
على الله الكذب لا يقبلون 544«، وقال تعالى: »قل هؤلاء شهداؤكم ملائكة يشهدون
أن الله حرم هندا الأية.

ومعلوم أن العبارة بعوم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، كما
بيناه مراراً، وأوضحنا أدلةه من السنة الصحيحة.

ومهما يوضح هذا أن المقلد الذي يقول: هذا حلال وهذا حرام,
من غير علم بأن الله حرمه على لسان رسوله 545، يقول على الله بغير
علم قطعاً.

فهو داخل بلا شك في عموم قوله تعالى: »قل إنما حرم ربي
الموحص ما أظهروا وما بطن وآلهة وأبناء الهدى وفضل الصديق واعتراف
سالمتكم وآنتم تقولون على الله ما لا أعلمون«.

فدخله في قوله: »وآنتم تقولون على الله ما لا أعلمون« 546 كما ترى.

وهو داخل أيضاً في عموم قوله تعالى: »إنما يأمركم بالصواب
والمحصود وأن تقولوا على الله ما لا أعلمون«.

وأما السنة، فقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه:
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع بن الجراح، عن
سفيان، ح، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا يحيى بن آدم، حدثنا
سفيان قال: أملاه علينا إملاء، ح و حدثي عبد الله بن هاشم و اللقطه، حدثي عبد الرحمن يعني ابن مهدي، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرتعد، عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أو صاح به في خاصته بقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله» الحديث.

وفيه: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوا أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري، أنصبح حكم الله فيه أم لا».  

هذا لفظ مسلم في صحيحه.

وفي النهي الصريح من النبي ﷺ عن نسبة حكم إلى الله، حتى يعلم بأن هذا حكم الله الذي شرعه على لسان رسوله ﷺ.

ولأجل هذا كان أهل العلم لا يتجرؤون على القول بالتحريم والتحليل إلا بنص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ.

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في جامعه:

حدثنا عبد الواثب بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا ابن وضاح، قال: حدثنا يوسف بن عدي، قال: حدثنا عبيدة بن حمید، عن عطاء بن السائب قال: قال الربع بن خسيم: إذا كُنْ أَيَاكُمْ أَنْ يَقُولُوا الْرِجْلُ لِفُرْفُضَهُ فِي شَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ حَرِيمُ هَذَا أَوْ نَهَى عَنْهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذِبْتَ، لَمْ أُحْرِمْهُ وَلَمْ أُنْهَى عَنْهُ.

قال: أو يقول: إن الله أحل هذا وأمر به، يقول: كذبت، لم أحله ولم أمر به.
وذكر ابن وهب وعثيق بن يعقوب أنهما سمعا مالك بن أنس يقول: لم يكن من أمر الناس ولا من مرض من سلفنا ولا أدركت أحداً أقتدي به يقول في شيء: هذا حلال وهذا حرام.

ما كانوا يجترؤون على ذلك، وإنما كانوا يقولون: نكره هذا، ۵۴۵

ونرى هذا حسنًا، وننقي هذا، ولا نرى هذا.

وزاد عثيق بن يعقوب: ولا يقولون حلال ولا حرام.

أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿قال أرأيت ما أنزل الله لكم من حلال؟﴾ ﴿وذهب فجعل معتها حلالاً وحلالاً ما أدركت لكم أن تغُننو﴾،

الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله.

قال أبو عمر: معنى قول مالك هذا: أن ما أخذ من العلم رأياً واستحساناً لم يقل فيه حلال ولا حرام، والله أعلم. أهـ محل الغرض منه.

وقال أبو عبد الله الفرطبي رحمه الله في تفسيره، في الكلام على قوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لما أصنف الذين كربكم ﴿الكَرِيبُ هَذَا حَلِيلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ الآية: ما نصه:

أسند الدارمي أبو محمد في مسنده: أخبرنا هارون، عن

حفص، عن الأعمش قال: ما سمعت إبراهيم قط يقول: حلال، ولا حرام، ولكن كان يقول: كانوا يكرهون وكانوا يستحبون.

وقال ابن وهب: قال مالك: لم يكن من فتى الناس أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام. ولكن يقولون: إياكم وكذا وكذا، ولم أكن لأصنع هذا.

ومعنى هذا أن التحليل والتحريم إنما هو الله عز وجل، وليس
لا أحد أن يقول أو يصرح بهذا في عين من الأعيان، إلا أن يكون الباريء تعالى مخبراً بذلك عنه.
وما يؤدي إليه الاجتهاد في أنه حرام يقول: إني أكره كذا.
وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من أهل الفتوى. وله محل الغرض منه.
وإذا كان مالك وإبراهيم النجحي وغيرهما من أكابر أهل العلم لا يتجزأون أن يقولوا في شيء من مسائل الاجتهاد والرأي: هذا للإمام أو حرام. فما ظنك بغيرهم من المرسلين الذين لم يستضروا بشيء من نور الوجه؟
فتجزأهم على التحريم والتحليل بلا مستند من الكتاب، إنما شأ لهم من الجهل بكتاب الله وسنة رسوله وآثارات السنن الصالح.
وآية يونس المتقدمة صريحة فيما ذكرنا صراحة تغني عن كل لما سواه؛ لأنه تعالى لما قال: فجعله عز وجل حكماً وحكماءً، أتبع ذلك بقوله: فقل إن الله أدبر لكم أجرًا من عزه وثراءً، ولم يجعل واسطة بين إذنه في ذلك وبين الافترا عليه.
فمن كان عنده إذن من الله بتحريم هذا أو تحليله فليعتمد على إذن الله في ذلك.
ومن لم يكن عنده إذن من الله في ذلك فليحذر من الافترا.
وعلم أن العبرة بعموم لفظ الآية لا بخصوص بسبيها، فالذين يقولون من الجهلة المقلدين: هذا للإمام أو هذا حرام، وهذا حكم الله، أظهراً منهم أن أقوال الإمام الذي قلدوه تقوم مقام الكتاب والسنة وتغني.
اعةمًا، وأن ترك الكتاب والسنة والتقليد بأقوال من قلدوه أسلم
لدينهم، أعمتهم ظلمات الجهل المتراكمة عن الحقائق، حتى صاروا
يقولون هذا.
فهم كما ترى، مع أن الإمام الذي قلدوه ما كان يتجرأ على مثل
الذين تجرؤوا عليه؛ لأن علمه يمنعه من ذلك.
وإله جل وعلا يقول: «قل كلٌّ يشتّوي من أหلي يعلمون وليَّ الذين لا يعلمون إنّمَا
يذكر أولوّنا الربِّين».

التنبيه الرابع

اعلم أن مما لا بد منه معرفة الفرق بين الاتباع والتقليد، وأن
محل الاتباع لا يجوز التقليد فيه بحال.

وايضاح ذلك: أن كل حكم ظهر دليله من كتاب الله، أو سنة
رسوله ﷺ، أو إجماع المسلمين، لا يجوز فيه التقليد بحال.
لأن كل اجتهاد يخالف النص، فهو اجتهاد باطل، ولا تقليد إلا
في محل الاجتهاد.

لأن نصوص الكتاب والسنة، حاكمة على كل المجتهدين،
فليس لأحد منهم مخالفته كائناً من كان.
ولا يجوز التقليد فيما خالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً، إذ
لا أسوة في غير الحق.
فليس فيما دلت عليه النصوص إلا الاتباع فقط، ولا اجتهاد ولا
تقليد فيما دل عليه نص، من كتاب أو سنة، سالم من المعارض.
والفرق بين التقليد والاتباع أمر معروف عند أهل العلم،
لا يكاد ينافز في صحة معناه أحد من أهل العلم.
وقد قدمنا كلام ابن خويز منداد الذي نقله عنه ابن عبد البر في جامعه.

وهو قوله: التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، والابتعاد ما ثبت عليه حجة.

وقال في موضع آخر من كتابه:
كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنثت مقلده، والتقليد في دين الله غير صحيح.

وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنثت متبوعه، والابتعاد في الدين مسوب والتقليد ممنوع. اهده.

وقال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين:

وقد فرق الإمام أحمد رحمه الله بين التقليد والابتعاد.

قال أبو داود:
سمعته يقول: الابتعاد أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مخير. انتهى محل الغرض منه.

قال مقيده عنا الله عنه وغفر له: أما كون العمل بالوحي اتباعاً لا تقليداً فهو أمر قطعي.

والآيات الدالة على تسميته اتباعاً كثيرة جداً: كقوله تعالى: {أنبئوا أن نزل إليكم مين ريبكم ولا إلتقوا من دونه أولايةً قيللاً ما تذكرون}. 

وقوله تعالى: {وأنبئوا أنómmin ما ننزل إليكم مين ريبكم} الآية.
وقوله تعالى: ﴿فَلَيْنِمَا أَوْحَيَ إِلَيْكَ مِنَ الْمُبَارَكِ ۚ إِنَّنَا نَستَفْعَلُكَ إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ إِلََّا هُوَ الْإِخْتِبَارُۢ﴾.

وقوله: ﴿فَلَيْنِمَا يَكُونُ إِلَّا أَنْ أَبَدَّلَكَ مِنْ نِعْمَتِنَا نَقْصَيْنِ إِنَّ أَنْبِعُ إِلَّا مَا يُحَيَّى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إِلَّا ۚ إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَى إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَضُرُّ إِلَّا إِنَّهُۥ كَانَ يَحْيَى إحْيَيْ رَحْمَةً وَرَحْمَةً لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾.

ومن المعلوم الذي لا شك فيه، أن اتباع الرفيق المأمور به في الآيات لا يصح اجتهاد يخالفه بوجه من الوجه، ولا يجوز التقليد في شيء يخالفه.

فالتضح من هذا الفرق بين الابتداع والتقليل، وأن مواضع الابداع ليست محلًا أصلاً للاجتهاد ولا للتقليل.

فنصوص الرفيق الصحيحة، الواضحة الدلالة السالمة من المعارض، لا اجتهاد ولا تقليد معها البينة.

لأن اتباعها والإذعان لها فرض على كل أحد كائناً من كان كما لا يخفى.
ويهذا تعلم أن شروط المجتهد التي يشترطها الأصوليون إنما تشترط في الاجتهاد.
وموضع الاتباع ليس محل اجتهاد.
فجعل شروط المجتهد في المتبعة، مع تباین الاجتهاد والاتباع
وتباين مواضعهما، خلط وخبط، كما ترى.
والتحقيق أن اتباع الوجي لا يشترط فيه إلا علمه بما يعمل به
من ذلك الوجي الذي يتبعه.
وأ وأنه يصح علم حديث والعمل به، وعلم آية والعمل بها، ولا
يتوقف ذلك على تحصيل جميع شروط الاجتهاد.
فيلزم المكلف أن يتعلم ما يحتاج إليه من الكتب والسنة،
ويعمل بكل ما علم من ذلك، كما كان عليه أول هذه الأمة، من
القرآن المشهود لها بالخير.

التربیة الخامس

اعلم أنه لا يخفى علينا أن المقلدين التقليد الأعمى المذكور،
يقولون: هذا الذي تدعونا إليه وتأمورونا به من العمل بالكتاب
والسنة، وتقديمهما على آراء الرجال، من التكلف بما لا يطاق؛ لأننا
لا قدرة لنا على معرفة الكتاب والسنة حتى نعمل بهما، ولا يمكننا
معرفة شيء من الشرع إلا عن طريق الإمام الذي نقلده؛ لأننا لم نتعلم
نحن ولا أباونا شيئاً غير ذلك.

فإذا لم نقلد إماما بقينا في حيرة، لا نعلم شيئاً من أحكام
عبادتنا ولا معاملاتنا، وتعطلت بيننا الأحكام، إذ لا نعرف قضاء
ولا فتوى ولا غير ذلك من الأحكام إلا عن طريق مذهب إمامنا؛ لأن أحكامه مدونة عندنا، وهي التي نتعلمها ونتدارسها دون غيرها من الكتاب أو السنة وأقوال الصحابة ومذاهب الأئمة الآخرين.

ونحن نقول: والله لقد ضيعتم واسعاً، وادعِتم العجز وعدم القدرة في أمر سهل.

ولا شك أن الأحوال الراهنة للمقلدين التقليدين الأعمى للمذاهب المدونة، تقتضي صعوبة شديدة جداً في طريق التحول من التقليد الأعمى إلى الاستضافة بنور الوعي.

وذلك إنما نشأ من شدة التفريط في تعلم الكتاب والسنة، والإعراض عنهما إعراضاً كلياً يتوارثه الأبناء عن الآباء عن الأجداد.

فاللائاء المستحكم من مئات السنين لا بد لعلاجه من زمن طويل.

ونحن لا نقول: إن الجاهل بالكتاب والسنة يعمل بهما باجتهاده، بل نعوذ بالله من أن نقول ذلك.

ولكننا نقول: إن الكتاب والسنة يجب تعلمهم، ولا يجوز الإعراض عنهما، وأن كل ما علمه المكلف منهما علمًا صحيحاً ناشتاً عن تعلم صحيح وجب عليه العمل به.

فالليلة العظمى إنما نشأت من توارث الإعراض عنهما إعراضاً كلياً اكتفاء التراها بغيرهما.

وهذا من أعظم المنكر وأشنع الباطل.

فالذي ندعو إليه هو المبادرة بالرجوع إليهما بتعلمهما أولًا، ثم العمل بهما، والتوية إلى الله من الإعراض عنهما.
ودعوّ أن تعلّمهم غير مقدّر عليه، لا يشكّ في بطلانها عاقل، ونعيّد أنفسنا وإخواننا بالله أن يدعو على أنفسهم أن على قلوبهم أكثّر، وفي آذانهم وقرأ يمنعهم من فهم كتاب الله؛ لأن ذلك قول الكفار لا قول المسلمين، قال الله تعالى: "حكم، ترزق بنّا أجل الدين، كتب تصلت، آيتنا عريباً لقوم يعلمون، نصير، وندير، فأعرض أسّكراهن، فهم لا يسمعون، وقالوا قلّنا في أحكامك مما ندعو، إنك إله ويدرك، أركانك وفر، ومن بنيا وبيتاك حجاب، فأعمل إننا عيمليون".

فاحذر يا أخي، وارحم نفسك أن تقول مثل قول هؤلاء الكفراء، وأنت تسمع ربك يقول: "ولقد تزمنّا القرآن للذكر، فهل من متّكرّ، وتقول: "فإنّما يستنّته، يلبسون، لعلهم يفحن، Они، ويقول: "كتب أرأسته، إلّا أدرك يدّري، أركانك، وأدرك أوروا الألبنت".

فلا تخرج نفسك من عموم أولي الألبان الذين هم أصحاب العقول؛ لأنك إن فعلت ذلك اعتُرفت على نفسك أنك لست من جملة العقلاء.

وعلى كل حال فلا يخلو المقلدون، التقليد الأعمى، من أحد أمرين:

أحدهما: ألا يلتفّوا إلى نصح ناصح، بل يستمرون على تقليدهم الأعمى، والإعراض عن نور الوحي عمداً، وتقديم رأي الرجال عليه.

وهذا القسم منهم لا نعلم له عدراً في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا في قول أحد من الصحابة، ولا أحد من القرön المشهود لهم بالخير.
لأن حقيقة ما هم عليه، هو الإعرض عما أنزل الله عمداً، مع
سهولة تعلم القدر المحتاج إليه منه، والاستغناء عنه بأقوال الأئمة.
ومن كان هذا شأنه وهو تام العقل والفهم قادر على التعلم فعدم
عذره كما ترى.

الأمر الثاني: هو أن يندم المقلدون على ما كانوا عليه من
التفرط في تعلم الوحي، والإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،
ويبادروا إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، ويشرعوا في ذلك بجد،
تابعين مما كانوا عليه من التفرط قبل ذلك، وهذا القسم على هدى
من الله، وهو الذي ندعو إخواننا إليه.

التبيان السادس

لا خلاف بين أهل العلم، في أن الضرورة لها أحوال خاصة.
تستوجب أحكاماً غير أحكام الاختيار.
فكل مسلم ألجأته الضرورة إلى شيء إلقاء صحيحاً حققياً،
فهو في سعة من أمره فيه.

وقد استثنى الله جل وعلا حالة الاضطرار في خمس آيات من
كتابه، ذكر فيها المحرمات الأربع التي هي من أغاظ المحرمات
تحريماً، وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلٌ لغير الله به.
فقد المستنى لله تعالى كلهما ذكر تحريمهما استثنى منها حالة الضرورة،
فأخبرها من حكم التحريم.

قال تعالى في سورة الأ佘ام: "فَلَمَّا أَجَدْنَا فِي مَا أُوحِيَ إِلَى عِنْدِ أُوْلَادِهِنَّ".

طَلَّعُ الْيَطِيعُهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيْسَةٌ أَوْ دَمَّةٌ فَسَفُوحًا أَوْ لَحْمٌ خَيْنُزِيرٌ فَإِنَّهُ رَجُلٌ.
أو فتقًا أهلٌ يغني الله يدٌ ف ори أضطر عبر سباع ولا عوار فإن ربكم عفوٌ.

رِجْعَهُ.

و قال في الأنعام أيضا: "و ما لكم ألا تأكلوا ما ذكر أسرار الله على وقنتكم فما أضحورتم عليه إلا ما أضطرتم إليه".

وقال تعالى في النحل: "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمِسْحَةَ وَالْأَدْمَ وَلْحَمَ الْجِنَّ وَمَا أُحِلَّ لِيْ غَيْرَ اللَّهِ فَمِن أضطر عبر سباع ولا عوار فإن أسرار الله عفوٌ.

رِجْعَهُ.

وقال تعالى في البقرة: "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمِسْحَةَ وَالْأَدْمَ وَلْحَمَ الْجِنَّ وَمَا أُحِلَّ لِيْ غَيْرَ اللَّهِ فَمِن أضطر عبر سباع ولا عوار فإن أسرار الله عفوٌ.

رِجْعَهُ.

وقال تعالى في المائدة: "جَعَلْتُ عَلَيْكُمْ الْمِسْحَةَ وَالْأَدْمَ وَلْحَمَ الْجِنَّ وَمَا أُحِلَّ لِيْ غَيْرَ اللَّهِ إِلَّا ما أضطر عبر سباع ولا عوار فإن أسرار الله عفوٌ.

رِجْعَهُ.

وبهذا تعلم أن المضطر للتقليد الأعمى اضطراراً حقيقياً، بحيث يكون لا قدرة له البته على غيره، مع عدم التفريع، لكونه لا قدرة له أصلاً على الفهم، أو له قدرة على الفهم وقد عاقته عواقب قاهرة عن التعلم، أو هو في أثناء التعلم ولكنه يتعلم تدريجاً؛ لأنه لا يقدر على تعلم كل ما يحتاجه في وقت واحد، أو لم يجد كفؤاً يتعلم منه، ونحو ذلك؛ فهو معذور في التقليد المذكور، للضرورة؛ لأنه لا مندوحة له عنه.

أما القادر على التعليم المفرط فيه، والمقيد آراء الرجال على ما علم من الوحي، فهذا الذي ليس بمعذور.
التنيه السابع

اعلم أن موقفنا من الأئمة رحمهم الله، من الأربعة وغيرهم،
هو موقف سائر المسلمين المنصفين منهم.

وهو موالاتهم، ومحبهم، وتعظيمهم، وإجلالهم، والثناء
عليهم، بما هم عليه من العلم والتقوى، واتباعهم في العمل بالكتاب
والسنة وتقديمهما على رأيهم، وتعليم أقوالهم للاستعانة بها على
الحق، وترك ما خالف الكتاب والسنة منها.

وأما المسائل التي لا نص فيها فالصواب النظر في اجتهادهم
فيها.

وقد يكون اتباع اجتهادهم أصوب من اجتهادنا لأنفسنا؛ لأنهم
أكثر علمًا وثقةً منا.

ولكن علينا أن ننظر ونحتاط لأنفسنا في أقرب الأقوال إلى
رضي الله وأحورها وأبدها من الاشتباه، كما قال ﷺ: "دع ما يريب
إلى ما لا يريب"، وقال: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لديه
وعرضه".

وحقيقة القول الفصل في الأئمة رحمهم الله أنهم من خيار
علماء المسلمين، وأنهم ليسوا معصومين من الخطأ، فكل ما أصابوا
 فيه فلهم فيه أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وما أخطأوا فيه فهم
أجورين فيه باجتهادهم، معذورون في خطئهم، فهم مأجرون على
كل حال، لا يلحقهم ذم ولا عيب ولا نقص في ذلك.

ولكن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ حاكمان عليهم وعلى أقوالهم
556
كما لا يخفى.
لا تغل في شيء من الأمور ما استند إلى قصد الأمورة ذميم
فلا تك ممن يذمهم وينقصهم، ولا ممن يعتقد أقوالهم مغنية
عن كتاب الله وسنة رسوله أو مقدمة عليهما.

التبنيه الثامن

أعلَم أن كلاً من الأئمة أخذت عليه مسائل، قال بعض العلماء:

إنه خالف فيها السنة.

وسندكر طرفاً من ذلك هنا إن شاء الله.

أما الإمام أبو حنيفة رحمه الله فهو أكثر الأئمة في ذلك؛ لأنه
أكثرهم رأياً.

والكثير المسائل التي حصل فيها القيل والقال من ذلك لا نحتاج
إلى بسط تفصيلها.

وبعض المسائل التي قيل فيها ذلك يظهر أنه لم تبلغه السنة
فيها، وبعضها قد بلغته السنة فيها، ولكنه تركها لشيء آخر ظنه أرجح
منها، كتركه العمل بحديث القضاء بالشاهد واليمين في الأموال،
وحديث "تغريبه الزاني البكر"؛ لأنه ترك العمل بذلك ونحوه احتراماً
للنصوص القرآنية في ظنه.

لأنه يعتقد أن الزيدة على النص نسخ، وأن القضاء بالشاهد
واليمين نسخ / لقوله تعالى: {وَأَسْتَهْدَوْا أَشْهَادَيْنَ يَكُونُانَ يَكُونُانَ بَالَاتِينَ مَنْ رَأَيْنَ مِنْ اِلْشَهَادَاتِ}.

فاحترم النص القرآني المنتوات، فلم يرض نسخه بخبر آحاد
سنده دون سنده؛ لأن نسخ المنتوات بالآحاد عنه، رفع للآقوى
بالأقوى، وذلك لا يصح.
وكذلك حديث تغريب الزاني البكر، فهو عنده زيادة ناسخة.
الفعلة تعالى: "أُزِيِّرْتُ أباهُ وَقَضَيْتُ فَإِذَا أُدْنِيْتُمَا فَمَنَّ أَيْتَاهَا جَلَّ ذَٰلِكَ، والمتوتر لا ينسخ بالآحاد.

فتركه العمل بهذا النوع من الأحاديث بناء على مقدمتين:

إحداهما: أن الزيدة على النص نسخ.
والثانية: أن المتوتر لا ينسخ بالآحاد.

والفقه في المقدمة الأولى جمهور العلماء.
ووافقه في الثانية.

والذي يظهر لنا وتعتده اعتقاداً جازماً أن كليتا المقدمتين ليست بصحة.

أما الزيدة فيجب فيها التفصيل، فإن كانت أثبتت حكما نفاه النص أو نفت حكماً أثبتته النص فهي نسخ.

إذ إن كانت لم تتعرض للنص بناء ولا إثبات، بل زادت شيئاً سكت عنه النص، فلا يمكن أن تكون نسخاً لأنها إنما رفعت الإباحة العقلية التي هي البراءة الأصلية، ورفعها ليس نسخاً إجماعاً.

وأما نسخ المتوتر بالآحاد، فالتحقيق الذي لا شك فيه أنه لا منع منه ولا تحذر فيه، ولا وجه لمنعه البينة، وإن خالف في ذلك جمهور أهل الأصول.

لأن أخبار الأحاداث الصحيحة ثابتة تأخرها عن المتوتر لا وجه لردها، ولا تعارض البينة بينها وبين المتوتر، إذ لا تناقض بين خبرين اختلف زمنهما، لجواز صدق كل منهما في وقته.
فَلَو أَخَبِرْكَ مِثْلًا عَدْدَ يُسْتَحِيل تَوَاطُهُمْ عَلَى الْكِذْبِ، بَيْنَ أَخَاكِ الغَائِبِ لَمْ يَزُل غَائِبًا وَلَمْ يَأْتِ مَنْزِلهُ؛ لَا نَهُمْ كَانُوا بِمَنْزِلِهِ وَلِيسَ بِمَوْجُودٍ، ثُمَّ أَخَبِرْكَ بَعْدَ ذَلِكَ رِجْلٌ واحِدٌ بَيْنَ أَخَاكِ مُوْجُودٌ فِي مَنْزِلِهِ الآنَ. فَهَلْ يَسُوَّغَ لَكَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: كَذَّبْتُ؛ لَا يَأْتِي أَخِي أَخْرِي عَدْدٌ كِثِيرٌ قَبْلَكَ أَنْ لَمْ يَأْتَ؟

وَلَوْ قُلْتَ لَهُ ذَلِكَ، لَقَالَ لَكَ: هُمْ فِي وَقْتِ إِخْبَارِهِمْ لَكَ صَادِقُونَ، وَلَكَنْ أَخَأَكِ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ. فَالِمْتَوَارِي فِي وَقْتِ نُزُولِهِ صَادِقُ، وَخَبَرُ الْأَحَدِ الْوَارِدُ بَعْدَهُ صَادِقٌ أَيْضًا؛ لَا نَقُولۡ مَا تَجَدَّدُ شَيْءٌ لَمْ يَكْنِ.

فَحَصَّرُ الْمُحْرَمَاتِ مِثْلًا فِي الْأَرِبِّ الْمَذِكُورَةِ فِي قَوْلهِ فِي كِتَابِ الْأَرِبِّ: "قَلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْجَحَ إِلَّا مُحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطُعُّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْسَنًا" الآية، صَادِقٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَا يَجْدُ مَحْرَمٌ عَلَى طَاعِمٍ يَطُعُّهُ إِلَّا تَلَكُّ الْمُحْرَمَاتِ الْأَرِبِ.

فَلَا تَحْرِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْحَمْرُ الْأَهْلِيَّةِ وَلَا ذَوِ النَّابٍ مِنْ السَّبَعِ وَلَا الْخَمْرِ وَلَا غِيرُ ذَلِكَ.

فَإِذَا جَاءَ بَعْدُ خَبَرُ أَخَادٍ صَحِيحٍ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ حَرْمٌ لِحَوْمِ الْحَمْرِ الأَهْلِيَّةِ بِخَيْرٍ، فَهَلْ يَسُوَّغَ لِقَأِلٍ أَنْ يَقُولُ: هَذَا الْخَبَرُ الصَّحِيحُ مَرْدُودٌ؛ لَا نَقُولُ حَصُرُ الْمُحْرَمَاتِ فِي الْأَرِبِّ الْمَذِكُورَةِ فِي آيَةٍ: "قَلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْجَحَ إِلَّا مُحْرَمًا" الآيَة؟

وَلَوْ قَالَ ذَلِكَ لِقَيْلٍ لِهِ:

هَذَا الْخَبَرُ الصَّحِيحِ لَا تَنَاقِضُهُ الآيَةَ؛ لَا نَقُولُ حَكَمًا جَدِيدًا `

طَارِئًا لَمْ يَكْنِ مَشْرُوعًا مِنْ قَبْلِ، وَأَحْكَامُ الشِّرْعَةِ تَتَجْدِدُ شَيْئًا فَشَيْئًا.
والآية لم تدل على استمرار الحصر المذكور فيها، فتبين أن
 زيادة حكم طاريء لا تنافق بينها وبين ما كان قبلها.

وإيضاح هذا أن نسخ المتوتر بالآحاد إنما رفع استمرار حكم
 المتوتر، ودلالة المتوتر على استمرار حكمه ليست قطعية حتى يمنع
 نسخها بأخبار الآحاد الصحيحة.

وقد قدمنا إيضاح هذا في سورة الألعاب.

وقسنا مطلق المثال لما يقول: إن الإمام أبا حنيفة رحمه الله
 خالف فيه السنة برأيه، وعرضنا أن نبين أنه رحمه الله لم يخالف شيئاً
 من ذلك، إلا لشيء اعتقده مسوغاً لذلك، وأنه لا يترك السنة إلا
 لشيء يراه مستوجباً لذلك شرعاً.

ومما يبين ذلك أنه كان يقدم ضعيف الحديث على الرأي.

قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين ما نصه:

وأصحاب أبي حنيفة رحمه الله مجمعون على أن مذهب
 أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنه أولى من القياس والرأي، وعلى
 ذلك بني مذهبه.

كما قدم الحديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأي.

وقد حديث الوضوء بنبذ النمر في السفر مع ضعفه على الرأي
 والقياس.

ومنع قطع يد السارق لسرقة أقل من عشرة دراهم، والحديث
 فيه ضعيف.

وجعل أكثر الحيض عشرة أيام، والحديث فيه ضعيف.
وشرط في إقامة الجمعة المصري، والحديث فيه كذلك.
وترك القياس المحسن في مسائل الآبار لآثار فيها غير مرفوعة.
فتقدم الحديث الضعيف وآثار الصحابة قوله، وقال الإمام أحمد.

وليس المراد بالحديث الضعيف في اصطلاح السلف هو الضعيف في اصطلاح المتأخرین، بل ما يسميه المتأخرین حسناً قد يسميه المتقدمون ضعيفاً. اهْ مَجَّاهَلَ الغَرْضَ مِنْهُ.

ومن أمثلة ما ذكر أن أبا حنيفة رحمه الله خالف فيها السنة:
لزوم الطمأنينة في الصلاة، وتعين تكبير الإحرام في الدخول فيها، والسلام للخروج منها، وقراءة الفاتحة فيها، والنية في الوضوء والغسل، إلى غير ذلك من مسائل كثيرة.

ولا يتسع المقام هنا لذكر ما استدل به أبو حنيفة لذلك، ومناقشة الأدلة. بل المقصود بيان أن الأئمة لا يخلو أحد منهم من أن يؤخذ عليه شيء خالف فيه سنة، وأنهم لم يخلفوه إلا لشيء سوغ لهم ذلك.

/ وعند المناقشة الدقيقة قد يظهر أن الحق قد يكون معهم، وقد يكون الأمر بخلاف ذلك.

وعلى كل حال فهم مؤجرون ومعدرون كما تقدم إيضاحه.
وقد أخذ بعض العلماء على مالك رحمة الله أشياء، قال: إنه خالف فيها السنة.

قال أبو عمر بن البر رحمة الله في جامعه: وقد ذكر يحيى بن سلام قال: سمعت عبد الله بن غانم في مجلس إبراهيم بن الأغلب
يحدث عن الليث بن سعد أنه قال: أحصيت على مالك بن أس سبعين مسألة كلها مخالفات لسنة النبي ﷺ، لما قال مالك فيها برأيه، قال: ولقد كتب إلي ففي ذلك. انتهى محل الغرض منه. ومعلوم أن مثل كلام الليث هذا عن مالك لا أثر له؛ لأنه لم يعين المسائل المذكورة ولا أدالتها.
فيجوز أن يكون الصواب فيها مع مالك، لأدلة خفية على الليث، وليس خفاءها على مالك بأولى من خفائها على الليث.
ولا شك أن مذهب مالك المدون، فيه فروع تناقض بعض نصوص الوجي، والباهز أن بعضها لم يبلغه رحمه الله، ولو بلغه لعمل به، وأن بعضها بلغه وترك العمل به لشيء آخر يعتقده دليلًا أقوى منه.
ومن أمثلة ما لم يبلغه النص فيه: صيام ست من شوال بعد صوم رمضان.
قال رحمه الله في الموطأ ما نصه: إنني لأحداً من أهل العلم والفقه يصومها، ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف، وأن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بذاته، وأن يحق برمضان ما ليس منه أهل الجهلة والجهلاء، لو رأوا في ذلك رخصة عند أهل العلم والرجال يعملون ذلك. اهـ مني بلفظه.
وفيه تصريح مالك رحمه الله بأنه لم يبلغه صيام ستة من شوال 562 عن أحد من السلف، وهو صريح في أنه لم يبلغه عن النبي ﷺ.
ولا شك أنه لو بلغه الرغبة فيه عن النبي ﷺ لكان يصومها وتأمر بصومها، فضلًا عن أن يقول بكراهتها.
فهو لا يشكي أن النبي ﷺ أرأف وأرحم بالأمة منه، لأن الله وصفه في القرآن بأنه رؤوف رحيم.
فلو كان صوم السنة يلزم المذكور الذي كرهها مالك من أجله، لما رغب فيها النبي ﷺ، وراعى المذكور الذي راعاه مالك.
ولكنه ألغى المذكور المذكور وأهده، لعلمه بأن شهر رمضان أشهر من أن يلبس شيء من شوال.
كما أن النوافل المرغب فيها قبل الصلوات المكتوبة وبعدها لم يكرهها أحد من أهل العلم خشية أن يلحقها الجهلة بالمكتوبات؛ لشهرة المكتوبات الخمس وعدم الانتباهها بها.
وعلى كل حال، فإنه ليس لإمام من الأئمة أن يقول: هذا الأمر الذي شره رسول الله ﷺ مكروه، لخشية أن يظهجه الجهال من جنس الواجب.
وصيام السنة المذكورة، وترغيب النبي ﷺ فيه ثابت عنه.
قال مسلم بن الحجاج رحمه الله في صحيحه: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر جمعاً، عن إسماعيل، قال ابن أيوب: حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخيه سنيد بن سعيد بن الأنصاري رضي الله عنه أنه حدثه أن رسول الله ﷺ قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستة من شوال كان كصيام الدهر". انتهى منه بلفظه.
وفي التصريح من النبي ﷺ بالترغيب في صوم السنة المذكورة، فالقول بكرهتها من غير مستند من أدلة الوحي خشية
الإحاطة الجهالة لها برضوان، لا يليق بجلالة مالك وعلمه وورعه،
لكن الحديث لم يبلغه، كما هو صريح كلامه نفسه رحمه الله في
 قوله: لم يبلغني ذلك عن أحد من السلف. ولو بلغه الحديث لعمل
 به؛ لأنه رحمه الله من أكثر الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ، وأحرصهم
 على العمل بسنته.

والحديث المذكور رواه أحمد وأصحاب السن إلا النسائي,
وصوم السنة المذكورة رواه أيضاً عن النبي ﷺ جماعة من أصحابه،
منهم ثوبان وجابر وابن عباس وأبو هريرة والبراء بن عازب، كما بينه
صاحب نيل الأطرار.

وعلى كل حال، فالحدث صحيح، ويكفي في ذلك إسناد
مسلم المذكور، ولا عبرة بكلام من تكلم في سعد بن سعيد، لتوثيق
بعض أهل العلم له واعتماد مسلم عليه في صحيحه.

ومن أمثلة ما لم تبلغ مالكاً رحمه الله فيه السنة عن
رسول الله ﷺ: إفراد صوم يوم الجمعة، فقد قال رحمه الله في الموطأ
ما نصه: لم أسمع أحداً من أهل العلم وافقه، ومن يقتدي به، ينهى
عن صيام يوم الجمعة، وصيامه حسن، وقد رأيت بعض أهل العلم
يصومه، وأراها كان يتحراء. انتهى منه بلفظه.

وفي تصريحه رحمه الله بأنه لم يسمع أحداً من أهل العلم ينهى
عن صوم الجمعة، وأن ذلك حسن عنده، وأنه رأى بعض أهل العلم
يتحرى يوم الجمعة ليصومه.

وهذا تصريح منه رحمه الله بأنه لم يبلغه نهي النبي ﷺ عن
صوم يوم الجمعة وحده، وأمره من صامه أن يصوم معه يوماً غيره،
وإلا أفتر إن ابتدأ صيامه ناوباً إفراده.
ولو بلغته السنة في ذلك عن رسول الله ﷺ لعمل بها وترك العمل بغيرها؛ لأن النهي عن صوم يوم الجمعة وحده ثابت عن رسول الله ﷺ.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه:

حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة، عن محمد بن عباد، قال: سألت جابرًا رضي الله عنه، أنهى النبي ﷺ عن صوم الجمعة؟ قال: نعم.

زاد غير أبي عاصم: يعني أن ينفرد بصومه.

حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صوم من أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده».


وقال مسلم بن الحاجج رحمه الله في صحيحه:

حدثنا عمرو الناقد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الحميد بن جبير، عن محمد بن عباد بن جعفر: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عن
عنهم وهو يطرف بالبيت: أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟
قال: نعم، ورب هذا البيت.
وكل مسلم أيضاً: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص
وأبو معاوية، عن الأعمش (ح) وحدثنا يحيى بن يحيى واللفظ له،
أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يصوم أحدكم يوم الجمعة
إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده".
ووفي لفظ في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: أن
النبي ﷺ قال: "لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليلالي،
ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم
يصومه أحدكم"، هذا لفظ مسلم في صحيحه.
ولا شك أن هذه الأحاديث لو بلغت مالكاً ما خالفها، فهو
معذور في كونها لم تبلغه.

/ وقال النيوي في شرح مسلم: وأما قول مالك في الموطاً: لم
أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومن به يقتدى نهي عن صيام يوم
الجمعة وصيامه حسن، وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه، وأراه
كان يتحراء.
فهذا الذي قاله هو الذي رآه، وقد رأى غيره خلاف ما رأى
هو، والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره، وقد نبت النهي عن صوم
يوم الجمعة، فيتبعين القول به، ومالك معذور، فإنه لم يبلغه.
قال الداودي من أصحاب مالك: لم يبلغ مالكاً هذا الحديث،
ولو بلغه لم يخالفه. انتهى منه.
أضواء البيان

وهذا هو الحق الذي لا شك فيه؛ لأن مالكاً من أورع العلماء وأكثر الناس اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ، فلا يدعها وهو عالم بها.
وقوله في هذا الحديث: إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم. أي: كأن ينذر أحد صوم اليوم الذي يشفى الله فيه مريضه، فوافق ذلك يوم الجمعة؛ لأن صومه له لاجل النذر، الذي لم يقصد بأصله تعين يوم الجمعة.

وإنما النهي فيمن قصد بصومه نفس يوم الجمعة دون غيره.
والغرض عندنا إنما هو المثال لبعض الأحكام التي لم تبلغ مالكاً فيها السنة عن رسول الله ﷺ، ولو بلغته لعمل بها.
ومعلوم أن هنالك بعضاً من النصوص ترك مالك العمل به مع أنه بلغه؛ لأنه يعتقد أن ما ترك النص من أجله أرجح من النص.

وأولى يحتاج فيه إلى مناقشات دقيقة بين الأدلة، فقد يكون الحق في ذلك مع هذا الإمام تارة ومع غيره أخرى.
فقد ترك مالك العمل بحديث خيار المجلس مع أنه حدث متفق عليه، وقد بلغ مالكاً.
وقد حلف عبد الحميد الصائغ من المالكة بالمشي إلى مكة على أنه لا يفتي بثلاث قالها مالك.
ومراده بالثلاث المذكورة: عدم القول بخيار المجلس هذا مع صحة الحديث فيه، وحسن القول والشعور مع صحة الأحاديث الدالة على أنهما جنسان، والتقدم البيضاء.
ولا شك أن مالكاً بلغه حديث خيار المجلس هذا.
فقد روى في الموطاً عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «المتبانيعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفقان، إلا بيع الخيار». قال مالك: وليس لهذا عدنا حد معروف، ولا أمر معمول به فيه. انتهى منه بلفظه.

مع أن مالكاً لم يعمل بهذا الحديث الصحيح، وأشار في الموطا إلى بعض الأسباب التي منعته من العمل به في قوله: وليس لهذا عدنا حد معروف ولا أمر معمول به فيه؛ لأن خيار المجالس لم يحدث بحد معروف، فصار القول به ماناً من انعقاد البيع إلى حد غير معروف.

وقد يكون المتعاقدان في سفينة في البحر لا يمكنهم التفرق.

بالأبدان، وقد يكونان مسجونين في محل لا يمكنهما التفرق فيه.

وقد حمل مالك التفرق المذكور في الحديث على التفرق في الكلام، وصيغة العقد، قال:

وقد أطلق التفرق على التفرق في الكلام دون الأبدان في قوله تعالى: {وَإِنْ يَنْفَرُوا يَمْنُونَ لِلَّهِ سَكَّنْتُمْ سَكَنَّهُمْ}، فالتوقف في الآية.

إذن هو بالتكلم بصيغة الطلاق لا بالأبدان.

وقوله تعالى: {وَمَا نَفَرَّ عَلَى الَّذِينَ أَوْتُوهُ الْكِتَابَ إلَّا مَنْ بَعْدُ مَا جَأَهُمْ أَليْلَةً} فالتفرق في الآية تفرق بالكلام والاعتقاد، فلا يشترط أن يكون بالأبدان.

وحجج من احتج لمالك في عدم أخذه بحديث خيار المجلس.

هذا كثيرة معروفة.
منها ما هو في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: {وأشهدوا
إذا تكعَّصتمْ}، وقوله: {أَوَفُوا بِالْعَفْوِ}، وقوله: {إِلَّا أَن تَكُونَ
يَجَادِلُوا عَن نَّارٍ مَّا يَرِي}.

ومنها ما هو بغير ذلك.

وليس عرضنا هنا بسط الحجج ومناقشتها، وإنما غرضنا المثال
لأن الإمام قد يترك نصاً بلغه لاعتقاده أن ما ترك من أجله النص أرجح
من نفس النص، وأنه يجب على المسلم مراعاة المخرج والنجاة
نفسه، فينظر في الأدلة، ويعمل بأقوافها وأقربها إلى رضي الله.

كما حلف عبد الحميد الصائغ بالمشي إلى مكة، لا يفتي بقول
569 مالك في هذا، مع أنه عالم مالكي؛ لأنه رأى الأدلة واضحة وضوحًا
لا بأس فيه في أن المراد بالتفريق التفرق بالأباد.

وقد صرح بذلك جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر راوي
الحديث، ولم يعلم لهم مخالف من الصحابة.

ولا شك أن المنصف إذا تأمل تاملًا صادقاً خالياً من التعصب،
عرف أن الحق هو ثبوت خيار المجلس، وأن المراد بالتفريق التفرق
في الأبدان لا بالكلام، لأن معني التفرق بالكلام هو حصول الإيجاب
من البائع والقبول من المشتري.

وكل عاقل يعلم أن الخيار حاصل لكل من البائع والمشتري
ضرورة قبل حصول الإيجاب والقبول، فحمل كلام النبي صلى الله عليه
هذا، حمل له على تحصيل حاصل، وهو كما ترى.

مع أن حمل الكلام على هذا المعنى يستلزم أن المراد
بالمتبايعين في الحديث المتساومان؛ لأنه لا يصدق عليهم اسم
المتبايعين حقيقة إلا بعد حصول الإيجاب والقبول.
سورة محمد

وحمل المتباعين في كلام النبي صلى الله عليه وسلم على المتساومين اللذين
لم ينعقد بينهما بيع، خلاف الظاهر أيضاً كما ترى.
وأما كون القمح والشعير جنساً واحداً، فقد استدل له مالك
ببعض الآثار التي ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
قال في الموطأ: إنه بلغه أن سليمان بن يسار قال: فنَبْلَغ
حمار سعد ابن أبي وقاص، فقال لعلاقمه: خذ من حنطة أهلك فابتع
بها شعراً، ولا تأخذ إلا مثله. اهـ منه بلفظه.
وفي الموطأ أيضاً عن نافع عن سليمان بن يسار أنه أخبره أن

ولقربة: 

عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فنَبْلَغ
علاقمه: خذ من حنطة أهلك فابتع بها شعراً، ولا تأخذ إلا مثله. اهـ منه
بلفظه.
وفي الموطأ أيضاً: أن مالكًا بلغه عن القاسم بن محمد بن
معيقب الدوسي مثل ذلك. قال مالك: وهو الأمر عندنا. اهـ منه
بلفظه.

وهذَه الآثار هي عمدة مالك رحمه الله في كون القمح والشعير
جنساً واحداً، وعهد ذلك بتقارب منعتهما.
والتحقيق الذي لا شك فيه أن القمح والشعير جنسان، كما
جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تصح
معارضتها البثة بمثل هذه الآثار المروية عن ذكر.
وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم: «التمر بالتمر، والحنطة بالحنطة، والشعير بالشعير،
والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربي إلا
ما اختلطت ألوانه» أنهى منه بلفظه.
أضواء البيان

604

وهو صحيح بأن القمح والشعر جنسان مختلفان، كاختلافهما
مع التمر والملح، وأن التفاضل جائز مع اختلاف الجنس إن كان يداً
بيد.

وروى مسلم في صحيحه والإمام أحمد عن عبادة بن الصامت
عن النبي ﷺ أنه قال: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر
بالبر، والشعر بالشعر، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلًا بمثل،
سواءً سواءً، يداً بيد». أهده مدفوعه.

وللنسائي وأبي ماجه وأبي داود نحوه، وفي آخره: وأمرنا أن
نبيع البر بالشعر والشعر بالبر، يداً بيد، كيف شئت.

قال المجد في المنتهى لما ساق هذا الحديث ما نصه: وهو
صريح في كون البر والشعر جنسين. وما قاله صحيح كما ترى.

الأحاديث بمثل هذا كثيرة، وقد قدمنا طرفاً منها في سورة
البقرة، والمقصود هنالك بيان صراحة الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في
أن القمح والشعر جنسان لا جنس واحد، وأنها لا يجوز ترك العمل
بها مع صحتها ووضوحها، ولا أن يقدم عليها آثر موقف على
سعد بن أبي وقاص، ولا آثار موقف على عبد الرحمن بن الأسود بن
عبد يغوث، ولا آثار موقف على ابن معبق.

واعلم أنه لا يصح الاستدلال لكون القمح والشعر جنساً واحداً
بحديث معمر بن عبد الله الثابت في صحيح مسلم وغيره، قال: كنت
أسمع النبي ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلًا بمثل» الحديث.

وذلك لأمرين: أحدهما: أن معمر المذكور قال في آخر
الحديث: وكان طعامهم يومئذ الشعر. فقد عين أن عرفهم المقارن
للخطاب يخص الطعام المذكور بالشعر.
والمقرر في أصول مالك: أن العرف المقارن للخطاب من المخصصات المنفصلة التي يخصص بها العام. قال في مراقي السعودية في ذلك:

والعرف حيث قارن الخطاباً ودع ضمير البعض والأسباب.

الأمر الثاني: أن الاستدلال بالحديث المذكور على فرض اعتبار عمومه، وعدم تخصيصه بالعرف المذكور، يقتضي أن الطعام كله جنس واحد، فيدخل التمر والملح، لصدق الطعام عليهما، وهذا لا قول به كما ترى.

فالظاهرة أن الإمام مالك رحمه الله ومن واقع من أهل العلم، لم تبلغهم / هذه الأحاديث الصحيحة المصرحة بأن القمح والشعير والتمر والملح أذان، وأن القمح يباع بالشعير كيف شاء المتباعان إن كان يداً بيد.

وأما التدمية البيضاء فقال مالك فيها يظهر لنا قوته واتجاهه، وإن خالف في ذلك بعض أصحابه وأكثر أهل العلم، وقد بين وجه قول مالك فيها ابن عبد البر وابن العربي وغيرهما.

والمسائل التي قال بعض أهل العلم إن مالك خالف فيها السنة معروفة، منها ما ذكرنا، ومنها مسألة سجود الشكر، وسجادات التلاوة في المفصل، وعدم الجهر بأنين، وعدم رفع اليدين عند الركوع والرفع منه، وعدم قول الإمام: ربنا ولك الحمد، وعدم ضهر رأس المرأة الميتة ثلاث ضفادع، وترك السجادة الثانية في الحج، وغير ذلك من المسائل.
فقد قدمنا أن بعض ما ترك مالك من النصوص قد بلغته في السنة ولكنه رأى غيرها أرجح منها، وأن بعضها لم يبلغه، وأن الحق قد يكون معه في بعض المسائل التي أخذت عليه، وقد يكون مع غيره، كما قال مالك نفسه رحمه الله: كل كلام فيه مقبول ومردود، إلا كلام صاحب هذا القبر.

وهو تارة يقدم دليل القرآن المطلق أو العام على السنة التي هي أخبار آحاد: لأن القرآن أقوى سنداً وإن كانت السنة أظهر دلالة، ولاجل هذا ليمتح ميتمة الجراد بدون ذكاة: لأن يقدم عموم «حِمَّتْ عَلَيْكُمُ الْمِيْثَانُ» الآية على حديث «أتيت لنا ميثان ودمان» الحديث.

وقد قدم عموم قوله تعالى: «أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضُرُّعَّا وَخُفِّيَّةً» الآية على الأحاديث الواردة بالجزير بآمين: لأن التأمين دعاء، والدعاء مأمور بإخفائه في الآية المذكورة، وفلا، الآية أقوى سنداً، وأحاديث الجهر بالتأمين أظهر دلالة في محل النزاع. ومن المعلوم أن أكثر أهل العلم يقرمون السنة في نحو هذا.

وقد قدم مالك رفعه الله دليل القرآن فيما ذكرنا، كما قدمه أيضاً في الثانية من جدتي الحج، لأن نص الآية الكريم فيها كالصيرح في أن المراد سجود الصلاة: لأن الله يقول فيها: «يَتَأْيِّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَرَنكُمْ وَاسْجُدُواْ وَأُعَطِّدُواْ رَيْكَمْ».

فذكر الركوع مع السجود يدل على أن المراد سجود الصلاة، والأمر بالصلاة في القرآن لا يلزم سجود التلاوة، ك قوله: «فَصَلِّ لَيْكَ وَأَنْحَرْ»، ولذلك لا يسجد عند قوله تعالى في آخر الحجر: «قَسَّمِيْنِ يَمْحُودَ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ الْمُتَسَلِّمِينَ»، قالوا: لأن معنى قوله:
فَسَيْحَى بِعَجْمِ رَزِيكَ إِنَّهُ مَتَّسِباً بَعْمدهِ، وَكَنْ مِنَ السَّاجِدِينَ

لِهِ فِي صَلَائِكَ.

وَلَا شَكٌّ أَنَّ قُوَّلَهُ تَعَالَى فِي ثَانِيَةِ الحَجِّ: «لَتَأْيِثُهَا أَلَّا يَكُرُونَا
أَرْسُلُوا» الآية، أَصْرُحُ فِي إِرَادَةِ سَجُودِ الصَّلاةِ مِنْ قُوَّلَهُ تَعَالَى:

فَسَيْحَى بِعَجْمِ رَزِيكَ وَكَنْ مِنَ السَّاجِدِينَ

ثمَّ بعَدَ هَذَا كِلْهُ فَإِنَّنا نَكُرُرُ أَنَّ الأَئِمَّةِ رَحْمَةُ اللَّهِ لَا يَلْتَقِهِمُ
نَقْصٌ وَلَا عِيبٌ فِي مَا أَخْذَهُمْ أَنْهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ بَذَلَّوا وَسَعُهُمْ فِي
تَعْلِمَ مَا جَاءَ عَنْهُ عَلَى لَسَانِ رَسُوْلِهِ ﷺ، ثُمَّ اجْتَهَدُوا بِحِسَبِ
طَافَتِهِمْ، فَالْمَلْصِبُ مِنْهُمْ لَهُ أَجْرٌ إِجْتِهَادِهِ وِإِصَابُتِهِ، وَالْمَخْطَوْرِ مِنْهُمْ
مَأْجُورٌ فِي إِجْتِهَادِهِ مَعْذُورٌ فِي خَطِيهِ، وَلَا يَسْعَى هَذَا مَنَاشِقَةً الأَدْلَةِ فِي
مَا أَخْذَهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَإِنَّمَا قَسْداً مَعَ الْعَتْرَةِ بِعَدْمِ مَنْزِلِهِمْ أَن
نَبِيَّنَ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ وَسَنَةَ رَسُولِهِ ﷺ ﻟَوْجِبَ تَقَدِيمَهُمْ عَلَى أَقوَالِهِمْ:

٥٤٤ لَأَنْهُمْ غَيْرِ مَعْصُومِينَ مِنْ الخَطَا، وَأَنَّ مَذَاهِبِهِمْ المَدْوَنَةُ لَا يَصْحُ
وَلَا يُجُزِّ الإِسْتِغْنَاءِ بِهَا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنَّهُ كُلُّ
مُسْلِمٌ قَادِرٌ عَلَى التَّعْلِيمِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْكِتَابَ وَالْسَّنَةِ، وَمَعَرَّفُ مَذَاهِبِ
الأَئِمَّةِ تَوَسَّعُ عَلَى ذَلِكَ، وَالنَّظَرُ فِي مَا استِدْلَ بِهِ كُلُّ مِنْهُمْ يُعْيَنَهُ عَلَى
مَعْرِفَةِ أَرْجَحَ الْأَقوَالِ وَأَقْرَبَهَا إِلَى رَضِيَ اللَّهِ.

وَكَذَلِكَ الشَّافِعِي وَأُحْمَدُ رَحْمَهُمَا اللَّهُ، فَإِنَّهُ كُلُّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا
لَا يَخْلُو مِنْ شَيْءٍ قَدَ أَخْذَهُ عَلَيْهِ، وَمِرَادُهَا هَذَا التَّمَيُّلُ لِذَلِكَ، وَأَن
الْوَحِي مَقْدُومٌ عَلَى أَقوَالِهِمْ جَمِيعًا، وَلَيْسَ قَسْدَاً الْأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.
وَهَذِهِ (١) أَمَثَلَةٌ بَالْمَتَّلُوبِ، وَكَانَ الصِّيْحُ رَحْمَهُ اللَّهُ أَرْجَأً إِبْرَاهِيَّاءُهَا،

(١) مِنْ هَذَا إِلَى أَخْرَى المَبَحَتَةَ مِنْ إِضَافَاتِ مُتَّمَّمِ الْكِتَابِ.
فذكرها على ما هو ظاهر من المذهبين، ونرجو أن تكون موافقة لما أراد، وبالله التوفيق.

فمما هو في مذهب أحمد رحمه الله: صوم يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان حينما يشك فيه هل هو تمام شعبان أو أول رمضان، وذلك حينما تكون السماء مغمية، خشية أن يظهر الهلال خلف الغيوم أو القتر.

ولا يكون يوم شك إذا كانت السماء صحواء; لأنه إذا رؤى الهلال فهو من رمضان، وإلا فهو من شعبان.

فمذهب أحمد هو صوم هذا اليوم المشكوك فيه احتياطًا لرمضان، وهو نص المغني إلا أنه ذكر عن أحمد روایات أخر. ولكن صومه هو المقدم في المذهب، ولكنه مخالف لصريح النص في قوله في ذلك: "من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم".

قال في بلوغ المرام: ذكره البخاري تعليقاً ووصله. قال في سبل السلام: واعلم أن يوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان إذا لم ير الهلال في ليلة بغيم ساطر، أو نحوه، فيجوز كونه من رمضان وكونه من شعبان.

والحديث وما في معناه يدل على تحريم صومه. اه. يعني بما في معناه قوله: "صوموا لرؤيتهم وأفطروا لرؤيتهم، فإن غم عليكم فاقتروا له ثلاثين". متفق عليه، وحسبه: "فإن غم عليكم فاقتروا له ثلاثين"، وله خار: "فأكملوا العدة الثلاثين".

وشبهة أحمد في قوله: "فاقتروا له" بمعنى "فسيقرأوا".
ولم يقل بصومه من الأئمة إلا أحمد رحمه الله.
وأما هو عند الشافعي: قوله بنقض الوضوء من مجرد لمس المرأة الأجنبية بدون حائل، مع ما جاء عنه في حديث عائشة رضي الله عنها: كنت أتيم معترضة في القبلة ورسل الله قائم يصلي فإذا سجد غمزني في رجلي فأقبضها فإذا قام مددتها.

وقد أجوابوا عن ذلك باحتمال سترها بحائل، فجاء قولهم: "افتقدت رسول الله ذات ليلة، فقمت أطلبه والحجرات ليس فيه آنذاك السرج، حتى وقعت كفي على بطن قدمه وهو ساجد يقول: سباح قدوس رب الملائكة والروح، فقلت: والله إنك لفي واد وأنا في واد.

فلما قام للمركعة الثانية ظنته ذهب عند بعض نساءه فاغسل ثم جاء يصلي عنها، فقتلت وأدخلت يدها في شعر رأسه تحسس هل اغسل أم لا... إلخ.

ولهم أجوبة على كل ذلك ولكنها لا تنهض مع هذه النصوص الصريحة.

وشبهة الشافعي في ذلك في معنى: (لامست النساء) من قوله تعالى: "أو جَعَلْتَ آخَرَ مِنَ النِّسَاءِ مَثَلًا لَّمْ تَجْعَلْهَا مَثَلًا مَّاۡ رَحِمۡنَا عَلَيۡنَا" الآية.
ولم يقل بنقض الوضوء به من الأئمة إلا الشافعي رحمة الله.
ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أنه لا يتأتي من أحد أئمة المسلمين أن يخالف نصاً صريحاً من كتاب أو سنة، بدون أن تكون لديه شبهة معارضة بنص آخر، أو عدم بلوغ النص إليه، أو عدم صحته عنه، أو غير ذلك مما هو معروف في هذا المقام.
وإذا أوردنا هذين المثالين تزمة للبحث ولمجرد المثال.
التنبيه الناسع
أعلم أن كل من يرى أنه لا بد له من تقليد الإمام في كل شيء، بدعوي أنه لا يقدر على الاستدلال بكتاب ولا سنة، ولا قول أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أحد غير ذلك الإمام، يجب عليه أن يتبعه تنبيهاً تاماً للفرق بين أقوال ذلك الإمام التي قالها حقاً، وبين ما ألحق بعده على قواعد مذهبه، وما زاده المتأخرون وقتاً بعد وقت من أنواع الاستحسان التي لا أساس لها في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
ولن علم الإمام بإلحاقهم بمذهبه، لتباؤل منها، ونذكر على ملحظتها، فنسبة جميع ذلك للإمام من الباطل الواضح.
ويزيدنا بطلاناً نسبته إلى الله ورسوله، بدعوي أنه شرع ذلك على لسان رسوله، ونحو هذا كثير في المختصرات في المذاهب وكتب المتأخرين منهم.
ومن أمثلته في مذهب مالك: قول خليل المالكي في مختصره الذي قال فيه مبيناً لما به الفتوى: كأقل الظهر، يعني أن أقل الظهر بين الحيضتين خمسة عشر يوماً.
والذين يعتقدون مذهب مالك. إن ماهما يقولون بأن أقل الطهر بين الحيضتين خمسة عشر يوماً، وهذا لم يقله مالك أبداً ولم يفت به ولم يروه عنه أحد من أصحابه.

والذي كان يقوله مالك: إن أقل الطهر ثمانية أيام أو عشرة أيام.

وهو الذي نقله عنه أجلاء أهل مذهبه كأبي مسلم بن أبي زيد في رسالته رحمه الله.

والقول بأن أقل الطهر خمسة عشر هو قول ابن مسلم، واعتمد صاحب التلقين، وجعله ابن شاس المشهور أي مشهور مذهب مالك، مع أن مالكا لم يقله ولم يعلمه، وأمثال هذا كثيرة جداً في مذهب مالك وغيره.

ومثال استحسان المتأخرين ما لم يقله الإمام مما لا شك أنه لو بلغ الإمام لم يقبله: قول الحطاب في شرحه لقول خليل في مختصره في الصوم: "وعاشوراء وتاسوعاء" منصبه: قال الشيخ زروع في شرح الفرقانية: صيام المولد كرهه بعض من قرب عصره ممن صلح علمه وورعه، قال: إنه من أعياد المسلمين فنبغي ألا يصوم فيه، وكان شيخنا أبو عبد الله العدري يذكر ذلك كثيراً.

ويستحسن أنه، انتهى.

قلت: لعله يعني ابن عبان، فقد قال في رسائله الكبرى ما نصه: وأما المولد فالذي يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم، وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح.
والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر والسمع والتزين بلبس فاخر الثوب وركوب فاره الدواب، أمر مباح لا ينكر على أحد، قياساً على غيره من أوقات الفرح.
والحكم يكون هذه الأشياء بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود، وارتفع فيه علم الشهود، وإنشق فيه ظلام الكفر والجحود، وأدعو أن هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان، ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان، أمر مستقل يشتمز منه القلوب السليمة وتدفعه الآراء المستقيمة.

ولقد كنت فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد إلى ساحل البحر، فاتفق أن وجدت هناك سيدي الحاج بن عشير رحمه الله وجماعة من أصحابه، وقد أُخرج بعضهم طعاماً مختلفاً لياكلوا هنالك، فلما قدموا لذلك أرادوا مني مشاركتهم في الأكل، وكررت إذ ذاك صائماً فقلت لهم: إنني صائم، فنظر إلي سيدي الحاج نظرة منكرة، وقال لي ما معناه: إن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستحق في مثله الصيام، بمنزلة العيد. فتأملت كلماته فوجدته حقاً، وكأنني كنت نائماً فأيقظني. انتهى بلفظه.

فهذا الكلام الذي يقتضي قبح صموم يوم المولد وجعله يوم العيد، من غير استناد إلى كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا قول أحد من أصحابه ولا من تابعيه، ولم يقل به أحد من الأئمة الأربعة، ولا من فقهاء الأمصار المعروفين، الذي أدخله بعض المتآخرين في مذهب مالك، ومالك بريء منه براءة الشمس من اللمس، ولم يجر على أصول مذهبه؛ لأن علة تحرم صوم يوم العيد والفطر عنده أن الله تعالى يكلف عباده في كل سنة عباداتين عظيمتين، والأمر بهما
عام لكل من يستطيعهما، وإحداها تجب في العمرنة مرة واحدة وهي الحج، والثانية تجب كل سنة في شهر رمضان منها، وهي الصوم، فإذا انتهت عبادة الحج أو عبادة الصوم ألزم الله الناس كلهم أن يكونوا في ضيافته يوم النحر ويوم عيد الفطر.

فمن صام في أحد الأيامين أعرض عن ضيافة الله، والإعراض عن ضيافته تعالى لا يجوز.

فله إلحاق يوم المولد بيوم العيد إلحاق لا أساس له؛ لأنه إلحاق

ليس بجامع بينهما ولا نفي فارق، ولا إلحاق البتة إلا بجامع أو نفي فارق.

وكل من لم يطميس الله بصيرته يعلم أن الحق الذي لا شك فيه هو اتباع النبي ﷺ وأصحابه.

ومعلوم أن جعل يوم المولد كيوم العيد في منع الصوم لم يقله رسول الله ﷺ ولا أصحابه ولا أحد من الأئمة الأربعة.

فهو تشريع لاستقبال قربة الصوم ومنعها في يوم المولد، من غير استناد إلى وحي ولا قياس صحيح ولا قول أحد ممن يقتدى به.

ومما لا نزاع فيه أن النبي ﷺ أرسله الله رحمة للعالمين، كما قال تعالى: {وَمَا أُرْسِلْنَا إِلَّا رَحِيمًا لِّلْعَالَمِينَ}، ورسالته هي أعظم نعمة على الخلق، كما بنته علماء التفسير في الكلام على قوله تعالى: {ثُمَّ قَالَ إِلَى الْأَلَّهِ مَنْ أَنْبِئَهُ بِأَنَّهُ أَطْلَبَ سَيْرًا} الآية، والخبر كل الخير في إتباعه صلوات الله وسلامه عليه، والشر كل الشر في تشريع ما لم يشرعه والتقول عليه بما لم يقله.

فالمقدون لمالك مثل هذا التقليد الأعمى يعتقدون أن هذا
الكلام الذي ذكره الحطاب عن زروق وابن عباد وابن عاشر، أنه هو
مذهب مالك وأنه من شرع الله ودينه، وأنه دام من مذهب مالك
فاللازم تقديمه على الكتاب والسنة، لأنهما لا يجوز العمل بهما إلا
للمجتهد المطلق.

وهذا مثال من بلايا التقليد الأعمى وعظيمة.

ولا يخفى أن إدعاء أن وجود نعم الله كمولد النبي ﷺ بدل
على استقبال ظاعة الله بالصوم في أوقات وجود تلك النعم، ظاهر
الفشاد؛ لأن المناسب لنعم الله هو طاعته بأنواع الطاعات كالصوم.
ولذا تجد الناس يندرون الله صوم اليوم الذي ينعم الله عليهم فيه
شفاء / المريض أو إتيان الغائب، وهذا أمر معروف، وهو المعقول
لا عكسه.

ومما يوضح هذا أن إنزال القرآن العظيم هو أعظم نعمة على
البشر.

ولأجل ذلك علمهم الله حمده تعالى على هذه النعمة العظمى
في أول سورة الكهف في قوله تعالى: «الحمد لله الذي أنزل على عبده
الكلين» الآية.

وقد بين تعالى أنه أنزل هذه النعمة في شهر رمضان، فكان
نزول هذه النعمة في شهر رمضان مقتضياً لصومه، لا لجعل أيامه
أعياداً يستحق صومها؛ لأن الله تعالى قال: «شفع رمضان أنزل</p>

وأيضاً أن له هدى السماوات وبيوت من الهداي وألف خاصة».

و هذا هو أعظم النعم، وقد رتب على هذا بالفاء قوله بعده:

«فَمَنْ شَهِدَ يَدْنِمْ هُمْ شَهْرَ فَلِيَصْمِعَكُمْ الآية، فافهم.»
والمقصود بهذا المثال النصيحة للذين لم يقدروا على غير هذا التقليد الأعمى، ليبحثوا في كتب المذهب وأمهاته عن أقوال الإمام وكبار أصحابه، ليرفقوا بينها وبين أنواع الاستحسان التي لا مستند لها، التي يدخلها المتأخرين وقتاً بعد وقت، وهي ظاهرة الفساد عند من رزقه الله علمًا بكتاب الله وسنة رسوله، ومما لا شك فيه أن أقوال مالك وكبار أصحابه مثلاً، أحرى بالصواب في الجملة من استحسان ابن عباد وابن عاشر وأمثالهما.

التبنيه العاشر

علم أن الدعوى التي اتفقت عليها متأخرو الأصوليين التي تتضمن حكمهم على خلق السماوات والأرض جل وعلا، لا يجوز لمسلم يريد الحق والإنصاف أن يعتقدها، ولا أن يصدقهم فيها، لظهور عدم صحتها ومخالفتها للنص، والحكم فيها على الله بلا مستند، وهو جل وعلا الذي يحكم لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وهذه الدعوى المذكورة هي المتركة مما يأتي، وهو أن الاجتهاد قد انقرض في الدنيا وانسد بابه، وأن الله تعالى محكوم عليه بأن لا يخلق مجهوداً، ولا يعلم أحداً من خلقه علماً يمكن أن يكون به مجهداً إلى ظهور المهدي المنتظر، وأنه لا يجوز لأحد أن يعمل بكتاب ولا سنة ولا أن يقلد أحداً كائناً من كان غير الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المدونة.

كما نص على هذه الدعوى حاكياً إجماعهم عليها صاحب مراكى السعد في قوله:

والمجمع اليوم عليه الأربعة وقفو غيرها بالجميع منعه
حتى بجيه الفاطمي المجدد دين الهدى لأنه مجتهد
ومراد بالفاطمي المهدي المنتظر لأنه شريف.
وقوله: حتى يجيء، حرف غاية، والمفهوم به: منع تقليد أحد
غير الأربعة المذكور في قوله: وقف، غيرها الجمع منعه.
وهذا صريح في أنهم حاكمون على الله القدير العليم، بأنه
لا يخلق مجتهداً قبل وجود المهدي المنتظر، وهذا الذي قاله صاحب
مراقي السعود هو المقرر في كتب المتأخرین من الأصوليين من أهل
المذاهب المدونة.
وهذا الحكم على الله الذي كل يوم هو في شأن بأنه لا يخلق
مجتهداً قبل المهدي من مدة انقراض الاجتهاد المزعوم، هو يا أخي
كما ترى.
ولا شك أنك إن لم يعمرك التخصص المذهبي تقطع أنه
لا مستند له، وهذا الذي ذكره صاحب مراقي السعود قد صرح بما
يناقضه في قوله قبله:
الأرض لا عن قائم مجتهد تخلو إلى تزلزل القواعد
582
وهذا النقيض الأخير هو الصحيح الموافق للحق.
لأن النبي قد ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما أنه قال:
"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم
حتى يأتي أمي أمر الله" الحديث. وهو حديث مشهور متفق عليه لا نزاع
في صحته.
ولا شك في أن هذه الطائفة التي صرح النبي بأنها لا تزال
ظاهرة على الحق حتى يأتي أمي أمر الله أنها طائفة على كتاب الله، وسنة
رسوله، وليست البته من المقلدين التقليد الأعمى.
لأن الحق هو ما جاء به محمد من الكتاب والسنة، كما قال تعالى في سورة النساء: "بِلَاءَةَ النَّاسِ ۛ قَدْ جَاءَ كمُّ الرَّسُولُ يَلْحَقُهُ مِن يَمِينِهِمْ وَلَمْ يَلْحَقَهُ مِنْ يَصِيرٍ"، وقال في الأنعام: "وَكَذَّبَ يهُوَمَّكُ وَهُوَ أَلْحَقَهُ"، وقال في النمل: "فَتَوَلَّهُ عَلَى اللّهِ إِنْ كَانَ عَلَى النَّصِيرِ"، وقال في يونس: "بِلَاءَةَ النَّاسِ قَدْ جَاءَ كُلُّ اسْتَغْنَى مِن يَمِينِهِمْ وَلَمْ يَلْحَقَهُ مِنْ يَصِيرٍ"، والآيات مثل ذلك كثيرة.
فدعوى أن الأرض لم يبق فيها مجتهد البته، وأن ذلك مستمر إلى ظهور المهدي المنتظر، مناقضة لهذا الحديث الثابت ثبوتًا لا مطعن فيه عن النبي ﷺ.
ومما لا نزاع فيه أن كل ما يناقض الحق فهو ضلال; لأن الله جل وعلا يقول: "فَمَا زَا أَنَّ اللّهُ ۛ إِلَّا الْحَقَّ ۛ وَأَنْ تَتَّقُونَ". والعلم عند الله تعالى.

التنبيه الحادي عشر
علم يا أخي أن هذا الإعراب عن كتاب الله وسنة رسوله، واعتقاد الاستغناه عنهما بالمذاهب المدونة الذي عم جلٌ من في المعمورة / من المسلمين، من أعظم الماسى والمصائب والدواهي 583 التي دهت المسلمين من مدة قرون عديدة.
ولا شك أن النتائج الوخيمة الناشئة عن الإعراب عن الكتاب والسنة من جملتها ما عليه المسلمون في واقعهم الآن من تحكيم القوانين الوضعية المنافي لأصل الإسلام.
لأن الكفائر إذا اجتاحتهم بفصلهم عن دينهم، بالغزو الفكري، عن طريق الثقافة وإدخال الشبه والشكوك في دين الإسلام.
ولو كان المسلمين يتعلمون كتاب الله وسنة رسوله
ويعملون بما فيهما لكان ذلك حصناً منعاً لهم من تأثير الغزو الفكري
في عقائدهم ودينهم.

ولكن لما تركوا الوعي ونبذوه وراء ظهورهم واستبدلوا به
أقوال الرجال، لم تقم لهم أقوال الرجال ومذاهب الأئمة رحمهم الله
مقام كلام الله والاعتقاس بالقرآن، وكلام النبي ﷺ والتحصن بسنته.

وذلك وجد الغزو الفكري طريقاً إلى قلوب الناشئة من
المسلمين.

ولو كان سلاحهم المضاد هو القرآن والسنة، لم يجد إليهم
سبيلًا.

ولا شك أن كل منصف يعلم أن كلام الناس، ولو بلغوا
ما بلغوا من العلم والفضل، لا يمكن أن يقوم مقام كلام الله وكلام
رسوله ﷺ.

وبالجملة، فما لا شك فيه أن هذا الغزو الفكري الذي قضى
على كيان المسلمين ووحدتهم، وفصلهم عن دينهم، لو صادفهم وهم
متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله لرجع مدحوًا في غاية الفشل،
لوضوح أداة الكتاب والسنة، وكون الغزو الفكري المذكور لم يستند
إلا على الباطل والتمويه كما هو معلوم.

قوله تعالى: ٥٨٤ «إِنَّ الْذَّيْنَ كَفَّارًا أَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَرِهِمْ مِنْ بَعْضِهِمْ
٢٥٥ لَهُمْ الْهَدَى وَالْشَّيَاطِينُ سُوَّلُوا لَهُمْ وَأُمَلِى لَهُمْ
٢٥٦ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَفَّارًا كَرِهُوْا مَا أَرَادَ اللهُ سَنِيعُ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ»
آل من الذين ارتدوا على أدابهم من بعد ما تبين لهم الهدى، فقوم كفرنا بعد إيمانهم.

وقال بعض العلماء: هم اليهود الذين كانوا يؤمنون بنبي محمد، فلما بعث وحققوا أنه هو النبي الموصوف في كتبهم كفرنا به.

وعلى هذا القول فارتدادهم على أدابهم هو كفرهم به بعد أن عرفوه وطبقوا، وعلى هذا فالهدى الذي تبين لهم هو صحة نبؤته ومعرفته بالعلامات الموجودة في كتبهم.


وقال بعض العلماء: نزلت الآية المذكورة في المنافقين.

وقد بين جل وعلا في هذه الآية الكريم أن سبب ارتداد هؤلاء القوم من بعد ما تبين لهم الهدى، هو إغواء الشيطان لهم، كما قال تعالى مشيراً إلى علة ذلك: «الشيطان سول لهما» أي زين لهم الكفر.
واسعاء البيان
والارتاد عن الدين، (وأمل ليهم) أي مد لهم في الأمل ووعدهم طول العمر.

قال الزمخشري: (سول) شهلم لهم ركوب العظام، من السول، وهو الاسترخاء، وقد استطع من السول من لا علم له بالتصرريف والاشتاق جميعاً، (وأمل ليهم) ومد لهم في الأمال والأمانى. انتهى.

وايضاح هذا أن هؤلاء المرتدين على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى وقع لهم ذلك بسبب أن الشيطان سول لهم ذلك، أي سهله لهم وزنهو لهم وحسته لهم ومناهم بطل الأعمار؛ لأن طول الأمل من أعظم أسباب ارتكاب الكفر والمعاصي.

وفي هذا الحرف قراءتان سبعتان:
قراه عامة السبعة غير أبي عمرو: (وأمل ليهم) بفتح الهمزة واللام بعدها ألف، وهو فعل ماضي مبني للفاعل، وفاعله ضمير يعود إلى الشيطان.

وأصل الإملاء الأهمال والعدم في الأجل، ومنه قوله تعالى: "وأمل ليهم إن كيدي مبين"، وقوله تعالى: "ولا يعف بذل منذو كفرنا"، أنتما على الله فين وعيسهم إنماؤنمل لهم ليرددوا إرساماً الآية.

ومعنى إملاء الشيطان لهم وعده إليها بطل الأعمار، كما قال تعالى: "يجدهم ويجتنيهم وما يعبدوشون الساطعون إلا عوراً".

وقال تعالى: "وأستفز من أسطعت ينفكم بصدوك" إلى قوله: "وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً".
وقال بعض العلماء: ضمير الفاعل في قوله: (وأُمِلَّي لِلهِمْ) على قراءة الجمهور راجع إلى الله تعالى.

والمعنى: الشيطان {سُوْلُ لَهُمْ} أي سهل لهم الكفر والمعاد، وزين ذلك وحسن لهم، والله جل وعلا أملى لهم: أي أمهلهم إمما استدراج.

وكون التسويل من الشيطان والإمبال من الله، قد تشهد له آيات من كتاب الله، كقوله في تزوير الشيطان لهم: {وَإِذْ رَأَيْنَاهُمُ الْشَّيْطَانُ أَعْضَاهُمْ} الآية، وقوله تعالى: {كَالَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَرَأْنَاهُمُ الْشَّيْطَانُ أَعْضَاهُمْ فَهُمْ وَلِيُهُمْ أَيْوَمَ وَفُتُوحَ عَذَابَ أَيْعُنَّ} وقوله تعالى: {وَقَالَ الْشَّيْطَانُ لَا قُطُّ الأَمْرِ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّهُمْ وَعَدَّ رَبِّي وَعَدَّهُمْ} فاستخرجهم الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وكقوله تعالى في إميا الله لهم استدراجاً: {سَسْتَدِيرْجُهُمْ مِن حِيْثْ لَا يَلْصُقُونَ} وأملى لهم {إِتْ يُقْبُلَ} {[مَيْنَ}}، وقوله تعالى: {وَلَا يَجِرُونَ أَن يَقْلُوا أَنَمَّا مَلَعْنُهُمْ إِنَّمَا مُتَّعِشُونَ إِنَّمَا مَلَعْنُهُمْ مِّنْ قَبْلٍ} {عَذَابَ مُهَيِّنٍ}، وقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَقَرَّوا يُعَذَّبُهُمْ بِالْغَيْبِ} {[مَيْنَ}}، وقوله تعالى: {مَثَلُهُمْ مَا كَانَ مِنَ الْأَيَامِ} {[مَيْنَ}}، وقوله تعالى: {أَيُّهَا النَّاسُ وَلَنَا بِالضَّلَاءِ} {[مَيْنَ}}، وقوله تعالى: {أَيُّهَا الْمُؤْتِمُونَ} {[مَيْنَ}}، والآيات بمعنى ذلك كثيرة معلومة.

ورقا هذا الحرف أبو عمرو وحده من السبعة: (وَأُمِلَّي لِلهِمْ) بضم الهيزة وكسر اللام بعدها ياء مفتوحة، بصيغة الماضي المبني.
للفعل، والفعل الممدوح فيه الوجهان المذكوران آنفاً في فاعل (وأمثال له) على قراءة الجمهور بالبناء للفاعل.

وقد ذكرنا قريباً ما يشهد لكل منهما من القرآن، كقوله تعالى في إملاء الشيطان لهم: «يُبَدِّهِمْ وَيَغْيَرْهُمْ وَمَا يُبَدِّهِمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غَرْبًا»، وقاله في إملاء /الله ت↑ لهم: «وأميِّلَ لَهُمْ إِلَّا كَيْدٍ مِّينٍ»، كما تقدم قريباً.

والإشارة في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «ذَلِكَ يَانِيَّمُهُمْ قَالُوا إِلَّا الْحَيْبَسُ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ أَنْ نُؤْتِيَ اللهَ سَتِيعْيَعْكُمْ في بَعْضٍ الْأَمْرِ». راجعة إلى قوله تعالى: «أَلَا السَّيِّئُنُ سُؤُلُ لَهُمْ وأَمَلَ لَهُمْ».

أي ذلك التسويل والإملاء الماضي إلى الكفر بسبب أنهم قَالُوا إِلَّا الْحَيْبَسُ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ أَنْ نُؤْتِيَ اللهَ سَتِيعْيَعْكُمْ في بَعْضٍ الْأَمْرِ».

وقَدْ قَدَّمْنَا ما يوضح ذلك من القرآن في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: «وَمَا أَخْلِفْتُمْ فِيهِمْ شَيْءًا وَفَحَمْهُ إِلَى اللهِ»، وفي مواضع عديدة من هذا الكتاب المبارك.

وبينَا في سورة الشورى أيضاً شدة كراهية الكفار لما نزل الله
ويبنا ذلك بالآيات القرآنية في الكلام على قوله تعالى: «كفر على
المشركين ومن أروعهم إلينا». 

وقد قدمنا مرامًا أن العبارة بعوض الملفاظ لا بخصوص
الأسباب.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وإلا Îطلاع إسرارهم) قرأه
نافع ابن كثير وأبو عمرو وأبي عامر وشعبة عن عاصم: (إسرارهم)
بفتح الهمزة، جمع سر.

وقرأه حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: (إسرارهم) بكسر
الهمزة، مصدر أسر كقوله: (وإسرارا لهم إسرارا)، وقد قالوا لهم
ذلك سرا فأفشاء الله العالم بكل ما يسرئ وما يعلينون.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: فكيف إذا أذانتمهم المتلكئة
يصرخون ويهنأهم وأدبأرهم؟ أي: فكيف يكون حال هؤلاء إذا
توثيقهم الملائكة؟ أي قبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم، في حال
كونهم ضاربين وجوهم وأدبأرهم.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من كون الملائكة يتوفون الكفار
وهم يضربون وجوهم وأدبأرهم، جاء موضحاً في مواضيع آخر من
كتاب الله، كقوله تعالى في الألفاظ: لوت رئى إذ يفوق الذين كفر
الملائكة يصرخون ويهنأهم وأدبأرهم، وقاله في الأخلاق: لوت رئى
إذ القلائمون في عمارت الموت والملائكة باسطروا أدبيهم أخرجوا نفسيتهم
اليوم ي بصورة عذاب الهمون الآية، فقاله: باسطروا أدبيهم أي
بالضرب المذكور.

والإشارة في قوله: ذاك يأنهم أتبعوا ما أسخط الله.
روجعةً إلى المصدر الكامن في الفعل الصناعي، أعني قوله: "يَصْرُّونَ وَجُوعُهُمْ"، أي ذلك الضرب وقت الموت واقع بسبب أنهم "أَنْبَعَوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ"، أي أغضبه من الكفر به، وطاعة الكفار الكارهين لما نزله.
والإسحاق استجلاب السخط، وهو الغضب هنا.
وقوله: "يَرْجِعُوْا يَضَوَّئَنَّهُ" لأن من أطاع من كره ما نزل الله فقد كره رضوان الله؛ لأن رضوانه تعالى ليس إلا في العمل بما نزل، فاستلزمت كراهة ما نزل كراهة رضوانه؛ لأن رضوانه فيما نزل، ومن أطاع كاره فهو كاره.
وقوله: "فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ" أي أبطلها؛ لأن الكفر سببها لا تنفع معها حسنة.

وقد أوضحا المقام في ذلك إيضاحاً تاماً في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: "وَمِنْ أَرَادَ الْأَخْرَىَ وَسَعِىَ لَهَا سَعِيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوَلَّاهُ سَكَانَ سُجَّيْهُ مَشْكُورًا "، وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى "مِنْ عَمِلِ صَالِحٍ مَّنْ دَكَرَ أو أَنْيَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلْيَخْيَفِنَّمُ " حَيْوَةٌ طَبَّبَةٌ " الآية.

واعلم أن هذه الآية الكريمة، قد قال بعض العلماء: إنها نزلت في المناقنين.
وقال بعضهم: إنها نزلت في اليهود، وأن المناقنين أو اليهود قالوا للكفار الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر، وهو عداوة النبي ﷺ والتعويق عن الجهاد، ونحو ذلك.
وعبعهم يقول: إن الذين اتبعوا ما أصخط الله، هم اليهود حين كفروا بالنبي لمعرفه، وكرهوا رضوانه وهو بالإيمان به.

والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله.

مسألة

اعلم أن كل مسلم يجب عليه في هذا الزمان، تأمل هذه الآيات من سورة محمد وتدبرها، والحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأن كثيراً ممن ينسون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأن عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزل الله على رسوله محمد، وهو هذا القرآن وما بينه به النبي من السنن.

فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزله الله: سنطيعكم في بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية.

وأخرى من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في كل الأمر، كالذين يتبعون القوانين الوضعية، مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله، فإن هؤلاء لا شك أنهم ممن تتوفرهم الملائكة يضربون وجههم وأدبارهم، وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه، وأنه محبط أعمالهم.

فاحذروا كل الحذر من الدخول في الذين قالوا: سنطيعكم في بعض الأمر.
قوله تعالى: "ولبنلونكم حتى نعلم الله الجددين ونعلم والصدريين ونعلم أخباركم".

اللام في قوله: (ولبنلونكم) موطئة لقسم محدوف.

وقرأ هذا الحرف عامة السبعة غير شعبة عن عاصم، بالنون الدالة على العظمة في الأفعال الثلاثة، أعني: لبنلونكم، ونعلم، ونبلو.

وقرأ شعبة عن عاصم بالمنشأة التحتية، وضمير الفاعل يعود إلى الله.

وأما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الله جل وعلا يبلو الناس أي يختبرهم بالتكاليف، كبذل الأنس والمال في الجهاد، ليتميز بذلك صادقهم من كاذبهم، ومؤمنهم من كافرهم، جاء موضحاً في آيات أخر.

وقوله تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وولا يأتكم ملأ الذين خلوا من قبلكم مسнем الأباء والضراء وزرموا حتى يقول الرسول والذين أثناوا بمعنٍ من نصر الله الآية.

وقوله تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جهنمو بهم وهم أمنك وهم الصدريين".

وقوله تعالى: "أم حسبتم أن تتركوا ولا يعلم الله الذين جهنمو بهم ولهوهم وهم لا يتقلى ولم يضروا حتى يصرح سنة الله حيماً واصطبغت الفساد".

وقوله تعالى: "الله حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنك وهم لا
وقوله تعالى: «ما كان الله ليقدر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يعبر الَّذين فِي الْأَلْبَابِ مِنَ الْطِّيبِّ وَمَا كان الله يُضلَّعُكمُ عَلَى الْبَيْتِ» الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «حَتَّى نَعْلَمُ الْمُجْهَدِينَ» الآية. قد قدمنا إزالة الإشكال في نحوه في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقَبْلَةَ الَّتِي كَنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ۛ أَن يَتَّبَعُوا الْرِّسُولَ ۛ يَمِنُّ يَتَّبِعُونَ عَلَى عَقِبَتِهِ» الآية.

فقلنا في ذلك ما نصفه:

ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، سببته تعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل هو تعالى عاليم بكل ما سيكون قبل أن يكون.

وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا: «وَلِبَيْتِيِّ ۖ اللَّهُ مَّا فِي صُدُورِ ۗ وَلِيْمَحَّصَ ۗ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَلَهُ ۗ عِلْمُ ۚ يَدَّ أَلْسِنَةِ ۗ الصُّدُورِ».

وقوله: (وَاللهُ عَلِيمُ بَذَاتِ الصُّدُورِ) بعد قوله: (ولبيتلي) دليل قاطع على أنه لم يستفيد بالاختبار شيئاً لم يكن عالماً به سببته تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن العلم بذات الصدور غني عن الاختبار.

وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه.

وعني (إِلَّا لَنَعْلَمَ) أي علماً يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا
يَنَافَيَ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِهِ بِجَلْدٍ ذَلِكَ، وَفَائِدَةَ الَّذِيَاتِ الْأَمْرِ لِلنَّاسِ، أَمَّا عَالِمُ السَّرِّ والنَّجْوِي، فَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيْكَوْن، كَمَا لا يَخْفَى. أَهَمُّ.

قَالَ الْقَرْطَبِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ الْكِرَمَةِ مَا نَصَّهُ: وَهَذَا الْعِلْمُ الَّذِي يَقْعُ عَلَيْهِ بِالْجَزَاءِ، لَكِنَّهُ إِنَّمَا يَجَازِيِهِم بِأَعْمَالِهِمْ لَمْ بَعْلِمْهُ الْقَدِيمُ عَلَيْهِمْ، فَتَأْوِيلُهُ: حَتَّى نَعْلَمُ العَدُوُّينَ عَلَمًا شَهَادَةً لَّا يَحْذَرُوا بِالْجَزَاءِ بِالْثَّوَابِ وَالْعَقَابِ يَقْعُ عَلَى عَلَمًا الشَّهَادَةِ، (وَنَبِلَوْنَ أَخْبَارَكُمْ) نَخْتِبُهُ وَنَظَرُهُ.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرُ بْنِ جَرِيرِ الْطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ الْكِرَمَةِ مَا نَصَّهُ: (وَنَبِلَوْنَكُمْ) أَبِيَّةَ المُؤْمِنِينَ بِالْقَتَالِ وَجَهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ (حَتَّى نَعْلَمُ العَدُوُّينَ مَنْكُمْ) يَقُولُ: حَتَّى يَعْلَمُ حَزْبِيِّ وأُوْلَاءِي أَهْلِ الْجَهَادِ فِي اللَّهِ مَنْكُمْ، وَأَهْلُ الصَّرِّبِ عَلَى قَتَالِ أَعْدَاهُنَّ، فَيَظْهَرَ ذَلِكَ لِهِمْ وَيَعْرِفُ ذَوٍّ البِصَائِرِ مَنْكُمْ فِي دِينِهِ مِنْ ذُوي الْشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ فِيهِ، وَأَهْلِ الإِيَمَانِ مِنْ أَهْلِ الْنَّافِقِ (وَنَبِلَوْنَ أَخْبَارَكُمْ) فَنَعْرِفُ الصَّادِقِ مَنْكُمْ مِنَ الْكَذِّبِ.

انتهى مَحَلُ الغَرْضِ مِنْهُ.

وَمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ الْمَرَادَ بِقَولِهِ: (حَتَّى نَعْلَمُ العَدُوُّينَ) الآيَةِ، حَتَّى يَعْلَمُ حَزْبِيِّ وأُوْلَاءِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ (حَتَّى نَعْلَمُ حَزْبِيِّ وأُوْلَاءِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) لِهِ وَجَهَدِهِ (حَتَّى نَعْلَمُ حَزْبِيِّ وأُوْلَاءِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ).

وَقَدْ يُشْرِدُهُ قَولُهُ تَعَالَى: (وَبَلْ أَنَّهُمْ أَخْبَارُكُمُ اسْتَمِعْنَا أَسْمَعْتُمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَيْمَرُ (الْيَمِيرُ) مِنَ الْأَطْيَابِ)؛ لَكِنَّ الْمَرَادَ بِمَضِكَّ الْخَبِيثِ مِنَ الطَّيِّبِ عَلَى الْأَلْبَابِ، فَتَعْلَمُوا مَا يَنطَوَى لِلنَّاسِ، وَلَذَا قَالَ: (وَمَا كَانَ اللَّهُ يَلْطِي عَلَى الْأَلْبَابِ).
على الخبيث والطيب، ولكن الله عرفكم بذلك بالاختبار والابتلاء
الذي تظهر بسبيبه طويا الناس من خبيث وطيب.
والقول الأول ووجه أيضاً، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَآءُوا
الرُّسُولُ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَنَّ هُمَّ أَهْدَى لَن يَضَرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَسْتَخْيَطُ
أُمَّالَهُمْ."

الناصر أن (صدوا) في هذه الآية متعدية، والمفعول محدود،
أي كفروا وصدوا غيرهم عن سبيل الله، فهم ضالون مضلون.
وقد قدمنا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى:
"فَلَبِثُوا فِي جَوَابِهَا وَلَا يَنْزِرُونَ أَجْرَاهُمْ" الآية، أن التأسيس مقدم
على التوكيد كما هو مقرر في الأصول.
و(صدوا) هنا، إن قدرت لازمة فمعنى الصدود الكفر، فتكون
كالتوكيد لقوله: (كفروا).

إن قدرت متعددة كان ذلك تأسيساً؛ لأن قوله: (كفروا) يدل
على كفروا في أنفسهم، /وقوله: (وصدوا) على أنه متعد يدل على
أنهم حملوا غيرهم على الكفر وصدوا عن الحق. وهذا أرجح مما
قبله.

وقوله تعالى في الآية الكريمة: (وَشَآءُوا الرُّسُولُ) أي خالفوا
محمدًا مخالفة شديدة.

وقد دلت هذه الآية الكريمة على أمرين:
أوهما: أن الذين كفروا وصدوا غيرهم عن الحق وخلافوه
لن يضروا الله بكفرهم شيئاً؛ لأنه غني لذاته الغني المطلق.
 الثاني: أنهم إنما يضرون بذلك أنفسهم; لأن ذلك الكفر
سبب لإحباط أعمالهم، كما قال تعالى: (وَسُيَّحِّيٌّ أَعمَلَهُمْ).
وهذان الأمران اللذان تضمنهما هذه الآية الكريمة جاءا
وضمن في آيات من كتاب الله:
فمن الآيات الدالة على الأول، الذي هو غني الله عن خلقه،
وعدم تصرره بمعصيته: قوله تعالى: (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفلٌ عَنْ
أَلْمَلِيمِينَ).
وقوله تعالى: (إِنْ تَكَفَّرْوا فَأَرَّكُنَّ اللَّهَ عَنْ عَنْكُمْ).
وقوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكَفَّرْوا فَأَنْتُمَّ فِي الْأَرْضِ جِيْعَا فَإِرَّكُمْ اللَّهُ
لَنَّجِيٌّ جَيِّدٌ).
وقوله تعالى: (فَأَلْقُوا أَتْحَذَّكُ اللَّهَ وَلَدَّا مَسْجِدَتهَا هُوَ النَّفْئِ الْمُؤْمِنِ
الْسَّمِّنِ وَمَا فِي الْأَرْضِ).
وقوله تعالى: (فَكَفَّرْوا وَوَتَبَيَّنَ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).
وقوله تعالى: (تَبَيَّنَ لَهُمُ الْقُوَّةُ أَنْ أَنتِ اللَّهُ الْحَمِيدُ
الْحَمِيدُ)، إلى غير ذلك من الآيات.

/ومن الآيات الدالة على الثاني، وهو إحباط أعمالهم بالكفر
أي إبطالها غي: قوله تعالى: (وَقَدْ مَنَى إِلَى مَا أَعْمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْتَهُ هُكَاهَا
منْدُورًا).
وقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَّرُوا بِرَبِّهِمْ أَعمَلُهُمْ كَرَاءَيْ أَشْتَدَّتْ
بِأَلْهَيْنِ فِي نَوْمِهِمْ)، الآية.
وقوله تعالى: (وَاللَّذِينَ حَكَرَوْا أَعمَلَهُمْ كَرَاءَيْ ِمَعْنَى يُحْسَبُهُمْ أَظْلَمَائُ
مَاةً حَيْثُ إِذَا جَاهَرُ وَلَمْ يُعْتَدِدُ فِي شَيْئَ)
595
وقوله تعالى: 

«آوْلِيَّكَ الْذَّينَ لَيْسُ هُمْ فِي النَّارِ إِلَّا أَنْسَارٌ وَكِيْزَاطٌ مَا صَنِّعَوْا فِيهَا وَمَنْ طَلَّ مَا حَسَكَانَ أَسْتَفْلَوْنَ»، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: 

«يَقُولُ تَأْيِبَةُ الَّذِينَ مَاتَوُا أَلْيَعْعُوْلُوا اللَّهَ وَأَطُبِعُوْلُوا الَّذِينَ أَنْبَتُوْا الْقُرْآنَ الآيَة.»

قد قدمنا كثيراً جداً من الآيات المماثلة له قريباً في جملة كلامنا الطويل على قوله تعالى: 

«أَفَلَا يَتَبَيَّنُ لِلْقُرْآنِ الآيَة.»

قوله تعالى: 

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوا عَن سَيِّدِيِّ اللَّهِ مَائِثَةً.
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ».

ما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن من مات على الكفر لن يغفر الله له، لأن النار وجبت له بموتته على الكفر، جاء موضحاً في آيات أخرى من كتاب الله.

قله تعالى: 

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتَوُا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مَأَثَرًا، قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ أَفْتَتَ نَفْسَهُمْ أَوْلِيَّاتِهِ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنَ الْنَّصِيرِينَ.»

وقوله تعالى: 

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتَوُا وَهُمْ كُفَّارٌ أَوْلِيَّاتُهُمْ عَلَيْهِمْ لَغَنِيَّةً / اللَّهُ»

والملكية والتابين أجمعين.

خلقون فيها لا يخفف عنهم الأذاب ولا تم بطلعوت.

وقوله تعالى: 

«وَلَا الَّذِينَ يَعْفُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أَوْلِيَّاتٌ أَعْدَدَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

وقوله تعالى: 

«وَمِنْ يَرْكَبَةَ يَنْضُكُمْ عَن دِيْبَجٍ قَيْسَتُ وَهُوَ صَفاَرُ».

وقوله تعالى: 

«وَمَنْ يَرْكَبَةَ يَنْضُكُمْ عَن دِيْبَجٍ قَيْسَتُ وَهُوَ صَفاَرُ».
ألق طفلك حبيطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولائك أصحب النار هم فيها
خليلداً.

قوله تعالى: ﴿فلا تضرونا ونذرونا إلى السلم وأشر الأعلون والله معكم ولن يتزور أعمالكم﴾.

قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير حمزة وشعبة عن عاصم: (إلى السلم) بفتح السين.

وقرأ حمزة وشعبة: (إلى السلم) بكسر السين.

وقوله تعالى: ﴿فلا تضرونا﴾ أي لا تضعفوا وتذروا، ومنه قوله تعالى: ﴿فما وصنا لنا أصابة في سبيل الله﴾، وقوله تعالى: ﴿ذلكم وأنت الله مولاه كيد ألك نزرون﴾ أي مضفع كيدهم، وقال زهير بن أبي سلمى:

وأخلفتك ابن البكري ما وعدت فأصبح الحبل منها واهناً خلقاً.

وقوله تعالى: ﴿أبهر الأعلون﴾ جملة حالية، أي فلا تضعفوا عن قتال الكفار (وتدعوا إلى السلم) أي تبدوا بطلب السلم، أي الصلح والمهادنة (وأتم الأعلون) أي والحال أنكم أتم الأعلون، أي الأفهرون والأغلبون لأعدائكم؛ ولأنكم تزرون من الله من النصر والثواب ما لا يزرون.

وهذا التفسير في قوله: ﴿أبهر الأعلون﴾ هو الصواب.

وتدل عليه آيات من كتاب الله، كقوله تعالى بعده: ﴿وأنتى معموم﴾؛ لأن من كان الله معه هو الأعلى وهو الغالب، وهو القاهر المنصور الموعود بالثواب.
فهو جدير بأن لا يضعف عن مقاومة الكفار ولا يبدأهم بطلب الصلح والمهادنة.

وقوله تعالى: "إِنَّ النَّاسَ لَيُقَدِّرُونَ النَّارَ لَعَلَّهُمْ يُقَدِّرُونَ إِلَيْهِمْ" الآية، وقوله تعالى: "وَهُمَا حَقًا عَلَىٰٓ النَّاسِ نَصْرُ الْمُوْمِنِينَ"، وقوله تعالى: "فَيَتَبْغُواْ بِهِمْ يَتَبْغُواْ عَلَيْهِمْ إِلَٰهٖ يَأْبَدِي إِلهَكُمْ وَيَتَبَزُّعُ وَيَفْتَرُ عَلَيْهِمْ إِلَّآ إِلَٰهٖ" الآية.

ومما يوضح معنى آية القتال هذه قوله تعالى: "وَلَا تُهْمِنَّهُمْ فِي أَيُّهَالَآتِ اللَّهُ آيَةً لَا يَجِزُوْتُهَا مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَجِزُوْتُهَا مِنْ أَنفُسِهِمْ" الآية؛ لأن قوله تعالى: "وَرَجَعُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَجِزُوْتُهَا" من النصر الذي وعدكم الله به والغلة وجزيل الثواب، وذلك كقوله هنا: "وَأَنْتُمْ الْأَطْلُوْنَ"، وقوله: "وَاللَّهُ مَعْمُوكُمْ" أي بالنصر والإعانة والثواب.

وعلم أن آية القتال هذه لا تعارض بينها وبين آية الأنفال، حتى يقال: إن إحدىهما ناسخة للأخرى، بل هما محكمتان، وكل واحدة منهما منزيلة على حالتغير الحال التي نزلت عليه الأخرى.

فالنهي في آية القتال هذه في قوله تعالى: "فَلَا تَبَغُواْ وَلَا تَبِغُواْ إِلَّآ إِلَّآ إِلَٰهً" إنما هو عن الابتداء بطلب السلام.

وال أمر بالجنوح إلى السلام في آية الأنفال محلة فيما إذا ابتدأ الكفار بطلب السلام والجنوح لها، كما هو صريح قوله تعالى: "وَإِنْ جَنَحُوْاْ لِلسَّلَّمِ فَأَجْعَلْهُ مَا تَوَلَّوْاْ عَلَى اللَّهِ" الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة "وَاللَّهُ مَعْمُوكُمْ" قد قدمنا 598.
الأيت المستحيلة له في آخر سورة النحل في الكلام على قوله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَسْتَ بِعَالِمِيْنَ هُمْ خَيْرُ عِلْمَيْنَ".

وهذا الذي ذكرنا في معنى هذه الآية أولى وأصولاً مما فسرها ابن كثير رحمه الله، وهو أن المعنى: لا تدعوا إلى الصلح والجهاد وأنت الأعلى، أي في حال قوتكم وقدرتكم على الجهاد.

أي، وأما إن كنت في ضعف وعدم قوة فلا مانع من أن تدعوا إلى الصلح وأنت الأعلى، ومنه قوله تعالى: "وَلَن يَزَكُرُ النَّاسُ إِلَّا مَا أَعْمَلُوا مِنْ عَمَلٍ حُسَنٍ ".

ووقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَلَن يَزَكُرُ النَّاسُ إِلَّا مَا أَعْمَلُوا مِنْ عَمَلٍ حُسَنٍ ".

ويستدعي بهذا، وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم نقصه تعالى شيئاً من ثواب الأعمال، جاء موضحًا في آيات أخرى كقوله تعالى: "إِنَّمَا نَذْكُرُكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِيُفْعَلَ الْحَسَنَةُ عِمْرَةً عَلَى النَّاسِ وَلِيُجْعَلْ مَثَلَّكَ مَثَلِ الْمُجَاهِدِينَ ".

والآيات بمجملها كلها معلومة، وقد قدمناه مرارًا.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَلَن يَزَكُرُ النَّاسُ إِلَّا مَا أَعْمَلُوا مِنْ عَمَلٍ حُسَنٍ ".

وهو الفرد.
فأصل قوله: (لن يتركم) لن يفردم ويجردم من أعمالكم.

* قوله تعالى: *(وَإِنْ تَوَلَّواْ فَتَنْفِقُواْ لِأَجْوَرِكُمْ)*.

هذه الأجور التي وعد الله بها من آمن وآثنى، جاءت مبينة في آيات كثيرة، كقوله تعالى: *(يَتَّبَعُنَاَ اللَّهُ وَمَآ أَعْمَلُواْ يَنفِقُواْ لِأَجْوَرِكُمْ فَلَمْ يَتَّخِذُواْ أَجْرًا فِيهِ وَيَعْفَرُ اللَّهُ ٱلْغَفَّۡرُ عَلَيْهِمْ)*، إلى غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: *(وَلَا يَعْفَرُ عَلَيْهِمْ أَجْرًا)*.

في هذه الآية الكريمة أوجه معلومة عند أهل التفسير، منها أن المعنى: ولا يعفّر الله أجرًا على ما بلغكم من الوحي المتضمن لخبر الدنيا والآخرة.

وهذا الوجه تشهد له آيات كثيرة من كتاب الله قوله تعالى: *(فَلْ يَا سَأَلُواْ مَنْ أَحْمَرَ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَحْمَرَ إِلَّاَ عَلَى اللَّهَ)*، وقوله تعالى: *(فَلَمْ يَتَّخِذُواْ أَجْرًا فِيهِ وَيَعْفَرُ اللَّهُ ٱلْغَفَّۡرُ عَلَيْهِمْ)*، وقوله تعالى: *(فَلْ يَا سَأَلُواْ مَنْ أَحْمَرَ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَحْمَرَ إِلَّاَ عَلَى اللَّهَ)*.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة هود في الكلام على قوله تعالى: *(وَإِنْ تَوَلَّواْ فَتَنْفِقُواْ لِأَجْوَرِكُمْ فَلَمْ يَتَّخِذُواْ أَجْرًا فِيهِ وَيَعْفَرُ اللَّهُ ٱلْغَفَّۡرُ عَلَيْهِمْ)*.

* قوله تعالى: *(وَلَا يَعْفَرُ عَلَيْهِمْ أَجْرًا)*.

* قوله تعالى: *(وَلَا يَعْفَرُ عَلَيْهِمْ أَجْرًا فِيهِ وَيَعْفَرُ اللَّهُ ٱلْغَفَّۡرُ عَلَيْهِمْ)*.

قد قدمنا الآيات الموضحة له قريبًا في الكلام على قوله تعالى:
فإن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهداىَ

الآية.

قله تعالى: (وإِنَّ قَوْمًا يَسَابِدُونَ الْهَيْبَةَ غَيْرَ كُفُوَّةٍ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْثَالُكُمُ ۖ) (38).

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: (إِنَّا نَزَّهْنَا أَلْبَاسَهُمْ إِنَّ آيَاتِي ۚ وَإِنَّا نَجْزِيهِمْ ۙ وَۚ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٗا) (39).
سورة الفتح
قوله تعالى: {إِنْ آتَيْناَ الْقُرْآنَ فَحَمَّيْنَا}.

التحقيق الذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية؛ لأنه فتح عظيم.

وإيضاح ذلك: أن الصلح المذكور هو السبب الذي تهgeries به للمسلمين أن يجتمعوا بالكافرون فيدعواهم إلى الإسلام ويبينوا لهم محاسنه، فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام.

وأما يوضح ذلك: أن الذين شهدوا صلح الحديبية مع النبي ﷺ في ذي القعدة عام ست كانوا ألفاً وأربعمئة، ولم أراد النبي ﷺ غزو مكة حين نقض الكفار العهد، كان خروجه إلى مكة في رمضان عام ثمان، وكان معه عشرة آلاف مقاتل.

وذلك يوضح أن الصلح المذكور من أعظم الفتوح؛ لكونه سبباً لقوة المسلمين وكثرة عددهم.

وليس المراد بالفتح المذكور فتح مكة، وإن قال بذلك جماعة من أهل العلم.

وإنا قد قلنا ذلك؛ لأن أكثر أهل العلم على ما قلنا؛ ولأن ظاهر
القرآن يدل عليه؛ لأن سورة الفتح هذه نزلت بعد صلح الحديبية في طريقه راجعاً إلى المدينة.

ولفظ الماضي في قوله: "إِذَا تَأْتَىٰ" يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعاوه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين، خلاف الظاهرة.

والآية التي في فتح مكة دلت على الاستقبال لا على الماضي، وهي قوله تعالى: "إِذَا أَجَابَهَا نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" الآية.

وقد أوضحتنا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب معنى اللام في قوله: "لَا يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا مَا نُقَضِّيتْ مِنْ ذَٰلِكَ" الآية.

قوله تعالى: "لَزَادَّنَا إِيَمَانًا عَنِّيْمَهُمْ".

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الإيمان يزيد، دلت عليه آيات أخرى من كتاب الله، قوله تعالى: "وَإِذَا تَلَقَّىْ عَلَّهُمْ مَعْلُومًا زَادْتُمْ إِيَمَانًا"، وقوله تعالى: "فَأَمَلَّيْنَ أَمَا مَنْ أَخَذَتْهُمْ إِيَمَانًا وَهُمْ مَتَّعُونَ"، وقوله تعالى: "لِيَسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَآياتِ اللَّهِ وَزَادَهُمْ مَالًا وَأَسْمَىْ إِيَمَانًا وإِيَمَانًا"، إلى غير ذلك من الآيات. وقد أوضحناها مرارًا.

والحق الذي لا شك فيه: أن الإيمان يزيد وينقص، كما عليه أهل السنة والجماعة، وقد دل عليه الوحي من الكتاب والسنة كما تقدم.

قوله تعالى: "وَلَوْ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ".

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن له جنود السماوات والأرض، وبين في المزيد أن جنوده هذه لا يعلمها إلا هو، وذلك في قوله: "وَمَا يَعْلَمُ جَنُودُهُ إِلَّا هُوَ".
سورة الفتح

قوله تعالى: "لَيْدَخِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ جَنَّةً تَجْرِي مِن تَحْبُّسٍ
الأَنْهَارُ حَديِّنَهَا وَيُبْكِنَّ عَنْهُم مَّشَاءِ اللَّهِ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوَّارًا
عَظِيمًا. وَيُعَدِّبُ الْمُتَفِقِينَ وَالْمُتَّفَقِينَ وَالْمُشَرِّكِينَ وَالْمُشَرِّكَاتِ
الْظَّانِينَ بِلَٰORDَ أَنَّهُ عَزَّ الْلَّدَّٰهُ الْأَلِيمُ".

أظهر الأقوال وأصحها في الآية أن اللام في قوله: "لَيْدَخِلُ" متعلقة بقوله: "لَيْدَخِلُ أَلْلَهُ أَلْلَهُ النَّكِيَّةَ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزِيدَهُمْ إِيمَانًا
مع إيمانهم".

وإيضاح المعنى: "لَيْدَخِلُ أَلْلَهُ النَّكِيَّةَ أي السكَّون
والطمأنينة إلى الحق، (في قلوب المؤمنين) (ليزيدوا) بذلك
(إيمانًا) لأجل أن يدخلهم بالطمأنينة إلى الحق وازدياد الإيمان (جنات
تجري من تحتها الأنهار).

ومفهوم المخالف في قوله: "لَيْدَخِلُ أَلْلَهُ النَّكِيَّةَ أن قلوب غير
المؤمنين ليست كذلك. وهو كذلك، ولذا كان جزاؤهم مخالفًا لجزاء
المؤمنين، كما صرح تعالى بذلك في قوله: "وَيُعَدِّبُ الْمُتَفِقِينَ
والْمُتَفِقِينَ وَالْمُشَرِّكِينَ وَالْمُشَرِّكَاتِ الْظَّانِينَ بِلَٰORDَ أَنَّهُ عَزَّ الْلَّدَّٰهُ الْأَلِيمُ".

وإيضاح المعنى: أنه تعالى وفق المؤمنين بإنزال السكينة وازدياد
الإيمان، وأشقى غيرهم من المشركين والمنافقين فلم يوفقهم بذلك،
ليجازي كلًا بمقضي عمله.

وهذه الآية شبيهة في المعنى بقوله تعالى في آخر الأحزاب:
"وَجَعَلَهَا الْإِنسَانَ إِنَّهُ كَانَ ذُكُورًا جَهَولًا
لَمَّا تَجْرِي مِن تَحْبُّسٍ الْمُتَّفِقِينَ وَالْمُتَفِقِينَ
وَالْمُشَرِّكِينَ وَالْمُشَرِّكَاتِ وَيُبْنِبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ".
* قوله تعالى: { وَغَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخْرِجْهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ}

وابتقت مصيرًا.

بين جل وعلا في الآية الكريمة، أنه يجازي المشركين والمشركات والمنافقين والمنافقات بثلاث عقوبات: وهي غضبه، ولعنته، ونار جهنم.

وقد بين في بعض الآيات بعض نتائج هذه الأشياء الثلاثة، قوله في الغضب: {وَمَنْ يَجِلِّ عَلَيْهِ غَضَبَٰنَ فَقَدْ هَوَىٰ} (8)، وقاله في اللعنـة: {وَمَنْ يَلُونَ اللَّهَ قَلِيلًا فَقَدْ نَكَرَهُ} (23)، وقاله في نار جهنم: {رَبُّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِلِ الْأَنْفُسَ فَقَدْ نَفَتْهُمْ} الآية.

* قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنُذِيرًا}.

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه أرسل نبيه محمدًا، شاهداً ومبشرًا ونذيراً.

/ وقد بين تعالى أنه يبعث يوم القيامة شاهداً على أمه، وأنه مبشر للمؤمنين ومنذر للكافرين.

قال تعالى في شهادته: {يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَمْتِهِ} (600) وقال تعالى: {فَحَكَّمَ إِذَا جَصَّتَا مِنْ كُلِّ أَمْثَلِ يُشَهِّدُونَ وَيُصَلِّونَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا}، وقال تعالى: {يَوْمَ يُنَبِّئُ فِي كُلِّ أَمْثَلِ شَهِيدًا عَلَى نَفْسِهِمْ وَكَذَٰلِكَ شَهِيدًا عَلَى هُؤُلَاءِ}.

فآية النساء وآية النحل المذكورتان الدالتان على شهادته يوم القيامة على أمه تبين آية الفتح هذه.

وما ذكرنا من أنَّ مبشر للمؤمنين ومنذر للكافرين، أوضحه في قوله تعالى: {فَإِنَّا بَشَرِّنَا يَسَابِقًا لِيُبَشِّرِ يَهُودَ} (40)، ونرى فيه: {وَقَمَا لَدَّى} (41).

وقد أوضحنا هذا في أول سورة الكهف.
سورة الفتح

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، ذكره وزيادة في سورة الأحزاب في قوله تعالى: «٥٩١. يَا أَرْسَالُنَا إِنَّ أَرَادَنَّكُمْ مَشَآءَهُوَ لَيْكُمْ وَمَشَآءُ اللَّهِ أَوْ أَرَادَنَّكُمْ ضَرًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ فَٰقِهَينَ».

وقوله هنا: «إِنَّ أَرْسَالُنَا شَهِيدًا» حال مقدرة. وقوله:

(ومشيراً ونديراً) كلاهما حال معطوف على حال.

قوله تعالى: «فَلَمْ تَعَلَّمْنَ نَفْسَكُمْ مِنْ أَلَّهٖ إِنَّكُمْ أَرَادُنَّكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادُنَّكُمْ فَنَعَا».

أمر الله جل وعلا نبيه أن يقول للمنافقين الذين تخلفوا عنه واعتذروا بأعذار كاذبة: «فَمَنْ يَعْمِلُ مِنَّكُمْ شَرًّا إِنَّكُمْ أَرَادْنَّكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادْنَّكُمْ فَنَعَا» أي لا أحد يملك دفع الضر الذي أراد الله إزالته بكم ولا منع النفع الذي أراد نفعكم به، فلا نافع إلا هو ولا ضار إلا هو تعالي، ولا يقدر أحد على دفع ضر أراده ولا منع نفع أراده.

ووهذا الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله، كقوله تعالى في الأحزاب: «فَلَمْ تَعَلَّمْنَ نَفْسَكُمْ مِنْ أَلَّهٖ إِنَّكُمْ أَرَادُنَّكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادُنَّكُمْ فَنَعَا»، وقوله تعالى في آخر يويس: «وَإِنْ يَمْسَكَ النَّارُ فَلَا سَتَكَشَفُ لَهُ إِلاَّ مَا هَوَى وَإِنْ يَمْسَكَ الْحَيَّ بِمَعْنَايْ» الآية، وقوله في الأعคม: «وَإِنْ يَمْسَكَ النَّارُ فَلَا سَتَكَشَفُ لَهُ إِلاَّ مَا هَوَى وَإِنْ يَمْسَكَ الْحَيَّ بِمَعْنَايْ»، وقوله تعالى في الناساء: «فَلَمْ تَعَلَّمْنَ نَفْسَكُمْ مِنْ أَلَّهٖ إِنَّكُمْ أَرَادُنَّكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادُنَّكُمْ فَنَعَا»، وقوله تعالى في فاطر: «فَمَا يَبْقِ النَّارُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ رَحْمَةٍ» الآية، وقوله تعالى في الملك: «فَلَمْ تَعَلَّمْنَ نَفْسَكُمْ مِنْ أَلَّهٖ إِنَّكُمْ أَرَادُنَّكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادُنَّكُمْ فَنَعَا».
أو يسمع إن أهل الكفية الله ومن يعن أو ينجا من يعبر الكفرين من عدا أبو إلمر. 

وقد ذكرونا بعض الآيات الدالة على هذا في أول سورة فأطار في الكلام على قوله تعالى: "ما يفجع الله للملائ من حِمَانه" الآية، وفي سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: "قل إن أفترى فلا تليكون لي بن الله سمتا" الآية. 

قوله تعالى: "فأنزل الله سجكينه على رسوله وعلي آلهومين" آية. 

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكرامة أنه أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين. والسكينة تشمل الطمانينة والسكن إلى الحق والثبت والشجاعة عند البأس. 

وقد ذكر جل وعلا إنزال السكينة على رسوله وعلى المؤمنين في براءة، في قوله تعالى: "ثم أنزل الله سجكينه على رسوله وعلي آلهمين" آية. وذكر إنزال سكينته على رسوله في قوله في براءة: "إذ يقول صاحبي، لا تخاف إنما أرسلت من الله مفتوحا فأنزل الله سجكينه على ربي" الآية، وذكر إنزال سكينته على المؤمنين في قوله: "فقعلم ما في قولهم فأنزل السكينة علىوهم الآية. 

وهذه الآيات كلها لم يبين فيها موضوع إنزال السكينة، وقد بين في هذه السورة الكرامة أن محل إنزال السكينة هو القلوب، وذلك في قوله: "هو الذي أنزل السكينة في القلوب أو فؤدوه" الآية. 

قوله تعالى: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين

الحق ليظهر على الذين كفروا" آية. 

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكرامة ذكره في سورة التوبة
وسورة الصف، وزاد فيهما أنه فاعل ذلك ولو كان المشركون يكرهونه، فقال في الموضوعين: "هو النزى أرسل رسولًا بإلهمة ودين
الله يليهم على الذين كفروا، ولا الهمج المشركون.

* قوله تعالى: "محمد رسول الله و الذين معه أشهدوا على ألكافار
رغباء بينهم".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة المائدة في الكلام على
 قوله تعالى: "فسوف يأتى الله يقويه و يجيئيه، أذلقو على المؤمنين أعزوا على
الكافرين".

* قوله تعالى: "ومن له في الإنجيل كرعب أخوج سطحكم، فتأذرو
فاستعذب فأستوى على سوفه، يعجب الزراع".

قرأ هذا الحرف ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر: (شطأه) 209

بفتح الطاء، والباقون من السبعة يسكون الطاء.

وقرأ عامة السبعة غير ابن ذكوان: (فازره) باؤلف بعد الهمزة،
وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (فازره) بلا ألف بعد الهمزة مجردة.

وقرأ عامة السبعة غير قنبل: (على سوقه) بواو ساكنة بعد
السين، وقرأ قنبل عن ابن كثير بهمزة ساكنة بدلًا من الواو، وعنـ
ضم الهمزة بعد السين، بعدها واو ساكنة.

وهذه الآية الكريمة قد بين الله فيها أنه ضرب المثل في الإنجيل
للنبي و أصحابه بأنهم كالزرع يظهر في أول نباته رقيقةً ضعيفًا
 متفرقًا، ثم يثبت بعضه حول بعض، ويلغظ ويتصل، حتى يقوى
ويشد وتعجب جودته أصحاب الزراعة العارفين بها، فكذلك
النبي وأصحابه كانوا في أول الإسلام في قلة وضعف، ثم لم يزالوا يكررون ويزادون قوة حتى بلغوا ما بلغوا.

وقوله تعالى: ۛ كَزَّعَ أَخْرَجَ مِنْهُمْ ۛ أَيْ فَرَاحَهُ فَنُبِتَ فِي جَوَانِبِهِ. ۚ وَقَالَ ۛ قَاُرِئُوْنَ ۛ عَلَى قِرَاءَةِ الْجَمِهُورِ مِنَ الْمَعازِرَةِ، بِمَعْنَى الْمَعاوَنَةِ وَالنَّقِوَةِ، وَقَالَ بَعْضُ الْعَلَماءِ: ۛ قَاُرِئُوْنَ ۛ أي سَاَوَاهُ فِي الْطُّولِ.

وبكل واحد من المعنين فسر قول امرئ القيس: بِمَهْنِيَّةٍ قَدْ أَزْرَ الْضَّالُّ نُبِتَهَا مَجَرًّا جَيْوِشٍ غَانِمِينَ وَجُبَّيْهِ. وأما على قراءة ابن ذكوان (فأزرهُ) بلا ألف، فالممعنى شد أزره، أي قوَاهُ. ومنه قوله تعالى عن موسى: ۛ وَأَجْعَلْ يَوْمَ يَدْرِسُ ۛ مِنْ أَهْلِ ۖ ۛ هَزْوُنَ آخِي ۛ أَشْدُدْ ۗ يْدَ ۖ أَرْزِيٓ ۛ الآية.

وقوله: ۛ تَأْسَفَ ۛ أي صار ذلك الزرع غليظًا / بعد أن كان رقيقاً، وقاله: ۛ فَأَسْتَوَىٓ ۛ أي استم وتكامِل (على سوته) أي على قضبه.

وما تضمنته الآية الكريمة من المثل المذكور في الإنجيل المضروب للنبي وأصحابه بأنهم يكونون في مبدأ أمرهم في قلة وضعف، ثم بعد ذلك يكررون ويقومون، جاء موضحاً في آيات من كتاب الله تعالى، كقوله: ۛ وَذَا ۛ كَسَّارٓ إِذَا أَنْتُمْ قِيلُ مُسْتَضِعُونَ فِي الأَرْضِ ۛ مَتَّعُونَ أَنْ يَنْبِتُوا مُنَّ أَنْتُمْ وَأَيْدَى مْ يَنْتَصِرُوا. الآية، وقوله تعالى: ۛ وَلَقَدْ نُصِرْكُمُ اللَّهُ ۛ بِسَبِيْلِ أَنْتُمُ ۛ أَيْهَا الْأُمَّةُ ۛ وَقَولَهُ تَعَالَى: ۛ أَلَيْوَمٞ يُبِسُّ الْأَلِينَ ۛ كَفَرُوْا مِن دِينِهِمْ فَلَاتَّخِذُوهُمْ وَأَخْشَوْبُوْنَ ۛ الآية. إلى غير ذلك من الآيات.
سورة الحجرات
قوله تعالى: «يَا بُنَيَّتُكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَادِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْتَوْا اللَّهَ يَا تُمِّنُ عَلَىٰكُمُ ۚ».

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (لا تقدموا) فيه لعلماء التفسير ثلاثة أوجه: الأول منها وهو أصحها وأظهرها: أنه مضارع قَدَّمَ، اللازمة بمعنى تقدم، ومنه مقدمة الجيش ومقدمة الكتاب، بكسر الدال فهما، وهو اسم فاعل قَدَّمَ بمعنى تقدم.

ويدل لهذا الوجه قراءة يعقوب من الثلاثة الذين هم تمام العشرة: (لا تقدموا) بفتح التاء والدال المشددة، وأصله: لا تقدموا، فحذفت إحدى التاءين.

الوجه الثاني: أنه مضارع قَدَّمَ، المعادي، والمفعول محذوف لِإِرَادَة التعميم، أي لا تقدموا قولا ولا فعلًا بين يدي الله ورسوله، بل أمسكوا عن ذلك حتى تصدروا فيه عن أمر الله ورسوله.

الوجه الثالث: أنه مضارع قَدَّمَ، المتدعة، ولكنها أجريت مجري اللازم، وقطع النظر عن وقوعها على مفعولها؛ لأن المراد هو أصل الفعل دون وقوعه على مفعوله.

ونظير ذلك قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُحيِي وَيُمِيتُ» أي هو
المتصفي بالإحياء والإماتة، ولا يراد في ذلك وقوعهما على مفعول.

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ هُلَّ يَسْتَبْدِلُونَ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لأن

114 المراد: أن المتصفين بالعلم لا يستوون مع غير المتصفين به، ولإلا

يراد هنا وقوع العلم على مفعول.

وذلك على هذا القول: (لا تقدموا) لا تكونا من المتصفين

بالتقديم.

وقد قدمنا في كلامنا الطويل على آية: ﴿أَفَلَا يَتَذَاخَرُونَ الْقُرْآنَ﴾

أن لفظة (بين يدي) معناها أمامه، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك.

والمعنى: لا تتقموا أمام الله ورسوله، فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله.

وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنفي عن التقديم بين يدي الله ورسوله، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً تشريع ما لم يأذن به الله، وتحريم ما لم يحرمه، وتحليله ما لم يحلله؛ لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله.

وقد أوضحنا هذه بالآيات القرآنية بكثرة في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْنَاهُمْ فِي آيَاتٍ مِّن ذَٰلِكَ﴾، وفي سورة الكوف في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْرَكُونَ فِي حُكْمِهِ﴾ أُحَدَّا، وفي سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يُهْدِي لِلْيَهُودِ وَالْقُرَآَنِ﴾، وفي غير ذلك من المواضع.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَالُواَ اللَّهُ﴾ أي بامتثال أمره واجتناب نهيه.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ عَلَمَ﴾ فهو سمع لكل ما تقولون من
التقديم بين يديه وغيره، عليكم بكل ما تفعلون من التقديم بين يديه وغيره.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَائَكُمْ فوق صوت أَنْبَيِّي ولَا تَجَهَّرُوا لهُ بِالْقُولِ كَجَهَّرَ بِعَضْعٍ أَيْضًا أن تَحْبَطَ أَعْمَالَكُمْ وَأَشْرَبْنَاهُمْ».


والذكر فيه، أنهم يقولون: لبندبر، وأدب، ورببك، فتهبط صوتهم، وعن أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، أي ينادونه باسمه: يا محمد، يا أحمد، كما ينادي بعضهم بعضًا.

وإذاً أمروا أن يخاطرونه خطابًا يليق بمقامه، ليس كخطاب بعضهم لبعض، كأن يقولوا: يا نبي الله، أو يا رسول الله، ونحو ذلك.

وقوله: «أن تحبظ أعمالكم» أي لا تفعلوا ذلك أبداً تحبظ أعمالكم، أو ينهاكم عن ذلك كراهة أن تحبظ أعمالكم (وأنتم لا تشعرون) أي لا تعلمون بذلك.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من لزوم توقير النبي ﷺ
وتعظيمه واحترامه، جاء مبينًا في مواضع أخرى، كقوله تعالى:

"ليتَوَفَّوا يَا بَنِي عَمَّانَة وَتَعَرَّفُوا وَتَوَقُّرُوا" على القول بأن الضمير في تعزوه وتوقره للنبي ﷺ، وقوله تعالى: "لا تجعلوا دعاء الرسل يشكوكم ببصاً" كما تقدم، وقوله تعالى: "فَالَّذِينَ آمَنوا وَعَمِرُوا وَتَصَدَّرُوا مَنْ أَصْحَبُوهُمَا".

وقوله هنا: (ولا تجهروا له بالقول) أي لا تنادوه باسمه: ك"يا محمد".

وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما يخاطبه بما يدل على التنظيم والتوقير، كقوله:

"بِكُلِّ أَنْبِيَةِ أَرْسَولٍ، كِتَابًا مُّبِينًا"، "كِتَابًا أَرْسَولٍ، كَبِيرًا مُّبِينًا"، "كَبِيرًا أَرْسَولٍ، كَبِيرًا مُّبِينًا"، مع أنه ينادي غيره من الأنباء بأسمائهم، كقوله: "واتَّقُوا يَدَ اللهِ "، وقوله: "وَتَتَّبَعُوهُ بِهِ"، وقوله: "قَالَ رَبِّي أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّكَ لَكَ بِهِ أَصْلَحُ"، وقوله: "إِذْ قَالَ رَبِّي وَيَسْتَعِي إِلَيْ مَعْمِنَةَ"، وقوله: "بَلِ الْيَوْمَ أَجَعَلْتُكَ شَفِيفًا".

أما النبي ﷺ، فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب، وإنما يذكر في غير ذلك، كقوله: "وَمَا حَمَّدَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قِبَلِهِ الرُّسُلُ"، وقوله: "وَمَا حَمَّدُ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الَّذِينَ مَعَهُ".

وقد بين تعالى أن توقيره واحترامه بعض الصوت عنه لا يكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتنقيو، أي أخلصها لها، وأن لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم، وذلك في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُغْفِرُونَ أَصْوَاتَهُمْ عَندَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنُّهُمُ اللَّهُ قَلُوبَهُمْ لِنَفْؤُدَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجرًا عَظِيمًا".
وقال بعض العلماء في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْوا لِمْ يَتَّقُولُونَ﴾ أي لا ترفعوا عنده الصوت كرفع بعضهم صوته عند بعض.

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية ما نصه: وفي هذا دليل على أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقًا، حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكونوه باللمس والمخافطة، وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة، أعني الجهر المنوؤت بجمالية ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم، وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة، وجلالة مقدارها، وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها. انتهى محل الغرض منه.

وظهر هذه الآية الكريمة أن الإنسان قد يحبث عمله وهو لا يشعر، وقد قال القرطبي: إنه لا يحبث عمله بغير شعوره. وظهر الآية يرد عليه.

وقد قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية، ما نصه:

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ تَفْحَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْ تَشْمَرُونَ﴾ أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه، فيحبث عمل من أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في الصحيح: ﴿إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمُ بالكِلَّمَةِ مِنْ رَضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى لا يَلَقُّهَا بَالْأَطْرَافِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمُ بالكِلَّمَةِ مِنْ سَخْطِ اللَّهِ تَعَالَى لا يَلَقُّهَا بَالْأَطْرَافِ، فَهُدِّهَا الْأَرْضَ، وَإِنَّا نَجْعَلُ الْأَرْضَ مُبَارَكاً لِلَّذِينَ يَحْبُسُونَ عِلْمَهُ وَهُمْ فِي السَّحْبِ وَلِغْطَ وَأَصْوَاتِهِمْ مُرْفَعَةَ أَرْتَفَعُوا مَزَعَجًا، كَلِهَا لَا يَجْزَى وَلَا يَلِقُّ، وَيَقْرَأُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَنْكَرُ».

ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، وله تعلم أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ، وهم في صخب ولغة وأصواتهم مرتفعة ارتفاعًا مزعجًا، كله لا يجوز ولا يلق، وإقرارهم عليه من المنكر.
وقد شدد عمر رضي الله عنه التكير على رجليه رفعاً أصواتهما في مسجدته، وقال: لو كنتا من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً.

مسألتان

الأولى: أعلم أن عدم احترام النبي ﷺ المشعر بالغرض منه أو تنقيشه والاستخفاف به أو الاستهزاء به رداً على الإسلام وكفر بالله.

وقد قال تعالى في الذين استهروا بالنبي ﷺ وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلته راحلته: «وَلَكُم مَا سَأَلْتُمُوهُمْ لِيُؤْلَفُوهُ إِنْ مَعَهُ هُدًى إِلَّا هُدًىٖ إِلَيْهِ وَرَسُولُهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يُصِيرُونَ». 218

فَدَّ كَفَّرَ بِعَدَّ إِسْكِنكُمْ.

السؤال الثانية: وهي من أهم المسائل: أعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص روبه، التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه، كحق النبي ﷺ، ليضع كل شيء في موضعه، على ضوء ما جاء به النبي ﷺ في هذا القرآن العظيم والسنة الصحيحة.

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص روبه: التقاء عبده إليه إذا دمتته الكروب التي لا يقدر على كشفها إلا الله.

فالتجاء المضرع الذي أحاطته به الكروب ودهمه الدواهي لا يجوز إلا لله وحده؛ لأنه من خصائص الربوبية، فصرف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته وطاعة رسوله ﷺ ومرضاته، وهو عين التوقيف والتعظيم للنبي ﷺ؛ لأن أعظم أنواع
توقيده وتعظيمه هو اتباعه والاقتناع به في إخلاص التوحيد والعبادته له.
وحته جل وعلا.
وقد بين جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه، أن التجاء المضطر من عباده إليه ووجهه في أوقات الشدة والكره، من خصائص روبيته تعالى.
من أصرح ذلك الآيات التي في سورة النمل أعني قوله تعالى:
\[
قُلْ لِلَّهِ وَسَلَّمُ عَلَى عِيسَى بْنِ مَيَلِثَةٍ أَصْطَفَىٰ
\]
إلى قوله:
\[
قُلْ هَكَانَ أَصْطَفَىٰ
\]
بْعَثَهُ مِنْ نَجَاتٍ صَدِيقٍ.
فإن جل وعلا قال في هذه الآيات الكرم العظيمات:
\[
قُلْ لِلَّهِ وَسَلَّمُ عَلَى عِيسَى بْنِ مَيَلِثَةٍ أَصْطَفَىٰ أَمَّا مَيْلِثَةٍ
\]
ثم بين خصائص روبيته الدالة على أنه المعبر وحده، فقال:
\[
أَمَّنِ خَلَقَ / السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاوَاتِ مَاءً فَأُلْهِمْتُ بِهِ حَدِيقَةٌ
ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا حَسَنَاتٌ لَّكُمْ أَن تُنْبِئُوا شَجَرَهَا أَيُّهَا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
يُرِيدُونَ
\]
يشكرون.
فهذه المذكورات التي هي خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإنباث الحدائق ذات البهجة، التي لا يقدر على إنباث شجرها إلا الله، من خصائص روبية الله، ولذا قال تعالى بعدها: {أَيُّهَا الَّذِينَ مُؤْمِنُونَ} يقدر على خلق السماوات والأرض وإنزال الماء من السماء وإنباث الحدائق به، والجواب: لا لأنه لا إله إلا الله وحده.
ثم قال تعالى: {أُمِّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ دِرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ مَا} روَاسِهِ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَيْحَاتِ حَاجِرًا أَوْلَى مَعَ اللَّهِ بِلا أَكْسَرُ مِنْهُمْ قَلْبًا.

655
سورة الحج: 87
فهذه المذكّرات أيضاً، التي هي جعل الأرض قرارة، وجعل الأنهار خلالها، وجعل الجبال الرواسي فيها، وجعل الحاجز بين البحرين، من خصائص ربيته جل وعلا، ولذا قال بعد ذكرها: (أَلَمْ يُنَبِّئُكُمُ الْمُضَطَّرُ وَإِنْ تَطَفَّئُوا فِيهِ). 

فالاعتراف الله جل وعلا بأن خلق السماوات والأرض وإنزال الماء وإنبات النبات ونحو ذلك مما ذكر في الآيات من خصائص ربيته جل وعلا هو الحق، وهو من طاعة الله ورسوله، ومن تعظيم الله وتعظيم رسوله بالقِدْرَةُه في تعظيم الله.

ثم قال تعالى: (أَلَمْ يُحْكَّمَ الْمُضَطَّرُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكُونَ أَشْهَوٌ وَيَجْعَلُكَ ثُمَّ خَلَفَكَ الأَرْضَ أَوْلِيَّةً مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَدْكَرُونَ).

فهذه المذكّرات التي هي إجابة المضطر إذا دعا، وكشف السوء، وجعل الناس خلفاء في الأرض، من خصائص ربيته جل وعلا، ولذا قال بعدها: (أَلَمْ يُنَبِّئُكُمُ الْمُضَطَّرُ وَإِنْ تَطَفَّئُوا فِيهِ). 

فتأمل قوله تعالى: (أَلَمْ يُنَبِّئُكُمُ الْمُضَطَّرُ وَإِنْ تَطَفَّئُوا فِيهِ) تعلم أن إجابة المضطرين إذا التجوز ودعوا، وكشف السوء عن المكررين، لا فرق في كونه من خصائص الروبية بينه وبين خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء وإنبات النبات، ونصب الجبال وإجراء الأنهار؛ لأنه جل وعلا ذكر الجميع بنسق واحد في سياق واحد، وأتبع جميعه بقوله: (أَلَمْ يُنَبِّئُكُمُ الْمُضَطَّرُ وَإِنْ تَطَفَّئُوا فِيهِ). 

فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله توجه إليه الإنكار السماوي
الذي هو في ضمن قوله: {أولهُ مَعَ الْلَّهِ}، فلا فرق البتة بين تلك المذكرات في كونها كلها من خصائص الروبية.

ثم قال تعالى: {أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي طُلُبَاتِ الْيَدَى وَالْبُلُوْغِ وَمَن يُرْسِلُ أَنْ يَشُرِّحُ بِكُلِّ بَيْتٍ يَدَى رَحْمَتِهِمْ}.

فهذه المذكرات التي هي هدى الناس في ظلمات البر والبحر، وإرسال الرياح بشراً، أي مبشرات، بين يدي رحمة النبي الذي هي المطر، من خصائص روبيته جل وعلا، ولذا قال تعالى: {أولهُ مَعَ الْلَّهِ}.

ثم نزل جل وعلا نفسه عن أن يكون معه إله يستحق شيئاً مما ذكر فقال جل وعلا: {أَنَّكِنَّ أَنتَ عَمَّا يَسْتَهْدِيُونَ}.

ثم قال تعالى: {أَمَّن يَدْعُو اللَّهَ ثُمَّ يُغَيَّرُ ذِكْرَيْهِ مَن يَرْفَعُ مَنذَرَكَ مِنَ السَّماوَاتِ}.

{وَلَاتَّابِعُونَ أُوْلِيَ الْبُيُوتِ مَعَ الْلَّهِ قَلْ لَوْ كَتَبْنَاهَا أَبْرَاهِيمُ}.

فهذه المذكرات التي هي بدء خلق الناس وإعادته يوم البعث، ورزقه للناس من السماء بإنشال المطر، ومن الأرض بإنبات النبات، من خصائص روبيته جل وعلا، ولذا قال بعدها: {أولهُ مَعَ الْلَّهِ}.

ثم أعجز جل وعلا كل من يدعى شيئاً من ذلك كله لغير الله، فقال آمرأ نبيه: {فَلَن يُخاطبَهُم بسِيَّةَ التَّحْيَزُ: قَبْلًا هَاتَوا أَيْدِيَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

وقد اتضح من هذه الآيات القرآنية، أن إجابة المضطرين الداعين، وكشف السوء عن المتكروبين، من خصائص الروبية، كخلق السماوات والأرض وإنزال الماء، وإنبات النبات، والحجز بين البحرین، إلى آخر ما ذكر.

وكون إجابة المضطرين وكشف السوء عن المتكروبين من
خصائص الروبية، كما أوضحه تعالى في هذه الآيات من سورة النمل، جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى مخاطباً نبيه:

{ وإن يمسك الله يضر فلا سكرف الله إلا هو وآيت يزيد يعبر فلا رأى}

فكلمة يمدحها يصرفه من شأنا من عباده.

وقوله تعالى: { وإن يمسك الله يضر فلا سكرف الله إلا هو وآن}

{ يمسك يعبر فهو على كل شيء قديم }.

وقوله تعالى: { ما يفتح الله للناس من رحمته فلا ممسيك لها وما يمسك خير مرسل الله الآية }.

فعلاً معجزة المسلمين أن تتأمّل هذه الآيات القرآنية وتعتقد ما تضمنته وعمل به لكون بذلك مطيعين لله تعالى ورسوله، معظمين لله ورسوله، لأن أعظم أنواع تعظيم رسول الله هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص العبادة لله جل وعلا وحده.

فإخلاص العبادة له جل وعلا وحده، هو الذي كان يفعله ويأمر به، وقد قال تعالى: { وما أمرنا إلا إلّا إعبدوه وخلصه له اللاتين }، وقال تعالى: { قل إن أمرت أن أعبد الله خلصه الله اللاتين } إلى قوله: { فاعبد ما أعلم من دونه }.

واعلم أن الكفار في زمن النبي كانوا يعلمون علمًا يقينًا أن ما ذكر من إجابه المضطر وكشف السوء عن المكر، من خصائص الروبية، وكانوا إذا دهمتهم الكروب، كإحاطة الأمواج بهم في البحر في وقت العواصف، يخلقون الدعاء لله وحده، لعلمهم أن كشف ذلك من خصائصه، فإذا أنجحهم من الكرب رجعوا إلى الإشراك.
سورة الحجرات

وقد بين الله جل وعلا هذا في آيات من كتابه كقوله تعالى:

«هو الذي يُسيِّرُ في البحيرُ حتى إذا كُنت مَفَاعِلًا إِنما يُحَيِّي طَيْبَةً وَقَرْحًا يَبْعِثُهَا بِرَحْمَةٍ لِّيَنصِفَ وَبِكَ عَاجِزَةٌ مَّعْيُهُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ۖ وَظَلَّلْنَا أَنْتَ أَحْزَنَتْ لَكُنْ مَّا تَصَدَّرَنَّ مِنَ الشَّكِيرِينَ.»

فَلما أنجحهم إذا هم يتعون في الأرض يخير الحي.

وقوله تعالى: «قل من ينجحكم من طَلْبَتِ الْحَيَّ وَبِالْبَحْرِ تَنْزِعُونَ مَضْرَعاً وَحَفْيَةَ لَنَأَجْمَنَا مِن هَذِهِ لَكُنْ مَّا تَجْهَلْنَا مِن هِيَاهُ لَكُنْ مَّا تَضَرَّعْنَا.»

ثم أنتم تضترون. قال هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم الآية.

وقوله تعالى: «قل أَرَأَيْتُمُ إِنَّكُم مِّنْ أَنْتُمْ السَّاعِةَ أَحْيَانِ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنْتُمْ صَدْرِينَ بَلْ إِنَّهُمَا تَدْعُونَ فِي كَفْشِ فِي إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَكُنْتُمْ مَا مَشْرَكُونَ.»

وقوله تعالى: «وَإِذَا مَسَّكَ الْقَطْرُ فِي الْبَحْرِ سَتُّنَارُونَ مِن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَا تُنْشِرْنَا إِلَى الْبَيْخَكَمْ كَأَنَّ الْإِنسَانَ كَبْرُ أَفَأَيْضَأَنَّكُمْ بِمَاهِيِّ الْبَيْخَكَمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ أَيْضَأَنَّكُمْ بِمَاهِيِّ الْبَيْخَكَمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ لَمْ تَجَدُوا أَكْرَمَهُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ أَوْ تُنْصَبْ عَلَيْكُمْ حَسَبَهُمْ L

وقد قدمنا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى:

«وَإِذَا مَسَّكَ الْقَطْرُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ» آية: أن سبب إسلام عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه أنه لما فتح النبي ﷺ مكة ذهب
فأراً منه إلى بلاد الحبشة، فركب في البحر متوجهاً إلى الحبشة. فجاءهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله إن كان لا ينفع في البحر غيره، اللهم لك علّي عهد لحن أخرجي منه لأذهبن فالأضعن يدي في يد محمد ﷺ فلاجدنه رؤوأ رحیماً، فخرجوا من البحر، فخرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه. انتهى.

وقد قدمنا هناك أن بعض المتسمين باسم الإسلام أسوأ حالاً من هؤلاء الكفار المذكورين، لأنهم في وقت الشهداء يلجؤون لغير الله طالبين منه ما يطلب المؤمنون من الله، بما ذكر تعلّم أن ما انتشر في أقطار الدنيا من الاتجاه في أوقات الكروب والشهداء إلى غير الله جل وعلا، كما يفعلون ذلك قرب قبر النبي ﷺ عند قبور من يعتقدون فيهم الصلاح زاعمين أن ذلك من دين الله ومحبة الرسول ﷺ وتعليمه ومحبة الصالحين، كله من أعظم الباطل، وهو انتهاك لحمرات الله وحرمات رسوله.

لأن صرف الحقوق الخاصة بالخالق التي هي من خصائص ۲۴۴ روبيته إلى النبي ﷺ أو غيره ممن يعتقد فيهم الصلاح، مستوجب سخط الله وسخط النبي ﷺ وسخط كل متبع له بالحق.

ومعلوم أن صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر بذلك هو ولا أحد من أصحابه، وهو ممنوع في شريعة كل نبي من الأنبياء، والله جل وعلا يقول: ﴿ ما كان ليتسك نَؤْتِيَهُ الْكِتَابَ وَالْحَكْمَ وَالْعَلْفَةَ ثُمَّ يَقُولُ للشَّيْرَى كَوْنُوا يَعْبَدُونَ ليّ من دونِيَّ وَلَكْنَ كَوْنُوا رَبِّينِينَ﴾ ﷺ.
سورة الحجارات

الكتب وَا حَمَّلْنَاهُ نَزْلًا عَلَى مُسْلِمٍ ۤ وَلاَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَنْجُدُوا مَن تَجَدُوا أَنَبِيَّكُمُ الْمُثْلُكَةَ وَالْمُتَّقِينَ آمِنًا

أَيُّهَا الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْنَإِنْ تُؤْمِنُونَ أَن تُقَلِّبُوا مُسْلِمًا ۖ إِنَّمَا الْمُتَّقِينَ آمِنًا

بل الذي كان يأمر به هو ما يأمره الله بالأمر به في قوله تعالى : { فَلَيْتَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا تَسَاءَلُوا إِلَى حَكِيمٍ سُؤَالَيْنِ بِيَتَنا وَيَتَكُونُ أَن يُنْفِقُنَّ يَوْمَئَذٍ إِلَّا مَالَهُمُ الْحَيَاتُ الْأُخَرُ بَعْضًا بَعْضًا يُبْتَغُونَ بِهِ عُفُوًّا مِّنَ اللَّه ۚ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُشْرِكِينَ}

وَلَا يَشَدُّ شَّيْئًا فَبَعْضُهُ وَلَا يَشَدُّ بَعْضًا بَعْضًا يُبْتَغُونَ بِهِ عُفُوًّا مِّنَ اللَّه ۚ فَإِنَّ اللَّه لَا يُحِبُّ الْمُشْرِكِينَ

آمَنًا مُّسْلِمًا ۖ}

واعلم أن كل عاقل إذا رأى رجلاً متدينًا في زعمه، مدعياً حب النبي ﷺ وتعظيمه، وهو يعظم النبي ﷺ ويمتحنه بأنه هو الذي خلق السماوات والأرض وأنزل الماء من السماء وأثبت به الحدائق ذات البحجة، وأنه هو الذي جعل الأرض قرآناً وجعل خلالها أهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً، إلى آخر ما تضمنته الآيات المتقدمة، فإن ذلك العاقل لا يشك في أن ذلك المادح المعظم في زعمه من أعداء الله ورسوله المتعدين لحدود الله.

وقد علمت من الآيات المحكمات أنه لا فرق بين ذلك وبين إجابة المضطرين وكشف السوء عن المكروبين.

/ فعلينا معاشر المسلمين أن نتبث من نومة الجهل، وأن نعزي

ربنا بامتثال أمره واجتناب نهيه، وإخلاص العبادة له، وتعظيم نبينا ﷺ باتباعه والافتدائه به في تعظيم الله والإخلاص له والإقداء به في كل ما جاء به، وألا نخالفه ﷺ ولا نتعصبه، وألا نفعل شيئاً يشعر بعدم التظليم والاحترام، كرفع الأصول وقرب قبره ﷺ.

وقدنا النصيحة والشفقة لإخواننا المسلمين، ليعملوا بكتاب الله، ويعظموا نبيه ﷺ تعظيم الموافق لما جاء به ﷺ، ويتركوا
ما يسميه الجهلة محبة وتعظيماً وهو في الحقيقة احتقار وإزدراء وانهاء لحرمات الله ورسوله ﷺ، «ليس بإمانكم ولا أمانة أهل الالكابط من يعمل سوءاً يجره الله ولا يجده ألم من دون الله ولياً ولا نصيرًا ومرس يعمل من الصائبات من دكره أو أنت وهم مؤمنون فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون قفيراً».

واعلم أيضاً رحمك الله: أنه لا فرق بين ما ذكرنا من إجابة المضطر وكشف السوء عن المكروب، وبين تحصيل المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله، كالحصول على الأولاد والأموال وسائر أنواع الخير.


وفي الحديث: «إذا سألت فاسأل الله».

وقد أثني الله جل وعلا على نبيه ﷺ وأصحابه بالتجاثم إليه وقت الكرب يوم بدر في قوله: «إذ تسبحون ربكم فاستجاب لحكم الآية. فنباين كان هو وأصحابه إذا أصابهم أمر أو كرب التجاوي إلى الله وأخلصوا له الدعاء. فعليك أن تتبع ولا نبتدع.

تنبيه

علم أنه يجب على كل مسلم أن يتأمل في معنى العبادة، وهي
تشمل جميع ما أمر الله أن يتقرب إليه به من جميع القربات، فيخلص تقربه بذلك إلى الله ولا يصرف شيئاً منه لغير الله كائناً ما كان.
والظاهرة أن ذلك يشمل هياط العبادة، فلا ينبغي للمسلم عليه أن يضع يده اليمنى على اليسرى كهيأة المصلِّي؛ لأن هيأة الصلاة داخلة في جملتها، في ينبغي أن تكون خالصة لله، كما كان هو وأصحابه يخلصون العبادات وهياطها لله وحده.

قوله تعالى: 
"يتأثث يا الذين عذبنا وإن جاء كفر قابض يبلى".
فَسَفَتَبُواَنَّكُمْ أَقْضَأَمَا بِجَهَّلٍ فَضَيْخَعُواْ عَلَى مَا فَعَلُّتمْ نَلَّمِينَ

نزلت هذه الآية الكريمة في الولد بن عقبة بن أبي معيط، وقد أرسله النبي  إلى بنى المصطلح من خزاعة ليأتيه بصدقات أموالهم، فلما سمعوا به تلقوا فرحًا به، فخفى منهم وظن أنهم يريدون قتله، فرجع إلى النبي  وزعم له أنهم منعوا الصدقة وأرادوا قتله، فقدم وفد منهم إلى النبي  فأخبروه بكذب الولد فأتزل الله هذه الآية.

وهي تدل على عدم تصديق الفاسق في خبره.

وصرح تعالى في موضع آخر باللهي عن قبول شهادة الفاسق، وذلك في قوله:
"وَلَوْ نَبَيَلُوْاْ هُمْ شَهِيْدٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُفْسِقُونَ".
ولا خلاف بين العلماء في رد شهادة الفاسق وعدم قبول خبره.

وقد دلت هذه الآية من سورة الحجرات على أمرين:
الأول منهما: أن الفاسق إن جاء بنباً ممكن معرفة حقيقته، وهل ما قاله فيه الفاسق حق أو كذب، فإنه يجب فيه التثبت.
والثاني: هو ما استدل عليه بها أهل الأصول من قبول خبر العدل؛ لأن قوله تعالى: {إن جَآتِيُّكُمْ فَآيَضَّاتُكُمْ يَبْدِلُنَّ بِذَلِيلٍ} يدلُّ بدليل خطابه، أعني مفهوم مخالفته، أن الجاني بناء إن كان غير فاسق بل عدلًا، لا يلزم التبين في نبه، على قراءة: فتبتينوا، ولا التثبت على قراءة: فثبتوا. وهو كذلك.

وأما شهادة الفاسق فهي مردودة كما دلت عليه آية النور المذكورة آنفاً.

وقد قدمنا معنى الفسق وأنواعه في موضع متعدد من هذا الكتاب المبارك.

وقوله {آن تَبْتِينُوا قَوْمًا} أي لئلا تصيبوا قومًا، أو كراهية أن تصيبوا قوماً بجهالة، أي لظلمكم التنبأ الذي جاء به الفاسق حقاً، فتصبحوا على ما فعلتم من إصابتكم للقوم المذكورين (نادمين) لظهور كذب الفاسق فيما أتبأ به عنهم؛ لأنهم لو لم يتبينوا في نبأ الويل عن بني المصطلق لعاملوه معاملة المرتدين، ولو فعلوا ذلك لندموا.

وقرأ هذا الحرف عامة السبعة غير حزمة والكسائي: {فتبتينوا} بالباء التحتية الموحدة بعدها مثنأة تحتية مشددة ثم نون. وقرأ حزمة والكسائي: {فتبتينوا} / بالاثني المثلثة بعدها باء تحتية موحدة مشددة ثم ناء مثنأة فوقية.

والأول من التبين، والثاني من التثبت. ومعنى القراءتين واحد، وهو الأمر بالتأني وعدم العجلة حتى تظهر الحقيقة فيما أتبأ به الفاسق.
قوله تعالى: {ولكن الله حب إليكم الإيمان وزيتكم في قلوبكم وذكرى إيمانكم وحسنكم ونوركم}. ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أنه هو الذي حب إليهم الإيمان وزيتهم في قلوبهم، وذكرى إيمانهم وحسنهم ونورهم. والنصب جاء موضحاً في آيات كثيرة مصرف فيها بأنه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كقوله تعالى: {من يهد الله فهو المهدي ومن يستحل له فلن يجد له من أولياء من دونه} الآية.

وقوله تعالى: {ولقد يهد الله فهو المهدي ومن يضلل فإن له من أولياء} الآية.

وقوله تعالى: {ومنه يهد الله فهو المهدي ومن يضلل فإن له من أولياء} الآية.

وقوله تعالى: {وقد سماوتهما فأحقهما جوهرها وفوقها} الآية.

والآيات مثل هذا كثيرة معلومة، نرجو الله أن يهدينا وألا يضلنا.

قوله تعالى: {إِنَّا لِلْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ} الآية.

هذه الأخوة التي أثبت الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة للمؤمنين بعضهم لبعض هي أخوة الدين لا النسب.

وقد بين تعالى أن الأخوة تكون في الدين في قوله تعالى: {فإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَا بَعْضَهُمْ فَلَهُمْ كُلُّ عِزَّةٍ} الآية.

وقد قدمها في سورة بنى إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّهُذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلْيَتَّبِعِينَ} قال الله تعالى: {أَقْوَمُ.} أن الأخوة الدينية أعظم وأقوى.
من الأخوة النسبية، وبينًا أدلة ذلك من الكتب والسنة، فأعنى ذلك عن إعداده هنا.

قوله تعالى: {يتأذى أهل الذئب، ثم لا يسخر قوم من قومٍ عالِمٍ}

أن يكونوا خيراً منهم ولا يساه من ذي سوء عمر، وأن يكون خيراً منهم.

قوله: {لا يسخر قوم من قومٍ} أي لا يستخفوا ولا يستهزؤوا بهم، والعرب تقول: صخر منه، بكسر الخاء، يسخر، بفتح الخاء.

على القياس، إذا استهرنا به واستخفنا.

وقد نهى الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن السخرية من الناس، مبيناً أن المسخر منه قد يكون خيراً من الساخر.

ومن أقبل القبيح استخفاف الدنيء الأرز في الأكرم الأفضل، واستهزأ به.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من النهي عن السخرية، جاء ذم فاعله وعقوبته عند الله في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: {الذين تركوا المطيعين من المؤمنين في الصدقة والذين لا يجدون}.

ألا جهد هم يسخرون بينهم سحر الله يعتهم وهم عداب أليم.

وقد بين تعالى أن الكفار المترفين في الدنيا كانوا يسخرون من ضعاف المؤمنين في دار الدنيا، وأن أولئك يسخرون من الكفار يوم القيامة، كما قال تعالى: {ربني لنذر كفرنا الحياة الدنيا ونصهرن من أهل الدين}، وأن الأولين نفروا نحوهم، يوم القيامة، وقال تعالى: {إن الذئب أجرم}.

وإذا مروا بهم يغاصرون إلى قوله تعالى: {قيل لآلذين إنا من الكفار يضحكون على الآيات ينظرون هل يعقلون ما كنا يعقلون}. 

260
فلان ينبغي لمن رأى مسلماً في حالة رئة تظهر بها علية آثار الفقر والضعف أن يسخر منه، لهذه الآيات التي ذكنا.

* قوله تعالى: *(ولا تليموا أنفسكم)*.

أي لا يلزم أحدكم أخاه، كما تقدم إيضاحه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: *(إِن هَذَا الْقُرآنِ يَهْدِي إِلَى َّالثًيُهْلِكَ وَيَهْدِي إِلَى َّالْأٓمُومَيْنِ)*.

والله أوعده جل وعلا الذين يلممون الناس في قوله تعالى: *(وَلَيَصْلِحُ ِلَّهُ ِهِمْ َّأَمْرَهُمْ)*، والهمزة كثير الهمز للناس، واللمزة كثير اللزم.

قال بعض العلماء: الهمز يكون بالفعل، كالغمز بالعين احتقاراً والازدراء، واللمز باللسان، وتدخل في الغيبة.

وقد صرح الله تعالى بالنهي عن ذلك في قوله: *(ولا يغَيِّبْ بِغَيْبٍ يُغِيبُ بِغَيْبٍ)*، ونفر عنه غاية التنفير في قوله تعالى: *(أَيْجَبُ أَحْدَهُمْ أن يُؤَطَّلَ لَحْمَ أَحِيه مَيْتًا فَكِفِيَّمُوهُ)*، فيجب على المسلم أن يتباعد كل التباعد من الوقوع في عرض أخيه.

* قوله تعالى: *(يَا نُزُّلَا أَلَّا خَلَقْنِي مِن ذَرِّكَ وَأَنتِ)*.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه خلق الناس من ذكر وأنثى، ولم يبين هنا كيفية خلقه للذكر والأنثى المذكورين، ولكنه بين ذلك في مواضع أخرى من كتاب الله.

فيبين أنه خلق ذلك الذكر الذي هو آدم من تراب، وقد بين الأطوار التي مر بها ذلك التراب، كصيروته طيناً لا زياً وحماً مسنوناً وصلصالاً كالفخار.
وبين أنه خلق تلك анثى التي هي حواء من ذلك الذكر الذي 
هو آدم، فقال في سورة النساء: «يجعلن له آدم نسего نقيم 
ونحن ولأنيها زوجها وَبَيْنَ يَنْحَبَا كِيْثَارًا وَسَلَةً »، وقال تعالى في 
الأعراف: «كِيْثَانَّ هَوَآ الَّذِي خَلَقْكُم مِّنْ نَفْسٍ وَجِيَّدٍ وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكِنُ 
إِلَيْهَا »، وقال تعالى في الزمر: «فَخَلَقْنَاهُ مِنْ نَفْسٍ وَجِيَّدٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهَا زَوْجَهَا».

وقد قدمنا أنه خلق نوع الإنسان على أربعة أنواع مختلفة: 
الأول منها: خلقه لا من أنثى ولا من ذكر، وهو آدم عليه 
السلام.

والثاني: خلقه من ذكر بدون أنثى، وهو حواء.

والثالث: خلقه من أنثى بدون ذكر، وهو عيسى عليه وعلى نبي 
الصلاة والسلام.

والرابع: خلقه من ذكر وأنثى، وهو سائر الآدميين.

وهذا يدل على كمال قدرته جل وعلا.

مسألة

قد دلت هذه الآيات القرآنية المذكورة على أن المرأة الأولى 
كان وجودها الأول مستندًا إلى وجود الرجل وفرعاً عنه. 
وهو أمر كوني قدري من الله، أنشأ المرأة في إيجادها الأول 
عليه.

وقد جاء الشرع الكريم المنزل من الله ليعمل به في أرضه، 
بمراعاة هذا الأمر الكوني القدري في حياة المرأة في جميع النواحي.
فجعل الرجل قائماً عليها، وجعلها مستندة إليه في جميع
شؤونها، كما قال تعالى: {أَلَمْ يَكُونَ عَلَى الْيَسَّارِ} الآية.
فمحاولة استواء المرأة مع الرجل في جميع نواحي الحياة
لا يمكن أن تتحقق؛ لأن الفوارق بين النوعين كوناً وقدراً أولاً،
وشرعاً منزلاً ثانياً، تمنع من ذلك منعاً باتاً.
ولقوة الفوارق الكونية والقدرة والشرعية بين الذكر والأنثى،
صح عن النبي ﷺ أنه لن عين المشبه من النوعين بالآخر.
ولا شك أن سبب هذا اللعن هو محاولة من أراد التشبه منهم
بالآخر، لتحظيم هذه الفوارق التي لا يمكن أن تتحطم.
وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله
عنهم قال: {لعن رسول الله ﷺ المشبهين من الرجال بالنساء
والمشبهات من النساء بالرجال}.
وقد قلمنا هذا الحديث بنده في سورة بني إسرائيل، وبينا
هناك أن من لعنه رسول الله ﷺ فهو ملعون في كتاب الله، فلو كانت
الفوارق بين الذكر والأنثى يمكن تحظيمها وإزالتها لم يستوجب من
أراد ذلك اللعن من الله ورسوله.
ولأجل تلك الفوارق العظيمة الكونية القدرة بين الذكر
والأنثى، فرق الله جل وعلا بينهما في الطلاق، فجعله بيد الرجل دون
المرأة، وفي الميراث، وفي نسبة الأولاد إليه، وفي تعدد الزوجات
دون الأزواج، وصرح بأن شهادة امرأتين بمثلة شهادة رجل واحد في
قوله تعالى: {قَلْ لَمْ يَكُونَ رَجُلٌ يَشْهَدَ وَأَمْرَ اثْنَىٰ} الآية، فالله الذي
خلقهما لا شك أنه أعلم بحقيقةهما، وقد صرح في كتابه بقيام الرجل
مقام امرأتين في الشهادة.
وقد قال تعالى:  
\[ \text{ألْكُمُ الْذِّكَارُ وَلَهُمُ الْأَنْثَى} \]

وأي غير عادلة، لعدم استواء النسويين، لفضل الذكر على الأنثى.

ولذلك وقعت امرأة عمران في مشكلة لما ولدت مريم، كما قال تعالى عنها:  
\[ \text{فَلَمَّا وَضَعْتُهَا قَالَتْ رَبِّي إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْثىٰ وَأَنَّ اللَّهَ أُعْلَمُ أَيْما وَضَعْتُ} \]

وليس الذكور كالأنثى  
الآية.

فامرأة عمران تقول:  
\[ \text{ولِيَسُ الْذِّكَارُ كَالْأَنْثىٰ} \]

وهي صادقة في ذلك بلا شك.

والكفرة وأتباعهم يقولون: إن الذكر والأنثى سواء.

ولا شك عند كل عاقل في صدق هذه السالبة وكذب هذه الموجبة.

وقد أوضحنا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى:  
\[ \text{إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهِدُ الْيَتِيمَ وَالْأُمَّاتِ} \]

وجه الحكمة في حكم الطلاق بيد الرجل، وتفضيل الذكر على الأنثى في الميراث، وتعدد الزوجات، وكون الولد ينسب إلى الرجل، وذكراً طراً من ذلك في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى:  
\[ \text{وَالِيَالِدَّ يَهْيَهُ دُرِّاً} \]

وإذنا أن الفوارق الطبيعية بينهما كون الذكور شرفاً وكمالاً وقوة طبيعية خلقية، وكون الأنثى بعكس ذلك.

وإذنا أن العقلاء جميعاً مطبكون على الاعتراف بذلك، وأن من أوضح الأدلة التي بينها القرآن على ذلك اتفاق العقلاء على أن الأثرة من حين نشأتها تجلب بأنواع الزينة من حلي وحلل، وذلك لجبر النقص الجبلي الخلقي الذي هو الأثرة، كما قال الشاعر:

وما الحلي إلا زينة من نقيصة  

يتم من حسن إذا الحسن قصراً
وسقينا أن الله أوضح هذا بقوله: "أُومِنْ نُشَاءُ فِي الْجَلِيْلِ وَهُوَ فِي النُّصَائِبِ غَيْرِ مُسْنَادٍ"، فأنكر على الكفار أنهم مع أدعائهم لولد له تعالى جعلوا له أ低估ما الولدين وأضعفهما خلقة وجعلة وهو الأنثى، وذلك نشأت من صغيرة لتجهيز التخصص الذي هو الأنشطة وجرة بالذين، فهو في الخصام غير مبين؛ لأن الأنثى لضعفها الخلقي الطبيعية لا تقدر أن تبين في الخصام إبانة الفحول الذكور إذا اهتممت وظلمت لضعفها الطبيعية.

وإنكار الله تعالى على الكفار أنهم مع أدعائهم لولد جعلوا له أخفض الولدين وأضعفهما كثير في القرآن، ك قوله تعالى: "أُصْطَنُي الْبَنَاتِ عَلَى الْذَّكَرِينَ مَا كَرَّ كَيْنَتْ تَكُونُ"، وقاله: "أَقَصِينَكُم رَيْسَمًا بَالْمَيْنَانِ وَأَمْهِدْنَكِينَ الْمَلِكَةَ إِنْ كُنْتُمْ أَكْثَرَ لَنَقْلِبُنَّ قَوْلًا عَظِيمًا"، وقاله تعالى: "فَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يُجْزِدَ وَلَدًا أَصْطَنَّى مَا يَجْعَلُ مَا يَشَاءُ"، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وأما الذكور فإنه ينشأ في الخلية؛ لأن كمال ذكره وشرفاً وقوتها الطبيعية التي لا يحتاج معه إلى التزين بالخلية التي تحتاج إليه الأنثى، لكماله بذكوره ونقشها بأنوثتها.

ومما لا نزاع فيه بين العقلاء أن الذكور والأنثى إذا تعاشرا المعاشة البشرية الطبيعية التي لا بقاء للبشر دونها، فإن المرأة تتأثر بذلك تأثراً طبيعياً كونياً قدرياً ماناً لها من مزاولة الأعمال، كالحمل والنفاس وما نشأ عن ذلك من الضعف والمرض والألم، بخلاف الرجل فإنه لا يتتأثر بشيء من ذلك.

ومع هذه الفوارق لا يتجأ على القول بمساواتهما في جميع
الميادين إلا مكارب في المحسوس، فلا يدعو إلى المساواة بينهما إلا من أعيى الله بصيرتاه.

وقد قدمنا في الموضعين اللذين أشرنا لهما من هذا الكتاب المبارك ما يكفي المنصف، فأعذر عن إعادته هنا.

* قوله تعالى: «وجعلناك شعوباً وقوماً لتعارفوا».

لما كان قوله تعالى: «إِنَا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَرِّيَّةٍ وَأَنثىٍ» يدل على استواء الناس في الأصل؛ لأن أباهم واحد وأمهم واحدة، وكان في ذلك أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب وتطاول بعض الناس على بعض، بين تعالى أنه جعلهم شعوباً وقبائل لأجل أن يتعارفوا، أي يعرف بعضهم بعضًا، ويتميز بعضهم عن بعض، لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ويتاول عليه.

وذلك يدل على أن يكون بعضهم أفضل من بعض وأكرم منه إنما يكون بسبب آخر غير الأنساب، وقد بين الله ذلك هنا بقوله: «إِنَّ أُكْرِمَتُكُمْ عَلَىَّ أَنْفَكُمْ».

فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيرة من الانتساب إلى القبائل، ولقد صدق من قال:

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وقد ذكروا أن سلمان رضي الله عنه كان يقول: "أبي الإسلام لا أب لي سواء إذا افتخروا بقيس أو تيميم وهذه الآيات القرآنية، تدل على أن دين الإسلام دين سماوي صحيح، لا نظر فيه إلى الألوان ولا إلى العناصر، ولا إلى الجهات".
وابنها المعتبر فيه تقوى الله جلّ وعلا وطاعته، فأكرم الناس وأفضلهم
أتكهم الله، ولا كرم ولا فضل لغير المنتقي ولو كان رفع النسب.
والشعوب جمع شعب، وهو الطبقة الأولى من الطبقات الست
التي عليها العرب وهي: الشعب، والقبيلة، والعبادة، والعمارة، والبطن،
والفخذ، والفصيلة.
فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة
تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل.
/ خزيمة شعب، وكنائة قبيلة، وقرش عمارة، وقصي بطن، ۲۳۶
وهماش فخذ، والعباس فصيلة.
وسميت الشعوب؛ لأن القبائل تتشعب منها.
ولم يذكر من هذه الست في القرآن إلا ثلاث: الشعوب،
والقبائل، كما في هذه الآية، والفصيلة، في المراجع، في قوله:
(وَفَصَلَّيهَا أَيْ نُسْرِيهَا)।
وقد قدمنا ما دلّ عليه هذه الآيات موضحاً في سورة
بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا آَلِهَةً يَهْدِى لِكَيْنَى
هُمْ أَقْوَامُ».
واعلم أن العرب قد تطلق بعض هذه الست على بعض،
كإطلاق البطن على القبيلة في قول الشاعر:
إِنَّ كِلَابًّا هَذِهِ عَشْرَ أَبَطْنٍ وأَتْتُ برِيَاءٍ مِن قَبَائِلِهَا العشَر
كما قدمناه في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: «كَلِئَاتَ
قُوْمِهِ».
قوله تعالى: {قال الذين اعتزلوا: } أرأيتم أصحبنا أسلموا ولم يؤمنوا ولم يدخلوا اليمين في قلوبكم.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الأعراب وهم أهل البادية من العرب قالوا آمنا، وأن الله جل وعلا أمر نبيه أن يقول لهم: {لم تؤمنوا وليكن قولوا أسلموا}، وهذا يدل على نفي الإيمان عنهم وثبت الإسلام لهم.

وذلك يستلزم أن الإيمان أخص من الإسلام؛ لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم.

وقد قدمنا مراراً أن مسمى الإيمان الشرعي الصحيح، والإسلام الشرعي الصحيح، هو استسلام القلب بالاعتقاد، واللسان بالإقرار، والجواهر بالعمل، / فمؤداهما واحد، كما يدل له قوله تعالى: {فأخرجوا من كان فيه من المؤمنين}، فما وحدنا فيها عن غير بني مَنْ السَّبَيعِينَ.

وإذا كان ذلك كذلك فإنه يحتاج إلى بيان وجه الفرق بين الإيمان والإسلام في هذه الآية الكريمة؛ لأن الله نفى عنهم الإيمان دون الإسلام، ولذلك وجهان معروفان عند العلماء، أظهراهما عندي: أن الإيمان المنفي عنهم في هذه الآية هو مسمى الشرعي الصحيح، والإسلام المثبت لهم فيها هو الإسلام اللغوي الذي هو الاستسلام والانقياد بالجواهر دون القلب.

وإنما ساغ إطلاق الحقيقة اللغوية هنا على الإسلام مع أن الحقيقة الشرعية مقدمة على اللغوية على الصحيح؛ لأن الشرع الكريم جاء باعتبار الظاهرة، وأن توكل السرائر إلى الله.
فإنقياد الجوارح في الظاهر بالعمل واللسان بالإقرار يكتفي به
شرعًا، وإن كان القلب منطويًا على الكفر.
ولهذا ساغ إرادة الحقيقة اللغوية في قوله: »وَلَكِنْ قُولُواً
أَسْلَمْنَا«; لأن انقياد اللسان والجوارح في الظاهر إسلام لغوي مكتفي
به شرعاً عن التنقيب عن القلب.
وكل انقياد واستسلام وإذعان يسمى إسلامًا لغة. ومنه قول
زيد بن عمرو بن نفيل العدوء مسلم الجاهلية:
له الأرض تحمل صخرًا ثقلاً
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
دحاها فلمما سوته شدها
جميعاً وأرسي عليها الجبالا
له المزن تحمل عذباً زللاً
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
أطاعت فصبت عليها سجالاً
إذا هي سيقت إلّى بلدة
له الريح تصرف حالًا فحالًا
/ وأسلمت وجهي لمن أسلمت
328
فالمراد بالإسلام في هذه الآيات: الاستسلام والانقياد.
وإذا حمل الإسلام في قوله: »وَلَكِنْ قُولُواَ أَسْلَمْنَا« انقدنا
واستسلمنا باللسان والجوارح. فلا إشكال في الآية.
وعلى هذا القول، الفأعراب المذكورون منافقون؛ لأنهم
مسلمون في الظاهر، وهم كفائر في الباطن.
الوجه الثاني: أن المراد بتفي الإيمان في قوله: »لَمْ تَؤْسِمْنَا«
نفي كمال الإيمان، لا نفيه من أصله.
وعليه فلا إشكال أيضًا؛ لأنهم مسلمون مع أن إيمانهم غير تامً،
وإذا لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان يزيد
وينقص.
 وإنما استظهرنَا الوجه الأول، وهو أن المراد بالإسلام معناه اللغوي دون الشرعي، وأن الأعراب المذكورين كفار في الباطن وأن أسلموا في الظاهر؛ لأن قوله جل وعلا: 

(ولما يدخل الإيمان في قولكم) يدل على ذلك دلالة كما ترى؛ لأن قوله: 

(يدخل) فعل في سياق النفي وهو من صبغ العموم، كما أوضحنا مراراً، وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعودية:

وتحيو لا شربت أو إن شربا واتفقوا إن مصدر قد جلبا.

فقوله: 

(ولما يدخل الإيمان في قولكم) في معنى: لا دخول للإيمان في قولكم.

و(الذين قالوا بالثاني قالوا: إن المراد بنفي دخوله نفي كماله.

(والأول أظهر كما ترى.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: 

(قالت الأعراب) المراد به بعض الأعراب، وقد استظهرنَا أنهم منافقون، لدلالة القرآن على ذلك، وهو من جنس الأعراب الذين قال الله فيهم: 

(وين أعراب من يتخذ ما ينطق مغفرًا ويرتضى من كفر الدوابر)، وإنما قلنا إن المراد بعض الأعراب في هذه الآية؛ لأن الله بين في موضع آخر أن منهم من ليس كذلك، وذلك في قوله تعالى: 

(وسمى الأعراب من يؤمن بإله وآلهة آخر ويتخذ ما ينطق فريقين) على أن الله وسلوا رسوله الله، إن الله عفوٌ رحيم.

فقوله تعالى: 

(قل أعليمون أن وبينيكم واللهم يعلم ما في السموات وما في الأرض) والله نحن يكلي الصد عنهم.

لما قال هؤلاء الأعراب: أمنا، وأوضح الله نبيه أن يكذبهم في
قوله: {فَلَمۡ تُؤْمِنُوا}، وقال: {وَلَا يَدْخُلُنَّ الَّذِينَ فِي ٱلْبُطُورَمَا}، أمر نبيهم أن يقول لهم بصيغة الإنكار: {أَنۡطَلَقْتُمُّۥ ٱلدُّجُدُۥ يُضِيعُكُمُّ ۚ}، وذلك بادعائكم أنكم مؤمنون، والله لا يخفى عليه شيء من حالكم، وهو عالم بأنكم لم تؤمنوا وعالم بكل ما في السماوات والأرض وعالم بكل شيء.

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من تقييح تركية النفس بالكذب جاء موضحاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: {هَوَّا أَتَّلَىٰ بِكُرُّ إِذَا أَنۡتَ كَرَّتَ الأَرْضَ وَإِذَا أَنۡشَرَتَهَا فِي بَطُونَهَا مُهْيَٰٓءً فَلَا تَرَىِّ أَنفُسُكُمُ ۖ وَهُمْ يَلَعَّبُونَ}، {أَلَمۡ تَمَلُّوا أَنفُسَكُمْ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

/ 

قوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يَعَلِّمُ عَيْبَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَۢنِٔۖۢ.} {بِصِيرَتۡيَمَا تَعَمَّلُونَ}.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة هود في الكلام على قوله تعالى: {١٠۶} آٓلاَّ إِنَّهُمۡ يُولِّونَ صَدْرَهُمۡ لِيُسِحِّبُوهُمۡ وَۢنِٔۖۢ.} {يُبَيِّنُوهُمۡ ۘ يَقُولُونَ مَا ذُبْرُونَ ۚ وَيُبَيِّنُونَ إِنَّمَا عَلَيْهِمۡ ۢبِلَادُ ٱلصُّدُورِ}.


سورة ق
قوله تعالى: {فَوَالَّذِينَ أَمَرَّنَاهُم بِالْمَجْدِ}.

المحمد عليه في الآية محدود، والظاهر أنه كالمقسم عليه المحدود في سورة ص، وقد أوضحناه في الكلام عليها.

وقوله تعالى هنا: {بَلْ أَحْيَوْا أَنَّ جَاهِلَٰتُ مُنْذِرٌ مَّنْهَرٌ}.

الكافرون هذة آية عجيب، {وَأَمَّا ذِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}.

قد قدمنا في سورة ص أن من المقسم عليه أن النبي صادق وأنرسالته حق، كما دل عليه قوله في ص: {وَأَحْيَوْا أَنَّ جَاهِلَٰتُ مُنْذِرٌ مَّنْهَرٌ}، وقد دل على ذلك قوله هنا: {بَلْ أَحْيَوْا أَنَّ جَاهِلَٰتُ مُنْذِرٌ مَّنْهَرٌ}.

وقد قدمنا في ص أنه يدخل في المقسم عليه تكذيب الكفار في إنكارهم البعث، ويدل عليه قوله هنا: {فَأَقَالُ الْكَافِرُونَ هَذِهِ آيَةٌ عَجِيبَةٌ}.

وأَمَّا ذِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ {وَالْفَرْقَانِ ذِي الْذَّكْرِ}.

وفي ق بقوله: {وَالْفَرْقَانِ الْمَجِيدِ}.

محذوف، وهو تكذيب الكفار في إنكارهم رسالة النبي {وإنكارهم البعث، وإنكارهم كون المعبد واحداً.}

وقد بينا الآيات الدالة على ذلك في سورة ص، وذكرنا هناك أن
كون المقسم عليه في سورة ق هذى المحادث يدخلي في إنكارهم
لرسالة النبي، بدليل قوله: "بل يحيوا أن جاههم منذنر بنى نهر"،
وتذكيرهم في إنكارهم للبعث، بدليل قوله: "فقال الكبیرون هذى شیء
قيق؟"، وبينا وجه إيضاح ذلك بالأيات المذكورة هناك وغيرها،
فأغني ذلك عن إعادته هنا.

644 / قوله تعالى: "أتَرَى مِن فَظْهَرِ الْسَّمَاةِ فَوْقَهُمْ كِيْفَ
بِنِينَةٍ وِزِينَتِهَا وَمَا لِيْهَا مِن فُرُوجٍ؟"

الهمزة في قوله: "أَتیرَ" تعني بمحادث، والفاء عاطفة
عليه، كما قدمنا مرارًا أنه أظهر الوجهين، وأنه أشار إليه في الخلاصة
بقوله:

* وحذف متباع بدنا استبِح*

والتقدير: أَعْرَضُوا عن آيات الله فلم ينظروا إلى السماء فوقعهم
كيف بينها وزيتها وما لها من فروع، أي ليس فيها من شقوق
ولا تصدع ولا تفطر.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من تعليم شأن كيفية بنائه تعالى
للسماء وتزيينه لها وكونها لا تصدع ولا شقوق فيها، جاء كله موضحًا
في آيات أخرى، كقوله جل وعلا في بنائه للسماء: "أَنْمَ اِخْتَلَفَّ الْانْثِلَاء
بِنِينَةٍ فَسَمَّى فَسَمَّى هُمْ"، وقوله تعالى: "وَأَنْمَاء بِنِينَةِ بَيْنَ يَأْثَابُ وَأَنَا
لَمْ يَسْتَهْزَعْ "، وقوله تعالى: "وَيُسَمَّى فَوْقَهُمْ مَسَاءًا شِيَادًا ؟"، وقوله
 تعالى: "أَلَْى خَلِقَ سُبُعَ سَمَوَتْ يَطِبَا مَا تَدَى فِي خَلْقِ الْزَّمَنِ مِن نَفْوَتْ "،
وقوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَهُمْ سَعْبَ طَارِقًا وَمَا كَأَبَى عَنَّ الْمَلِيك
عْقِيلَ "، وقوله تعالى في أول الرعد: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ فِيْرَ
سورة ق

عِمَّا ذَرَّيْتُهُم مِّن أَسْوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ، وَقُولُهُ تَعَالَى فِي لَقَمَانٍ: (حَتَّى الْمَشْرَقَةَ ۖ) الآية، إِلَى غَيْرٍ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيَّاتِ.

وَكَفْوَلُهُ تَعَالَى فِي تَزَيْنِهِ لِلسَّمَاءِ: (وَلَقَدْ زَيَّنَذَا السَّمَاءَ الْذَّيْنَا يَمْتَصِبُّ وَجُلْطُهَا يُرْجَمُونَ لِسَيْفِهِمْ) وَقُولُهُ تَعَالَى: (وَزَيَّنَذَا السَّمَاءَ الْذَّيْنَا يَمْتَصِبُ وَجُلْطُهَا) الآية، وَقُولُهُ تَعَالَى: (إِنَّا زَيَّنَذَا السَّمَاءَ الْذَّيْنَا زَيَّنَتِيْنَ الْكَوْكَبِينَ) آية.

وَقُولُهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ مَرْجَعًا وَرَيْبًا لِلنَّظَرِينَ) آية.

وَكَفْوَلُهُ تَعَالَى فِي حَفْظِهِ لِلسَّمَاءِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهَا فَروْجٌ أَيْ شَقْوَةٌ: (قَأْرِيِّعُ البَيْضِ ۗ هِلْ تَرَى مِنَ فُطْرٍ) ، وَالفَطْرُ وَالفَروْجُ بِمَعْنَىٰ ۗ١٤٥ وَاحِدٌ، وَهُوَ الشَّقْوَةُ وَالصَّدْوَعُ، وَقُولُهُ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقَفاً مَّحْفُوظَةً وَهُمْ عَنْهُ آيَةٌ مُّضَرُّعُونَ). أَمَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ السَّمَاءَ تَشْقِيقٌ وَتَتَفْطِرُ، وَتَكُونُ فِيهَا الْفَروْجُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَلَقَدْ نَشَقَّى السَّمَاءَ بِفُطْرٍ) وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِنَّا أَنْشَقَّيْنَ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرَدَّةً) الآية، وَقَالَ تَعَالَى: (فَوَمَّا مِّتَلَقَّى السَّمَاءُ) وَأَنْشَقَّيْنَ السَّمَاءَ الْأَيَاة، وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذَا أَنْشَقَّيْنَ السَّمَاءُ) وَقَالَ تَعَالَى: (فَأَزْدَادَ لَهُ مُفْتَرِبَةً وَوُقُتَ السَّمَاءُ) وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذَا أَنْشَقَّيْنَ السَّمَاءُ) وَقَالَ تَعَالَى: (فَأَزْدَادَ لَهُ مُفْتَرِبَةً وَوُقُتَ السَّمَاءُ) وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذَا أَنْشَقَّيْنَ السَّمَاءُ)

قُولُهُ تَعَالَى: (وَالْأَرْضُ مَدْنُونَهَا وَلَقَّيْنَا فِيهَا رِيحُهَا وَلَقَّيْنَا فِيهَا)

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِبْجٍ ۗ بَصْرَةٌ وَذِكْرَيْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ ۖ٨

ذَكَرْ جَلِّ وَعَلَى فِي هَذَهُ الآيّةِ الكَرِيمَةِ أَنَّهَ مَدَّ الأَرْضِ وَلَقَّى فِيهَا الْجِبَالَ الْرُوَاسِيَّ وَلَقَّيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِبْجٍ، بَصْرَةٌ وَذِكْرَيْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ.
وهو الذي تضمنت هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُسُوْسًا»، و«وَأَنْهَارًا وَمِنْ هِيأَاتٍ جَعَلَ فِيها زِبْنِينَ أَنْثِيَنَ»، إلى قوله: «لَفَوْرٌ يَتَفْكُرُونَ»، وقوله: «خَلَقَ الْآفَاتَ بِعِيدٍ عَرَبَتْهَا وَأَقْلَقُوهَا فِي الْأَرْضِ»، أَنْ قَيْسَهُ حِيْثُ نُسَبَّحَتْ لَهَا وَرَأَىَهَا مِنْ أَسْمَاءِ مَا فَقَهُنَا فِيهَا مِنْ سُكْنِيَّةٍ كَرِيمٍ!»، هذا خلق الله فأعرضنا، فذُوقْتَ السَّيْيَةُ مِنْ دُونِهِ، والأيات بمثل هذا كثيرة معلومة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «مِنْ سُكْنِيَّةٍ زِبْنِينَ أَنْثِيَنَ، أي من كل صف حسن من أصناف النبات، وقوله: «تَبْيِضَهَا» أي قدرنا الأرض وألقينا فيها الرواسي وأثبتنا فيها أصناف النبات الحسنة، لأجل أن نبصّ عبادنا كمال قدرتنا على البعث وعلى كل شيء وعلى استحاقتنا للعبادة دون غيرنا.

/ قوله تعالى: «وَأَحِينَا يَهَيَّءُ بَلَدَةً مَيْيَةً كَذَلِكَ».

قوله: (كذلك الخروج): معناه أن الله تبارك وتعالى بيين أن إحياء الأرض بعد موتها بإبنات النبات فيها بعد انعدامه واضمحلاله، دليل على بعث الناس بعد الموت بعد كونهم تراباً وعظاماً. فقوله: (كذلك الخروج) يعني أن خروج الناس أحياء من قبورهم بعد الموت كخروج النبات من الأرض بعد عدمه، بجمع استواء الجميع في أنه جاء بعد عدم، وهذا أحد براهين البعث التي أكثر الاستدلال عليه بها في القرآن، وقد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في صدر سورة البقرة، وأول النحل وأول الجاثية، وغير ذلك من المواضع.
-

قوله تعالى: "كلُّ كذَّبٍ رَسُلٍ فَقَرَ عِيْدٍ".

هذه الآية الكريمة تدل على أن من كذب الرسول يحق عليه العذاب، أي يتهم ويثبت في حقه ثبوتًا لا يصح معه تخلفه عنه، وهو دليل واضح على أن ما قاله بعض أهل العلم من أن الله يصح أن يخلف ويعده؛ لأنه قال: إنه لا يخلف وعده، ولم يقل إنه لا يخلف وعده، وأن إخلاف الوعيد حسن لا قبح، وإنما القبض هو إخلاف الوعيد، وأن الشاعر قال:

وإني وإن أوعدت أو وعدته لمخالف إبعادي ومنجز موعد

لا يصح بالحال؛ لأن وعده تعالى للكفار حق، ووجب عليهم بتذكيرهم للرسول، كما ذكر عليه قوله هنا: "كلُّ كذَّبٍ رَسُلٍ فَقَرَ عِيْدٍ". وقد تقرر في الأصول أن اللفاء من حروف العلة كقوله:

سها فسجد، أي لعله سهو وسرق فقطعت يده، أي لعلة سرقته، ومنه قوله تعالى: "وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَأْتُوهُمَا عَذَابٌ مَّا كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ"، فتكذيبهم الرسول علة صحيحة لكون الوعيد بالعذاب حق ووجب عليهم، فدعوى جواز تخلفه باطلة بلا شك.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة / جاء موضحاً في آيات أخرى، ۲۴۷

كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: "قالَ لا تَعْصِمَوْنا ذَلِّيَ وَقَدْ فَتَمَتْ إِلَيْكُمْ الْوَعِيدَ"، ما يُبدِّل الْوَعِيدَ لِذَلِّيَ الآية، والتحقيق: أن المراد بالقول الذي لا يبدل لديه هو الوعيد الذي قدم به إليهم، وقوله تعالى في سورة ص: "إن كُلُّ إِلَّا حَكْمُ بِالرَّسُولِ فَحْدَ عَقَابٍ".

وبهذا تعلم أن الوعيد الذي لا يمنع إخلافيه هو وعيد عصاة المسلمين بتذكيرهم على كبار الذنوب؛ لأن الله تعالى أوضح ذلك في
قوله تعالى: «فأطيعنا أخلاقاً فلدها هواً في لبس من خلقٍ».


وقد أوضحنا الآيات الدالة على براهين البعث التي كثير الاستدلال عليه بها في القرآن، كخلق الناس أولًا، وخلق السماوات والأرض وما فيها، وإحياء الأرض بعد موتها، وغير ذلك، في مواضيع متعددة من هذا الكتاب المبارك، في البقرة والنحل والحج والجاثية وغير ذلك، وأحلنا على ذلك مرارًا كثيرة.

* قوله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان وجعلنا ما توهِّسوُ به».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة هود في الكلام.
على قوله تعالى: «اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصُّدُورَ الْمُثْقَفَةَ وَيَعْلَمُونَ أَلَّا يَحْمِدُونَ مَا لَمْ يَنْتَهُوهُ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِذَاتِ الْحِجَابِ».

قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْأَلِيِّينَ وَعَنِ الْأَلَّلِيْلِ قَيِّدُوٓا».

مَا يَلْفِظُ مِنْ قُوَّلِ النَّارِ لَدَيْهَا رَقِيبُ عِيْدَٔ.

قله: (إذا) منصوب بقوله: (أقرب) أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد في الوقت الذي يلتقي فيه الملكان جميع ما يصدر عنه، والمراد: أن الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوبه نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد في وقت كتابة الحفظة أعماله، لا حاجة له لكتب الأعمال؛ لأنه عالم بها لا يخفى عليه منها شيء، وإنما أمر بكتابة الحفظة للأعمال لحكم أخرى، كإقامة الحجة على العبد يوم القيامة، كما أوضح به قوله: «وَفَخَّرْ بِذَيْنُ السَّاْيَةِ يَکُونُ لَكَ خِيرًا ۛ أَفَلَا تُنْفِدُ كَيْفَانَا لَكَ أَجْمَعًا»، ومفعول التلقي في الفعل الذي هو يلتقي، والوصف الذي هو المتلقيان، محدد تقديره: إذ يلتقي المتلقيان جميع ما يصدر عن الإنسان فيكتبانه عليه.

قال الزمخشري: والتلقي التلقى بالحفظ والكتبة. اهْ منه، والمعنى واضح؛ لأن الملك يلتقي عمل الإنسان عند صدوره منه فيكتب عليه، والمتلقيان هما الملكان اللذان يكتبان أعمال الإنسان، وقد دلت الآية الكريمة على أن مقصد أحدهما عن يمينه ومقصد الآخر عن شماله.

والقيد: قال بعضهم: معناه القاعد.

والأظهر أن معناه: المُقَاعِد، وقد يكثر في العربية إطلاق الفعل
إجراء المفاعِل، كالجليس بمعنى المُجالس، والأكيل بمعنى

649 / المَعَالِ، والنَّدي بمعنى المنادم.

وقال بعضهم: القَعِيد هذا هو المَلازَم، وكل مَلازَم دائمًا
أو غالبًا يقال له قعِيد، وَمَنْهَه قول متمم بن نويرة التميمي:
قَعِيدَهَا أَلا تَسِميني مَلامةولا تنكَّتي قَرْح الفَؤاد في جعَما
والمعنى: عن اليمين قعَيد وعن الشمال قعَيد، فحذف الأول
بِدلالَة الثانِي عليه، وهو أَسِلوب عربي معروف، وأَنْشَد له سببِيه في
كتابه قول عمرو بن أَحمر الباهلي:
رَمَانِي بأَمر كَنت منه وَوَلدي بَريثاً ومن جَوْل الطوْعَم رَمَانِي
وقول قيس بن الخطيم الأنصارِي:
نحن بَما عندها وأَنت بَما عندك راَضٍ والرأي مَختلف
وقول ضابِئ بن الحارث البرجمي:
فَمِن يَكْ أمِسَ بالمدينة رَحْله فإَنَّي وَقَيَّر بها لغريِب
فَقَوْل ابن أَحمر: «كَنت منه وَوالدي بَريثاً» أي كنت بَريثاً منه
وكان والدي بريثاً منه.
وقول ابن الخطيم: «نحن بَما عندها وأَنت بَما عندك راَض» أي
نحن راضون وأَنت راض.
وقول ضابِئ بن الحارث: «فَإِنَّي وَقَيَّر بها لغريِب» يعني إني
لغيِب وَقِيَّر غريِب.
وَهَذَا أَسِلوب عربي معروف.
وَدَعْوَى أَن قاله في الآية: (قَعِيد) هي الأُولى أَخَّرت وحذفت
الثانية لدلاليها عليها، لا دليل عليه، ولا حاجة إليه كما ترى؛ لأن المحدود إذا صحت الدلالة عليه بالأخيرة فلا حاجة إلى أن هذا الأخير أصله هو الأول، ولا دليل عليه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (ما يلفظ/من قول) أي ما ينطق بنطق ولا يتكلم بكلام (إلا لديه) أي إلا والحال أن عنه رقباً. أي ملكاً مراقباً لأعماله حافظًا لها شاهداً عليها لا يفوته منها شيء. (عند) أي حاضر ليس بغايب، يكتب عليه ما يقول من خير وشر.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن الإنسان عليه حفظة من الملائكة يكتبون أعماله، جاء موضحًا في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: "وَإِنَّ عَلَيْكُمُ الْبَيَاتُ الْحَيَّةُ عَلَى كَلاَمٍ كُبْرِيَّ" ۴۱ يَعْلَمُونَ ما يَفْعَلُونَ ۲۱ ، وقوله تعالى: "أَمْ يَسْمَعُونَ أَنَّا لَا تَسْمَعُنَّ سَيِّئَتَكُمْ وَيَقُولُونَ" ۲۲ لَسْتُمْ يَكْتُبُونَ ۲۱ ، وقوله تعالى: "وَرَأَيْتُ كُلَّ أَمْرٍ قَبْلَهُ كَلَّ أَمْرٍ نُدَا يَكُونُ إِلَّا كَيْبِيَّةٌ يَكُونُ الْيَوْمُ يَعْرُجُونَ مَا كَتَبْنَهُمْ ۲۳ هَذَا كَمَا كُتَبْ نِسْخٌ إِنَّا كَانْنَا نَسِئَسِخُ مَا كَتَبْنَهُمْ ۲۱ ۶۲ ۱۳.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى "سَكَّلَا سَتَكِبُبُ مَا يَقُولُونَ" الآية، وفي سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: "سَتَكِبُبُ شَهَدَتَهُمْ وَسَكَّلُوا ۱۳.

وقد ذكر جماعة من أهل العلم أن القعيد الذي هو عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات، وأن صاحب الحسنات أمن على صاحب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمره ولا تكتبها عليه لعله يتوب أو يستغفر. وبعضهم يقول: يمهله سبع ساعات. والعلم عند الله تعالى.
أعلم أن العلماء اختلفوا في عمل الجائز الذي لا ثواب ولا عقاب عليه، هل تكتب الحفظة عليه أو لا؟ فقال بعضهم: يكتب عليه كل شيء حتى الآثيين في المرض، وهذا هو ظاهر قوله: مَا يَلْيَظَ مِنْ قِوَالٍ إِلَّا لِدَيْهِ رَقِبُ عَيْدِهِ (٥٣٨); لأنه قوله: (من قول) نكرة في سياق النفي زيدت قبلها لفظة مين، فهي نص صريح في العموم. وقال بعض العلماء: لا يكتب من الأعمال إلا ما فيه ثواب أو عقاب.

وكلهم مجمعون على أنه لا جزاء إلا فيما فيه ثواب أو عقاب، فالذين يقولون: لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب، والذين يقولون: يكتب الجمع، متفقون على إسقاط ما لا ثواب فيه ولا عقاب، إلا أن بعضهم يقولون: لا يكتب أصلاً، وبعضهم يقولون: يكتب أولاً ثم يمحى. وزعم بعضهم أن محو ذلك، وإثبات ما فيه ثواب أو عقاب، هو معنى قوله تعالى: يَمْحُوَّ اللَّهُ مَا تَشَيْبَهُ وَيَغْفِرُ الآية. والذين قالوا: لا يكتب ما لا جزاء فيه، قالوا: إن في الآية نعتاً محدوفاً سواء حذفه العلم به، لأن كل الناس يعلمون أن الجائز لا ثواب فيه ولا عقاب، وتقدير النعت المحدوف: ما يلفظ من قول مستوجب للجزاء.

وقد قدمنا أن حذف النعت إذا دل عليه دليل أسلوب عربي معروف، وقدمنا أن منه قوله تعالى: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينته عصباً (٦٨); أي كل سفينة صحيحة لا عيب فيها، بدليل قوله: فأردت أن أعيش، و قوله تعالى: وإن ذن قريبة إلا عين مهلك وصوها قبلي يوم القيامة (الآية)، أي قرية طالمة، بدليل قوله تعالى: وما سيئًا.
سورة قَ

مُهِلَّكِ آنَّكَ وَأَهْلُهَا ظَلَمُوْبَكَ (11)، وأن من شواهده قول المرقس الأكبر:

ورب أُسِيْلَة الخَدْيْن بِكِر مَهَفِفَةَ لَهَا فَرْع وَجِيد ٢٥٢

أي لها فَرْع فاحم وجد طويل. وقول عبِيد بن الأَبَرَصُ:

مِن قَوْلِهِ قَوْلٌ وَمِن فَعْلِهِ فَعْلٌ وَمِن نَائِلِهِ نَائِلٌ

أي قول فصل، وفعل جميل، ونائل جعل.

* قوله تعالى: (لَقَدْ كَتَبْنَا فِي عَفْلَكِ مِن هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غَطَّاءَكَ فَصَرَّكَ أَيْوَمَ جَدِيدٍ).

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: (بَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الْآخِرَةِ بِل هُمُ فِي مَيْتِهَا بِل هُمْ مِنْهَا عَمْنَٰنَ).

* قوله تعالى: (يَوْمًا نَقُولُ لِجَهَّمَ هِلَ أَمَكَّتِ وَقَنَّوْلُ هِلَ مِن مَّرْيَبِ).

قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير نافع وشعبة عن عاصم: (يوم نقول) بالنون الدالة على العظمة. وقرأه نافع وشعبة: (يوم يقول) بالباء، وعلى قراءتهما فالفاعل ضمير يعود إلى الله.

واعلم أن الاستفهام في قوله: (هل من مزيد) فيه للعلماء قولان معرفان:

الأول: أن الاستفهام إنيكاري، كقوله تعالى: (هَل يُهْلِكُ إِلَّا أَلْقَوْمَ الظَّالِمُوْبَ) أي ما يهلك إلا القوم الظالمون. وعلى هذا، فمعنى (هل من مزيد) لا محل للزيادة، لشدة امتلاء النار.
واسدل بعضهم لهذا الرجه بآيات من كتاب الله، كقوله تعالى:

{وَلَكِنْ حَقَّ الْقُوْلِ مَنَّ الْأَمْلَانَ جَهَّزَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْأَنَّاسَ أَجْمَعِينَ} 

وقوله تعالى: {وَرَمَتْ كُلُّهَا رِبْكَ لَأَمْلَانَ جَهَّزَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْأَنَّاسَ أَجْمَعِينَ}، {قَالَ فَأُحْلِقْ أَوْلَبْ وَأَقِمْ أَوْلَبْ} لَأَمْلَانَ جَهَّزَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْأَنَّاسَ أَجْمَعِينَ.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: {لَقَدْ حَقَّ الْقُوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ الْآيَة}؛ لأن إقسامه تعالى في هذه الآية المدلول عليه بلام / التوقفة في (الأمّان) على أنه يملاً جهنم من الجنة والناس، دليل على أنها لا بد أن تمتلئ.

وقد قالوا: إن معنى (هل من مزيد) لا مزيد؛ لأن ي قد امتلت

فلبس في محل المزي.

وأما القول الآخر، فهو أن المراد بالاستفهام في قول النادر: (هل من مزيد) هو طلبها للزيادة، وأنها لا تزال كذلك حتى يضع رتب العزة فيها قدمه فينزوها بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، أي كفاني قد امتلت.

وهذا الأخير هو الأصح، لما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ أن جهنم لا تزال تقول: هل من مزيد، حتى يضع رتب العزة فيها قدمه فينزوها بعضها إلى بعض وتقول قط قط؛ لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها: قط قط، أي كفائي قد امتلت، وأن قولها قبل ذلك: هل من مزيد، لطلب الزياادة، وهذا الحديث الصحيح من أحاديث الصفات، وقد قدمنا الكلام عليها مستوئ في سورة الأعراف والقناة.
واعلم أن قول النار في هذه الآية: (هل من مزيد) قول حقيقي
ينطقها الله، فزعم بعض أهل العلم أنه كقول الحوض:
امتناع الحوض فقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني
وأن المراد بقولها ذلك هو ما يفهم من حالها؛ خلاف التحقيق.
وقد أوضحتنا ذلك بأدلهنا في سورة الفرقان في الكلام على قوله
تعالى: «إذا رأىهم من مكان بعيد سمعوا له ما تغنيت ورفير» ٣٠. والعلم
عند الله تعالى.

* قوله تعالى: "وَأُزِلْتَ اللَّجْنَةَ لِلسَّمِّيْنِ عِنْدَ يَعْبُودٍ" ٣١.

قوله: (أزلفت) أي قربت. قوله: (غير بعيد) في معنى التوكيد.
لقوله: (أزلفت) سواء أعربت (غير بعيد) بأنها حال أو ظرف.
وما تضمنته هذه الآية الكريمة من إزلاف اللجنة للمتقنين، جاء
في مواضيع أخر من كتاب الله، كقوله تعالى: "وَإِذَا الْمَجْمَعُ سُجِرَتٌ ١٩. وَإِذَا
اللَّجْنَةُ أُزِلْتَ ٣٠، وَقُولُهُ تَعَالَى: "وَأُزِلْتَ اللَّجْنَةَ لِلسَّمِّيْنِ ٣٠ وَرُفْرَحَتُ اللَّجْمُ
لِلْخَائِبِينَ ٣٠.

/ قال البغوي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (غير بعيد) ٣٥٤

ينظرون إليها قبل أن يدخلوها.

* قوله تعالى: "لَمْ يَشَاءَنَّهَا بِهِ فِي هَذَا وَلَدِينَا مَزِيدًا" ٣٢.

قوله: (لهم ما يشأون فيها) قد قدمنا الآيات الموضوعة له في
سورة السجدة في الكلام على قوله تعالى: "لَمْ يَشَاءَنَّهَا بِهِ فِي هَذَا كَذَٰلِكَ
يَجْرِىٞ اللَّهُ ٱلْمُسَيِّبُ" ٣١.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَلَدِينَا مَزِيدًا" ٣٢. قال
أضواء البيان

بعض العلماء: المزيج النظر إلى وجه الله الكريم. ويستأنس لذلك بقوله تعالى: {لَيْلِيَّةَ الْقُوّارِينَ أَحَسَّنَاهُمْ وَرَيَّادَاهُمْ}؛ لأن الحسنى الجنة، والزيادة النظر، والعلم عند الله تعالى.

* قوله تعالى: {وَمَا أُهْلِكَنَا بِلَمْ يَهْمِيَنَّهُمْ بَلْ بَطْشَةً}.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: {فَأُهْلِكَنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَا مَعَهُمْ مِثلَ الأَوْلِيَاءِ}.

* قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَالْأُرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا}.

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ رَبِّيَّنَا أَلَيْلَةَ الْقَوْمِ الْأَخْفَفِ}، وبياناً هاذا أن الله أوضح ذلك في فصلت في قوله تعالى: {فَقُلْ أَيْنَ مَا تَكْفَرُونَ بَلْ خَلَقْنَا الْأَرْضَ وَبَعْدَهَا بَعْضَ الْكُلُوبِ}.

وقوله تعالى: {فَأَصِبَّ عَلَى مَا يُقُولُونَ وَسَبَّحَ يَحْمِدَ رَبَّكَ بَيْلَ طَلَوعِ الْشَّمْسِ وَبِلَاءِ الْغَرُوبِ}.

ما تضمنت هذه الآية الكريمة من أمره تعالى لبنيه بـ: بالصبر على ما يقوله الكفار والتسبح بحمده جل وعلا أطراف النهار، قد ذكره الله في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في أخريات طه: {فَأَصِبَّ عَلَى مَا يُقُولُونَ وَسَبَّحَ يَحْمِدَ رَبَّكَ بَيْلَ طَلَوعِ الْشَّمْسِ وَبِلَاءِ الْغَرُوبِ}.
 ведь فسخ وطرأ فتهيّن المفقود، وأمره بالتمسح بعد أمره بالصبر على أدى الكفر فيه دليل على أن التماسح يعبه الله به على الصبر المأمور به، والصلاة داخلة في التماسح المذكور كما قدمنا إيضاح ذلك، وذكرنا فيه حدث نعيم بن همار، في آخر الحجر في الكلام على قوله تعالى: «ولقد نعمر أنه يضيق صدريك ما يقولون»، فسماح بعمره ربك ومن الذين يبحثون عنه، وينبنا هنالك أن الله أمر بالاستعانة بالصبر وبالصلاة كما قال تعالى: «واستعينوا بالصبر والصloads» الآية.

* قوله تعالى: «يوم سمعون الصريحة بالحق دلك يوم الخروج».

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: «وضع في الصور فإذا هم من الأهداف إلى رجبم يضلبون».

* قوله تعالى: «يوم تشقق الأسر من أرض سراعا دلك حشر».

قرأ هذا الحرف نافع وأي كثير وابن عامر: (تشقق) بتشديد الشين بإدغام إناء التاءين فيها، وقرأ الباقون بتفريق الشين لحذف إحدى التاءين.

وقوله تعالى: (سراعا) جمع سريع، وهو حال من الضمير المجروح في قوله: (عنهم) أي تشقق الأرض عنهم في حال كونهم مسرعين إلى الداعي، وهو الملك الذي ينفخ في الصور ويدعو الناس إلى الحساب والجزاء.
وما تضمنت هذه الآية الكريمه من أن الناس يوم البعث

56 يخرجون من قبرهم مسرعين إلى المحشر / قاصدين نحو الداعي,

جاء موضحاً في أيات أخر من كتاب الله، كقوله تعالى: «يوم يخرجون من
الأجَّذَنَّ سَيَأْتَهُمْ إِلَى نَصْبِهَا وَيُغَيِّبُهَا»، وقوله تعالى: «وَذَا الْقُرْآنِ٧٥.ِ قَالُوهُ: يَسْلُكُونَ (يسللون) أي
يسرعون، وقوله تعالى: «يخرجون من الأجداث كأنهم جراء متينين٧٦ مهبطين
إلى الدرج الآية»، قوله: (مهبطين) أي مسرعين ماديّي أعناقهم، على
الأصح، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس في الكلام
على قوله: «فإذا هم من الأجداث إلى رتيبهم يسللون».

* قوله تعالى: «وما أنت عليهم يُبَارَّأَ».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يونس في الكلام على
قوله تعالى: «أقات تنكر الناس حتى يكو أموات موميتين».

* قوله تعالى: «فذكر بالفراء عن من يخاف وعيد».

قد قدمنا الكلام عليه في سورة فاطر في الكلام على قوله
 تعالى: «إِنَّمَا يُعِزِّ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ رُسُلَهُمْ أَلَٰٓيَاهُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» الآية.
سورة الذاريات
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا فَالْمُؤْجِنَاتِ وَقَرآً ﴾ أَجَدْنَاهُمْ مُقَامَةً ﴾فَأَمَّا تَوَعَّدُونَ لِصَافِقٍ ﴿فَإِنَّ الَّذِينَ ﴾لَوْفَّٰهُ ﴾۸﴾.

أكثر أهل العلم على أن المراد بالذاريات الريحان. وهو الحق إن شاء الله، ويدل عليه أن الذرو صفة مشهورة من صفات الريحان.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَذِهِمَا نُذُرُّوُهُ أَرْيَبٍ﴾، ومعنى (تذروه) ترفعه وتفرقه، فهي تذرو التراب والمطر وغيرهما، ومنه قول ذي الرمة:

ومنهل آجن قفر محاضره تذرو الريحان على جمائه البعرا ولا يخفى سقوط قول من قال: إن الذاريات النساء.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَأَلْمَحِيْلَتْ وَقَرآً﴾ أكثر أهل العلم على أن المراد بالحاملات وقراً: السحاب. أي المزن تحمل وقراً ثقيلاً من الماء.

ويبدل لهذا القول تصرح الله جل وعلا بوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لتقل السحابة بوقر الماء الذي تحمله، كقوله تعالى: ﴿وَبِنِيَّةً أَسْحَابُ أَلْيَقَالَ﴾، وهو جمع
سحابة ثقيلة، وقوله تعالى: 

الباء مُقَارِبٍ.

وقال بعضهم: المراد بالحاملات وقراً: السفن تحمل الأثقال من الناس وأمنتهم.

ولو قال قائل: إن الحاملات وقراً الريح أيضاً لكان وجهه ۲۴۰ ظاهراً، / ودلالة بعض الآيات عليه واضحة؛ لأن الله تعالى صرح بأن الريح تحمل السحاب الثقاب بالماء، وإذا كانت الريح هي التي تحمل السحاب إلى حيث شاء الله، فنصب حمل ذلك الوقار إليها أظهر من نسبته إلى السحاب التي هي محمولة للريح، وذلك في قوله تعالى: 

۲۴۱ وهو الريح ترسِل، يُرتِجَعُ بِالْغَرْقِ يَدُوى رَمْحَيْهِ. حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا فَقَالَ تَلَّهَمِّتْهُ الْأَيَاة.

فقوله تعالى: 

۲۴۲ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا فَقَالَ تَلَّهَمِّتْهُ أي حتى إذا حملت الريح سحاباً ثقاباً، فالإقلال الحمل، وهو مسدود إلى الريح. ودلالة هذا على أن الحاملات وقراً هي الريح ظاهرة كما ترى.

ويصح شمول الآية لجميع ذلك، وقد قدمنا مراراً أنه هو الأجود في مثل ذلك، وبينما كلام أهل الأصول فيه، وكلامهم في حمل المشترك على معنيه أو معانيه، في أول سورة النور وغيرها.

والقول بأن الحاملات وقراً: هي حوامل الأجنة من الإثاث، ظاهر السقوط.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: 

۲۴۳ فَأَلْقَاكُمْيَتْ يُنْزِرُونَ أكثر أهل العلم على أن المراد بالجبارات يسراً: السفن تجري في البحر يسراً، أي جرياً ما يسر أي سهولة.
والآثار أن هذا المصدر المنكر حال كما قدمنا نحوه مرارًا،
أي فالجارية في حال كونها ميسرة مسخراً لها البحر.

ويدل لهذا القول كثرة إطلاق الوصف بالجري على السفن،
وقوله تعالى: (وَقَالَ هُمْ لِلَّهِ) الآية، وقوله: (إِذَا نَاقَطُ أَلَامًا)
حَمِيتَكُمْ فِي الْقُرْقُورٍ)، وقوله تعالى: (وَأَلْفَاحٌ تَجْرِي فِي الْبَرِّ وَأَلْفَاحٌ)
وقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سَحَّرَ لَكُمْ الْبَرِّ وَالْبَرِّ وَأَلْفَاحَ فِيهَا) إلى غير
ذلك من الآيات.

وقيل: الجارية الريح. وقيل غير ذلك.

وقوله تعالى: (فَأَلْفَاحَ) هو الملائكة يرسلها الله
في شؤون وأمور مختلفة، ولذا عبر عنها بالمقسمات. ويدل لهذا
قوله تعالى: (فَأَلْفَاحٌ أَمَّرَ) فمنهم من يرسل لتسخير المطر
والريح، ومنهم من يرسل لكتابة الأعمال، ومنهم من يرسل لقبض
الأرواح، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم، كما وقع لقوم صالح.

والتحقيق أن قوله: (أمَّرَ) مفعول به للوصف الذي هو
المقسمات، وهو مفرد أريد به الجمع، وقد أوضحتنا أمثلة ذلك في
القرآن العظيم وفي كلام العرب، مع تنكر المفرد كما هنا، وتعريفه
وإضافته في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: (فَمَا
تَحْجَمَتْ مَثَلًا).

والمقسم عليه بهذه الأقسام هو قوله: (إِنَّمَا تَعَذَّبُونَ ٍ أَنَّهَا)
(وَإِنَّهَا لَوَقُطْنَ ٍ)، والواجب لهذا التوكيده هو شدة إنكار الكفار للبعث
والجزاء.

وقوله: (إِنَّمَا تَعَذَّبُونَ) (ما)، فيه موصولة والعائد إلى الصلة
محذوف، والوصف بمعنى المصدر، أي إن الذي توعدونه من الجزاء والحساب لصدق لا كذب فيه.

وقال بعض العلماء: (ما) مصدرية، أي إن الوعد بالبعث والجزاء والحساب لصادق.

وقال بعضهم: إن صيغة اسم الفاعل في (الصادق) بمعنى اسم المفعول، أي إن الوعد أو الموعود به لمصدق فيه لا مكذوب به، ونظر ذلك قوله تعالى: ‏(في عشتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أي مرضية.

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من صدق ما يوعدونه جاء في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ‏(لا إله إلا الله لا يجلُب لِئِلْيَمِكَاد) وقوله: ‏(إِنَّكَ مَانْعُوْكَرُ يَّأَبِي) وقوله تعالى: ‏(ليُسْ لَوْقَنِيَّ كَذِبَةً) ووالآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

والمدراد بالدين هنا الجزاء، وإن الجزاء يوم القيامة لواقع لا محالة، كما قال تعالى: ‏(يَوْمَ يَوْمُ ذُكُورِ اللهِ دِينُهُمْ أَلْحَقَّ) أي جزاءهم بالعدل والإنصاف، وقوله تعالى: ‏(وَأَنَّ سُعُورَ سَوْفُ يَرَى) ثم يجريهُ (الجزاء الأوف).

وقد نزى الله نفسه عن كونه خلق الخلق لا لبعث وجزاء، وبين أن ذلك ظن الكفار، وهددهم على ذلك الظن السيء بالويل من النار، قال تعالى مكرأاً على من ظن عدم البعث والجزاء، ومنه نفسه عن أنه خلقهم عبذاً لا بعث وجزاء: ‏(أَفَخَافُتمُ أَنْ خَلَقْتُمُ عَبْدَيْنِ أَنْ خَلَقْتُكُمْ عَبْدَيْنِ إِنَّا لَا نُرعُونَ) ففعل الله الملك الحق لا إلى الله إلا هو رب العرش الالهكرير، وقال تعالى: ‏(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا كِبْلَةً) فظن الذين كفروا قرئ الله الذين كرروا من الآيات، في قوله في آية ص هذه: ‏(باطلًا) أي عبذاً لا لبعث وجزاء.
قوله تعالى: "ولستما ذاَتِ الْحَبَكَ إِنْ كُنْتُ لَآ لِيْ قُولُ مُخْلِفٍ".

يُفْرَكُ عَنْهُ مِنْ أَفْلَكَ.

قوله تعالى: "ذَاَتِ الْحَبَكَ" فيه للعلماء أقوال متقاربة لا يكتب بعضها بعضاً، فذهب بعض أهل العلم إلى أن الحبك جمع حبيكة أو حباك، وعليه فالمعنى: (ذات الحبك) أي ذات الطرائق، فما يبدو على سطح الماء الساكن أو الرمل من الطرائق إذا ضربته الريح هو الحبك، وهو جمع حبيكة أو حباك، قالوا: وبعد السماء لا ترى طرائقها المعبر عنها بالحبك، ومن هذا المعنى قول زهير:

مكلل بأصول النجم تنسج ريح خريج بضاحي مائه حبك 263

وقول الراجي:

كَأَنَّمَا جَلَّلَهَا الحواك طنفية في وشيها حباك

ومن نقل عنه هذا القول الكلبي والضحاك.

وقال بعض أهل العلم: (ذات الحبك) أي ذات الخلق الحسن المحكم. ومن قال به ابن عباس وعكرمة وقادة.

وهذا الوجه يدل عليه قوله: "الذَّي خَلَقَ سَبْعَ سُلَوْمٍ طَبَّقاً مَا تَرَى فِي حَلِيقَ الْرَّحْمَيْنِ مِنْ تَفْنُّوَتِ فَأَرَجَحَ الْبَصَرُ حَلَّ تَرَى مِنْ فُضُوْرٍ ۚ مَا أَرَجَحَ الْبَصَرُ كَرَيْنَ بِتَقَلُّبٍ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَادِيْتَأَ وَهُوَ حِسَابُكُ ‏ۚ ۚ إِلَى غَيْرٍ ذَلِكَ مِنْ الأَيَّاتِ".

وعلى هذا القول، فالحبك مصدر؛ لأن كل عمل أثققه عامله وأحسن صنعه تقول فيه العرب: حبك حباك بالفتح على القياس.

والحبك بضمتين بمعناه.

وقال بعض العلماء: (ذات الحبك) أي الزينة. ومن روي عنه
لا ينفي العدول عنه في نظر: أن لفظة (عن) في الآية سببية كقوله
تعالى: {وما تَعْنِيُونَ مَنْ يُكَفَّرُكُمْ عَنْ حَيَّانِهِ} أي بسبب قولك ومن ألجه، والضمير المجرور بعن راجع إلى القول المختلف، والمعنى: (يؤفك) أي يصرف عن الإيمان بالله ورسوله (عنه) أي عن ذلك القول المختلف أي بسبب (من أفك) أي من سبكت له الشقاوة في الأزل، فحرم الهادي وأفك عنه؛ لأن هذا القول المختلف يكذب ببعضه ببعضاً ويناقضه.

ومن أوضح الأدلة على كذب القول وبطلانه اختلافاته وتناقضاته كما لا يخفى؛ فهذا القول المختلف الذي يحاول كفár مكة أن يصدوا به الناس عن الإسلام، الذي يقول فيه بعضهم: إن الرسول ساهر، وبعضهم يقول: شاعر، وبعضهم يقول: كاذب. ظاهر البطلان لتناقضه وتكذيب بعضه لبعض، فلا يصرف عن الإسلام بسببه إلا من صرف، أي صرف الله عن الحق لشقاوته / في الأزل، فمن لم يكتب عليه في سابق علم الله الشقاوة والكفر لا يصرفه عن الحق قول ظاهر الكذب والبطلان لتناقضه.

وهذا المعنى جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: {إِنَّكُمْ مَا تَعْتَزُونَ مَا أَنْصَرَ عَلَيْهِنَّ يَتَّبِعُونَ ۖ إِلاَّ مَنْ هُوَ سَالِفُ ٱلسَّلَّامُ}.

وعننى هذه الآية: أن دين الكفار، الذي هو الشرك بالله وعبادته الأوثان، مع حرصهم على صد الناس عن دين الإسلام إليه، ما هم بفائتين، أي ليسوا بمضلين عليه أحداً لظهور فساده وبطلانه، (إلا من هو صال الجحيم)، أي إلا من قدرب الله عليه الشقاوة وأنه من أهل النار في سابق علمه.

هذا هو الظاهر لنا في معنى هذه الآية الكريمة.
وأكثر المفسرين على أن الضمير في قوله: {يُؤفَّك عنْهَه} راجع إلى النبي ﷺ أو القرآن، أي يصرف عن الإيمان بالنبي أو القرآن، (من أفك) أي يصرف عن الحق، وحرم الهدى؛ لشدة ظهور الحق في صدق النبي ﷺ، وأن القرآن منزل من الله.

وهو خلاف ظاهر السياق كما ترى.

وقول من قال: {يؤفَّك عنه} أي يصرف عن القول المختلف بالباطل (من أفك) أي من صرف عن الباطل إلى الحق؛ لا يخفى بعده وسقوطه، والذين قالوا هذا القول يزعمون أن الأفك يطلق على الصرف عن الحق إلى الباطل، وعن الباطل إلى الحق. ويبعد هذا أن القرآن لم يرد فيه إلا الأفك مراد به إلا الصرف عن الخير إلى الشر، دون عكسه.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعِيَّٓونٍ}.

لا يخفى على من عنده علم بأصول الفقه أن هذه الآية الكريمة فيها الدلالة المعروفة عند أهل الأصول بدلالة الإيماء والتنبيه على أن سبب نيل هذه الجنات والعيون هو تقوى الله، والسبب الشرعي هو العلة الشرعية على الأصح.

وكون التقوى سبب دخول الجنات الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء موضوعاً في آيات آخر من كتاب الله، كقوله تعالى: {تَلَکَ الْجَمِيعَةُ الَّتی نُورِتُنَّ بِهَا عِبَادَنَا مَنْ كَانَ نَزِیَا}، وقد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {فَهَیِّهَا إِنِّی أَشْهَرُتْ كَذَلِکَ بِجَدِّی اللَّهِ الْمَنِیقِیْسِ}.
سورة الدّاريات

قوله تعالى: "وفي الأرض ذُنوتٌ لِلطَّمُوعينَ وَفي أنفسكم أفلا تَصْبِرُونَ؟".

قد قدمنا الآيات الموضوعة له في أول سورة الجاثية.

قوله تعالى: "وفي السماء رزقكم وما توعدو".

اختفى العلماء في المراد يكون رزق الناس في السماء.

فذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن المراد أن جميع أرزاقهم منشوّها من المطر، وهو نازل من السماء، ويكت في القرآن إطلاق اسم الرزق على المطر لهذا المعنى، كقوله تعالى: "هو الذي يُريكم ءايتنا. ويُزِّرُكُم من السماء رزقاً"، وقوله تعالى: "وَتَجْعَلْنَا لَكُم مِّن السَّمَاوَاتِ رَزِيقًا" الآية، وقد قدمنا الآيات الموضوعة لهذا في سورة المؤمن.

وإنزاله تعالى الرزق من السماء بإلزالة المطر من أعظم آياته الدالة على عظمته وأنه المعبد وحده، ومن أعظم نعمه على خلقه في الدنيا، ولذلك كثر الامتنان به في القرآن على الخلق.

وقال بعض أهل العلم: معنى قوله: "وفي السماء رزقكم" أن أرزاقكم مقدرة مكتوبة، والله جل وعلا يدبر أمر الأرض من السماء، كما قال تعالى: "بِذَٰلِكَ اسْتَوَى الْأَرْضُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تُرْيَجِّهَا الآية.

قوله تعالى: "وَما توعدو" (52) (ما) في محل رفع عطف على قوله: "رزقكم"، والمراد بما ي وعدون: قال بعض أهل العلم: الجنة؛ لأن الجنة فوق السماوات، فإطلاق كونها في السماء إطلاق
عربي صحيح؛ لأن العرب تطلق السماء على كل ما علنا،
كما قيل:
وقد يسمى سماء كل مرتفع وإنما الفضل حيث الشمس والقمر.
ولما حكي النابغة الجعدي شعره المشهور، قال فيه:
بلغنا السماء مجدنا وسناًنا وإننا نرجز فوق ذلك مظهراً.
قال بعض أهل العلم: (وما توعدون) من الخير والشر كله مقدر
في السماء، كما بنياه في القول الثاني في المراد بالرزق في الآية،
وهذا المعنى فيما يوجدون به أنساب لهذا القول الثاني في معنى الرزق.
وقد وردت قصص تدل على أنه هو الذي يتبادر إلى ذهن السامع، فمن ذلك ما ذكره غير واحد عن سفيان الثوري أنه قال: قرأ واصل الأحبذ هذه الآية: (وفي النبتة نذكرو وما تعودون) فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلب في الأرض، فدخل خربة يمكث ثلثاً لا يصيب شيئاً، فلما أن كان في اليوم الثالث إذ هو بدوخلة من رطب، وكان له أحسن منه نية، فدخل معه فصارتا دوختين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت.
ومن ذلك أيضاً: ما ذكره الزمخشي في تفسير هذه الآية قال:
ومن الأصمعي قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على تعود له، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصم. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يلبى فيه كلام الرحمن. فقال: اتله علي، فتلوت:
والداريات، فلما بلغت قوله تعالى: {في أَنْتَاهُ رَفَضْتَ} قال: حسبك.
فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدر، وعهد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى، فلما حزقت مع الرشيد طلقته أطول فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق، فالتقت، فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر، فسلم علي واستقرأ السنة، فلما بلغت الآية صاح، وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربا حقا، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت {فَرْبَ أَنتِ بِالْأَرْضِ لَنْ تُلْحَىَّ مَا أَنْكُمْ تُطَفِّقُونَ} فصاح وقال: يا سبحانه الله! من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف؟! لم يصدقوه بقوله حتى ألجئوه إلى اليمين. قالها ثلاثا، وخرجت معها نفسه. انتهى.

* قوله تعالى: {هَلْ أَنْبِكَ حَدِيث صَيْف إِبْرَهِيمَ الْمُكَرِّمِ}.
إِذ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا مَعَنٌّ. إلى آخر القصة.

قد قدمنا إيضاحه في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى:
{وَبَيَّنَّهُم ۗ عَنَّ صَيْفِ إِبْرَهِيمِ} الآيات، وفي سورة هود في القصة المذكورة، فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

* قوله تعالى: {وَنَزَكَّاهُ فِي هَيَاةٍ لَّيْلِي نَيْفَانَ يَخَافُونَ الْمُذَابَ}.

آلاَّلِمَ.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: {وَآتَاهَا الْيَمِينَ مُقْيَمٌ}، وفي غير ذلك من المواضع.

* قوله تعالى: {وَفِي كَأِنْذَرْسُلْنَا مَكَّةَ أَرْيَبَ الْعَقِيمِ}.

قد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ يَحُصِّنَ فَيَأْتِى} الآية.
قوله تعالى: «فأخذتهم الصعقة وهم ينظرون».

قد قدننا الآيات الموضحة له في سورة فصلت في الكلام على 619 قوله تعالى: / وأما نموذ فهدنهم فاستحبوا العلم على أهل دار قخذتهم صعقة المدا ملأنهم الآية.

قوله تعالى: «وأسما ببنينها بأيد وفنا الموعرون».

قد قدننا الآيات الموضحة له في سورة ق في الكلام على قوله تعالى: / أفر نظروا إلى مستور فوه كيف ببنينها الآية.

تنبيه

قوله تعالى في هذه الآية الكريم: (بنينها بأيد) ليس من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم; لأن قوله: (بأيد) ليس جمع يد، وإنما الأيد القوة، فوزن قوله هنا: (بأيد) فعل، ووزن الأيدي أفعال فالهمزة في قوله: (بأيد) في مكان الفاء، واللياء في مكان العين، والدال في مكان اللام. ولو كان قوله تعالى: (بأيد) جمع يد لكان وزنه أفعالا، فتكون الهمزة زائدة، واللياء في مكان الفاء، والدال في مكان العين، واللياء المحدودة لكونه متقصياً هي اللام. والأيد، والدال في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيد قوي، ومنه قوله تعالى: (وأَيْدَتْهُ بِرَجُلٍ أَيْدِي). فمن ظن أنها جمع يد في هذه الآية فقد غلط غلطًا فاحشاً.

والمعنى: والسماء ببنينها بقوة.
قوله تعالى: ۢکذّبُکمَّ مَا أَنَى الْيَتَّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُوْلِ إِلَّآ كَأَذَّنَوْاُ سَاحرُ أَوْ مَجِنُونٌۢ أَنْ تَوَاصُواُ يَهُوَ الْهَيْمُ قَوْمُ طَاغِونَۢ. ۢ

ذُكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنهما ما أتى نبيّ قومهما إلا قالوا ساحر أو مجنون، ثم قال: (أتواصوا به) ثم أضرب عن تواصيهم بذلك إضراب/إبطال؛ لأنهم لم يجمعوا في زمن حتى يتواصوا فقال: ۢبُلَّهُمْ قَوْمُ طَاغِونَۢ أي الموجب الذي جمعهم على اتفاقيهم جميعاً على تكذيب الرسول ونسبتهم للسحر والجهنون هو اتحاد الطغيان الذي هو مجاوزة الحد في الكفر.

وإذا يدل على أنهم إنما اتفقوا لأن قلوب بعضهم تشبه قلوب بعض في الكفر والطغيان، فتشابهت مقالاتهم للرسول لأجل تشابه قلوبهم.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في سورة البقرة: ۢکذَّبُکمُّ قَالَ الْبَيْنَبُ سِنْبَأَهُمْ يَشْهَدُونَ قَوْلُهُمْ لَقَوْلَهُمْۢ.

قوله تعالى: ۢفَنُظُّرُ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ يَتَّقُرُوْرۢ\ۢ. \نفيه جل وعلا في هذه الآية الكريمة للّوم عن نبيه، يدل على أنه أدى الأمانة ونصح للأمة.

وقد أوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ۢأَيُّوْمَ أَكْبَثَ لَكُمُّ دِينَتَكُمْ وَأُثِّنَتْ عَلَيْكُمْ أَشْرُقُكُمْ وَرَمَيْتُ لَكُمُّ الْإِسْلَامَ دِيَاًۢ، \وقوله تعالى: ۢإِنَّا عَلِينَا الْيَتَّنَّ عَلَيْنَا الْحُسَابَۢ، \والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة معلومة.

قوله تعالى: ۢوَذَكُّرْ فَإِنَّ الْذِّكْرِيْ أَنْفُعُ الْمُوتُمُيْنِرۢ\ۢ. \قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك، أن من أنواع البيان
أضواء البيان

التي تضمنها أن يجعل الله شيئاً لحكم متعددة، فذكر بعض حكمه في بعض المواضع، فإننا نذكر بقية حكمه، والآيات الدالة عليها، وقد قدمنا أمثلة ذلك.

ومن ذلك القليل هذه الآية الكريمة، فإنها تضمنت واحدة من حكم التذكير، وهي رجاء انفعال المذكر، لأنه تعالى قال هنا:

٨٠٣ وربنا što نذكر نفع المؤمنين

ولم يكن ذكرنا فارق من عهد التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جمع الله هاتين الحكمتين في قوله: قُالَ أَمْضِي إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَعَنُّوا

ومن حكم ذلك أيضاً: النبأة عن الرسول في إقامة حجة الله على خلقه في أرضه؛ لأن الله تعالى يقول: رُسِلًا مُّبِينِينَ وَمَنذِرِينَ إِنَّلَا يكونُ اللَّجَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ مَدِينَةً.

وقد بين هذه الحجة في آخر طه في قوله: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَكْنَهُم

٨١١ بَعْدًا مِنْ قَبْلِهِ لَقَدْ أُرَسَلْتُ لَأَنْتَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا عَرَسَلْتُ أَنْتَ إِسْرَعْنَا فَصَلِّ لَنَا وَأَسْلَمْنَا وَأَنَبُّ إِلَيْكَ وَذُكْرِ

وأشار لها في القصص في قوله: وَلَوْلَا ان تَسْتَبِينُ وَمَعَكَ ما قدَمَتْ أَنْبِيَاهُمْ فِي قَوْلِهِمْ رَبِّ نَأْتَنَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتْبَعِيَ وَأَنَبُّ إِلَيْكَ وَذُكْرِ

٨١٢ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ

والله تعالى أيضًا هذا الحكم في سورة المائدة في الكلام على قوله:

٨١٣ قُولُوهُمُ: عَلَيْكَمْ أنفسكمْ لَيُبْدِئُونَ مِنْ نَظْلِ الَّذِي إِنَّاءْنُهُ

٨١٤ وَمَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالْإِنْسَ إِلَّا

٨١٥ لِيَبْعَدُونَ

٨١٦ إِلَّا

اختلاف العلماء في معنى قوله: (ليُبَدِّئُونَ) فقال بعضهم:
المعنى ما خلقتهم إلا ليعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء، فالحكمة المقصودة من إيجاد الخلق التي هي عبادة الله حاصلة بفعل السعداء منهم، كما يدل عليه قوله تعالى: "فَإِنَّكُمْ هُوَ الْأَكْبَرُ ۗ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ مَثْلَ الْيَلِدِينَ (88)." وهذا القول نقله ابن جرير عن زيد بن أسلم وسفيان.

وغاية ما يلزم على هذا القول أنه أطلق فيها المجموع وأراد بعضهم، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن ومن أوضحها قراءة حمزة والكسائي: (فإن قلتكم فاقتلوه) من القتل لا من القتال، وقد بينا هذا في مواضع متعددة، وذكرنا أن من شواهده العربية قول الشاعر:

فسيف بني عيسى وقد ضربوا به نبا من يدئي ورقاء عن رأس خالد.

فترة نسب الضرب لبني عيسى مع تصريحه أن الضارب الذي نبا بيه السيف عن رأس خالد يعني ابن جعفر الكلابي، هو ورقاء يعني ابن زهير العباسي.

وقد قدمنا في الحجرات أن من ذلك قوله تعالى: "قَالَ اللَّهُ اسْتَجِبْنِيْنِ "وَمَا أَنْصَرْنَا إِلَّا عِبَادَنَا الْأَصْلَمَاءَ (ق. 230)." بدليل قوله: "وَيَجْرِيُّ الْاَيْمَانَ مِنْ أَيْمَانَكُمْ يَسْتَجِبُّهُمُ اللَّهُ وَيُفْرَجُ عَنْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ (ق. 232)." إلى قوله: "سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ (ق. 233)." للله عفوًة رحمًة.

وقال بعض العلماء: معنى قوله: (إلا ليعبدون) أي إلا ليقوا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً؛ لأن المؤمن يطيع باختياره والكفار مذعن منقاد لقضايا ربه جبرأ عليه. وهذا القول رواه ابن جرير عن ابن عباس، واختاره، وبدل له قوله تعالى: "وَيَضْعُدُوا مِنْ أَلْسِنَتِهِ وَالْأَرْجَى طُوَاعٌ وَأَثْرَى (ق. 234)." الآية، والسبوع والعبادة كلاهما خضوع وتدلل الله
جل وعلا، وقد دلت الآية على أن بعضهم يفعل ذلك طوعاً وبعضهم يفعله كرهاً.

وعن مجاهم أنه قال: (إلا لعبادون) أي إلا لاعرفوني. واستدل بعضهم بهذا القول بقوله: 

وَلَنَّ سَبَلُهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ لِقَوْلِلَلَّهِ وَنحو ذلك من الآيات، وهو كثير في القرآن، وقد أوضحنا كرره فيه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: "إِنَّهُذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلْبَيْتِ هُدًى أَقْوَمَ".

وقال بعض أهل العلم، وهو مروي عن مجاهم أيضاً: معنى قوله: (إلا لعبادون) أي إلا لأمرهم بعبادتي فيعبدوه من وفقة منهم لعبادتي دون غيره. وعلى هذا القول: إرادة عبادتهم المدلول عليها باللام في قوله: (لعبادون) إرادة دينية شرعية وهي الملازمة للأمر، وهي عامة لجميع من أمرتهم الرسل بطاعة الله، لا إرادة كونية قدرية؛ لأنها لو كانت كذلك لعبده جميع الإنس والجنس، والواقع خلاف ذلك، بدليل قوله تعالى: "فَقَالْ يَا بَيْنَا الْحَسَنَاتُ وَلَا أَعْبُدُ مَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ"، إلى آخر السورة.

قال مفديه عفوا الله عنه وغفر له: التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية الكريمة (إلا لعبادون)؛ أي إلا لأمرهم بعبادتي، وأبتليهم، أي أختبرهم بالتكاليف، ثم أجازهم على أعمالهم، إن خيراً فخيراً وإن شرفاً فشرى.

إنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية، لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله، فقد صرح تعالى في آيات من كتبه أنه خلقهم ليتليلهم أيهم أحسن عملًا، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم.
سورة الذاريات

قال تعالى في أول سورة هود: "وهو الذي خلق السموم والأرض"
في سبعة أيام ووجب على عرشه علِّمهم آلامه، ثم بين الحكمة في ذلك.
فقال: "لابد منكم أن تحسن عملكم وليت نفلت إتمكم مغولون من بعد الموت. ليقولوا الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين.
قال تعالى في أول سورة الملك: "الذي خلق الموت والحياة ليبلوك." أي كفر أعظم عملًا.

وقال تعالى في أول الكهف: "إِنّا جعلنا مَعَ النَّارِ زِينَةً لَّا يَنْبُوحُ إِلَّا أَحْسَنُ عَمَلًا" الآية.

فتصريحا جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي / ابتلاوهم أهيم أحسن عملًا، يفسر قوله "ليبعضون" وهو ما يفسر به القرآن القرآن.

ومعلوم أن نتيجة العمل المقصود منه لا يتم إلا بجزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ولذا صرح تعالى بأن حكمة خلقهم أولا ويعتهم ثانياً. هو جزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وذلك في قوله تعالى في أول يونس: "إِنَّمَا يَبْدِى الْحَيَاةَ الْأُخْرَى لِلْيَمِينِ َ اللَّهُ مَعَهُمْ وَتَعَالَى الْقَبْلَاءُ وَاللَّهُ يَفْتَرِى عَلَيْهِمْ مَنْ يَخُفُّ وَعَذَابُ أَلَّلَهِ يَكُونُ كَأَنَّمَا يُكَفِّرُونَ"، وقوله في النجم: "وَهُوَ مَا في السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمَجِيدُ".

وقد أنكر تعالى على الإنسان حسابه وظن أنه يترك سدى، أي مهملاً، لم يؤمر ولم يُنهِ، وبين أنه ما نقله من طور إلى طور حتى أوجده إلا ليعويه بعد الموت، أي ويجازيه على عمله، قال تعالى: "أَيُحِبُّ الْأَهْلِ الْأَسْوَى أَن يُرْكِزُ بَنَاتٌ أَلَّلَهُ الْمُكَفَّرِينَ". إلى قوله: "أَلَّلَهُ".
وقد نزه تعالى نفسه عن هذا الظن الذي ظن الكفار به تعالى، وهو أنه لا يبعث الخلق ولا يجازيه، منكرة ذلك عليهم، في قوله: 
أَفِي جَبَرَوْنَآ أَنَّا خَلَقْنَاهُ عِبَادًا وَأَنكُمْ إِنَّكُمْ لَا تُجِينَونَ تَعَلَّمَ آِنَّا لَيْنَا إِلَّا هُوَ لِلَّهِ الْكَرِيمُ. 
وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في أول سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: 
مَّا حَقَّقْنَا السَّمَاوَاتَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بَلْحَقٍ وَلَحْقٍ مُّسَنِّبٍ. 

tnbyh

اعلم أن الآيات الدالة على حكمة خلق الله للسماء والأرض
وأهلها وما بينهما قد يظن غير المتأمل أن بينهما اختلافاً، والواقع خلاف ذلك؛ لأن كلام الله لا يخلاف بعضه بعضًا، وإيضاح ذلك: أن الله تبارك وتعالى ذكر في بعض الآيات أن حكمة خلقه للسماء والأرض هي إعلام خلقه بأنه قادر على كل شيء، وأنه محيط بكل شيء علمًا، وذلك في قوله تعالى في آخر الطلاب: 
قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا. وذكر في مواضع كثيرة من كتابه أنه خلق الخلق ليبين للناس
كونه هو المعبد وحده، كقوله تعالى: 
وَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ أَمَرٍّ يُبَشِّرُونَهُ وَلَا يُخَالِفُونَهُ وَلَا يَقْعُدُونَ. 

وذكر في مواضع كثيرة من كتابه أنه خلق الخلق ليبين للناس
خلقتهم برハン على أنه المعبد وحده بقوله بعده: "آللّى خلقكم وألّين من قلّكم" الآية.

والاستدلال على أن المعبد واحد بكونه هو الخالق كثير جداً في القرآن، وقد أوضحنا الآيات الدالة عليه في أول سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: "خلق حكّل شيء وقضاء نصرة" و"وثّدوا من دُونه الله لا يخلقون شياك" الآية، وفي سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: "أم جعلوا الله شريك خلقها كخلقهم، فنشبه الخلق علىٌهم فلله خلقُ كل شيء يوم الآية، وفي غير ذلك من المواضع.

وذكر في بعض الآيات أنه خلق السماوات والأرض ليبتلي الناس، وذلك في قوله: "وهو الذي خلق السماوات والأرض في سنةٍ أثام" و"حكاية عرشهم على الماء ليبنَوهِم آمن أحسن عملاء".

وذكر في بعض الآيات أنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم وذلك في قوله: "إنيما بِبَدْوَا الأرض نَمُيسُوهُم وِيَجْزى آلّين مَأَمَنُوا وَجَعَلْنَا صَمْلَحَهُم بِالْقَسْطِ" الآية، وذكر في آية الذارات هذه أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه.

فقد ظن غير العالم أن بين هذه الآيات اختلافاً، مع أنها لا اختلاف بينها؛ لأن الحكم المذكور فيها كلها راجع إلى شيء واحد، وهو معرفة الله وطاعته ومعرفة وعده ووعيده، فقاله: "إنيما بِبَدْوَا الأرض نَمُيسُوهُم وِيَجْزى آلّين مَأَمَنُوا وَجَعَلْنَا صَمْلَحَهُم بِالْقَسْطِ" وقوله: "أعطوا رَبَّكم آلّين خلقكم" راجع إلى شيء واحد هو العلم بالله؛ لأن من عرف الله أطاعه ووعده.

وهذا العلم يعلمهم الله إياه، ويرسل لهم الرسل بصمتضاء، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة، فالتكليف بعد
العلم، والجزاء بعد التكلف، فظهر بهذا اتفاق الآيات؛ لأن الجزاء لا بد له من تكلف، وهو الابتلاء المذكور في الآيات، والتكليف لا بد له من علم، ولذا دل بعض الآيات على أن حكمة الخلق للمخلوقات هي العلم بالخلق، ودل بعضها على أنها الابتلاء، ودل بعضها على أنها الجزاء، وكل ذلك حتى لا اختلاف فيه، وبعضه مرتب على بعض.

وقد بينا معنى (إلا ليعبدون) في كتابنا "دفع إهاب الاضطراب عن آيات الكتاب" في سورة هود في الكلام على قوله تعالى:

وَلَذَلِكَ خَلَقْنَاهُمُ وَلَدَى نَجْمِهِمْ

وبينا هناك أن الإرادة المدلول عليها باللاد في قوله:

وَلَذَلِكَ خَلَقْنَاهُمُ أي ولأجل الابتلاء إلى شقي وسعيد خلقهم، وفي قوله:

وَلَقَدْ ذَرَّأْنَا لِجَهَنَّمَ اسْكِتَّرَةً أَلِينِيفَ وَالَّذِينَ إِرَادَة

كونية قدرية، وأن الإرادة المدلول عليها باللاد. في قوله:

إِلَّا لِيَعْبُدُونَ

إرادة دينية شرعية.

وبينا هناك أيضًا الأحاديث الدالة على أن الله خلق الخلق منقسمًا إلى شقي وسعيد، وأنه كتب ذلك وقدره قبل أن يخلقهم.

677 وقال تعالى:

قَرِينُ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِينُ فِي الْعَيْنِ

والحاصل: أن الله دعا جميع الناس على ألسنة رسوله إلى الإيمان به وعبادته وحده، وأمرهم بذلك، وأمر به بذلك مستلزم للإدارة الدينية الشرعية، ثم إن الله جل وعلا يهدي من يشاء منهم ويشق، وفي دينه زينًا، فيصير إلى ما سبق به العلم من شقاق وسعادة.

وبهذا تعلم وجه الجمع بين قوله:

وَلَقَدْ ذَرَّأْنَا لِجَهَنَّمَ اسْكِتَّرَةً أَلِينِيفَ وَالَّذِينَ إِرَادَة

وإذكاء الله تعالى في القرآن الكريم.
سورة الدّاريات

لاَمُنِّى وَلَأَلْيَنِىَّ، وَقُولُهُ: ۖ وَلِذَٰلِكَ خَلَقُهُمْ، وَبِينَ قُوْلُهُ: ۖ وَمَا خَلَقْتُ لَٰلِيْنِىَّ وَلَأَلْيَنِىَّ إِلَّا لَيُعْبُدُونَ.

إِنَّمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الإِرَادَةَ قَدْ تُقَوَّنِ دِينَةَ شرَعِيَّةٍ، وَهِيَ مَلَأِمَةٌ لِلأَمَرِ وَالرَّضَا، وَقَدْ تَوَكَّنَ كُونَةُ قَدْرِيَّةٍ، وَلَيَسْتَ مَلَأِمَةُ لِهِمْ؟ أَلَّا إِنَّ اللَّهَ يَأْمَرَ الدِّينُ بِالْأَفْعَالِ المُرَادَةَ مِنْهُمْ دِينًا، وَيَرِدَ ذَلِكَ كُونًا وَقَدْرًا مِنْ بَعْضِهِمْ دُونَ بِضْعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُطْبَعَ بِإِيَّاهُ اللَّهُ، فَقُولُهُ: (إِلَى لِيِطَاعٍ) أَيْ فِي مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عَنْدِنَا، لَعَلَّهُ مَتَلَبِّي مَرَادِّ مِنْ الْمَكْفِلِينَ شَرْعاً وَدَينَا، وَقُولُهُ: (بِاِذِنِ اللَّهِ) يَدِلُّ عَلَى أَنَّهُ لا يَقْعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ كُونًا وَقَدْرًا، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَى يُقُولُ: (وَلَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارَ الْأَسْلَامِ وَيُهْدِى مِنْ دَخَلَةٍ إِلَى صِرْطَ مُسْتَقِيمٍ)، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُقُولُ: (كَلِّ مِيْسَرٍ لَّمَّا خَلَقَ لَهُ). وَالعَلِمُ عَنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

 قُولُهُ تَعَالَى: ۖ مَا أَرْبِدُ مِنْهُمْ مِنْ زَرَقٍ وَمَا أَرْبِدُ أَنَّ يُظَعِّمُونَ.

تُبَدِّي لَكَاٰنَا الآيَاتِ المُوضَّحَةَ لِهِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ فِي الكِلَامِ عَلَى قُولُهُ تَعَالَى: ۖ وَهُوَ يُظَعِّمُ وَلَا يُظَعِّمُ.

قُولُهُ تَعَالَى: ۖ إِنَّ اللَّهَ يَظْلِمُوا ذَنَبَّاهُمْ يُصُدُّ ذَنَبَهُمْ أَصِيحُهُمْ فَلاَ يُسَعِّجُونَ

أَصِلُ الْذَنَبُ فِي لَغَةِ الْعَربِ الْدَّلَوٍّ، وَعَادَةَ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَقْتَسَمُونَ مَاءَ الْآبَاتِ وَالْقُلُوبِ بِالْدَلَوٍّ، فَيَأْخَذُ هَذَا مِنْهُ مَلَءَ دَلَوٍّ، وَيَأْخُذُ الْآخَرُ كَذَٰلِكَ، وَمِنْهَا أُلْتِقَ اسْمُ الْذَنَبِ الَّذِي هِيَ الْدَلَوُّ عَلَى النَصِيبٍ. قَالَ الْرَّاجِزُ فِي أَقْسَمَمِهِمْ الْمَاءَ بِالْدَلَوٍّ:

لَنَا ذَنَبُ وَلَكَمْ ذَنَبُ وَفَإِنَّ أَيْبَهُمْ فَلْنَا القُلُوبِ
وبروى:
إنا إذا شاربنا شربب
له ذنوب ولنا ذنوب
* فإن أبي كان لنا القليب *

ومن إطلاق الذنوب على مطلق النصيب قول علقة بن عبده الترميمي، وقيل عبيد:
وفي كل حي قد خبطت بتعمة
وقول أبي ذؤيب:
لعمرك والمنيا طارقات
لكل بني أب منها ذنوب
فالذنوب في البيتين النصيب.

ومعنى الآية الكريمة: (فإن للذين ظلموا) بتكرير النبي (ذنوباً) أي نصيباً من عذاب الله، (مثل ذنوب أصحابهم) من الأمم الماضية من العذاب لما كذبوا رسولهم.

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: (قد قادتم الله من قبلهم فما
أغثى عنه ما كانوا يكسبون) فاصبحهم سيئات ما كسبوا وألذ اللتين ظلموا من
هئلاً مسقينهم سيئات ما كسبوا وما لهم مفرجون.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فلا تسعمذلون) قد
قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: (ويسعمذلون بإنسنة فهل الحسنات وفقد خلت من قبالتهم
المكنت)، وفي سورة مريم في الكلام على قوله: (فلا تعجل عليهم
إذ إن عدتمهم) وغير ذلك من المواضع.
قال تعالى: *(فويل لَئِدَينَ كَفَّرُوا مِن يَوْمِ مَن وَيَدَّ عَنْهُ فَإِنَّهُ عَلِيمٌ أَلَّذِي)*

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد الكفار بالويل من يوم القيامة لما ينالهم فيه من عذاب النار، جاء موضحًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى في س: *(فويل لَئِدَينَ كَفَّرُوا مِن أَلَّاتَيْنَ)*، وقوله في إبراهيم: *(فويل لَئِدَينَ كَفَّرُوا مِن عَذَابِ سُحَرَاءِنَا)*، وقوله في المرسلات: *(فويل لَئِدَينَ كَفَّرُوا مِن تَرْكِيْبَاتِنَا)*، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وقد قدمنا أن كلمة *(فويل)*، قال فيها بعض أهل العلم: إنها مصدر لا فعل له من لفظه، ومعناه الهلاك الشديد وقيل: هو واد في جهنم تستعيد من حره.

والذي سوغ الابتداء بهذه النكرة أن فيها معنى الدعاء.
سورة الطور
قوله تعالى: "وَأَطْوِرْنَا وَكَتَبْنَاهُ مَسْتَوْرٍا في رَيْقٍ مَّنْصُورٍ، وَأَلْبَيْبَ الْمُمْتَمِّعٍ، وَأَسْقِفَ الْمُرفوعٍ، وَالْبَحْرُ الْمُسْجُورٍ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَقَعَ مَا أَلْهُمُّ مِن دَافِعٍ.

هذَهَ الأَقْسَامِ الَّتِي أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا تَعَالَىَ فِي أَوْلِهِ هَذِهِ السُّوْرَةِ الكَرِيمَةُ، أَقْسَمَ بِبَعْضِها بِبَعْضٍ، وَأَقْسَمَ بِجِمِيعِهَا فِي آيَة عَامةً لَهَا وَلَغَيرَهَا.

أَمَّا الَّذِي أَقْسَمَ بِهَا مِنْهَا إِقْسَامًا حَيَاً، فَهُوَ الْطُوْرُ، وَالْكُتْبَةُ المُسْتَوْرَةُ، وَالْسَقْفَ المُرْفَعَ.

وَالاِظْهَرُ أنَّ الْطُوْرَ: الْجِبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسى، وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ فِي قُولِهِ "وَأَلْبَيْبَ الْمُمْتَمِّعٍ، وَأَسْقِفَ الْمُرْفَعٍ، وَالْبَحْرُ الْمُسْجُورٍ".

وَالاِظْهَرُ أنَّ الْكُتْبَةَ المُسْتَوْرَةِ هُوَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمُ، وَقَدْ أَكْثَرَ اللَّهُ مِنْ الْأَقْسَامِ بِهِ فِي كِتَابِهِ، قَوْلَهُ تَعَالَى: "وَأَلْكِتْبَ الْمُيَّاهِنَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "يَسِيرًا وَالْقُرْآنَ أَلْحَكِيمِ".

وَقَيلَ: هُوَ كِتَابُ الأَعْمَالِ. وَقَيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَالْسَقْفَ المُرْفَعَ: هُوَ السَّمَاءُ، وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ فِي
آيات متعددة، كقوله: «وَاسْتَرْهَبُوا ذَٰلِكَ ۖ وَقُولُهُ: ۖ وَاَسْتَرْهَبِيْذَاَّ ذِٰلِكَ»، وقوله: «وَاسْتَرْهَبُوا ذَٰلِكَ ۖ وَقُولُهُ: ۖ وَاَسْتَرْهَبِيْذَاَّ ذِٰلِكَ».

والرق، بفتح الراء: كل ما يكتب فيه من صحيفة وغيرها.

وقيل: هو الجلد المرقق يكتب فيه. وقوله: (منشور) أي مبسوط، ومنه قوله: «سَكْتَبْكُمُ اللَّهُ مَنْ شَرَّدَ»، وقوله: «بَلْ يُرَرُّ مَّثَّلُكُم مِّنْهُمْ».

والبيت المعروف في السماء السماوية بالضراب، بضم الضاد، وقيل فيه: (معموم) لقوله: في كثرة ما يغشاه من الملائكة المتميدين، فقد جاء الحديث أنه يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه بعدها.

وقوله: (والبحر المسجور) فيه وجهان من التفسير للعلماء:

أحدهما: أن المسجور هو الموقد ناراً. قالوا: وسبيطر البحر يوم القيامة ناراً، ومن هذا المعنى قوله تعالى: «ثُمَّ فِي الْكَامِلِ يُسْجَرُونَ».

والوجه الثاني: هو أن المسجور بمعنى المملوء؛ لأنه مملوء ماء، ومن إطلاق المسجور على المملوء قول لبيد بن ربيعة في معلقته:

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوورة قلامها

قوله: «مسجورة» أي عينا مملوءاً ماء.

وقول النمر بن تولب العكيلي:

إذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والساتما
وهذان الوجهان المذكوران في معنى المسجور هما أيضاً في قوله:

وإذا أليها سجرت ٢١.

وأما الآية العامة التي أقسم فيها تعالى بما يشمل جميع هذه الأقسام وغيرها، فهي قوله تعالى: فلا أقسم بنا أطراداً ونا لا تضرر ٢٢؛ لأن الإقسام في هذه الآية عام في كل شيء.

و قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: إن عذاب رئيك لوقف ٧، قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول الداريات، وفي غير ذلك من المواضع.

قوله تعالى: ١٤. لن تدهو آثار آلة ك المصدر ١٤.

الدُّعُو في لغة العرب: الدفع بقوة وعنف، ومنه قوله تعالى:

فذلك اليه يدغ عاليم١٨ أي يدفعه عن حقه بقوة وعنف.

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة أمرين:

أحدهما: أن الكفار يدفعون إلى النار بقوة وعنف يوم القيامة.

والثاني: أنهم يقال لهم يوم القيامة توبخاً وتقريعاً: هُذَى ٦٨٥.

آثِر آلة ك مثبطه تكذيبين ١٤.

وهذان الأمران المذكوران في هذه الآية الكريمة جاءاً موضحين في آيات أخرى، أما الأخير منهما، وهو كونهم يقال لهم: هذى آثار آلة ك مثبطه تكذيبين ١٤، فقد ذكره تعالى في آيات من كتابه، كقوله في السجدة: كلا آرادوا أن يحجزوا معاه أعداءها فيها وقبل لهم دوافع عذاب آثار آلة ك مثبطه تكذيبين ٢، و قوله في سبأ: فاهم لا يملك.
أضواء البيان

بَعْضُكُمْ يَضَعُّونَ نَفَاؤًا وَلا يَضَعُّونَ يَقِينً فَقُولُ النَّازِلِينَ الْجَارِينَ: {١٠٧}١٠٧ وَقُولُهُ تَعَالَى: {١٠٨}١٠٨ أَطْلُقْنَا إِلَى مَن كَتَبْنَاهُ نَكَّبَارُ {١٠٩}١٠٩ وَأَطْلُقْنَا إِلَى الْزَّلَّلِ ذَلِكَ شَعْبٌ {١١٠}١١٠ لَأْلِيْلِ وَلَا يَلِيْلٌ يَنْتَجِي مِنَ الْحَمْلِ {١١١}١١١ يَنُشِّئُ كَالْقَصْرِ {١١٢}١١٢ الآية، إِلَى١١٢ غَيْرٍ مِّنَ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا الْأَوَّلُ مِنْهُمَا، وَهُوَ كُونُهُمْ يِدْفَعُونَ إِلَى النَّارِ بِقُوَّةٍ، فَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَيْهُ وَهَجَآ إِيَّاهُ عِنْدَهُ كَلِمَةً ثَامِنَةً {١٢١}١٢١ إِلَى١٢١ سُوءَ الْجَهَرِ {١٢٢}١٢١ أي جَرَّوا بِقُوَّةٍ وَعَنَفُّ إِلَى١٢١ وَسَطِ النَّارِ. وَالْعَلَّ كُلُّهُ فِي١٢١ لِغَةِ الْعَرَبِ: الْجَرَّ عِنْفُ وَقُوَّةٍ، وَمِنْهُ قُوَّةٌ الْفَرْزِذُقِ: ١٢٢

لَا يُسْتَمِعُونَ بِنَاحِيَتِ أَبا هَامٍ حَتَّى١٢٣ تَرَدَّ إِلَى عَطْيَةٍ تَعْتَلُّ وَقُولُهُ تَعَالَى: {١٢٤}١٢٤ يَعْرِفُ الْمُبْلِجُونَ يُسْمِعُونَ فُوَّاحَاتَ الْأَلْوَاضِ وَالْأَقَامُ {١٢٥}١٢٥ أَيُّ تَجَمُّعِ الرِّبَاعَينَ بَيْنَ نَاصِيَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ أَيُّ مَقْدُمِ شَعْرٍ رَأْسُهُ وَقَدْمَهُ، ثُمَّ تَدَفَّعُهُ فِي النَّارِ بِقُوَّةٍ وَشَدَةٍ.

وَقَدْ بَيْنِ جَلْ وَعَلاً أَنْتَهُمْ أَيْضًا يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى١٢٦ جَرَّ وَجُرُوحِهِمْ فِي١٢٦ آيَاتِ مِنْ كُتَابِهِ، كَقُولِهِ تَعَالَى: {١٢٧}١٢٧ يَمْسَرُونَ فِي النَّارِ عَلَى١٢٧ جَرَّ وَجُرُوحِهِمْ دُوْهَاً مَّسَّ سَفْرٌ {١٢٨}١٢٨ وَقُولُهُ تَعَالَى: {١٢٩}١٢٩ قَالُوا كَسَبَّبْنَا الْجَهَرِ بِاللَّهِ إِنَّا أَرْسَلْنَا يُسْتَجِبُونَ {١٣٠}١٣٠ فِي١٣٠ الْقُرْآنِ هُمْ أُنْفِقُونَ عَلَى١٣٠ أَشْعَالِهِمْ وَالْقُلُوبِ.

وَقُولُهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ: {١٣١}١٣١ يَمْسَرُونَ بِاللَّهِ وَإِذَا لَمْ يُسْمَرُونَ فِي النَّارِ يَسْحَبُونَ {١٣٢}١٣٢ يُسْتَجِبُونَ فِي١٣٢ الْقُرْآنِ هُمْ أُنْفِقُونَ عَلَى١٣٢ أَشْعَالِهِمْ وَالْقُلُوبِ.

وَقُولُهُ تَعَالَى: {١٣٣}١٣٣ أَصِلُوا أَصِبْطَرَأَوْ لاَصِبْطَرَأَوْ أَسَوَأَ عَلَيْكُمْ إِنَّمَاِ {١٣٤}١٣٤ أَجْزَؤُ مَا كَسَبَّتُمْ عَلَى١٣٤ إِنَّمَا يُعَذِّبُكُمْ هُمْ مَعَذِبُونَ فِي النَّارِ.
لا ماحة، سواء صبروا أو لم يصبروا، فلا ينفعهم في ذلك صبر ولا جزء، وقد أوضح هذا المعنى في قوله: "قُلْ أَلَئِكَ الْكَانُونُ الْكَبِيرُ؟" وتلقيبه: "مَدَيْنِ مِنكُمَا سَوَاءً عَلَيْكُمَا أَجْرًا عَلَى أَمْرٍ مَّانِعًا مِّنْ مَجِيِّصٍ".

قوله تعالى: "كُلٌّ أَمْرٌ يَا كُسْبَ رَهْبٍ".

ظهرت هذه الآية الكرامة العموم في جميع الناس، وقد بين تعالى في آيات أخر أن أصحاب اليمين خارجون من هذا العموم، وذلك في قوله تعالى: "كُلُّ شَيْءٍ يَا كُسْبَ رَهْبٍ إِلَّا أَئِنَّ أَتْبَعْ الْبَيْتَ" في جنتين يسراً وشراً على المسلمين.

ومن المعلوم أن التخصيص بيان، كما تقرر في الأصول.

قوله تعالى: "وَأَمَلَدْنِهِمْ فِي نَكَهَةٍ وَلَحْرَ مَا يَشْهَدُونَ".

لم يذكر هنا شيئا من صفات هذه الفاكهة ولا هذا اللحم إلا أنه مما يشتهون. وقد بين عصاف هذه الفاكهة في مواضع أخرى، كقوله تعالى: "فِنْكِهَةٌ كَبِيرَةٌ لَا مَقْطُوعةً وَلَا مَنْهَوْةٌ"، وبين أنها أعوان في مواضع أخرى، كقوله: "وَلِكَ فِي هَايَا مَلَكُ الْأَلْبِيْعَانِ"، وقوله تعالى: "مَسْتَبِهَا لِلآيَةِ، وَقُولُهُ تَعَالَى: "أَوْلَى بِهِمْ رِزْقُ مَعْلُومٍ فَوْقَهُ" وَهُمْ فِكْرُونَ إِلَى غَيْرِ ذلِكَ مِنْ الْآيَاتِ، ووصف اللحم المذكور بأنه من الطير، والفاكهة بأنها مما يختبره على غيره، وذلك في قوله:

"وَفِنْكِهَا مَمْأَوْى مَخْرَجُونَ وَلِلْيَلِّ طَيْرًا مَا يَشْهَدُوْنَ".

قوله تعالى: "فَنَّضُرُّونَ بِهَا كَأَسَى لَا لَوْ غَيْرًا وَلَا تَأْيِذًا".

قرأه ابن كثير وأبو عمرو: (لا غوز) بالبناء على الفتح.
(ولا تأييم) كذلك؛ لأنها (لا) التي نفي الجنس، فبئنت معها، وهي
إن كانت كذلك نص في العموم.

وقرأه الباقون من السبعة: (لا لغو فيها ولا تأييم) بالرفع
والتنوين؛ لأن لا النافية للجنس إذا تكررت كما هنا جاز إعمالها
وإهمالها، والقراءتان في الآية فيهما المثال للوجهين، وإعمالها كثير،
ومن شواهد إهمالها قراءة الجمهور في هذه الآية، وقول الشاعر:

وأما هجرت حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل
وقوله: ﴿أَيْ تَعَاتِونَ فِيهَا كَأَسَّاً﴾ أي يتعاطون، ويتناول بعضهم من
بعض (كأسًا) أي خمراً، فالتنازع يطلق لغة على كل تعاط وتناول،
فكل قوم يعطي بعضهم بعضاً شيئًا ويتنازعه إياه فهم يتنازعونه، كتنازع
كؤوس الشراب والكلام، وهذا المعنى معروف في كلام العرب.

ومنه في الشراب قول الأخطل:

وشارب مريح بالكأس نادمني لا بالحصار ولا فيها بسوار
نازعته طيب الراح الشمل وقد صاح الدجاج وحانت وقعة السار
وقوله: ﴿نازعته طيب الراح﴾ أي ناولته كؤوس الخمر وناولتها.

ومنه في الكلام قول امرئ القيس:

ولما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذي شماريغ ميال
والكأس تطلق على إناء الخمر، ولا تكاد العرب تطلق الكأس

688 إلا على الإناء المملوء، وهي مئذنة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لا لغو فيها ولا تأييم﴾
يعني أن خمر الجنة التي يتعاطها المؤمنون فيها، مخالفًا في جميع
الصفات لخمر الدنيا، فخمر الآخرة لا لغو فيها، واللغو كل كلام ساقط لا خير فيه، فخمر الآخرة لا تحمل شاربها على الكلام الخبيث والهذيان؛ لأنها لا تؤثر في عقولهم، بخلاف خمر الدنيا، فإنهم إن يشربوها سكروا وطاشت عقولهم، فتكلموا بالكلام الخبيث والهذيان، وكل ذلك من اللغو.

والتأثيم: هو ما ينسب به فاعله إلى الإثم، فخمر الآخرة لا يأثم شاربها بشربها؛ لأنها مباحة له، فينعم بلذتها، كما قال تعالى: "وأثمر من حمر لذة الشريبين"، ولا تحمل شاربها على أن يفعل إثماً بخلاف خمر الدنيا، فشاربها يأثم بشربها ويحمله السكر على الوقوع في المحرمات كالقتل والزنا والقذف.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من مخالفة خمر الآخرة لخمر الدنيا، جاء موضحًا في آيات آخر من كتاب الله، كقوله تعالى: "يُطافُ علَمُه بماشٍ من وليٍّين (14) يِصصُعَانِ لذِةَ الشَّريِّبينِ (15) لا فِيهِ غَولٌ وَلَا هُمُ عَنْهَا يُزِرُونَكَ (16)" وقاله: (لا فيها غول) أي ليس فيها غول غبت العقول، فإنه يذكرها كخمر الدنيا، "ولا هُمُ عَنْهَا يُزِرُونَكَ (17) أي لا يسكرن، وكقوله تعالى: "يَثْلُفُ علَمُه ولَدُن مُغْلُدُونِ (16) يَأْوِيَنِيُّ بَيْنَ عَيْنَيْنِ (18) وَكَثَرَ مِن مُعَمِّي لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزِرُونَهَا (19)"، وقاله: (لا يصدعون) أي لا يصيبهم الصداع الذي هو وقع الرأس بسبتها.

وقد أوضحنا معنى هذه الآيات في صفة خمر الآخرة، وبينا أنها مخالفة في جميع الصفات لخمر الدنيا، وذكرنا الشواهد العربية في ذلك في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى: "يَكَبِّرُونَ الدِّينَ مَأْتِيَةً (إِنَّمَا الْخَيْرُ عِلْيَكُمْ وَأَنتُمْ مُتَّقُونَ)".
أُضِءَاءُ الإِبَانَ

فَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ عَلَمًا لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلَوْ مُكْنُونٌ﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة يطوف عليهم غلام، جمع غلام، أي خدم لهم، وقد قدمنا إطلاقات الغلام وشواهدها العربية في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى:

﴿مَا أَجَابَانِي إِلَّا بِقَلْبٍ مَّلَكًا﴾.

ولم ببين هنا ما يطوفون عليهم به، وذكر هنا حسنهم بقوله:

(كأنهم لؤلؤ مكنون) في أصدافه؛ لأن ذلك أبلغ في صفائه وحسنها، وقيل: (مكرون) أي مخزون لنفسيه؛ لأن النفس هو الذي يخزن ويُكنَّ.

وبين تعالى في الواقعية بعض ما يطوفون عليهم به في قوله:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنَّ مُخْلَدُونَ﴾،

وزاد في هذه الآية كونهم مخلدين، وذكر بعض ما يطاف عليهم به في قوله:

﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ أَكْرَابٌ وَأَبْنَاءٍ وَأَكْرَبُ مِنْ مَآئِينَ﴾،

وقوله تعالى:

﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مَّيْتٌ مَّيْتٌ وَرَجُلٌ مَّيْتٌ﴾.

والظاهرة أن الفاعل المذكور في قوله: (يطاف عليهم) في آية الزخرف والإنسان المذكورين هو الغلامان المذكوران في الظرور والواقعية.

وذكر بعض صفات هؤلاء الغلامان في الإنسان في قوله تعالى:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنَّ عَلَيْهِمْ إِذَا رَأَيْتُمْ سَيْبِهِمْ لَوْلَا مَلَكًا﴾.
قوله تعالى:  قُلُوُا إِنَّا أُخَافُونَ فِي أُهُدِيْنَا مُشْهَدَٰقٍ.
فَمَا: أَلَّهُ عَلَيْنَا وَقَدْ نَعَذَّبُ السَّمُوُورَ.

ذكر جلا وعلا في هذه الآية الكريمة، أن أهل الجنة يسأل بعضهم بعضًا، وأن المسؤول منهم يقول للسائر: (إنا كنا قبل) أي في دار الدنيا (في أهلا مشفقين) أي خائفين من عذاب الله، ونحن بين أهلا أحياء (فمن الله علينا) / أي أكرمنا وتفضل علينا بسبب الخوف منه في دار الدنيا، فهدانا ووقتنا في الدنيا (ووقتنا) في الآخرة (عذاب السموم) والسموم: النار ولفحها ووجهها، وأصله الريح الحارة التي تدخل المسام، والجمع سمائم. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أنامل لم تضرب على البهم بالضحي بهن ووجه لم تلحه السمائم:
وقد يطلق السموم على الريح الشديدة البرد، ومنه قول الراجز:
اليوم يوم بارد سمومه من جزء اليوم فلا ألومه الفاء في قوله: (فمن الله علينا) تدل على أن علة ذلك هي الخوف من الله في دار الدنيا.

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن الإشراق الذي هو الخوف الشديد من عذاب الله في دار الدنيا، سبب للسلامة منه في الآخرة، يفهم من ديل خطابه - أي مفهوم مخالفته - أن من لم يخف من عذاب الله في الدنيا لم ينج منه في الآخرة.

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة بمنطوقها ومفهومها جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، فذكر تعالى أن السرور في الدنيا وعدم الخوف من الله سبب العذاب يوم القيامة، وذلك في قوله:  وآمًا مَّن أُوتِّى كِتَابٌ.
ورأه ظهورًا، سوف يدهم بصرًا، ونصب سعيراً. إنكم كان ففي أهل مسرورًا. إنكم
فلا أن يحوروا الآية.

وقد تقرر في مسلك الإيماء والتنبيه أن (إنّ) المكوسة المشددة
من حروف التعليل، فقوله: (إنه كان في أهل مسرورًا) علة لقوله:
(فسوف يدعون ثورًا وصلى سعيراً).

والمسرور في أهل في دار الدنيا ليس بمشفق ولا خائف،
ويؤيد ذلك قوله بعده: (إنه ظن أن لن يحور); لأن معناه: ظن أن لن
يرجع إلى الله حيًا / يوم القيامة، ولا شك أن من ظن أنه لا يبعث بعد
الموت لا يكون مشفقاً في أهل خوفًا من العذاب؛ لأنه لا يؤمن
بالحساب والجزاء، وكون (لن يحور) بمعنى (لن يرجع) معروف في
كلام العرب، ومنه قول مهلل بن ربيعة النغثبي:
أهليتنا بذى حسام أيبرى إذا أنت انقضت فلا تحوري
فقوله: فلا تحوري، أي فلا ترجع.

وقول لبيد بن ربيعة العامري:
وما المرء إلا كالشهاب وضوته يحور رمادًا بعد ما هو ساطع
أي يرجع رمادًا، وقيل: يصير. والمعنى واحد.

وقوله تعالى: (وأصحح اللسان ما أصحح اللسان) في سموم وحميم.
وطلب بين يميرا ولا كرم، إنهم كانوا قبل ذلك مترفعه و كانوا يصرون
على لبلق الجليل الآية، لأن تنعمهم في الدنيا المذكورة في قوله:
(مترفعه) ، وإنا كارهم للبعث المذكور في قوله: (أودًا يسنا
وكن نظراً) الآية، دليل على عدم إشفاقهم في الدنيا، وهو علة
كونهم في سموم وحميم.
وقد قدمنا قريباً أن (إنّ) المكسوره المشددة من حروف التعديل، فقوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُواٌ فَيَدُ الْحَرْفِ} الآية، علة لقوله: {فِي سُوءٍ وَجَرِيمٍ} الآية.

وقد ذكر جل وعلا أن الإشفاق من عذاب الله من أسباب دخول الجنة والنجاة من العذاب يوم القيامة، كما دل عليه منطوق آية الطور هذه، قال تعالى في المعارج: {وَالْذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَهَّمُهُمْ} {مَّشَفَقُونَ} {إِنَّ عَذَابَ رَّبِّهِمْ عَيْنَ مَا مَأْوُونَ} {وَلَنْ يُعْرِجَ بَعْضُكُمْ فِي أَرْضِنَا وَلَا أُخْرِجَ بَعْضُكُمْ فِي أَرْضِنَا} {أَفَأَقْسَمْنَا بِلَهَدَآ أَيْمَّنِهِمْ لَا يُعْمَتُ اللَّهُ مِنْ يَعْمَتْهُ}. 292

وقال تعالى: {وَالْذِينَ رَفِيعُ الْأَلْقَابِ} {وَالْذِينَ سَوِّيَتْنَىٰ فِي الْخَلْقِ} {وَمِلْلادِ} {فِي جَنَّتِ وَحْيَةٍ} {فَالْيَعْرِجُ}.

وقوله في آية الواقعة المذكورة: (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أي يضروهم ويعزون على الذنب الكبير، كالشرك وإثكار البعش، وقيل: المراد بالحنث حثهم في اليمين الفاجرة، كما في قوله تعالى: {وَأُقَسِّمُواٰ بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يُعْمَتُ اللَّهُ مِنْ يَعْمَتْهُ}. 293

قوله تعالى: {فَدَخَلُواٰ فَما أَنتَ بِيَدَكَ يَكْبَاهِنَّ وَلَا} {مَجِنُونٌ} {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ أَنْ يَرِيَضَ بِهِ تَرَابُ الكُلُّ كَلِمَةٌ مَّرَّةً}. 294

نفی الله جل وعلا عن نبيه في هاتين الآتيين الكريمتين ثلاث صفات قبيحة رماه بها الكفار، وهي الكهانة والجنون والشعر، أما دعواهم أنه كاهن أو مجنون، فقد نفاها صريحاً بحرف النفي الذي هو (ما) في قوله: (فما أنت)، وأكد النفي بالباء في قوله: (بكاهن). وأما كونه شاعراً فقد نفاه ضمنا بأم المنقطعة في قوله: (أم يقولون
أشاع); لأنها تدل على الإضراب والإنيكار المتضمن معنى النفي.
وقد جاءت آيات أخرى بنفي هذه الصفات عنه كقوله تعالى
في نفي الجنون عنه في أول القلم: «ما أنتِ يَعْمَهُ ظَلَاءَ يَمَوْحُونَ»،
وقوله في التكوير: «وهّامُكُمْ كَمَا يَمْحُونَ»، وكقوله في نفي الصفتين
الأخيرتين عن الكهانة والشعر: «وَمَا هُوَ يَقْلُو لِشَاعِرٍ قَلِيلًا مَا أَمْرُونَ»
ولا يَقْلُ كَأَيْوٍ قَلِيلًا مَا نَذَكْرُونَ»، وقد قدمنا بعض الكلام على هذا في
سورة الشعراء وغيرها.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «نَتّرَضُّهُ يُهُرِبَ الْمَنْؤُونَ»
193 أي ننتظر به حوادث الدهر حتى يحدث له منها الموت، فالمنون:
الدهر، وربه: حوادثه التي يطرأ فيها الهلاك والتغير.
والتحقيق أن الدهر هو المراد في قول أبي ذؤيب الهذلي:
أَمْنَ الْمُنْون وربه تتوسع والدهر ليس بمثب من يجزع
لأن الضمير في قوله: «وربِه» يدل على أن المنون الدهر.
ومن ذلك أيضاً قول الآخر:
ترصب بها ريب المنون لعلها تطلق يوماً أو يموت حليلها
وقال بعض العلماء: المنون في الآية: الموت. وإطلاق المنون
على الموت معرف في كلام العرب، ومنه قول أبي الغول الطهوي:
هم منعوا حمى الوقى بضرب يؤلف بين أشزات المنون
لأن الذين ماتوا عند ذلك الماء المسمى بالوقى، جاؤوا من
جهات مختلفة، فجمع الموت بينهم في محل واحد، ولو ماتوا في
بلادهم لكانت مناهاهم في بلاد شتى.
سورة الطور

قوله تعالى: ١٥٧ «فَلَاتَوْا يَعْبِدُونَ مَثَلِهِ إِن كَانُوا صَدِيقِينَ».

قد قدمنا أن الله تحداه بمثله واحدًا من هذا القرآن في سورة البقرة قوله: ١٥٨ «فَلَاتَوْا يَعْبِدُونَ مَثَلِهِ إِن كَانُوا صَدِيقِينَ» للآية، وفي سورة يونس قوله تعالى: ١٥٩ «فَلَاتَوْا يَعْبِدُونَ مَثَلِهِ إِن كَانُوا صَدِيقِينَ» للآية.

وتحادوه في سورة هود جمعه، ونستعمله من الله للآية، وتحادوه في سورة الطور هذهـ بله كله، في قوله: ١٥٠ «فَلَاتَوْا يَعْبِدُونَ مَثَلِهِ إِن كَانُوا صَدِيقِينَ».

وبين في سورة بنى إسرائيل أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك، في قوله: ١٥١ «فَلَاتَوْا يَعْبِدُونَ مَثَلِهِ إِن كَانُوا صَدِيقِينَ» للآية.

وقد أطلق جل وعلا اسم الحديث على القرآن في قوله هنا: ١٥٢ «فَلَاتَوْا يَعْبِدُونَ مَثَلِهِ إِن كَانُوا صَدِيقِينَ»، كما أطلق عليه ذلك في قوله: ١٥٣ «لَهُمْ نُزُلْ أَحْسَنَ لَهُمْ كُتُبُ مُنْتَشِهَا» للآية، وقوله تعالى: ١٥٤ «ما كان حليستا يفتريك وليكين تصديق الله بين يديك» للآية.

قوله تعالى: ١٥٥ «أَا حَلَّقُوا مِن عَيْنِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِيْقُوتُونَ».

قد قدمنا الكلام عليه وعلى الآيات المشابهة له في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: ١٥٦ «أَطْلِعَ الْحَيَاةَ أَمْ أَتَخْذُ اِلْرَّحْمَنِ عَهْدًا».
**قوله تعالى: «أمَّ هُمْ سَأَرِّجُونَ فِيهِ» الآية.**

قد قدمنا الكلام عليه وعلى الأيات المشابهة له في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي أَسْمَاءِ بُرُوجٍ دِرَجَتَنِهَا لِلنَظْرِ» وَحَفْظُهُمُّها الآية.

**قوله تعالى: «أمَّهُ أَبْنِتٌ وَلَكُمُ الْبَيْنَونَ»**.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: «وَتَعْلَمُونَ يَا أَبْنَيْنِ سَبْحَانَكَّ وَلَهُمْ مَا يَشْهَدُونَ»، وفي مواضع أخرى متعددة.

**قوله تعالى: «أمَّا أَتَّهُمْ أَجَرًا فِيمَ مَعْرُوفٍ مَنْ تَعْقُوبُونَ»**.

قد قدمنا الآيات الموضحة له وما يتعلق بها من الأحكام في سورة هود في الكلام على قوله تعالى: «وَنَغْفِرَ لَكُمْ لاَ تُطَهَّرُونَ عَلَيْهِ مَالاً» الآية.

**قوله تعالى: «وَإِنَّ يَوْمًا كَسَفًا مِّنْ أَشْهَابِ سَابِقَةِ يَقُولُوا سَحَابًا مَّرْكَومًا»**.

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: «وَلَوْ نُزِلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فَرَطٍ فَقَسَّمْنَاهُ بَيْنَهُمْ الآية، وفي غير ذلك من المواضع.

**قوله تعالى: «يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهمُّ شَيْئًا»**.

بين جل وعلا في هذه الآية أن كيد الكفار لغني عنهم شيئًا في الآخرة، في غير هذا الموضوع، قوله تعالى: «هَذَا يَوْمِ الْقِضْلِ جَمَعُهُ وَلَا أُولَٰئِكَ يَكْفُرُونَ».
وبين أنه لا ينفعهم في الدنيا أيضاً، كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: ِٔٓٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔٔ..
سورة النجم
قوله تعالى: "وَالْحَدِيثُ إِذَا هُوَ ۡوَ لَا يَخْلُقُ صَافِيحًا وَمَا ۚ عَوَى ۗ وَمَا يَنْتَطِقُ عَنْ أَهْوَى ۡوَ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحِيٌّ يُبْرَءُ ".

اختالف العلماء في المراد بهذا النجم الذي أقسم الله به في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: المراد به النجم إذا رجعت به الشياطين.

وقال بعضهم: إن المراد به الثريا. وهو مروي عن ابن عباس وغيره.

ولفظة النجم علم للثريا بالغلبة، فلا تكاد العرب تطلق لفظ النجم مجردًا إلا عليها، ومنه قول نابغة ذبيان:

أقول والنجم قد مالت أواخره إلى المغيض تثبت نظرة حار.

فقوله: "والنجم": يعني الثريا.

وقوله تعالى: (إذا هوى) أي سقط مع الصبح. وهذا اختيار ابن جرير. وقيل: النجم: الزهرة.

وقيل: المراد بالنجم نجوم السماء، وعليه فهو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع، كقوله: (وَيَوْلُونَ الْذِّرِّ) يعني الأدباء.
وقوله: "وَجَّهُوهُ لِمُلَكَ وَالْمَلَائِكَةِ صَفَّاءً صَفًا" أي والملاكية، وقوله: "أَوْلَادُكَ بِجَنُوْبِ الْغَرَفَةِ يَمْكُرُونَهُ" أي الغرف. وقد قدمنا أمثلة كثيرة لهذا في القرآن، وفي كلام العرب في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: "فَمَتََّى يُسْتَمِكْ طَفَّلًا".

 وإطلاق النجم مراداً به النجوم معروف في اللغة، ومنه قول:

عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا تجيها قلته بهرام عدد النجم والحصى والتراب.

وقول الراعي:

فبائت تعد النجم في مستحيرة سريع بأيدي الآكلين جمودها.

وعلى هذا القول، فمعنى هُوّي النجوم سقوطها إذا غربت، أو انتشارها يوم القيامة.

وقيل: النجم: النبات الذي لا ساق له.

وقال بعض أهل العلم: المراد بالنجم الجملة النازلة من القرآن; فإنه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم منتجاً منجماً في ثلاث وعشرين سنة، وكل جملة منه وقت نزولها يصدق عليها اسم النجم صدقًا عريباً صحيحاً، كما يطلق على ما حان وقته من الديمة المنجمة على العاقلة، والكتابة المنجمة على العبد المكاتب.

وعلى هذا قوله: (إذا هو) أي نزل به الملك من السماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: هو هؤلاء هؤلاء إذا اخترق الهواء(1) نازلاً من أعلا إلى أسفل.

(1) في المطبوعة: "الهوي".
لفظ أولاً أن القول بأنه الثريا وأن المراد بالنجم خصوصاً، وإن اختاره ابن جرير وروى عن ابن عباس وغير واحد، ليس بوجيه عندى.

والأظهر أن النجم يراد به النجوم، وإن قال ابن جرير بأنه لا يصح، والدليل على ذلك جمعه تعالى للنجم في القسم في قوله تعالى: «فَأَقْلَلَ أَقْيِسُهُ فَمَيْتَبِعُ الْنَّجْمُ»، لأن الظاهر أن المراد بالنجم إذا هوى -هنا- كالمراد بمواعق النجوم في الواقعة.

وقد اختلف العلماء أيضاً في المراد بمواعق النجوم، فقال بعضهم: هي مساقيتها إذا غابت. وقال بعضهم: انثارةها يوم القيامة.

وقال بعضهم: منازلها في السماء؛ لأن النازل في محل واقع فيه.

وقال بعضهم: هي مواقع نجوم القرآن النازل بها الملك إلى النبي يالي.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب في نظري، أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواعق النجوم في الواقعة، هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجماً فنجماً، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى، الذي هو أن النبي صلى الله عليه وسلم على حق، وأنه ما ضلل وما غوى، وما ينطبق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحي، موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواعق النجوم، وهو قوله: "أَئِنَّكَ نَجْرَانُ كَيْمَاتٌ فِي كَتِبٍ مَّكْرُونَ" إلى قوله: "تَنَزَّلُونَ رُوَّا تَعَلَّمَيْنَ". ٧٠١
الأقسام بالقرآن على صحة رسالة النبي عليه صدق القرآن العظيم وأنه منزل من الله، جاء موضحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: "إِنِّي لَأَنَّى لِأَنتَ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمُ"، وقاله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، إِنَّا نَحْيَكُ عَلَى طَيْبَتِ الْبَيِّنَاتِ، وَأَنْبِئْنَا كِتَابًا مَّثْنَى مَثْنَى، ثُمَّ أَنْبَّأْنَا بِهَا الْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُوا لَّا يَسْتَغْلِيطَنَا أَلَّا يَسْتَغْلِيطُونَا إِلَّا الْمَغْلُوبُونَ، إِنَّا نَحْيَكُ عَلَى طَيْبَتِ الْبَيِّنَاتِ، وَأَنْبِئْنَا كِتَابًا مَّثْنَى مَثْنَى".

وخير ما يفسر فيه القرآن القرآن.

والثاني: أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم، هو القرآن العظيم، أنسب لقوله بعده: "وَلَّمْ يَأْتِيَكُمْ عَزْيَانُ عَزِيزُهُمْ"، لأن هذا التعظيم من الله يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة، ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله أنسب لذلك من نجوم السماء ونجم الأرض. والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريماً: "لَا صِلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَّيْتِينَ"، قال بعض العلماء: الضلالة يقع من الجهل بالحق، والغاي هو العدل عن الحق مع معرفته، أي ما جهل الحق وما عدل عنه، بل هو عالم بالحق متابع له.

وقد قدمنا إطلاقات الوضلال في القرآن بشواهدها العربية في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى: "قَالَ فَظَنَّهَا إِذَا أَنَا مِنَ الْعَظَمَاءِ"، وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: "قُلِّ إِنَّا نَسْتَكْفِي بِالْخَلَوَةِ أَحَدًا مِّنْ أَنَا رَبُّكُمَا، الَّذِينَ كَفَّارُهُمْ الآية".

وما تضمنه هذه الآية الكريماً من كونه على هدى مستقيم، جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: "فَوَتَأَلَّفَ عَلَى أَنَّى أَلَّمَ بِأَلْقَى أَلْقَى أَلْقَى"، وقوله تعالى: "فَلَا يَبْيِزُ عَلَيْكَ".
سورة النجم

في الأَّخِرِ وَأَدْعُهُ إِلَيْكَ وَأَعْلِمُ هَذَا مُسْتَقِيمًا ۖ وَقُولِهِ تَعَالَى: ۖ وَإِنْكَ لَيْدَيْنِ إِلَى صَرْطٍ مُّسْتَقِيمٍ.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: «فَأَسْأَلُكَ بِلَٰذٍ أَوْلَٰى إِلَيْكَ إِنْذَٰلَ عَلَى صَرْطٍ مُّسْتَقِيمٍ».

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «إِنَّ هُوَ إِلَّا رَحْمَةٌ مِّنِّي»، استدل به علماء الأصول على أن النبي ﷺ لم يكن يجهد، والذين قالوا: إنه قد يقع منه الاجتهاد، استدلوا بقوله تعالى: «فَمَا كَانَ لَنَاسًا أَن يَكُونَ لَهُمْ أَشْرَى هُمْ قَبْلَ يُنْتَجُونَ فِي الْأَرْجَأَنَّ» الآية، وقوله تعالى: «مَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالْأَلَّاهِ مِثْلَهُمْ» الآية.

قالوا: فلو لم يكن هذا عن اجتهاد، لما قال: «فَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالْأَلَّاهِ مِثْلَهُم» الآية، ولما قال: «فَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالْأَلَّاهِ مِثْلَهُم» الآية.

ولا منافاة بين الآيات؛ لأن قوله: (إن هو إلّا وحي يوحى) معناه أن النبي ﷺ لا يبلغ عن الله إلا شيخًا وأوحي إلى أن يبلغه، فمن يقول: إنه شعر أو سحر أو كهانة، أو أساطير الأولين، هو أكذب خلق الله وأكبرهم، ولا يتفق ذلك أنه أذن للمتخلفين عن غزوة تبوك، وأسر الأsarى يوم بدر، واستغفر لعمة أبي طالب، من غير أن ينزل عليه وحي خاص في ذلك، وقد أوضحنا هذا في غير هذا الموضوع.

قوله تعالى: «أَعْمَاهُ وَسُجَّدَ الْقُوَّى».

المراد بشديد القوى في هذه الآية: هو جبريل عليه السلام، والمعنى أنه علّمه هذا الوحي ملك شديد القوى هو جبريل.
وَهذِهِ الْآيَةُ الكَرِيمَةُ قَدْ تَضَمَّنَتْ أَمَرِيْنَ:

أَحَدُهَما: أَنَّ هَذَا الْوَحِيَّ الَّذِي مِنْ أَعْظَمِهِ هَذَا الْقُرْآنُ العظيم،

عَلَمَهُ جَبَرِيلُ النَّبِيُّ ﷺ بَأَمِرِ الله.
وَالثاني: أَنَّ جَبَرِيلَ شَهِدَ الْقُوَّةَ.

وَهذِهِ الْأَمَرَانَ جَاءَ مَوْضِحِينَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

أَمَامُ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا، وَهُوَ كُونُ جَبَرِيلِ نُزُولٌ عَلَيْهِ هَذَا الْوَحِيَّ وَعَلَمَهُ إِيَاهُ، فَقَدْ جَاءَ مَوْضِحًٌ فِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، كَقُولِهُ تَعَالَى: «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُودًا لِجَبَرِيلِ قَالَ لَهُ رَبُّكَ: قُلِّدَ يَدَيْنِي إِنَّ اللَّهَ يَكْفِيرُ عَنْهُمَا» الآيَةُ، وَقُولُهُ تَعَالَى:

وَإِنْ تُؤْذِنَ لِلنَّزْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَنَزِلَ يَدَيْهِ الرَّقَبُ الْأَمْمِينَ عَلَى قَلْبِ ليكُنَّ مِنْ أَلْسِنَتِينَ»، وَقُولُهُ تَعَالَى: «وَلَا تَعَجِّلُ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضِيَ الْيَتِّهُ وَهُدْيُوهُ،» وَقُولُهُ تَعَالَى: «لَا تَحْرِكْ يَدًا لِسَبَاكِهَا تَعَجِّلْ بِهَا إِنْ عَلَيْنَا جَمِيعُ وَقُرْآنُهُمَا إِلَيْكَ وَقُرْآنُهُمَا إِلَيْكَ وَقُرْآنُهُمَا إِلَيْكَ وَقُرْآنُهُمَا إِلَيْكَ أَيَّ إِلَيْكَ هُمْ قَارِئُهُمُّ وَبَاذِنُهُمُّ وَيَأْسِفُونَ».

فَيِفَأْتُ أَزْهَبَتْ قُرْآنُهُ اسْتَمْتِعَ بِهَا، أيْ أَقْرَأْ كَمَا سَمَّعْتِهِ يَقْرَأُ.

وَأَمَامُ الْأَمَرِ الثانِي، وَهُوَ شَدَّةُ قُوَّةِ جَبَرِيلِ النُّزُولِ بِهذَا الْوَحِيَّ،

فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي قُولِهِ: «إِنَّمَا قُولُ الرَّسُولِ ﷺ ذَيْ قُوَّةٍ عَيْنََةٍ ذَيْ ذَيْ عُمْرٍ مَكْيِينَ»، وَقُولُهُ فِي آيَةِ التَّكْوِيرِ هَذِهِ: «قُولُ الرَّسُولِ ﷺ» أَيَّ لِقُولِهِ المُبْلَغِ لِعَنَّهُ، فَقَرِينَةُ ذَكْرِ الرَّسُولِ تَدلُّ عَلَى أَنَّهُ يَبْلِغُ شَيْئًا أَرْسَلْهُ،

فَالكَلَامُ كَلِامَ اللهِ بَأَفْظَاءُهُ وَمِعانِيهِ، وَجَبَرِيلُ مُبْلِغُ عَنِ اللَّهِ، وَبِهذَا اِالْأَعْتِبَارُ نَسْبُ الْقُولِ لِهِ؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا سَمَعَهُ إِلَّا مِنْهُ، فَهُوَ الْقُولُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ، وأُمُورُهُ تَبْيِينٌ، كَمَا تَدْلُّ عَلَى قَرِينَةٍ ذَكْرِ الرَّسُولِ.

وُسِيَّاتُ إِيَضَاحِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّكْوِيرِ، وَالْعَلَمُ عَنَّ اللَّهِ تَعَالَى.
قوله تعالى: ۚ مَا زَأَرَ الْنَّصْرُ وَمَا طَلَّقَ. ۚ (۱۷)

قد قدمنا بعض الكلام عليه في أول سورة الإسراء.

قوله تعالى: ۚ أَلْكُمُ الْذِّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثِىٰ (۱۱) ثَمَّ إِذَا قَسَّمَتِ.

ضيوفته. ۚ (۲)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: ۚ وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ الْأَبْنَائِ الآية، وفي مواضيع متعددة من هذا الكتاب المبارك.

قوله تعالى: ۚ فِيَلِهِ الْآخِرَةُ وَالْأَوَّلِ (۴۵)

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن له الآخرة والأولى وهي الدنيا، وبين هذا في غير هذا الموضوع، كقوله: ۚ إِنَّكَ لَأَرْضَى، وۚ لَنَتَّلَبَ الْأَخْرَجَةَ وَالْأُولَى (۴۵)، وبين في موضوع آخر أن له كل شيء، وذلك في قوله: ۚ إِنَّمَا أَمْرُ مَنْ أَعُوذُ رَبِّي هِذِهِ الْأَنْبَأَةِ الَّذِيَ حَرَّمَهَا وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة.

قوله تعالى: ۚ وَكُنْ مَالِكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَفْسِدُنَّ شَفَاعَتَهُمۢ شَيۡۡاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أنْ يَأْتِذَنَ اللَّهُ يَمِينَ يَشَاء وَيَرْضِى (۲۱)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: ۚ وَأَقْتُلُوا بُيُوتًا لَا يَجِرِّي نَسِمَةٌ مِّنْهَا شَيۡۡاً وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ الآية، وفي غير ذلك من المواضيع.

قوله تعالى: ۚ إِنَّ آخِرَتِنَّ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةَ لَسْمِنُونَ اللَّيْثِيَةُ الآية.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على
قله تعالى: «وجعلوا المثلكة للذين هم عنده الرحمين إنشاء،» وفي غير ذلك من المواضع.

قله تعالى: «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْرِيَ
الذين أُسْتَوَاهُمْ يَعْلَمُونَ وَيَجْرِيَ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْسَسُوهُ بِالْخَسَأَةِ».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: «ما خلقنا السماء والأرض وما بينهما إلا أبلى بطقتي وأجل مسنى"، وفي سورة الذاريات في الكلام على قوله تعالى: «وما خلفتَ أليس والآتي إلا يعبدون».

قله تعالى: «الذين يجتبنون كبار الآلـه وألفجوـس إلـا
الله».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: «والذين يجتبنون كبار الآلى وألفجواس وإذا ما عضبوا هم يقعرون».

قله تعالى: «إِذَا أَنَا كُرَّيْتُ الأَرْضَ وَإِذَا أَنْهَرْتُ أَيْتَمَّ فِي
بِطُونِ أَمَهِينِمْ فَلا تَرَوْا نَفْسُكم».

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: «آلم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بِالله يَرْكَبُون مِن يَبْشَرِي»، وفي غير ذلك من المواضع.

قله تعالى: «أَذَرْعَتَ الَّذِى تُولى وأعطى قِيلًا
وَأَكَذَّبَ أَعْنَدَوْا عَلَى الْغَيْبِ فَهُمْ يَرَى إِنَّمَا يُبَيِّنُ يَمَا فِي صُحْفِ مَوَسُونٍ».
سورة النجم

وَإِنْ تَرَى الَّذِي رَفَقَ أَلْصَارٍ اِلَّا نُورًا فَذَرُّوهُ وَرَفَقَ أُخْرَىٰ وَأَنَّ لِلَّهِ الْإِنْسَانَ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرِدُّهُ مِّثْلَ جَهَرَةِ النَّافِئَاءِ الْأُوْفَىٰ

قوله: (تولى) أي رفع وأمير عن الحق. وقوله: (أعطى قليلاً)
قال بعضهم: قليلاً من المال. وقال بعضهم: أعطي قليلاً من الكلام الطيب. وقوله: / (وأكد) أي قطع ذلك العطاء ولم يتحمه، وأصله من أكذى صاحب الحفر، إذا انتهى في حفره إلى صخرة لا يقدر على الحفر فيها، وأصله من الكدية وهي الحجارة تعترض حافر البتر ونحوه فتمتعه الحفر.

وهذا الذي أعطى قليلاً وأكذى، اختلف في العلماء، فقيل: هو الوليد بن المغيرة، قارب أن يؤمن بالنبي ﷺ، فعِيَّره بعض المشركين. فقال: أثركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إنني خشيت عذاب الله.
ف ضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطي الذي عيره بعض المال الذي ضمن ومنه تمامه. فأنزل الله عز وجل الآية.

وعلى هذا فقوله: (تولى) أي الوليد عن الإسلام بعد أن قارب، (وأعطى قليلاً) من المال الذي ضمن له أن يتحمل عنه ذنوبه، (وأكد) أي بخل عليه بالباقي.

وقيل: (وأعطى قليلاً) من الكلام الطيب، كمدحه للقرآن واعترافه بصدق النبي ﷺ، (وأكد) أي انقطع عن ذلك ورجع عنه.

وقيل: هو العاص بن وائل السهمي، كان رباً وافق النبي ﷺ في بعض الأمور، وذلك هو منعى إعطائه القليل، ثم انقطع عن ذلك.
وهو معنى إ础ائه. وهذا قول السدي، ولم ينسجم مع قوله بعده:

(آَعَنَدُوهُ عِلْمًا عَلَّمَهُ الَّذِي لَهُ آَلِهَةً مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِلَّا بِآيَاتِهِ وَرَحَمَاهُ نَعْمَمًا

وعن محمد بن كعب القرظي: أنه أبو جهل، قال: والله ما يأمنا محمد إلا بمكارم الأخلاق، وذلك معنى إعطائه قليلًا، وقطعه لذلك معرفه.


ولا يخفى سقوط هذا القول وبطلانه، وأنه غير لائق بمنصب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقد تضمنت هذه الأيات الكريمة سبعة أمور:

الأول: إنكار علم الغيب، المدلول عليه بالهمزة في قوله:

(أَعَنَدُوهُ عِلْمًا عَلَّمَهُ الَّذِي لَهُ آَلِهَةً مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِلَّا بِآيَاتِهِ وَرَحَمَاهُ نَعْمَمًا

الثاني: أن لكل من إبراهيم وموسى صحفاً لم ينبا بما فيها هذا الكافر.

الثالث: أن إبراهيم وفَقِى، أي أنهم القيام بالتكاليف التي كلفه ربه بها.
الرابع: أن في تلك الصحف: أنه لا تزر وزارة وزر أخرى.
الخامس: أن فيها أيضاً أنه ليس للإنسان إلا ما سعى.
السادس: أن سعие سوف يرى.
السابع: أنه يجزى الجزاء الأولي، أي الأكمل الأنب.

وهذه الأمور السبعة قد جاءت كلها موضحة في غير هذا الموضوع.


والثاني، الذي هو أن إبراهيم وموسى صحبًا لم يكن هذا
المتولى المعطي / قليلاً المكدي عالماً بها، ذكره تعالى في قوله: ۷۰۸.

إنه هَٰذَا آنثي الصحف الأول ۷۸۸ حَجِّي إِذْ هُمْ وُصُوْسِٰۢاً.

والثالث منها، وهو أن إبراهيم وفي تكاليفه، فقد ذكره تعالى في قوله: ۷۰۸، وإذا أتت إبراهيم رأس راحب، فأتمنى، وقد قدمنا أن الأصح في الكلمات التي ابتلى بها أنها التكاليف.

وأما الرابع منها، وهو أنه لا تزر وزارة وزر أخرى، فقد ذكره تعالى في آيات من كتابه، كقوله تعالى: «وقال اللَّهُ لجُنَّا وَجُنَّ: إِنَّمَا أتَعَوَّا سَيِّيًا وَلَتَحْيَيْنَ غَفُورًا»، وقوله تعالى: «لا تزر وزارة وزيد أخرين وإن تدعُ مَنْ قَتَلَهُ، يَحْمِلْهَا لَهُمَا سَبِيلًا وَلَوْ كَانَ دَافِرًا!».
وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا، والجواب عما يرد عليها من الإشكال، في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: "ولا نرى كذلك رؤية أخرى وما كأنهم يطيعون حق تعبت رسول الله موسَى؟"، وذكرنا وجه الجمع بين الآيات الواردة في ذلك في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: "ومن أوزار أَلَّذَى يضلونهم يعمِّر عالية على ألا سأرك ما ترضون نفسبه".

وأما الخامس منها، وهو أنه ليس للإنسان إلا ما سعى، فقد جاء موضحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: "إِنَّ أَحْسَنَ مَا كُنْتَ تَشَفَّى لَّكُمْ أَنْ تَسْعَى إِلَى الْعَفْوِ مِنْ رَبِّكُمْ" الآية، وقاله: "فَلَمْ تَسْعَى إِلَى الْعَفْوِ مِنْ رَبِّكَ وَلَكَ الْكَيْرَ مِنْ نَفْسِكَ"، ونظيره: "وَمِنْ غَيْبِ صَلِيحًا فَلَنْفِسِهِمْ بِهِمْ مُهَدِّدُونَ"، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وَأَنَّ لَىٰ لِلَّهِ إِلَّا مَا سَعَى (5)" يدل على أن الإنسان لا يستحق أجرًا إلا على سعيه بنفسه، ولم تتعارض هذه الآية لانتفاعه بسعي غيره بنفسي ولا إثباته، لأن قوله: (وَأَنَّ لَىٰ لِلَّهِ إِلَّا مَا سَعَى) / قد دلت اللام فيه على أنه لا يستحق ولا يملك شيئاً إلا بسعيه، ولم تتعارض لانفي الانتفاع بما ليس ملكاً له ولا مستحقاً له.

وقد جاءت آية من كتاب الله تدل على أن الإنسان قد ينفع بسعي غيره، وهي قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَبَعُوهُمْ دُرْنِيَّاهُمْ يَأْتَيْنَاهُمْ أَلَّا يُعَلِّمُهُمْ مَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عِلْمِهِمْ شَيْئًا".

وقد أوضحتا وجه الجمع بين قوله تعالى: "وَأَنَّ لَىٰ لِلَّهِ إِلَّا مَآَسَعِي (32)" وبين قوله: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَبَعُوهُمْ دُرْنِيَّاهُمْ يَأْتَيْنَاهُمْ الآية، في
كتابنا "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" في سورة النجم،
وعلنا فيه ما نصه: والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الآية إنما دلت على نفي ملك الإنسان لغير سعيه،
ولم تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره; لأنه لم يقل: وإن لن ينتفع الإنسان إلا بما سعى، وإنما قال: (وأن ليس للإنسان)، وبين الأمرين فرق ظاهر; لأن سعي الغير ملك لساعيه، إن شاء بذله لغيره فانتفع به ذلك الغير، وإن شاء أبقاه لنفسه.

وقد أجمع العلماء على انتفاع الميت بالصلاة عليه والدعاء له.
والحج عنه ونحو ذلك مما ثبت الانتفاع بعمل الغير فيه.

الثاني: أن إيمان الذريه هو السبب الأكبر في رفع درجاتهم، إذ لو كانوا كفاراً لما حصل لهم ذلك، فإيمان العبد وطاعته سعي منه في انتفاعه بعمل غيره من المسلمين، كما وقع في الصلاة في الجماعة، فإن صلاة بعضهم مع بعض يتضاعف بها الأجر زيادة على صلاته منفرداً، ولذلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير سعي فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة، وهذا الوجه يشير إليه قوله تعالى: "وأبنكم دُرِّهِمْ بَيْتَنَا".

الثالث: أن السعي الذي حصل به رفع درجات الأولاد ليس للأولاد، كما هو نقش قوله تعالى: "وَأَنْ لَيْسَ لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ إِلَّا مَسَّهُمْ سَعَى (15)"، ولكن من سعي الآباء، فهو سعي للأباء أقر الله عيونهم بسببه بأن رفع إليهم أولادهم ليتمتعوا في الجنة برؤيتهم.

فالآية تصدق الأخرى ولا تنافيها؛ لأن المقصود بالرفع إكرام الآباء لا الأولاد، فانتفاع الأولاد تبع، فهو بالنسبة إليهم تفضل من الله
 عليهم بما ليس لهم، كما تفضل بذلك على الوالدان والحور العين والخلق الذين يشؤهم للجنة. والعلم عند الله تعالى. اهده منه.

والامر السادس والسابع، وهما أن عمله سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفي، فقد جاءا موضوعين في آيات كثيرة، كقوله تعالى:

»وَأَلْوَزْنَ يَوْمَ الْقِبْلَةِ الْأُخَرُ فَمَنْ تَقَلَّبَ مَوْزِينَهُمْ فَأَوَّلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ « وَمَنْ حَفِظَ مَوْزِينَهُمْ فَأَوَّلَيْكَ الَّذِينَ خَسِرَوْا أَنفُسَهُمْ » الآية.

وقوله تعالى: «فَمَن يَعْمَل مَثَّقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يُزِّرُهُ وَمَنْ يَعْمَل مَثَّقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يُزِّرُهُ».

وقوله تعالى: «وَتَضَعُّ الْمُؤْرِسِينَ الْيَسْتَقْمًا لِيَكُونَ الْقَيْمَةُ فَلَا تَظْلَمْ نَفْسُكَ».

وَإِنْ سَلَّمُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَزَالٍ أَلَمْ يَنْبَغَ وَكَفِ الْيَكْرَمَةَ».

وقوله تعالى: «وَهُمْ لَهُمُ الْقَيْمَةُ حَسَبًا يَقْبَلُونَ مِنْهَا أَقْرَرًا».

كُنْبُكَ كُفَّنْكِ نَفْسِكَ أُحْلُكَ حَيَابًا».

والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فهو يرى) أي يعلم ذلك الغيب، والآية تدل على أن سبب النزول لا يخلو من إعطاء شيء في مقابلة تحمل الذنوب عمن أعطى؛ لأن فعل ذلك ليس عنده علم الغيب فيعلم به أن الذي ضمن له تحمل ذنوبه يفعل ذلك، ولم يبَأ بما في الصحف الأولى، من أنه لا تزر وزارة وزر أخرى، أي لا تحمل نفس ذنب أخرى.

وقد قدمنا تفسيره موضوعا في سورة بني إسرائيل، وأنه لا يملك الإنسان ولا يستحق إلا سعي نفسه، وقد اتضح بذلك أنه لا يمكن أن يتحمل إنسان ذنوب غيره، وقد دلت على ذلك آيات كثيرة معلومة.
سورة النجم

وقال أبو حيان في البحر: (أْفَرَآيْت) بمعنى أخبرني، والمفعول الأول هو الموصل وصلته، والمفعول الثاني هو جملة (أعنه علم الغيب فهو يريد).

قوله تعالى: 

* : 

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكرمـة أنه (خلق الزوجين) أي النوعين (الذكر والأنثى) (من نطفة)، وهي نطفة المني (إذا تمنى) أي تصب وتراق في الرحم، على أصح القولين، ويدل عليه قوله تعالى: 

* أَفْرَآيْتُمْ مَا تَحْكُمُونَ مَّنْ تَكْتُلْفُونَ أَمْ تَحْكُمُونَ مَّنْ تَكْتُلْفُونَ ؟ 

وقوله تعالى: 

* أَلَّهُ وَقَدْ نَعْطَيْنَكُمْ مَنْ تَعْلَمُونَ. 

والعرب تقول: أمى الرجل ومني؟ إذا أراق المني وصبه.

وقال بعض العلماء: (من نطفة إذا تمنى) أي تقدر بأن يكون الله قادر أن ينشأ عنها حمل، من قول العرب: مني الماني إذا قدر.

ومن هذا المعنى قول أبي قلابة الهذلي، وقيل سويد بن عامر المصطلقي:

إن المنايا توافي كل إنسان لا تأمن الموت في حل وفي حرم واسلك سبيلك فيها غير محتمش حتى تلاقى ما يمني لك الماني.

وقد قدمنا الكلام على النطفة مستوفى من جهات في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: (خلق الله النسرين من نطفة)، الآية، وفي سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: (كيفأنها نساء إن كثر في ريب من ألبس)، وفي كل من الموضوعين زيادة ليست في الآخر.
وأما تضمنته هذه الآية الكرية من الاستدلال بخلق النوعين،
أعني الذكر والأثري من النطفة، جاء موضحًا في غير هذا الموضوع،
وأنه يستدل به على أمرين، هما: قدرة الله على البعث، وأنه ما خلق
الإنسان إلا ليكلفه وبِجائزته، وقد جمع الأمرين قولي تعالى: *(أَيْسَىُّ
الإِنْسَانَ أَنْ يُعَمِّرَهُُ السَّنَةُ أَوْ يُذرِّبَهُ أَوْ يَقْتَرِبَ
الْقَرْأَانَ أَوْ يَنْمِئَ وَيَضُرُّ الْقُرْآنَ أَوْ يَجْرِحُ أَوْ يَٰقُلْنَا
يَكُونُ مَعْنَىً فَلَا يُقَدِّرُنَّ أَنْ يُحْيَىَ الْآلَىَُ ؛* ) فذكر دلالة
ذلك على البعث في قوله: *(أَيْسَىُّ أَلَمْ يَقُلْ أَنْ يُحْيَىَ الْآلَىَُ ؛* )، وذكر
أنه ما خلقه ليحمله من التكليف والجزاء، منكراً على من ظن ذلك
بقوله: *(أَيْسَىُّ الْإِنْسَانَ أَنْ يُعَمِّرَهُُ السَّنَةُ أَوْ يُذَرِّبَهُ ؛* أي
مهملًا من التكليف والجزاء.

وقد قدمنا بعض الكلام على هذا في سورة الفرقان في الكلام
على قوله تعالى: *(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ أَلْبَةٍ نَّفْسَهُ فَجَعَلَهُ مُسْكَانًا وَصِيَّرَهُ وَكَانَ رُبُّكَ
قَرِيرًا* ).

* قوله تعالى: *(وَأَنْ تَأْتِي الْيَتَابَاتِ الأَخْرَى* ).

قد قدمنا الآيات الموضحة له، وأحننا عليها مرارًا كثيرة.

* قوله تعالى: *(وَأَنْتَ أَهْلُك عَادًا أَوْلَى أَوْ لَمْ تَأْتِنَا
آَيَّةً* ).

قد قدمنا الآيات الموضحة لما أهلك به عادًا، والآيات
الموضحة لما أهلك به ثمود، في سورة فصلت في قوله تعالى في
الكلام في شأن عاد: *(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمَۡ مَعَكَ وَأَمْضِيْرًا* ) الآية، وقوله في شأن
ثمود: *(فَأَخَذَّنَّهُمْ صَعْبَةً عَذَابَ أَهْلِهِمْ* ) الآية.
سورة النجم

قوله تعالى: *وقَمْ نُوحٌ يَنْبَيْلٌ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ أَظُلُّمٌ ۱۱۳*

وأطْعَنَّهُمْ.

قوله: (وقوم نوح) معطوف على قوله: *وَأَنَّهُمْ أُهْلُكُ عَائِدًاَۡ أَوْلَىُۡ أَيْ: وَأَهْلُكُ قُومُ نُوحٍ، وَلَمْ يَبِنِى هُنَا كِيفَةً إِهِلَاءَكُمْ، وَلَكِنْهُ بَيْنٌ ذَلِكَ فِى مَوَاضِيعٍ أَخَرٍ مِنْ كِتَابِي، كَفَّارُهُ تَعَالَى: *وَقَمْ نُوحُ لَمَّا سَقَدَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقَتْهُمْ* الآية، وَقُولُهُ تَعَالَى: *فَلِبَى فِيهِمْ أَفْلَى سَنَةٌ إِلاَّ خَيْبَةً عَالِمًا فَأَخَذَهُمُ الْمَيْوَاتُ وَهُمْ غَلِبُونُۡ أَيْ: وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَصَرَّحُهَا مِنْ الْقُوَّارِينِۡ كَذَٰلِكَ قَبْدَنَّ إِنَّهُمْ سَقَدَّبُوا قُوَّمًا فَأَغْرَقَتْهُمْ أَجْمِيعًاۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَلَا تُحِتنُّنَّ فِي الْأَيَّانُِۢ إِنَّهُمْ مَغْرَفُونَۡ أَيْ: وَالآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كِتَابٍ مَعْلُومٌ.

وَمَا تَضَمَّنَّهُ هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ كُونَ قُومٍ نُوحٍ أَظُلُّمٍ وَأَطْعَنَّهُ، أَيْ أَشْدَ أَظُلُّمًا وَطَغَيَانًا مِّنْ غَيْرِهِم، قَدْ بَيْنَهُ تَعَالَى فِي آيَاتٍ أَخَرَ، كَفَّارُهُ تَعَالَى: *قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعوُتُ قِبْلَةً كَلًا وَمِبَاءَۡ فَلِمْ يَدْخِلُهُمْ إِلَّا فَرَأُواۡ إِنَّ كَيْبَةً إِنَّ كَيْبَةً، وإِنَّ كَيْبَةً، وَقُولُهُ تَعَالَى: *قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي عَصْوُوًۢ وَانْبِعَ ۡقَمْنَآ إِلَّاً مَّالِمُونَۡ وَإِلَّاً أَخَضُّ‌ۡ مَّالِمُونَۡ وَإِلَّاً أَخَضُّ‌ۡ مَّالِمُونَۡۡ،ۡ وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡ، وَقُولُهُ تَعَالَى: *وَقَدْ أَفْصَلُوا تِجْرَاۡ... ۡسَجَّرُوا مَنْهُۡ.

وَمِنْ أَعْظَمِ الأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ قُولُهُ تَعَالَى: *فَلِبَى فِيهِمْ أَفْلَى سَنَةٌ إِلَّاً خَيْبَةً عَالِمًاۡۡ، أَلْتِ قُوَّمَا لَمْ يَنْتَهُوا بِدِعَوَةِ نَبِيِّ كَرِيمٍ نَاثِرٍ فِي هذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ، لَا شَكَّ أَنَّهُمْ أَظُلُّمُ النَّاسِ وَأَطْعَنُهُمْ.
قوله تعالى: (وَأَلْقِ ذَٰلِكَ ٱلْآرَّىٰ ۖ إِنَّهُ ٱلْآرَّىٰ) (اللهجة) 

الموقعة: مفتعلة من الإفك، وهو القلب والصرف، والمراد بها قرى قوم لوط؛ بدلاً من قوله في غير هذا الموضوع: (والموقعات) بالجمع؛ فهو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع كما أوضحتنا مراكاً، وأكثرنا من أمثلته في القرآن وفي كلام العرب، وأحلنا عليه مراراً. وإنما قيل لها: مؤلفة؛ لأن جبريل أفكاً فأتفككت، ومنعى أفكاً أنه رفعها نحو السماء ثم قلبها جاعلاً أعلاها أسفلها، وجعل عاليها أسفلها هو اتفاكها وإفكها.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في سورة هود في قوله تعالى: (فَالْمَلاَكُ جَأَلَ آمَنًا جَعَلَتْهَا سَاَفِلَتَهَا وَأَمْطَرَّا عَلَيْهَا حَجَارَةً) الآية، وقوله تعالى في سورة الحجر: (فَأَخْلَفْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقَةً فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاَفِلَتَهَا وَأَمْطَرَّا عَلَيْهَا حَجَارَةً مِنْ سِجْبِيلٍ) .

وقد بنينا قصة قوم لوط في هود والحجر.

وقوله في هذه الآية الكريمة: (أُوْى) تقول العرب: هوى الشيء إذا انحدر من عال إلى أسفل. وأهواء غيره: إذا ألقاه من العلو إلى السفل؛ لأن الملك رفع قراهم ثم أهواءها أي ألقهاها، تهوي إلى الأرض، منقلبة أعلاها أسفلها.

قوله تعالى: (أَفْرَى ٱلْآرَّىٰ). 

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: (أَلَمْ يُأْمَرُ ٱلنَّبِيُّ ۖ وَفِي سَورَةِ ٱلرَّسُولِ مَنَّ ۖ وَأَذَٰلِكَ يُومَ ٱلْآرَّىٰ) الآية.
قوله تعالى: "أَقْرِنُهَا إِلَى الْمَهْدِيْنِ تَعْجِبُونِ".

قد قدمنا الآيات التي فيها إطلاق اسم الحديث على القرآن في سورة الطور في الكلام على قوله: "قِلْ أَنَّاْ يَحْدِثُونَ مَثَلَهُمْ" الآية.
سورة القمر
قوله تعالى: «آفَتَرَيْتُ أَلسَّاعَةً؟».
قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: «آَنَّ أَمْرِ اللَّهِ»، وفي غير ذلك من المواضع.


قوله تعالى: «يُحْرِجُونَ بِهِمَا أَنْجَدَةَۡ كَانُوهُ جَرَادٌ مَّنْ ثَمَّ مِهْطَعُونَ إِلَى الْذَّادِ».
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: «إِذَا هُمْ يُبْنُونَ الْأَجْدَادَ إِلَى رَبِّهِمْ يُسْلِكُونَ»، وفي سورة ق في الكلام على قوله تعالى: «يَمُتَّبِعُ الأَرْضَ عَنْهُمْ يَبْرَأُا». 

قوله تعالى: «يَقُولُ الْكَفِيرُونَ هَذَا يَوْمُ عِيْرٌ».
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان، في الكلام.
على قوله تعالى: {أصبح عيني يومئذ خير مستقر و أحسن مقبلًا}، وفي سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: {ولكن يوم عينيت ربك كألف سنة مماثلة}.

قوله تعالى: {قد عيا ربي أن مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء} و جرنا الأرض عيونا فأتقى الظلماء على أمر قد فدير.

قرأ هذا الحرف ابن عامر: (ففتحنا) بتشديد النداء، للتكثير، وباقى السبعة بتخفيفها.

وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه نوحاً دعاه قائلًا: إن قومه غلبهو، سألًا ربه أن ينتصر له منهم، وأن الله انتصر له منهم، فأهللكهم بالغرق؛ لأنه تعالى فتح أبواب السماء باء منهمر، أي متدفق منصب بكثرة، وأنه تعالى فجر الأرض عيوناً.

وقوله: (عينونا) تميز محول عن المفعول، والأصل: فحروا عيون الأرض. والتفجير: إخراج الماء منها بكثرة، و (أل) في قوله: (فالتقى الماء) للجنين، ومعناه: التقى ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) أي قدره الله وقضاء.

وقيل: إن معناه أن الماء النازل من السماء والتفجر من الأرض جعلهما الله بمقدار ليس أحدهما أكثر من الآخر.

والأول أظهر.
ولا تضمنه هذه الآية الكريمة من دعاء نوح ربه جل وعلا أن ينتصر له من قومه فتنقم منهم، وأن الله أجابه فانتصر له منهم فأهلهم جميعاً بالغرق في هذا الماء المتلقى من السماء والأرض.

من أورافهم جمعونَ...

وقوله تعالى في الصافات: وَلَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْيَمَانَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُوُّ الْخَيَّرَ الْأَعْظَمَ الْأَخْرَىَّ.

وقد بين جل وعلا أن دعاء نوح فيه سؤاله الله أن يهلكهم إهلاكاً مستأصلًا، وذلك الآيات فيها بيان لقوله هنا: (فانتصر)، وذلك كقوله تعالى: وَقَالَ نَجِرْلَبَ لا أَذَرُّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَفِيرِينَ دِيَارًا إِلَّا كَانَ اِلْمُكْرِهُمْ بَيْضًا أَبْكَايَانِ وَلَا يَبْغُوا إِلَّا إِلَّا أَفَارَّجَ هَكُمَا.

وما دعا نوح على قومه إلا بعد أن أوضح الله إليه أنه لا يؤمن منهم أحد غير القليل الذي آمن، وذلك في قوله تعالى: وَأَوْجَهَ إِلَى ذَوِّي الْأَحْـلَامِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، وقد قال تعالى: وَمَا أَمَانَ مَعْهُ إِلَّا قَلِيلٌ.

وقوله تعالى (عِيْوَانًا) قرأه ابن كثير، وفي رواية ابن ذكوان، وعاصم في رواية شعبة، وحمزة والكسائي: (عِيْوَانًا).

بكسر العين، لمجنسة الياء.
وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر في رواية هشام، وعاصر في رواية حفص: (عبَّانًا) بضم العين، على الأصل.

قوله تعالى: *(وَحَمِّلْهُ عَلَى ذَاتٍ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ)*.

لم يبيِن هنا ذات الألواح والدسر، ولكنه يبيِن في موضع آخر أن المراد: وحملناه على سفينة ذات ألواح، أي من الخشب، ودسر، أي مسامير تربط بعض الخشب ببعض، وواحد الدسر دسار كتاب وكتب. وعلى هذا القول أكثر المفسرين.

وقال بعض العلماء وبعض أهل اللغة: الدسور الخيوط التي تشده بها ألواح السفينة.

وقال بعض العلماء: الدسور جُوُجُف السفينة، أي صدرها ومقدمة الذي تدرس به الماء أي تدفعه وتمخره به، قالوا: هو من الدسر وهو الدفع.

فمن الآيات الدالة على أن ذات الألواح والدسر السفينة: قوله تعالى: *(إِنَّـا نُشَرِّيُّهُمْ فِي الْبَرَِّّينَ)* أي السفينة، كما أوضحنا في سورة الشعرى في الكلام على قوله تعالى: *(وَمِنْ ذَلِكَ الْجِبَارُ الْخَيْنَاءِ)* وإفْتِقَانُهُ وَأَصْحَابُ الْسَفِينَةِ.

وقوله تعالى: *(وَهُمْ لَمْ أَحْقِنَّ بَيْنَهُمْ فِي الْمَلَكِ الْمُشْحُونِ)* إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: *(وَلَقَدْ تَرَكْنُوا عَلَىِّهَا فَهَلْ يُمَذِّكُرُونَ)*.

الضمير في قوله تعالى: (تركناها) قال بعض العلماء: إنه عائد إلى هذه الفعلة العظيمة التي فعل يقوم نوح.
وقد تركنا فعالنا يقوم نوح وإهلاكتا لهم آية لمن بعدهم، لينزروا ويكفوا عن تكذيب الرسل، لئلا نفعل بهم مثل ما فعلنا يقوم نوح. وكون هذه الفعلة آية نص عليه تعالى بقوله: 
»وقُمْ نُوحٌ لَّا طَحَّأْتُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنِ النَّاسِ عَفَاً عَلَيْهِمْ أَوْ غَفُرْنَاهُمْ مَثَلَّهُمْ فِي الْأَلْبَابِ "، وقوله تعالى:
فَأَمْرُنَّهُم مِّنْ مَّعْلُوِّيِّنِ فِي الْقُلُوبِ الْمُشْحُونِ ١١٨ مَثَلَّ نَيْرَٰقَانَ مَثَلًا لَّا يُتْحَبِّثُونَ "، فالمستعدين أَكْثَرُهُم مُّؤَمِّنُونَ.«

وقال بعض العلماء: الصمير في (تركناها) عائد إلى السفينة، وكون سفينة نوح آية بينه الله تعالى في آيات من كتابه، كقوله تعالى:
»فَأَمْرُنَّهُم مِّنْ مَّعْلُوِّيِّنِ فِي الْقُلُوبِ الْمُشْحُونِ ١١٨ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ شَيْءٍ مَا يَزْكَرُونَ ١١٩."

قوله تعالى: 
»وَلَقَدْ يَسِرَّنَا أَبْرَارًا لِّلذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ ١٦٠."

قد قدمنا إيضاحه في سورة القتال في كلامنا الطويل على قوله تعالى: 
»أَفْلَأ يَدْنُونَ الْقُرَءَاتِ أَنْ تَلْعَبُوا أَفْقَالَهَا ١٦١."

قوله تعالى: 
»إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجُلًا صَرَّارًا فِي بُيُوتٍ مَّحَسُوحٍ "، 
مُّسَتَّمِرٍّ ١٦٢."

قد قدمنا الآيات الموضحة له، وكلام أهل العلم في يوم

النحاس المستمر، في سورة فسلت في الكلام على قوله تعالى:
»فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجُلًا صَرَّارًا فِي بُيُوتِهِمْ ١٦٢."

النحاس المستمر، في سورة فسلت في الكلام على قوله تعالى:
قوله تعالى: "فقالوا: أبشرُ من يَبْعَثُ رَبُّكَ وَالذَّكَرُ على مَن يَبْعَثُوهُمَا الَّآيَةَ."

وحينما أن جاءهم منذّرهم، وقوله تعالى: "أنزل عليهم الذكر من بينَبَأً بلّى مَن فِي سَبِيلِنَّ ذَكَرِيهَا الَّآيَةَ.

قلوه تعالى: "إني مُرَسِّلُونَ النَّافِئَةُ وَفَنَّةً لَّهُمْ." قوله: (مرسلوا الناقة) أي مخرجوها من الهضبة، (فتشت لهم) أي ابتلاء واختباراً، وهو مفعول من أجله؛ لأنهم اقترحوا على صالح إخراج ناقة من صخرة، وأنها إن خرجت لهم منها آمنوا به وتابعوا، فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح، وفتشت لهم، أي ابتلاء واختباراً، وذلك أن تلك الناقة معجزة عابئها، وأن الله حذرهم على لسان نبيه صالح من أن يمسوها بسوء وأنهم إن تعرضوا لها أذى أخذهم الله وسفاً.

والمفسرون يقولون: إنهم قالوا له: إن أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشاء اتبعناه.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الله أرسل لهم هذه الناقة امتحاناً واختباراً، وإنهم إن تعرضوا لآية الله هذه، التي هي الناقة بسوء أهلكهم، جاء موضحاً في آيات أخرى من كتاب الله، كقوله تعالى في سورة الأعراف: "قد جَاءَتْ نَعْجَمٌ سَبِينَةً مِن زَيْكَمْ هَنِئْيً..." ناقة الله المضحكة ذات القوة، تأكَّل ففي أرض الله ولا تمسوها يُسَرُّوهَا في آخذك عذاب الله الاميم "بَلّى مَن فِي سَبِيلِنَّ ذَكَرِيهَا الَّآيَةَ، وقاله تعالى في سورة هود عن صالح: "وَيَنْقُوْرُ
سورة القمر

771

هذى نآلة الله لحكم عادٍ عادٍ قادرونًا تأسكن في أرض الله ولا تتسوؤها يسوى
فأخذوه عقد عن قريب عقد بما فقروا به فقال تعالى في كهفهم للهدى: 
وَعَدُّ غَيْرَ مَكْدُودٍ ِ، وقوله تعالى في الشعراء: 
قَالَ هَذَا نَائِفٌ مَا يَبْنُ وَلَكَ ُثْرُيٍ يَوْمٍ مَتَلَوْعُ ِ وَلا تَسْوَهَا يَسْوَهُ فِي أَخْدُمٍ عَدَابٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ

وَقَدَ بَيْنَ تَعْالَى أَنْتَمُ عَقْرَوا النَّافِعُ فَجَاهِنَّ العَذَابَ المَسْتَأَلِ،

فِي أَيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، كَقُولَهُ تَعَالَى فِي الْأَعْرَافِ: 
فَقُولُوهَا النَّافِعُ وَعَسَوْا عَنَّ أَمِي رَجُلٍ إِنَّهُ تَأْمُرُ ٌمَا أَصْبَحْوُا فِي كَرَمِهِ
جَنُّسُينِ ٥٧٥، وقوله تعالى: 
فَقُولُوهَا فَأَصْبَحُوْا نَيْدُمِينِ ٥٧٦ فَأَخْذُوهُمُ 
الْعَذَابُ ٥٧٧، وقوله: 
فَكُذَّبَوْهُ فَقَضَرَوْهَا فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ ٥٧٨

وَقَدْ أَوْضَحَنَا هَذَا غَايةُ الْإِيِّاَضِحِ فِي سُورَةَ فَصَلَتْ فِي
calam على قوله تعالى: 
فَاخْذُوهَا صَعَفَةٌ أَلْدَابٌ أَهْلُونَ يَا كَاوُنُونِ

* قوله تعالى: 
وَيَبْنُهُمْ أَنَّ أَلْدَابَ قَسْمًا بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِّبٍ

* مُحْضَرٍ

قوله تعالى: 
وَيَبْنُهُمْ أَنَّ أَلْدَابَ قَسْمًا بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِّبٍ

أي

أخبر يا صالح ثمود أن الاماء — وهو ماء البتر التي كانت تشرب منها
النافقة — قسمًا بينهم، فيوم للنافقة ويوم لثمود. فقوله: (بينهم) أي بين
النافقة وثمود، وغلب العقلاء على الناقة. (كل شرب محضر) أي
يحضره صاحبه، فتحضر الناقة شرب يومها وتحضر ثمود شرب
يومها.
وما تضمنت هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آية أخرى، وهي قوله تعالى في الشعراء: "قال هنيهما، ناقة لهما يشرب، وناقة لهما يشرب، ونار يقع عليها، وشراب الناقة، وهو الذي حذرهم منه صالح لئلا يتعرضوا له في قوله تعالى: "فقال لهم رسول الله ناقة الله وسعفتها".

"قوله تعالى: فئذآ فأصابهم فتعاطى فعراق"

قوله: (فتعاطى)، قال أبو حيان في البحر: (فتعاطى) هو مطاوع عاطاً، وكأن هذه الفعلة تدافعا الناس وعاطاها بعضهم بعضاً، فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده. انتهى محل الغرض منه.

والعرب تقول: تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله، وعاطا إذا ناوله، ومنه قول حسان رضي الله عنه:

كانتها حلب العصير فعاطي بزجاجة أرخاهما للمفصل

وقوله: (فعراق) أي تعاطى عقر الناقة فعراقها، فمنعولا الفعلين محدودان تقديرهما كما ذكرنا، وعبر عن عاقر الناقة هنا بأنه صاحبهم، وعبر عنه في الشمس بأنه أشقاهم وذلك في قوله: "إذ أبتعت أشقاتها".

وهذه الآية الكريمة تشير إلى إزالة إشكال معروف في الآية، وإيضاح ذلك أن الله تعالى فيها نسب العقر لواحد لا لجماعة؛ لأنه قال: (فتعاطى فعراق)، بالإفراد، مع أنه أسند عقر الناقة في آيات أخر إلى ثمود كلهم، كقوله في سورة الأعراف: "فعقروا الناقة وعكنوا عن".
سورة القمر

أمٌّ نَّهْرٍ من ذُرَّةٍ الآية، وقوله تعالى في هود: «فعلَّها فما قال بِهِ فَشَاءَ»، وقوله في الشعراء: «فَعَلُّوهَا فَأَصْبَحُوا
نَّدْرِيَّينَ»، وقوله في الشمس: «فَكَذَّبِوهَا فَعَلُّوها».

وجه إشارة الآية إلى إزالة هذا الإشكال هو أن قوله تعالى: «فَلَوْ قَالُوا صَلَحُوا فَعَلُّوهَا فَعَلَّهَا» يدل على أن ثمود اتفقوا كلهم على عقر الناقة، فنادوا واحداً منهم ليذهب ما اتفقوا عليه، أصالة عن نفسه ونيابة عن غيره، ومعلوم أن المتماثلين على العقر كلهم عاقرون، وصحت نسبة العقر إلى المنفذ المباشر للعقر، وصحت نسبته أيضاً إلى الجميع؛ لأنهم متماثلون، كما دل عليه ترتيب تعاطي العقر بالفاء في قوله: (فتعاطى فعقر) على ندائهم صاحبهم ليذهب عنهم في مباشرة العقر في قوله تعالى: (فُنادِوا صاحبهم) أي نادوه ليعقرها.

وجمع بعض العلماء بين هذه الآيات بوجه آخر، وهو أن إطلاق المجموع مراداً به بعضه أسلوب عربي مشهور، وهو كثير في القرآن وفي لغة العرب.

وقد قدمنا في سورة الحجارات أن من قراءة حمزة في قوله تعالى: «فَإِذَا قُتِلُوهُمْ فَأَكْتَلَّوهُمْ» بصيغة المجرد في الفعلين؛ لأن من قتل ومات لا يمكن أن يؤمر بقتل قاتله، بل المراد: فإن قتلوا بعذبم فليقتلهم بعضكم الآخرين. ونظره قول ابن مطع: فإننا على الإسلام أول من قتل أو فإننا مثلنا بعضنا.

وأي هذا أيضاً: «كَالْآَذَرَاءِ أَهْمَاهَا فَلَا أَمَّلُوا»، لأن هذا في
بعضهم دون البعض، بدليل قوله تعالى: {
} و{
} الآمِرِ بِالْعَزْمِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخرى} إلى قوله: {
} سِيدِّيُهُمَّ اللهُ مِن رَّحْمَتِهِإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

وقد قدمنا في الحجرات وغيرها، أن من أصرح الشواهد العربية

في ذلك قول الشاعر:

فسسيف بني عيس وقد ضربوا به نبا بيد ورقاء عن رأس خالد

وقوله تعالى: (فعقرب) أي: قتلهما. والعرب تطلق العقر

على القتل والنحر والجرح. ومنه قوله امرء القيس:

تقول وقد مال الغبيط بنا مشاء عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

ومن إطلاق العقر على نحل الأيل لقرى الضيف قول جرير:

تعدون عقر الَّبُب أفضل مجدكم بني ضوطرا لولا الكمي المقنعا

* قوله تعالى: {
} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ صَيْحَةً وَنُجُودًا}.

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة فصلت، في

الكلام على قوله تعالى: {
} فَأُخْذَهُمْ صَعِيقَةً أَلْعَبَادَ أَفْسُنَ يَمَا كَانُوا

يَكِبُونَ}.

* قوله تعالى: {
} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَاذِلَ لَوَفَتَّبَجِينَهُم

يُسَرَّرُ}.

قوله: (إِنَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا) قد قدمنا الآيات الموضحة له

في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {
} وَلَقَدْ أَتَوَا عَلَى الْقَرْيَةِ آتِيَةً أَمْتِرَتْ مَعْلُوَّةً أَسْوَى}.
قوله: "إِلَّا أَلَّا لَوْ بَعْلُ مِنْهُمْ يَسْهَرُّ " قد قدمنا الآيات الموضحة له إيضاحاً شافياً بكثرة.

وقد تضمنت إيضاح قصة لوط وقومه في سورة هود وسورة الحج في الكلام على القصة المذكورة في السورتين.

* قوله تعالى: "لَقَدْ جَأَءَ عَلَى فَرْعُونَ الْنَّذِرُ كَذَّبْنَاهُ كَبِيرَانِينَا".

تضمنت هاتان الآيتان ثلاثة أمور:

الأول: أن آل فرعون جاءتهم النذر.

الثاني: أنهم كذبوا بآيات الله.

الثالث: أن الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وهذه الأمور الثلاثة المذكورة هنا جاءت موضحة في آيات أخرى من كتاب الله، أما الأول منها وهو أن آل فرعون وقومه جاءهم النذر، فقد أوضحه تعالى في آيات كثيرة من كتابه.

/ أعلم أولاً أن قوله: "جَاءَ عَلَى فَرْعُونَ الْنَّذِرُ " قد: هو جمع نذير وهو الرسول. وقيل: هو مصدر بمعنى الإنداد.

فعلي أنه مصدر، فقد بنيت الآيات القرآنية بكثرة أن الذي جاءهم بذلك الإنداد هو موسى وهارون، وعلى أنه جمع نذير أي منذر، فالمراد به موسى وهارون، وقد جاء في آيات كثيرة إرسال موسى وهارون لفرعون، كقوله تعالى في طه: "أَلَيْنَا فَقُولُوا إِنَّا أُسْلِمُونَ رَبَّنَا فَأَسِرْلَ مَعَنَا بِنَبِيٍّ إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْدُدُوهُمْ فَدَّ جَنَّاتَكَ وَنَعْجِنَبُ هُنَاً فَرِيْكَ "، ثم بين
 تعالى إنذارهما له في قوله: 
"إن أقبل أوجى إليسا أن المذاب عن من كذب
وتولى" ونجوها من الآيات.
وفي هذه الآية سؤال معروف، وهو أن الله تبارك وتعالى أرسل
لفرعون نبيين هما موسى وهارون، كما قال تعالى:
"قلت يا فرعون فقولا إن تارسول رب علمنا" 16 وهذا جمع النذر في قوله:
"وقد جاءه علماً رفعاً النذر".
وللعلماء عن هذا أجوهرة، أحدها: أن أقل الجمع اثنان كما هو
المقرر في أصول مالك بن أنس رحمه الله، وعقده صاحب مراقي
السعود بقوله:
"أقل معنى الجمع في المشتهر
الاثنان في رأي الإمام الحنفوي
قيلوا: ومنه قوله تعالى:
"قد صفت قلوبكم" ولهم قلبان
فقط، وقوله: "إني كان لله إخوة قد أرسلت" والمراز بالإخوة اثنان
فساعداً كما عليه الصحابة فمن بعدهم خلافاً لابن عباس، وقوله:
"أطراف أنياهر" وله طرفان.
ومنها: ما ذكره الزمخشري وغيره من أن المراد بالنذر موسى
وِهارون وغيرهما من الأنبياء؛ لأنهم عرضوا عليهم ما أنذر به
الرسل.
ومنها: أن النذر مصدر بمعنى الإنذار.
قال مقيده عسا الله عنه وغرفر له: التحقيق في الجواب: أن من
كذب رسولًا واحدًا فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيرًا
واحدًا فقد كذب جميع النذر؛ لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة
وهي مضمون لا إله إلا الله، كما أوضحه تعالى بقوله:
"ولقد بعضاً في
سورة القمر

وأوضح تعالى أني من كذب بعضهم فقد كذب جميعهم في قوله تعالى: {وَإِنْ تُبْدِيَ لَنَمَّا أُسْأَلُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (77) إِلَّا نَجْزِي إِلَيْهِ أُنْفُقْنَا لَيْلاً حَلَاكُهَا}، وقوله تعالى: {وَشَكَلْنَآ مِنْ أُسْأَلُهَا مِنْ قَبْلَكَ مِنْ رَسُولِنَا أَجْعَالًا}.

وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله: {كَذَّبَ قَمْتُ بِالْمُرْسَلِينَ}.

ثم بين أن تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتلك منكم أبدًا وحده، حيث أفرده بذلك بقوله: {إِذْقَالُ هُمْ نَخْرُكُمْ أَلَنْ نَفْنَوْنَ} إلى قوله: {قَالُ اْرْبَبِ إِنْ تَقْوَى كَلِبُونَ}، وقوله تعالى: {كَذَّبَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}.

ثم بين أن ذلك تكذيب هود وحده، حيث أفرده بقوله: {إِذْقَالُ هُمْ نَخْرُكُمْ هُوَ أَلْتَقَوْنَ}، ونحو ذلك في قوله تعالى في قصة صالح وقومه، ولوط وقومه، وشيعه وأصحاب الأيكة، كما هو معلوم، وهو واضح.

وأما الأمر الثاني: وهو كون فروع وقومه كذبوا بآيات الله، فقد جاء موضحًا في آيات أخرى، كقوله تعالى: {وَقَالُوا أَمْهُمْ كِتَابًا يَأْتِيُونَ}.

وعلم هذا في بعض الفروع.
أضواء البيان

٧٧٨

فأخذتُ أخذٌ عزيزٍ مقدرٍ، فقد جاء موضحاً في آيات أخرى من كتاب الله، كقوله تعالى: 

٦٥٠

وفي موسى إذ أرسلته إلى قومه كسلطنين مبينٍ إلى قوله:

٦٥١

فأخذته وحورده فبصقته في إليه وهو مبزومٌ، وقوله تعالى:

٦٥٢

بأعقمهم فيعرون بفجورة، فعساههم من أليم مأخصصٍ، وقوله تعالى:

٦٥٣

وأغرقتا ألم فورعون وأرسل نظورون، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله: أخذ عزيز مقدر يوضحه قوله تعالى: 

٦٥٤

أخذُ ربك إذا أخذ الفرقاء وقيل خاصية إن أخذه غير شديدٍ.

وقد روى الشيخان في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله ليملِي للعالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم تلا قوله تعالى: 

٧٢٩

وكلذكه أخذ ربك إذا أخذ الفرقاء الآية.

والعزيز: الغالب، والمقدر: شديد القدرة عظيمها.

قوله تعالى: أُكَافِّرُوْنَ أَوْلَئِكُوْنَ.

قد قدمنا الآيات الموضحَة له في سورة الزخرف، في الكلام.
على قوله تعالى: «فاَهَلْكَا آَشَدُ مَهْمُ بَطْشًا»، وفي صدر سورة الروم، وغير ذلك من المواضع.

* قوله تعالى: «يَومٌ يَشْحَبُونَ فِي الْخَيْرِ عَلَى وَجُوهِهِمْ دَوْالاَ مَسًّا»

سَفَرٌ

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى: «يَومٌ يَذِهَبُ مِنَا جَهَنَّمُ دَعَاءً».

* قوله تعالى: «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ حَقّ».

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الزخرف في بعض المناقشات التي ذكرناها في الكلام على قوله تعالى: «قُلُ إن كَانَ لَنَحْجِمُ إِلَّا وَلَدَ فَاتَّنَا أُولُو الْعَهْدِينَ».

* قوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَاعْلُوهُ فِي الْزِّبْرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكِبْرٍ مُسْتَطَرٍ»

الصحيح في معنى الآية أن كل شيء فعله الناس مكتوب عليهم في الزبر، التي هي صحف الأعمال، (وكل صغير وكبير مستتر)، أي مكتوب عليهم لا يترك من شيء.

ووهذا المعنى جاء موضحا في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: «وَيَقُولُونَ يَوْمًا مَّا إِنَّهَا مِنَ الْمَكَّةِ لَيَعْقُوَّرْ صَغِيرًا وَلَا كِبْرًا إِلَّا أَحْصَنَهَا وَفَجَدَوْا مِنْ أَعْمَالِ أَعْمَالٍ أَخَذُوهَا»، وقوله تعالى: «يَوْمَ يُصَلَّى صَلَاتٌ أَخْبَارٌ».

730

والزبر: جمع زبور، وهو الكتاب. والمستطر: معناه المстоطن، أي المكتوب. والآيات بمعنى هذا كثيرة معلومة.
قوله تعالى: {إِنَّ الْكَنِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ}.

أي في جنات وأنهار، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: {ثَلَاثٌ} من جناتهن والأنهار.{فيها أنهر} من ملايين عشرين وأنهر من أيلان.

{لم يفجروا طعامهم لأنهرهم خير لَدْنَا للشَّرِّيينِ وأنهرهم عصيم صغي}. والأنهر.{تخرج من جزيرة حديدية}. 

وقد ذكرنا كثيراً من أمثلة إطلاق المفرد وإرادة الجمع - كما هنا - في القرآن العظيم، مع تذكر المفرد وتعريفه وإضافته، وأكثرنا أيضاً من الشواهد العربية على ذلك في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: {ثمَّ أَخْرَجْنَكُمْ طَفَالَاً}، وفي غير ذلك من المواضع.

والعلم عند الله تعالى.
سورة الرحمن
قوله تعالى: {ألْحَمْنَعيدَّمَ الْقُرْءَانَ}.

قال بعض أهل العلم: نزلت هذه الآية لما تجاهل الكنار الرحمن جل وعلا، كما ذكره الله عنهم في قوله تعالى: {وَإِذًا قَبَلَهُمُ أَسْجَدُوا إِلَى الْرَّحْمَنَ قَالُوا مَا إِلَّا الْرَّحْمَنُ} كما تقدم في القرآن.

وقد قدمنا معنى الرحمن وأدلةه من الآيات في أول سورة الفاتحة.

قوله تعالى: {عَلِمَ الْقُرْءَانَ}.

أي علم نبيه القرآن تلقته أمته عليه. وهذه الآية الكريمة تتضمن رد الله على الكنار في قولهم: إنه تعلم هذا القرآن من بشر، كما تقدم في قوله: {وَلَقَدْ نُعِيمَهُمْ بِقُرْءَانٍ إِنَما يَقُولُونَشَرًّا}، وقوله تعالى: {فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يَتَّعَرَّبُ} أي يرويه محمد عن غيره، وقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِذْهَابُ فُرُوعٍ}.

فقال آ날جاء ظنًا وزودًا قالوا أستطيع الأولياء أحسبنها فهي تملّ عليه بحكمة وأصيلًا.

فقوله تعالى هنا: {آلْحَمْنَعيدَّمَ الْقُرْءَانَ} أي ليس الأمر كما ذكرتم من أنه تعلم القرآن من بشر، بل الرحمن جل وعلا هو الذي علمه إياه.
والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً، كقوله تعالى:

"كَذَٰلِكَ آتَيْنَا لِأَيْمَانِكَ الْقُرْآنَ أَن يُكَلِّفَكَ بِالْبَيْنَةِ ۛ لَيُعَلَّمَ النَّاسَ مَا غَضَبَ رَبُّهُ مِنْهُمْ أَن يَعْبُدُوا إِلَّا وَهُدًىً ۛ عِنْدَنَا لَهُمْ مَيْلًا".

وقد علم الله تعالى الناس أن يحمدوه على هذه النعمة العظمى التي هي إزال القرآن، وذلك في قوله تعالى:

"مَرْحَبَةً ".

وبين أن إزاله رحمة منه لخلقه جل وعلا في آيات من كتابه.
سورة الرحمان

كقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ إِلَّا أَن تَلْقَأُوا عَلَى أَحَدٍ مِّن رَّبِّكُمْ هُدًى وَرَحْمَةً مِّن رَّحْمَةِ مَلِكِ الْعَالَمِينَ}، وقوله: {إِنَّا كُتِبْنَا رَحْمَةً مِّن رَّحْمَتِي مُّن أَحَدِ الْمُخَلِّصِينَ}، وقد بينا الآيات الموضحة لذلك في الكهف والزخرف.

{أَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن أَحَدِ مَعْلُومِينَ حَذَفًا} حذف فيه أحد المفعولين، والتحقيق أن المذود هو الأول لا الثاني كما ظن الفخر الرazi، وقد رده عليه أبو حيان، والصواب هو ما ذكره من أن المذود الأول، وتقديره: 735 علم النبي القرآن. وقيل: جبريل. وقيل: الإنسان.

قولة تعالى: {خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَمَةً آبِيَانِ}.

اعلم أولًا أن خلق الإنسان تعليمه البيان من أعظم آيات الله الباهرة، كما أشار تعالى بذلك بقوله في أول النحل: {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن طَهِيرٍ إِذَا هُوَ حَسِيمُ مُّبَيِّنٌ}، وقوله في آخر يس: {أَوَلَ مِنْ أَحَدِ الْمَخْلُودِينَ}.

فالإنسان بالأمس نطفة واليوم هو في غاية البيان وشدة الخصاص، يجادل في ره وينكر قدرته على البص، فالمنافاة العظيمة التي بين النقطة وبين الآبنة في الخصاص، مع أن الله خلقه من نطفة وجعله خصيماً مبيناً، أيه من آياته جل وعلا دالة على أنه المعبد وحده، وأن البص من القبور حق.

وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: {خَلَقَ الْإِنسَانَ}.

لم بين هنا أطوار خلقه للإنسان، ولكنه بينها في آيات أخرى، كقوله تعالى في الفلاح: {وَلَعَظَّ خَلَقَنَا الْإِنسَانَ مِن سَلْطَةٍ طَوِينَ} ثم جعلته نطفة في قرار مكن {وَخَلَقَنَا الْإِنسَانَ عَلَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَةَ مَضْعَفًا فَخَلَقْنَا الْإِنسَانَ مُضْعَفًا}.

عظاماً فكرسونا الأوطار حمائناً آبائه خلقنا أخر ابناه ابناه سربراً الله أحسن الخلقين.
وقد بينا ما يتعلق بالإنسان من الأحكام في جميع أطواره قبل ولادته، في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: "يُبَيِّنُ الْحَقَّ بِالْبَيَانِ" الآية، وبينا هناك معنى النظفة والعلقة والمضغة في اللغة، وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: "عَلَمُهُ أَلْبَيْانَ" التحقيق فيه أن المراد بالبيان: الإفصاح عما في الضمير.

وعن ما ذلت عليه هذه الآية الكريمة من أنه علم الإنسان البيان قد جاء موضحاً في قوله تعالى: "إِفَأَذَا هُوَ حَصِيرُ مُحِينٌ" في سورة النحل ويس. وقوله: "مُحِينٌ" على أنه اسم فاعل أبان المتعدية، والمفعول محذوف للتعبير، أي مبين كل ما يريد بيانه وإظهاره بلسانه مما في ضميره، وذلك لأنه ربه علمه البيان، وعلى أنه صفة مشهية من أبان اللازمة، وأن المعنى: فإذا هو خصيم مبين، أي بين الخصومة ظاهرة، فكذلك أيضاً لأنه ما كان بين الخصومة إلا لأن الله علمه البيان.

وقد امتن الله جل وعلا على الإنسان بأنه جعل له آلة البيان التي هي اللسان والشفتان، وذلك في قوله تعالى: "أَلْسَنَّ وَأَمْثَلُ بِحُسْبَانِ".

قوله تعالى: "الْشَّمْسِ وَالْقُمَّرِ بِحُسْبَانِ".

الحساب: مصدر زيدت فيه الألف والنون، كما زيدت في الطفيان والرجلان والكفران، فمعنى (بحساب) أي بحساب وتقدير من العزيز العليم، وذلك من آيات الله ونعمه أيضاً على بنى آدم.
لأنهم يعرفون به الشهر والسنين والأيام، ويعرون شهر الصوم وأشهر الحج ويوم الجمعة وعدد النساء اللاتي تعتد بالشهور، كاليائسة والصغيرة والمتوفى عنها.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في آيات أخرى من كتاب الله، كقوله تعالى: «هوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيِّقًا، والقُمُرَ تُرْبَىٰ وَقَدْ نَزَّلَ مِنَ الْقُدُّورِ لَيُصَلِّمُوا عَدَدًاٗ آلِ السَّيِّيدَينِ، وَالجَنِّيْبِ، مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا لِلْحَقِّ يَقِيلُ الْآدَمُ لَقُلْتُ بِالْهَدِيِّ أَنَا لَمْ يَعْلَمَونَ».

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: «فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَلْيَاتَهُ وَجَعَلَ لَهُمَا شَكْرًاٗ النَّهَارَ مُبِينًا».

* قوله تعالى: «وَالْيَمِينَ وَالْشَّجَرِ يَسْجَدُانَ».

اختلف العلماء في المراد بالنجم في هذه الآية، فقال بعض العلماء: أن النجم هو ما لا ساق له من النبات كالبقول، والشجر هو ما له ساق. وقال بعض أهل العلم: المراد بالنجم نجوم السماء.

قال مقدمة عقا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي صوابه أن المراد بالنجم هو نجوم السماء، والدليل على ذلك أن الله جل وعلا في سورة الحج صرح بسجود نجوم السماء والشجر، ولم يذكر في آية من كتابه سجود ما ليس له ساق من النبات بخصوصه. ونعني بآية الحج قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقُمُرُ وَالْيَمِينَ وَالشَّجَرُ» الآية.

فدت هذه الآية أن الساجد مع الشجر في آية الرحمن هو النجوم السماوية المذكورة مع الشمس والقمر في سورة الحج، وخير
ما يفسر به القرآن الكريم، وعلى هذا الذي اخترناه فالمراذ بالنجوم، وقد قدمنا الكلام عليه في أول سورة النجوم وأول سورة الحج، وذكرنا أن من الشواهد العربية لإطلاق النجوم وإرادة النجوم قول الراعي:

فيئت تعد النجم في مستحيرة سريع بأيدي الآكلين جمودها

وقول عمر بن أبي ربيعة المخزمي:

أبرزوها مثل المهاة تهادي بين خمس كواكب أثرب ثمن قالوا تحبها قلقت بهراً

وقوله في هذه الآية الكريمة: (يرسجد) قد قدمنا الكلام عليه مستوفي في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: "وده يسجدون في ألسنتهم والأرض طوعاً وطهراً وظلهم الفدى والأصول.

قوله تعالى: "والسماء رفعها ووضع الميزان".

قوله: (والسماء رفعها) قد بنيا الآيات الموضحة له في سورة ق في الكلام على قوله تعالى: "وأنا ينظر إلى السماوات وفقهم كيف بنيتنه" الآية.

وقوله: (ووضع الميزان) قد قدمنا الكلام عليه في سورة الشوري في الكلام على قوله تعالى: "الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان الآية.

قوله تعالى: "وأقيموا الورز على أسطر ولأضيروا الميزان".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الأعاق في الكلام على
قوله تعالى: »وَأَوْفُوا الْحَكِيمَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْمِ لَا تَخْفُفْ نَفْسًا إِلَّاً وَعِسْكَرًا ١٢٠٠«، وذكرنا بعضه في سورة الشورى.

 قوله تعالى: »وَالأَرْضُ وَضُعْفَهَا لِلنَّاسِ ١٢٠١ فِي هَا فِي كِیْهَا ١٢٠٢ وَالْخَلْقُ ذُو الْكَهْفِ ١٢٠٣ وَلَحْبُ ذِو الْعَصْفِ وَالْقَبْسِ ١٢٠٤«.

ذكر جل وعلا في هذه الآية أنه وضع الأرض للانام وهو الخلق، لأن وضع الأرض لهم على هذا الشكل العظيم، القابل لجميع أنواع الانتفاع من إجراء الأنهار وحفر الأبار وزرع الحبوب والثمار ودفع الأموات وغير ذلك من أنواع المنافع، من أعظم الآيات وأكبر الآلاء التي هي النعم، ولذا قال تعالى بعده: »فَبِئْسَ ٱلذِّي تَعْمَلُونَ ١٢٠٥«.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من امتتانه جل وعلا على خلقه

بوضع الأرض لهم بما فيها من المنافع، وجعلها آية لهم، دالة على كمال قدرة ربهم واستحقيقه للعبادة وحده، جاء موضحًا في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: »وَهُوَ الَّذِي مَئَوْىَ الْأَرْضِ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْيَتٍ ١٢٠٦ وَأَنْهَارٍ ١٢٠٧ وَمِنْ كَلِبِّ ٱلْمَشَرَّقِ جُرِّبَهَا رَكَّٰتَيْنَ ١٢٠٨ أَنَّ ١٢٠٩ الْأَرْضَ حَصُلَ لِكُلِّ أَرْضٍ ذُلِّلَ فَأَصِلَّى فِيهَا وَهُوَ رَبُّ ١٢٠٩ وَقَولُهُ تَعَالَى: »وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَجَّلَهَا ١٢١٠ أَخْرُجْ يَتَبَأَّهَا وَصَبَّعْنِهَا ١٢١١ وَلِيَبْنَ ١٢١٢ أَرْسِنِهَا ١٢١٣ مِنْهَا لَكُمْ وَلَأَنْفِكُمْ ١٢١٤ وَقَولُهُ تَعَالَى: »وَلّيُقْرِرَة أَرْضَكُمْ يَقْرِعُهُمْ ١٢١٥ ٱلْمَهْدَوْنِ ١٢١٦ وَقَولُهُ تَعَالَى: »وَالْأَرْضُ مَدْنُونَهَا وَأَلْقَى فِيهَا رِمْصَاتٍ وَأَلْقَى فِيهَا مِنْ كُلِّ رَجْحٍ ١٢١٧ بَيْنَ ذَرَّةٍ وَذَرَّةٍ لِّكُلِّ عَبْدٍ مِّنْ أَسْلَامِهِ ١٢١٨ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: »لَوْ رَجَحُ ١٢١٩ مَّا لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ١٢٢٠ وَلِيَبْنَ ١٢٢١ بِمْلَةٍ كَثِيرةٍ مَّعْلُومَةٍ.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَيَا فَتْكَاهُ), أي فواكه كثيرة. وقد قدمنا أن هذا أسلوب عربي معروف، وأوضحنا ذلك بالآيات وكلام العرب.

وقوله: (وَالْخَلْقُ ذَاتُ الْأَكْزَمِ) ذات أي صاحبة، والأكمام جمع كم، بكسر الكاف، وهو ما يظهر من النخلة في ابتداء إشارها، شبه اللسان ثم ينفخ عن التور. وقيل: هو ليفها. واختار ابن جرير شموله للأمنين.

وقوله: (وَلَقَبُ) كالقمح ونحوه.

وقوله: (ذُو الْأَصَفْفِ), قال أكثر العلماء: العصف ورق الزرع، ومنه قوله تعالى (مَعَانَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْصُولٍ). وقيل العصف: التبن.

وقوله: (وَالْرَّايْقُانِ) اختلف العلماء في معناه، فقال بعض أهل العلم: هو كل ما طاب ريحه من النبت وصار يشم للتمتع بريحه. وقال بعض العلماء: الريحان: الرزق، ومنه قول النجم بن تولب العكلي:

فَرُوحُ الأَلَّهِ وِرْهِيَانَهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءَ دررَ غَمَامٍ يَنْزِلُ رَزَقُ العَبَّاد

فَأَحِيَا الْبَلَادِ وَطَابَ الشَّجَرِ

ويتعين كون الريحان بمعنى الرزق على قراءة حمزة والخسائي، وأما على قراءة غيرهما فهو محتمل للأمنين المذكورين.

وإيضاح ذلك أن هذه الآية قرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم: (والحَبُّ ذَوَ العَصْفِ والرِّيَاحَانِ) بضم الباء والذال والinion من الكلمات الثلاث، وهو عطف على (فاكيهٍ) أي فيها فاكهة وفيها الحب... إلخ.
وقرأ ابن عامر: (والحبّ ذا العصف والريحان) بفتح الباء والدال والاثنين من الكلمات الثلاث، وفي رسم المصحف الشامي: (ذا العصف) بألف بعد الذال، مكان الواو. والمعنى على قراءته:
وخلق الحب ذا العصف والريحان.
وعلى هاتين القراءتين، فالريحان محتمل لكلا المعنيين المذكورين.
وقراءة حمزة والكسائي بضم الباء في (الحبّ) وضم الذال في (ذا العصف) وكسر نون (الريحان) عطفاً على العصف، وعلى هذا فالريحان لا يحتمل المشموم؛ لأن الحب الذي هو القمح ونحوه صاحب عصف وهو الورق أو البتين، وليس صاحب مشموم طيب ريح.
فيتتين على هذه القراءة أن المراد بالعصف ما تأكله الأنسان من ورق وبذور، والمراد بالريحان ما يأكله الناس من نفس الحب، فالآية على هذا المعنى كقوله: (من هنا لكُرٌ وَلَفَيْكُمُ الْعَصْفُ) ، وقوله تعالى:
(فَخُطْبُكُ، يَرِّعُكَنَّكُمْ لَنْ تَعْلَمُوا أَنْفُقُكُمْ وَلْيُذَكَّرُكُمْ) ، وقوله تعالى: (فَأَخْرَجُواٰ آذَانَكُمْ لِيُكُرِّمُنَّكُمْ) ، وقوله تعالى: (لْكُرِّمْنِهِ) شَرَابُ وَمَكَّتُ شَجَرُ فيهِ شَجَرَةٌ وَمَشْيَمْتُ وَلْيُذَكَّرُنَاٰ) الآية.
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَيُهَيَّكَهُ يَّكَوْنُ) ، ما ذكره تعالى فيه من الامتثال بالفاكهة التي هي أنواع، جاء موضحاً في آيات أخرى من كتاب الله، كقوله تعالى في سورة الفلاح: (لْكُرِّمُ فِيهِ فَوْكِهَةٌ كُبْرَىٰ وَمَثَنَّهَا كَأَكْوَانٍ) ، وقوله تعالى: (فَوْكِهَةٌ وَأَبَا) إلى غير ذلك من الآيات.
وما ذكره هنا من الامتتان بالحب جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى: «فَأَلْقُوْتَاهَا فِي جَنَّتٍ وَحَبّ التَّحْصِيدِ»، وقوله تعالى: «فَأَلْقُوْتَاهَا فِي جَنَّتٍ وَحَبّ التَّحْصِيدِ رَزَقًا لِّلْعَبْدِ»، وقوله تعالى: «فَأَلْقُوْتَاهَا فِي جَنَّتٍ وَحَبّ التَّحْصِيدِ»، الآية، والآيات.

وما ذكره تعالى هنا من الامتتان بالرحيل، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: «وَالْخَلْقُ بِأَسْقَاطٍ لَّا طَعُوبٌ فِيهِ»، وقوله تعالى: «فَانْتَسُفْنَا لَكَ بِجَنَّتٍ مِّن تَجْرِيعٍ وَأَعْشَىٰ» الآية، والآيات.

وما ذكره هنا من الامتتان بالرياح، على أنه الرزق كما في قراءة حمزة والكسائي، جاء موضحاً في آيات كثيرة أيضاً، كقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ زَرْقَتَاهُ وَيُرِيكُمْ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ رَزَقًا»، وقوله تعالى: «فَقِلْ مِنْ رَزَقِكُمْ وَرِيضَتِيَّ» الآية، وقوله تعالى: «أَمَّنَ هذَا الَّذِي يَرِيكُمُ إِنَّا أَعْمَلُونَ رَزَقًا»، وقوله تعالى: «قُلْ صَوْرَتُكُمْ فَأَحْسَنْ صُوْرَتُكُمْ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّن الْيَمِينِ» الآية، والآيات.

بمثل ذلك كثيرة معلومة.

مسألة

أخذ بعض علماء الأصول من هذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات، كقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» أن الأصل فيما على الأرض الإباحة حتى يرد دليل خاص بالمنع؛ لأن الله امتن على الأنام بأنه وضع لهم الأرض، وجعل لهم فيها أرزاقهم من القوت والتفنن، في آية الرحمن هذه، وامتن عليهم بأنه خلق لهم
ما في الأرض جميعاً في قوله: «هو الّذي خلق لكم ما في الأرض»، ومعلوم أنه جل وعلا لا يمتن بحرام، إذ لا منة في شيء محرم.

واستدلوا لذلك أيضاً بحصر المحرومات في أشياء معينة في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: «قل لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِي إِلَى مَعْرُوفٍ أُنْفَقَأَ عَلَى طَاعَمٍ يُطْعَمْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْسِئَةً أَوْ دَمَّ مَسَفَحًا أَوْ لَحْمٌ جَنْزِيرٍ» الآية، وقوله تعالى: «قل إِنَّا حَرِيمٌ رَبِّيِّ النَّشَرُ مَا ظَهَرَ بَيْنَ مَا بَطَنَ وَمَا بَطَنَ بَيْنَ آيَاتِنَا» الآية، وقوله تعالى: «قُلْ مَا كَانَ أَنْ لَعَلَّ مَا حَرِيمٌ رَبِّيِّ يَعْقِبُهُمْ» الآية.

وفي هذه المسألة قولان آخرين:

أحدهما: أن الأصل فيما على الأرض التحريم حتى يدل دليل على الإباحة، /واحتجا لهذا بأن جميع الأشياء مملوكة لله جل وعلا، والأصل في ملك الغير منع التصرف فيه إلا بإذنه، وفي هذا مناقشات معروفة في الأصول، ليس هذا محل بسطها.

القول الثاني: هو الوقف وعدم الحكم فيها بمنع ولا إباحة حتى يقوم الدليل.

فتحصل أن في المسألة ثلاثة مذاهب: الممنوع، والإباحة، والوقف.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي صوابه في هذه المسألة هو التفصيل؛ لأن الأعيان التي خلقها الله في الأرض للناس بها ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون فيها نفع لا يشوبه ضرر، كأنواع الفواكه وغيرها.
أضواء البيان

الثانية: أن يكون فيها ضرر لا يشبه نفع، كأكل الأعشاب السامة القاتلة.

الثالثة: أن يكون فيها نفع من جهة وضرر من جهة أخرى.

فإن كان فيها نفع لا يشبه ضرر، فالحقيقة حملها على الإباحة حتى يقوم دليل على خلاف ذلك. لعموم قوله: 

"هو وَلَدَلِّي حَنُّكَ لَكُم مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا"، وقوله: "وَأَلْلَّهُ وَصَّاهُ للَّيْلًا وَالْإِفْرَدًا" الآية.

إن كان فيها ضرر لا يشبهه نفع، فهي على التحريم.

القوله: "لا ضرر ولا ضرار".

إن كان فيها نفع من جهة وضرر من جهة أخرى، فلها ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون النفع أرجح من الضرر.

والثانية: عكس هذا.

والثالثة: أن يتساوي الأمران.

فإن كان الضرر أرجح من النفع أو مساوياً له، فالمنع؛ لحديث "لا ضرر ولا ضرار"، ولأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وإن كان النفع أرجح، فالأظهر الجوائز؛ لأن المقرر في الأصول أن المصلحة الراجحة تقدم على المفسدة المرجوحة، كما أشار له في مراقي السعودية بقوله:

* وألغ إن يك الفساد أبعدا*

أو رجح الإصلاح كالأسارى

تفدى بما يتففع للنصارى

وانتظر تدلي دوايلي العنبر

في كل شرقي وكل مغرب
ومراده تقديم المصلحة الراجحة على المفسدة المرجوة،
أو البعيدة، ممثلاً له مثالين:

الأول منهما: أن تخليص أسرى المسلمين من أيدي العدو بالفداء مصلحة راجحة، قدمت على المفسدة المرجوة التي هي انتفاض العدو بالمال المدفع لهم فداء للأسرى.

الثاني: أن انتفاض الناس بالعنب والزبيب، مصلحة راجحة على مفسدة عصر الخمر من العنب، فلم يقل أحد بإزالة العنبر من الدنيا لدفع ضرر عصر الخمر منه؛ لأن الانتفاض بالعنب والزبيب مصلحة راجحة على تلك المفسدة.

وهو هذا التفصيل الذي اخترناه قد أشار له صاحب مراقي السعود بقوله:

والحكم ما به يجيء الشرع وأصل كل ما يضر المنع

تنبيه

اعلم أن علماء الأصول يقولون: إن الإنسان لا يحرم عليه فعل شيء إلا بدليل من الشرع، ويقولون: إن الدليل على ذلك عتقلي، وهو البراءة الأصلية المعروفة بالإباحة العقلية، وهي استصحاب العدم الأصلي حتى يرد دليل ناقل عنه.

ونحن نقول: إنه قد دلت آيات من كتاب الله على أن استصحاب العدم الأصلي قبل ورود الدليل الناقل عنه حجة في الإباحة، ومن ذلك أن الله لما أنزل تشديد في تحريم الربا في قوله تعالى: "فإن أتمتموا فأذنو بحرم من اللهات آية، وكانت وقت نزولها

745
عندهم أموال مكتسبة من الربا، اكتسبوها قبل نزول التحريم، بين الله تعالى لهم أن ما فعلوه من الربا، على البراءة الأصلية قبل نزول التحريم، لا خرج عليهم فيه، إذ لا تحريم إلا بيان، وذلك في قوله تعالى: {فَقُلْ قَالَ رَبِّي قَلْتُ أَيُّهَا الْقَدَّيْسَ أَنَّكَ مَالِكُ مَاتَ سَلَفٍ}، وقوله: (ما سلف) أي ما مضى قبل نزول التحريم.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: {وَلَا نَكَحُوْا مَا نَكَحْتُمُ} {إِلَّا أَنَّكُمَاتُ ٱلْبَيْنَةَ إِلَّآ مَا قُدِّشَ سَلْفُكُمْ}، وقوله تعالى: {وَأَنَ تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأَسْتِثْناءِ إِلَّآ مَا قُدِّشَ سَلْفُكُمْ}، والأظهر أن الاستثناء فيهما في قوله: (إلا ما قد سلف) منقطع، أي لكن ما سلف من ذلك قبل نزول التحريم فهو عفو؛ لأنه على البراءة الأصلية.

ومن أصرح الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: {وَمَا ٱسْتَغْفَرْتُمُ ٱللَّهُ إِلَّا مَعْذِرَةً بَعْدَ إِذْ هَزَّهُمْ حَبَّةٌ ۗ كُلُّ نَفْسٍ لِّتَعْقِبَهَا}؛ لأن النبي ﷺ لما استغفر لعمه أبي طالب بعد موته على الشرك، واستغفر المسلمون لموتهم المشركون، عابتهم الله في قوله: {كَانَ لِلَّهِ أَلْيَاءٌ وَأَلْيَاءٌ ۗ أَسَمَّاَتُوهَا ۗ لَوْ سَتَّعْفَرُوا لَمَلِكَّتُوهَا أَوَلَّوُ هَٰذَا وَلَّوُ هَا أَوَلَّوُ هَٰذَا وَلَّوُ هَا أَوَلَّوُ هَٰذَا وَلَّوُ هَا أَوَلَّوُ هَا أَوَلَّوُ هَٰذَا وَلَّوُ هَا أَوَلَّوُ هَٰذَا وَلَّوُ هَا أَوَلَّوُ هَٰذَا وَلَّوُ هَا أَوَلَّوُ هَٰذَا} الآية، فندموا على الاستغفار لهم، فيبين الله لهم أن استغفارهم لهم لا مؤاخذة به؛ لأنه وقع قبل بيان منه.

وهذا صريح فيما ذكرنا.

وقد قدمنا أن الأخذ بالبراءة الأصلية يعذر به في الأصول أيضاً، في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا كَأَبَأَ مَعْذِرَةً حَتَّى تَحْيَاتُ رَسُولِ ٱللَّهِ}، وبينا هناك كلام أهل العلم في ذلك، وأوضحنا ما جاء في ذلك من الآيات القرآنية. والعلم عند الله تعالى.
قوله تعالى: «خلقَ الإنسانَ من صَلْصَلٍ كَفَّاحًا وَخلقَ الجَانَّ من مَّارِجٍ مَّن نَّارٍ».

الصلال: الطين البياض الذي تسمع له صلصة، أي صوت إذا قرع بشيء، وقال: الصلال: المتنين، والفخار: الطين المطبوخ، وهذه الآية بين الله فيها طوراً من أطوار التراب الذي خلق منه آدم. فيفبن في أبات أنه خلقه من تراب، كقوله تعالى: «إِنَّ مَّلِكَ عَبْسٍ عَندَ اللَّهِ كَمُكَّيْلٍ وَلَدِيْمٍ خَلَقَكُم مِّن تَرابٍ»، وقوله تعالى: «يَنْزِلُهَا النَّاسُ إِن كَنَّكُم فِي نَّارٍ فِي رَبِّ مِنْ أَبَيْنِ التَّرابِ»، وقوله تعالى: «وَمَنّ الْآخِيْهُمْ أَنَّ خَلَقْنَاهُ مِن تَرابٍ ثُمَّ يَأْتُوهُ تَشْرُوْفٌ»، وقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تَرابٍ ثُمَّ رَبَّ أَرْضٍ يَطْفِأ»، وقوله تعالى: «يا خَلَقْنَاهُم فِي نَّارٍ وَفِيهَا نُجُودٌ».

وقد بينا في قوله تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِّن تَرابٍ» وقوله: «وَنِيّ خَلَقْنَاهُم» أن المراد بخلقهم منها هو خلق أبيهم آدم منها؛ لأنه أصلهم وهم فروعه.

ثم إن الله تعالى عجن هذا التراب بالملاء فصار طينا، ولذا قال: «إِنْ سَجَرَ مِنْ خَلَقَتِ طَيْنَا»، وقال: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا اللّهِ مِنْ سَجْرِيٍّ نَّارٍ طَيْنَا»، وقال تعالى: «وَبِذَا خَلَقَ اللّهِ مِن طَيْنٍ طَيْنًا»، وقال: «إِنَا خَلَقْنَاهُم مِّن طَيْنٍ لَّأْرِزٍ»، وقال تعالى: «إِيَّ خَلَقْنِي بَشَّرٌ مِّن طَيْنٍ».

ثم خمر هذا الطين فصار حماً مسنوناً، أي طينا أسود متغير الأربع، كما قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا اللّهِ مِن صَلْصَلٍ حَمَّةٍ مَّسْتَوْىٍ»، والآية، وقال تعالى: «إِيَّ خَلَقْنِي بَشَّرٌ مِّن حَمَّةٍ مَّسْتَوْىٍ»، 747.
ثم يس هذا الطين فصار صلصالاً، كما قال هنا: «خلقنا الإنسان من صلصلي كأنفخاري»، وقال: «ولقد خلقنا الإنسان من صلصلي من حقله متسونين».
فالآيات يصدق بعضها بعضاً، ويتبين فيها أطوار ذلك التراب.
كما لا يخفى.
وعلبه فالألف واللام للجنس، واللحم: اللحيم الذي لا دخان فيه: وقوله: (من نار) بيان لمارج، أي من لهب صافي كان من النار.
وأما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه تعالى خلق الجنان من النار، جاء موضحاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى في الحجر: «ولقد خلقنا الإنسان من صلصلي من حقله متسونين» وعلبه علبان خلقته من قبل من قال: السموت، وقوله تعالى: «قال: أنا خير بينه خلقتي من نار والخلقين من طين».
وقد أوضحنا الكلام على هذا في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: «إلا إليس أبي واسكنكم كان من الكفرين».
قوله تعالى: «رب الشعرى ورب الغلبي». 
قد أوضحنا الكلام عليه في أول الصفات في الكلام على قوله تعالى: «رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشعرى».
قوله تعالى: ﴿مَّنَّ الْبَحْرِينَ يَلِيقُانِ﴾ يَلِيِّقُانِ ﴿١١﴾.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة القرآن في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَّنَّ الْبَحْرِينَ هَذَا عَذَّبَ فَرَّاتَ وَهُذَٰلَكَ يَلِيِّقُانَ﴾.

وجعل بينهما بريطاً وحجرًا أحمدًا ﴿١٢﴾.

قوله تعالى: ﴿يَلِيِّقُانَ﴾ يَلِيِّقُانِ ﴿١١﴾.

قرأ هذا الحرف نافع وأبو عمرو: (يَلِيِّقُانِ) بضم اليمين وفتح الراء مبيناً للمفعول، وعلى فاللؤلؤ نائب فاعل يَلِيِّقُانِ.

وقرأ بعاص السبعة: (يَلِيِّقُانِ) يفتح اليمين وضم الراء مبيناً للمفعول، وعلى فاللؤلؤ فاعل يَلِيِّقُانِ.

علم أن جماحة من أهل العلم قالوا: إن المراد بقوله في هذه الآية: (يَلِيِّقُانِ) أي من مجموعهما الصادق بالبحر الملح، وأن الآية من إطلاق المجمع وإرادة بعضه، وأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر الملح وحده دون العذب.

وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية مع كثرتهم وجلالتهم لا شك في بطلانه؛ لأن الله صرح بتقيضه في سورة فاطر، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَثْبَرُ الْبَحْرَانَ هَذَا عَذَّبَ فَرَّاتَ وَهَذَٰلَكَ يَلِيِّقُانَ﴾.

فالتنوي في قوله: (من كل) تنوي عوض، أي من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحماً طرياً و تستخرجون حلياً تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان، وهذا مما
لا نزاع فيه (1).

وقد أوضحنا هذا في سورة الأعرام في الكلام على قوله تعالى: 

 зав: { يقمعَرُوا الْأَوَّلِيَّةَ وَالْآخِرِينَ أَلْلَهُمْ رَسُولُنَا وَنَحْنُ مَنْ كُنَّا } الآية.

واللؤلؤ: الدكر، والمرجان: الخرز الأحمر. وقال بعدهم:

المرجان صغار الدكر، واللؤلؤ كباره.

(1) هذا الاستنتاج الذي توصل إليه فضيلة الولد رحمه الله، يعتبر فتحًّا من الله لأنه توصل إليه استنتاجًا، فجاء الواقع يشهد بذلك، وإن لم يطلع عليه رحمه الله، مما يلزم التعليق والتنبيه عليه.

وذلك أنه قد ثبت وجود اللؤلؤ في الماء العذب كما ذهب إليه رحمه الله، كما جاء في دائرة معارف الشعب المصرية عدد ۷۳ صحايفة ۵۳۷ تكلمت عن اللؤلؤ إلى أن جاء فيها ما نصه:

أنواع المحار جميعها قد تنتج اللؤلؤ، ولكنه يوجد غالباً في أنواع معينة منها.

ففقد عثر مثلاً على آلية رائعة الجمال في محار المياه العذبة الذي يعيش في بريطانيا وخاصة أنهير ويلز واسكتلندا. . .

ومعظمها عبر عليها في نهر كونواي في القرن السابع عشر، وأهداها أحد نبلاء الإنجليز إلى الملكة كاترين زوجة شارل الثاني، وما زالت محفوظة ضمن مجوهرات التاج البريطاني في برج لندن، ولا يزال الأهالي يقتلون المحار عند مصب هذا النهر. . .

فكان إثبات الشيخ رحمه الله جزءًا من استخراج اللؤلؤ من الماء العذب مغايراً لما عليه جميع المفسرين إثباتًا مؤيدًا بنور الله، شهد له الواقع وصدقه الحس، وفي ذلك تأييد لكل مجتهدي وجد مستندًا صريحاً لما ذهب إليه، ولما فهما من كتاب الله، وإن غاب أقوال الآخرين، ما دام له مستند ظاهر لهذه المسألة.

وإذا مصدق ما جاء عن على رضي الله عنه وما نطق به من مشاكلة النبوة حينما سأل: هل خصركم رسول الله ﷺ آل البيت شيء من الوحي؟ فقال: لا. إلا بما في هذه الصحيحه أو فهماً من كتاب الله، يعطيه من شاء من عباده.

وإذا هو التفهم الصحيح المستند إلى نص صريح، يعطيه الله تعالى له، رحمه الله واسعة.
قوله تعالى: (ولله الحجارة الْمُسْتَنَبَّةُ في الْحَجِّ كَالْأَعْلَمِ). 

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ تَبْتَغَى الْحَجِّ فَكَانَ الْحَجِّ كَالْأَعْلَمِ).

قوله تعالى: (كل من عليها فإن وَبْقَى وَجَهَّ رَيْكَ ذَوِ الْجَلَّالِ ۖ). 

وَالْأَكْرَمُ ۖ.

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من فناء كل من على الأرض ويقاء وجهه جل علا المنصف بالجلال والإكرام، جاء موضحًا في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: (كُل شَيْءٍ هُمْ أَلَّا يَهْدُوهُ إِلَّا وَجَهَّاهُ)، وقوله تعالى: (وَتَوَاصَلُ الْأَلْهَيْنِ إِلَّا يَمْسَكُوهُ)، وقوله تعالى: (كُلُّ نَقْصٍ ذَا يَقْةٍ الْمُوْتُ ۖ). إلى غير ذلك من الآيات.

والوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه، فعليا أن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق.

وقد أوضحنا هذا غاية الإيضاح بالآيات القرآنية في سورة الأعراف، وفي سورة الفتال. والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: (يَمْقَضِرُ الْأَيْنِ وَلَا لَيْنِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تُنْفِذُوا مِنْ أَقْطَرِ الْسَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَٱتَّدِعُوا وَلَا تَنْفِذُوا إِلَى يَسِيرُتِهِ).

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: (وَحَفَظُونَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)، وتكلمنا أيضاً هناك على غيرها من الآيات التي يفسرها الجاهلون بكتاب الله بغير معانيها، فاغنى ذلك عن إعادته هنا.
قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتْ الْسَمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ كَالْدِهَانِ.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن السماء ستنشق يوم القيامة، وأنها إذا انشقت صارت وردة كالدهن، وقوله: (وردة) أي حمراء كلون الورد، وقوله: (كالدهان) فيه قولان معروفان للعلماء:

الأول منهما: أن الدهن هو الجلد الأحمر. وعليه فالمعنى: أنها تشير وردة متصلة بلون الورد مشابهة للجلد الأحمر في لونه.

والثاني: أن الدهن هو ما يدهن به، وعليه، فالدهان قيل: هو جمع دهن، وقيل: هو مفرد؛ لأن العرب تسمى ما يدهن به دهناً، وهو مفرد، ومنه قول امرئ القيس:

«كأنهما مزداتا، متعجل، قريتان لما تدهني بدهان مزيجًا»

وحقيبة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهن هو الجلد الأحمر، يكون الله وصف السماء عند إنشاقها يوم القيامة بوصف واحد وهو الحمرة، فشبهها بحمرة الورد، وحمرة الأديم الأحمر.

قال بعض أهل العلم: إنها يصل إليها حر النار فتحمل من شدة الحرارة. وقال بعض أهل العلم: أن سماء حمراء إلا أنها لشدة بعدها وما دونها من الحواجز لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمر على حقيقته، وأنها يوم القيامة ترى على حقيقة لونها.

وأما على القول بأن الدهن هو ما يدهن به، فإن الله يكون قد وصف السماء عند إنشاقها بوصفين: أحدهما: حمرة لونها، والثاني: أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن.
سورة الرحمن

أما على القول الأول، فلم نعلم آية من كتاب الله تبين هذه الآية، بأن السماء ستحمر يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر.

/ وأما على القول الثاني الذي هو أنها تذوب وتصير مائعة، فقد أوضحه الله في غير هذا الموضوع، وذلك في قوله تعالى في المعارج:

{ إِنَّهُمْ يَرْوَحُونَ بِعِيدٍ وَرَتَّبْنَا فِيْهَا قَانُونًا ۗ يُوْمَ تَكُونُ الْسَّمَاءُ كَأَلْهَمٍّ }، والمهل شيء ذائب على كلا القولين، سواء قلنا: إنه دردي الزيت وهو عكره، أو قلنا: إنه الذائب من حديد أو نحاس أو نحوهما.

وقد أوضح تعالى في الكهف أن المهل شيء ذائب يشبه الماء شديد الحرارة، وذلك في قوله تعالى: { وَإِمَّا يَسْتَغِينُواْ يُعَاوُنُواْ بِمَهْلٍ كَانَ مُهْلًا يَنْبُوِّي الْجَوْهَرَ يُبَشِّرُ الْمُتَّقِينَ}. والقول بأن الوردة تشبه بالفرس الكبيرة وهو الأحمر؛ لأن حمرته تلون باختلاف الفصول، فتشتد حمرتها في فصل، وتميل إلى الصفرة في فصل، وإلى الغيرة في فصل، وأن المراد بالتشبيه كون السماء عند انشقاقها تلون بألوان مختلفة، واضح البعد عن ظاهر الآية.

وقول من قال: إنها تذهب وتجيء، معناه له شاهد في كتاب الله، وذلك في قوله تعالى: { يَوْمَ نُمْرُوحُ الْسَّمَاءُ وَرَأَا الْآيَةَ } الآية، ولكنه لا يخلو عندي من بعد.

وما ذكره تعالى في هذه الآية الكريمة من انشقاق السماء يوم القيامة، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: { إِذَا أُتِيَ الْآيَةُ ۖ أَنْشَقَتْ ۖ }، وقوله تعالى: { فَيَوْمِ الْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشَقَتْ الْسَّمَاءُ}. 803
وقوله: {ويوم تشقق السماوات بالظلمة الآية، وقوله: {إذا أظلم السماوات أنفطرت}، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة في الكلام على قوله تعالى: {ومالاً يفُجَر}.

قوله تعالى: {فَنَفَّذَلَّ لَا يِنْسَى عَنِ الْذِّي بِهِ إِنْ شَاءُ وَلَا جَانَّ}.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه يوم القيامة لا يسأل إنساً ولا جاناناً عن ذنبه، وبين هذا المعنى في قوله تعالى في القصص:

{وَلَا يَسْتَلِعْنَ ذُنُوبُهُمْ}.

وقد ذكر جل وعلا في آيات أخرى أنه يسأل جميع الناس يوم القيامة الرسل والمرسل إليهم، وذلك في قوله تعالى: {فَلَتَسْتَنْهَيْنَ أَرْسِلْتُ إِلَيْهِمْ وَنَسْتَنْهَيْنَ الْمُهْتَدِينَ}، وقوله: {فَوَرَبَّيْكَ لَنَسْتَنْهَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ}.

وقد جاءت آيات من كتاب الله مبينة لوجه الجمع بين هذه الآيات التي قد يظن غير العالم أن بينها اختلافًا. اعلم أولاً أن السؤال المنفي في قوله هنا: {فَنَفَّذَلَّ لَا يِنْسَى عَنِ الْذِّي بِهِ} إنّه ولجاناً، وقوله: {يَسْتَلِعْنَ ذُنُوبُهُمْ} أخص من السؤال المثبت في قوله: {فَوَرَبَّيْكَ لَنَسْتَنْهَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ} عنّا كأنّا يعمّلون، لأن هذه فيها تعليم السؤال في كل عمل، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السؤال إلا عن الذنب الخاصة.

وللجمع بين هذه الآيات أوجه معروفة عند العلماء:

الأول منها، وهو الذي دل عليه القرآن، وهو محل الشاهد عندها من بيان القرآن بالقرآن هنا: هو أن السؤال نوعان: أحدهما
سؤال التوبخ والتقريع وهو من أنواع العذاب، والثاني هو سؤال الاستخبار والاستعلام.

فالسؤال المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام؛ لأن الله أعلم بأفعالهم منهم أنفسهم، كما قال تعالى:

» أَحْصِنُواْ رَبَّكُمُ اللَّهَ وَشَوَّهُواْ (البقرة: 287)«

وعليه فالمعني: (لا يسأل عن ذنبه إنى ولا جان) سؤال استخبار واستعلام؛ لأن الله أعلم بذنبه منه.

754

والسؤال المشت في الآيات الأخرى هو سؤال التوبخ والتقريع، سواء كان من ذنب أو غير ذنب، ومثال سؤالهم عن الذنوب سؤال توبخ وتقيع قوله تعالى: »فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهَهُمْ أَكْفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَذُوَّفُواْ عِلْدَابًا يَمَّا كَانُواْ تَكْفُرُونَ (العنزة: 3)«، ومثاله عن غير ذنب قوله تعالى: »وَقَاتِرَهُ إِنِّمَا يُسْتَوَّلَنَّ مَا لَكُمْ لَا نَأَصْبُرُونَ (إسحاق: 47)«، وقلبه تعالى: »ثُمَّ بَذَّرُوكُمْ إِلَى نَارٍ جَهَنُمْ ذَٰلِكَ هَذَا أَنتُونَ آتُونَ لَكُمْ إِلَى نَارٍ فَأَسْفَخْهَا (البقرة: 175)«. وقوله تعالى: »أَلِّلَّهُ يَأْيُوَمُ (الأنفال: 10)«.

أما سؤال المؤومة في قوله: »وَإِذَا الْمُؤْمِنُ دُعِيَ سَيَلَتْ (البقرة: 167)« فلا يعارض الآيات التالية للسؤال عن الذنب؛ لأنها سئلت عن أي ذنب قتل، وهذا ليس من ذنبها، والمراد بسؤالها توبخ قاتلها وتقيعها؛ لأنها هي تقول: لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلماً.

وكذلك سؤال الرسل، فإن المراد به توبخ من كذبهم وتقريعهم، مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلغته.

وبقى أوجه الجمع بين الآيات لا يدل عليه قرآن، وموضوع
هذا الكتاب بيان القرآن بالقرآن، وقد بنيت بقينها في كتابنا "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" في أول سورة الأعراف.

وقد قدمنا طرقاً من هذا في هذا الكتاب المبارك في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: {فَلْنَسْتَفِنَّ الۡذِّيۡنَ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَّهَۢ هُمۡ يُرِيدُونَ وَلَنْنَسۡتَفِنَّ اللّٰدِينَ}. 

قوله تعالى: {يَعۡرِفُ الۡمُهۡرِجُونَ يَسِيمُهُمۡ فَيُؤۡخَذُونَ بِالۡوَصۡيَّةِ وَالۡأَقۡلَامِ}.}

قوله: (بسماعهم) أي بعلامتهم المميزة لهم، وقد ذل القرآن على أنها هي سواد وجههم وزرقة عيونهم، كما قال تعالى: {يَوْمَ يَفۡتَرِسُ بَيۡضُ وَجۡهٍ وَشَفۡرُ وَجۡهٍ / فَأَمَّمَا الۡذِّينَ آسَوۡدُ وَجُهُوهُمۡ الۡأَيۡنُ}. وقال تعالى: {وَيَوۡمَ الۡبَيۡنَةِ كِتَابٍ كَذَّبۡنَ أَلَّا إِنَّهُ مِنۡ أَلۡلَهۡ جَعِلۡتُهُ إِلَّا دُجَّلۡاً}. وقال تعالى: {وَرَتَهَفۡتُهُمۡ دَخۡلُتُهُمۡ يَأۡتِيۡنَهُمۡ ذِۡلِقَانٌ}. وقال تعالى: {وَيَوۡمَ يُوۡمَذِبُنَّ أَلَّا إِلَّا ذِّلُّوۡةٌ فَغَضَبۡنَّا عَلَیۡهِمُ}.} لأن معنى قوله: (ترهقه قترة) أي يعلوها ويعظوها سواد كالدخان الأسود، وقال تعالى في زرقة عيونهم: {وَغُشِّرُ الۡمُهۡرِجُونَ يَوۡمَذِبُ أَلَّا إِلَّا ذِّلۡرَةٌ}. ولهذا لما أراد الشاعر أن يطب علل البخيل بأسوأ الأوصاف وأقبحها، ووصفها سواد الوجه وزرقة العيون حيث قال: 

واللبهخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود 

ولا سببا إذا اجتمع مع سواد الوجه اغباره، كما في قوله: {عَلِیۡبَ عِجْراً تَرۡهَقُ فَتۡرَةً} فإن ذلك يزيده فحشاً على قبح.
وقوله تعالى: "فَمَا خَلَفَ بِالْحَرَّى وَاللَّقَامَ".
قد قدمنا تفسيره والآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى: "يَوْمَ يَدْعُوبُ إِلَىَّ نَارٍ جَهَنَّمَ".

* قوله تعالى: "هَذِهِ جَهَنَّمُ إِلَيْهِ يُقَدِّبُ يَهُوَاءُ الْجُحَمُوْنَ بَطَّرُونَ".
بينها وبين جهنم عدن.

أما قوله: "هَذِهِ جَهَنَّمُ إِلَيْهِ يُقَدِّبُ يَهُوَاءُ الْجُحَمُوْنَ" فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الطور أيضاً في الكلام على قوله تعالى:
"هَذِهِ الْأَلْلَةُ إِلَيْهِ كُلُّ مُكَتَّبٍ".

وأما قوله تعالى: "بَطَّرُونَ بَيْنَاهَا وَبَيْنَ جَهَنَّمَ عِدَانَ" فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحج في الكلام على قوله: "يَصُرُّونَ قَوْمِهِ وَسَبِيلَهُمْ يَصُرُّونَهُ بِبَطْرٍ" الآية.

* قوله تعالى: "وَلَمْ يَكُونَ مَقَامٌ رَبّكَ جَنَّانًا".

قد بينا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية قد يكون فيها وجهان صحيحان كلاهما يشهد له القرآن، فذكر ذلك كله مبينين أنه كله حق، وذكرنا لذلك أمثلة متعددة في هذا الكتاب المبارك، ومن ذلك هذه الآية الكريمة.

وأيضاح ذلك: أن هذه الآية الكريمة فيها وجهان معروفان عند العلماء، كلاهما يشهد له القرآن:

أحدهما: أن المراد بقوله: (مقام ربه) أي قيامه بين يدي ربه، فالمقام اسم مصدر بمعنى القيام، وفاعل على هذا الوجه هو العبد الخاتف، وإنما أضيف إلى الرब لوقوعه بين يديه، وهذا الوجه يشهد
له قوله تعالى: أَوَّاَمَنْ خَافَ مَقَامِ رَبِّهَا وَهُدِيَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوْىِ مَثْلَ الْأَلْبَىْ (٧٦) فَإِنَّ قُولُهُ: (وَهُدِيَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوْىِ) قَرِينَةٌ دَالَّةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ خَافَ عَاقِبَةَ الْذَّنِبِ حِينًا يُقِيمُ بِيْنَ يَدٍ رَبِّهَا فَهُنَّىٰ نَفْسَهُ عَنِ الْهَوْىِ.

والوجه الثاني: أن فعل المصدر الميمي الذي هو المقام، هو الله تعالى، أي خاف هذا العبّد قيام الله عليه ومرافقته لأعماله وإحسائه عليه، وبدل لهذا الرجل الآيات الدالة على قيام الله على جميع خلقه وإحسائه عليهم أعمالهم. كقوله تعالى: (لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْخَلْقُ أَلْبَىْ) وقوله تعالى: (فَمَنْ هُوَ فَأَيُّهَا الْيَتْمَىْ) كَبِسْتُهُ وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: (وَلَيْتَ نَصِيبًا عَلَىٰ عَمَّالٍ إِلَّا سَكَّانًا عَلَىٰ شَهْرٍ) إذ تَقْسِيمُ فِيْهِ الآية. إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا في سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى في شأن الجن: (يَقُومُونَ أَجِيبًا دَايِيٌّ لَّهُ رَبَّهُ وَلَيْسُوا بِهِ يَعْفِرُ الْحَكَمَ مِنْ ذُوِّيْكَ) الآية، أن قوله: (وَلَمْ يَقْدِرَ مَقَامٌ بَيْنَ جَنَّتَيْنِ) وتصريحه بالامتنان بذلك على الإنسان والجن في قوله: (فَيَفِي الْأَوْزَيْنِ كَانَ مَنْ كَانَ بِهِ) نص قرآني على أن المؤمنين الخائفين مقام بعهم من الجن يدخلون الجنّة.

قوله تعالى: (مُتَكَيِّنِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَّاَبِيْنِ مَنْ إِسْتيَرْقِيْ) (٧٧)

قد بينا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهَا حَلْيَةٌ لِّبَسْوُنَهَا) جميع الآيات القرآنية الدالة على تنعم أهل الجنة بالسندس والإستربق، والحلية بالذهب والفضة، وبناؤن أن جميع ذلك يحرم على ذكور هذه الأمة في دار الدنيا.
قوله تعالى: (فَيَبِينَ قَصِيرُتُ الْطَّرْفِ).

قد قدمنا الكلام عليه مستوفي في سورة الصافات في الكلام على قوله تعالى: (وَعَنَّاهُمُ قَصِيرُتُ الْطَّرْفِ عِينَ).

قوله تعالى: (حُرِّمَ مَفْصُولَةَ فِي الْيَوْمِ).

قد قدمنا معنى القصر في الخيام، وقصر الطرف على الأزواج، في سورة الصافات في الكلام على قوله تعالى: (وَعَنَّاهُمُ قَصِيرُتُ الْطَّرْفِ عِينَ)، وقدمنا الآيات الدالة على صفات نساء أهل الجنة في مواضيع كثيرة من هذا الكتاب في سورة البقرة والصافات، وغير ذلك.
سورة الواقعة
قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتُ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لَوْقُنُّهَا﴾

الذي يظهر لي صوابه أن (إذا) هنا هي الظرفية المضمنة معنى الشرط، وأن قوله الآتي: ﴿إِذَا رَحَّبَ الْأَرْضُ رِجَالًا﴾ بدل من قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتُ الْوَاقِعَةُ﴾ وأن جواب (إذا) هو قوله: (فأصحاب الميمنة). وهذا هو اختيار أبي حيان، خلافاً لمن زعم أنها مسلوبة معنى الشرط هنا، وأنها منصوبة بهـ (اذكر) مقدرة أو أنها مبتداً، وخلافاً لمن زعم أنها منصوبة بـ (ليس) المذكورة بعدها.

والمعروف عند جمهور النحويين أن إذا ظرف مضمون معنى الشرط منصوب بجزائه، وعليه فالمعنى: إذا قامت القيامة وحصلت هذه الأحوال العظيمة ظهرت منزلة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة.

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿إِذَا وَقَعَتُ الْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة، فالواقعة من أسماء القيامة، كالطامة والصاحة والآذفة والقارعة.

وقد بين جل وعلا أن الواقعة هي القيامة في قوله: ﴿إِفَإِذَا فَقَحَفَهُ﴾
الصُّورِ نَفَخَهَا وَجَدَهَا وَحَلَّلَ الأَرْضَ وَلَمْ يَبْلَغَ نَذَّارًا دُنْهَا وَجَدَهَا قُوُومًا وَقَعَتِ
الوَقِيَةُ وَأَشْفِقَتِ السَّمَاءُ فَهَيُوبًا وَأَهْيَانًا ✪.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ❞ليس لوقيمها كاذبة ❯ فيـه
أوجه من التفسير معروفة عند العلماء كلهما حق، وبعضها يشهد له
قرآن.

الوجه الأول: أن قوله: (كاذبة) مصدر جاء بصفة اسم الفاعل،
فالكاذبة بمعنى الكذب، كالعافية بمعنى المعافاة، والعاقبة بمعنى
العقبى، ومنه قوله تعالى / عند جماعات من العلماء: ❞لا شَعَرَ فِيهَا
العِيْينَ ❯، قالوا: معناه لا شعر فيها للغة. وعلى هذا القول،
فالمعنى: ليس لقيام القيادة كذب ولا تخلف، بل هو أمر واقع يقيناً
لا محالة.

ومن هذا المعنى قولهم: حمل الفارس على قرهما كذب،
أي ماتأثير ولا تخلف ولا جبن.
ومنه قول زهير:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا
ما كذب الليث عن أقرانه صدقًا

وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله
 تعالى: ❞الله لا إله إلا هو له جمع منكم إلا يوم القيامة لا ريب فيه ❯ الآية،
وقوله تعالى: ❞وَأَنَّ السَّاعَةَ أَنَّهَا لَا رَيْبَ فِيهَا ❯، وقوله تعالى: ❞رَسَّمَ لَكَ جَعَلَ
كِتَابَ الْنَّاسِ لِيُرُوِّهِمْ لَا رَيْبَ فِيهِ ❯، وقد قدمنا الآيات الموضوعة لهذا في
سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: ❞وِنَدَّرْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ
فيه ❯.

الوجه الثاني: أن اللام في قوله: (لوquitoها) ظرفية، و (كاذبة)
اسم فاعل صفة لمذدوف، أي ليس في وقعة الواقعة نفس كاذبة، بل جميع الناس يوم القيامة صادقون بالاعتراف بالقيادة مصدقون بها ليس فيهم نفس كاذبة بإنكارها ولا مكذبة بها.

وهذا المعنى تشهد له في الجملة آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: لا يؤمنون به حتى يروا النار، والذين كفروا في ذلك، من منه تأملهم الساعية بغيته أو أبلهم عذاب يوم عقيم.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: بل أدرك علمنهم في الآخرة بلى هم في سباق من فتنهم بلى هم يته рамون.

وباقى الأوجه قد يدل على معناه قرآن ولكنه لا يخلو من بعد عندي، ولذا لم أذكره، وأقربها عندي الأول.

قوله تعالى: خائفة رافعة.

شخ مبتدأ مذدوف، أي هي خائفة رافعة، ومفعول كل من الوصفين مذدوف.

وقال بعض العلماء: تقديده: خاضعة أقوامًا كانوا مرتفعين في الدنيا، رافعة أقوامًا كانوا منخفضين في الدنيا. وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: «إنَّ الَّذِينَ أَجْرَّوْا مِن الَّذِينَ ءَامَنُوا يُصِحَّبُونَهُمْ سَبِيلَنَا ۗ وَإِذَا مَرَّا هُمْ يَلْقَاءُونَ ۗ» إلى قوله: «فَأَلَّهُمَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكَفَّارِ يُصِحَّبُونَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ يَنظُرُونَ ۗ» إلى غير ذلك من الآيات.


وقد قدمنا أن التحقيق الذي دل عليه القرآن، أن ذلك يوم القيامة، وأنها تسير بين السماء والأرض كسير السحب الذي هو المزن.

وقد صرح تعالى بأن الجبال تحمل هي والأرض أيضًا يوم القيامة، وذلك في قوله: «إِفَأَمْشَى فِي الصُّرُقِ نَفْخَةٌ وَجَدَةٌ ۖ وَجُمَلُ الْأَرْضِ ۖ وَلِلْيَمِينِ» الآية.

وعلية هذا القول، فالمراد تعظيم شأن يوم القيامة، وأنه يخلي فيه نظام العالم، وعلى القولين الأولين، فالمراد الترغيب والترهيب، ليخف الناس في الدنيا من أسباب الخفض في الآخرة فطيعوا الله.
ويرغبوا في أسباب الرفع فيطععوه أيضاً، وقد قدمنا مراراً أن الصواب
في مثل هذا حمل الآية على شمولها للجميع.

قوله تعالى: "إذا رجعت الأراضي بِسَبَّاْبَاتٍ ٨٧٨
بَسَّبَاتٌ فكانت هباءً مَّبِينَاتٌ".

قد قدمنا أن الأظهر عندنا أن قوله: (إذا رجت) بدل من قوله:
(إذا وقعت الواقعة)، والرج: التحريك الشديد.

وأما دلت عليه هذه الآية من أن الأرض يوم القيامة تحرك
تحريكًا شديدًا جاء موضوعًا في آيات أخرى، كقوله تعالى: "إذا زلزلت
الأرض زلزالهم"، وقد قدمنا الآيات الموضوعة لهذا في أول سورة
الحج في الكلام على قوله تعالى: "إِنَّ زلزلةَ السَّكَاهَةِ شَيْءٌ غَيْبٌ ١٠١".

وقوله تعالى: "وَبَسَّبَاتِ الْجِبَالِ بَسَّاْبَاتٍ" في معناه لأهل العلم
أوجه متقاربة، لا يكذب بعضها بعضًا، وكلها حق، وكلها يشهد له
قرآن.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد
يكون فيها أوجه كلها حق وكلها يشهد له قرآن، فنذكر جميع الأوجه
وأدلةها القرآنية.

قال أكثر المفسرين: "وَبَسَّبَاتِ الْجِبَالِ بَسَّاْبَاتٍ"، أي فتت تفتيتًا
حتى صارت كالبيسة، وهي دقيقة متلهمت بسمن، ومنه قول لص من
غطفان أراد أن يخز دقيقًا عنده فخفى أن يعجل عنه، فأمر صاحبه أن
يلته لياكلوه دقيقًا متلهمًا، وهو البسيسة:
لا تخبزها بخبزًا وبِسَّاْبَاتٍ ولا تطبقها بمناخ حبساً
وَهُوَ الَّذِي يَشْهَدُ لِهِ قُرْآنٍ كَفْوَاهُ عَلَىٰ كُلِّ أَرْضٍ
وَلِبَالْكِبَارِ كَبِيرَةً حَيَابًا (٤٤) فَقَولُهُ: (كِبَارَ مَهِيَّةً) أَيْ مِثْلًا
مِثْلًا ٍ، وَمَنَّهُ قَوْلُ امْرَأَةِ الْقِيسِ:
وَيُومًا عَلَى الْكِتَابِ عَذَرَةً عَلِيَّةٍ وَلَاتُّ حَلفَةً لَمْ تَحْلِل
وَمِشَابِهَةُ الْدَّقِيقِ المَبْسُوسٍ بِالرَّملِ المِتَهَامِلِ وَضَاحِيةٍ، فَقَولُهُ:
وَكَانَ لِبَالْكِبَارِ كَبِيرَةً حَيَابًا (٤٤) مَتَابِقٌ فِي الْمَعْنَى لِتَفَرِّكِي (وُبُسَّتُ الْجِبَالُ)
بَعْضًا (٤٥) بَيْنَ يَدَاهُ هُوَ تَفَتِّيتهَا وَطَنَّهَا كَمَا تَرَى.
وَمَا دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ أَنَّهَا تَسَلَّبَ عِنْدَا قُوَّةَ الْحُجْرَةِ
وَتَنَصَّفُ بَعْدَ السَّلَابِقِ وَالْقُوَّةِ بَاللِّيْلِ الشَّدِيدِ الَّذِي هُوَ كِلِّينُ الدَّقِيقِ
وَالرَّمَلِ المِتَهَامِلِ، يَشْهَدُ لِهِ فِي الْجُمْلَةِ تَشَيْيَهَا فِي بَعْضِ الْآيَاتِ
بِالصُّفُورِ المَنْفُوشٍ الَّذِي هُوَ الْعَهْنُ، كَقَولُهُ عَلَىٰ (وُتَّكَّنَ الْجِبَالُ
صَاحِبُهُ المَنْفُوشِ) (٤٤)، وَقَولُهُ عَلَىٰ (وُتَّكَّنَ الْجِبَالُ صَاحِبُهُ
وُتَّكَّنَ الْجِبَالُ كَالْعَهْنِ) (٤٤)، وَأَصْلُ الْعَهْنِ أَخْصِهِ مِنْ مَتَّلِ الْصُّفُورِ;
لَكَانَ الْصُّفُورُ المَصْبُوحٌ خَاصَّةً؛ وَمَنَّهُ قَوْلُ زَهْيِرٍ بْنِ أَبِي سَلِيمِ فِي
مَعْلُوَّقِهِ:
كَانَ فَتَاءُ الْعَهْنِ فِي كِلِّ مَنْزِلٍ نَزْلَنِ بِهِ حِبَّ الْفَناَ لَا يَحْتَمِل
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْجِبَالُ مِنْهَا جَدِدٌ بِيحْمِرِ وَمَخْلِفُ أَلوَانُهَا
٧٦٦ وَغَرَآبِيْبٌ سُودٌ، فَإِذَا بَسَتْ وَفِتْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَطَيْرَتْ فِي الْجَوِّ
أَشْهَبَ الْعَهْنُ إِذَا طِيَرَهُ الْرَّيْحُ فِي الْهَوَاءِ، وَهذَا الْوَجْهُ بَيْدُ عَلَىٰ
تَرْتِبَ كِيَنْوَتَهَا هَبَا بَيْنَا بَالْفَاءٍ عِلَىٰ قَوْلُهُ: (وُبُسَّتُ الْجِبَالُ يَسْكَنُ)
لَكَانَ الْهَيَاءُ هُوَ مَا يَنْزَلُ مِنْ الْكُرْيَةِ مِنْ شَعْاعِ الْشَّمْسِ إِذَا قَابِلَتِهَا
٤٥ مَبْنَىٰ (٤٥) أَيْ مُتَفَرِّقًةٌ، وَوَفْسَحَةٌ لِلْهَيَاءِ المِثْلِ أَسْبَبٌ لَّكُونُ الْبَسَّ
بِمَعْنَى التَفَتِتِةِ وَالْطَحْنِ.
الوجه الثاني: أن معنى قوله: {وَسَرَّبَ لِلَّجَالِينَ} أي
سيرت بين السماء والأرض، وعلى هذا فالمراد بسواها سوقها
وتسيرها، من قول العرب: بسست الإبل أُسْبُها، بضم الباء،
وأبستها أُسْبُها بضم الهزة وكسر الباء، لغتان بمعنى سقتها، ومنه
حديث: «بخرج أقوام من المدينة إلى اليمن والشام والعراق يسون،
والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: {يُؤُمُّ
سَيِّرَ لِلْيَلِيْلِ} الآية، وقوله: {وَسَيِّرَ لِلْيَلِيْلِ}.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام
علي قوله: {وَسَرَّبَ لِلَّجَالِينَ} نزعت
الوجه الثالث: أن معنى قوله: {وَسَرَّبَ لِلَّجَالِينَ} من أماكنها وقلعت، وقد أوضحنا أن هذا الوجه راجع للوجه الأول
مع الإيضاح التام لأحوال الجبال يوم القيامة وأطوارها، بالآيات
القرآنية في سورة طه في الكلام على قوله تعالى: {وَسَكَّنَّنَٰكَ عَنِ اللَّيْلِ
فَقُلْ بَسْهَا رَبِّيَّ نَسْفًا}. 

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {فَكَنَّا هُمُّ مِنْهُنَّ}.

كتوله تعالى: {وَسَرَّبَ لِلْيَلِيْلِ} آياتاً، والهباء إذا ابتث
أي تفرق واضحل: صار لا شيء، والسراب قد قال الله تعالى فيه:
{هَلَّ أَيِّاجِهَا وَلَوْ أَيْجَهَتْ}. 

727

* قوله تعالى: {وَنَعَمَّ أَزْوَاجَ نَائِئَنَّهَا}.

أي صرتم أزواجاً ثلاثة، والعرب تطلق كان بمعنى صار، ومنه:
{وَلَا تَقْرَاءُ هَذِهِ الْسَّجِرُ فَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ} أي فتصيرا من الظالمين.
ومنه قول الشاعر:

بتهاء قفر والملطي كأنها قطا الحزن قد كانت فراخ بيوتها
وقوله: (أزواجًا) أي أصنافًا ثلاثة، ثم بين هذه الأزواج الثلاثة
بقوله: "فأصحب البنية مأصحح البنية وأصحح للكببة ما أصحح البنية وسلفون أولياء الكرمون في جنب البيت الجميل)، أما أصحاب الميمنة فهم أصحاب اليمن، كما أوضحه تعالى بقوله:
وأصحح البنية مأصحح البنية في سند محسود الآيات، وأصحاب المشامرة هم أصحاب الشمال، كما أوضحه تعالى بقوله: "وأصحح البنية مأصحح البنية في سند وجميل الآيات.
قال بعض العلماء:قيل لهم: أصحاب اليمن، لأنهم يؤتون كتبهم بأيديهم.
وقيل: لأنهم يذهب بهم ذات اليمن إلى الجنة.
وقيل: لأنهم عن يمين أبيهم آدم، كما رآهم النبي كذلك ليلة الإسراء.
وقيل: سموا أصحاب اليمن، وأصحاب الميمنة، لأنهم ميامين، أي مباركون على أنفسهم؛ لأنهم أطاعوا ربهم فدخلوا الجنة، واليمن البركة.
وسمي الآخرون أصحاب الشمال، قيل: لأنهم يؤتون كتبهم
بشمايلهم.
وقيل: لأنهم يذهب بهم ذات الشمال إلى النار، والعرب تسمى الشمال شمأناً، كما تسمي اليمن، يمينًا، ومن هنا قيل لهم: أصحاب المشامرة، أو لأنهم مشائم على أنفسهم، فعصوا الله فأدخلهم النار.
والمشائيم ضد الميامين، ومنه قول الشاعر:

"ومشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعم إلا بين غرابيها"

وبين جل وعلا أن السابقين هم المقربون، وذلك في قوله:

وَعِلَّيْكَ أَلْيَمَيْنَ أَوْلَئِكَ الْمُقَرِّبُونَ (111)

وحذرك تعالى بعض صفات أصحاب الميمنة والمشأمة في البلد في قوله تعالى: "كَذَٰلِكَ رَفِيقُكُمْ (164) أو يَطَأَّنُ فِي يَوْمِ ذَٰلِكَ مِسْغُوبًا (165)".

وأولئك أصحاب اليمنية وأولئك كفراء أي إنهم أصحاب المشأمة وآثابهم أصلحهم وآثابهم نار موصدة (173).

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (ما أصحاب الميمنة)

وقوله: (ما أصحاب المشأمة) استفهام أريد به التعجب من شأن هؤلاء في السعادة، وشأن هؤلاء في الشقاعة، والجملة فيهما مبتدأ وخبر، وهم خبر المبتدأ قبله، وهو أصحاب الميمنة في الأول وأصحاب المشأمة في الثاني.

ووهذا الأسلوب أكثر في القرآن نحو: (الحافة ما الحافة)

و(القارعة ما القارعة)، والرابط في جملة الخبر في جميع الآيات المذكورة هو إعادة لفظ المبتدأ في جملة الخبر كما لا يخفى.
والأسبقون لم يذكر في استفهام تعجب كما ذكره فيما قبله، ولكنه ذكر في مقابلة تكرير للفظ السابقين.

والأظهر في إعرابه أنه مبدأ وخبر، على عادة العرب في تكريرهم الفظ وقصدهم الأخبار بالثاني عن الأول، يعنون أن الفظ المخبر عنه هو المعروف خبره الذي لا يحتاج إلى تعريف. ومنه قول أبي النجم:

ً769 | أنا أبو النجم وشعر في شعري، الله دري ما أجن صدى،

فقوله: "وشعر شعري" يعني شعري هو الذي بلغك خبره,

وانتهى إليك وصفته.

قوله تعالى: (ثلثُ من الأَوْلِيَانِ وَقَلِيلٌ مِّن الأَخْرَينِ) ١١٤.

وقوله: (ثلث) خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: هم ثلثة، والثلث الجماعة من الناس، وأصلها القطعة من الشيء، وهي الثلث، وهو الكسر.

وقال الزمخشري: والثلث من الثلث، وهو الكسر، كما أن الأمة من اللَّمَّ وَهُوَ الشَّجُّ، كأنها جماعة كسرت من الناس، وقطعت منهم. اهـ منه.

واعلم أن الثلث تشمل الجماعة الكثيرة، ومنه قول الشاعر:

فجاءت إليهم ثلثة خندقية بجيش كثيرون من السيل مزيد

لأن قوله: "تيار من السيل" يدل على كثرة هذا الجيش المعبر عنه بالثلث.

وقد اختالف أهل العلم في المراد بهذه الثلثة من الأولين، وهذا
القليل من الآخرين المذكورين هنا، كما اختلفوا في الثلاثين المذكورتين في قوله: ﴿ثَلَاثٍ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثٍ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾.

فقال بعض أهل العلم: كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة، وأن المراد بالأولين منهم الصحابة.

وبعض العلماء يذكر معهم القرون المشهود لهم بالخير في قوله ﴿خَيْرُ الْقُرُونِ كَانَ الَّذِينَ يَلُونُهُمْ﴾ الحديث.

والذين قالوا: هم كلهم من هذه الأمة، قالوا: إنما المراد بالقليل وثلاة من الآخرين، هم من بعد ذلك إلى قيام الساعة.

وقال بعض العلماء: المراد بالأولين في الموضعين الأمم الماضية قبل هذه الأمة، والمراد بالآخرين فيهما هو هذه الأمة.

770/ قال مقيده عفوا الله عنهم، وغفر له: ظاهر القرآن في هذا المقام: أن الأولين في الموضعين من الأمم الماضية، والآخرين فيهما من هذه الأمة، وأن قوله تعالى: ﴿ثَلَاثٍ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثٍ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ في السابقين خاصة، وأن قوله: ﴿ثَلَاثٍ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثٍ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ في أصحاب اليمين خاصة.

وإنا قلنا: إن هذا هو ظاهر القرآن في الأمور الثلاثة، التي هي شمول الآيات لجميع الأمم، وكون قليل من الآخرين في خصوص السابقين، وكون ثلثة من الآخرين في خصوص أصحاب اليمين؛ لأنه واضح من سياق الآيات.

أما شمول الآيات لجميع الأمم فقد دل عليه أول السورة؛ لأن قوله: ﴿إِنَّا لَمَا جَاءَنَا بِفَتْنَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَلاَ تَرْهَبُوا الْآهَوَاتُ﴾ لا شك أنه لا يختص أمة دون أمة، وأن الجميع مستروون في الأهوال والحساب والجزاء.
فندل ذلك على أن قوله: (وُقِيلُ مِنَ الآخرِينَ) عام في جميع أهل المحشر، فظهر أن السباقين وأصحاب اليمين منهم من هو من الأمم السابقة، ومنهم من هو من هذه الأمة.

وعلى هذا، فظاهر القرآن أن السباقين من الأمم الماضية أكثر من السباقين من هذه الأمة، وأن أصحاب اليمين من الأمم السابقة ليست أكثر من أصحاب اليمين من هذه الأمة؛ لأنه عبر في السباقين من هذه الأمة بقوله: (وُقِيلُ مِنَ الآخرِينَ) وعبر عن أصحاب اليمين من هذه الأمة (وُقِيلُ مِنَ الآخرِينَ).

ولا غرابة في هذا؛ لأن الأمم الماضية أمم كثيرة، وفيها أنيeties كثيرة ورسل، فلا منع من أن يجعلهم من سباقها من لدن آدم إلى محمد ﷺ أكثر من سباقها هذه الأمة وحدها.

أما أصحاب اليمين من هذه الأمة فيتحتم أن يكونوا أكثر من أصحاب اليمين من جميع الأمم؛ لأن الثلاث تتناول العدد الكثير، وقد يكون أحد العددين الكثرين أكثر من الآخر، مع أنهما كلاهما كثير.

وبهذا تعلم أن ما دل عليه ظاهر القرآن واختاره ابن جرير، لا ينافي ما جاء من أن نصف أهل الجنة من هذه الأمة.

فأما كون قوله: (وُقِيلُ مِنَ الآخرِينَ) دل ظاهر القرآن على أنه في خصوص السباقين، فإن الله قال: (وَالسَّبِيعُونَ الثُّلُجُونَ) أو لِكَ الْمُقَرَّبِينَ في جَنَّتِ الْأُجْرِيِّمَ، ثم قال تعالى مخبرا عن هؤلاء السباقين المقربين: (ثُلَّةٌ مِّنَ الأُوْلَىَّ) وُقِيلُ مِنَ الآخرِينَ.

وأما كون قوله: (وُقِيلُ مِنَ الآخرِينَ) في خصوص أصحاب اليمين؛ فإن الله تعالى قال (جَعِلْتُهُمْ أَيْضًا غَرَبَاءَ أَرَابَةَ لِاَضْحَكِبَ).
سورة الواقعة

اليمينين ؛ ثلةٌ من الأولين ؛ وثلةٌ من الآخرين ؛ والمعنى: هم أي أصحاب اليمين: ثلة من الأولين وثلة من الآخرين. وهذا واضح كما ترى.

قوله تعالى: "على سرير موضعين مُتركزين عليهما".

من تفاسيره.

السرر جمع سرير، وقد بين تعالى أن سررهما مرفوعة في قوله في الغاشية: "سرير مرفوعة".

وقوله تعالى: "موضعين منسوجة بالذهب". وبعضهم يقول: بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت، وكل نسج أحكم ودُوخل بعضه في بعض، تسميه العرب وضناً، وتسمي المنسوج به موضوعاً ووضيناً، ومنه الدرع الموضوعة إذا أحكم نسجها ودُوخل بعض حلقاتها في بعض.

/ ومنه قول الأعشى:

ومن نسج داود موضوعة تساق مع الحي عيراً فعيراً

وقوله أيضاً:

وبيضاء كالنائي موضوعة لها قونس فوق جيب البدن

ومن هذا القبل تسمية البطان الذي ينسج من السيور، مع إدخالها بعضها في بعض: وضيناً.

/ ومنه قول الراجز:

إليك تعدو قلقاً وضيئها معترضاً في بطنها جينها

* مخالفًاٍ دين النصارى دينها *
وَهَذِهِ السَّرِّ السَّمِيْنَةُ، هِيَ الْمَعْجِرُ عِنْهَا بِالْأُرَايْلِ فِي قَوْلِهُ: "مَتَّكِينِ فِيهَا عَلَى الْأَرَايْلِ"، وَقَوْلُهُ: "فَهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظَلَالٍ عَلَى الْأَرَايْلِ، مَتَّكِينُ".

وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: "مَتَّكِينُ" حَالٌ مِنَ الْبَضَيِّرِ فِي قَوْلِهِ: "عَلَى سَرْرِ"، وَالْقَدِيرُ: أَسْتَقْرَأُوا عَلَى سَرْرِ فِي حَالٍ كُونِهِم مَتَّكِينِ عَلَيْهِا.

وَمَا ذَكَرَهُ جَلَّ وَعَلَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ كُونِهِم عَلَى سَرْرِ مَتَّكِينِ، أَيْ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى وِجْهٍ بَعْضٍ، كُلُّهُمْ يَقَابِلُ الْآخَرُ بِوَجْهِهِ، جَاءَ مَوْضِعًا فِي أَيَّاتِ أَخْرَ، كَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَجَرِ: "وَنُزَّعَنَّاهُمْ مِنْ عَلَى إِخْوَاتِهِ عَلَى سَرْرِ مَتَّكِينِ"، وَقَوْلُهُ فِي الْصَّفَا: "أَوَلَيْكُمْ لَهُمْ رَقَبَةً مَّعَلَمٌ، فَوْكِئْنَ، وَهُمْ مَتَّكِينُ فِي جَنَّتِ الْثَّلَامِسِ عَلَى سَرْرِ مَتَّكِينِ".

* قَوْلُهُ تَعَالَى: "يَطُوُّ عَلَى يَدَّنْ وَلَدَانَ مَخْلُوَدٍ".

قَدْ قَدَمْنَا الْآيَاتِ المُوْضَحَةِ لَهُ فِي سُورَةِ الْطُوْرِ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَيَطُوُّ عَلَى يَدَّنْ عِلْمَانِ لَهُمْ كَانَهُ لَوْلَا مَكْرُوْنَ".

/ قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَقَاسِ عِنْ مَيْعَانِ يُؤْتَى وَلَا يُسْتَضْعَعُنَّ عَنْهَا وَلَا يُبْرِقُونَ".

قَدْ قَدَمْنَا الْآيَاتِ المُوْضَحَةِ لَهُ فِي سُورَةِ الْطُوْرِ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلُهُ تَعَالَى: "يَشْعُرُونَ فِيهَا كَأَسْلَى لَغْفِهِ وَلَا تَأْيِمَ"، وَفِي الْمَائِدَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّا لمَّنْ عَرَّضَ الْحَيَاةَ الْأُخْرَى الْآيَةِ".
سورة الواقعة

قوله تعالى: 

وَفِي كِتَابٍ مَّبِينٍ وَلَتِيْنَ طَرِيْقٌ يُمِينَ يَسَّهُبُونَ

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الطور، في الكلام على قوله تعالى: 

وَأَمَدَّنَّهُمْ بِفِي كِتَابٍ وَلَحْيَ مَا يَسِهُبُونَ

قُولهُ تعالى: 

وَحُورَ عَيْنٍ كَأَمَّامِ اللُّؤْلُو مَكَّنُونَ

قد قدمنا الآيات الموضوعة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: 

فِي هَذَا أُرْوِجُ مَطَأْرُهُ الآية، وفي الصفات في الكلام على قوله تعالى: 

وَعَنَّاهُمْ قَبِيرُ الْطُّرُقِ عَيْنَٰٰ

وفي غير ذلك من المواضع.

قُولهُ تعالى: 

لَا يَسْمَعُونَ فِي هَذَا غَوا وَلَا تَأْيِمًا إِلا لِيْلًا سَلَتَا

سَلَتَا

قد قدمنا الكلام عليه بإيضاح في سورة مرير في الكلام على قوله تعالى: 

لَا يَسْمَعُونَ فِي هَذَا غَاوًا إِلاًّ أَسَالَسَةٌ وَقَمْ رَفْقُهُمْ فِي ثَكَّةٍ وُجُرْبُها،

وتكلمنا هناك على الاستثناء المنقطع، وذكرنا شواهد من القرآن وكلام العرب، وبينا كلام أهل العلم في حكمه شرعاً.

قُولهُ تعالى: 

وَظِيلٌ مَّطَرُودٌ وَمَاوْ مَسْكُوبٍ وَفِي كِتَابِ

كَبِيرٌ لَا مَقَطَّعُةٍ وَلَا مَنْوَهٍ

أما قوله: 

وَظِيلٌ مَّطَرُودٌ فقد قدمنا الآيات الموضوعة له في

سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: 

وَتَدْخِلُهُمْ طَلَّا طَيْبَلاً

وأما قوله: 

وَمَاوْ مَسْكُوبٍ فقد دلت عليه آيات كثيرة من
كتاب الله، كقوله تعالى: "فَهَا أَنْهَرَتْ مَذْهَبٌ عَرِيقٌ"، وقوله: "إِنَّ الْمَلَكِينَ فِي جَنَّتٍ وَعَرْقًا"، وقوله: "وَنَادَىَّ أَصْحَابَ الْآبَارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةَ أَنْ أَفْتَصَّواُ أَعْلَمَاً مِنَ الْآيَةَ"، إلى غير ذلك من الآيات.

والمسكوب اسم مفعول سكب الماء ونحوه، إذا صبه بكثرة، والمفسرون يقولون: إن أنهار الجنة تجري في غير أخددود، وإن الماء يصل إليهم أينما كانوا كيف شاؤوا، كما قال تعالى: "عَيْنَا IoT rثُبُّبٌ يَا عِبَادُ اللَّهِ مَجَازِيكُمْ فِي الْجَنَّةِ".

وأما قوله: "وَقَالَهُ كَيْفَ" الآية، فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى: "وَأَمَّدَقْنَاهُم بِفُكْرِهِمْ وَلَحَمَّارَيْنِ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ".

قوله تعالى: "إِذَا أَنْتُمْ أُرَابَا ۖ أَلَّا أُصْحَبُ أَلِيمِينَ".

الضمير في (أُنْتُمُ اْرَابَا) قال بعض أهل العلم: هو راجع إلى مذكور. وقال بعض العلماء: هو راجع إلى غير مذكور، إلا أنه دل عليه المقام.

فمن قال: إنه راجع إلى مذكور، قال: هو راجع إلى قوله: "وَفِرْشَ مَرْفُوعٍ"، قال: لأن المراد بالفرش النساء، والعرب تسمي المرأة بلبسًا وإزارًا وفراشًا ونعلًا، وعلى هذا فالمراد بالرفع في قوله: "مَرْفُوعٍ" رفع المنزلة والمكانة.

ومن قال: إنه راجع إلى غير مذكور، قال: إنه راجع إلى نساء لم يذكرون، ولكن ذكر الفرش دل عليها؛ لأنهن يتنكن عليها مع أزواجهن.
وقال بعض العلماء: المراد بهن الحور العين، واستدل من قال ذلك بقوله: 

قُلْ إِنَّ آتِيهِنَّ إِنَّهَا تَهَيَّأٌ.

لأن الإنسان هو الابتكار والابتداع.

وقالت جماعة من أهل العلم: إن المراد بهن بنات آدم اللاتي كن في الدنيا عجائز شمطاً رمضاً، وجاءت في ذلك آثار مرفوعة عنه، وعلى هذا القول، فمعنى (أنشأناهم إنشاء) أي خلقناهم خلقاً جديداً.

وقوله تعالى: 

فَجَعَلْنِئَامًا أَبْكَارًا

أي فصبرناهم أبكاراً، وهو جمع بكر، وهو ضد التيب.

وقوله: 

فَقَرَأَ عَامَةً الْقُرَايَةِ السَّبْعَةَ وَهَظَرَ عَمَّامًا

عاصم: (عَرْبًةَ) بضم العين والراء، وقرأ حمزة وشعبة: (عَرْبًةَ) بسكون الراء، وهي لغة تيميم، ومعنى القراءتين واحد، وهو جمع عروب، وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل، وهذا هو قول الجمهور، وهو الصواب إن شاء الله.

ومنه قول لبيد:

أَرَأَيْتُ ورَدَاصَةً

رِيا الروادف يشعى دونها البصر.

وقوله تعالى: 

قَبَضَ بِكَسَرِ الْنَّاءِ، وَالْبَرَاء

اللدة. وإيضاحه: أن تَرْبَ الإنسان ما وُلِّد معه في وقت واحد، ومعناه في الآية: أن نشاء أهل الجنة على سن واحدة ليس فيهن شابة وعجوز، ولكنهم كلهم على سن واحدة في غياب الشاب.

وبعض العلماء يقول: إنهم يشأن مستويات في السن على قدر بنات ثلاث وتسعين سنة، وجاءت بذلك آثار مروية عن النبي.

829

سورة الواقعة
وكون الأثراب بمعنى المستويات في السن مشهور في كلام العرب.

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

٧٧٦ / أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب أثراب

وهذه الأوصاف الثلاثة التي تضمنتها هذه الآية الكريمة من صفات نساء أهل الجنة، جاءت موضحة في آيات أخرى.

أما كونهن اليوم القيادة أبكراً، فقد أوضحه في سورة الرحمن في قوله تعالى: «لم تطيعن إنسٍ فَبَلَّهُمْ وَلَاجَانَ» في الموضوع.

فإن قوله: «لم تطيعن إنسٍ فَبَلَّهُمْ وَلَاجَانَ» نص في عدم زوال بكارتهن.

وأما كونهن غرباً أي متحببات إلى أزواجهن، فقد دل عليه قوله في الصفات: «وعينكم قصرت الطرف عينين»؛ لأن معناء أنهن قاصرات العيون على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لشدته محبتهم لهم واقتناعهن بهم، كما قدمنا إيضاحه، ولا شك أن المرأة التي لا تتظر إلى غير زوجها متحببة إليه حسنة التبعل معه، وقوله في ص: «وعينكم قصرت الطرف أثراب»، قوله في الرحمن: "فَٰهُن فَٰقِصَّرُ"

واللهِ أَثَرَ فَٰلِكَ تَعَلَّمُوهُ إِنَّ فَتَّاحَهُ وَلَاجَانَ».

وأما كونهن أثراً فقد بينه تعالى في قوله في آية ص هذه:

وعينكم قصرت الطرف أثراب، وفي سورة النبي في قوله تعالى:

إن أُمِيَتْنِينَ مَقَارًا حَدِيدًا وَأَعْجَمًا كَوَاعِبَ أثرابٍ.

سورة الواقعة

* قوله تعالى: (وَأَصْحَبُ الْمَيْئَالِ مَا أَصْحَبُ الْمَيْئَالِ) في سَمْوَتِهِ.

وَجَبْرُولُ وَظُلْلٌ مِّنْ يَمْهُومٍ.

قد قدمنا معنى أصحاب الشمال في هذه السورة الكريمة، وأوضحنا معنى السموت في الآيات القرآنية التي ذكر فيها في سورة الطور، في الكلام على قوله تعالى: (فَمَّا رَجِلُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَضَانَا عَذَابً) السموت.

وقد قدمنا صفات ظل أهل النار وظل أهل الجنة في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: (وَنُبَدِّلُهُمْ ظَلَالَ ْظَلَالٍ) ويبنا هناك أن صفات ظل أهل النار هي المذكورة في قوله هنـا: (وَظْلِمُ مِّنْ يَمْهُومٍ) لا بأي دين لا كريم، وقوله في المرسلات: (اِظْلَمُوا إِلَى ْظَلَّ ذَٰلِكَ شَعْرُ) لأظليل ولا يعين من الله.

وقوله: (مُّن يَمْهُومٍ) أي من دخان أسود شديد السواد، وزون اليموم يفعول، وأصله من الحمم وهو الفحم، وقيل: من الحم، وهو الشحم المسود لاحترقه بالنار.

* قوله تعالى: (إِنْمَا كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتَرْفَظِينَ) وكأنهم يصرعون على أَلْجَنَّ الْأَعْظَمَ.

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى: (قَالُوا إِنَّا أُعْرِضْنَا بَيْنَ آبَيْنَا مُسْلِمِينَ) فمَّا رَجِلُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَضَانَا الآية.

* قوله تعالى: (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيِّدًا مَّعَنِّيَةً وَكَذَا شَرَابًا وَعَظْمًا).

أَهْلًا ٱلْمَبْعَوثِ وَۡۚ

لما ذكر جل وعلا ما أعد لأصحاب الشمال من العذاب، بين
بعض أسبابه، فذكر منها أنهم كانوا قبل ذلك في دار الدنيا متزرين أي متنعمين، وقد قدمنا أن القرآن دل على أن الإرث والتنعم والسرور في الدنيا من أسباب العذاب يوم القيامة؛ لأن صاحبه معرض عن الله لا يؤمن به ولا برسله، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وقوله تعالى: ﴿فَسُوفَ يَنْظُرُونَ بِهِ وَيَصِلُونَ سَعْيًا﴾، إذ كان في أقبله ﴿مَسْرُورًا﴾، وقد أوضحنا هذا في الكلام على آية الطور المذكورة آنفاً.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من كون إنكار البعث سبباً لدخول النار؛ لأن قوله تعالى لما ذكر أنهم في سموم وحميم وظل من يحموم، بين أن من أسباب ذلك أنهم قالوا: ﴿أَوَذَا يَسْتَاَوَّكُنَا﴾ نزلاً، وّعَظَّمُوا الآية، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَمَعَبَدُ قُوَّمُهُ أُوْلَٰئِكَ أُولَٰئِكَ أَلْقَاهُمْ ﻛَيْفَ كَانُوا أَوْلَٰئِكَ الْأَعْلَاءُ فِي أُسَدِّيْنَ وَأُولَٰئِكَ أَحْصَبُ أَلْتَرُهُمْ فِيهَا حَلْيَةٌ﴾، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: ﴿أَوَاعْثَنُوا لَمْ يَنْسِكَبْ بِذَاتِ السَّيِّبَةِ﴾.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من إنكارهم بعث أباءهم الأولين في قوله: ﴿أَوَاتَأْتُوكَ الْأَوَّلُونَ﴾، وأنه تعالى بين لهم أنه بعث الأولين والآخرين في قوله: ﴿عَلَّى الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ﴾ لمَّا جمعه إلى يفتقدها عنهم، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، فبين فيه أن البعث الذي أتى، ستحقيق في حال كونهم أذلاء صاغرين، وذلك في قوله تعالى في الصفات: ﴿وَقَذَلِكَ إِنَّهُ إِلَّا سَخَرٌ مَّعْنُونٌ أَوَاتَأْتُوكَ الْأَوَّلُونَ أَوَاتَأْتُوكَ الْأَوَّلُونَ أَوَاتَأْتُوكَ الْأَوَّلُونَ أَوَاتَأْتُوكَ الْأَوَّلُونَ﴾.
وقوله: «أو أبابنا الأولون» قرأه عامة القراء السبعة، غير ابن عامر وقالون عن نافع: (أو آباؤنا). يفتح الواو على الاستفهام والعطف. وقد قدمنا مراراً أن همز الاستفهام إذا جاءت بعدها أداة عطف كالواو والفاء وثم نحو: (أو آباؤنا)، (أفامن أهل القرى)، (أثم إذا ما وقع)، أن في ذلك وجهين لعلماء العربية والمفسرين:

الأول منهما: أن أداة العطف عاطفة للجملة المصدرة بالاستفهام على ما قبلها، وهمزة / الاستفهام متأخرة رتبة عن حرف العطف، ولكنها قدمت عليه لفظًا لا معنى؛ لأن الأصل في الاستفهام التقدير به كما هو معلوم في محلة.

والمعنى على هذا واضح، وهو أنهم أنكروا بهم أنفسهم بأداة الإناكار التي هي الهمزة، وعطفوا على ذلك بالواو إنكارهم بثابائهم الأولين بأداة الإناكار التي هي الهمزة المقدمة عن محلها لفظًا لا رتبة.

وهذا القول هو قول الأقدمين من علماء العربية، واختاره أبو حيان في البحر المحيط، وإن ابن هشام في مغني اللبيب، وهو الذي صرنا نميل إليه أخيراً بعد أن كنا نميل إلى غيره.

الوجه الثاني: هو أن همز الاستفهام في محلها الأصلي، وأنها متعلقة بجملة محوذة، والجملة المصدرة بالاستفهام معطوفة على المحوذة بحرف العطف الذي بعد الهمزة، وهذا الوجه يميل إليه الزمخشري في أكثر المواضع من كشافه، وربما مال إلى غيره.

وعلى هذا القول، فالتقدير: أبعوثون نحن وآباؤنا الأولون؟ وما ذكره الزمخشري هنا من أن قوله: (وآباؤنا)، معطوف على
وأو الرفع في قوله: (لمبعوثون)، وأنه ساغ العطف على ضمير رفع متصل من غير توكيد بالضمير المنفصل لأجل الفصل بالهمزة؛ لا يصح، وقد رده عليه أبو حيان وابن هشام وغيرهما.

وهذا الوجه الأخير مال إليه ابن مالك في الخلاصة في قوله:

وحذف متبوع بدا هنا استبخ وعطفك الفعل على الفعل يصح وقرأ هذا الحرف قالون وابن عامر (أو آباؤنا) بسكون الواو، والذي يظهر لي على قراءتهما (أو) بمعنى الواو العاطفة، وأن قوله: (آباؤنا) معطوف على محل المنصوب الذي هو اسم إن؛ لأن عطف المرفع على منصوب إن بعد ذكر خبرها جائز بلا نزاع؛ لأن اسمها وإن كان منصوباً فأصله الرفع؛ لأنه مبتدأ في الأصل، كما قال ابن مالك في الخلاصة:

وجائز رفعك معطوفاً على منصوب وإن بعد أن تستكملا وإنما قلنا إن (أو) بمعنى الواو؛ لأن إتيانها بمعنى الواو معروف في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في القرآن: (فالطيبة يذكرون) عذرًا أوندراً (180)؛ لأن الذكر الملقي للعذر والنذر معاً لا لأحدهما؛ لأن المعنى أنها ألقى الذكر إعداراً وإنذاراً، وقوله تعالى: (ولا تطغى يئثم أينما أو كفوراً) أي ولا كفوراً، وهو كثير في كلام العرب، ومنه قول عمرو بن معدكرب:

فأيما إذا سمعوا الصريح رأيتهم ما بين الملجم مهره أو سافع فالمعنى: ما بين الملجم مهره وسافع، أي أخذ بناصيته ليلجمه.
وقول نابغة ذبيان:
قالت آلا ليتنا هذا الحمام لنا فحسبه فألقوه كما زعمت ستًا وستين لم تنقص ولم ترد فقوله: (أو نصفه) بمعنى ونصفه، كما هو ظاهر من معنى البيتين المذكورين؛ لأن مرادها أنها تمنت أن يكون الحمام المار بها هو ونصفه معه لها مع حمامتها التي معها، ليكون الجمع مائة حمامة. فوجدها ستًا وستين ونصفها ثلاث وثلاثون، فيكون المجموع تسعة وتسعين، والمروي في ذلك عنها أنها قالت:

ليست الحمام ليه ونصفه قديمه
ثم الحمام مايييه

وقول توبة بن الحمير:
قد زعمت ليلي بأتي فاجر لنفسك تقاها أو عليها فجرها

وفي قوله تعالى: (أوذاً متنًا وكتبنا ترابًا وعظمًا أوذاً لمبعوثًا) ٧٨١

أجمع عامة القراء على إثبات همة الاستفهام في قوله: (أيذا متنا)، وأثبتها أيضاً عامة السبعة غير نافع والكاسئي في قوله: (أيذا)، وقرأه نافع والكاسئي: (إيذا لمبعوثًا)، بهمزة واحدة مكسورة على الخبر، كما عقده صاحب الدرر اللوام في أصل مقرأ الإمام نافع بقوله:

فصل والاستفهام إن تكرروا
واعكسه في النمل فوق الروم

والقراءات في الهمزتين في (أيذا) و(أيذا) معروفة، فنانف يسهل الهمزة الثانية بين ببن، وروية قالون عنه هي إدخال ألف بين الهمزة الأولى المحققة والثانية المسهلة.
ورواية قالون هذه عن نافع بالتسهيل والإدخال مطابقة لقراءة أبي عمرو، فأبو عمرو وقالون عن نافع يسهلان ويدخلان، ورواية ورش عن نافع هي تسهيل الأخيرة منهمما بين من غير إدخال ألف. وهذه هي قراءة ابن كثير وورش فابن كثير وورش يسهلان ولا يدخلان.

وقرأ هشام عن ابن عامر بتحقيق الهمزتين، وتبينهما ألف الإدخال.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيق الهمزتين من غير ألف الإدخال.

هذه القراءات الصحيحة في مثل (أ إذا) و (أ إنا)، ونحو ذلك في القرآن.

تنبيه

اعلم وفقني الله وإياك أن ما جرى في الأقطار الإفريقية من إبدال الأخيرة / من هذه الهمزة المذكورة وأمثالها في القرآن هاء خالصة، من أشنع المنكر وأعظم الباطل، وهو انتهاك لحرمة القرآن العظيم وتعد لحدود الله، ولا يعذر فيه إلا الجاهل الذي لا يدري، الذي يظن أن القراءة بالهاء الخالصة صحيحة، وإنما قلنا هذا؛ لأن إبدال الهمزة فيما ذكر هاء خالصة لم يروه أحد عن رسول الله ﷺ، ولم ينزل عليه به جبريل النبي، ولم يرو عن صحابي، ولم يقرأ به أحد من القراء، ولا يجوز بحال من الأحوال، فالتجرؤ على الله بزيادة حرف في كتابه، وهو هذه الهاء التي لم ينزل بها الملك من السماء البهية، وهو كما ترى، وكون اللغة العربية قد سمع فيها إبدال الهمزة هاء
لا يسوغ التجرؤ على الله بإدخال حرف في كتابه لم يأتِ بإدخاله الله ولا رسوله.

ودعوى أن العمل جرى بالقراءة باللهاء لا يعول عليها؛ لأن جريان العمل بالباطل باطل، ولا أسوة في الباطل بإجماع المسلمين، وإنما الأسوة في الحق، والقراءة سنة متبعة مروية عن رسول الله ﷺ، وهذا لا خلاف فيه.

وقوله تعالى: (مِتَّانَا)، قرأه ابن عامر وابن كثير وأبو عمر.

وشعبة عن عاصم: (مَنَّا) بضم الميم، وقرأه نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: (مَنَّا) بكسر الميم، وقد قدمنا مسوغ كسر الميم لغة في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: «يُبَلِّغُونَ مِثْلُ هَذَا».

* قوله تعالى: فَقُلِّ إِيَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمْ يَجْمَعُونَ إِلَّا مَعْلُومٌ فَيْدَتْ يُوْمَ مَعْلُومٍ.

لما أنكر الكفار بعثهم وآباءهم الأولين في الآية المتقدمة، أمر الله نبيه ﷺ أن يخبرهم خبراً مؤكداً بأن الأولين والآخرين كلهم مجموعون يوم القيامة للحساب والجزاء بعد بعثهم.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من بعث الأولين والآخرين

وجمعهم يوم القيامة، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله: «يَمْحُو الْيَوْمُ الْأَخَرَ مِنْهُمْ»، وقوله تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي لَبِنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وقوله تعالى: «رَبِّنَا إِنَّكَ جَعَلْتَ جَمِيعَ الْأُمَّامِ لِيَوْمِ يَوْمٍ مَّلِئَ مِنَ الْقَيَامَةِ»، وقوله تعالى: «ذَلِكَ يَوْمُ جَمِيعُ الْأُمَّامِ لِيَوْمٍ لَا أُبَيْنِ فِيهِ الْأَيَّةَ»، وقوله تعالى: «هَذِهِ يَوْمُ الْقِضْयَةِ مَنْ أَولَئِكَ فَلَا يُؤْمِنُونَ فَعَفِّفُوا مَعْلُومٌ وَهُمْ أَحَدَا». 783
وقد قدمنا هذا موضحاً في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: "وَحَفَظُنَّهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ".

* قوله تعالى: "فَمَّا إِذَا أَصَابْنَاهُ الْمَكَّيُّونَ فَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ نَفْعٍ فَإِذَا أَصَابْنَاهُ الْبَطُُّوْنُ فَلَا يَعْلَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْمَيْمٍ فَشَرَبُوا مِّنْ شَرْبِ أَلْهِمْ".

قد قدمنا إيضاح هذا وتفسيره في سورة الصفات في الكلام على قوله تعالى: "فَمَّا إِذَا لَمْ يَلْهَمْهُ الَّذِي أَخَذَهُ أَنْ يَشْكُرَ".

* قوله تعالى: "هَذَا نَزْلُهُ مِّمْتَرَّ النَّيْنِ".

النزل بضمتين: هو رزق الضيف الذي يقدم له عند نزوله إكراماً له، ومنه قوله تعالى: "إِنَّ النَّاسَ أُمِّيَّةٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَصِلِّيَّاتٌ كُنتُمْ جَنُّ أَشَابِهِ". وربما استعملت العرب النزل في ضدد ذلك على سبيل التهميش والاحترام، وجاء القرآن باستعمال النزل فيما يقدم لأهل النار من العذاب، كقوله هنا في عذابهم المذكور في قوله: "لا أُلُوفُنِ مِّنْ سَجَرٍ مِّنْ نَفْعٍ فَإِذَا أَصَابْنَاهُ الْبَطُُّوْنُ"، إلى قوله: "شَرِّبَ أَلْهِمْ هَذَا نَزْلُهُ"، أي هذا العذاب الذي هو النار، كقوله تعالى للكافر الحكير الذليل: "ذَٰلِكَ إِلَّا أَنْ تَأْتَى الْعَزِيزُ الْحَكَّامُ".

وأما تضمنته هذه الآية الكريمة من إطلاق النزل على عذاب أهل النار، جاء موضحًا في غير هذا الموضع، كقوله في آخر هذه السورة الكريمة: "قُرْنُ مِّنْ حَيْبٍ وَقَصْلَةُ حَيْبٍ"، وقوله تعالى في آخر الكهف: "إِنَّا أَعْطَيْنَاهُ جَهَرًا لِّكَفَّارِنَا نَارًا"، ونظير ذلك
سورة المائدة

839

من كلام العرب قول أبي السعد الضببي:
وكان إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا الفنا والمرهفات له لولا
وقوله: "يوم اللهين" أي يوم الجزاء، كما تقدم مراراً.

* قوله تعالى: "نحن خلقنك فلو لاتصدقون".

لما أنكر الكفار بعثهم وآباءهم الأولين، وأمر الله رسوله أن
يخبرهم أنه تعالى باعت جميع الأولين والأخرين، وذكر جزاء منكري
البعث بأكل الزقوم وشرب الحميم، أنبأ ذلك بالبراهين القاطعة الدالة
على البعث فقال: (نحن خلقناكم) هذا الخلق الأول (فلاولا تصدقون)
أي فنل تصدقون بالبعث الذي هو الخلق الثاني؛ لأن إعادة الخلق لا
يمكن أن تكون أصعب من ابتدائه كما لا يخفى.

وهذا البرهان على البعث بدلالة الخلق الأول على الخلق
الثاني، جاء موضحاً في آيات كثيرة جداً، كقوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي
يَبِدِّلُ الْخَلْقَ مُتَّنِعًا ْوَهُوَ أَهْوَى عَلَيْهِ"، وقوله: "كَمَا بَدَّلَنَا أَوَّل خَلْقٍ
نَفُوذَتْ وَعَدَّةً عَلَى إِنَّا كَانَنَا كَفَّارًا بِهِ"، وقوله تعالى: "يَتَأَمَّنُوا إِنَّكُمْ
إِن كُنْتُمْ فِي رِبْبٍ مِّنْ الْبَيْتِ إِنَّا خَلَقْنِكُمْ مِّن تِرَابٍ"، وقوله تعالى: "فَلَمْ تَجِبُهَا
أَلَّذِي أَنْشَأْهَا أَوَل مَّرَّةٍ"، وقوله تعالى: "فِي ضَرْوُونِ مِّن يُبْدِعُنَّ فَيُبْدِي أَلَّذِي
فَضَّرَهُمْ أُولَمْ مَّرَّةٍ"، والآيات / بِمِثْل هَذَا كَثِيرَة مُعَلُوْمَةً، وَقَد ذِكْرَنَاهَا
بِإِضِحاءٍ كَثِيرَةٍ فِي مَوَاسِط كَثِيرَةٍ مِّن هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ فِي سُورَة
الْبَقْرَةِ وَالْحَجِّ وَالجِهَادِ، وَغَيْر ذَلِك مِّن النِّواعِمِ، وَأَحْلَاء
عَلَيْهَا كَثِيرَةً.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "فَلَوْ لَاتَصْبِعُونَ"،
(ولأ) حَرَفٌ تَحْضِيضٍ، وَمَعَانَاهُ الْتَلْبُبِ وَالشَّدَّةِ، فَالآية نَذِلَّ عَلَى
شدة حث الله للكفار وحضه لهم على التصديق بالبعث لظهور برهانه
القاطع الذي هو خلقه لهم أولاً.
قوله تعالى: "أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمَّنُونَ أَنْ تَخْلِقُونَ أَمْ تَحْنُونَ ".

قد قدمنا قريباً كلام أهل العلم في همزة الاستفهام المتبوعة
بأداء عطف، وذكرونه قبل هذا مراراً، وقوله تعالى: "أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمَّنُونَ " يعني أفرأيتكم ما تمنون من المني في أرحام النساء، فلفظة (ما) موصولة، والجملة الفعلية صلة الموصل، والعائد إلى الصفة
محذوف؛ لأنه منصب بفعل، والتقدير: أفرأيتكم ما تمنونه. والعرب
تقول: أمئي النطفة، بصيغة الرباعي، يجيئها، بضم حرف الضمارة،
إذا أراقتها في رحم المرأة، ومنه قوله تعالى: "يَنْطَفِقَ إِذَا تَمَّ ".
ومنى يمنى بصيغة الثلاثي لغة صحيحة، إلا أن القراءة بها شاذة.
ومنى قرأ (تَمَّنُونَ) بفتح الناء مضارع في الثلاثي المجرد،
أبو السمال وابن السمعيق.

وقوله تعالى: "أَنْ تَخْلِقُونَ أَمْ تَحْنُونَ " استفهام تقرر،
إنهم لا بد أن يقولوا: أنتم الخلاقون، فيقال لهم: إذا كنا خلقنا هذا
الإنسان الخصيم المبين من تلك النطفة التي تمنى في الرحم، فكيف
تكدرون بقدرتنا على خلقه مرة أخرى، وأنتم تعلمون أن الإعادة
لا يمكن أن تكون أصعب من الابتداء؟!

والضمير المنصوب في (تخلقون) عائد إلى الموصول، أي
تخلقون ما تمنونه من النطف علقاً، ثم مضغاً، إلى آخر أطواره.
والذي تضمنت هذه الآية من البراءين القاطعة على كمال

و(this which) تضمنت هذه الآية من البراءين القاطعة على كمال

840
قدرة الله على البث وغيره، وعلى أنه المعبدو وحده، ببيان أطراف خلق الإنسان، جاء مؤخراً في آيات أخرى، وقد قدمنا الكلام على ذلك مستوفيّا بالآيات القرآنية، وبيننا ما يتعلق بكل طور من أطراف من الأحكام الشرعية في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى:

٨٥٨. يكُنْ ذَٰلِكَ أَنَّا۩ كُنَّا نَحْنَٰۡ نَجِيبُونَ ۚ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ الْأَحِيَّانِ.

وذكرنا أطراف خلق الإنسان في سورة الرحمن أيضاً في الكلام على قوله تعالى: «خلق الإنسان علّمه بأليمان» وفي غير ذلك من المواضع.

وبينا الآيات الدالة على أطراف خلقه جملةً وتفصيلاً في الحج.

تنبئه

هذا البرهان الدال على البث الذي هو خلق الإنسان من نطفة مني يمنى، يجب على كل إنسان النظر فيه، لأن الله جل وعلا وجه صبيغة الأمر بالنظر فيه إلى مني الإنسان، والأصل في صيغة الأمر على التحقيق الوجوب إلا لدليل صارف عنه، وذلك في قوله تعالى:

۸٥٩. فَبِنَظَرِ الْإِنسَانِ مَعَهُ ۚ عَلَّمَهُ مِنَ الْأَدْمَٰحِۖ آيَةٌ ۖ وَقَدْ قَدَّمْنَا شَرَحَهَا.

قرأ هذا الحرف نافع (أفيتيم) بتسهيل الهمزة بعد الراء بين بين، والرواية المشهورة التي بها الآداء عن ورش عنه، إبدال الهمزة ألفاً وإشباعها لسكون الياء بعدها. وقرأه الكسائي: (أفيتيم) بحذف الهمزة، وقرأه باقي السبعة بتحقيق الهمزة.
وقوله تعالى: «قَدْ رَأَيْتُ أَنَّكَ أَلْمَوتَ» وَمَا عَنْيَّ يِنْسَبُونَ

على أن نُبْدِلَ أمْناكم ونَشْهَمْكِم فِي مَا لاَ تَعْلُمُونَ.

قُرِئَ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير ابن كثير: (قدْرَنَا)
بتلخيص الدال، وقرأه ابن كثير بتخفيفها، وقد قدمنا في ترجمة هذا
الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد يكون فيها وجهان أو أكثر من
التفسير، ويكون كل ذلك صحيحًا، وكله يشهد له قرآن، فذكر
الجميع وأدلته من القرآن، ومن ذلك هذه الآية الكريمة.

وإيضاح ذلك أن في قوله: (قدْرَنَا) وجهين من التفسير، وفيما
تعلق به (على أن نبديل) وجهان أيضاً.

فقال بعض العلماء، وهو اختيار ابن جرير: إن قوله: (قدْرَنَا)
يَبْنِيْكُمْ إِلَى الْمَوتِ أي قدْرِنَا لموتكم أصالاً متفاوتة، فمنكم
من يموت صغيراً ومنكم من يموت شاباً ومنكم من يموت شيخاً.

وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى:
«ثُمَّ اسْتَبْلُغْتُمْ اِذْهَابَكُمْ وَمِنْهَكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى وَمِنْهَكُمْ مَنْ بَدَأَ إِلَىٰ أَذْهَابِ
الْعُمُرِ»، وقاله تعالى: «ثُمَّ اسْتَبْلُغْتُمْ اِذْهَابَكُمْ ثُمَّ اِنْتَكَشَأْتُوْا شَيْئًا
وَمِنْهَكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلِ وَإِنْتَكَشَأْتُوْا أَجَلًا مَّسَّى وَلَعَلَّهُمْ تَفْقِهُونَ».

878
وقاله تعالى: «وما يعمر من معمرو ولا ينصق من عصره إلا في كتاب».
وقاله تعالى: «وأن يُؤجِرُ الله نفسي إِذَا جاء أَجْلَهَا».
وقوله: «وما تحن في مسبوقين» أي ما نحن بمغلوبين، 788
والعرب تقول: سبقه على كذا يغلي عليه وأجزوه عن إدراكه، أي وما نحن بمغلوبين على ما قدرنا من أفعالكم وحدننا من أعماركم، فلا يقدر أحد أن يقدم أعلاً أخرناه ولا يؤخر أجلاً قدمناه.
وهو المعنى دلت عليه آيات كثيرة، كقوله تعالى: «إِفَادَة جَاهِلٌ أَجْلُهُم لَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْمِمُونَ»، وقوله تعالى: «إِنَّ أَجْلَ اللَّهِ إِذَا جاء لا يُؤْجِرُ الآية»، وقوله تعالى: «وما سكن أن تموت إلا يَعْلَمُونَ أن تموت إلا يَعْلَمُونَ لأن تموت إلا يَعْلَمُونَ إلى غير من الآيات.
وعلى هذا القول، فأقوله تعالى: «علَّكَ أن نُبَدِّلَ أمثالكم» ليس متعلقاً بـ"مسبوقين"، بل بقوله تعالى: «تُحَمَّل قَدْرَتَا بِنَيْنَ أوتْ»، والمعنى: نحن قد رأينا بينكم الموت (إلى أن نبدل أمثالكم) أو نبدل من الذين ماتوا أمثالاً لهم نوجدهم، وعلى هذا، فمعنى تبديل أمثالهم إيجاد آخرين من ذرية أولئك الذين ماتوا.
وهو المعنى تشهد له آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: «إِن يَبْدِأ يَدْهِبَهُم وَيَسْتَجِفُونَ مِن بَعْدِهِمْ مَا يَبْصِرُونَ كَمَا أَنْشَأَهُمْ مِنْ ذِرَىِّكَ قِوَّةً أَخْتَرَيْتُوهُ»، إلى غير ذلك من الآيات.
وهذا التفسير هو اختيار ابن جرير، وقراءة (قدَّرَنا) بالتشديد مناسبة لهذا الوجه، وكذلك لفظة (بينكم).
الوجه الثاني: أن (قدَّرَنا) بمعنى قضينا وكتبنا، أي كتبنا الموت وقدرناه على جميع الخلق.
وهذا الرجوع يشهد له آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: "كل شيء وحي الكريم، وقوله تعالى: "كل نفس ذائقة الموت"، وقوله تعالى: "وتصلى على النبي الذي لا يموت".

وعلى هذا القول، فقوله: "على أن نبذل متعلق بـ "المسبوقين"، أي ما نحن بمغلوبين، والمعنى: وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناكم لو شئنا، فنحن قادرون على إهلاكم، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلاً منكم.

وقد يعني تشهد له آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: "إن ينشأ يذهبحكم أيها الناس ويأت يقتربكه وكان الله على ذلك فيدبره"، وقوله تعالى: "إن ينشأ يذهبحكم ويستحلك من بديلكم ما يشأ"، وقوله تعالى: "إن ينشأ يذهبحكم ويأتي يغلبه جدير" و"هذا لعلى الله عزيز"، وقوله تعالى: "وليت تتواروا تستبند قوماً بكراً ثم لا يكونوا أشبك لكم"، وقد قدمنا هذا في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: "إن ينشأ يذهبحكم أيها الناس" الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "وتنشئكم في ما لا تعلمون"، فيه للعلماء أقوال متقاربة.

قال بعضهم: نتشئكم بعد إهلاكم فيما لا تعلمونه من الصور والهيات، كأن نتشئكم قرداً وخنازيراً، كما فعلنا بعض المجرمين قبلكم.

وقال بعضهم: نتشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات، فنغير صفاته، ونجمِل المؤمنين بياض الوجه، ونقِح الكافرين بسواد الوجه، وزرقة العيون.

إلى غير ذلك من الأقوال.
قوله تعالى: 
ُأَفَرَأَيْتُمْ مَا تَخَرَّبْتُ ۚ أَنَاُ ۡتَزَرَعُونَهُ ۖ أَمْ أَنْتُنَّ

تضمنت هذه الآية الكريمة برحلة قاطعاً ثانياً على البث وامتناً عظيماً على الخلق بخلق أزراقهم لهم.

قوله تعالى: 
َأَفَرَأَيْتُمْ مَا تَخَرَّبْتُ ۖ أَنَاُ ۡتَزَرَعُونَهُ ۖ أَمْ أَنْتُنَّ

الذي تجعلونه في الأرض بعد حرهها، أي تحريكة وتسويتها، (أنتم تزرعونه) أي تجعلونه زرعاً، ثم تنموه إلى أن يصير مدركاً صالحاً للأكل (أم نحن الزارعون) له!! ولا شك أن الجواب الذي لا جواب غيره هو أن يقال: أنت يا بنا هو الزارع المنتب، ونننا لا قدرة لنا على ذلك، فيقال لهم: كل عاقل يعلم أن من أبت هذا السنبل من هذا البذر الذي تتفن في باتن الأرض قادر على أن يبعثكم بعد موتكم.

وكون إنبات النبات بعد عده من براهين البث، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله: 
ۚ وَمِنْ اِبْتِيَاحِ أَنَّكَ أَنْزَلْتَ ۙ أَلْهَةَ الْأَرْضِ ۛ خَيْرَ مُلْحِيَّةٍ ۚ وَقُولُهُ تَعَالَى: ۛ فَأَنَظِرْ إِلَىٰ أَيْنَ مَا رَحَّبَ إِنْذَ أَنْبَأْنَاهُ بِجَعَلَ مُجَيِّرَهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٍ ۚ وَقُولُهُ تَعَالَى: ۛ حَتَّىٰ إِذَا أَلَقْتَ سَحَابَاتَكَ فَقَالَ مَيْتُنا أَنَّكَ أَحْرَجْتَنَا يِهَبَنَ ۚ كَذَلِكَ يَحْيِي ۗ اللَّهُ ۗ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

والآيات مثل هذا كثيرة معلومة، وقد قدمها مستوفاة مع سائر آيات براهين البث في مواضع كثيرة في سورة البقرة والنحل والجاثية، وغير ذلك من المواضع، وأحلنا عليها مراراً.
تنبيه

أعلم أنه يجب على كل إنسان أن ينظر في هذا البرهان الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة؛ لأن الله جل وعلا وجه في كتابه صيغة أمر صريح عامة في كل ما يصدق عليه مسمى الإنسان، بالنظر في هذا البرهان العظيم المتضمن للأمانة لأعظم النعم على الخلق، وللدلالة على عظم الله وقدرته على البحث وغيره، وشدة حاجة خلقه إليه مع غناء عنهم، وذلك قوله تعالى: {فَبِنَاءَ الإِنْسَانِ إِلَى طَامِعِهِ} (71)

791 صبْيَانِ الْخَلْقِ صَبْيَانِ قَمْتَا أَلْفَ الأَجَلَّانِ، فَأَطْفَأَاهَا في حَمَّةٍ، وَعِبَادٌ وَقَضَاءٌ، وَرِويَتْ هُمَا. وَقَالَ النَّحْلِ قَامَانِي عَلَى وَفْقِيَةٍ وَأَنَاٰ مِنْ بَعْضِها وَلَا أَمْيَّكُ،}

والمعنى: انظر أين الإنسان الضعيف إلى طعامك، كالخرب الذي تكونه ولا غنى لك عنه، من هو الذي خلق الماء الذي صار سبأً لإبناته، هل يقدر أحد غير الله على خلق الماء؟ أي إبرازه من أصل العدد إلى الوجود.

ثم هب أن الماء خلق، هل يقدر أحد غير الله أن ينزله على هذا الأسلوب الهائل العظيم الذي يسقي به الأرض من غير هدم ولا غرق؟ ثم هب أن الماء نزل في الأرض، من هو الذي يقدر على شق الأرض عن مسار الزرع؟ ثم هب أن الزرع ظلم، فمن هو الذي يقدر على إخراج السنبل منه؟

ثم هب أن السنبل خرج منه، فمن هو الذي يقدر على إنبات الحب فيه وتنميته حتى يدرك صاحباً للأكل؟

(1) انظر ما سبق ص 355.
وءلابإ لَبَنَأَيْنَا إِذَا أَنْصَرْنِي نِعْمَتٗي إِنَّ فِي ذَلِكَ أَكَابِرُ مَعْلُومُونٞ

والمعنى: انظروا إلى السماو، وإذا أنصروا نعمةً، إن في ذليك أكبَر مُعَلِّمُونٞ.

وانظروا إلى يعنه أي انظروا إليه بعد أن صار يانعً مدركًا صالحةً للأنلاك، تعلموا أن الذي رئاه ونماه حتى صار كما ترونَه وقت يعنه قادر على كل شيء منعم عليكم عظيم الإعفاء، ولذا قال: "إن في ذلِكَ أَكَابِرُ مَعْلُومُونٞ."

فاللازم أن يتأمل الإنسان وينظر في طعامه ويدبر قوله تعالى:

"أَنَا صَبِيحُ الْأَلْلَهِ صَبِيحًا مَّثَّلَ فَقَطْنَا الْأَرْضَ" أي عن النبات شقاً إلى آخر ما بيناه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «لَوْ نَسَأَلَ لِجَعَلْنِي حُطَّامًا» يعني لو نساء تحطيم ذلك الزرع لجعلنها حطاماً، أي فتانًا وهشيمًا، ولكننا لم نفعل ذلك رحمة بكم، ومفعول فعل المشيئة محذوف للاكتفاء عنه بجزاء الشرط، وتقديره كما ذكرنا.


وقال بعض العلماء: (تنكرون) بمعنى تندمون على ما خسرتم من الإفلاس عليه، كقوله تعالى: "فَأَصْبِحَ يَقُولُ نَكِيَدُ عَلَى مَا أَنْفَقْ فِيهَا".

وقال بعض العلماء: تندمون على معصية الله التي كانت سبباً لتحطيم زرعكم.

والأول من الوجهين في سبب الندم هو الأظهر.
قوله تعالى: «أُفْرِقْنِيَ اللَّهُ أَطْلَبْنِيَ لَذِيْ تَشْرِبُونَ» (وَأَنْتُمُ الْأَزْلَمُوُّونَ) من الذَّلِيْلِ مَا تَفْوَقَ أعْمَلَهُمْ أُنْهِر البَيْنَةُ فَلَوْلَا تَشَكُّرَونَ». تضمنت هذه الآية الكريمة امتتانًا عظيماً على خلقه بالماء الذي يشربونه، وذلك أيضاً آية من آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته وشدة حاجة خلقه إليه، والمعنى: (أَفرِقَتْ المَاءَ الَّذِي تَشَرِّبُونَ) الذي لا غنى لك عنكم لحظة، ولو أعدمناه هل会谈كم جميعاً في أقرب وقت: «خَلَفَتْ أَنْزِلَتْهُ مِنَ الْمَرْحَمْمَ مَا تَفْوَقَ أعْمَلَهُمْ».

والجواب الذي لا جواب غيره هو: أنت يا ربي هو منزله من المزون، ونحن لا قدرة لنا على ذلك. فقولهم: إذا كنت في هذا القدر من شدة الحاجة إليه تعالى فلم تكفرون به وتشربون ماءه وتأكلون رزقه وتعبدون غيره؟!

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من الامتتان على الخلق بالماء وأنهم يلزمهم الإيمان بالله وطاعته، شكرًا لنعمته هذا الماء، كما أشار له هنا بقوله: «فَلَوْلَا تَشَكُّرَونَ» جاء في آيات أخرى من كتاب الله، كقوله تعالى: «فَأُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءَ فَأَسْقِطْتَنَاهُ وَمَا أَنْزَلْتُمُ الْمَرْحَمْمَ يَمِينًا»، وقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا كَرَّمَهُ شَرْكًا وَمَا شَجَرَ فِيهِ شَجَرًا»، وقوله تعالى: «وَأَنْزِلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا طَهَرَ»، وقوله تعالى: «وَأَنْفَكَرَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَمَا خَلَفَنَا أَنْفَكَ وَأَنْبِيَاءَ».

793/ صِبْرِيْرَةٍ، وقوله تعالى: «وَأَسْقِطْتَنَاهُ فَوَاكِحَ» إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله هنا: «أَلْوَانُهُ جَعْلَتْهُ أُجَابَاتٍ» أي لو نشاء جعله أجاجاً لفعلنا، ولكن جعلنا عليه ذบายاً سائعاً شرابة، وقد قدمنا في سورة الفرقان أن الماء الأجاج هو الجامع بين الملوحة والمرارة الشديدةين.
وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من كونه تعالى لو شاء لجعل الماء غير صالح للشراب، جاء معناه في آيات أخر، كقوله تعالى: "قل أرئيتم إن أصبه ما أؤك/generatedimage.png فل Yiييك يموميْي ٥٢١،" وقوله تعالى: "وأنزلنا من السماوات ما يُقُدِّرُ فَأَسْكَنْهَا فِي الْأَرْضِ وَيَلَا عَلَى دُحَّابٍ مِّهِ لَقَدْ رُوِئَتْ أَلَّا يَقُولُوا لِلَّهِ أَنَّى كَانَ"؛ لأن الذهب بالماء، وجعله غوراً لم يصل إليه، وجعله أجاجاً، كل ذلك في المعنى سواء، بجامع عدم تأتي شرب الماء.

وده الآيات المذكورة تدل على شدة حاجة الخلق إلى خالقهم كما ترى.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "عَنِّمَا أَنزَلْنِاهُ مَنْ أَلْقَاهَا فِي الْأَرْضِ" يدل على أن جميع الماء الساكن في الأرض الناتج من العيون والآبار ونحو ذلك، أن أصله كله نازل من المزن، وأن الله أسكنه في الأرض وخزنه فيها لخلقه.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية جاء موضحًا في آيات أخر، كقوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَاهُ مَنْ أَلْقَاهَا فِي الْأَرْضِ"، وقوله تعالى: "آَلِمُ كُنْ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَا يُقَدِّرُ فَأَسْكَنْهَا فِي الْأَرْضِ"، وقد قدمنا هذا في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: "فَأَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء مَا أَسْقَنْنَكِمْ وَمَا أَنْشَأْنَ لِلنَّاسِ مِنْ غَرَّةٍ"، وفي سورة سبأ في الكلام على قوله تعالى: "يَعْلَمُ مَا يَبْلُغُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَحْذِرُ مِنْهَا" الآية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "فَلَوْلَا شَكَرُوكُمْ (فلولا) بمعنى هلا، وهي حرف تحضيض، وهو الطلب بحث وحض. والمعنى أنهم يطلب منهم شكر هذا المنعم العظيم بحث وحض.
واعلم أن الشكر يطلق من العبد لربه، ومن العبء لعبده.

شكر العبد لربه، ينحصر معاناه في استعماله جميع نعمه فيما يرضيه تعالى، فشكر نعمة العين آلا ينظر بها إلا إلى ما يرضي من خلقها، وهكذا في جميع الجوارح، وشكر نعمة المال أن يقيم فيه أوامر رباه ويكون مع ذلك شاكر القلب واللسان، وشكر العبء لربه جاء في آيات كثيرة، كقوله تعالى هنا: {فَلْوَلَّا شَكُرُوكُؤُنَّا}، وقوله تعالى: {وَإِنْ شَكَرُوكُؤُنَّا}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وأما شكر الرب لعبده فهو أن يثبت الثواب الجزيل من عمله القليل، ومنه قوله تعالى: {وَمَنْ نَظَرَّ خَيْرًا فَإِنَّ رَبُّهُ شَاكِرُ عَلَيْهِ}، وقوله تعالى: {إِنَّ رَبِّي رَبُّ النَّافِرِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

تبنيه لغوي

اعلم أن مادة الشكر تتعدي إلى النعمة تارةً، إلی المنعم أخرى، فإن عديت إلى النعمة تعتقد إليها بنفسها دون حرف الجر، كقوله تعالى: {ثُمَّ أَشْكَرُوْا} {وَأَشْكَرُوْا} إلى النعم مثل المذكور، وإن عديت إلى المنعم تعديت إليه بحرف الجر الذي هو اللام، كقوله: {نَحْمَدُ اللَّهُ وَنَشْكُرُ}.

ولم تأت في القرآن معداة إلا باللام، كقوله: {وَلَا تَكُفُرُوْا}، وقوله: {أَنْ أَشَّكَرُ لَيٍّ}، وقوله: {وَأَشْكَرُوْا} {وَأَشْكَرُوْا} إلى غير ذلك من الآيات.
وهذه هي اللغة الفصحى، وتحديدًا للمفعول بدون اللام لغة لا لحن، ومن ذلك قول أبي نخيلة:
شُكرْتُك إن الشكر حبل من أتفي وما كل من أولئك نعمة يقضى
/ وقال جميل بن معمبر:
خليتي عوجا اليوم حتى تسلما شكرتكم حتى أغيب في قبري فإنكم إن عجتملاني ساعة
والآيات من سورة الواقعية قد دلت على أن اقتران جواب (لو) باللام، وعدم اقترانه بها، كلاهما سانع؛ لأنه تعالى قال: «لَوْ نَشَأَنَّ جَعَلْنِيُّ حَتَّى بَالَامْ» باللام، ثم قال: «لَوْ نَضَأَنَّ جَعَلْنِيُّ أَجَاجًا» بدونها.

* قوله تعالى: "أَفْرَىْتُمُ الْذَّارِيَّةِ الَّتِي تُؤْرُونَ"١٠٨ أَنْشَأْتُمُ شَجَرَتُهَا أَمْ خَنْقُ النَّشْكُورَ١٠٨َ٦ تَحْنَ جَعَلْنِهَا ذَكْرَةً وَمِنْعًا"١٠٨٥ لِلْمُقْوِينَ.*

قوله تعالى: "أَلَّي تُؤْرُونَ"١٠٨ أي توقدوها، من قولهم: أورى النار إذا قدحها وأوقدها، والمعنى: أفرأيت النار التي توقدوها من الشجر أنشأتن شجرتها التي توقدت منها، أي أوجبتموها من العدم؟

والجواب الذي لا جواب غيره: أنت يا ربي هو الذي أنشأ شجرتها، ونحن لا قدرة لنا بذلك. فيقال: كيف تكنون البعث وآنتم تعلمون أن من أنشأ شجرة النار وأخرجها منها قادر على كل شيء؟!

وأما تضمنته هذه الآية الكريمه من كون خلق النار من أدلة البعث، جاء موضحًا في بيس في قوله تعالى: "قُلْ يُبِيبَا لَدِيَّ أَنْشَآهَا"
أول رمز وهو يأكل خليط عليه ثم أدى جعل له كرم ضجر الأخضر ناراً، فإنا أشرت من طرف، فقوله في آخر بنس: "سِيْفُونَ" هو معنى قوله في القائل: "تُورُونَ"، وقوله في آية بنس: "لَدَى جعل له كرم الضجر الأخضر ناراً"، بعد قوله: "تُحِيّها اللَّهُ أيها أُمَّةِ أَوُلَ مُرْؤِينَ" دليل واضح على أن خلق النار من أدة البعث.

وقوله هنا: "أَنتُمْ أَشْتَانُوا شِجْرَتَاهَا" أي الشجرة التي توقد منها كالمرخ والعفار، ومن أمثال العرب: "في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار"، لأن المرخ والعفار هما أكثر الشجرة نصيباً في استخرج النار منهما، يأخذون قضاياً من المرخ ويجكون به عوداً من العفار فتخرج من بينهما النار. ويقال: كل شجر فيه نار إلا العناب.

وقوله: "مُنِيَ جَعَلَنَّهَا نَذِيرًا" أي نذكر الناس بها في دار الدنيا، إذا أحسوا شدة حراحتها نار الآخرة التي هي أشد منها حراً، ليتزوجوا عن الأعمال المقتضية لدخول النار، وقد صرح عنه أن حراية نار الآخرة مضاعفة على حراية نار الدنيا سبعين مرة. فهي تفوقها بستين ضعفاً كل واحد منها مثل حراية نار الدنيا.

وقوله تعالى: "وَمَتَاعُ الْمَفْوَقِينَ" أي ملisphere للنازلين بالقوى من الأرض، وهو الخلاء والصلاة التي ليس بها أحد، وهم المسافرون، لأنهم ينفرون بالنار انتفاذاً عظيماً في الاستفادة بها والاستضافة وإصلاح الزاد.

وقد تقرر في الأصول أن من موائع اعتبار مفهووم المخالفة كون اللفظ واردًا للائمتان. وبه تعلم أنه لا يعتبر مفهوماً للمقوين ؛ لأنه جيء به للائمتان، أي وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران.
وكل شيء خلأ من الناس يقال له أقوى، فرجل إذا كان في الخلاءقيل له: أقوى. والدار إذا خلت من أهلها قيل لها: أقوى.

ومنه قول نابغة ذبيان:

يا دار مية بالعلياء فالسند وقول عترة:

أقوى وأفقر بعد أم الهيشم حُيِّيت من طلل تقادم عهده وقيل: (للمحوين): أي للجائعين. وقيل غير ذلك، والذي عليه الجمهور هو ما ذكرنا.

قوله تعالى: *فَلَآ أُقِسِّمُ يُبْقَىُّ الْنُّجُومُ وَإِنَّهُ

نَفَتْ أَوْلِيَآءَ عَظِيمٍ*.

قد قدمنا الكلام عليه في أول سورة النجم.

قوله تعالى: *إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْقَيْمِينَ فَسَيَّعَ يَسْمَى رَبِّكَ

الْعَظِيمِ*.

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة، وأكد إخباره بأن هذا القرآن العظيم هو حق البقين، وأمر نبيه بعد ذلك بأن يسح باسم ربه العظيم.

وهذا الذي تضمنته هذه الآية ذكره الله جل علا في آخر سورة الحاقة في قوله في وصفه للقرآن: *وَلَهُ الْهُدَى عَلَى الْكَفِيِّينَ وَلَهُ لَحْقُ الْقَيْمِينَ فَسَيَّعَ يَسْمَى رَبِّكَ الْمَظْهِرُ*، والحق هو البقين.

وقد قدمنا أن إضافة الشيء إلى نفسه مع اختلاف اللفظين
أسلوب عربي، وذكرنا كثرة وروده في القرآن وفي كلام العرب، ومنه في القرآن قوله تعالى: (ولِدَارُ الْأَخِرَةِ) والمدار هي الآخرة، وقوله (وَمَكْرُ ٱلْخَيْبَةِ) والمكر هو السعي، بدليل قوله بعده: (وَلَا يَجِبُّ الْمَكْرُ) وقوله: (مِنْ حِيَابِ ٱلْوَرَيدِ) والحبل هو الوريد، وقوله: (سَهْرُ ۤرَمَضَانَ) والشهر هو رمضان.

ونظير ذلك من كلام العرب قول امرئ القيس:

كبر المقانة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل والبكر هي المقانة.

وقول عتيرة:

ومشك سابحة هتقت فروجه بالسيف عن حامي الحقيقة معلم / لأن مراده بالمشك هنا الدرع نفسه، بدليل قوله: هتقت فروجه، يعني الدرع، وإن كان أصل المشك لغة السير الذي تشد به الدرع؛ لأن السير لا يمكن إرادته في بيت عتيرة هذا، خلافا لما ظنه صاحب تاج العروس، بل مراد عتيرة بالمشك: الدرع، وأضافه إلى السابحة التي هي الدرع كما ذكرنا، وإلى هذا يشير ما ذكره في باب العلم، وعقده في الخلاصة بقوله:

وإن يكونا مفردين فأضيف حتماً وإلا أتبع الذي رد، لأن الإضافة المذكورة من إضافة الشيء إلى نفسه مع اختلاف اللفظين، وقد بنيا في كتابنا (دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب) أن قوله في الخلاصة:

ولا يضاف اسم لما به اتحد معنى وأول موعهما إذا ورد
أن الذي يظهر لنا من استقراء القرآن والعربية أن ذلك أسلوب عربي، وأن الاعتلاك بين اللفظين كاف في المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، وأنه لا حاجة إلى التأويل مع كثرة ورود ذلك في القرآن والعربية.

ويدل لتصريحهم بلزم إضافة الاسم إلى اللقب إن كانا مفردين نحو سعيد كرز؛ لأن ما لا بدل له من تأويل لا يمكن أن يكون هو اللازم كما ترى، فكونه أسلوباً أظهر.

وقوله: "قِسِّيْهُ يَا سَمِّيْرَ رَبِّكَ الْعَظِيمِ" التسبيح: أصله الإبعد عن السوء، وتباصب الله تتزهبه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، وذلك التنزه واجب له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

والأظهر أن الباء في قوله: "يَا سَمِّيْرَ رَبِّكَ" داخلة على المفعول، وقد قدمنا في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَمِجُّ النَّخَلَةَ" أدلة كثيرة من القرآن وغيره على دخول الباء على المفعول / الذي يتبع إليه الفعل بنفسه، كقوله: "وَهُوَ الَّذِي يَمِجُّ النَّخَلَةَ"، والمعنى: وهزي جذع النخلة، وقوله: "وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ يَلْهَبْكَا" أي إلحاداً، إلى آخر ما قدمنا من الآدلة الكثيرة.

عليه، فالمعنى: سبح اسم ربك العظيم، كما يوضحه قوله في الأعلى: "سَبِّحْ أَسْمَارَيْكَ الْأَعْلى".

وقال القرطبي: الاسم هنا بمعنى المسمى، أي سبح ربك، وإطلاق الاسم بمعنى المسمى معروف في كلام العرب، ومنه قوله:

لبيد: "إلى الحول ثم اسم السلام عليكما"
ولا يلزم في نظري أن الاسم بمعنى المسمى هنا; لابد أن يكون المراد نفس الاسم; لأن أسماء الله محددة فيها قوم ونزهيها آخرون عن كل ما لا يليق، ووصفها الله بأنها بالغة غاية الحسن، وفي ذلك أكمل تنزه لها; لأنها مشتملة على صفات الكريمة، وذلك في قوله: {وَلَمْ يَفْعَلْنَاهَا إِلَّا فُجُورٌ مَّسَّهَا} وقوله تعالى: {أَيُّهَا الرَّسُولُ فَدَعُوهُ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ أَحَدُونَ}.

ولنسا نريد أن نذكر كلام المتكلمين في الاسم والمسمى، هل الاسم هو المسمى أو لا? لأن مرادنا هنا بيان معنى الآية، والعلم عند الله تعالى.
سورة الحديد
سورة الحديد

* قوله تعالى: (سُبْحَانَ اللَّهِ ۛ مَا فِي النَّارِ وَالآدَمُ وَهُوَ الْعَزيُّ ۛ الْكَمِّيِّ)

قد قدمنا مراراً أن التسبح هو تنزيه الله عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، وأصله في اللغة الإبعاد عن السوء، من قولهم: سبح، إذا صار بعيداً، ومنه قيل للفرس: ساحب، لأنه إذا جرى يبعد بسرعة، ومن ذلك قول عثرة في معلقته:

إذ لا أزال على رحالة ساحب نهد تعاروه الكماة مكلم.

وقول عباس بن مرداد السلمي:

لا يغرسون فسيل النخل حولهم ولا تخاور في مشتاههم البقر إلا سوابح كالعقبان مقربة.

وهذا الفعل الذي هو (سبيح) قد يتعبد بنفسه بدون اللام، كقوله تعالى: (وَسَبِيحُوهُ بِكَتَّابٍ وَأَصِبَّاهُ) 

وقوله تعالى: (وَمِنْ أَئِلِ فَسَّجَدَ ۗ لَمْ وَسَبِيحَهُ ۗ لَيْلًا طَوِيلاً) 

وقد يتعبد باللام كقوله هنا: (سبيح الله)، وعلى هذا، فسبيحه وسبيح له لغتان، كنصبه ونصح له، وشكره وشكر له.
وذكر بعضهم في الآية وقها آخر، وهو أن المعنى: سبحة ما في السماوات والأرض، أي أحدث التسبيح لأجل الله، أي ابتسامة وجهه تعالى. ذكره الزمخشري وأبو حيان.
وقيل: (سبح الله) أي صلى له. وقد قدمنا أن التسبيح يطلق على الصلاة.

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن أهل السماوات والأرض يسبحون الله، أي يزهونه عما لا يليق، بنيه / الله جل وعلا في آيات أخرى من كتابه، كقوله تعالى في سورة الحشر: {سبح لغما في السموائق وما في الأرض وهو المريد للكريم}، وقوله في الصفر: {سبح لله ما في السموائق وما في الأرض وهو المريد للكريم} أيضاً، وقوله في الجماعة: {يسبح لله ما في السموائق وما في الأرض وهو المريد للكريم}، وقوله في التغابن: {يسبح لله ما في السموائق وما في الأرض له الملك وله الحمد}.

وزاد في سورة بني إسرائيل أن السماوات السبع والأرض يسبحون الله مع ما فيهما من الخلق، وأن تسبيح السماوات ونحوها من الجمادات يعلمه الله ونحن لا نفقهها أي لا نفهمه، وذلك في قوله تعالى: {سبح له السموائر السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح يحييه. ولكن لا نفقهون تسبيحهم}، وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن تسبيح الجمادات المذكورة فيها وفي قوله تعالى: {وَسَحَّرَهَا مَعَ ذَوْدِ الْجَبَلِ يَسْبَحُونَ} ونحو ذلك، تسبيح حقيقي يعلمه الله ونحن لا نعلمه.

والآية الكريمة فيها الرد الصريح، على من زعم من أهل العلم أن تسبيح الجمادات هو دلالة إيجادها على قدرة خالقها؛ لأن دلالة
الكائنات على عظمة خلقها بفهمها كل العقلاء، كما صرح الله تعالى بذلك في قوله: "إِنَّهُ يَمْكِرُ لِلَّذِينَ يُفْقِهُونَ الْكِتَابَ نَفْسَ الْحَقِّ وَيُخْلِفُ أَنْفُسَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَيَتَّبِعُواْ الْأَيْنَ يَرْجِعُ نَفْسُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ يَلْغُونَ"، وأمثال ذلك من الآيات كثيرة في القرآن.

وقد قدمنا إيضاح هذا في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: "وَلَيْلًا يُسْجَدُونَ فِي اسْتِرْهَابٍ وَالآذَانَ طُوَّعًا وَتَلْهِينَهُمْ بِالْغُدُورِ وَالْأَصْلُ"، وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: "فَجَآءَ هُمْ نَافِئًا يَبْتَرِضُونَ أن يَنْفِقُونَ" الآية، وفي سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى: "إِنَّا عِضْنًا / أَلْلَهَانَةٌ عَلَى الْبَيْخَةَ وَالأَضْرَىَ الْجِبَالُ فَأَيَّتَكَ أَن يَجْمَعُهُمْ وَأَنْقَفُنَّ مِنْهَا"، وفي غير ذلك من المواضع.

وقد عبر تعالى هنا في أول الحديد بصيغة الماضي في قوله: "سَبْحَ الْيَمْ"، وكذلك هو في الحرش والصف، وعبر في الجمعية والتغابن وغيرهما بقوله: (يسبح)، بصيغة المضارع.

قال بعض أهل العلم: إنما عبر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى ليبين أن ذلك التسبيح الله هو شأن أهل السماوات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل. ذكر معناه الزمخشري وأبو حيان.

وقوله: "وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمَجِيدُ" قد قدمنا مراراً وذكرنا أن العزيز هو الغالب الذي لا يغله شيء، وأن العزة هي الغلبة، ومنه قوله: "وَلَهُ الْعَزَّةُ وَلَهُ الْفُلُوجُ"، وقاله: (وعزني في الخطاب) أي غليبي في الخصم، ومن أمثال العرب: من عز برأ، يعنون: من غلب استلبه.

ومنه قول الخنساء:

"أَيْنَ لَهُمْ عِزٌّ بِزَا إِذْ النَّاسُ إِذْ ذَاتٌ مِّن عَزُّ بِزَا"
والحكيم، هو من يضع الأمور في مواضعها، ويوقعها في مواقعها.

وقوله: "ما في السماوات والأرض" غلب فيه غير العاقل، وقد قدمنا في غير هذا الموضوع أنه تعالى تارة يغلب غير العاقل في نحو: (ما في السماوات وما في الأرض) لكثرته، وتارة يغلب العاقل لأهميته، وقد جمع المثال للأمرين قوله تعالى في البقرة: "بل لله ما في السماوات والأرض كل لغز في قينون". فغلب غير العاقل في قوله: (ما في السماوات)، وغلب العاقل في قوله: (قائنون).

* قوله تعالى: "هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش".

قوله تعالى: "في ستة أيام"، قد قدمنا إيضاحه في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: "قل لا إله إلا كنهران... خلق الأرض في يومين"، إلى قوله: "ففصله سبحانه سماوات في يومين"، وفي سورة الأعراف على قوله تعالى: "إذ رزقك الله اللذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام".

وقوله تعالى: "ثم استوى على العرش" قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: "ثم استوى على العرش يغشى النجوم البارى الآية، وذكرنا طرفًا صاحبًا من ذلك في سورة القتال في كلامنا الطويل على قوله تعالى: "أقبل يتذبرون النفرات أم على قلوب أفخامها".
Peace be upon him!

* قوله تعالى: 

«يَعْلَمُ مَا يَبْلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ الْسَمَاءِ وَمَا يُغْرَجُ فِيهَا».

قد قدمنا إيضاحه في أول سورة سبأ في الكلام على قوله تعالى: «يَعْلَمُ مَا يَبْلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ الْسَمَاءِ وَمَا يُغْرَجُ فِيهَا وَهُوَ الْرَّحِيمُ العَفَّافُ».

* قوله تعالى: 

«وَهُوَ مُعَمِّرُ أَنَّ مَا كَسَّمَ.»

قد قدمنا إيضاحه وبيننا الآيات القرآنية الدالة على المعنى العامة والمعينة الخاصة، مع بيان معنى المعنى في آخر سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالذِّينَ هُمُ الْمُتَّقِينُ».

* قوله تعالى: 

«هُوَ الَّذِى يَنْزِلُ عَلَى عُبْدِهِمْ عَلَيْهِمْ بَيِّنَتْ.»

ليخرج مكرّين أُولِئِكَ إلى النور.»

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي ينزل على عبده محمد بنات بينات، أم واضحة، وهي هذا القرآن العظيم المعبر عنه بالآيات بينات من الظلمات، أي من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور التوحيد والهدا.

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في قوله تعالى في الطرائق: «فَأَقْتَلُوا اللَّهَ يَتَأَوَّلَ الأَلْبَابُ الَّذِينَ عَامَلُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْبَرْقِ يَجْعَلُهُمْ أَلْبَابَ الَّذِينَ كَفَّارًا يَبْلُغُهُمُ الَّذِينَ ظَلَّلْتُمْ مِنَ الْكِتَابِ إِلَى النُّورِ».

827
وآية الطلاق هذه بينت أن آية الحديد من العام المخصوص،
وأنه لا يخرج بهذا القرآن العظيم من الظلمات إلى النور إلا من
وفقهم الله للإيمان والعمل الصالح، فقوله في الحدث: (ليخرجكم
من الظلمات) أي بشرط الإيمان والعمل الصالح، بدلى قوله: (ليخرج
الذين آمنوا وعملوا الصالحين من الظلمات) الآية.
فالدعوة إلى الإيمان بالقرآن والخروج بنور من ظلال الكفر
عامة، ولكن التوفيق إلى الخروج به من الظلمات إلى النور خاص
بمن وفقهم الله، كما دلت عليه آيات الطلاق المذكورة، والله جل
وعلا يقول: (وَلَانَّهُ يَدْعُو إِلَيْ دَارِ الْأَلَٰثِمِ وَهُدِّيَّ مِنْ يَدَّاهُ إِلَى صَرْطٍ مُّسْتَقِيمٍ) مثاباً.

وما تضمنت هذه الآية الكريمة من كون القرآن نوراً يخرج الله به
المؤمنين من الظلمات إلى النور، جاء موضحاً في آيات من
كتاب الله، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا جَاءَكُمْ بَعْضُهَا مِنْ رَبِّكُمْ وَآرَنَّازَا إِلَيْكُمْ نُورٌ وَيَدْرَءُكُمْ نَارٌ) وقوله تعالى: (فَقُلْ بِحَمَّالٍ حَمَّالٍ إِلَّا أَنْ يُؤْمَّنَ عَلَيْهِ الْيَوْمُ الْوَلَدَةُ) وكتب تبريّت.

وهذئ يهدى بعث الله من أنبياء رضوانكم شبه التسلل،
ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذننا، وتهدئهم إلى صرط
مُّستَقِيمٍ، وقوله تعالى: (فَكَانُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا، وَقُولُهُ تَعَالَى: (فَأَلَيْكَ عَلَيْهِ وَقُضَيْنَا وَعْرَزْوَا وَنَصِيرَهَا وَأَنْصَبُوا
الْثَّلَاثَ أَذِى أُنزِلَ مَعَهُ أَوْلَيْكُمْ / هُمُ الْمُفِيَّحُونَ) وحكم تعلّى:
(وَلَيْكَ جَعَلْتَهُ نُورًا يَهِدِي مِن ذَنَّاهُ جَمِيعًا) الآية.

* قوله تعالى: (وَلَيْكَ بِمَرْتَبَةِ الْأَلَٰثِمِ والْأَرَضِ،)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة مريم في الكلام على
قوله تعالى: (إِنَّا نُعَمِّي نَصْرَ الْأَرَضِ وَمَنْ عَلِيْهَا) الآية.
قوله تعالى:} {يربى عاليمين ووليدين يسعون نورهم بيئيهم {ويبيس السير بشريككم اليوم جنته تجري من تجربة الأزهار خليلين فيها ذلك هو القدر العظيم.

ذكر جل علا في هذه الآية الكرية أن المؤمنين يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم و بأيديهم، وهو جميع بينهم، وأنهم يقال لهم: {بشريككم اليوم جنته تجري من تجربة الأزهار خليلين فيها ذلك هو القدر العظيم.

وأما تضمنت هذه الآية الكرية مما ذكرنا جاء موضحاً في آيات أخرى: أما سعي نورهم بين أيديهم و بأيديهم، فقد بينه تعالى في سورة التحريم، و زاد فيها بيان دعائهم الذي يدعو به في ذلك الوقت، وذلك في قوله تعالى: {يوم لا يخرجين الله أبن لبني وآله و يأتموا مع مع نورهم يسعون بناك أيديهم و بأيديهم يقولون ربنا آتمنا لنا ثورنا الآية.

وأما تبيههم بالجنت، فقد جاء موضحاً في مواضع أخرى، وبين الله فيها أن الملكان تبشرهم وأن نورهم أيضاً يبشرهم، كقوله تعالى: {يبشرهم ربيهم برحمة منه و رضوان و جنتان فهما فيهما قيمت مثيقين} {خليلين} فيها أبداً إذ الله عينده أجر عظيم،} {وقوله تعالى: {إن الذين قالوا بني الله ثم استمدونا سبت لكلهم}stellaria1109/ }{الملائكة} {الذين تعلوا ولا تصدروا واشتروا بالجنة التي كنتم توعدها} إلى قوله: {ننزل من عفوري نحيم} {ابن عقيل} إلى غير ذلك من الآيات.
قوله تعالى: ﴿يَدُوَّرُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنَّ مُعَمِّكُمْ قَالُوا بَلَى وَإِلَيْهِ فَنْتَشِمُ نَفْسُكُمْ وَتُرْيَضُونَهُمْ وَتَزَنَّمُونَ وَغُرُّكُمْ أَلَمْ يَنَالُكُمْ حَيَّةُ جَاهِدُ أَمْرَكَ وَعُرْكُمْ بِاللَّهِ﴾.

الضمير المرفوع في (بنادونهم) راجع إلى المنافقين والمنافقة، والضمير المنصوب راجع إلى المؤمنين والمؤمنات.

وقد ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المنافقين والمنافقات إذا رأوا نور المؤمنين يوم القيامة يسعى بين أبديهم وبأبيناتهم، قالوا لهم: انظروا نقتبس من نوركم، وقيل لهم جواباً لذلك: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، وضرب بينهم بالسورة المذكورة أنهم ينادون المؤمنين: ألم تكن معكم أي في دار الدنيا، كنا نشهد معكم الصلاوات ونسير معكم في الغزوات ونددين بديكم؟ قالوا: بل، أي كنت معنا في دار الدنيا، ولكنكم فتنتم أنفسكم.

وقد قدمنا مراراً معاني الفتنة وإطلاقاتها في القرآن، وبينا أن من معاني إطلاقاتها في القرآن اللالعال، كالكفر والمعاصي، وهو المراد هنا، أي فتنتم أنفسكم: أي أضلتموها بالنفاق الذي هو كفر باطن، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَتَلُوهُمْ حَقًّا لَا تَكُونُ فِنَّهُ أَيْ لَا يَقْبَلُ شَرَكٌ﴾.

وقوله: ﴿وَتُرْيَضُونَهُمْ﴾ التبرص: الانتظار، والأظهر أن المراد به هنا ترص المنافقين بالمؤمنين الدوائر، أي انتظارهم بهم نواب الدهر.

أن تهلكهم، كقوله تعالى في منافقين الأعراب المشكرين في قوله:

﴿وَيَمَنْ حَوَلُكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُتَفَقُّونَ﴾: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَنَافَقُ﴾ مغرماً وتبرص يبرد الدواوير عليهم داريَّة السوء.
وقوله تعالى: (وَأَزْكَيْتُمْ أَيْ شَكَّكُمْ فِي دِينِ الإِسْلَامِ، وَشَكَّكُمْ المذكور هنا وَكَفَّرُوه مِّن بِيْنِهِ اللَّهِ عَلَىٰ فِي قُوَّةٍ عَنْهُمْ: (إِنَّا يُسَأَلُونَكَ عَنِ اللَّهِ وَايْتَافِيرُ الْآخِرَةِ وَإِنَّا نَقُولُنَّهُمْ فَعَلُوهُمْ فَهُمْ فَهُمُ).

وقوله تعالى: (وَغُزِّيَتُمُ اللَّهُمم ۖ حَتَّى جَاءَ أَمَيْلُ اللَّهِ) الأماني جمع أمية، وهي ما يمنون به أنفسهم من الباطل، كزعمهم أنهم مصلحون في نفاقهم، وأن المؤمنين حقاً سفهاء في صدقهم، أي في إيمانهم، كما متاعل ذلك في قوله: (وَإِذَا قَيلَ لَهُمْ لَا نُشْيِّدُونَهُمَّ ۖ فَالْآية، وَقُولِهُ تَعَالَى: (وَإِذَا قَيلَ لَهُمْ يَا أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ كَمَا ۖ مَعَ مَا كَانُوا أَنْتَهُوا أَنْتَهُ ۖ كَمَا مَعَ السُّفَهَاءُ، أَلَا إِنَّهُمُ هُمُ الْمُسْتَبْلِكُونَ ۖ) الآية، وقوله تعالى: (وَإِذَا قَيلَ لَهُمْ يَا أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ كَمَا ۖ مَعَ مَا كَانُوا أَنْتَهُوا أَنْتَهُ ۖ كَمَا مَعَ السُّفَهَاءُ، أَلَا إِنَّهُمُ هُمُ السُّفَهَاءُ ۖ) الآية.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من كون الأماني المذكورة من الغرور الذي اغتزوا به، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: (لَيَسِيرَ امَانَيْنِكُمُ اللَّهُ وَايْتَافِيرُ الْآخِرَةِ مِن يَمَنُّ سُوءَ الْيَجْرِيِّهِ) إلى قوله: (وَلَا يَظْلَمُونَ أَقِيمًا).

وقوله: (حَتَّى جَاءَ أَمَيْلُ اللَّهِ) الأظهر أنه الموت؛ لأنه يقطع به العمل.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَغُزِّيَتُمُ اللَّهُمم ۖ حَتَّى جَاءَ أَمَيْلُ اللَّهِ) هو الشيطان، وغير عنه بصيغة المبالغة، التي هي النفع، لكثرة غزوره لبني آدم، كما قال تعالى: (وَمَا يَعْدُوهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غَرْرُورًا).

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، من أن الشيطان الكثير الغرور غرهم بالله، جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى:
في آخر السجدة: 

"إِنَّ وَعَدَ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ حَقًّا قَالَ يَكُونُ عَلَيْكُم مَّا كُنْتُمُ هُنَّاءً وَلاَ يَكُونُ عَلَيْكُم مَّا كُنْتُمُ شَيْئًا".

وقوله تعالى في آية السجدة وآية فاطر المذكورتين: 

"إِنَّ وَعَدَ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ حَقًّا".

وترتبى على ذلك النهي عن أن يغرههم بِالله الغور، دليل واضح على أن / مما يغرههم به الشيطان أن وعد الله بالبعث ليس بحق، وأنه غير واقع، والغور بالضم الخديعة.

* قوله تعالى: 

"فَأَلَّامْ أَلَّا يُخْرِجَ الَّذِينَ فُتُوْهُ فِيدَيْهَا وَلَا مِنَ الْدِّينِ كُفُورًا".

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: 

"وَقَلِلْ مِن أَحَدِهِمْ مُّلْعَبٍ الْأَرْضِ ذَهَابًا وَلَوْ أَتَدَّى بَيْنَ الْمَّفْتَرِيْنَ".

وفي غير ذلك من المواضع.

* قوله تعالى: 

"أَلَّمْ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُوَّتُهُمْ لِيَحْكُمُ الَّذِي لَمْ يُحْكَمُ مِنِّي وَلَا يَكُونُوا كَأَيْنَاءٌ أَوُّثُوا أَلْكَانِبَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الأَمْرَ فَقَسِّفَ فَلَوْلَا كَذَّبُوْهُمُ فَسَفِرْتُ".

قد قدمنا مراّناً أن كل فعل مضارع في القرآن مجزوم بلم، إذا تقدمتها همة الاستفهام كما هنا، فيه وجها من التفسير مروفتح.

الأول منهما: هو أن تقلب مضارعته ماضيّة، ونفيه إثباتاً، فيكون بمعنى الماضي المثبت؛ لأن (لم) حرف قلب تقلب المضارع من معنى الاستقبال إلى معنى الماضي، وهمة الاستفهام إنكارية فيها.
معنى النفي، فيتسلط النفي الكامل فيها على النفي الصريح في (لم)
فينفه، ونفي النفي إثبات، فيرجع المعنى إلى الماضي المثبت.
وعليه، فالمعنى: (ألم يأن للذين) أي آن للذين آمنوا.
والوجه الثاني: أن الاستفهام في جميع ذلك التقرير، وهو
حمل المخاطب على أن يقر فيقول: بل.
وقوله: (الأم) هو مضارع أنى يأني إذا جاء إلاه أي وقته، ومنه
قول كعب بن مالك رضي الله عنه:
ولقد أنى لك أن تناهي طاعةً أو تستفيق إذا نهاك المرشد
فقوله: «أني لك أن تناهي طاعةً» أي جاء الإناه الذي هو
الوقت الذي تناهي فيه طاعةً، أي حضر وقت تناهيك.
ويقال في العربية: آن بئين، كبع ببع، وأنى يأتي كرمى يرمي،
وقد جميع اللغتين قول الشاعر:
ألا يست عون لي أن تجي إعمايتي وأقصر عن لي لبلي قد أنى ليا
والمعنى على كلا القولين: أنه خان للمؤمنين، وأنى لهم أن
تخشع قلوبهم لذكر الله، أي جاء الحين والأوان لذلك، لكثرة ما تردد
عليهم من زواج القرآن و مواضعه.
وقوله تعالى: «أن تخشع قلوبهم» المصدر المنسبك من أن
وصلتها في محل رفع فاعل بأن.
والخشوع أصله في اللغة السكون والطماثينة والانخفاض، ومنه
قول نابغة ذبيان:
رماد ككحل العين لأني أبينه ونؤي كجذم الحوض أظلم خاشع
فقوله: «خاشع» أي منخفض مطمئن.
والخشوع في الشرع: خشية من الله تداخل القلوب، فظهر آثارها على الجوارح بالانخفاض والسكن، كما هو شأن الخائف.

وقاله: (لذكر الله)، الأظهر منه أن المراد خشوع قلوبهم لأجل ذكر الله، وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى: {إِنَّا أَنْهَرْنَاهُمْ أَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَيَّدُتُهُمْ أَيَخافُنَّهُمَْ} أي خافت عند ذكر الله، فالوجل المذكور في آية الأنفال هذه، والخشية المذكورة هنا معناها واحد.

وقال بعض العلماء: المراد بذكر الله: القرآن، وعليه فقوله: {وَمَا نُزِّلَ مِنْ أَلْحَقِ.} من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين، وقوله تعالى: {سَيَتْ/ أَسْمَرُ بِالْأَشْهَدَيْنَ أَلَّذِيْنَ خَلَقْنَهُمْ} {وَالَّذِينَ قَدْ فَهَدَى}. 813 كقوله تعالى: {سَيَتْ/ أَسْمَرُ بِالْأَشْهَدَيْنَ أَلَّذِيْنَ خَلَقْنَهُمْ} {وَالَّذِينَ قَدْ فَهَدَى}. كما أوضحته ماراراً.

وعلى هذا القول، فالآية كقوله تعالى: {بِنَفْسِهَا أَحْسَنَ أَلْقَابَيْنَ} كَبِنَاتُ مُسَيِّدَتِهَا مَنَافِيَتْ نَفْسَهُ مَنْ جَلَّدُوْهُمْ أَلَّذِيْنَ يَعْبَدُونَ زَمَنَهُمْ تمَّ لَيْنُ بَلْ جَلَّدُوُّهُمْ وَقَلَوْبُهُمْ إِلَى ذُكِرِ اللَّهِ} فالأقضهرا المذكور، ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث، يفسر معنى الخشوع لذكر الله وما نزل من الحق هنا، كما ذكر.

وقوله تعالى: {لَيْكُونُوا كَالْذِينَ أَوْثَانُوا الْكَبْرَيْنَ} قد قدمنا في سورة البقرة في الكلام على قوله: {ثُمَّ قَسَّمَ فُؤُدَّهُمْ} بعض أسباب قسوة قلوبهم، فذكرنا منها طول الأمد المذكور هنا في آية الجديد هذه، وغير ذلك في بعض الآيات الأخرى.

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من كثرة الفاسقين من أهل
الكتاب، جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله تعالى: {ولَوْ أَمَرْكُ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكُنُّواْ يَتَّبِعُونَ نَزُولُهُمْ وَأَصْبَحُواْ أَفْلَامُ الْقَارِئِينَ} 
وقوله تعالى: {قَالَتْ رَأْسَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّنَأْ مِنْهُمْ أَجْرَاهُمْ وَأَكْبَرُ مِنْهُمْ أَفْلَامُهُمْ}.
إلى غير ذلك من الآيات.

* قوله تعالى: {كَيْ شَيْ إِنَّ أَجْبَهُ الْكُفَّارُ نِيَاهُمْ ثُمَّ يُحِجِّفُونَ}.
قرنَّاهُ مَسْقَاراً وَمَا بَيْنَهُمَا حَيَاةً.}

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: {مَمْتَهَجْ فَصِيرَةً مَصْفَرَةً ثُمَّ يُعِيدُ أَحْيَاهُ،}، وبيننا هناك الآية الدالة على سبب اصفراره.

* قوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مَُسَيِّبٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفْسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ بَيْعَاهُ أَنْ نَبْرَأَهُآ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريم، أن كل ما أصاب من المصائب في الأرض كالقحط والجفاف والجوانح في الزراعة والثمار، وفي الأنسف من الأمراض والموت، كله مكتوب في كتاب قبل خلق الناس، قبل وجود المصائب، فقاله: {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهُآ،} الضرير فيه عائد على الخليقة المفهومة في ضمن قوله: {وَفِي أَنفْسِكُمْ} أو إلى المصيبة، وأختار بعضهم رجوعه لذلك كله.

وقوله تعالى: {إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} أي سهل هين;

لإحاطة علمه وكمال قدرته.

وأما تضمنت هذه الآية الكريم من أنه لا يصيب الناس شيء من
المصائب إلا وهو مكتوب عند الله قبل ذلك، أوضحه الله تعالى في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: 
قُلْ لَن يَصِيبَكُمْ إِلَّا مَا كَسَبْتُمْ لَئِنْ كَسَبْتُمْ لَاتَّبِعُوا مَآ أُرَاهُمْ يَّوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَنْتَلْبِؤْنَكُمْ بِمَا كَبَّرْتُمْ
، وقوله تعالى: 
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَقَولُهُ تَعَالَى: 
وَلَنْتَلْبِؤْنَكُمْ بِمَا كَبَّرْتُمْ
؛ لأن قوله: 
وَلَنْتَلْبِؤْنَكُمْ بِمَا كَبَّرْتُمْ
قبل وقوع ذلك دليل على أن هذه المصائب معلومة له جل وعلا قبل وقوعها، ولذا أخبرهم تعالى بأنها ستقع، ليكونوا مستعدين لها وقت نزولها بهم؛ لأن ذلك يعينهم على الصبر عليها.

وقنس الأموال والثمرات مما أصاب من مصيبة، ونقص
الأنس في قوله: (والأنفس) مما أصاب من مصيب في الأنس.

وقوله في آية الحديد هذه: 
لَكِنَّا لَأَتَّمْنُونَا عَلَيْكُمْ وَلَنْ نَصْرِحْنَا
بَيْنَا عَانَكُمْ
 أي بينا لكم أن الأشياء مقدرة مكتوبة قبل وجود
الخلق، وأن ما كتب واقع لا محالة؛ لأجل ألا تحزنوا على شيء
فاتكم؛ لأن فواته لكم مقدر، وما لا طمع فيه قل الأسى عليه،
ولا تفرحوا بما أتاكم؛ لأنكم إذا علمتم أن ما كتب لكم من الرزق
والخير لا بد أن تأتيكم قبل فرحكم به.

وقوله: (تأسوا)، مضارع أسيبكسر السين، يأسيى، بفتحها،
أسيى، بفتحين على القياس، بمعنى حزن، ومنه قوله تعالى: 
تَأَسَّى عَلَى الْقُوَّاتِ الْكَفِّيَنِينَ

وقوله: (من مصيبة) مجرور في محل رفع؛ لأنه فاعل (أصاب)

وَجَرَّ بِمَنِ اللَّيْدَةِ لِتَوَكِيدِ الرُّفِعِ، وَما نافية.
قوله تعالى: «لقد أرسلنا برسلنا بأبيئتنا وأنزلنا معهم الكتب واليمينات ليقوم آلهتنا بالقسط».

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الشورى في الكلام على قوله: «الله الذي أنزل الكتب بالحق واليمينات»، وقد قدمنا هناك كلام أهل العلم في معناه.

قوله تعالى: «وأنزلنا الحديد فيه بأس سديد».

بين الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة والتي قبلها، أن إقامة دين الإسلام تنبيء على أمرين:

أحدهما هو ما ذكره بقوله: «وأنزلنا معهم الكتاب واليمينات»؛ لأن في ذلك إقامة البراهين على الحق، وبيان الحجة، وإيضاح الأمر والنهي والزوال والعقاب، فإذا أصر الكراف على الكفر وتكذيب الرسل مع ذلك البيان والإيضاح، فإن الله تبارك وتعالى أنزل الحديد، أي خلقه لبني آدم؛ ليبرده به المؤمنون الكافرين المعاندين، وهو قتلهم إياهم بالسيوف والرماح والسهام.

وعلى هذا، قوله هنا: «وأنزلنا الحديد فيه بأس سديد» توضحه آيات كثيرة، كقوله تعالى: «فَتَبَيَّنْهُمْ بَعْدَ بِهِمُ اللَّهُ بَيِّنَاتٍ وَيَخْرُجُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَتَّخِذُونَ مَعَهُمْ سَكِيلَ بَيْنَاهُمْ»، والآيات في مثل ذلك كثيرة معلومة.

وقوله: «ومن يعنف للناس» لا يخفى ما في الحديد من المنافع للناس، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: «وَمَن يَوَّدُ عَلَىٰ أَيْنَاءٍ يَبِينُهُ أَيْنَاءً جَيْهِ أَوْ مَنْ تُحِبَّ»؛ لأن مما يود عليه في النار ابتغا المنافع الحديد.
816
قوله تعالى: «فيهم شدة وكبر مثمر بهم». 

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: «وجعلها كلمة بأيده في عقيقه، لعلهم يعرفون» نقل متعتْ هُتّلَاءَ الآية.

أولى أُنيَّته أرضية، ويجعل لكم نورا تمشون به، ويعفِر لكم وأَللهُ عفّور رَحْمٌ.

قد قدمنا أن التحقق أن هذه الآية الكريمة من سورة الحديدي في المؤمنين من هذه الأمة، وأن سياقها واضح في ذلك، وأن من زعم من أهل العلم أنها في أهل الكتاب فقد غلط، وأن ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة أعظم مما وعد به مؤمني أهل الكتاب وإثناهم أجرهم مرتين، كما قال تعالى فيهم: «أَلِيِّينْ ولَبِثْنِهِمَا الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ» لهم يَوْمَ يُؤْتُونِهِمْ قَاءِلًا وَأَمِنًا قَالَ إِنَّمَا يَذْهَبُ عِنْدَ اِبْنِ الْحَكِيمِ مِن رَبِّي إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِيمِينَ أوَلَى أُنيَّته أُنيَّاتُ أُنيَّاتِ مَرْتِينَ» الآية.

وكون ما وعد به المؤمنين من هذه الأمة أعظم من إيتاء أهل الكتاب أجرهم مرتين؛ لأنه أعطى المؤمنين من هذه الأمة مثله، كما بينه بقوله: «يَوْمَ تَوْجِّهُمْ كَثِيرَانِ مِن رَحمَتِي»، وزادهم بقوله: «وجعل لكم نورا تمشون به، ويعفر لكم». 

قوله تعالى: «فَانَّ الفَضْلَ بِيدِ اللَّهِ يَوْمِ يُرْسِل نَفْسَهُ مِن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو...» الفَضْلُ العَظِيمُ.

ما تضمنت هذه الآية الكريمة من أن الفضل بيد الله وحده وأنه...
يؤتيه من يشاء جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ رَبِّي أَعْفَاهُمْ أَنْ يُصَلِّوا فَلَا رَآَيَةً لِّفَضْلِهِ﴾.

وقد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة فأطر في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِّنْ رَحمَةٍ فَلَا مُسْبِكِهِ لَهُ وَلَا يُصِّبْهُ فَلا مُرْسِلٌ لِّهِ مِّنْ بَعْدِهِ﴾.
سورة المجادلة
بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله تعالى: «أَلَّذِينَ يُظْهَرُونَ مِنْكُم مَّن يُسَآَيْهِمْ مَا هَرَبَ»

أَمَّهُتِهِمْ» إلى قوله: «فَإِطْعَامُ يَسِينٍ مَّسْكِينٍ».

قد قدننا الكلام عليه موضحاً في سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْ آذَانَكَ لِيُظْهَرُنَّ مَنْ يُسَآَيْهِمْ مَا هَرَبَ»، ويبنا هنالك كلام أهل العلم وأدلتهم ومناقبها في مسائل الظهار، ومسائل أحكام الكفارة بالعنف، والصيام، والإطعام، وأوجه القراءة في الآية.

قوله تعالى: «إِنَّمَا يَتَّقُونَ مَا في الْجَهَنَّمَ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَبْكِيكُمُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنِهِ»، إلى قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَكْفِيُّ شَهِيدًّا عَلَىٰ مَن يُؤْمِنُ مِنْهُمْ».

قد قدننا الكلام عليه في آخر سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُسْتَقِيمُونَ»، وذكرنا هنالك معنى المعه الخاصة، والمعية العامة، والآيات القرآنية الدالة على كل واحدة منهما.

قوله تعالى: «إِنَّمَا تَرَى الَّذِينَ نَظَّمُونَ النَّجَوِيَّةِ مَا يَعْمَدُونَ لَمَّا هُمْ عَنْهُ وَيَنْجَوُونَ بِالْإِيمَانِ وَالْعَلَّمَانِ».

قد قدننا الكلام عليه، مع بيان الفرق بين النجوي بالخير
820 والنجوى بالإثم والعدوان، في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: ۚلا خير في سُكُورِهِم من نِّعَمَهُم إلا من أمرِ بِصَدَقَةٍ أو مَّعِيزٍ أو إِصْلَاحٍ بِبَيْتِ الْقَطِيفِّ.

فَوَلِي حَتَّى لا يُخَيَّرَنَّهُمُ اللَّهُ عِنْدَهُ. ۚ آمَّنُوا لَنَكُمْ وَلَا مِنْهُمْ.

قال بعض أهل العلم: معنى (آلم تر إلى الذين تولوا) آلم ينته علماً إلى الذين تولوا.

وقد قدمنا الرد على من قال: إن لفظة (آلم تر) لا تعدد إلا بحرف الجر الذي هو (إلى)، ولا تعددى بنفسها إلى المفعل، وبناء أن ذلك وإن كان هو الذي في القرآن في جميع المواضع فإن تعديتها إلى المفعل بنفسها صحيحة.

ومن شواهد ذلك قول أمير القيس:

آلم تراني كلما جئت طاروقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

والمراد: إنكار الله على المنافقين تولىهم القوم الذي غضب الله عليهم، وهم اليهود والكفار. وهذا الإنكار يدل على شدة منع ذلك التولي، وقد صرح الله بالنفي عن ذلك في قوله تعالى: ۚ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ۚ أَمَّنَّنَا لَنْ تُؤْتُوا قُوَّةً غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وأما تضمنت هذه الآية الكريمة من كون المنافقين ليسوا من المؤمنين، ولا من القوم الذين تولوه، ومن الذين غضب الله عليهم من اليهود، جاء موضحاً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: ۚ إِلَى اللَّهِ يَرْجِعُونَ عَنْهُمْ وَهُوَ حَدِيدهُم» إلى قوله تعالى: ۚ مَدَّبِرٌ بَيْنَ ذَلِكَ لَآ إِلَى هُنَّاءٍ لَّا إِلَى هَنَّاءٍ.
 قوله تعالى: ١٨١٦ : ۨاتِنَذِّرُوا أَيْمَنَهُمْ ۖ جَنَّةٌ فَصُدُّوا ۡعَنۡ سَبِيلِ اللَّهِ.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المنافقين اتخذوا أيمانهم جنة، والأيمان جميع يمين، وهي الحلف، والجنة هي النصر الذي يتقى به المقاتل وقع السلاح، والمعنى: أنهم جعلوا الأيمان الكاذبة، وهي حلفهم للمسلمين أنهم معهم وأنهم مخلصون في باطن الأمر، ترساً لهم يتقون به الشر الذي ينزل بهم لو صرحوا بكفرهم.

وقوله تعالى: ١٨٠٠ : ۨقُصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ الظاهر أنى مِن صَدَّ المعتدية، وأن المعقول محذوف، أي فصدوا غيرهم ممن أطاعهم؛ لأن صدودهم في أنفسهم دل عليه قوله: ۨأَنْذَرُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةٌ ۖ وَالحَمِيلُ عَلَى التَّأَسِيسٍ أو لى من الحمل على التأكيد، كما أوضحنا مراً.

وأذنان الأمراء اليزنز تضمنتهما هذه الآية الكريمة، وهم كون المنافقين يحللون الأيمان الكاذبة لتكون لهم جنة، وأنهم يصدون غيرهم عن سبيل الله، جاءاء موضحيين في آيات أخرى من كتب الله:

أما أيمانهم الكاذبة فقد بينها الله جل وعلا في آيات كثيرة، كقوله تعالى في هذه السورة: ۨوَيَلْعَلُّونَ عَلَى الْجِبَابِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (١٤)، وقوله تعالى: ۨيَلْعَبُونَ بِآدَىٰٰهُ لَكُمْ إِرْضَاعُكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَتَّهِيْنَ أَن يُرِضَىٰهُمْ أَيْمَانًا (١٥)، وقوله تعالى: ۨيَلْعَبُونَ بِآدَىٰٰهُ لَكُمْ إِرْضَاعُكُمْ إِذَا أَقِلَّبَتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُعِرَّضُوا عَنْهُمْ أَيْمَانَهُمْ إِنْ تَرَنَّ نَفْسَكُمْ وَمَا ذَلِكَ بِهِ كَبِيرُ (١٦)، وقوله تعالى: ۨوَسَيَحْيِي رَبُّكُمُ الْمَفْتَرِيٰٰ (١٧)، وقوله تعالى: ۨأَنْذَرُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةٌ فَصُدُّوا ۡعَنۡ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمَا مَا كَانَوا يَعْمَلُونَ.

سُورة المجادلة ٨٨١
أوضاع البيان

وأما صدهم من أطاعهم عن سبيل الله، فقد بنيه الله في آيات من كتابه، كقوله تعالى: {قد يعلَّمونا الله المعوِّفين مِنْ مَّكَانِهِمْ لِخُوَّةِهِمْ هَٰلَمَ اِلَّيْتَُۡا}، وقوله تعالى: {يَبْنَىَ الْذُّنُونِ اِلَّا اَمَّا لا تَكُونُواكَ الْذُّنُونِ كُفَّرُوا وَقَالُوهُمْ لِخُوَّهُمْ إِنِّي أَحَبُّكُمُ فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَرِيْبِيَّةَ اِلَّا كَانُوا عَدَدًا مَا مَاتُوا أَوْ مَا قَتَلُوا}، وقوله تعالى: {أَلَّذِينَ قَالُوا إِلَّا خَزَائِمٌ وَقَعَدُوا أَوْ أُطَاعُونَ مَا قَتَلُوا}، وقوله تعالى: {وَلَنْ يُكُونَ لَنَا مُبَطَّنٌ}. 

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {فَلَهُمْ عَذَابٌ شَهِيدٌ}، أي لأجل نفاقهم، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهِ يَسْتَفْرَعُ مِنَ الْأَسْفَلِ مِنَ الْأَلَّهَاءِ} الآية.

* قوله تعالى: {أَنْ تَغْفِرَ عَنْهُمْ أُمُورَهُمْ وَلَا أُولَّادُهُمْ مِنَ اللَّهَ} الآية.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {وَدُخِلَ جَنَّتُهُ بِمَوْلَايَةٍ لِّنَفْسِهِ} إلى قوله تعالى: {خَيْرًا مُّنْهَا} منقلبًا.

* قوله تعالى: {أَسْتَحْوَرُ أَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْعِمُ ذِكْرِ اللَّهِ}.

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من إسناد إنساء ذكر الله إلى الشيطان، ذكره تعالى في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى: {وَإِنَّا بِيَسْتَمِعْنَا الشَّيْطَانَ فَلَا لَّهُمْ بَعْدَ أن يَتَمَكِّنَ} مع {أَلْقِيَ الْطَّيْلُ بِالْمَقْبُولِ}، وقوله تعالى: {فَأَنَّ سُلْطَانَهُ الشَّيْطَانُ ذَحِتَ زِيَّهُ}، وفي معناه قول فتى موسى: {وَمَا أَستَعِينَهُ إِلَّا أَلْسَنَتِهِ أَنْ أَذَّرُوهُ}.
قوله تعالى: (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين).

/ ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الذين يحادون الله.

ورسوله داخلون في جملة الآذلين، لا يوجد أحد أذل منهم.

وقوله: (مُجَادَّونَ الله ورسوله) أي: يعادون ويهالكون ويشاقون،

وأصله مخالفبة حدود الله التي حدها.

وقوله: (في الآذلين) أي الذين هم أعظم الناس ذلًا.

والذل: الصغار والهوان والحقارة.

ومما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الذين يحادون الله ورسوله هم أذل خلق الله، بينه جل وعلا في غير هذا الموضوع، وذلك بذكره أنواع عقوبته المفادية إلى الذل والخزي والهوان، كقوله تعالى: (أَلَمْ يَكُونَ مِنْ يَمِينِكَ مَنْ يُحَادُونَ الله ورسوله فَأَتَتَهُمْ نَارُ الْجَهَنَّمَ حَتَّى يَذَوبَ مِنْهُمْ خَلِيلًا فِي هَذَا الدَّيْنِ الْعَظِيمِ) ، وقوله تعالى: (إِن الذين يحادون الله ورسوله كُنَّا كَمَا كَنَّا الْأَرْضَ عِنْدَ بَنِي إَسْرَائِيلَ) ، وقوله تعالى: (وَلَوْلا أن كَانَ الله عَلَيْهِمْ عَذَابًا لَّمْ يَكُنُوا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي الْجَهَنَّمَ) ، وقوله تعالى: (فَأَضْعَفْنَ أَفْوَاهَهُمْ وَأَضْعَفْنَ مِنْهُمْ سُعُودَ البَيْنَانِ) ، وقوله تعالى: (فَقَوْلُ الْأَعْجَافِ وَأَضْعَفْنَ مِنْهُمْ عَذَابَ الْكَبَارَ) ، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى: (كَيَبْنَبَ الله لأَعْلَمَكَ أَنَّا وَرسُولُنَا يَوْمَ يُقَدِّرُ الله).

قد دلت هذه الآية الكريمة على أن رسل الله غالبون لكل من
غالبهم، والغلبة نوعان: غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميع الرسل، وغلبة بالسيف والسانان، وهي ثابتة لمن أمر بالقتال منهم دون من لم يعمر به.

وقد دلت هذه الآية الكريمة، وأمثالها من الآيات كقوله تعالى:

«وَلَقَدْ سَبَقَ تَرَكَتْ كَيْسًا لِيُعَجَّلِي الْمَسْأَلَةَ وَهُمْ رَكِبُوا النَّصُورَةَ وَأُنَادَيْنَا مَعَهُمْ» (42، 24)

«وَلَقَدْ قُلْتُمْ لِأَنَّ الْحَقَّ لَهُ مَعَنِّي أَرْضَى أَنْ يُكَفِّرَنَا مِنْ مَا كُنا مُرْسِلِينَ» (42، 25)

«إِنَّا لَنَنْصُرَهُنَّ وَإِنَّا لَنُؤْمِنَ بِهِ وَإِنَّا لَنَشْتَرِي بِهِ الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ لَا يُدَّعُو بِكُلِّ شَيْءٍ مِّنْ خَيْرٍ» (42، 26)

«مَنْ يُقَدِّمُ فِي سَيْبِلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يُقْتَلْ أَوْ يُتَّبِعُ كَأَنَّا لَنَنْصُرَهُنَّ وَإِنَّا لَنَنْصُرَهُنَّ» (42، 27)

ومن يقتيل في سبيل الله فيقتل أو يقتل أو يتابع كأننا لننصرهنّ، وقد نفى عن المنصورة كونه مغلوباً نفياً باتاً في قوله تعالى: «إِنَّ يَسِيرًا لَّهُمْ قَالاً غَالِبًا لَّكُمْ» (42، 28)

وأيضاً لو علم أن الرسل الذين جاء في القرآن أنهم قتلوها، كقوله تعالى: «أَفَإِيَّمَا جَاءَتْكُمُ الرَّسُولُ يَاذَا نَحْوَةَ أَنْشُكُمُ اسْتَكْبِرُوا قَدْ تَجِدُنَّ فَرَيقًا كَذِبِّيَ» (42، 29)

وقوله تعالى: «قَلْ قَدْ جَاءَتُكُمْ رُسُلُ مِنَ الْبَيْلِ الَّذِيْنَ فَتَشَدَّدُنَّ فِرَائِسَهُمْ»، ليسوا مقتولين في جهاد، وأن نائب الفاعل في قوله تعالى: «وَأَيْنَ بَيْنَ نَندِينَ كَفَّارَ مُعْمَّرَ رَيْبُوْن»، على قراءة (يُرتِلْ) بالبناء للمفعول، هو (ربون) لا ضمير النبي.

وقد أوضحنا هذا غاية الإيضاح بالآيات القرآنية في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: «وَأَيْنَ بَيْنَ نَندِينَ كَفَّارَ مُعْمَّرَ رَيْبُوْن»، وذكرنا بعضه في الصفات في الكلام على قوله تعالى:

«وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْسًا لِيُعَجَّلِي الْمَسْأَلَةَ وَهُمْ رَكِبُوا النَّصُورَةَ وَأُنَادَيْنَا مَعَهُمْ» (42، 24)

وقوله تعالى: "لا يُجْدِدُ قُوَّةٌ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهَ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ أُرْثَكُمْ وَثَقَالَيْنَ" (42، 28)

"يُوَادُونَ مِنْ حَجَادِ الْأَنْبَاءِ وَرِسَالَةِ وَلَوْ كَانُوا ابْنَاءً هُمْ أَوْ أَبْسَاكَهُمْ أَوْ إِخْوَانُهُمْ أَوْ عِشْيرَتِهِمْ".
وردت هذه الآية الكريمة بلغظ الخبر، والمراد بها الإنشاء، وهذا النهي البليغ، والزجر العظيم، عن موالاة / أعداء الله، وإيراد الإنشاء بلغظ الخبر أقوى وأوكر من إيراده بلغظ الإنشاء، كما هو معلوم في محلة.

ومعنى قوله: {يَوَاهُدُونَ مِنْ حَكَّادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} أي: يحبون ويوالون أعداء الله ورسوله.

وأما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي والزجر العظيم عن موالاة أعداء الله جاء موضحًا في آيات أخرى، كقوله تعالى: {فَذَٰلِكَ كَانَ لَكُمُ السَّمَاعُ حَسْنًا فِي إِبْرَاهِيمَ وَالذِّينَ مَعَهُ} إذ قالوا لقومهم: إنا برعاء ونضمنكم وما تعبدون من دون الله كفرنا يكفر بنا ويضننا وينضنكم العدوة والبغضاء أبداً حتى نمؤمنون بيوم القيامة وحدهم}. وقوله تعالى: {فَوَرَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَالذِّينَ مَعَهُ} أبداً على الكفار رجاءهم. وقوله تعالى: {فَسَوْفَ يَقُومُ بِصَبْرٍ يَقُومُ بِعَزْمٍ} أبداً على المؤمنين أعزراً على الكفارين. وقوله تعالى: {وَلَيَجَدُوا فِي كُلِّ عُقَدٍ عُلُقةً} الآية، وقوله تعالى: {قَالَ: يَنَبَّئُونَ أَنَّ الْحَسَبَاتَ أَخْيَّاءَهُمْ وَأَخْيَاءَ عَلَيْهِمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَلَوْ سِنَّوْا إِبَاكَهُمْ} زعم بعضهم أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قاتل: إنه قتل أباه كافراً يوم بدر أو يوم أحد. وقيل: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي المنافق المشهور، وزعم من قاله: أن عبد الله استأذن النبي في قتل أبيه عبد الله بن أبي فنهاء. وقيل: نزلت في أبي بكر، وزعم من قاله: أن أباه أبا فحافة سب النبي قبل إسلامه فضربه ابنه أبو بكر حتى سقط.
وقوله: «أو أبناؤكم هم» زعم بعضهم أنها نزلت في أبي بكر
حين طلب مبارزة ابنه عبد الرحمن يوم بدر.
وقوله: «أو عشيرتهم» قال بعضهم: نزلت في عبيدة بن الحارث بن المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنههم، لما قتلو عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، في المبارزة يوم بدر، وهم بنو عمهم؛ لأنهم أولاد ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. وعبد شمس أخر هاشم كما لا يخفى.
وقوله تعالى: «أولئك حسب في قولهم الإيمان» أي ثبت في قولهم بتوفيقه.
وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تثبت الإيمان في قولهم جاء موضحًا في قوله تعالى: «ولكن الله حسب إنكما الإيمان ورزنتم في قولكم وكره إيناك الكفر والفسوق والإضxiأن أولئك هم الرشيدون في ثماني من الله وسعامة».
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>سورة ص والقرآن ذي اليَّكِرِ</td>
<td>3</td>
</tr>
<tr>
<td>بيان القراءات المشاذاة في ص، وقراءة الجمهور</td>
<td>3</td>
</tr>
<tr>
<td>قول بعض العلماء: إن ص مفتاح بعض أسماء الله تعالى</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>مبحث نحو في قوله تعالى: وَالْقُرْآنُ ذِي الْيَّكِرَ</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>الشواهد العربية</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>قوله تعالى: ذِي اليَّكِرَ وبيان تفسيرها</td>
<td>8</td>
</tr>
<tr>
<td>تنبه: في بيان اختلاف العلماء في تعيين الشيء الذي أقسم الله عليه في قوله: وَالْقُرْآنُ ذِي الْيَّكِرَ، وهل هو مذكور، أو ممحفو</td>
<td>9</td>
</tr>
<tr>
<td>وما يظهر رجحانه من ذلك بالدلالة</td>
<td>9</td>
</tr>
<tr>
<td>قوله تعالى: ۚ إِنَّ أَلِيْمَيْنِ كَفَرُواْ فِي ٍفَرْطٍ وَشَقَافٍ</td>
<td>14</td>
</tr>
<tr>
<td>وبيان أن سبب أخذ العزة بالإثم للكفار هو أمرهم بقوى الله، وأن استكبارهم ذلك سبب دخولهم النار، مع بيان معنى العزة الحقيقية، وأن الله خص بها المؤمنين دون الكافرين</td>
<td>14</td>
</tr>
<tr>
<td>بيان معنى الشقاق من قوله: ۚ فِي عَرَفٍ وَشَقَافٍ</td>
<td>15</td>
</tr>
<tr>
<td>قوله تعالى: ۚ كَأَهْلَكْنَا بِقَلْبِهِمْ نَقَّيْرَةً الآية، وبيان معنى كم وإعرابها، وبيان ما يطلق عليه القرآن، وبيان ثلاث مسائل: الأولى: وهي كونه أهلك كثيراً من الأمم، وبيان ذلك بالقرآن</td>
<td>15</td>
</tr>
<tr>
<td>المسألة الثانية: وهي نداء الكفار إذا أحسوا بأوائل العذاب وذلك النداء، إما بالاعتراف بالظلم، أو نداءهم بالإيمان، والآيات الموضحة لهم</td>
<td>18</td>
</tr>
</tbody>
</table>
المسألة الثالثة: وهي معنى قوله: {ولات حكماً} مع بيان أشهر أقوال التحويين فيها، وي بيان معنى النصوص أيضاً، وي بيان أصوب الأقوال في لات والقراءات فيها، والآيات الموضحة لمعناها

21 قوله تعالى: {وَجَابَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا مَعَكَ مِنْ دُونِ رَبِّكَ} والآيات الموضحة لذلك

24 قوله تعالى: {وَأَنْفِقْ أَمْثَالَ الْيَتَمَّاءَ مِنْ أَمْثَالِ الْحَمْرَاءَ} والإحالة على ذلك في سورة الفرقان

24 قوله تعالى: {أُنْفِقْ عَلَى أَصْحَابِ الْبُلُوطِ أَمَامَكَ} الآية، والآيات الموضحة لذلك

24 مع بيان رد الله عليهم ذلك الإنكار، والإحالة على البيان السابق

25 قوله تعالى: {أَمَّنْ يُهِبُّ لَكُمُ السَّمَآءَ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهُمَا} الآية، والإحالة على البيان السابق

25 قوله تعالى: {ذُبِّقَ عَقَابَكُمُ الْآخِرَةِ} والإحالة على البيان السابق

25 قوله تعالى: {وَقَالَوا رَبّنِي قَلِلْ نَا قَبْلَ مَسْئُولِي} والإحالة المتعددة

25 على ذلك

26 بيان معنى القط في الآية

26 قوله تعالى: {وَلْيَسْأَلَنَّهَا أَبْنَاهَا مَعَكَ} إلى قوله: {أُلْبِبَ} والإحالة على ذلك

26 قوله تعالى: {فَزَوَّنَ دَاوُودَ أَنَّا فَسَنَّهَا فَسَبِعَ مُسْتَغْفِرَ رَبِّنَا وَخَرَّ رَكَباً وَأَنَا} فَذَلِكُمُ الْآيَةُ، والإحالة على ذلك

26 بطلان ما ذكره كثير من المفسرين عن نبي الله داوود مما لا يليق بمنصب النبوة، وكله راجع إلى الإسرائيليات، وما جاء منه مرفوعاً

27 لم يصح منه شيء

27 قوله تعالى: {يَنْبَوَّأُكُمْ إِنْ جَعَلَنَا عَلَيْكُمْ فِي الَّذِينَ كَفَّارٍ وَإِنْ كَفَّارُوا فِي الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْهُوَاءِ فَيُدْخِلُهُمَا} الآية، وبيان معنى الآية إجمالاً
قد تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتتبية أن الفاء من حروف التعليل.

وقوع الأمر من الله على أبنائه والمراد به أسمه ليشوع لهم الأحكام والآيات الموضوعة لذلك، والإحالة عليه في سورة بني إسرائيل.

قوله تعالى: "ومَا خَلَقْنَا الْجَنَّةَ وَلَدَيْنَا وَمَا زَيَّنَتِهَا بِالْمُفَيْنَكَةَ" والإحالة على ذلك.

네요 العامة: "يَأُولَٰئِكُمْ أَنْظِرُوا جَعَلْنَا لَكُمْ فُجُورًا، وَأَتِمْنَا فِي الْأَرْضِ إِبَاحَةً لَّكُمْ "، ويتضمن البحث تنزيه الله نفسه وتنزه عباده صالحين له عن كونه خلق السماوات والأرض عينا، والآيات الموضوعة لذلك.

بحث نحوي، وبلاغي في تقسيم الفعل إلى حقيقي، وصناعي والأمثلة.

ذلك.

قيله تعالى: "أَمْ تُحِلُّ عَلَى الْأَرْضِ أَنْتُمْ وَأَلْقَى الْحَسَنَاتُ كَالْفُسُوحَ في الأَرْضِ أَنَّ لَكُمْ فُجُورًا، وَأَنَّ وَضُعْتُوا أَلْبَابَكُمْ "، والآية الموضوعة لذلك، مع بيان مذابح أهل اللغة العربية في أم المنقطع.

قيله تعالى: "كَبْ حَرَّمْنَاهُ عَلَى مَّدَنَّكَمْ وَلَبَدَدْنَا أَلْبَابَكُمْ "، والآيات الموضوعة لذلك.

بيان حكمة الإنذار بهذا القرآن الكريم والآيات الموضوعة لذلك.

من حكم إنزال هذا القرآن تبينه للناس ما أنزل إليهم به، وتبني المؤمنين، وحكمه به، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور به، والتذكيرة لمن يخشى به وغير ذلك من الحكم.

قيله تعالى: "وَمُنَادِيَتُهُمْ وَسَيِّمْنَهُمْ الآية، والآيات الموضوعة لذلك.

قيله تعالى: "ولَقَدْ فَتَأَسَّسْنَا سَبَعًا وَأَلْقَيْنَا عَلَى كَرِيْفٍ جَبَّةً الآية، والإحالة على ذلك.

على ذلك.

قيله تعالى: "يَسْخَرُنَّا لِهِ أَنْبَعِهِ يَأَمِينَ، فَمَنْ يُنْبِعُ كَيْبَةً حيثُ أَصَابَ والإحالة على ذلك.

ذلك.

قيله تعالى: "وَالَّذِينَ كَلَّمُونَا وَعَفَاوُضُ " والإحالة على ذلك.
قوله تعالى: "وأذكر عبداً أبوب إذا نادىه ربه أياً مسناً النَّجمَانَ يصِب وقعُب".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: "وأذكر عبداً أبوب إذا نادىه ربه أياً مسناً النَّجمَانَ يصِب وقعُب".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: "عُبِّدَ النَّجَمَانَ قَدرً زِمَيمٍ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: "إِن هذَا الْقَرْآنَ مَا أَنَّمِن نَّفَعٍ إلَّا لِّلَّذينَ يُؤْمِنُونَ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإحالة على ذلك.

قال تعالى: "فَأَلْبَى أَحَدُهُمَا فَصَلَّى مِن تَوْمَامٍ وَفَجَّرَ مِن طَيْرٍ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإحالة على ذلك.

قال تعالى: "قَالَ إِن ذِلِّلَتْ أَحَدُهُمَا فَإِنَّ هُوَ الْفَتْرَةُ لِلَّذينَ يُؤْمِنُونَ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإنجيل على ذلك.

قال تعالى: "فَقَلَّ مَا أَسْتَكُرَّعُونَ عَلَيْهِ مِن أَجْرِ وَمَا أَنَّمِن أَنْتُكُنَّ وَلَيْسَنَّ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإنجيل على ذلك.

قال تعالى: "وَلَكْنَى نَبَيٌّ بِبَيْنِي وَبَيْنِي وَلَيْسَنَّ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الْأَلْبَابِ" والإنجيل على ذلك.

سورة الزمر.

قال تعالى: "تُزَيَّنِ الْكُلُبِّ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والآيات الموجودة لذلك.

وقد تضمن الإيضاح أن الله جل وعلا إذا ذكر تنزيله لكتابه أتبع ذلك.

وقد تضمن الإيضاح أن الله جل وعلا إذا ذكر تنزيله لكتابه أتبع ذلك.

فوق أسمائه الحسنى المتضمنة صفاته العليا.

قال تعالى: "قَالُوا إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَلَمَ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والآيات الموجودة لذلك.

وقد تقدم الكلام على العمل الصالح.

قال تعالى: "وَقَالَ ابْنُوَيْدَرُ "أَهْلُ الْبِرَّ إِنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي يَرْزُقُكُمُ الْيَمِينَ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإنجيل على ذلك.

قاوم تعالى: "أَفَأَرَأَيْتَ إِنَّ اللَّهَ إِنَّهُ الْكِرِيمُ الْقَهَرُ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإنجيل على ذلك.

هوَ اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَرُ".

إلى قوله: "إلي إلَّهِ الأَلْبَابِ" والإنجيل على ذلك.
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: {خلعكم ممن نقض وجعل من؟ دوحيها} والآيات الموضوعة ذلك 48

قوله تعالى: {ولأ نكره أن عشيرتي نفسيني أروج} والإحالة على ذلك 49

قوله تعالى: {هذا سماكم في بطن أن ترهبون خلقتكم} والإحالة على ذلك 49

قوله تعالى: {إن تكروا في بنين عينكم} والآيات الموضوعة لذلك مع بيان الإحالة عليه أيضاً 49

قوله تعالى: {ولا نذر ولا زارة} وذكر أخرين ثم إلى ركعتين سماكم} الآية، والإحالة على ذلك 50

قوله تعالى: {وإذا مس الإنسان ضر دعارة يمسيها إلى أن يلهم} إلى قوله: {يُهْلِهِ} 50

قوله تعالى: {يكره قيل ألا إلغ من أصحاب أثار} والإحالة على ذلك 51

قوله تعالى: {أولئك الذين خمرى خيفاً نفessهم وأهلههم} الآية، والإحالة على ذلك 51

قوله تعالى: {هم من فريقهم ظلل من أشтар ومن تقيهم ظلل} الآية، والإحالة على ذلك 51

قوله تعالى: {والذين أتبعوا الطجوت أن يعودوها} {أيانا إلى أن} الآية، والإحالة على ذلك 52

قوله تعالى: {هل الذين يسمعون القول في ثم يسمعون أحذسط} وقد تضمن البحث معنى القول في الآية وأن الأظهر من الأقوال فيه أنه ما جاء عن النبي والآيات الموضوعة لذلك بيان أن القرآن فيه الأحسن والحسن والآيات الموضوعة لذلك والإحالة على
بيان أمثلة من الترغيب في الأخذ بالحسن و أفضليته، مع جواز الأخذ بالحسن.

بيان الأقوال في قوله تعالى: «قَاتِلُوا الَّذِينَ يَصِيرُونَ الْأَثْرَى»

قوله تعالى: «فَأَمَّنْ خَلَقَ عَلَيْهِ كَلِمَةَ الْأَعْذَابِ َفَأَقْتُلُوا نُفْقِيدهمْ في النَّارِ»

قوله تعالى: «حِيْثُ إِذَا أُجَابَ وَفَاعَ فَيْحَبَّ أَبْيَبَهَا» والآيات الموضحة لذلك.

بيان القراءات في قوله تعالى: «فَيَحْبَبَهَا»

قوله تعالى: «وَقَالُ نَحْوًا حَرَّمَهَا» إلى قوله تعالى: «عَلَى الْكِفْرِينَ»

والإحالة على إيضاحه في سورة بني إسرائيل.

قوله تعالى: «وَقَالُ الْكَافِرُونَ حَرَّمُهَا سَلَمُ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِ كَمَا أَنْبَأُوهَا خَلَائِلَهَا»

والإحالة على إيضاحه في سورة النحل.

قوله تعالى: «وَقَالُوا الْكَافِرُونَ يُحَدِّثُ الَّذِي صَدْمُهَا وَيَعْرِجُهَا» إلى قوله تعالى: «حَيْثُ تَشَاءُ» وحَمَّد أهْل الجَنَّة رِبَّهُم وَتَنَوَّيهم بِصِدْقٍ وَعَدَّهُ لهم الآيات الموضحة لذلك.

سورة غافر وتسمى (سورة المؤمن).

قوله تعالى: «غَافِرُ اللَّهُ َوَقَابِلُ اللَّهِ ِلِيْتَ أَلْوَابَ ذِي الْقُلُوبِ» وحِضَر.

مطامع العقلاء في جلب النفف، ودفع الضمر، والآيات الموضحة لذلك.

قوله تعالى: «مَا يَجِدُونَ فِي عَالِمِ اللَّهِ إِلَّا أَلْوَابًا كَفَّاراً» والآيات الموضحة لذلك.

بيان أن الذين يجادلون في الله لهم أتباع يتبعون روؤسهم المضلين لهم.

من شياطين الإنسان والجَن. والإحالة على إيضاح ذلك في سورة الحج.

قوله تعالى: «فَلا يُزَكِّرُوكَ ِلِلْيَمِينَ» وبيان إنعام الله على الكافرين واستدراجهم بذلك النعيم. وإيضاح هذا المعني في آيات كثيرة.

قوله تعالى: «وَذَكَّرْتَ حَتَّى كَبَّرُوكَ عَلَى الْأَلْوَابِ كَفَّارًا» وبيان أصحب الألباب، ويُبيان القرآن في (كلمت)، والإحالة على إيضاح ما يماثل ذلك في سورة يس.
قوله تعالى: "رَبِّا أَوْلَٰيْدُ جَنَّتٍ عَلَىٰ» إلى قوله: «وَدُرِّجْتُمْ فِي الآية،
78 والآيات الموضحة لها 
قوله تعالى: "رَبِّا أَتُّمَّن أَنْتُنَّى وَأَحْيَيْنَا أَنْتُنَّى" الآية، والتحقيق الذي 
لا ينبغي العدول عنه في الإمامتين والإحياءتين في هذه الآية، وأدلة 
78 ذلك من القرآن 
قوله تعالى: "فَعَلَّلْتُ ثُمَّ أَفْتَرَى فَهَلَّ إِلَّا خَروْجٌ مِّن سَبِيلٍ" الآية، 
والأيات الموضحة لذلك مع بيان أن الاعتراف بالذنب في ذلك الوقت 
79 لا ينفع 
الإحالة على إيضاح "فَهَلَّ إِلَّا خَروْجٌ مِّن سَبِيلٍ" في سورة الأعراف .
79 قوله تعالى: "ذِلِّكُمْ بَيْنَ هُذَا وَبَيْنَاهُ إِنِّي أَذْعَنُ اللَّهُ صَدْقَهُ وَإِن يَشُرَّكُ بِهِ شَرَكَةً" الآية، والإحالة على إيضاحه في الصافات .
80 قوله تعالى: "فَلَفَّتْ مَعِيْلِ الْكَفِّ الْمَصْبِيحِ" الآية، والإحالة على إيضاحه في الكهف.
80 قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ إِذْ أَنْتُنَّى" الآية، والآيات الموضحة لذلك .
80 بيان الآيات، وأن المراد من بيانها أن يتبين لهم أن ماء جاف به محمد.
81 حق 
بيان أن من آياته التي يربه ولا يمكنهم أن ينكروا شيئاً من عنها تسخير 
81 الأعماض لبروكها وياكلوا من لحومها. ودليل ذلك من القرآن .
بيان من الآيات المعجزات وأنها علامة على صدق الرسل ودليل ذلك من 
82 القرآن .
قوله تعالى: "وَيَرِيكُلْ لَمْ يَنْسِمَ وَقَأْتُها" الآية، وإطلاق الرزق على 
المطر لأنه سببه، وأن ذلك أسئلة عربية معروف 
82 إيضاح أن هذا الأسئلة نطقته ب العرب ونطق به القرآن، وتسميته 
بالمجاز المرسل لا داعي له ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه، كما 
82 أوضح ذلك في رسالة: مع سن جواز المجاز في المنزل للتباد والاعجاز .
إيضاح إطلاق الرزق على المطر في آيات كثيرة من القرآن، وبيان ذلك

كُلـهما .....

بيان أن الرزق المذكور شامل لما يأكله الناس وما تأكله الأعور. وإيضاح ذلك بالقرآن .....

قوله تعالى: (وَمَا يَنْبَعَ كَرْسِيٌّ إِلَّا مِنْ يَنْبِيْثٍ) والآيات الموضحة لها، وبيان معنى الإجابة وأن المنبين هم أصحاب العقول السليمة، ولدئة ذلك من القرآن .....

بيان أن غير المنبئ لا يتذكر ولا يتبع بالأيات بل يعرض عنها أشد الأعراض وأدلة ذلك من القرآن .....

قوله تعالى: "قَادَعَوْا الْلَّهُ تَعَالَى الْعَمَيْدِينَ" الآية، والاحالة على بيانه السابق في سورة الزمر .....

قوله تعالى: "يَبْلِي الْرُّوحَ مِنْ أَمْرِيَّ" إلى قوله: "يَكُونُ مَبْرُورًا" الآية، والاحالة على بيانه السابق في أول سورة النحل، بيان يوم بروزهم المذكور في قوله: "يَكُونُ مَبْرُورًا" الآيات الدالة عليه بكثرة .....

قوله تعالى: "وَأَنْبُرُوهُمْ بِيَوْمِ الْآثْرَةِ إِذَا الْقُلُوبُ أَطْلَبُوا الْحَمْجَرُ كَظِمَّيمٍ" الآية، مع بيان الإجابة، والإحالة على بيانه السابق وأنواعه في الأراف .....

إعراب يوم الازفة، وبيان معناه .....

بيان قرب قيام الساعة وأدلة ذلك من القرآن والتحويل عليه في أول سورة النحل .....

زيادة إعراب وإيضاح لقوله: "إِذَا الْقُلُوبُ أَطْلَبُوا الْحَمْجَرُ كَظِمَّيمٍ" .....

أوجه من التفسير في (الدّي الحناجر)، وأدلةها من القرآن .....

معنى (كاظميين) مكروبين، ومنعى كظم في لغة العرب وأدله منهما .....

وصف القلوب بالكظم الذي هو صفة أصحابها. ونظر ذلك من القرآن ..
قوله تعالى: {ما إلى الذيين من جيهم ولا تسمع يباعا} الآية، والإحالة

عليه في البقرة والأعراف

قوله تعالى: {يعلم عيني الأعين وما تخفي الصدور} الآية، والإحالة

على ما يماثله في سورة هود

قوله تعالى: {ولقد أرسلنا موسى رأياً} إلى قوله: {فقالوا سنحر صانعون} الآية، والآية الموضحة لها والإحالة على أمثالها

مراراً

قوله تعالى: { وقال موسى } إلى قوله: { يزور الجسابة } مع بيان سبب عباذ موسى من فرعون. ومن كل متكرر والآيات الموضحة لذلك ...

قوله تعالى: { وقال رجل من انهم كفر} إلى قوله: { ربى الله }

 الآية، والآيات الموضحة لذلك

بيان عادة المشركين في القتال والتنكيل بالمسلمين ولا ذنب لهم إلا ...

الإيمان بالله وقولهم ربا الله. والآيات الموضحة لذلك ...

التحقيق في الرجل المؤمن المذكور في هذه الآية أنه من جماعة فرعون، والخلاف بين العلماء في اسمه، وأنه لا دليل على شيء من ذلك ...

إعراب المصدر المنسب م: {أن يقول ربي الله }

تفسير البخاري لهذه الآية بواقعة وقعت للرسول من عقبة بن أبي معيط، ودفع أبي بكر له عن رسول الله وقوله له: أنقلون رجلاً أن يقول ربي الله ...

قوله تعالى: { قال فرعون ما أريك إلا ما آرى وما أهديك إلا سبيل }

آدمًا الآية

بيان كذب فرعون في قوله لقومه: ما أريك إلا الخ. مع بيان معرفته بالحقيقة لموسي، وأدرله ذلك من القرآن ...

بيان أن غرض فرعون بهذا الكلام هو التدليس والتمويه وإيضاح ذلك من القرآن
أضواء البيان

قوله تعالى: «من عُمِّيل سَينَةً فلا يَجْرِعُ إلَّا يَشْهِي» الآية، ودلاليها على عدم مضاعة السينات. والإشكال الوارد عليها مع الآيات الدالة على مضايقة السينات كنقوله: «إذا لَّدَفْنَاك» الآية، وقوله: "يَصَعَّفُ لَهَا النَّصْبُ ضَعْفٌ" والإجابة على الجواب عن هذا الإشكال في سورة النحل.

قوله تعالى: "وَمَن غَيْبَ سَكِيلًا" إلى قوله: "يَعْتِرَجِسْبِهِ" الآية، والاجابة على إيضاحها وإيضاح ما يماثلها في سورة النحل.

قوله تعالى: "وَتَدْعُوتُونَ إِلَى النَّارِ" إلى قوله: "يَعْلَمُ" الآية، والآيات الموضحة لها.

قوله تعالى: "فَسَتَذْكَرُونَ مَا أَوْلُ لَكُمْ لَجَزاء" إلى قوله: "وَحَقَّ يَقُالَ فَرِمْوَنَ سَوَاءَ النَّذَابِ" الآية، والآيات الموضحة لها، وتحقيق أن الكلام لمؤمن آل فرعون وليس لموسي.

إيضاح أن الكفار سئتكشف لهم حقائق ما كانوا يكذبون به. بيان أن التوكل الصادق على الله وتوفيق الأمور إليه سيب الحفاظ والوقاية من كل سوء، والدليل على ذلك من القرآن مع الإجابة على ذكر الآيات الدالة على ذلك في سورة بني إسرائيل.

إيضاح معنى قوله: "وَحَقَّ يَقُالَ فَرِمْوَنَ سُوَاءَ النَّذَابِ"، والآيات الموضحة لها، وبيان مصير مؤمن آل فرعون، ومصير آل فرعون.

بيان أن حقاً به لا يقال إلا في الشر والمكروه. وأدلته ذلك من شواهد اللغة العربية. مع بيان وراء السينة بالميزان الصوفي والإجابة عليه سابقاً.

قوله تعالى: "وَإِذ يَجْعَلُونَ فِي النَّارِ" إلى قوله: "فَقَدْ حَكَمُ بِبَيْنِ آبِيَ السَّيَاءِ" الآية، والآيات الموضحة لها. مع الإجابة على مثلها كثيراً.

قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ" إلى قوله: "يَوْمَ نَمَّى النَّذَابِ" الآية، والآيات الموضحة لها مع بيان أن أهل النار لا يمكرون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها وأدلة ذلك من القرآن.
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: "قالوا: أولئك نأكل من سماكهم بالبيضة" الآية،
والإحالة على ذكر الآيات التي بمعناه في سورة بني إسرائيل...

قوله تعالى: "إنا ننصرك ورسلتكم عادوا في الخيمة الذين يقولون الآتيهم" الآية، والإحالة على إيضاح معناه في سورة آل عمران.

قوله تعالى: "ولقد أبناه موتًا الهداة" إلى قوله: "لأولئك الآتيهم الآية، والآيات الموضحة لها مع بيان معنى الهدي الذي أوتونه موسى وأنه التوراة وأدلته ذلك...

قوله تعالى: "إن في صدورهم إلا أصحب مأمون يسيبطهم" الآية، والإحالة
على إيضاحه في سورة الأعراف.

قوله تعالى: "هكذا أطْلَعَ الْكَنَوْثُ وَالْآزِرُ أَسْتَنَبُوهُمْ بِمِن خَلْقِ الْأَنْعَامِ" الآية،
والإحالة على البراهين التي هذه الآية منها وإيضاحها في سورة البقرة.

قوله تعالى: "وما يسِيِّئُ اللَّهُ وَالْأَسْرِيْرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتَ..." الآية،
والإحالة على تفسيرها.

قوله تعالى: "فأنت الساحة لأنتبه لا يزيب فيها ولن يكون أحكم الناس لا يؤمنون" الآية،
والإحالة على إيضاحها في سورة الفرقان.

قوله تعالى: "وَقَالَ رَبُّكَ مَأْتَوْهُمْ إِلَى قُوْلِهِ" الآية،
مع أوجه تفسيرها عند العلماء مع بيان أن دعاء الله من أنواع عبادته...

الإحالة على الجمع بين قوله: "وإذا سألت يتكون عني" الآية، مع آية
"فَيَكِفُدُّ ما تَعْمُونَ إِلَيهِ".

قوله تعالى: "أَلَّا أَمْرِيُّكُم مَّلَكَ الْيَتِلَ" إلى قوله: "لَا يَنْكُروْتُ الآية، مع الإحالة على إيضاحه في سورة الفرقان.

قوله تعالى: "هَوَّ الَّذِي نَقْصَحُهُمْ" إلى قوله: "ولعلَّكم تَعْقِلُونَ الأية، مع الإحالة
على إيضاحه في سورة التحج.

قوله تعالى: "فإذا فقِيت أمرنا فقول وَكَنْتَ في كُونِ الآية، مع الإحالة
قوله تعالى: «أدخلوا أبواب جهنم خليدين فيها فليس من موعى,miniating»

الآية، مع بيان عدد أبواب جهنم...

قوله تعالى: «ولقد أرسلنا رسلاً يذكرون قبلك منهم هم فمن قصدت علواكم وهم من ألم تقصص علواكم الآية، والآيات الموضحة لذلك...

قوله تعالى: «فإذا حكمة أمر الله قضى بلغتي وحفر هذا المبتلعان الآية، والآيات الموضحة لها. مع بيان الحق المراد في الآية، وبيان المبطل...

قوله تعالى: «الله الذي جعل لكم الأهم» إلى قوله: «تمولع» الآية، وبيان معايي جعل في اللغة العربية وأن ثلاثة منها في القرآن والرابع ليس في القرآن وهو جعل بمعنى شرع، وأدلية ذلك من اللغة...

الإحالة على إيضاح معنى الإعفاء والامتكان بها في سورة آل عمران...

قوله تعالى: «أقلتُ ينحرفوا في الأرضَ فظنوا كفٌ كان عظَّمَهُ اللهين» من قلهم الآية، مع الإحالة على إيضاح ذلك في سورة الروم وغيرها...

قوله تعالى: «قلرَّهُ ينفِّعهم إبينهم» إلى قوله: «ال كثيرون» الآية، وإحالة على إيضاحه في سورة بونس...

سورة فصلت...

قوله تعالى: «حَذَّرُونَا لِرَحْمَةِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ» الآية، والإحالة عليه...

أول سورة الزمر...

قوله تعالى: «كَتَبَ قُصْدَتْ ءَايَتُهُ آمِنًا، الآية، والآيات الموضحة لها مع بيان التفصيل والكتاب والمراد بهما، وشواهد ذلك من القرآن الكريم...

قوله تعالى: «فَرَءَاهَا عَيْنَيًا يَقْفُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا فَأَفْشَأْنَهُمْ فَهُمْ لا يِسْمَعُونَ» الآية، والإحالة على إيضاحها السابق في سورة الزمر...

إيضاح خصوصه يقوم يعلمون، لأنهم المنتفعون به، والآيات الموضحة لذلك مع الإحالة على إيضاح ذلك سابقاً في سورة فاطر...

والإحالة على إيضاح قوله: «أَقْضَى أَسْكَرْهُم» في سورة يس...
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: {وَقَالُواْ قُلْوُواْ فِي أَسْكِنَتِكُمْ إِلَى قُولِهِ: (جَبَابُ) الآية،} 116

والآيات الموضحة لها

إشكال بين قوله تعالى: {قُولُواْ فِي أَسْكِنَتِكُمْ،} وقوله: {وَإِذَا قُرِّرَتُمُ الْمَرَآةُ جَمَلًا بَيْنَكُمْ وَيَبْنِي الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأُخْرَى جَبَابًا مَسْتَوِيًا} 117

{يَتَبَيَّنُونَ مِنْ يُسْتَيْعِجُّ إِلَيْهِ} والآيات التي يمثل ذلك

التحقيق في الجواب عن هذا الإشكال

رد الله على اليهود دعواهم بِ(بَل) التي هي للإضراب الإبطالي في قوله:

{لَثَّلَثَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَيْنَكُمْ} 118

بيان أن الطبع والأكثرة متعاهما واحد

ذكر محاولة الفخر الرازي الجواب عن الإشكال المذكور

كلام صاحب الكشف على قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْنِي وَيَبْنِيَ جَبَابُ} 120

واستحسن الفخر الرازي له

رد ابن المنير لهذا الكلام وبيان أن الحق معه

قوله تعالى: {فَإِنَّمَا آتِيْنَاهُ بِالْيَتِينِ لَعَلَّهُ يُبْيِنُ لَكُمْ مَا كَانَ مَثَلُهُ} الآية. 121

قوله تعالى: {وَقَدْ قَالُواْ لِلَّذِينَ مَكَّنَوْنَهُ أنَّهُمَا لَيْسَنَا نَفْرَةً مِيعَاذَبُونَ} الآية. استدل

بعض علماء الأصول بهذه الآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة

ووجه دلالة الآية على ذلك ظاهر والإحالة عليه

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّدَقَاتُ لَهُمْ أُجُورٌ عَظِيمٌ} الآية، والآيات الموضحة لها

بيان معنى الأجر والممنون والمجزو والمتصدرين والاستشهاد من اللغة العربية على

ذلك، والتحقيق أن الممنون والمجزو معناهما واحد

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهَا رَوْسِيَّةً مِنْ قَوْفِهَا} الآية، وبيان ما تضمنته الآية،

وأن الظاهر فيه أن تنمية أربعة أيام الصادقة بيومين والآيات الموضحة

لذلك والإحالة عليه
أضواء البيان

قوله تعالى: "وَقَدْ رَفِيَّهَا أَفْقَهَهَا" الآية، وقوله: "وَفَقَرَّاهَا فِيهَا أَفْقَهَهَا" الآية، والإجالة عليه .

معنى التقدير والأقوات والاستشهاد عليه من اللغة العربية .

قد جمع عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بين آية فصلت وآية النازعات، ويرد على جمعه إشكال قد ألهمها الله رفعه، وهو مرفوع من وجهين .

قوله تعالى: "وَقَدْ رَفِيَّهَا أَفْقَهَهَا فِيهَا أَفْقَهَهَا" الآية، والإجالة عليه وبيان معنى المصاحب .

قوله تعالى: "وَقَدْ رَفِيَّهَا أَفْقَهَهَا" الآية، والإجالة عليه .

قوله تعالى: "وَقَدْ رَفِيَّهَا أَفْقَهَهَا" الآية، والإجالة عليه .

قوله تعالى: "وَقَدْ رَفِيَّهَا أَفْقَهَهَا" الآية، والإجالة عليه .

قوله تعالى: "وَقَدْ رَفِيَّهَا أَفْقَهَهَا" الآية، والإجالة عليه .

قوله تعالى: "وَقَدْ رَفِيَّهَا أَفْقَهَهَا" الآية، والإجالة عليه .

قالوا: "فَأَرْسَلَهُمُ الْرَّحْمَانُ رَبُّهُمَا" الآية، لعلماء التفسير في معنى الصصرص، وحجان صحيحان كلاهما تشهد له اللغة، وذكر الآيات الموافقة لعدد الأيام والليالي التي أرسل عليهم فيها الرحي.

بيان أوجه القراءات في قوله: "فَأَرْسَلَهُمُ الْرَّحْمَانُ رَبُّهُمَا" الآية، وذكر الآيات المذكورة، وبيان الأحاديث التي اعتن بها بعض العلماء على شؤون بعض الأيام، وبيان الرأي.

قوله تعالى: "وَقَدْ رَفِيَّهَا أَفْقَهَهَا فِيهَا أَفْقَهَهَا" الآية، وبيان معنى الهدى في القرآن وال استدلال عليه منه .

معنى: (فاستحبوا العمي)، والإجالة عليه .

بيان أن لفظة استحبوا في القرآن الكريم كثيراً ما تتعبد عليه .

إتيان الهدى في القرآن بمعناته العام لا ينافي أنه يطلق في بعض المواضع على الهدى الخاص والآيات الموافقة له .

إزالة الأشكال في كونه جل وعلا أثبت الهدى لنبينا ﷺ في الآية ونفاه عنه في أخرى .
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: "فأخذَهم سَيْبَةً سَيْبَةً اللَّهُمَّ آية، والآية الموضحة 136

لمعنى الصاعقة وأقوال العلماء فيها وبيان الراجح 136

معنى الفاء في قوله: "فأخذَهم سَيْبَةً" 137

حكم النعت بالمصدر، والاستشهاد عليه من اللغة 139

إعراب (بما كانوا يكسبون) 139

قوله تعالى: "وَفَيَهَا رَبَّكُمُ الْأَمْوَاتُ آية، والآيات الموضحة له 140

قوله تعالى: "وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ آية، والآيات الموضحة له، 140

وبيان أوجه القراءة في (يحرش). 140

قوله تعالى: "فِئِمَّ يُزِبْعُونَ ًاءً ًاءً آية، وبيان معنى الوزع وشواهد من اللغة العربية 141

قوله تعالى: "خَلِيَ إِذَا مَاتُوا آية، والإحالة عليه بعد بيان الوجه 141

الراجح 142

قوله تعالى: "وَذِلِكَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي طَفَّتْهُ آية، والإحالة عليه 142

قوله تعالى: "وَإِن يُسْتَسْتِبِبُوا فَمَا مِنُّ الْمُسْتَسْتِبِبِينَ آية، والإحالة عليه 142

مع شواهد من اللغة العربية 142

قوله تعالى: "وَقَبْضَةُ لَهُمْ قَرَاءَةً آية، وبيان أن عبارة المفسرين فيه على التحقيق يرجع بعضها إلى بعض في المعنى 143

قوله تعالى: "قَرَبْنَا هُمْ آية، والآيات الموضحة لما تضمنت هذه الآية 143

الأية 146

قوله تعالى: "وَمَخْتَطِئُ الْقُولَ آية، والإحالة عليه 146

قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا يُسْتَمِعُونَ إِلَى الْقُرْآنِ آية، والإحالة عليه 146

قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ كَالْمَلَكِ رَبِّي َسَبَّبِيَ آية، والإحالة عليه 146

قوله تعالى: "أَدْعُ يَلِي هُنَّ أَحْسَنُ فَإِذَا اللَّهُ يُبَيِّنُ وَبَيِّنَ آية، والإحالة عليه 147
اضواء البيان

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا آيَاتٌ أَلِيْلَ وَالْفَجْرِ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 147

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجَدُوا لِلْحَمِيمِ وَلَا لِلْقَصِيرِ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 147

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا أَسْتَجِبْنَا لَأَيْلَىٰ عِندَ رَبِّكَ﴾ الآية، وقد بينا معنى الاستجواب والأمرين الذين دلت عليهما هذه الآية وأن كلًا منهما جاء موضحاً في آية أخرى .... 147

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّي أَنْتَ أَيْضًا رَكِّبُ أَرْجَعَ إِلَيْهِ الرَّجُلَى﴾ والإحالة عليه .... 149

قوله تعالى: ﴿لَفَهُوَ الْجَبَّارُ الْغَلِيظُ ﴿وَشْكُورٌ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 149

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَلَى صِلَاحِ صَالِحٍ فَلِسَفِينَهُ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 150

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبِّكَ يَقِلُّ الْفَصِيدَ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 150

وفي لفظة ظلال إشكال معروف والجواب عنه من أربعة أوجه والاستدلال على كل وجه والاستشهاد عليه من اللغة العربية .... 150

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَخَفَّى مِنْ أَنْتِ الصَّدْيَقِ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 154

قوله تعالى: ﴿وَذَكَّرْنَا مَا كُنْتُمْ يَعِيسَى﴾ الآية، قد أوضحتا معنى الظن في القرآن والاستدلال عليه من اللغة العربية وأنه هنا بمعنى اليقين .... 154

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَدْخِلُونَهَا مَا نَأَمَنَّاهَا بِغُدُورٍ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 155

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِآ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 156

قوله تعالى: ﴿سَمِنُّهُمْ مَايَا مِنْ فِي الْأَفَاقٍ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 156

قوله تعالى: ﴿فَأَلَّا إِنَّهُمْ فِي مَرَيْضٍ مِّنْ لَيْلَةٍ رَيْحٍ﴾ الآية، والإحالة عليه مع بيان لفظة (مرية) .... 156

سورة الشورى .... 159

قوله تعالى: ﴿حَتَّى عَسَقَ﴾ الآية، والإحالة عليه .... 159

قوله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ نُرِيُّ إِلَيْكَ﴾ الآية، وبيان أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني أович إلى مثله في غيرها من السور .... 159
قول الزمخشري في التشبيه في قوله: 
كذلك يُوُجَّه إِلَيْكَ، والتحقيق في ذلك 
159
قوله تعالى: 
والَّذِينَ مِن قَبْلِكَ الآية، والإحالة عليه 
159
معنى العزيز الحكيم والإحالة عليه بيان أوجه القراء في قوله: 
يُوُجَّه إِلَيْكَ وإعرابها والإحالة عليه مع شواهد العربه 
160
قوله تعالى: 
المُقْلِين العظيم، والآيات الموضحة له بيان معنى الآية على كلا القراءتين، وأقوال العلماء فيه ودليل كلي قول 
161
قوله تعالى: 
آلاَّ إِنَّ اللهُ هوُ النَّقُورُ الرَّحِيمُ الإحالة على ما تضمنته الآية 
162
قوله تعالى: 
وأَلَّذِينَ آتَيْنَاهُم مِّن دُونِهِ لآوِيًا الآية، قد أوضحنا ما تضمنته الآية من اتخاذهم الأولى دونه جل وعلا، وأنه أنكر عليهم ذلك ووبخهم 
163
بيان أنواع أولئك الأولياء واستدلال على كل نوع قوله: 
وَمَا أَتَّلَى عَلَيْهِمْ يَوْكَسُ، الآية، والآيات الموضحة له 
164
قوله: 
وَكَذَلِكَ أُوْحِيَ إِلَيْكَ الآية، والإحالة عليه 
165
قوله تعالى: 
يُبِيد أَمَّ الْفَرْجِ وَمَنْ حَوَّلَهَا الآية، والآيات الموضحة له والإحالة عليه 
166
قوله تعالى: 
وَنَبِدِرُونَ اللَّهُمَّ رَحْمَةً الآية، وقد تضمنت الآية الكريمة أمرين كلاهما جاء موضحاً في آيات أخرى 
167
تسمية يوم القيامة يوم الجمع والآيات الموضحة له 
168
قوله تعالى: 
قَرِيقَ فِي الْفَتْنَة وَقَرِيقَ فِي الْغَلْبِ، وبيان انقسام الخلق إلى شقي وسعيد والآيات الموضحة لذلك 
169
وجه الجمع بين قوله: "وَلَذَاكَ خَلَقْنَاهُمْ،" وقوله: "وَمَا خَلَقْتُ مِنْ أُمَّةٍ يَهْدِيهِمُ الْأَفْخَامَ" والإحالة على الداريات وعلى كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن أيات الكتاب.

الإحالة على معنى السعار بسواها العربية: قوله تعالى: "وَمَا أَحْلِقَتْ مِنْهُمْ فَحََّمَهُمْ إِلَى اللَّهِ" والآيات الموضوعة لها وبيان أن مارد الحكم إلى الله وحده والإحالة على مزيد البيان في ذلك.

بيان أن اتباع غير تشريع الله كفر والآيات الموضوعة لذلك.

مسألة في صفات من يستحق أن يكون له الحكم، وصفات من لا يستحق أن يكون له من مشرع القوانين الوضعية.

مناقشة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان وحكم الله فيها.

استدلال بعض علماء العربية لحذف اللام الموطنة للقسم بقوله تعالى: "وَإِذَا أُعِنِّمُوهُمْ إِنْ كُنَّا صَرِيحِينَ " ومناقشة ذلك.

أوجه القراءة في قوله تعالى: "وَمَا أَصْبَحْتُ مِنْ مُحِيَّةٍ قَيِّمًا كَسَبَتَ " أديبٍ.

والثواب وبحذفها ومقارنتها بالآية السابقة من الناحية العربية.

مثال دخول النافع في خبر الموصول وبيان كثرته في القرآن.

بيان مصير من كان يعبد الشيطان في الدنيا وفي الآخرة والآيات الموضوعة لذلك.

 بيان كون الشيطان عالماً ببني آدم.

بيان توضيح النبي لما سأله عدي بن حاتم.

قوله تعالى: "فَأَطْفَأْ أَلْحَمْرَةَ وَأَلْخَضْرَةَ الأَرْضِ" الآية، والإحالة في تفسيرها.

قوله تعالى: "جَعَلَ لَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ وأَلْحَمْرَةَ السَّمَاوَاتِ" الآية الموضوعة لها.

قوله تعالى: "يَذْرُوُّمُ فِيهِ" والتحقيق في مرجع الضمير في (فيه)، وما يوضح ذلك من الآيات.
الجواب عن إفراد الضمير المجرور في (فِي) مع أنه عائد إلى الذكور والإناث وأمثال ذلك من العربية قوله تعالى: "لاَ إِلَىٰ مَثَلِهِ مَنْ آتَيْتُهُ الْبَيَّانَ وَكُلُّ السَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ" الآية، والإحالة عليها 188
قوله تعالى: "لَمْ يُمْعَلَّ بِهِ ٱلْأَقْرَباَتْ وَٱلْأَزْوَاجِ" الآية، والآيات الموضوعة لها 188
حكمة تضيق الرزق على بعض الخلق 190
قوله تعالى: "هُمْ لَا يَسْتَفْقِينَ فِيهِ" الآية، والإحالة عليها 190
قوله تعالى: "وَإِنْ تُرْأَى فِيهِمْ ۖ إِنِّي لَمَّا نُنْزِي ۗ وَإِنِّي لَا أَمْلِي ۚ" الآية، والإحالة عليها 190
بيان أن بعض الناس لم يجتنب النهي عن التفرق في الدين 191
قوله تعالى: "كَيْ بَلَدَ أَشْيَاءً مِّنْهُمْ مَّنْ يُدْرِكُ ۗ وَإِنْ آتَيْتُهُمْ ۚ وَإِنْ آتَيْتُهُمْ ۖ" الآية، والإحالة عليها 192
وجهب الحذر من طاعة الذين يركبون ما أنزل الله ولو في بعض الأمر 193
قوله تعالى: "لَهُمْ رَبُّۢ ۗ إِنَّهُوَۢ إِلَيْهِ ۡيُدُرِّسُ وَيُنَبِّئُۢ إِلَيْهِ مِنْ نُضُبُّتِۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢۢ
أقوال أهل العلم في قوله تعالى: "إِلَّا الْمُوَقِتَةُ فِي الْقُرْآنِ" 202

التحقيق في معناها 205

قوله تعالى: "وَمَن يَقْرَأْ هَذِهِ الْحَسَنَةَ فِي الْحَيَاةِ الْأَكْبَرِ" والآيات الموضحة له 205

قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَلْقِي الْأَلْوَاهَ عِنْ مِّلَّاتِهِ" والآيات الموضحة لذلك مع الإجابة على معيّن النوبة وآرائها وإزالة بعض الأشكال 205

قوله تعالى: "وَلَكِنْ يَوْمَ يُقَدِّرُ مَآتِيَاتُكُمْ" والآيات الموضحة لذلك 206

قوله تعالى: "وَمَا أَنْطَهَيْتُمْ مِنْ فٍّ سَيِّئٍ إِلَّا كَأَنْ تُحِلُّواْ فِي النَّارِ" والإجابة على ذلك 206

قوله تعالى: "وَرَأَيْتُ الْجَمْهُورَ فِي الْبَحْرِ كَأَنْ تُعْقَبُواْ" معنى الجواري والسفن والأعلام وقول مجاهد والخليج في الأعلام وبعض الشواهد على ذلك، والآيات الموضحة للآية، والقراءات التي في الجواري 206

قوله تعالى: "وَلَآ إِذْ يُقَدِّرُونَ كَبِيرَ الْأَمَامْ وَالْفَوْجُحُ" القراءات في كبار الأئم، وبيان إعراب (الذين) ومعنى الفاصلة في اللغة العربية وقول طرفة في معلقته، والآيات الموضحة لمعنى الآية 208

أظهر الأقوال في اللوم أن المراد صغير الذنوب والحديث الدال على ذلك وأقوال العلماء في الاستثناء في قوله: "إِلَّا الْلَّهُمَّ" والإجابة على معنى الاستثناء المنقطع عدم حد "كَبِيرَ الْأَمَامْ" في عدد معين مع تعبيين بعضها في الحديث فيما يدخل تحت الكبيرة من المعاصي 210

اختلاف العلماء فيما يدخل تحت الكبيرة وما لا يدخل واختيار ابن عباس لعددها، وبيان التحقيق في ذلك، والأظهر في ضابط الكبيرة 212

قوله تعالى: "وَلَمْ تَرَ الأَنْصَرَ بَعْدَ ظَلَّمَكَ الذُّلُّ وَالْجُرْحَ" والإجابة على البيان السابق 213

قوله تعالى: "وَلَمْ تَرَ الْقُلُوبَ لِمَا رَأْيَا الْمَدَنْبَ" والإجابة على البيان السابق 213
قوله تعالى: "وَذَلِكَ أَوْجَنَا إِلَّا الَّذِينَ رَوَّاهُ مِنْ أَمْرِنَا" والإحالة على البيان

وقوله تعالى: "مَا كَانَ تَدْرِي مَا أَكْتَبْنَ وَلَا أَلْهَمْنَ وَلَكِنْ حَكَمَهُنَا نُورًا تَهْيَى يَوْمَ يُقَدِّرُونَ" من...

وتشمل الإيمان للقول والعمل مع الاعتقاد

مرجع الضمير في (جعلناه)، ودلالات القرآن على أنه هو الذي يكشف

ظلاله الجهل

قوله تعالى: "وَإِنَّ پْرِيْهَا إِلَى صَبْرِ مُسْتَقِيمٍ" مع قوله: "إِنَّلَتَهْيَى مِنْ أَحَبَّانِي"...

قوله تعالى: "أَلَا إِلَى أَنْبَأْتَهُمُ الآمَرَ" والآيات الموضحة لصرورة

الأمور الله

سورة الزخرف

قوله تعالى: "فَأَهْلَكْنَا أُشْدَ مَنْ مَّنَافِضًا وَظْنُّوا مَنْ أَوْقَانُوا" بيان مرجع الضمير في (منهم) وإعراب (أشد) و(ظنوا) في الآية، والآيات التي بمعنى الآية مع الإحالة على بيان سابق فيها

قوله تعالى: "وَلَوْ سَأَلْنِهِمْ مِنْ خَلْقِ النَّعْمَاتِ وَالْأَرْضِ لِقَوْلُنَّ خَلَفْهُنَّ المَيْرَ"...

القيليم (١٥٥) والإحالة على البيان السابق

قوله تعالى: "إِنَّهُ جَعَلَ لَحْمَهُ الْأَمْوَةَ مَهَدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا شُيُومًا مَّلْكُكمَا الْمَهْدُوتُ" القراءات في (مهد) والآيات التي بمعنى الآية مع

الإحالة على بيان سابق

قوله تعالى: "وَأَلْيَأَ نُزْلَ مِنْ أَطْرَاشَهُ مَا يَقُلُّ فَأَشْرَهُ مَّيْسَاءً ذَلِكَ يُحْرِجُونَ" والإحالات على البيانات السابقة وأقوال العلماء في

ِيَقُدِّرُ" في الآية
فقوله تعالى: «وَالَّذِي خَلقَ الْأَرْضَ» بِهَا بِبَأْسِ الْأَزْوَاجِ وَشَمْوِهَا وَالْأَيَاتِ
التي توضح ذلك والإجابة على بيان سابق، 226
فقوله تعالى: «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ النَّفْقِ وَالنَّفْعَ حَيَاةً نَّارٍ» إلى قوله:
على سبيل الإجابة على البيان السابق ومرجع الضمير في (ظهوره) و (عليه)، 226
فقوله تعالى: «وَقُولُوا مُضَحَّكُ الْأَذَى سَجْرَ الْحَيَاةِ نَارًا وَمَا سَمِيَّ» معنى الآية الإجباري والاجابة على البيان السابق في (سبحان)، ومرجع الإشارة في هذا ولماذا جمع الظهور ومعنى الْأَذَى سَجْرَ الْحَيَاةِ نَارًا ومعنى مُضَحَّكُ الْأَذَى، 227
وبعض الشواهد العربية على ذلك، 227
والآيات المبينة للآية، 228
فقوله تعالى: «وَجَعَلُوا لَمْ يَبْيَأَوْ جَرَأَتْ» أقوال العلماء في الجزء، 229
وببيان الراجح منها في الآية، والشواهد على ذلك، والقراءات في جرأة، 229
فقوله تعالى: «أَيْ أَنْعَمْتُ بِهَا يَبْيَأَوْ جَرَاءَ» معنى (أم) في الآية والآيات الموضحة لذلك والإجابة على البيان السابق في الآية، 232
فقوله تعالى: «وَقُولُوا المَكَارِحَةُ الْذِينَ هُمْ عِبَادُ الْرَّحْمَنِ» إلى قوله:
ويراد اللفظ المكراهة في عبادة الرحمن، وفي قوله: «أَشْهَدْوَأَ خَلْقُهُمْ» وبيان المسائل الأربع التي ذكرها الله جل وعلا في هذه الآية الأولى: اقتراح الكفاح على الملل مكة زعمين أنهم بنات الله، 233
الثانية: أنه وبحكم وأنكر عليهم ذلك، الثالثة: أن شهدتهم الكاذبة ستكتب عليهم، الرابعة: أنهم يسألون عنها يوم القيامة، والآيات الموضحة لهذه الآية وما تضمنته، 233
بواسطة: 

قوله تعالى: "َوَقَالَواَلَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبِدُوهُمْ مَا لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنَّ هُمْ لَأَلْبَاسُونَ" بِبَيْانِ إِسْكَالٍ فِي الْآيَاَةِ وَهُوَ بَعْيَنِهَا الْوَاقِعِ فِي الْأَنْعَامِ وَالنُّحل

وَحَلَّ وَرَدَّ شَيْهَا الكَفاَرِ فِي ذَلِكَ 

قوله تعالى: "َأَمَّا مِثْلُهُمْ شَيْءٌ بَيْنَ مَنْ يَعْبُدُ إِلَّا إِنَّهُمْ لَأَلْبَاسُونَ" والآيات

الموضوحة لِهَا بِبِيَانِ (أَمَّا) هَنَا 

قوله تعالى: "َوَرَكُذَّبَّنَّ مَا أَرْسَلْنَا بِقَبْلِهِمْ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ" الآيات، وإِلَـحَالَة

على البَيَانِ السَّابِقِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ البِيَانِ وَبِبِيَانِ الْقَرَايَاتِ فِي حَرْفَ: (قَالَ أوِلَ)...

قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ "َآَيَّةٌ، وَالآيَاتُ المَوْضوَحَةُ لِهَا 

قوله تعالى: "َوَجَعَلَهَا كِتَابًا بَاقِيًا فِي عَقِيبَهَا" الآيات، والآيات المَوْضوَحَةُ لِهَا، مَعَ بِيَانِ مَرْجِعِ الْعَصْرِي في قَوْله: (وَجَعَلَهَا)، وَبِيَانِ أَنَّ بَعْضَ عَقِبَ إِبْرَاهِيمَ لَمْ تَكُنْ كِتَابٌ الْتَوْحِيْدِ بَاقِيًّا فِيهِ، وَبِيَانِ الأُمَهَيْمِ الْلَّذِينَ تَسَبَّبُ 

فِيهِمَا إِبْرَاهِيمُ بِجَعْلِ الْكَلِمَةِ بَاقِيًّا فِي عَقِيبِهِ، وَالآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ...

مَسَأَلَةٌ: ظَاهِرُ الْقُرَآنِ الْكَرِيمُ يَدِلُّ عَلَى إِيِّجَادِ مَعْنَىِ الْعَقِبَةِ، الدَّرَجَةِ، 

البَيِّنَةِ، والآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ. وَذَكَرَ الْأَحْدَثُ عَشْرُ لِفَظَّةٍ يَذِكْرُها 

الْفِقْهَاءِ فِي الْوَقْفِ وَالْسَّدَادِ هُل يَدَخِلُ فِيهَا أُوْلَادُ الْبَيِّنَةِ أَوْ لَا؟ مَعَ ذَكْرِ 

مَا دَلَّ الْقُرَآنَ عَلَى دَخْوَلِهِ، وَمَا دَلَّ عَلَى عَدْمِ دَخْوَلِهِ، وَمَا ذَكَرَ فِي الْقُرَآنَ 

مِنْهَا، وَمَا لَمْ يَذِكْرَ، وَمَا دَلَّ الْسَّنَةُ عَلَى دَخْوَلِهِ كُلّ ذَلِكَ...

تَنْبِئُهُ: فِيِ اِعْتِراضٍ يِرَدُّ عَلَى الْقُوْلِ بِدَخْوَلِ أُوْلَادِ الْبَيِّنَةِ، 

وَالجَوَابُ عَلَيْهِ بِمَعْتَدِلِ الْمَقْدِرَةِ وَالْسَّنَةِ وَشَوَاهِدِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى 

الْمَعْنَىِ الدَّارِدِ...

قوله تعالى: "َوَقَالَ أَلَوْ نُزِّلَ هَذَا الْقُرَآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرِينِينَ" الآيات، 

والآيات المَوْضوَحَةُ لِهَا مَعَ تَعْيَنِ الرُّجُلِيَّنَ الَّذِينَ اقْتُرحَ المَشَارِكُونَ إِنْزَالًا 

الْقُرَآنِ عَلَيْهِمَا فِي الْقَرِينِينَ، وإِلَـحَالَةٌ عَلَى الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىِ إِتِّكَالَ 

الرَّحْمَةِ وَالْعَلَمِ عَلَى النُّبِوَّةِ، وَعَلَى مَعَانِيِ إِتِّكَالِ الرَّحْمَةِ فِي الْقُرَآنَ...
مسألة: دلالة القرآن على تفاوت الناس في الأزمنة سنة من سنة الله الكونية القدرية، وبدلاً تعلم بطلان دعوى الملاحطة، وابتزازهم أموال الناس بدعوى المساواة بينهم.

قوله تعالى: «وَتَأَمَّنَّكَ أَنْ تَجَنُّعُ الْأَنَّاسُ ۚ وَجَزَائِهَا الآيات، والآيات المشوقة لها مع تفسيرها وبيان أووجه القراءات فيها، والإحالة على بيان بعض منها، وذكر خلاف النحويين في إعراب بعض مفرداتها.

قوله تعالى: «وَمَنْ يَعْثَرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نَقُصُّ لَهُ مَيْلًا هَٰذِهِمَا فَهُوَمَا قَرِينُ.»

269 الآيات، والإحالة على البيان السابق.

قوله تعالى: «وَلَن يَفْتَمِسُوا ٓالْيَوْمُ ۚ إِذْ دَلَّنَا ۖ الْأَيَاٰيَةَ ۗ وَالإِحَالَةَ عَلَى الْبِيَانِ السَّابِقِ.»

قوله تعالى: «قَآئَتْ ثَعَبًا أَوْ خَوْضًا ۚ أَوْ ثَيْرًا ۗ الْأَيَاٰيَةَ، وَالإِحَالَةَ عَلَى الْبِيَانِ السَّابِقِ.»

قوله تعالى: «فَأَسْتَنْفِكَ بِاذْلِكَ أَرْجُ ۖ إِلَيْكَ ۗ الْأَيَاٰيَةَ، وَالآيات المشوقة لها.

قوله تعالى: «وَسُفِّرْ مِنْ أَرْسَالِكَ ۗ قَبْلَكَ الْأَيَاٰيَةَ، وَالآيات المشوقة لها.

قوله تعالى: «وَلَدَّوْنَ أَرْسَالًا مُّوسَى ۡيَقْتَبِيْلَىٰ إِلَيْهَا ۚ وَمَا لَمْ يَكْفُرُونَ.»

والأحالة على بيانها.

قوله تعالى: «وَأَرْضَاهُم بِالْمَدَايِّ ۖ لَمْ يَرْجُوُنَّ وَالآيات المبينة لها.

قوله تعالى: «وَقَالُوا بِنَبِيٍّ أَسْتَحْجَرُ ۖ الْأَيَاٰيَةَ، وَالآيات المشوقة لها مع بيان ما يحتاج إلى البيان.

قوله تعالى: «وَلَا يَكْتُبُونَ ۗ وَالإِحَالَةَ عَلَى الْبِيَانِ السَّابِقِ.

قوله تعالى: «فَقُولُوا أَلْبِينَ أَشَرَّةٌ مِّنْ ذِهْنِ ۗ الْأَيَاٰيَةَ، وَالإِحَالَةَ عَلَى بيانها.

قوله تعالى: «فَقُلْ لِمَا مِثْلُكَ أَنْفَقًا يَتَبَهَّرُ ۗ وَوَالآية الدالة على المراد.

بالأسف هنا مع بيان ما يحتاج إلى البيان منها.

قوله تعالى: «فَجَعَلْتَهُمْ سَلَفًا وَأَتَّكَلَّلَ ۖ الْآخِرِينِ ۗ وَالإِحَالَةَ عَلَى بيانها.»
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: ۸۸۹ وَلَا ضَرَبَّنَا بِمَرْيَمُ مِثَالًا أَيَاةً، والآيات المبينة لها، وبيان سبب نزولها، وبيان معناها على كلا القراءتين، مع توجيه صيغة الجمع في قوله: ۸۹۰ "يَأْوِىْ عَالَمٌ" وذكر شواهد اللغة العربية في ذلك . . .

قوله تعالى: ۹۱۱ "إِنَّ هُوَ الَّذِي أَعْمَنَا عَلَيْهِ" والآيات المبينة لها مع بيان ما يحتاج إلى بيانه.

قوله تعالى: ۹۸۰ "وَأَيُّهُ الْعَلَّامَ، يَلْتَسَاعَ فَلَا تَكَرَّرْ بِهَا " والآية المبينة لها مع الإحالة على بعض البيان، وترجيح أن مرجع الضمير في قوله تعالى: ۹۸۰ "وَإِنَّ وَلَّمْ نُؤْمِنُ " هو عيسي عليه السلام مع ذكر بحث طويل يوضح ذلك . . .

قوله تعالى: ۹۹۱ "وَلا يُصَدِّقُهُمُ الْجِبَالُ " الآية، والإحالة على البيان السابق.

قوله تعالى: ۹۹۴ "قَوْيُ لِلْيَمِّيٍّ نَظَّمُوهُ مِن عَذَابٍ يُؤْمِنُ آيَتِهِ "، والآيات الموضحة للظلم هنا.

قوله تعالى: ۹۹۴ "فَهُوَ الَّذِي يَضْرِرُونَ إِلَّا أَنْسَاهُ " الآية، والآيات المبينة لها مع بيان وإعراب ما يحتاج إلى ذلك وذكر بعض الشواهد العربية الدالة على ذلك . . .

قوله تعالى: ۹۹۴ "يَبَعِظُ لَا حَرَفٌ عَلَيْهِ " الآية، والآيات المبينة لها مع ذكر معنى استعمال الخوف أو الحزن في اللغة العربية وتحقيق القول في الإيمان والإسلام وإيضاح ذلك.

قوله تعالى: ۹۹۴ "أَدْخَلْوَاهُ لَجَنَّاهُ اِسْتَرَّ وَأَرْوَاحُ مَطْرُوفَ " والآيات المبينة لها، وتحقيق القول في أن لفظة (زوجة) ليست لحناً.

قوله تعالى: ۹۹۹ "يَقُلُّ عَلَيْهِمْ بِصِحْافِهِمْ مِن ذَهِبٍ " والإحالة على البيان السابق.

قوله تعالى: ۹۹۹ "وَفِيهَا مَا أَتَشْهِي أَلْقَافِ " الآية، والآيات المبينة لها مع بعض الإحالة على بيان سابق.

قوله تعالى: ۹۹۹ "مَن إِنَّها أَرْفَعَهُ مَا كَثَرَ تَكَشَّوْتُ " والآيات الموضحة لها مع وجه الجمع بين هذه الآية وبين حديث "لن يدخل أحدكم عمله الجنة ... الحديث"
قوله تعالى: (والآيات الموضحة لها مع استظهار أن هذا الذي طلبه من مالك هو أن يدعو الله لهم بالموت والاستدلال عليه، مع الإحالة على دفع إيهام الاضطراب، في سورة الأعمام عند قوله تعالى: قُلِّ أَلَيْنِ مَوْتُكُمُ خَيْرٌ مِّنْ ذَٰلِكَ لِلَّهِ) الآية .

قوله تعالى: (وَقَدْ أَدْخَلَنَّكُمُ السَّفَهَاءَ وَكَرِيرًا) فبالإحالة على البيان السابق .

قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي كُنْتُ مُتَّقِمًا عَلَى الْخَيْرَةِ) الآية، والآيات المبينة لها مع ذكر أقوال العلماء في: (إن) هنا هل هي شرطية أو نافية، وبيان ما هو الراجح فيها، والاستدلال لذلك، مع ذكر بحث منطقي يتعلق بالموضوع، والرد على الزمخشري في قوله البشعي في هذه الآية .

تبنيه: في الرد على من زعم أن القول بأن: (إن) في الآية المذكورة نافية يلزم إيهام المحدث الذي لا يجوز في حق الله .

تبنيه: يتضمن الفرق بين لو، وإن، الشرطتين، ودلالة القرآن على أنه يتعلق إليه الخطاب من الله والمراد به التشريع لأمنه، والاستدلال على ذلك .

قوله تعالى: (سُبُحَّنَ رَبِّي الْعَسَّارِ وَالأَرْضِ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصَفِّيُونَ) والآيات الموضحة لها مع الإحالة على معياني لفظة (مسباح) وإعرابها .

قوله تعالى: (فَذِّكَرْهُمْ وَتَضْعَفْوا) الآية، والإحالة على بيانها .

قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي نُحَلِّمُهُ إِنْ لَّيْنَ أَكْرَمُ مِّنْهُ الْكَرَمَ) والإحالة على إيضاحها .

قوله تعالى: (وَعَمِّدْنَا عِلْمًا السَّبَاطة) والإحالة على البيان السابق .

قوله تعالى: (وَلَمْ يُحْكَمَ لِلَّيْلِ بَيْنَ يَدَيْنَا مِنْ دُونِ الرَّسُولَ) والإحالة على البيان السابق .
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: في أول سأئلهم من خلقهم ليقولون الله الآية، والإحالة على بيانها

قوله تعالى: وَقِيلَ لَهُودَ قَمْ لَيْسَ أحدٌ قَدْ خَلَقْنَاهُ، والآيات الموضوعة لها وإعرابها والاستشهاد على ذلك بشواهد اللغة العربية، وبيان أوجه القراءات فيها

قوله تعالى: فَأَصَبْحُ شَكَرُ وَفُلُجَ سَلَمَ فَبَعَلَهُ وَالآيات الموضوعة لها، مع بيان القراءات في هذا الحرف، وبيان القول في هذه الآية وما في معناها هل هي منسوحة أو لا والتوفيق بين القولين

سورة الدخان

قوله تعالى: إِنَّا أُنْزِلْتُهُ فِي لَيْلَةِ الْمُشْرَكِينَ، والآيات الموضوعة لها مع الرد

على من يدعي أن ليلة القدر ليلة النصف من شعبان

قوله تعالى: مِّلَّا يُقُرِّنُ عَلَى أَمْوَهُ مَكْرُهُ، الآية، وتفسيرها والإحالة على بعض البيان فيها، مع ذكر أوجه الإعراب في قوله: (أمرًا) وبيان الجيد منها

قوله تعالى: إِنَّا كَانَ مُرْسِلِينَ، وَرَحْمَةَ مِن رَّبِّكِ، والإحالة على البيان السابق

قوله تعالى: لَمْ نَوَّأَعْنَاهُ وَقَالَ أَمَامُهُ مَعْلُومٌ، والإحالة على إيضاحها

قوله تعالى: وَجَاهَامُ رَسُولُ سَمِيعٍ، أن أدعو إلى عبادة الله، والإيات المبينة لها مع إعراب وبيان ما يحتاج إلى ذلك

قوله تعالى: وَلِيْلَكُمْ هُدَيَّةٌ وَرَبِّكُمْ الآية، والإحالة على بيانها

قوله تعالى: كَذَلِكَ أَورَثْنَاهُمَا قُوَّةً مُّخْرِجينَ، والآيات الموضوعة لها مع الإحالة على بعض البيان

قوله تعالى: وَلَدَخْلُ الْيَتِينِ إِسْرَئِيلَ مَنْ أَذَّبَ أَمْلَادَ الْمُهْيِنِينَ الآيات، والآيات الموضوعة لهما
أضواء البيان

قوله تعالى: "ثم صُبِّنَ فِي رَأْيِهِ مِن عَدَابٍ أَلَّهِمْ،" والإجابة على البيان السابق

346

قوله تعالى: "فَإِنَّمَا يَمْنُرُنَّكُم بِسِلَاتٍ لَّكُمْ يَدْخُلُونَ" والإجابة على بيانها

347

سورة الجاثية

قوله تعالى: "إِنَّ فِي آيَاتِنَا لَا يَزِيدُ اللَّهُ قَلْبَ مَن كَرَّ،" الآيات، والبراهين

الستة من براهين التوحيد الدالة على عظمة تعاليم المذكورة في هذه الآيات، والآيات المبينة لها

351

تينيه: البارهين الثلاثة الدالة على البث، والآيات المبينة لها

قوله تعالى: "لَيْكَ مَا كَانَ إِلَّا تَأَوْلًا لَّهُ للَّهِ،" والآيات المبينة لها، مع بيان

معنى إطلاق (تلك) في هذه الآية والمراد بها القرب، والاستدلال عليها

بالشواهد العربية والإجابة على دفع إيهام الاضطراب، وبيان معنى

الإجراءات لفظ (الآية) في القرآن، واللغة العربية، والاستدلال عليها

359

بالشواهد العربية

قوله تعالى: "فَأَيُّ جَيْبٍ مِّن دُونِ اللَّهِ، كَبَارٍ يَعْمَمَونَ،" الآيات، والآيات

الموضحة لها مع الإجابة على بيان سابق، وأن البشرية ربما أطلق على

السوء، والإجابة على بيان ذلك بشواهد العربية، مع بيان أوجه القراءة

في هذا الحرف، وبيان عراب بعض المفردات

المعنى:

363

قوله تعالى: "وَإِلَّا عَلَّمَ مِن مَا يَبْشِرُنَّكُمَا،" الآية، والآيات المبينة لها، وبيان

أوجه القراءة فيها، وبيان الفرق بين عذاب الكافرين، وعذاب عصاة

المسلمين

366

قوله تعالى: "مَن رَأَيْتَهُمْ جَهَّزْنَاهُمْ لَا يُفْتَنُونَهُمْ مَا كَبَبَأَشْيَا،" الآية، والآيات

المبينة لها وتحديد أن معنى (أمام) هنا وراء، والإجابة على الشواهد

العربية الموضحة لذلك، والغناية التي في مادة "غنى" والشواهد العربية

الدالة على ذلك

367
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: «هَذَا هُدًىٗ وَأَلْبَيِّنُ كَفُورًا وَكَبَّارًا» الآية، والآيات المبينة لها مع بيان معنى إضافي الهدي في القرآن، و إطلاق الفعل وصفًا بمعنى المفعل وأمثلة لذلك من القرآن واللغة العربية وبيان القراءات في هذا الحرف

قوله تعالى: «فَلاَ تَحْزَنُواْ مِن فِي جَهَالَةٍ» الآية، والإحالة على البيان السابق.

قوله تعالى: «فَمَن عَمِل صَالِحاً فَلَنَّ أُرْءِيهُ أُجْرًا فَاعْمَلُواْ» والإحالة على بيانها.

قوله تعالى: «وَتَفَطَّنْنَّكُمْ عَلَى الْكَلِمَةِ الْحَقِّيَّةِ» الآية، والإحالة على تفضيل أمه على جميع الأمم، وبيان عدم المعارضة بينهما وبين الآيات الدالة على تفضيل بني إسرائيل.

قوله تعالى: «فَمَا جَعَلْنَا عَلَى شَرِيعَةِ مِن الْأَمْرِ فَاتِعَاهَا» والإحالة على إيضاحها.

قوله تعالى: «وَلَا تَتَّخِذُواْ أُهُوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْقُومُونَ» الآيات المبينة لها، مع بيان أنه يخاطب والمراد به التشريع لأمه وإحالة على ذلك.

قوله تعالى: «وَإِنَّ الْأَلْبَيِّنَ بَيْنَهُمْ أَوْلِيَاءُ الْبَيْنِ» الآيات الموضحة لها، مع بيان أن الظلم هما بمعنى الشرك وأمثلة لذلك من القرآن.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ وَلَدَّ الْعَظِيمُ» الآيات الدالة على أن الله ولي المؤمنين، وأن المؤمنين أولياؤه تعالى.

قوله تعالى: «هَذَا صَبَرُ اللَّهِ وَهُدَى وَرَحْمَةُ مُّفَتَّحَتِينَ» والآيات الموضحة لها مع الإحالة على بعض بيانها، وإيضاح إشكال عرفي يرد على الإخبار بلفظة، (بصار) عن المبتدأ (هذا).

قوله تعالى: «إِمَّا حَبَسَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الْكِتَابَ» الآية، والإحالة على البيان السابق.

قوله تعالى: «أَفَرِيمَ يَمَاتِى إِلَهَهُ وَالْإِحَالَةِ عَلَى إِيَضَاحِهَا»
قوله تعالى: «سُمِّبَ إِلَى سَبِيلِهِ وَاتَّقُوا، وَجَعَلْ عَلَى بَصِيرَةٍ فَضِلَّةٍ» والإحالة على بيانها.

قوله تعالى: «وَقَالَ أَنَامَيْنِ إِلَى إِسْرَائِيلَ الرِّيْبُ وَالْمُبَيِّنُ» والآيات المبينة لها، مع الإحالة على بعض البيان.

قوله تعالى: «وَقَلَّبْتُمُ الْقُلُوبَ وَمَنَّاكُمْ بَصِيرَةٍ عَلَى مَثَالِ الْمَيْلَةِ» والإحالة على البيان السابق.

قوله تعالى: «فَأَطْلَقْتُكُمُ إِلَى كَيْبِي» الآية، والإحالة على بيانها.

قوله تعالى: «هَذَا كَنْتُمُ بِي نَظَرٌ» الآية، والإحالة على إيضاحها.

قوله تعالى: «وَقَالَ الْلَّهُ لَا يُؤَلِفُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يَسْتَعْمِرُونَ» والإحالة على البيان السابق.

قوله تعالى: «فَقَدْ كَسَبْنَاهُ زَمَزَمَ وَبَرَزَ الرِّيْبُ وَأَثْرَى الْمَعْلُوْمَ» والآيات الموضحة لها.

قوله تعالى: «وَلَهُ الْكِتَابُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» والآيات والحديث الموضحان لها.

سورة الأحقاف

قوله تعالى: «حَمَّتْنَا الْكِتَابَ مِنْ أَنْبَاتِ الْأَزْكَى لِتَكُونَ أَيْمَانِ الَّذِينَ كُفَّارٌ» والإحالة على بيانها وعلى بيان الحروف المقطع.

قوله تعالى: «مَا خَلَفْنَا إِنَاسَتٍ وَالأَرْضَ وَمَا بَنيَّنَا إِلَّآ إِلَيْهِ» الآية، والآيات المبينة لها مع بحث يتضمن الآيات الدالة على صحة معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً، وبيان الفرق بين من يستحق العبادة ومن لا يستحقها.

قوله تعالى: «وَأَلِينَاهُ مَا كَرَهُ عَمَّا كَرَهَ أُمُورُهُ الْخَيْرُ» والآيات الموضحة لها مع بيان معنى الإذار والإعراض، وإعراب (ما) من قوله: «عُمَّا أَذَرْوَاهَا».

قوله تعالى: «فَأَرَأَيْتَمَا مَا لَدَيْنَا مِنَ الْأَلوَانِ مَا خَلَفْنَا مِنَ الأَرْضِ» الآية، والآيات الموضحة لها، والإحالة على البيان السابق.
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: «وَمَنْ أَصِلَّ مَنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهَ مِنْ لاِيْسََّبِيْعَ لَهُمْ» الآيات، والاحالة على البيان السابق.

398

قوله تعالى: «وَإِذَا أَرَايْتَ عَلَيْهِمْ إِسْنَادًا بَيْنَّ اِبْنِ قَالَ اللَّهُ مَا كَرَّهُو لِلْمُلْقِيِّينَ» الآية، والاحالة على بيانها.

398

قوله تعالى: «أَمْ يُقْتُلُونَ أَفْتِرَتَهُمْ فَلْيُفْتِرُوا إِنَّ الْفَتْرَةَ» الآية، والآيات المبينة لها مع بيان أم في قوله: «أَمْ يُقْتُلُونَ».

399

قوله تعالى: «فَلَمَّا كَتَبْنَا عَلَى الْرَّسُولِ» والآيات المبينة لها.

401

قوله تعالى: «وَمَا أَرَى مَا يَعْلُو وَلَا يَبْكِرُ» والآيات الموضحة لها، وبيان أن التحقق في هذه الآية، أنه ما يذكر ما يفعل به ولا يفهم في دار الدنيا، وتوجيه ذلك والاستدلال عليه.

402

ذكر الخلاف في جواب الشرط والبيان الظاهر فيه.

404

قوله تعالى: «وَمَنْ هِدَيْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَئِيلَ إِلَى مُثَلِّهِ» وتحقيق أن المثل في الآية هو القرآن لا شيء آخر يماثله، والآيات الدالة على ذلك مع بيان أن الشاهد هو عبد الله بن سلام ويه قال الجمهور.

405

قوله تعالى: «وَقَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْذِّينَ آمَنُوا» الآية، والآيات الموضحة لها.

406

قوله تعالى: «وَقَدْ كَتَبْنَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ» والإحالة على بيانها.

408

قيله تعالى: «أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا آيَاتُ اللَّهِ اسْتَطْعَمُوا» الآية، والإحالة على بيانها السابق والبيانات أنواع الإذار.

408

قوله تعالى: «وَرَضِيتَنَا إِنَّكَ مُهْيِنٌ إِخْسَانًا» والإحالة على بيانها في هذا الحرف، والأقوال في إعراب (إحسانًا).

409

قوله تعالى: «حَلَّتُهُ آمَنَكَ وْقَسَمَتَهُ كَرَأ» والآية المبينة لها، وبيان أوجه القراءة فيها، وإعراب (كراء)
قوله تعالى: "وَحُمَّلْ وَقَسَّمَتْ ثَلَاثٌ شَهَرٌ" والآيات الموحدة لأمر الحمل
بدلاً الإشارة ............................................. 411
قوله تعالى: "قَالَ: "إِذَا أَلَقْتُ أَشْتُرَاهُ وَلَوْ أَرِبَّ مِنْ سَنَةٍ" والإحالة على بيانها ...... 411
قوله تعالى: "وَأَلْتَىٰ قَالَ لِوَلِدِيَّ أُيُوبَ ۖ لَكَمْ أَتَبَاءُنَّى أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِهِ" الآية، والإحالة على بيان بعضها، وبيان أن لفظ (الذي) هنا وإن كان مفرداً فمعناؤه الجمع، وذلك كثير في القرآن، وفي لغة العرب، والاستدلال عليه، ورد قول من قال إنها نازلة في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، مع بيان أوجه القراءة في هذا الحرف 411
قوله تعالى: "وَتَمَّ الْجَهَّاَنُ كَفَرْنَا عَلَى أَنْ يَعْمَنُ بِهِمْ بَيْنَكُمْ فِي غَيْبِ الْأَلْلَهِ" الآية، والآيات والأحاديث المتينة أنها خاصة بالكافرون، خلافاً لمن قال إنه ينبغي التصوف خوفاً من الدخول في عمومها، وبيان أن القلب الذي قال به بعض العلماء في قوله تعالى: "وَقَدْ كَفَرَنَّ الْأَلْلَهِ كَفَرَوْا" وإن كان وارداً في القرآن لا يجوز في القرآن إلا بدليل، وبيان أوجه القراءة فيها 415
قوله تعالى: "وَأَذَّكَرْ أَنَّاٰ إِذِ اذْكَرْتُمُ الْأَلْلَهَ الْأَحْقَافَ" والآيات المتينة لأحي
عاد في هذه الآية ............................................. 422
قوله تعالى: "أَلاَ تَعْبَرُوا إِلَى الْأَلْلَهِ إِنْ تَكُونُوا عَلَىٰ وَجْهٍ يَوْمُ يُبْعَثُونَ" والآيات
الموضحة لها ............................................. 422
قوله تعالى: "قَالُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا أَتَبَيَّنْنَا لَكُمْ ۖ إِلَىٰ أَيَّامٍ آخِرَةٍ" الآية، والآية المتينة لها 423
قوله تعالى: "فَأَيْلَغَنَّهُ مَا أَرْسَلْنَاهُ مِنْرَكْمِ كَفَرْنَا" الآية، والآية المتينة لها 423
قوله تعالى: "لَهُ مَا أَسْتَطَعَ مِنْهُ يَتَّجِرُ فِيهِ إِذْ يُبْدِي أَلْيَمٌ" والإحالة على
البيان السابق ............................................. 424
قوله تعالى: "وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِي وَجْهٍ إِنْ كَفَكَّنَّهُمْ فِيهِ" وبيان الوجه الراجح من
الأوجه الثلاثة التي قال بها المنسور في لفظة: (إن) في هذه الآية، والآيات التي تشهد لذلك، والإحالة على البيان السابق 424
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: "فَقَالُوا نَصْرُهُمُ اللَّهُمَّ أَعُدُّوا مِن دُونِ الله فَرَّبِيّكَ مَلِكَةً" الآية، 426

والأحاديث على البيان السابق

قوله تعالى: "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَىٰكَ نَفْرًةٍ مِنَ الْجِنْ يُبَشِّرُونَكَ الصَّرْعَانَ" الآية، 426

والأيات المبينة لها.

قوله تعالى: "يَقْرُونَ بِهِمْ دَارَ اللَّه وَكَمْ تَعْمِينَهُمْ" الآية، والايات المبينة لمفهومها، والآية الدالة على أن مؤمني الجن يدخلون الجنة، والرد على من قال: إنهم لا يدخلون الجنة

قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَتْحَلِّلْهُمْ" الآية، والإجابة على بيانها

قوله تعالى: "فَأَسْأَلْكَ كَمْ صَرَّفْنَا لأَيْلًا مِنَ الرَّسُلِينَ" والإجابة على تعيين أولي العزم، والآيتان الدالتان على أنهم ليسوا جميع الرسل خلافاً لمن قال بذلك.

قوله تعالى: "وَلاَ تَسْتَجِبُوا لَهُمْ" والآيات الموضحة لذلك.

قوله تعالى: "كَانُوهُمْ يَدْنُونَ مَا يَوْعَدُونَكُمْ لَمْ يَبْلُغُوا إِلَى سَائِلِهِمْ أَيْتَامَ" والإجابة على البيان السابق.

قوله تعالى: "يَلْفِغُ" والآيتان الدالتان على تفسيرها، وبيان الصواب في إعرابها ومعناها.

سورة محمد

قوله تعالى: "لَا تُقَلِّبْنَ إِلَّاٰ أَيْضًا عَن سَبِيلِ اللَّه أَسْتَفْلَحْتُمْ" الآية، والآيات الموضحة لها، والصواب في: صد، هل متعدية أو لازمة.

والإجابة على معنى الضلال في القرآن واللغة العربية.

قوله تعالى: "إِنَّا لَيَتَّبِعُونَ اللَّه وَإِلَىٰ أَقْبَابٍ يَخْلُقُ" الآية، والآيات الموضحة لها. وهل هي منسوخة أو لا، والآيات الدالة على ثبوت الملك بالرق، وسببه، والإجابة على حكم الملك بالرق، وإزالة الإشكال في ملك الرقيق، والرد على من يدعي نفي الرق في الإسلام مستدلاً بهذه الآية.

445
قوله تعالى: "قتلوا عوامي كلهم" إلا الله يصركم على الآية، والآيات المبينة لـه، وبيان صفات الذين وعدوا بالنصر، وأن غيرهم ليس له وعد من الله بالنصر، وبيان نصر المؤمنين لله.

قوله تعالى: "أظهر صفوك في الأرض ونظركم كيف كان عليكم في قريهكم" الآية، والإحالة على بيانها.

قوله تعالى: "وكذبوا الله وملكتهم الأمر في أمركم" الآية، والآيات الموضحة لها، وبيان أوجه القراءة في وقائع الإحالة على معناها وما فيها من اللغات مع الشواهد العربية.

قوله تعالى: "مثل المتنى رأي وعبيد المثنى التي أتىها من خير مائتين" الآية، والإحالة على بيانها وذكر بعض الآيات، والشواهد العربية الموضحة لها.

قوله تعالى: "ورغم ذي الركاب على النصارى" والآية المبينة لها.

قوله تعالى: "وبدع الله المعمرين" والإحالة على بيانها.

قوله تعالى: "فهل يرون إلا أن نعمة الله أن تأتيهم بعضها" والإحالة على البيان السابق.

قوله تعالى: "فأنا إذا جاءتهم ذكرهم" والآيات الدالة على معناها، والإحالة على إيضاحها.

قوله تعالى: "فؤا أدريت سورة مكية وذكر فيها الفساد" الآية، والآيات المبينة لها.

قوله تعالى: "ألا يبئسون حالات؟ أم على قول أفعالها" والآيات المبينة لها والآيات الدالة على ذم المعرض عن كتاب الله.

المسألة الأولى: ادعاء متأخري الأصوليين أنه لا يجوز العمل بالكتاب والسنة إلا للمجتهدين، وبيان عدم استناد دورهم إلى دليل، ومناقستها، وردها، وبيان الشيء الذي يتوقف عليه العمل بالدليل، والإجماع على منع العمل بالدليل مع الجهيل.
تنبيه مهم: المقدمتان اللتان بني عليهاما الاستغناء عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واستبدالهما بالمذاهب المدونة، ومناقشتهما، وردهما...

463

مناقشة الصاوي، والرد عليه في قوله: إنه لا يجوز تقول ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة، والحديث الصحيح، والآية، وأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر...

467

زعم كثير من النظار أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها غير لائقة بالله، لأنها تستلزم التشبه، ومناقشتهم في ذلك وسوق الأدلة على بطلان زعمهم هذا...

473

نصوص من كتاب أبي الحسن الأشعري يصرح فيها بأنه يقول في آيات الصفات وأحاديثها ما يقوله آثمة السلف وآثمة السلف، وأن تأويل الاستواء والاستيلاء، واليدين بالنعمة، وما في معناهما من الصفات، هو مذهب المعتزلة ومن ضاحاهما، ومناقشته ذلك، وإبالت ما هو الحق...

486

تنبيه مهم: زوال ما قد يتوهم من الإشكال بين صيغة الجمع في قوله تعالى: (يُخَلَّقُ الْعَرْجَةَ،) وبين صيغة الثقنية في قوله تعالى: (كَخَلْقَتْ)...

494

راجع بعض أئمة أهل الكلام المشهورين عن عقيدتهم إلى عقيدة السلف...

500

المسألة الثانية: شروط الاجتهاد عند متأخري الأصوليين، وبيان أنها لا تستند إلى دليل يجب الرجوع إليه، وأن نصوص الكتاب والسنة واردة...

509

بالإلتزام جميع المكلفين بالعمل بهما من غير تخصيص المجتهد من غيره...

516

المسألة الثالثة: التقليد لغةً واصطلاحًا، والمذهب لغةً واصطلاحًا عند الفقهاء، وأن التقليد لا يكون إلاً في المسائل الإجتهادية...

517

أقسام التقليد، ما يصح منها، وما لا يصح، وما خالف فيه المتأخرون المتقدمين من القرنين الثلاثة المفضلة، والاستدلال على هذه الأقسام، ومناقشتها، وبيان ما هو الحق...

519

 حصراً ما يمكن أن يستدل به المقلدون من الأدلة والحجج...

521
مناقشة حجج المقلدين وأدلتهم، والرد عليها بما يكفي المنصف في
بحث طويل جداً.

استدلال المقلدين على تقليدهم بقبول قول القاضف، والخارج، وتقليد
الأعمى في القبلة. إلخ، ظاهر السقوط.

استدلال العلماء على قبول قول القاضف بسرور النبي ﷺ من قول
المدلج في أعماله أوزيد.

الاكتفاء بقول الذابج، والبالغ ليس بتقليد أعمى وإنما هو عمل بالدليل
لحديث عاشية رضي الله عنها.

وأما استدلالهم على التقليد بأن الله لا كلف الناس كلهم الاجتهاد،
يضاعت مصالح العباد، فهو ظاهر السقوط.

تتبعات تتعلق بهذه المسألة.

التتبع الأول: اعتبار المقلنين بقضيتيهم ظنوهما صادقين وهما بعيدان
من الصدق.

القضية الأولى: ظنهم أن الإمام الذي قلدوه لا بد أن يكون قد اطلع على
جميع معياني الكتاب والسنة.

القضية الثانية: ظن المقلنين أن لهم مثل ما لإمامهم من العذر
في الخطا.

التتبع الثاني: اتفاق الأئمة الأربعة رحمهم الله على منع التقليد الأعمى
التتبع الثالث: دلالة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد بإجماعه من أهل
العلم على أنه لا يجوز لأحد من المقلنين للأئمة التقليد الأعمى أن
يقول: هذا حال ولا هذا حرام، وإنما يقول: هذا الحكم قاله الإمام الذي
قلدته أو أفقي به.

التتبع الرابع: الفرج بين الابتعاد والتقليد وأن محل الابتعاد لا يجوز
التقليد فيه بحال.

الأيات الدالة على تسمية العمل بالوحي اتباعًا لا تقليداً.

۹۲۲
شروط المجتهد عند الأصوليين لا يمكن جعلها في المتنع، والشرط الذي يصح اشتراكه في الاتباع
التنيبه الخامس: قول المقلدين: إن العمل بالكتاب والسنة، وتقديمهما على آراء الرجال من التكفيف بما لا يطلق، والرد عليهم الجاهل بالكتاب والسنة لا يجوز له العمل بهما باجتهاده، والواجب عليه تعلمهما وعدهم الإعراس عنهما، والعمل بما علم منهما علمأ صحيحاً.
بطلان دعوى الذي يقول إن تعلم الكتاب والسنة غير مقدر عليه، والآيات الدالة على أن ذلك قول الكفار، والرد عليه بالقرآن، وبالبيان قسمي المقلدين.
التنيبه السادس: اتفاق العلماء على أن الضرورة لها أحوال خاصة، تستوجب أحكاماً خاصة، والآيات الدالة على ذلك، وأن الضرطر للتقليد معدوم.
التنيبه السابع: في بيان موقف جميع المسلمين المنصفين من الأئمة الأربعة وغيرهم وحقيقة قولهم فيهم رحمهم الله.
التنيبه الثامن: في ذكر طرف من المسائل التي قال بعض العلماء أن الأئمة خالفوا فيها السنة، وبيان أن الصواب قد يكون مع الأئمة فيها، أو أن السنة لم تبلغهم فيها، أو بلغتهم وقدموا عليها ظاهر القرآن لتواتره.
فيه أرجح في ظنهم الزيدة على النص، هل تكون نسخاً أو لا، وذكر التفصيل في ذلك.
وجواز نسخ المتأثر بالأحاد.
المسائل الثلاث التي حلف عبد الحميد الصائغ المالكي بالمشي إلى مكة أنه لا يفتي فيها بقول مالك، رضي الله عنه، والراجح فيها.
التنيبه التاسع: الواجب على المقلدين أن يتبينوا للفرق بين أقوال إمامهم بما خرجه كبراء أصحابه على قواعده، وبين ما ألحقه المتتأخرون من الاستحسانات، وأمثلة لذلك.
النبي العاشر: في بيان بطلان دعوى متأخري الأصوليين من انقضاض الاجتهاد وسد بابه ومنع تقليد غير الأئمة الأربعة إلى مجيء المهاني المتزاح وبين تناقض دعواهم هذه، وذكر ما يؤدئ الدليل من ذلك .... 615

النبي الحادي عشر: أعلمنا أن ما عليه المسلمون يوم التفرق وتشكيك الكفار لهم في دينهم وتحكيم القوانين الوضعية سبب الأعراض عن كتاب الله وسبيل رسوله، واعتقاد الاستغناء عنهما بالمذاهب المدونة .... 617

قوله تعالى: "إني أذكروا علمنا أذكروا علمنا" والآيات الموضحة لها .... 618

مسألة: الواجب على المسلمين الحذر العام مما تضمته آيات سورة محمد هذه من الوعيد الشديد. قوله تعالى: "وَبْنِي مَعَزَّة* فَلْيَتْنَكُمْ ْمَيْلًا لِّلْمُجْهِدِينَ يَتَّخِذُونَ الْآيَةَ، والآيات الموضحة لها. مع إزالة الأشكال الذي قد يتوهم في قوله تعالى: "حَقَّ نَعَّمَا لِلْمُجْهِدِينَ" الآية. والآيات الموضحة لها .... 626

قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَادَفُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ" الآية، والآيات الموضحة لها .... 629

قوله تعالى: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" الآية، والإحالة على بيانها .... 631

قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَادَفُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ" الآية، والآيات الموضحة لها .... 631

قوله تعالى: "فَلاَ تَهْزَأوا وَتَرْجَعُوا إِلَى ٱلسَّلَّمِ" الآية، والآيات الموضحة لها مع بيان عدم التعارض بينها وبين "وَرَبِّنَا ٱجْعَلْ لَنَا مِنْ ٱنْصَارِنَا ٱلْمُجْهِدِينَ" الآية .... 632

قوله تعالى: "وَإِنَّمَا تَقْرَرْنَ أَنْ يَأْتِنَّكُمْ بِۖ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْإِجْرَاءُ" والإحالة على بيانها .... 635

قوله تعالى: "وَرَأَى ٱلنَّارَ وَأَنْصَمَ ٱلْقَصَدُ" والإحالة على إيضاحها .... 635

قوله تعالى: "وَلَيْنَ تَتَوَلَّوُا ۖ إِنَّمَا غَضِبْتُمْ عَلَيْهِمْ" الآية، والإحالة على بيانها .... 636
فهرس الموضوعات

سورة الفتح

قوله تعالى: "إن آتَخَذَنَّكُمْ فَتْحًا ثَانِيًّا" تحقيق المراد بالفتح في هذه الآية والاستدلال عليه مع الإحالة على بيان معنى اللام في قوله: «ليَعْفِرْكَ»

639

قوله تعالى: «إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ وَالْيَدَ الصَّالِحَةَ» والآيات المبينة لها

640

قوله تعالى: "وَلَيْسَ جَعَلْنَاكُمُ الْيَوْمَ بَرَاءُوا وَأَسْتَجِبْنَا عَلَىٰ بِنَاتِهَا" الإحالة على بيانها

640

قوله تعالى: «لَيْتَلَوْاْ وَلَتَطَوَّوْاْ الآيات» الآيات، وإيضاح معناها وبيان متعلق اللام في قوله: «ليَتَلَوْاْ وَلَتَطَوَّوْاْ»

641

قوله تعالى: "وَغْلَبَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ الآية، والآيات الموضحة لها

642

قوله تعالى: "إِنَّا أَرَسَلْنَا شَهِيدًا الآية، والآيات الدالة على شهادته عليه الصلاة والسلام على أمهه خاصة، وكونه بشيراً ونبياً لجميع الناس

642

قوله تعالى: "فَلَقَفَ بَيَاءَكَ لَكُمْ مِنِّي وَبَينَ وَلَدِي وَسَيِّيًا الآية، والآيات الموضحة لها

643

قوله تعالى: "فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رُسُولًا الآية، والآيات الموضحة لها مع بيان موضع إنزال السكينة

644

قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أُرَسِّلَ رَسُولًا بِالْهُدْيَةِ الآية، والأيات الموضحة لها

644

قوله تعالى: "مَتَلَقَّبُواٰ إِلَيْهِمْ الآية، والإحالة على توضيحها عن الآيات الموضحة لها مع بيان ما فيها من القراءات وتوضيحها بالشواهد العربية

645

سورة الحجارات

قوله تعالى: "يَا بَنِي آيَةَ اللَّاهِ أمَّا تَقَبَّلُوا أَيْتَمًا فَبِئْطَى اَلْوَسُوءُ وَالْزُّوْجُ الآية، والإحالة على إيضاحها مع ذكر أوجه التفسير وبيان الأصح منها

649
قوله تعالى: «يَكُونُنَّ اللَّهُ غَفُورًا غَيْرٌ مَّالِمٌ» الآية، والآيات الموضحة لها مع ذكر سبب نزولها وبيان بعض الفرق بينها

وبين الأنباء عليهم السلام في القرآن

مسألة: الأولى: في أن عدم احترام النبي ﷺ المشعر بالاستخفاف والاستهزاء ردة عن الإسلام وكرر الله، مع الدليل على ذلك...

المسألة الثانية: في بيان الفرق بين حقوق الله تعالى وبين حقوق عباده والآيات القرآنية الدالة على ذلك الفرق وما يكون عند السلام عليه ﷺ.

تنبيه: يجب على كل المسلمين صرف ما يشمله معنى العبادة لله وحده دون ما سواه...

قوله تعالى: «يَكُونُنَّ اللَّهُ غَفُورًا غَيْرٌ مَّالِمٌ» الآية، والآيات الموضحة لها من أواخر القرآن...

قوله تعالى: «وَلَن يَكُونَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ شَرِّيماً» الآية، والإجابة على بيانها...

قوله تعالى: «يَكُونُنَّ اللَّهُ غَفُورًا غَيْرٌ مَّالِمٌ» الآية، والآيات الموضحة لها مع بعض

الإجابة على بيانها...

قوله تعالى: «يَكُونُنَّ اللَّهُ غَفُورًا غَيْرٌ مَّالِمٌ» الآية، والإجابة على كيفية خلقه للذكر والأنثى...

مسألة: دلالة القرآن الكريم على أن المرأة الأولى خليفة من الرجل، وذكر الفوارق التي دل القرآن عليها، مع الإجابة على بعض مواضع أخرى، والرد على الكفرة وأتباعهم القاثرين بنسبية الرجل بالمرأة...

قوله تعالى: «وَمَعَالَكَا شُعُورٌ وَبِكَيْلٌ لِّتَعَافَيَا» والإجابة على إيضاحها مع ذكر الطبقات التي ينقسم الناس إليها من شعب وفخذ وقبيلة وغير ذلك...
الذكور منها في القرآن
قوله تعالى: "قال الأعراب: أشار إلى ألم توسطوا الآية، ذكر قول
المفسرين فيها واستظهر ما هو الظاهر منها مع ذكر الآيات الموضحة
لذلك، والفرق بين الإيمان والإسلام
قوله تعالى: "قل أصمعت الله يبين لكم الآية، والآيات الموضحة لها
قوله تعالى: "إني يعلم غيب السماوات والأرض" والإحالة على توضيحها
سورة ق
بيان أن المقسم عليه محذوف، وظهور كونه كالمقسم عليه المحذوف
في قوله: "فقال القرآن" وتقدم الكلام على ذلك في سورة ص
قوله تعالى: "قل جئوا أن جاءهم منذر منهم. قاتلوا الكفرن هلا أتى، يجيب الآية، وبيان أن المقسم عليه أن النبي صادق وأن رسله حق،
وأن من المقسم عليه تكذيب الكفار في إنكارهم البعث
قوله تعالى: "أقبل لنظروا إلى السماوات فوقهم كيف بنيتها ورستها وما لم بنو فروع" والآيات الموضحة لذلك، وبيان أن الهجرة في قوله: "أقبل لنظروا" تتعلق بمحذوف وأن النفاء عاطفة عليه
قوله تعالى: "والآيات مددتهما وَألْقِيَتْهَا فِي رَبِيعِهَا وَأَنْبَثَ فِيهَا مِن كَيْفِ ذِئْبُ البهيج الآية، والآيات الموضحة لذلك، وبيان معنى الزوج البهيج
وإعراب قوله: (بضرورة)
قوله تعالى: "ولا حِيْثَ مَدِينَتُهَا وَاللَّهُ يَغْلِبُوهَا وَأَنْبَثَ فِيهَا مِن كَيْفِ ذِئْبُ البهيج الآية، والآيات الموضحة لذلك، وبيان المعنى للزوج البهيج
وقوله تعالى: "كَأَمَّ كَذَا بُعْرَةُ خَفْتُ وَعِيْدَ" والآيات الموضحة لذلك،
وببيان عدم صحة ما قاله بعض أهل العلم من أن الله يصح أن يخلف وعده، واستدلالهم على ذلك بقول الشاعر: وإن وعدي وإن أوعدته... البيت.
وببيان أن ذلك في وعيد عصاة المسلمين خاصةً
قوله تعالى: «أَفَمَا يَذَّكَّرُ الْأَوَّلُ مِنْ حَلَقِ جَذَّابٍ» والآيات الموضحة لذلك

286

قوله تعالى: «وَلَمْ يُرَبِّى الْأَمْسِىَ وَالْيَوْمِ مَا تَوَسَّعَ بِخَالِقِهِ» والإحالة على

286

توضيح ذلك

قوله تعالى: «إِنَّبَلَغْتُ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ وَيَا أَيُّهَا الْأَوَّلُ» الآية، وبيان إعراب

287

وبيان تقديم مفعول (بِتَلَقِّي) المتذوق، ومعنى التلقي، والأظهر

288

في معنى القعيد

بيان حذف قوله: (قعيد) بعد قوله (عن اليمين)، للدلالة ما بعده عليه،

288

وبيان ذلك من شواهد اللغة العربية

تبنيه: أعلم أن العلماء اختلافوا في عمل العبد الجائز الذي لا ثواب

290

ولا عقاب عليه. هل تكتب الحفظة أو لا؟ إلخ

قوله تعالى: «أَلَمْ كَتِبَ فِي قُرْآنٍ مِنْ هَذَا نُكْسَتْ عَنْهُ غُطَاءُ أَلْسِنَةَ الْيَتِٰمِّيَّةِ»

291

والإحالة على بيان معناها

قوله تعالى: «يَسْتَكِبِرُ الْكَافِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أُكْسَيْتُمْ بِالْيَدَيْنِ بَالْخَلَأِ» وبيان اختلاف

291

العلماء في معنى الاستفهام والراجح من ذلك وبيان حقيقة كلام النار

والإحالة على توضيح ذلك

قوله تعالى: «وَأَرْفَعْتُ الْجَنَّةَ لِلَّذِينَ عَزِيدٌ» والآيات الموضحة لذلك،

293

وبيان إعراب (غير)

قوله تعالى: «قَمْ ثَمَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَرَيْمًا» وبيان المراد بالزبد هنا،

293

والإحالة على معنى الآية

قوله تعالى: «وَرَكَّزْتُ لَهُمْ فَيْنُحُوا مِنْ قُرْئَانِهِمْ أَنْتُمْ بَيِّنَّا وَتَقَمِّدْ الإحالة

294

على معناها

قوله تعالى: «وَلَمْ يُرَبِّى الْأَمْسِيَ وَالْيَوْمِ مَا تَوَسَّعَ بِخَالِقِهِ» والآيات الموضحة لذلك سابقاً.
قوله تعالى: {فأَصْبِرْ عَلَى مَا يَتَعْلَمُونَ وَسَيَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ قَبْلَ طَلَّوْعَ الْسَّمَّى وَقَبْلَ} 694
والآيات الموحية لذلك
قوله تعالى: {وَيْمُ يَنْسِمُونَ الْصِّيَاحَةَ بَالْحَيٍّ ذَلِكَ وَيْمُ الْخُضُرِ} 695
والإجابة على معناها
قوله تعالى: {وَيْمُ تَقْصُرُ الأَرْضَ عَنْهُمْ سُرَارًا ذَلِكَ حُيْرَ عَلَيْنَا وَبَسَرَ} 695
والآيات الموحية لذلك
قوله تعالى: {وَماَأَسَأَتْ عَلَيْهِمْ يَجْبَلُ} 696
والإجابة على توضيحها سابقاً
قوله تعالى: {فَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ مِنْ يَتَعَفَّفُ وَيَتَعَفَّفُ} 696
والإجابة على توضيحها سابقاً

سورة الاذاريات

قوله تعالى: {وَالْذَّارِيّتْ ذَرُو} 699
إلى قوله: {أَلْيَتْ} 699
والتحقيق في معنى الذاريات والحاملات والجواريات والمقسمات وشواهد ما ذكر من القرآن ولغة العرب، والاختلاف في (ما) من قوله: {إِنَّمَا تَوَعَّدُ} 699
هي موصولاً أو مصدرية والعين السؤالية لمعنى الآية
قوله تعالى: {وَإِنَّ ذَٰلِكَ تُمْكِنُ} 703
إلى قوله: {مَثَّ أُولٌ} 703
وبين ما يوضح ذلك، واختلاف العلماء في معنى الحبك، وما يشهد لأقوالهم من لغة العرب والقرآن
قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَفَقِّينَ فِي جَنَّتٍ وَجَهْرٍ} 706
والآيات الموحية لذلك ودلاليها بالإيماء والتتبه ئه على أن سبب نيل هذه الجنتين والعيون هو تقوى الله
وقوله تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ إِلَّا آلهَةَ} 707
وفي النشاز ولا سيما نبهُودون
وبين اختلاف العلماء في الإجابة على معناها في أول سورة الجاثية
وقوله تعالى: {وَفِي الْآفَى زَكَّارِينّ وَمَا نُعْرِضُونَ} 707
وبين اختلاف العلماء في المراد بكون رزق الناس في السماء وإيضاح قول كل طائفة بما يشهد
لقولها من القرآن، والإحالة على الآيات المعينة لها في سورة المؤمن
والمراد بما يعانون .
قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنَذَكَّ مِثْلَ عِبَادِي الَّذِينَ فَضَلْنَاهُمُ الْكَبْرَىٰ إِذْ دَخَلُوا عَلَيهِمْ فَقَالَوا﴾
و الإحالة على إيضاحها
قوله تعالى: ﴿وَأَرْنَاهُ مَا عَلَى الَّذِينَ يُؤْتُونَ النَّظَرَ الْأَلْفَى﴾، والإحالة على إيضاحها
قوله تعالى: ﴿وَلَا أُضْرِبُوا بِبَيْنَهَا أَيْبَةً وَأَمْوَيْعَاً﴾، والإحالة على بيانها...
تبيه: قوله: ﴿وَالْأَلْفَى﴾ ليس هذا من باب آيات الصفات، وفيه معنى البديع وتصريفها ووزنها بالميزان الصرف.
قوله تعالى: ﴿إِذْ دَعَوْا مَعْنَىٰ أَقَذَّرُوْهُمْ﴾، والإحالة على ما يوضح ذلك...
أو: ﴿أَقِدَّرُوْهُمْ﴾ أو ﴿أَقِدَّرُوْهُمْ﴾.
قوله تعالى: ﴿فَوَعَلَّمُوهُمْ﴾ ﴿فَوَعَلَّمُوهُمْ﴾، والإحالة على ما يوضح ذلك...
آيات الموضحة لذلك...
قوله تعالى: ﴿زِدْ ذُكَّرَ إِنَّ الْذَّكَّرَ يَنْتَفِعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والآيات الموضحة لذلك...
قوله تعالى: ﴿وَمَا كَلَّفْتُ أَيْمًا وَلَا إِلَى إِلَهٍ إِلَّا يَلَجُّوْنَ﴾، وإختلاف العلماء في المراد بقوله: (إلا ليعبدون) وإيضاح معنى ذلك إلخ، والآيات الموضحة لذلك...
تبيه: أعلم أن الآيات الدالة على حكمة خلق الله السماوات والأرض وأهلها وما بينهما يظن غير المتأمَل أن بينها اختلافًا والواقع خلاف ذلك إلخ...
الإحالة على معنى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ يَلْيَبِدُونَ﴾ في دفع إبهام الاضطراب في سورة هود عند قوله تعالى: ﴿وَلِدَكُمْ خَلَقْنَاهُمْ﴾.
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: «ما أرَدُّتمُونَنَّ رَيْطًا وَمَا أرَدُّتُمُونَنَّ بَلْ أَمَّنَّى أَنْ تُمَكِّنُونَ» والاحتمال على بيان معناها.

قوله تعالى: «إِنَّ الْيَتَّمَّينَ ظَلَّماً ذَوَابًا يُمَلِّ يُذَوَّبُ أَصْحَابُهُمْ فَلاَ يُسَمِّيَنَّ» ومعنى الذنوب وسبب إطالة على الدلو والآيات الموثقة لذلك.

قوله تعالى: «فَوَيَلَّ الْيَتَّمَّينَ صَفَرًا مِّن يَوْمِهِمْ أَلَّذِي يُؤْعَدُونَ» والآيات الموثقة لذلك، وبيان معنى الويل.

سورة الطور


وشواهد ذلك من العربية.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَعْقُوبُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا هَذِهِ الْأَنْبَارُ الَّتِي كَسَبَّ يِهَا» تَكْبِيْرُونَ والآيات الموثقة لمعناها ومعنى الدع لغة.

قوله تعالى: «أَصْلُوهَا فَأَصَفَّرُوا أَذُ لَّا تَصْرِيجُوهَا سَوْاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّا نَجِزَنَّكُمْ مَا كَسَبْنَ» تَعْمَلُونَ والآية الموثقة لذلك.

قوله تعالى: «كُلَّ أَمْرٍ يَا كَسَبُ رَحْمَتُونَ» والآية الموثقة لها وبيان أن التخصيص بيان.

قوله تعالى: «وَأَمَّدُنَّهُم بِذَكْرَيْهَا وَلَحُورًا مَا يَبْتَغُونَ» والآيات المهيئة لها.

قوله تعالى: «دَخَلَهَا فِيهَا كَسَبَّاً لَا يَعْفُونَهَا وَلَا كَفَّارَةٍ» والآيات المهيئة لهذا المعنى وبيان التنازل وبيان أن الكأس مؤنة.

قوله تعالى: «وَطْبُفُ عَلَيْهِمْ عَلَمَانِ أَلْهَمُ كَأَنْ تُنَكِّرُونَ» والآيات الموثقة لذلك.

من حروف التعليل.
قوله تعالى: «فَأَفَلَا يُقَدِّرُونَ نِعْمَتَنَا ۛ وَۚ أَلَمْ يَتَّقُوا ۛ أَمْ يُؤْتُونَ سَاعًٰرٍ»
قوله تعالى: «فَايْفَأُوا وَأَعْظِبُوا ۛ إِنَّ كَانَوا أَصِيبَتِينَ»
» 
معناها.

قوله تعالى: «ۚ أَمْ شَيَاءٌ مِّن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلْقُونَ»
» 
معناها.

قوله تعالى: «ۚ أَمْ لَمْ يَقُولُوا أَمْ سَأَلَّهُمُ الْكَبُرَاءُ»
» 
معناها.

قوله تعالى: «ۚ أَمْ لَمْ يَقُولُوا أَمْ سَأَلَّهُمُ الْكَبُرَاءُ»
» 
معناها.

الإحالة على ما واضح.

قوله تعالى: «ۚ أَمْ لَمْ يَقُولُوا أَمْ سَأَلَّهُمُ الْكَبُرَاءُ»
» 
معناها.

قوله تعالى: «ۚ أَمْ لَمْ يَقُولُوا أَمْ سَأَلَّهُمُ الْكَبُرَاءُ»
» 
معناها.

إحالة على ما واضح.

قوله تعالى: «ۚ أَمْ تَنْظُهُمُ أَجْرًا فِيهِنَّ مَعْمَرًا مُّقْفُوتًا»
» 
وبيان الإحالة على ما واضح.

قوله تعالى: «ۚ أَمْ لَمْ يَقُولُوا أَمْ سَأَلَّهُمُ الْكَبُرَاءُ»
» 
معناها.

الإحالة على إيضاح ذلك.

قوله تعالى: «ۚ أَمْ لَمْ يَقُولُوا أَمْ سَأَلَّهُمُ الْكَبُرَاءُ»
» 
معناها.

الإحالة على إيضاح ذلك.

قوله تعالى: «ۚ أَيُّهُمَا أَرَى عَدُوًّا عَدَّاءً ۛ ذَٰلِكَ وَٰلَكِنْ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ»
» 
والآيات الموضحة لمعناها.

سورة النجم.

قوله تعالى: «ۚ وَأَلْجُرُ حَذَا هُوَ ۛ مَمَّا سَلَّ سَأْمَرَ وَمَا غَيَّرَ ۛ وَمَا يَنْطَفِقُ عَنْهُ ۛ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذَٰلِكَ الْحَيُّ ۛ وَالآيات المبينة لذلِكَ، واختلاف العلماء.
» 
في معنى النجم المذكور في الآية.

الأظهر في المراد بالنجم والمراد بمواقع النجوم.

قوله تعالى: «ۚ عَلَّمَهُمْ أَنْ شَيدَ الْأَفْقِرَ»
» 
والآيات المبينة لذلِكَ، وبيان أن القرآن كلام الله بالفاطحة ومعانيه.

قوله تعالى: «ۚ سَأَرَى الْيَوْمُ وَمَا كَتَبْنَا ۛ وَبِبِلَّةِ ۛ إِنَّ الْإِحَالةَ عَلَيْهَا»
» 
وبيان الإحالة على ما واضحها.

932
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: "الجَرَّاءُ الآتِيَّةُ (ت) إِلَيْهِ إِذًا فَسَأَلْتُمُ الْغَرَابِ"، والإحالة على

749

إيضاحها

749

قوله تعالى: "بِلَّا الْعَرَبُ وَالْأَوَّلُ (ت)"، والإيات الموضوعة لها

749

قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ مَا فِي السَّمَوَاتِ لَا تَخْفَى شَفَاعَتُهُم مِّنَ اللَّهِ "،

749

والإحالة على بيانها

749

قوله تعالى: "إِنِّي لَا يُؤْمِنُونَ بِالْجَوَابِ لِسَمَوَاتِ الْخَلْقِ تِنْبَتُ الآتِيَّةُ (ت)",

749

والإحالة على بيانها

750

قوله تعالى: "وَلَا يَقُولُوا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَخَيَّرُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ "،

750

الآية، والإحالة على بيانها

750

قوله تعالى: "أَلَمْ يَكُنْ كَثِيرٌ الْإِنْهارُ وَالْفُجُوشُ إِلَّا أَلْسَمُ "، والإحالة على

750

بيانها

750

قوله تعالى: "إِنَّا نَعُوذُ بِمَا لا شَجَرُوا أَنْ يَقَالَ لَهُمُ الْأَنْجَيَ "، والإحالة على بيانها

750

قوله تعالى: "أَمْرُ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مَعَ اللَّهِ مُشْرِكَةً (ت) "، إلى قوله:

750

"الجَرَّاءُ الآتِيَّةُ (ت)"، والإيات الموضوعة لذلك واختلاف العلماء في هذا

750

الموضوعة لذلك واختلاف العلماء في هذا

750

الجمع بين قوله تعالى: "وَأَن لَّي نَّبِيَّ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعِنَ (ت) "، وبين قوله:

754

"وَلَا نَبِيَّ كَلا مَعْلُومٌ إِلَّا مَا دَرَّجُوهُ "، والإيات

757

الموضوعة لذلك واختلاف العلماء في هذا

758

قوله تعالى: "وَأَنَّهُ اهْزَى عَلَى النَّزِيرِينَ (ت) "، والإحالة على بيانها

758

قوله تعالى: "وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأَوَّلُ (ت) "، والإحالة على

758

الإيات الموضوعة لها
قوله تعالى: "وَمَا كَانُوا هُمْ أَلْقَا حَيْثُ شَاءُوا١٠٩٩۱٨٩١٨٩٠٨٩٠" والآيات المبينة لمعناها

قوله تعالى: "وَبِمِلَّاتِ الْقُرْآنِ" والآيات الموضحة لمعناها

المؤتفقة

قوله تعالى: "أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ نَذَاكُرًا" والإحالة على بيانها

قوله تعالى: "فَهِدْنَاهُ إِلَى الْبُنيَّةِ" والإحالة على بيان معناها

سورة القمر

قوله تعالى: "أَقْرَبُ لِلْمُسَأَّلَةِ" والإحالة على بيانها

قوله تعالى: "يَلَوَّنُ الْأَرْضَ ابْتِزَازًا" والإحالة على بيانها

قوله تعالى: "يُمُرُّونَ بِالْكَحْبِ مَرَّةً مِّنْ آخِرِيهَا كَأَنْ هُمْ لَيْدَاءُ مِنْهُمْ مُّهِتَّمُينَ إِلَى الدَّارِ" والإحالة على بيانها

قوله تعالى: "يَقُولُ اللَّهُ مَثَّبَتًا لِلْمُتَّقِينَ" والإحالة على بيانها

قوله تعالى: "فَذَٰلِكَ أَيُّكُمْ لَيْدَاءُ فَاتَّنَصَّرُواً الآية، والآيات الموضحة للكثير وعوام بفتننا بالتشديد من السبعة. وبيان منقرأ (عيبونا) بكسر العين

قوله تعالى: "وَخَلَّتْهَا عَلَى ذَاتِ النَّارِ وَذَمَّرَ" والآيات المبينة لمعناها

قوله تعالى: "وَلَقَادْ تَرَكَهَا تَأَقَّفَ فِيهَا مُذَكِّرًا" والآيات المبينة لذلك

قوله تعالى: "وَلَقَدْ يَسِرَّنَا لِلذَّكْرِ فَهَٰذَٰلِكُمْ مُّذَكِّرًا" والإحالة على إيضاحها

قوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَاهُمْ رَسَالَةً سَرِيرَةً فِي قُرْآنٍ مُّبِينٍ" والإحالة على بيانها

قوله تعالى: "فَقَالُوا أُبْسَرُوا وَجِدُوا أَكَثَّرَهُمْ الآية، وَأَلْقَى الْأَذْكُرُ عَلَيْهِمْ بِبَيْنَاهَا الآية، والإحالة على بيان معانيهما.
قوله تعالى: "إِنَّا مَرْيَمُ بْنَ لَيْلَةَ بْنَ بَلَيْلَةُ فِي نَفْسِهَا فَهُمُ وَالآيات الموضحة لها وإعراب

(فترة)

قوله تعالى: "وَمِنْهُمْ أَنَّ الَّذِيَانَ قَدْ بَنَاهَا شَرَّٰيْرُ تَعَضَّرُونَ" \(1\) والآيات الموضحة لها

قوله تعالى: "فَبَلَّأَهَا وَفِي مَحْرَابِهَا هَذَا" \(2\) وبيان أن هذه الآية تزيل إشكالة معرفة حيث إن الله أقسم العقد تارة لواحد وأسند تارة إلى ثمود كلهم في آيات متعددة، إلى آخر الكلام

قوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَاهُمْ سَبِيلًا وَدِيدًا وَإِلَىٰ بِيَانِها قَالَ الْقَرَأَةُ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاضِباً إِلَّا أَلَلَّهُ لَوْ تَجَلَّىَتْنَاهُ يَسْحَرُ"\(3\) والإحالة على بيانها

على بيانها

قوله تعالى: "وَلَعَدَّجَهَا مَالُ قَرَأَةِ الْبُطُورِ" \(4\) كَذَٰلِكَ لَا يَدْخِلُهَا أَحَدُ عَرِيفٍ مَفْتَرِيْهِ" والآيات الموضحة لذلك وأجوبة العلماء عن جمعه للنذر هنا مع أن آل فرعون جاءهم موسى وهارون من النذر، وإيضاح ذلك:

قوله تعالى: "كَأَفْرَأَيْتُ أَلْفَادِي خَذِيْلَكَ"\(5\) والإحالة على بيانها

قوله تعالى: "يُؤْمِنُونَ فِي الْآيَاتِ عَلَى وَجَوْهِهِمْ ذُوقَانًا مُّسَبِّرًا"\(6\) والإحالة على بيانها

على بيانها

قوله تعالى: "إِنَّا كَلِمَنَّ هَذِيَّةُ مَفْتَرِيْهِ"\(7\) والإحالة على بيانها

قوله تعالى: "وَكَلَّمَنُوْهُ فِي الْرَّحْيَةِ وَكَلَّمَ سَيْفُهُ وَكَبْرَ مُفْتَرِيْهِ"\(8\) والآيات الموضحة لذلك

قوله تعالى: "إِنَّفَتْقَانَ فِي جَنَّٰتٍ وَمَصْرًٰمً"\(9\) وتوضيح ذلك

سورة الرحمن

قوله تعالى: "أَلْحَمُونَ " عِلْمَ الْقُرْآنِ"\(10\) والآيات المبينة لمعناها

التحقيق أن المحدث من مفعولي (علم القرآن) هو الأول لا الثاني كما ظنه الفخر الرازي

780

783

786

789

792

824

827
قوله تعالى: آللّٰهُ مَلِّيٓكُمُ ۖ إِنَّكُمْ لَحَقُّوٓاً لِّلَّهِ ۖ وَالآيَاتُ المِبَيِّنَاتُ لِلْيَهُودِ ۖ ۗ وَالآيَاتُ المُبْتَهِلَاتُ لِلْمُنَّةِ ۖ ۗ وَالآيَاتُ المُبِينَاتُ لِلْبَيَانِ

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمْرُ وَجُنُّٓا﴾ ۖ والآية الواضحة لبيانها

قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْكَبِيرِ﴾ ۖ والإحالة على بيانها والتحقيق

في المراد بالنجم هنا وشواهد ذلك من العربية

قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْكَبِيرِ﴾ ۖ والإحالة على

إيضاحها

قوله تعالى: ﴿وَأَيْمَنَا الْوَرْزَقُ بِالْبَيْنِ ۗ وَلَا تَخَيَّرُوآ إِلَيْهِمْ﴾ ۖ والإحالة على

بيانها

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعُّها لِلْكَافِرِينَ﴾ ۖ فيها فكهة والانحلال ذات الأكاديم، واللطب والتصريف والترميم ۖ والإيماض والآيات المبينة لها، وبيان معنى العصف والريحان، وما فيهما من القرآن، ومسألة: أخذ بعض علماء الأصول من هذه الآية وأمثالها من الآيات أن

الأصل فيما على الأرض الإباحة حتى يرد دليل خاص بالممنع.

تبيه: علم أن علماء الأصول يقولون إن الإنسان لا يحرم عليه فعل شيء إلا بالدليل من الشرع، ويقولون إن الدليل على ذلك عقلي وهو البراءة الأصلية، ونحن نقول إنه دلت آيات من كتاب الله على أن استصحاب العدم الأصلي قبل ورود الدليل الناقئ عنه حجة في

الإباحة.

إليه.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَلْبَابِ مِن صَلْدِينَ كَالْقُرْصَانِ﴾ ۖ وإلَّا ذَلِكَ عِنْ الصَّالِحِينَ من

خُلُقُ الْجَانِ ۗ مَالِحُجُّ مِن نَّارٍ﴾ ۖ والإيماض الواضحة لبيانها والاختلاف في المراد بالجان

قوله تعالى: ﴿رَبِّ النَّارِ وَرَبِّ الْقَبْدِ﴾ ۖ والإحالة على ما يوضحها

قوله تعالى: ﴿مَنَفْلِي الْبَيْنِ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّمَا يَرْحَبُ لَا بِيْكِينَ﴾ ۖ والإحالة على

إيضاحها
فهرس الموضوعات

قوله تعالى: "بَيْنَا الْمَلِئَةَ وَالْمِلْيَةَ" ويطلان قول من قال إن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من الملح دون العذب والإحالة على

799

إيضاح ذلك

801

قوله تعالى: "وَلَدَّمْنَـَْٓا النَّسَاءَ فِي الْبَـَْٓحِرِ كَالْمُنْطَقَهِ" والإحالة على إيضاحه

قوله تعالى: "كَلِمَّ مِنْ عَلَـِّـٔهَا قَالَ ۖ وَعَـَّـٔكَ وَجَعْـَـٔكَ دَوْرُ ٱلْمَـَـٔلِئَّةُ وَٱلْمِلْيَةُ".

والأيات الموضوعة لذلك

قوله تعالى: "يَتَّقُمُّرُ الَّذِينَ إِنْ أَسْتَطَعُّمَ ۖ" الآية، والاحالة على

إيضاحها

قوله تعالى: "فَإِنَّ أَنْفَقُوا أَمْسَىَ فَكَانَ فَرَّادَةُ كَالْمِكْرَانِ"، وخلاف العلماء على قولين في معنى الدخان وحقيقة الفرق بينهما والأيات الموضوعة لذلك

802

قوله تعالى: "فَمَّا يُنْفَقُ لَيْسَ عَلَى ذَٰلِكَ إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْفَوْقَانِ" والآيات المبينة لذلك، والآيات الموضوعة لذلك

804

قوله تعالى: "فَوَرَّطْ لَهُمْ لِتَسْتَطِيعُوهُمْ" والإحالة على طرف من ذلك

والأيات الموضوعة لمعناها والإحالة على بعضها

806

قوله تعالى: "هَذِهِ أَجْهَلُ أَلِمَ ۖ يَكُونُ يَا ٱلْمُجَرَّمِينَ" يطوفون بينها وتفاعهما

807

"ٱلْمَـَـٔلِئَّةُ وَٱلْمِلْيَةُ" والإحالة على بعضها

قوله تعالى: "وَلَمْ يَأْمَنُ مِقَامُ رَبِّكُمْ ٱلْجَنَّةَ" والآيات الموضوعة لذلك، والبيان أن المؤمنين الخائفين مقام ربه من الجن يدخلون الجنة

807

قوله تعالى: "مَنْ يَكْبُرُ عَلَى فَوْقَتِهِ ۖ أَيْنَ تَفْتَرَ ۖ إِنْ يَسْتَيْقِنُونَ" والإحالة على إيضاحها

808

قوله تعالى: "فَهَـِٓذِينَ قَـِٓضَى أَرْضُهُمْ" والإحالة على بيانها

809

سورة الواقعة

قوله تعالى: "إِذَا وَقَعَتْ ٱلْوَاقِعَةُ" لَسْ تُقَـِٓضَى أَدْخِلُوا ٱلْجَنَّةَ والآيات الموضوعة لذلك والصواب في إعراب إذا من قوله: "إِذَا وَقَعَتْ" وكذلك إذا من
قوله: "إذا رجعت الارض" وذكر الأوجه الواردة في تفسير (ليس لوقفتها كاذبة) وأن كلها حق. 

قوله تعالى: "خفاضة رائعة" والآيات الموضحة لمعناها، والاختلاف.

العلماء في معناها، 

التحقيق أن سير الجبال المذكور في قوله تعالى: "وِيَوْمَ يَرْسَلُ الْمِلَّاتْ" يوم القيامة.

قوله تعالى: "إذا رجعت الأرض ربا وثبت الجبال با" فكان هناك ثمبا والآيات الموضحة لمعناها والإحالة على بعضها والوقوف على معنى بست وشاهد ذلك من العربية. 

قوله تعالى: "أوكم أن تجتازوه" والآيات الموضحة لمعناها وبيان أن (كتم) بمعنى صرتم، وشاهدتى من لغة العرب، واختلاف العلماء في معنى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

قوله تعالى: "قلل من الأولين وقليل من الآخرين" وخلاف العلماء في المراد بالأولين والآخرين واختلافهم أيضا في المراد بهما في قوله: 

قال مفتيده عفاف الله عنه وغرف له: ظاهر القرآن في هذا المقام أن الأولين في الموضوعين من الأمم الماضية والآخرين فيما من هذه الأمة. إلخ.

قوله تعالى: "على سرير موضعية متكبين عليها معهيبة" والآيات الموضحة لذلك مع بيان معنى الوضوء، والشواهد المبينة لذلك.

قوله تعالى: "يطرف عليهم وليست حنظلة" والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: "كأسين يمنين لا يصذعون عنهما ولا يفركون" والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: "وأراك بيئة يتضررت وذكر طريق بيعت كشرون" والإحالة.

على ذلك.
قوله تعالى: "وَجُرِّبْ عِينَيْكَ ۚ كَأَسْتَعَلَى اللَّهُ عِينَكُمُّ ۚ وَالآيَاتِ الموضّحة ۙ لِلذِّلِّى ...

قوله تعالى: "لَا يُسْمَعُونَ إِلَّا نُوحًا وَلَا يُذْكَرُونَ إِلَّا قِيلًا سِنَنًا ۚ وَالإِحَالَة ۙ عَلَى ذَلِّلِي...

قوله تعالى: "وَظِلَّ مَتَّى مَدْرَمٍ ۙ وَمَا تَمَّكَّنَّا إِلَّا كَبِيرَةٌ ۚ مَقْطُولَةٌ وَلَا ۙ مَمْوَعٌ ۙ وَالآيَاتِ الموضّحة لِلذِّلِّى...

قوله تعالى: "إِنَّ أَيْشَانُهُمْ إِنَّهُ ۚ فَعَلَّهُنَّ أَبَأَاكُمُّ ۚ مِنْ أَرْأَآءِهِ ۚ لَا أَصْحَبُ ۙ وَالآيَاتِ الموضّحة لِلذِّلِّى، وَبِبَيْنَ الْخَلَافِ فِي مَرْجِعِ الْبَسِيرِ فِي قُوَّةِ (أَنْشَأَةِنَهُم)، مِعَ بِبَيْنَ الْقُرْآنِ فِي قُوَّةِ (عِربَةٍ)، وَبِبَيْنَ َالشَّوَاهِدِ المَيْتَى لِلذِّلِّى...

قوله تعالى: "وَأَنْفُقُ ۗ هُكَّامُ مَا أَنْفُقُ ۡهُمْ ۙ فِي ضَيْعٖ وَجَمِيعٖ ۚ وَظِلَّ مَتَّى ۙ وَدِلْوَانٌ مَيْتٌ وَالإِحَالَةَ عَلَى ذَلِّلِي...

قوله تعالى: "إِنَّهُمْ كَانُوا أَنْفُقُ ْكِتَابَهُمْ عَلَى ۗ عُمُروٍ ۙ وَالإِحَالَةَ عَلَى ذَلِّلِي...

قوله تعالى: "وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيْضًا مَعْنَا وَكَانُوا شَرَابًا ۗ وَقَدْ قَالُوا أَيْضًا ۗ مَعْنُوَانِ ۙ وَالآيَاتِ الموضّحة لِلذِّلِّى، مِعَ بِبَيْنَ الْقُرْآنِ فِي قُوَّةِ (أَرَابَاَْنَا)، وَبِبَيْنَ الأُوْجَةِ الَّتِي فِي هَمَّةِ كالْإِسْتَفْهَامِ إِذَا جَاءَتْ بَعْدًا وَأَعَطُوهَا، وَرَجُوُنا عَنْ تَقْدِيمِ بَعْضِ الأُوْجَةِ فِي هَٰٓا وُصْرَانَ إِلَى غَيْرِهِ، وَالشَّوَاهِدِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِّلِي...

فَتَنَبِّئُهُمْ جَدًّا: فِي مَنْعِ الْقِرَاءَةِ ۖ بَالْهَاءِ الْخَالِصَةِ فِي الْهَمَّةِ الْثانِيَةِ مِنْ قُوَّةِ (أَيْضًا مَعْنَا) ۚ وَأَمَامَّهَا فِي الْقُرْآنِ، وَانْتِشَارُ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ الْبَاطِلَةِ فِي الأَكْثَرِ مِنَ الْقَطَّاعِ الإِفْرِيقِيَّةِ ۙ وَالآيَاتِ الموضّحة لِلذِّلِّى، وَالإِحَالَةِ عَلَيْهَا أيضاً
قوله تعالى: «ثمّ إنكم أيها الذين آمنتم تحاربوا من شجاعين من فورٍ» الآية،
welcoming on the following.

قوله تعالى: «هذا نزل من الله الذين آمنن» والآيات الموضحة لها،

قوله تعالى: «هَكَانَ بَيِّنَاتٌ نَّصْرَةً» والآيات الموضحة لذلك مع

الإحالة أيضاً:

قوله تعالى: «أَرَأَيْتَ مَنْ أَصَّبَ النَّاسَ صَفَاتِهِ» والآيات

الموضحة لها، وبيان القرآن فيها

تنبيه: يجب على كل إنسان النظر في هذا البرهان-catapult thePEEدل على البث،

الذي هو خلق الإنسان من نقطة في قوله: «فَبَلَى إِنَّ اللَّهَ يَخْلِقُ»

قوله تعالى: «فَخَذْ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ وَمَا مَنَّاكُنَّ مِنْ ذَلِكَ» الآية، والآيات

الموضحة لها وبيان أوجه التفسير في قوله: (قديرنا) وأن كل واحد منها

يلهده للقرآن وبيان القرآن في الآية

قوله تعالى: «أَفَأَمَّنَّ أَنْزَلَهُ مَّجَالَتَهُ لُجْنًا» الآية، والآيات الموضحة لذلك مع الإحالة على هذا

البيان

تنبيه مهم: في أنه يجب على كل إنسان النظر في هذا البرهان-catapult thePEEدل على البث،

الذي دل عليه الأمر في قوله: «فَبَلَى إِنَّ اللَّهَ يَخْلِقُ» وما يحوية من

قدرته تعالى ومنه تعالى خلقه، وقدره تعالى به فهمه

قوله تعالى: «أَفَأَمَّنَّ أَنْزَلَهُ مَّجَالَتَهُ لُجْنًا» إلى قوله: «فَنَّادُوا

لَمْ يَكُونَ» والآيات الموضحة لها مع بيان شدة حاجة المخلوق إلى

خلقه وأن الماء الذي في الأرض أصله نازل من المنز.

بيان أن الشبكر يطلق من العبد لربه ومن الرجوب لعبده

تنبيه لغوي على أن مادة الشبكر تتعدى إلى النعة تارة وإلى المنعم

أخرى، وما يشهد لذلك من القرآن ومن لغة العرب وبيان جواز اقتران

جواب له باللام وعده، وأن كلهم سائح
قوله تعالى: "أَفَرَءَيْتَ أَنَّ نَارَ أَلَّا تَوَلَّوْنَ" إلى قوله: "وَمَنْ تَفْسِيرُهُ" والآيات الموضحة لها، وقدرة الله على البث، وأن أكثر الأشجار في استخراج النار منه هو شجر المرخ والعفار، وأن في كل شجر نارًا إلا شجر العناب.

قد تقرر في الأصول أن من مواضع اعتبار مفهوم المخالف كون اللفظ وارداً للاشتهان، وذلك في قوله: "وَمَنْ تَفْسِيرُهُ" أي وغير المقبول، وبيان معنى المقبول وما يشهد له من كلام العرب.

قوله تعالى: "نَكَّلَ أَقْصَرُ يَمْوَقَ الْتَّجْرُبَ" وإن الله لم يفسر لوزن قوله تعالى: "غَيْرَ وَلَكَ" الإيحاء على توضيحها.

قوله تعالى: "إِنَّ هَذَا فَرُوجَ حُبَّ الْبَيْنَ، فَسَجِِّّسَ يَأْمُرُ بِمَا أَنْهَى أَقْتَلَ" والآيات الموضحة لها، مع بيان معنى التسبيح في اللغة والشواهد الموضوعة لذلك الرد على من زعم من أهل العلم أن تسبيح الجمادات هو دلالة إيجادها.

قوله تعالى: "سَمَّى ذَلِكَ مَا فِي الْخَمْرَةِ وَالآدَمِ وَفَسَّرَ الْعَفْرَانَ الْمُكْتَمِمَ" والآيات الموضوعة لها، مع بيان معنى التسبيح في اللغة والشواهد الموضوعة لذلك الرد على من زعم من أهل العلم أن تسبيح الجمادات هو دلالة إيجادها.

قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الشَّمَرَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتْنَةٍ مَّائَةٍ مُّسَمَّى عَلَى الْمُبْدِئِ" والإيحاء على ذلك في عدة مواضع.

قوله تعالى: "بَعَثَ نَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا يَحْمِرُ يَدَيْهِ وَمَا يُعْرُجُ فِيهَا" والإيحاء على ذلك.

قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَرْعَى عَلَى عَيْنِهِ" والإيحاء على ذلك.

قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي بَرَزَّ عَلَى أَظْلَمِتِهِ" والآيات الموضوعة لذلك.
أضواء البيان

قوله تعالى: «وَإِذْ نُبِيَّتُمُ النَّبُوُّاتِ وَالْأَرْضَ» والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: «وَيَمْنُ نَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسَّعُ فَوْرُهمَ بِالْبُيُوتِ وَيَبْتَغُوهُ الْبَيْنَيَّةَ» الآية،

والآيات الموضحة لذلك.

قوله تعالى: «يَدْعُوُنَّهُمُ اللَّهُ مَنْ نَكَّدَ مَعْمَمًا قَالُوا بِلَّلَّهِ يَوْمَ يُقَدَّرُ وَ هلْ يُبْدِيُونَ أَنفُسَهُمْ» الآية،

والآيات الموضحة لذلك.

قوله تعالى: «قَالُوا لَوْ نَوَجَّدُ مَنْ كَفَّرَ فِي وَمَا ذَلِكَ كَفَّرُوا» والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: «قَالُوا الَّذِينَ كَفَّرُوا» ونحوه من كل فعل مضارع مجزوم لم يرمى الاستفهام.

قوله تعالى: «كُلَّمٌ عَنِّيهِ أَهْلُ الْكَفَّارَ» بَيْنَهُمْ مَصْفُورٌ وَمَا يَكُونُ حُطَّانًا» والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: «مَا أَمَّا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» الآية، والآيات الموضحة لذلك، مع بيان وجهي التفسير في قوله تعالى: «مَا أَمَّا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» ونحوه من كل فعل مضارع مجزوم لم يرمى الاستفهام.

قوله تعالى: «أَنْ تَزَادُوا مِنِ اللَّهِ مَا غَيْرَ الْعَظِيمِ» الآية، والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: «وَأَوْزَنَا امْتِدَادًا فِي بَأْسٍ شَدِيدٍ وَمَسْتَعِينٍ إِلَى اللَّهِ» الآية، والآيات الموضحة لذلك.

الآية، والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: «وَكُلُّمَا السَّمَاعُ عَلَى أَمِينٍ. إِلَّا إِذْ يُؤْمِنُونَ.» الآية، والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: «فَقِمْنَ فَتَحْكِيمً وَحَكْمً مِّنْ فَتْحِيَاءٍ» والإحالة على ذلك.

قوله تعالى: «كُلُّهَا اللَّهُ أَعْطَى وَأَنَّهَا لِلَّهِ نَكُونُ» الآية، والآيات الموضحة لذلك، وأنها في شأن المؤمنين.

لا في أهل الكتاب، خلافاً لمن زعم ذلك.

قوله تعالى: «وَأَنَّ الْفَصِّلَ يَبْدِلُ اللَّهُ مَا طَوَّهَا مِنْ بَيَاتِهِ وَاللَّهُ ذُوّ الْفَصِّلِ العَظِيمِ» والآية الموضحة لذلك مع الإحالة على ذلك أيضاً.
سورة المجادلة

قوله تعالى: «الذين يظهرون مثل أسدٍ ناهضٍ، مهينٍ» إلى قوله:

قوله تعالى: «فإطعاماً سبيلاً» والإجابة على ذلك.

قوله تعالى: «أليمٌ نحن أن الله يعلمه ما في السموات وما في الأرض وما يحسبون من جوهر» إلى قوله: «إِنِّي أَنْبِيَاٰ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ» والإجابة على ذلك.

قوله تعالى: «أليم نحن أن الله يعلمه ما في السموات وما في الأرض وما يحسبون من جوهر» إلى قوله: «إِنِّي أَنْبِيَاٰ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ» والإجابة على ذلك.

واصل الإجابة حتى النهاية.
قد انتهى ما كتبه فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي قبل وفاته رحمه الله رحمةً واسعةً، وأجزل له المثوبة وأعلى له المنزلة ونعه بعد موهبه بما ورث من علمه ونعه بعلمه طالبه وضاعف له بنفعهم ثوابه إنه سميع مجيب.

لقد كان رحمه الله حريصاً كل الحرص على إنجاز هذا الجزء وتقديمه لطلاب العلم كما كان حريصاً على إتمام الكتاب لإكمال منهجه فيه والاستفادة به. ولكن إرادة الله نافذة وقدرته غالبًا فانتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى ووجوار ربه.

فقام أبناؤه وخاصة طالبه بالعمل على إنجاز هذا الجزء المبارك وتقديمه لطلاب العلم على النحو الذي كانوا يعملونه معه رحمه الله. وهم جادون في إكمال الكتاب على ما يسره الله لهم.

فرحم الله المؤلف بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنّته. وشكر الله لأبنائه وطلابه وكل من ساهم في هذا العمل من بعده إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام.
<table>
<thead>
<tr>
<th>ص</th>
<th>سورة ص</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>45</td>
<td>سورة الزمر</td>
</tr>
<tr>
<td>75</td>
<td>سورة غافر</td>
</tr>
<tr>
<td>113</td>
<td>سورة فصلت</td>
</tr>
<tr>
<td>109</td>
<td>سورة الشورى</td>
</tr>
<tr>
<td>221</td>
<td>سورة الزخرف</td>
</tr>
<tr>
<td>339</td>
<td>سورة الدخان</td>
</tr>
<tr>
<td>351</td>
<td>سورة الجاثية</td>
</tr>
<tr>
<td>389</td>
<td>سورة الأحقاف</td>
</tr>
<tr>
<td>441</td>
<td>سورة محمد</td>
</tr>
<tr>
<td>239</td>
<td>سورة الفتح</td>
</tr>
<tr>
<td>249</td>
<td>سورة الحجرات</td>
</tr>
<tr>
<td>281</td>
<td>سورة ق</td>
</tr>
<tr>
<td>299</td>
<td>سورة الذاريات</td>
</tr>
<tr>
<td>725</td>
<td>سورة الطور</td>
</tr>
<tr>
<td>743</td>
<td>سورة النجم</td>
</tr>
<tr>
<td>765</td>
<td>سورة القمر</td>
</tr>
<tr>
<td>الآية القياسية</td>
<td>السورة والرقم</td>
</tr>
<tr>
<td>----------------</td>
<td>----------------</td>
</tr>
<tr>
<td>783</td>
<td>سورة الرحمن</td>
</tr>
<tr>
<td>813</td>
<td>سورة الواقعة</td>
</tr>
<tr>
<td>859</td>
<td>سورة الحديد</td>
</tr>
<tr>
<td>879</td>
<td>سورة المجادلة</td>
</tr>
<tr>
<td>887</td>
<td>الفهرس التفصيلي للمجلة السابع</td>
</tr>
</tbody>
</table>